

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ
الرقم التسلسلي:

المهاجرون الجزائريون ودورهم السياسي والثقافي والاجتماعي في المغرب الأقصى 1830-1930

"بحث نال به صاحبه شهادة الدكتوراه بتقدير مشرف جدا في التاريخ الحديث"

إشراف الأستاذ:

إعداد الطالب:

الدكتور عمير اوي حميده

قاصري محمد السعيد

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
أحمد صاري	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	رئيسا
احميده عمير اوي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية	مشرفا ومقررا
شاوش حباسي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر	عضوا
مولود عويمر	أستاذ محاضر	جامعة الجزائر	عضوا
ميساسي إبراهيم	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر [غائب]	عضوا

نوقش هذا البحث يوم الاثنين 20 ذو الحجة 1430 هـ الموافق لـ 2009/12/07 م.

السنة الجامعية: 1429-1430 هـ / 2008-2009 م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامعة الأمير

الاسلامية

الشكر والتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ المشرف الدكتور **احميدة عمير اوي** الذي تفضل مشكوراً بقبول الإشراف على هذا العمل، وتابعه منذ بدايته حتى نهايته، فله منيَّ جزيل الشكر والتقدير على حُسن نصائحه وتوجيهاته المتميزة.

كما أتوجه بالشكر إلى من قاسمني المشاق والأتعاب في رحلة البحث العلمي من الماجستير إلى الدكتوراه والدتي العزيزة **فطيمة** أطال الله في عمرها؛ وإلى رفيقة دربي وشريكة حياتي **أم أنفال** بالخصوص، كونها قاسمتني خطوات هذا العمل، وكانت خير مؤنسالي في انجازته؛ وإلى كل من قدم لي يد المساعدة من أساتذة وزملاء وأخص بالذكر هنا الأخ والصديق الوفي والمخلص الأستاذ **الفاضل عبد العزيز لعميد**، وكل من الأستاذين **الفاضلين: محمد الطاهر زلّاق**، و**نور الدين مرزوقي**، والدكتورين **الفاضلين: عُكاشة برحاب** ومؤرخ المملكة المغربية **عبد الوهاب بن منصور** من المغرب.

ولا يفوتني في الأخير أن أنوه بجهود العاملين في كل من مكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ومكتبة الحامة بالجزائر، وعمال قاعة الباحثين بجامعة محمد الخامس بالرباط، وأخص بالذكر الأخ **شفيق خفاجة** الذي ساعدني كثيرا في تجاوز بعض العقبات، وكذلك المشرفين على مكتبة الخزانة العامة والخزانة الحسنية ومديرية الوثائق الملكية بالرباط، وقاعة الرسائل الجامعية بمكتبة محمد الخامس.

الإهداء

أهدي هذا الجهد العلمي المتواضع إلى من لم تشاء الأقدار أن تتركه يعيش ليرى ثمرة هذا العمل، إلى من رحل فجأة وفي صمت كبير، وتركني في مفترق طرق صعب جدا؛ إلى من كان يتشوف فقط أن تطأ قدمي باحة الجامعة، إلى الطود الشامخ الذي علمني وتعب لأستريح، وآثرتني على نفسه، فعاش عزيزا، ومات قريبا؛ إلى والدي العزيز عمّار رحمه الله؛ أهدي له هذا العمل وأحتسبه صدقة جارية له.

القادر للعلوم الإسلامية

المختصرات المستخدمة في البحث

1- باللغة العربية:

- ◆ ش. و. ن. ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- ◆ م. و. ك: المؤسسة الوطنية للكتاب.
- ◆ موفم: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
- ◆ د. م. ج: ديوان المطبوعات الجامعية.
- ◆ د. د. ع: دبلوم الدراسات العليا.
- ◆ ك. آ. ع. إ: كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- ◆ م. و. م. ر: مديرية الوثائق الملكية بالرباط.
- ◆ و. خ. ح. ر: وثائق الخزانة الحسنية بالرباط.
- ◆ مخ. خ. ع. ر: مخطوط الخزانة العامة بالرباط.
- ◆ م. و. أ. ر: المركز الوطني للأرشيف بالرباط.
- ◆ ج. ع. م. ج: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
- ◆ ج. ت. و: جبهة التحرير الوطني.
- ◆ مخ: مخطوط.
- ◆ د. ت: دون تاريخ.
- ◆ ط.: الطبعة.
- ◆ مج: المجلد.
- ◆ ع.: العدد.
- ◆ ج.: الجزء.

2- باللغة الأجنبية:

- ◆ A. O. M : Archives d'Outer-Mer, Aix en Provence. France.
- ◆ G.G.A : gouvernement générale d'Algérie.
- ◆ C. A. N. M: Centre Archives Nationale. Maroc.
- ◆ R. A: Revue Africaine.
- ◆ O. P. U : Office des publications Universitaire.
- ◆ R. M. M: Revue Du Monde Musulman.
- ◆ G.D.E.: Grand dictionnaire encyclopédique la rousse.
- ◆ S. D: Sans date.

التعريف بموضوع البحث:

على اثر الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، وما ترتب عنه من نتائج مأساوية خطيرة على مختلف الأصعدة؛ يكون قد أعقب ذلك ردود فعل متعددة لدى مختلف شرائح المجتمع الجزائري، ردود فعل جمعت بين المقاومة السياسية والمقاومة الشعبية المسلحة؛ غير أنه وفي هذه الأثناء تكون الجزائر قد عرفت ردود فعل أخرى ولعله من أبرزها حركة الهجرة الكثيفة التي قام بها الجزائريون نحو بندان المشرق والمغرب العربي، وعليه نطلعتنا أثناء تحضيرينا لرسالة الماجستير إلى الخوض في مثل هذا الموضوع. وتم فعلا تقديم مشروع بحث إلى قسم التاريخ يحمل العنوان التالي:

الجالية الجزائرية في المغرب الأقصى ودورها السياسي والثقافي والاجتماعي 1830-1927.

غير أن رحلتنا إلى المغرب الأقصى ووقوفنا على الوثائق والمحفوظات بدور الأرشيف المغربية توصلنا إلى نقطة مفادها ضرورة تغيير عنوان المشروع ليصبح المهاجرين الجزائريين بدلا من الجالية الجزائرية كونه أشمل وأعم هذا من جهة، ومن جهة أخرى فجعل الوثائق المغربية الرسمية المتعلقة بهم وجدانها توظف مصطلح المهاجرين/ المهاجرون، وهو ما دفع بنا إلى تقديم طلب التعديل إلى المجلس العلمي للكلية حيث تمت الموافقة على تعديل الموضوع، ليصبح على النحو التالي:

المهاجرون الجزائريون ودورهم السياسي والثقافي والاجتماعي في المغرب 1830-1930.

لقد تناولنا في هذا الموضوع حركة المهاجرين الجزائريين نحو المغرب في الفترة الزمنية الممتدة من سنة 1830 إلى سنة 1930 ودورهم في مختلف مجالات الحياة. وإذا كان التاريخ المعلمي الأول يمثل الاحتلال الفرنسي للجزائر، فإن التاريخ المعلمي الثاني يمثل أكثر من حدث بالنسبة للجزائر والمغرب. فبالنسبة للجزائر يمثل مرور 100 سنة من الاحتلال، وما صاحب ذلك من تطورات خطيرة عرفها المجتمع الجزائري، نظرا لسياسة الإدماج والترهيب والقتل والتشريد؛ التي طالت معظم شرائح المجتمع الجزائري، هذا إلى جانب التنسيق الذي تم العمل به من طرف أحد الزملاء الباحثين في الجزائر الذي سيواصل البحث في هذا الموضوع انطلاقا من سنة 1830 وإلى غاية سنة 1962.

أما بالنسبة للمغرب فإننا نسجل بهذا الخصوص صدور عدة مراسيم من سلطات الحماية الفرنسية بعد ترّيع السلطان محمد الخامس على العرش سنة 1927 تُنظّم هجرة الجزائريين نحو المغرب بل عمدت على عرقلتها ومنعها؛ وذلك بسبب حركة التعاون والتواصل المغربي التي أصبحت تتم بين أقطاب الحركة الوطنية المغربية؛ وهو شيء أصبح يهدد الوجود الاستعماري في كل من تونس والجزائر والمغرب.

كما أن تجليات حركة الظهير البربري العرقي التي حاولت سلطات الحماية الفرنسية تمريره على جزء معين من السكان في كل من الجزائر والمغرب، وموقف شرائح المجتمع المغربي عموما والمهاجرين الجزائريين خصوصا الرامي إلى فضح أساليب السياسة الاستعمارية القائمة على التفرقة؛ يكون قد أدى بسلطات الحماية أيضا إلى منع

حركة المهاجرين سواء من الجزائر نحو المغرب أو العكس، تفاديا للتشويش والترويج بأخطار هذا المشروع الذي تم تبادلها عبر فعالية حركة المهاجرين الجزائريين.

أهميته ودواعي اختياره:

تكمن أهمية هذا الموضوع في عدة جوانب: جانب معرفي نسعى من خلاله إلى إفادة أنفسنا وغيرنا بحركة المهاجرين الجزائريين الذين اختاروا المغرب الأقصى دون غيره من البلدان العربية كموطن استقرار لهم، ومدى فعالية هذا الوجود الجزائري في المغرب في بناء حركة تواصل وتعاون مشترك في مختلف المجالات بين الجزائر والمغرب، سواء في الفترة الاستعمارية أو الفترة الراهنة. وجانب اجتماعي ثقافي نتطلع من خلاله إلى مدى حركية الأخذ والعطاء المتبادلة بين شعوب المغرب العربي وفي أحلك الظروف عبر التاريخ؛ دون الأخذ في عين الاعتبار رقابة المستعمر الفرنسي وتضييقه الخناق على هذه الحركة، ورقابة السياسي الذي يسعى دوماً إلى تجاوز الإرث الحضاري والمقومات الأساسية للشعوب.

وجانب تاريخي نريد من خلاله أيضاً استنطاق الوثائق التاريخية عبر دور الأرشيف التي تم زيارتها، وكتابة تاريخ المغرب العربي عموماً والجزائر خصوصاً بما له وما عليه، دون الخوف من التاريخ لأنه إن لم نحكم على التاريخ فهو حاكم علينا وفيما سواء خفنا منه وهو لا يخاف منا أم خفنا عليه وهو لا يخاف عليه كما يقول الدكتور حميدة عميراي في كتابه الموسوم بـ: بحوث تاريخية. أما أسباب اختيارنا لهذا الموضوع فهي تعود إلى جملة من المعطيات، يمكن حصرها في ما يلي:

1. حداثة الموضوع: فبعد عملية البحث التي قمنا بها في فهارس المكتبات سواء بالجزائر أو بالمغرب أثناء مرحلة الماجستير، لم نقف على أبحاث أكاديمية تناولت هذا الموضوع؛ هذا إلى جانب المراسلات الشخصية والاتصالات التي قمنا بها مع جملة من الأساتذة الباحثين سواء بالجزائر - كالدكتور حميدة عميراي، والدكتور أبو القاسم سعد الله، والدكتور يحي بوعزيز رحمه الله.. الخ، أو بالمغرب: كالدكتور براحاب عكاشة، والدكتور عبد الوهاب بن منصور.. الخ، ونظراً لإجاباتهم التي كانت تصب في تبيين الموضوع وصلاحيته، عزمنا على مباشرة البحث فيه.

2. محاولة تسليط الضوء على جزء كبير ومهم من تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، وتجاوز الفكرة التي مفادها أن هجرة الجزائريين كانت نحو بلاد الشام وبلاد المهجر -فرنسا- فقط؛ ومن بين الأبحاث التي تمت في هذا الصدد:

أ-عمار هلال: العلماء الجزائريون في البلدان العربية والإسلامية في ما بين القرنين 19 و20 الميلاديين، 13 و14 المجردين (كتاب مطبوع)، الهجرة الجزائرية نحو الولايات العثمانية في المشرق العربي 1898-1918 (مقال منشور في مجلة الثقافة، ع. 84)، أصداء الهجرة الجزائرية نحو المشرق العربي في بعض التقارير الرسمية الفرنسية، (مقال منشور في مجلة الثقافة، ع. 15)، العلماء الجزائريون في فاس (مقال منشور في مجلة الدراسات التاريخية، ع. 9).. الخ.

ب- عبد الحميد زوزو: الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919-1939 (كتاب منشور)، حيث لم يتطرق فيه إلى دور المهاجرين الجزائريين بالمغرب في الحركة الوطنية.. الخ.
ج- عبد الكريم الخطيب: واقع الجالية العربية الإسلامية في أوروبا والأخطار التي تهدد شخصيتها (مقال منشور في مجلة الأصالة، ع. 64).

د- محمد صالح الجابري: النشاط العلمي والفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900-1962.
هـ- نادية طرشون في أطروحتها العلمية الموسومة بـ: الهجرة الجزائرية إلى المشرق العربي من منتصف القرن التاسع عشر إلى مطلع القرن العشرين (رسالة مرقونة).
و- سهيل الخالدي في كتابه الموسوم بـ: الإشعاع المغربي في المشرق، دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام. ناهيك عن ما كتبه أبو القاسم سعد الله في موسوعته تاريخ الجزائري الثقافي، التي وقفنا من خلالها على بعض الإشارات والإحالات عن المهاجرين الجزائريين بالمغرب.
وتجدر الإشارة في الأخير إلى وجود محاولة علمية جادة حول المهاجرين الجزائريين بتونس بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، والتي هي عبارة عن أطروحة علمية في طور التحضير ليأخذ تونس مقيم بفرنسا "Alain Messaoudi": تحت عنوان:

Les Algériens en Tunisie de 1830-1962, Etude d'une population migrante ou immigré, enjeu de définition, sous la direction d'Annie-Golzeiguer.

غير أن ما أشار إليه الدكتور أحمد صاري بخصوص هذه الأطروحة أن صاحبها قد تحلى عنها، وبالتالي فموضوع المهاجرين نحو تونس في نظرنا ما يزال يحتاج إلى دراسة أكاديمية، وما تم في هذا الشأن هو بعض المحاولات التي تحدثت عن هجرة السّوافة-وادي سوف- نحو تونس في إطار مرحلة الماجستير.

وأثناء مرحلة جمع المادة العنمية من المغرب الشقيق أثناء مقامنا به في شهر فيفري 2005 أحرنا الدكتور عكاشة برحاب مشكوراً بأن هناك أطروحة علمية في طور التحضير عن الجزائريين في المغرب من طرف الطالب محمد أمطاط، ومنذ ذلك الحين سعينا لربط الاتصال به قصد الوقوف على مختلف جوانب موضوع بحثه؛ وهو ما تم فعلا حيث تمكنا من الالتقاء به أثناء وجودنا في المغرب في السنة الموالية في مقهى النهضة "la renaissance" بشارع محمد الخامس في الرباط خلال شهر جويلية 2006 رفقة الأستاذ والزميل عبد العزيز لعميد [أستاذ تاريخ حاليا بالمركز الجامعي بخنشلة] والتحدث معه حول إشكالية موضوعه وجوانب أخرى، وما خلصنا إليه في الأخير هو وجود كثير من نقاط التقاطع والاختلاف فيما بيننا حول صلب الموضوع وإشكاليته.

فإذا كان موضوع بحثه الجزائريون في المغرب الذي يُعد بحث شمولي بمعنى لم يستثن منهم فئة التجار وأصحاب المصالح ولا يهود الجزائر ولا المسيحيين الذين دخلوا إلى المغرب عبر الجزائر، كما لم يستثن أيضا حتى المحدثين في الجيش الفرنسي واعتبرهم وجود جزائري في المغرب، في حين خصصنا حديثنا عن المهاجرين الجزائريين الذين هاجروا بنية الإقامة والاستقرار في المغرب أو الانتقال منه إلى بلدان المشرق العربي عبر تطوان وطنجة، وهم

الذين عبرت عنهم الوثائق المغربية بالمهاجرين؛ كما استثنينا العائدين منهم إلى الجزائر وأصحاب المصالح الذين جندكم سلطات الحماية الفرنسية لخدمة مصالحها؛ فهؤلاء في نظرنا ليسوا بمهاجرين.

3- يندرج هذا البحث ضمن الاستجابة لرغبة عذمية، تتمثل في محاولة تقصي أخبار المهاجرين الجزائريين الذين حرمتهم الاستعمار الفرنسي من العيش في وطنهم، فهاجروا وفترقوا شذر مذر في مختلف المدن والبادي والأرياف المغربية، على غرار الذين هاجروا نحو بلاد الشام وأصبحت لدينا معلومات لا بأس بها حولهم؛ وبالتالي فعائتنا من خلال هذا البحث هي محاولة نقض غبار الغفلة والنسيان عن هؤلاء المهاجرين، ومحاولة تكميل حلقة البحث حول المهاجرين في بلدان المشرق والمغرب العربي.

إشكالية البحث:

لقد انطلقنا في هذا البحث بمحاولة طرح مجموعة من التساؤلات الجوهرية في البداية لتصل في النهاية إلى بناء إشكالية رئيسية لهذا البحث، وتكمن هذه التساؤلات في ما يلي:

- ما هي الدوافع الحقيقية الكامنة وراء هجرة الجزائريين نحو بلدان المشرق العربي عسوما، وهجرتهم نحو المغرب الأقصى خصوصا؟

- هل هجرة الجزائريين كانت تقتصر على العموم أم على الخصوص؟

- هل الهجرة نحو المغرب كانت منظمة؟ وهل كانت فردية أم جماعية؟ وهل هي هجرة نخبوية؟

- ما هي أهم المناطق والمدن الجزائرية التي ترح منها هؤلاء المهاجرين؟

- ما هي أهم المراحل التي عرفتها الهجرة نحو المغرب خلال الفترة الممتدة من 1830-1930؟

- ما هي أهم المدن والأحواض المغربية التي استقر بها المهاجرون الجزائريون؟

- كيف كان موقف المغرب الرسمي والشعبي من المهاجرين الجزائريين؟

- هل المهاجرين الجزائريين وجدوا صعوبات في التأقلم مع مختلف شرائح المجتمع المغربي؟

- هل المهاجرين الجزائريين ظلوا عائلة على غيرهم، وبقوا عرضة لنضايح والإهمال؟ أم شتموا على سواعدهم

وفرضوا وجودهم ومكانتهم في أوساط المجتمع المغربي؟ وعليه فما هي مختلف الأدوار التي قاموا بها لصالح المغرب؟

وما هو موقفهم من مختلف التطورات التي كان يشهدها طيلة الفترة الزمنية المخصصة للبحث؟ خاصة وأن جلّ

المهاجرين كانوا ذو مواهب وقدرات ومهارات عالية، وحرف ومهين مختلفة.

- إلى أي مدى استفاد المغرب من طاقات وفعاليات المهاجرين الجزائريين؟ خاصة في ظل التقلبات السياسية

والاقتصادية، والتحرشات الأجنبية التي بات يتعرض لها بين الحين والآخر؟.

وبالتالي فجوهر الإشكالية يكمن في مدى توظيف حركة الهجرة الجزائرية نحو المغرب، وكذا التفاعل

الإيجابي معها سواء الرسمي منه أو الشعبي في إحداث قفزة نوعية كبيرة جدا في تجاوز التركة الاستعمارية والموانع

السياسية المصطنعة بين شعوب المغرب العربي عموما وبين الشعبين الشقيقين في الجزائر والمغرب خصوصا، وإلى أي

حد ساهم إيجابيا أو سلبيا وجود المهاجرين الجزائريين بالمغرب في مختلف التطورات السياسية والاقتصادية

والاجتماعية التي كان يشهدها المغرب مع نهاية القرن 19 ومطلع القرن 20، وما مدى نجاح أو فشل سلطات

الحماية الفرنسية بسياستها المعهودة "فرق تسد" في إحداث شرح كبير بين المهاجرين الجزائريين والساكنة المغربية؟ خاصة إذا كنا نعلم كثرة الامتيازات والإغراءات التي كانت تُنوّج بها سلطات الحماية لهذه الشريحة العريضة من المجتمع.

وعليه فالمهاجرين الجزائريين كانوا يناضلون ضد جهات عدة: جبهة الاستعمار الفرنسي في الجزائر حيث لم ينسوا أو يتناسوا وطنهم الأصلي رغم تحسن كثير منهم بالجنسية المغربية، وذلك من خلال الدفاع عن القضية الجزائرية في المنابر المغربية الرسمية والشعبية، وجبهة سلطات الحماية الفرنسية في المغرب التي حاولت جرّهم إلى الاصطدام بإخوانهم المغاربة من خلال المخبذين في صفوف الجيش الفرنسي والمتجنّسين منهم بالجنسية الفرنسية وتشويه صورتهم في الذهنية المغربية تارة، وتارة أخرى بالاصطدام فيما بينهم؛ وهذا ما حالت دونه مختلف التنظيمات والتشكيلات السياسية أو الإدارية الجزائرية في المغرب، وجبهة مقاومة سلطات الحماية الفرنسية والدفاع عن المغرب البلد الذي احتضنهم، وهذا ما سنقف عليه في باب الأدوار.

خطة البحث الرئيسية.

حاولنا معالجة الإشكالية المطروحة ضمن خطة عمل تتألف من مقدمة وفصل تمهيدي، وأربعة أبواب وخاتمة، ففي المقدمة تناولنا التعريف بموضوع البحث، ودواعي اختياره وإشكاليته، ثم تطرقنا إلى خطته الرئيسية؛ ومناهج البحث المتبعة، وأهم المصادر والمراجع المعتمدة، وبعدها قمنا بتقديدها أشرنا إلى جملة الصعوبات والعراقيل التي واجهتنا في سبيل إنجاز هذا البحث. والخطة الرئيسية هي موضحة على النحو الآتي:

الفصل التمهيدي:

تناولنا فيه جملة المهاجرين الجزائريين الذين هاجروا نحو المغرب قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، وهذا الفصل يعد بمثابة خلفية تاريخية ضرورية جدا لموضوع البحث، فالهجرة نحو المغرب لم تكن وليدة الاحتلال الفرنسي للجزائر بقدر ما وجدناها تعود إلى وقت متقدم جدا، منتشأ القرن 6هـ / 12م، ثم اتضحت معالم الهجرة بشكل جيد مع مطلع القرن 10هـ / 16م، وزادت من كثافتها أثناء مراحل الاضطراب السياسي التي عرفها العهد العثماني بالجزائر.

الباب الأول: تناولنا فيه عوامل الهجرة الجزائرية، وقسمناه إلى ثلاث فصول، تناولنا في الفصل الأول العوامل السياسية، وفي الفصل الثاني العوامل الاقتصادية والاجتماعية، بينما الفصل الثالث فقد خصصناه للعوامل الدينية.

الباب الثاني: تطرقنا فيه إلى مراحل الهجرة الجزائرية، وقسمناه إلى ثلاثة فصول؛ تناولنا في الفصل الأول مرحلة الهجرة الجزائرية الأولى من 1830-1859، وتناولنا في الفصل الثاني موجة الهجرة الجزائرية الثانية من 1859-1894، بينما خصصنا الفصل الثالث لمرحلة الهجرة الجزائرية الثالثة من 1894-1930. وضمن كل فصل من هذه الفصول حددنا أهم المدن والمناطق التي هاجروا منها بالجزائر، مقابل تحديد المدن والحوضر المغربية التي استقروا بها.

الباب الثالث: تطرقنا فيه إلى موقف سلاطين المغرب من المهاجرين الجزائريين، وقسمناه هو الآخر إلى ثلاث فصول؛ تناولنا في الفصل الأول موقف السلطان عبد الرحمان ابن هشام، وفي الفصل الثاني موقف السلطانين سيدي محمد والحسن الأول، بينما الفصل الثالث فقد خصصناه لموقف السلاطين أبناء الحسن، والسلطان محمد الخامس في السنوات الثلاث الأولى من حكمه.

الباب الرابع: تطرقنا فيه إلى دور المهاجرين الجزائريين السياسي والاقتصادي والاجتماعي، وقسمناه إلى ثلاث فصول، وكل فصل من هذه الفصول تناولنا فيه دورا من هذه الأدوار.

الخاتمة: تناولنا فيها محمل نتائج البحث التي توصلنا إليها.

عرض ونقد لأهم المصادر والمراجع المعتمدة:

اعتمدنا في هذا البحث على مجموعة معتبرة من المصادر والمراجع المختلفة، والتي يمكن تصنيفها وترتيبها حسب أهميتها على النحو الآتي:

1- المصادر: نظرا لتعدد المصادر وتشعبها وتباينها في كثير من الأحيان فإننا أدرجناها على النحو الآتي:

1-1- المصادر المخطوطة: وهي تشمل ما يلي:

الوثائق المغربية:

لقد قادتنا عملية البحث إلى الوقوف على كم هائل من الوثائق المغربية الموجودة بكل من:

- مديرية الوثائق الملكية بالرباط التي وقفنا فيها على ملف كامل يتعلق بالمهاجرين الجزائريين، ووثائقه عبارة عن ظهائر سلطانية أصدرها سلاطين المغرب إلى ولاية أمرهم وأمنائهم ووزرائهم بخصوص المهاجرين الجزائريين، وقد تناولنا في معظمها موقف هؤلاء السلاطين من المهاجرين، ومقابل ذلك توجد وثائق ضمن هذا الملف في شكل رسائل متبادلة بين نقيب المهاجرين والسلاطين وتعلق في معظمها بطلب الصلات والإنعام على فقراء المهاجرين، وتارة تضمنت عرض مشاكلهم ووصف حالتهم للسلطان أو الولاية والوزراء. وللعلم أن هذه الوثائق مكتوبة بخط مغربي ووردت غير مرتبة زمنيا، ولا مصنفة حسب مضمونها؛ فقمنا بترتيبها وتصنيفها حتى يتسنى لنا الاستفادة منها بشكل كبير.

- وثائق الخزنة الحسنية بالرباط التي تزخر هي الأخرى بكم هائل من الوثائق التاريخية، غير أن ما تعلق منها بالمهاجرين الجزائريين قليل جدا، مقارنة بالوثائق التي تتوفر عليها مديرية الوثائق الملكية؛ ورغم ذلك فإن ما عثرنا عليه من وثائق وكنائش يعتبر مهم جدا لموضوع بحثنا؛ وثائق تم فرزها بعد قراءة لمحمل المحافظ التي تمكنا من الإطلاع عليها، لأن هذه المحافظ هي الأخرى تحتوي على مئات الوثائق غير المرتبة زمنيا ولا موضوعيا، رغم وجود فهرس ترتبي لها، لكن وجدناه غير مطابق لمضمونها.

- مخطوطات الخزنة العامة بالرباط التي وقفنا من خلالها على عدة مخطوطات؛ نذكر من أهمها:

- محمد بن أحمد، أكنسوس: الجيش العرمم، رقم 965 د.

- أبو حامد العربي، المشرفي: الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية، رقم 1463 د.

- أبو حامد العربي، المشرفي: طرس الأخبار بما جرى للمسلمين مع الكفار في عنتر-عتو- الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار، رقم: ك 496.

- أبو حامد العربي، المشرفي: ياقوتة النسب الوهاجة، رقم 1534 د.

- أبو العلاء، إدريس: مجموع الابتسام عن دولة ابن هشام، رقم 114 ح.

- محمد بن الحسن، الحجوي: انتحار المغرب بيد ثواره، ميكرو فيلم، رقم 123 ح.

ورغم كثرة المخطوطات فإنها وردت شحيحة من الإشارة إلى المهاجرين الجزائريين، عدا المهاجرين الأشراف منهم الذين ذكرهم المشرفي في مخطوطاته بهذه الخزانة؛ هذا إلى جانب صعوبة الإطلاع على هذه المخطوطات بهذه الخزانة؛ لأن الباحث لا يتعامل مع المخطوط مباشرة بل يطلع عليه عبر جهاز الميكرو فيلم، ونظراً لذلك فإن استفادتنا من هذه الخزانة لم ترق إلى ما كنا نطمح إليه. ورغم المحاولات التي قمنا بها في سبيل تصوير هذه المخطوطات فإننا لم نظفر بذلك، كون هذه الخزانة تتعامل بمخطوط مقابل مخطوط آخر ناهيك عن دفع رسوم تصويره الباهضة!!

- مركز الأرشيف الوطني بالرباط: "Centre des Archives Nationale à Rabat".

لم نكد نعثر بهذا المركز على أية وثيقة تتعلق بالمهاجرين الجزائريين، وذلك راجع في اعتقادي إلى عدم قدرتنا على فرز الوثائق الهائلة التي تتوفر عليها كونها غير مفهرسة، وإلى عدم وجود مرشدين متخصصين يوجهون الباحث إلى تحقيق هدفه، غير أنه وتوجيهات أحد الإخوة العاملين هناك، وبعد إلحاح كبير أرشدنا إلى الإطلاع على ملف أعتقد أنه لأول مرة تلامسه أيدي الباحثين، وهو يدور حول المصدر الأعظم محمد المقرئ، ويغطي فترة مهمة وحافلة بنشاطات هذا الوزير الذي ينحدر من أصول جزائرية. ولم تسمح لنا ظروف الإقامة بالمغرب في مرفي فيفري 2005 بالاستفادة منه بشكل جلي، وعندما زرنا المغرب للمرة الثانية في شهر جويلية 2006 وحاولنا الإطلاع عليه مرة أخرى فتم نجده بمصلحة الأرشيف!!، ومن حسن حظنا أننا قمنا سابقاً بتصوير الوثائق المهمة التي يحتوي عليها هذا الملف.

الوثائق الجزائرية:

لم يخالفنا الحظ في سبيل الحصول على وثائق جزائرية تتعلق بموضوع بحثنا؛ رغم المحاولات التي قمنا بها على مستوى مركز الأرشيف الجزائري بئر حادج، لأن هذه الوثائق تتعلق في عمومها بفترة العهد العثماني، وبتضايها هامشية لا تخص موضوع المهاجرين الجزائريين نحو المغرب. غير أنه عثرنا بمكتبة الحامة بالجزائر على مخطوطتين تعلقت الأولى ببندة عن حياة الأمير عبد القادر وأسرته، لمحمد السعيد شقيق الأمير عبد القادر، تحمل رقم 9، وتعلقت الثانية بياقوتة النسب الوهاجة للعربي المشرفي، تحت رقم 3326، وبمجموعة رسائل مخطوطة دونت في عهد الأمير عبد القادر، وجمعت في ملف ضخم تحت رقم 2755.

ونخص بالذكر هنا مركز أرشيف فرنسا ما وراء البحر بمدينة أكس أون بروفانس:

-Archives de la France d'Outer-Mer, Aix en Provence (A. O. M.)

الذي وقفنا فيه على كم هائل من الوثائق التاريخية المدرجة ضمن السلاسل الآتية:

-1H6, 7H22-23, 9H98-99-100-101./E12...etc.

الصادرة عن الحكومة العامة بالجزائر (G.G.A)، وهي تتضمن سلسلة من التقارير والمراسلات المتبادلة بين الحكام العامون لناحية الغرب الجزائري، وحكومة الجزائر العاصمة، أو ممثلي القنصلية الفرنسية بالمغرب خصوصا في مدينة طنجة، إلى جانب وجود عدة ملفات قائمة بذاتها تطرقت إلى الحديث عن خيام لبعض قبائل الغرب الجزائري وتحرركاتها عبر منطقة الشحوم الجزائرية المغربية، وهجرة البعض منها كأولاد سيدي الشيخ نحو المغرب، في الوقت الذي أشارت فيه إلى عودة البعض منها نحو الجزائر كهجرة عكسية؛ كما وقفنا على ملفات أخرى كملف الأمير عبد المالك الجزائري، وملف حول قبائل الحشم وبنو عامر التي أيدت في المغرب بعد هجرتها.

غير أنه وللأسف الشديد لم تكن استفادتنا بشكل كبير من هذه العلب الأرشيفية نظرا لضيق الوقت المسسوح به للبقاء بفرنسا خلال شهر جويلية 2007، ولصعوبة فرز الوثائق المتعلقة بالبحث في العلب الواحدة التي تحتوي على مئات الوثائق، وهذا ما دفعني إلى تصوير ما أمكن تصويره من وثائق عبر آلة التصوير الإلكترونية، التي فاقت 1200 وثيقة غير أن العطل الذي أصابها في الأيام الأخيرة من البحث جعلتنا نفقد ما مجموعه 900 وثيقة، ومع مرور الوقت المتسارع لم نتمكن حينها من تدارك الموقف سوى الاحتفاظ بما تبقى فيها من وثائق، وتصوير البعض الآخر بالطريقة التقليدية، ولكن رغم ذلك فإننا حاولنا قدر المستطاع توظيف ما رأيناه مناسب ومهم من وثائق في صلب البحث.

ولقد قادتنا عملية البحث في نهاية المطاف إلى دار الوثائق السورية في شهر جويلية 2008، للفتيش في فهارسها وعلبها لعنا نظفر بوثائق تاريخية تخدم موضوع بحثنا، وذلك نظرا لكون كثير من المهاجرين الجزائريين بسوريا هاجروا في البداية نحو المغرب ثم انتقلوا فيما بعد إلى سوريا، لكننا لم نعثر على هذه الوثائق، وما وجدناه تعلق بالمهاجرين الجزائريين نحو بلاد الشام من خلال وثائق المحاكم الشرعية؛ غير أن هذه الرحلة توجت في الأخير بعقد مقابلة مع سمو الأميرة بديعة الحسيني الجزائري حفيذة الأمير عبد القادر؛ في بيتها دمشق، وتحصلنا منها على وثائق تتعلق بالأمير عبد المالك الجزائري ودوره العسكري في مقاومة الفرنسيين بالمغرب.

1-2- المصادر المطبوعة: من بين المصادر المطبوعة التي اعتمدنا عليها:

- تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر لمحمد بن الأمير عبد القادر، واللسان المعرب عن تحافت الأجنبي حول المغرب للسليمان، الذي أمدنا بمعلومات هائلة حول المرحلة الأولى للمهاجرين الجزائريين نحو فاس بالخصوص، كما حدد لنا بدوره المدن والمناطق التي نزحوا منها بالغرب الجزائري، وزهرة الآس في بيوتات أهل فاس لعبد الكريم بن هاشم الكتاني، وبيوتات مدينة سلا لأبي القاسم عشاش وجان كوستي، وطلوع سعد السعود للأغا ابن عودة المزارعي، وسلوة الأنفاس لمحمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، ووجدة والعمالة للويس فوانو،

ودوحة الناشر محمد بن عسكر الحسيني الشفشاوني، ودورية الوثائق المنكية، التي أمدتنا بكم هائل من الوثائق التاريخية حول موقف السلطان عبد الرحمان بن هشام من المهاجرين الجزائريين، وإتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس لعبد الرحمان، ابن زيدان، والإستقصا في أخبار المغرب الأقصى للناصرى السلاوي، غير أن هذا المصدر وجدناه يتحامل بشكل كبير على الأمير عبد القادر وأقاربه الذين هاجروا نحو المغرب، كما وجدناه يتهم قبائل الحشم وبني عامر التي هاجرت نحو المغرب، بمحاولتها زعزعة الأمن العام بالمغرب والتشويش على السلطان عبد الرحمان، وهو في ذلك يقف في صف المخزن مناصر ومؤيد لما قام به السلطان عندما قام بإبادة هذه القبائل المهاجرة.. الخ. أما المصادر الأجنبية المعتمدة فنذكر من أهمها:

- Govion, Marthe et Edmond: Kitab Aâyane AL Maghrib l' Akça, tomes 2
- Louis, Voinot: Oujda et L'Amalat.
- Louis, Mougin: les Algériens à Oujda.
- Paul, Decroux: Les Algériens Musulmans Au Maroc condition juridique et sociale.
- KATAN, Yvette: Oujda, une ville frontière du Maroc 1907-1956
- Michaux-Bellaire, Édouard: les musulmans d'Algérie au Maroc.

وما يمكن ملاحظته حول هذه المصادر الأخيرة هو وجود نوع الذاتية وغياب المصداقية في كثير من الأحيان، خاصة إذا كنا نعلم أنها كانت تؤرخ للمستعمر وليس للمستعمر؛ وبالتالي فاستفادتنا منها كانت مخنوفة بالحذر فكنا نقوم بمقارنة المعلومات التي تضمنتها بغيرها من الوثائق المغربية، حيث وقفنا على اختلاف كبير جدا بين هذه وتلك، وهذا ما أشرنا له في المتن.

كما أن هذه المصادر الأجنبية حاولت وعن قصد تمجيد هجرة الجزائريين نحو المغرب قصد تنفيذ مسألة إبادة الجزائريين من طرف الاستعمار الفرنسي بالجزائر، أي بمعنى أن الجزائريين لم يتعرضوا لحرب الإبادة بل هاجروا وتفرقوا هنا وهناك، لأن إحصائيات السكان حسب حمدان بن عثمان خوجة لسنة 1830 تقدر بخوالي 10 ملايين نسمة، غير أن إحصائيات الجانب الفرنسي في سبعينيات القرن 19 ترصد ما بين 2.5-03 ملايين نسمة!؟. فهل كل هذا العدد هاجر؟ إنه أمر مستبعد تماما. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن بعض هذه المصادر حاولت تقديم صورة سيئة في غالب الأحيان عن هؤلاء المهاجرين وعدم تجاوب الموقف الرسمي والشعبي المغربي معهم؛ لكن هذا الطرح "الكولونيالي" فقدته كثير من الوثائق التاريخية التي أطلعنا عليها، وهذا ليس معناه تركية لهذا الموقف أو ذلك حيث وقفنا على كثير من المواقف السلبية الرسمية والشعبية تجاه المهاجرين غير أن الجانب الفرنسي ضخمها بشكل يدعو إلى الحيرة والاستغراب. قصد إحداث شرح كبير بينهم وبين المغاربة وبالتالي تسهل عملية استطاهما لصالح فرنسا.

هذا إلى جانب العديد من المقالات التاريخية التي وردت في المجلة الإفريقية (R.A). ونخص بالذكر هنا ما كتبه "لويس فوانو" حول تحركات قبائل التحويم الجزائرية-المغربية.

اعتمدنا في بحثنا هذا على حمئة من المراجع الرئيسية، والتي يمكن الإشارة إلى بعضها في ما يلي:

- تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله الذي ساعدنا في كثير من الأحيان في تفعيل البحث وتثمينه.

- معلمة المغرب التي تطرقت في كثير من أعدادها إلى الأسر والعائلات الجزائرية المقيمة بالمغرب، والتي سبق لها وأن هاجرت من الجزائر، كأسرة الشرعي، الخلالدي، ابن غريبط، المقرئ، بوضربة، الخيزاوي، السليماني.. الخ.

وخطط المغرب الشرقي لبدر المقرئ الذي ساعدنا كثيرا في الوقوف على الأدوار الفعالة التي قام بها خصوص المهاجرين الجزائريين بمدينة وجدة وضواحيها، والقصيدة (الرجل في المغرب) لعباس بن عبد الله، الحراري؛ والمثال الموسوم بالعائلات الجزائرية بتطوان من خلال مخطوط عمدة الراوين للأستاذ إدريس بوهليلة، الذي استفدنا منه بخصوص المهاجرين نحو تطوان، ومقال عثمان، بناني؛ الموسوم بعبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين، وعبد السلام، ابن سوادة في مقاله الموسوم ببيوتات مدينة فاس قديما وحديثا، وعبد الحميد، إسماعيلي؛ في مقاله الموسوم بعلماء المهجر بمدينة وجدة في القرن 19.. الخ

هذا بالإضافة إلى حملة من الأطروحات الجامعية التي من بينها: أقوال المطاعين في الطعن والطواعين للعربي المشرفي الذي حققه الحسين الفرقان، والخلل الشية في ملوك الدولة العلوية لحمد بن مصطفى المشرفي الذي حققه إدريس بوهليلة، حيث استفدنا منهما في الحديث عن المهاجرين الجزائريين من الأشراف، وعلى رأسهم أبو حامد العربي المشرفي، وأبو عبد الله السقاظ. وأطروحة محمد أمطاط الموسومة بـ: الجزائريون في المغرب 1830-1962، ونظرا لنقاط التقارب التي تجمعنا مع هذا الباحث، فإننا وجدنا أنفسنا في كثير من الأحيان نعود إلى هذه الأطروحة، ولكن هذا لا يعني وجود نقاط لتقاطع والاختلاف معه في كثير من الأفكار التي طرحها، وفي النتائج التي توصل إليها، ومن بين المآخذ التي تسجل حول هذه الأطروحة التي انطلق صاحبها من إشكالية مفادها: تحولات الدولة والمجتمع بالمغرب في القرن التاسع عشر والعشرين، ومشروع بناء تكتل جهوي مغربي في إطار دولي تغطي عليه العولمة وما يواكبها من مصاعب بنوية بالنسبة لبندان الجنوب:

- تركيزه على الوجود الجزائري بالمغرب بصفة عامة قبل فرض الحماية سنة 1912، ومحاولة إبراز الدور السلمي للجزائريين الذين التحقوا بالمغرب في الفترة ما بين 1900-1912، كونهم ساهموا في سياسة التسرب السلمي للفرنسيين بالمغرب الذي انتهى بفرض الحماية، ويستدل في ذلك على المجتدين الجزائريين في الجيش الفرنسي الذي احتل مدينة وجدة والدار البيضاء وغيرها من المدن المغربية، من خلال الملف الموجود بأرشفيف أكس أون بروفانس حول ما كان يعرف "بالقوم les Goumes". وهذا الملف الذي اطلعنا نحن بدورنا عليه يتعلق بالمجتدين الجزائريين في الجيش الفرنسي بالمغرب، وهؤلاء القومية لا علاقة لهم في نظرنا بالوجود الجزائري في المغرب ولا بالمهاجرين الجزائريين، لأن فرنسا جتدت حتى مغاربة أنفسهم في صفوف الجيش الفرنسي وحاربوا حتى في المغرب والجزائر والسنغال.. الخ. فهل يمكن اعتبار هؤلاء المجتدون وجود جزائري في المغرب؟.

- تلفيق قضية الاحتلال الفرنسي للمغرب إلى دور الجزائريين في خدمة المصالح الفرنسية، دون الأخذ بعين الاعتبار أن هذه المسألة كانت مُدرجة ضمن المخطط الاستعماري الفرنسي منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر، وأن

الأوضاع التي كان يعاني منها المغرب على مختلف الأصعدة خصوصا الصراع السياسي حول العرش، والتمردات والفتن الداخلية التي عصفت به هي من ساهم في احتلاله. ولا علاقة للمهاجرين الجزائريين بهذه التهمة الخطيرة؛ مع التسليم بوجود فئة معينة قليلة محسوبة على نفسها ارتكبت في أحضان المشروع الفرنسي.

- محاولته التوضيح في أحد الخرائط المناطق المعتصبة من التراب المغربي؛ وهي في حقيقة الأمر أراضي جزائرية 100%، كتوات وبوسمكون ومشرية وعين الصفراء وغيرها، وحتى البحوث الأكاديمية التي تطرقت إلى مسألة الحدود المغربية الجزائرية لم تكن لأصحابها الجرأة الكافية لتقديم هذا الطرح الذي لا يخدم من دون شك الإشكالية التي تناوفاها الباحث. فهذه دعوة صريحة وعلنية في نظرنا للتشويش على علاقات حسن الجوار بين الجزائر والمغرب التي نسعى من خلال بحثنا هذا إلى تميمها وتعزيزها وفق ما يخدم المصالح العليا للشعبين الشقيقين.

- المبالغة في الحديث عن مسألة تجنيس الجزائريين وطلبهم الجنسية الفرنسية بالمغرب قصد الحصول على المزيد من الحقوق والإميازات، وإذا كنا من جهتنا لا ننفي هذا الطرح؛ إلا أن طالبي الجنسية يُعدّون على رؤوس الأصابع ولا يمتثلون إلا أنفسهم، دون الأخذ بعين الاعتبار العريضة التي اشتملت على أكثر من 500 مهاجر جزائري بفاس للتعبير عن رفضهم لمحاولة التجنيس والاستقطاب التي طرحتها لهم المفوضية الفرنسية في سنة 1895.

- تجاوز الدور الإيجابي والفعال للمهاجرين الجزائريين بالمغرب في مختلف المجالات، وتلفيق التهم لهم بوقوفهم ضد سياسة الإصلاح التي كان يشهدها المغرب رغم مشاركتهم فيها، وبإخراطهم في جهاز الحماية الفرنسية بالمغرب، رغم وقوفهم في وجهها صفا واحدا؛ ولا شك أن ما كتبه بدر المقرري في خططه حول مدينة وجدة يُنفذ كثيرا من هذه المرامم، وكيف الحال لو كانت هناك أبحاث أخرى على شاكلة خطط المغرب الشرقي؟

مناهج وطرائق البحث المتبعة:

بعد عمية جمع المادة العنسية من مختلف المكتبات ودور الأرشيف، بكل من الجزائر والمغرب وفرنسا، أخضعناها لجملة من الترتيبات المنهجية التي يمكن حصرها في ما يلي:

- قراءتها وترتيبها وحصاعها منهج المقارنة؛ خصوصا ما تعلق بالروايات التاريخية المختلفة.
- الاعتماد على المنهج الإحصائي خصوصا ما تعلق بمراحل الهجرة.
- المنهج التاريخي بشكل رئيسي في صلب الموضوع.
- توظيف المنهج التحليلي والإستنتاجي أثناء قراءتنا للمعطيات العددية، التي تخص تواجد وتوزع وتطور عدد المهاجرين.

- ترجمة النصوص والوثائق الأجنبية مع تحري الدقة في نقل المعنى المراد ترجمته، وذلك من خلال إجراء عملية مطابقة لما ذكر في هذه الوثائق وقربانها في بقية مصادر البحث.

صعوبات البحث:

عندما يصل الباحث في نهاية المطاف إلى الحديث عن هذه الصعوبات، فهو لا يكاد يصدق أنه تجاوزها وتغلب عليها، بإرادته وحرصه وتشجيع الأستاذ الباحث، ومن أهم هذه الصعوبات:

- صعوبة جمع المادة العدمية نظراً لفلتها في الجزائر ولتواجدها بشكل كبير في كل من المغرب وفرنسا، وحتى الزيارة التي قادتنا إلى هاذين البلدين لم تسمح لنا ظروف الإقامة بكما من تحقيق ضالتنا المنشودة. إذ لا زالت هناك وثائق هامة حول هذا الموضوع، والتي تحتاج إلى تضافر جهود كثير من الباحثين، وإلى عامل الوقت قصد جمعها والاستفادة منها.

- صعوبة رصد عدد المهاجرين الجزائريين في المغرب وذلك لغياب الإحصائيات الرسمية، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن الإحصائيات التي توفرت لدينا تظل شحيحة وقاصرة في الوقوف على عدد المهاجرين لأن حركتهم لم تكن منظمة بشكل يسمح لنا بتتبعها، حيث كانت تارة فردية وتارة أخرى جماعية في شكل خيام أو عائلات وأسر؛ وحتى سلطات الحماية الفرنسية لم تتمكن من رصد جموع المهاجرين عبر الحدود الجزائرية المغربية التي كانت خارجة فعلاً عن سيطرتنا. والإحصائيات الفرنسية المحتشمة التي وقفنا عليها بأرشفيف مدينة "أكس أون بروفانس" بفرنسا لم تتمكن من قراءة الخط الذي كتبت به رغم استعانتنا بالعديد من أساتذة الترجمة واللغة الفرنسية، وهو ما جعل البحث يفتقر نوعاً ما إلى هذه الإحصائيات؛ وحتى الذين تناولوا موضوع المهاجرين الجزائريين نحو بلاد الشام واجهتهم هم أيضاً مشكلة الإحصائيات.

- صعوبة الكتابة في هذا الموضوع من دون الرجوع إلى المصادر أو الوثائق التاريخية، وعليه فإن جل هذه الوثائق إما بلغة أجنبية تستحق الترجمة، أو هي مكتوبة بخط مغربي قديم جداً تحتاج إلى قراءتها باستخدام العدسة لعدة مرات متتالية حتى يتسنى لنا فهم محتواها. وعليه فنقد استغرقنا وقتاً طويلاً بين هذه وثائق.

- صعوبة التوفيق بين وظيفة التدريس التي تتطلب تحضير مثير، وعملية البحث التي تتطلب جهداً ووقتاً كافي، الأمر الذي جعلنا نستغل فترة العطل وأوقات الفراغ فقط للتفرغ لكتابة هذا البحث.

- ومما زاد من مصاعبي ومتاعبي المعنوية هو وفاة والدي العزيز رحمه الله في شهر مارس 2007، الشيء الذي أفقدي توازني وتركيزي لمدة تفوق ستة أشهر، كونه كان خير معين ورفيق لي في حياتي عامة وطبقة فترة دراسي بالجامعة خاصة. وكونه كان يتشوّف دائماً إلى مشاركتي فرحة الاحتفاء بإنهاء هذه الأطروحة والتتويج باللقب العلمي الذي ضحىّ بالغالي والنفيس في سبيل حصولي عليه.

ولكن بتوفيق من الله تعالى وبحرص الأستاذ المشرف الذي كان بمثابة الأب والأخ والزميل تمكنا من تجاوز هذه الصعوبات والوصول بالبحث إلى هذا المستوى، الذي سنقدمه إلى لجنة المناقشة الموقرة التي ستبدي رأيها فيه وتقيّمه، وفي الأخير فإن ما قمنا به ليس هو عين الكمال وإنما هو مجرد محاولة تاريخية تنم عن جهد متواضع يحتمل الخطأ والصواب، فلكل شيء إذا ما تم نقصان.

الفصل التمهيدي

المهاجرون الجزائريون نحو المغرب قبل الاحتلال
الفرنسي للجزائر

● طلائع المهاجرين الجزائريين نحو المغرب قبل

فترة الحكم العثماني للجزائر

● المهاجرون الجزائريون نحو المغرب أثناء العهد

العثماني بالجزائر 1518-1830

لم تكن الهجرة الجزائرية نحو المغرب الأقصى وليدة الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، بل هي تعود إلى ما قبل القرن 10هـ/16م، ونظرا لصعوبة تحديد تاريخ معلمي لذلك، رأينا من الضرورة بما كان تقسيم الهجرة نحو المغرب قبل سنة 1830 إلى مرحلتين رئيسيتين: مرحلة الهجرة قبل فترة الحكم العثماني للجزائر ومرحلة الهجرة أثناءه، وفي خضم الحديث عن هاتين المرحلتين سنراعي بمجمل التطورات السياسية لنظام الحكم بالمغرب والتي على غرارها تحددت حركة هذه الهجرة هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى فإننا سنسعى من خلال هذا الفصل التمهيدي إلى توضيح الخلفية التاريخية لهذه الهجرة، والتي بموجبها تكون قد وفرت الأرضية الخصبة والملائمة لهجرة الجزائريين نحو المغرب بعد الاحتلال الفرنسي؛ وهو ما يُشكّل عامل تاريخي مهم تحكّم في توجيه المهاجرين الجزائريين نحو هذا البلد، في الوقت الذي تحكمت فيه عوامل أخرى في هجرتهم نحو بلدان المشرق العربي.

1- طلائع المهاجرين الجزائريين نحو المغرب قبل فترة الحكم العثماني للجزائر.

لقد تميزت هذه المرحلة بتعدد واختلاف نظام الحكم سواء كان ذلك في الجزائر أو في المغرب، فبهي مرحلة تشمل حكم المرابطين والموحّدين والعبّاديين والمرينيين والوطّاسيين، وفي خلال فترات الحكم هذه يكون قد هاجر عدد معتبر من الجزائريين نحو المغرب الأقصى، وأهم ما يميز هجرتهم أنها شملت مختلف الفئات الاجتماعية؛ كالعالم والفقيه والأديب والقاضي والسياسي والطرفي... الخ، كما كانت تارة فردية وتارة أخرى جماعية وشملت أسراً وقبائل بأكملها.

شجعت التطورات السياسية وما رافقها من صراع محتدم بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى؛ واستقرار الأوضاع السياسية أو اضطرابها هنا وهناك على الهجرة نحو المغرب. ونظرا لصعوبة إحصاء عدد المهاجرين والتداخل الكبير الحاصل بين المستقرين منهم بالمغرب أو العائدين منهم إلى الجزائر، سنكتفي بالحديث عن أولئك الذين هاجروا إلى المغرب واستقروا به استقرارا نهائيا دون الحديث عن الذين رجعوا إلى الجزائر؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإننا سنركز اهتمامنا على المهاجرين الذين سمحت ظروف البحث برصدهم وتنبع تحركاتهم.

لقد عرفت الفترة التي سبقت القرن 10هـ/16م، هجرة كثير من الجزائريين نحو المغرب؛ هجرة شملت في الغالب الفقهاء والقضاة والعلماء؛ فخلال القرن 6هـ/12م، كانت هجرة أبي الطيب المسيلي (ت538هـ/1143م)¹، الذي انتقل إلى المغرب عبر الأندلس؛ فوُلّي قاضيا بمدينة فاس حيث استقر به المقام إلى أن وافته المنية

1 - هو أحمد بن الحسين بن محمد المهدي المسيلي الملقّب بأبي الطيب، شاعر وأديب وقاض، ولد ونشأ وتعلّم بالمسيلة، ثم رحل إلى الأندلس فأقام بها مدة طويلة، ومنها عمّج على المغرب فزل بمدينة فاس التي استقر بها إلى غاية وفاته، لقد كان محمود الحال وذو أخلاق حسنة، كما كان قوّالا بالحق. يراجع كل من: عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 298، عمار، هلال: "العلماء الجزائريون في فاس ما بين القرنين 10-20 م / 4-14هـ"، الدراسات التاريخية، ع. 9، ص-ص. 14-15.

بهذه المدينة. والفقير المالكي ابن زكّون (ت 553هـ / 1158م)¹، الذي هاجر هو الآخر وأقام بمدينة فاس، وأصبح كاتباً لقاضيها عيسى بن يوسف ابن الملجوم الأزدي، وبحكم تضرّعه في الفقه وأحكام القضاء ألف كتاباً في الرأي والنوازل سماه اعتماد الحُكّام في مسائل الأحكام².

ومع تأسيس دولة الموحّدين على يد المهدي بن تومرت (ت 524هـ / 1130م)³، برزت شخصية جزائرية كان لها دور فعّال في توطيد أركان هذه الدولة، يتعلق الأمر بعبد المؤمن بن علي الكومي (487-558هـ / 1094-1163م)⁴، الذي انتقل إلى المغرب برفقة ابن تومرت، وكان أول نزول له بقرية تملال ثم انتقل منها إلى السوس بقرية ابن تومرت التي حلّ بها سنة 515هـ / 1121م. وللعلم أن عبد المؤمن قد كُلف من طرف أستاذه سنة 523هـ / 1129م بالمشاركة في غزوة ضد المرابطين في مقر عاصمتهم بمراكش، كما كان من مجموعة العشرة المقرية لابن تومرت التي كان يستشيرها في جميع الأمور⁵.

وبعد مرور ثلاث سنوات على وفاة ابن تومرت عيّن مجلس العشرة عبد المؤمن خليفة له⁶، فبدأ حياته السياسية بالتوسع على حساب المرابطين والسعي في القضاء عليهم في كل من سبتة وندرومة وتلمسان ووهران،

1 - هو حسن بن إبراهيم بن عبد الله ابن أبي زكّون التلمساني، يكنى أبو علي ويعرف بابن زكّون، ولد بتلمسان في شهر شعبان 484هـ / 1091م، وبها نشأ وتعلم ثم رحل إلى الأندلس ومنها انتقل إلى المغرب حيث استقر به المقام. يراجع كل من: أبو القاسم محمد، الخفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 1، ص. 374، عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 159.

2 - أبو القاسم محمد، الخفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، تقديم محمد رؤوف القاسمي الحسني، ج. 1، نوفم. الجزائر، 1991، ص. 374.

3 - هو محمد بن عبد الله بن تومرت أبو عبد الله الملقب بالمهدي، ولد ونشأ في قبيلة هراغة من المصامدة من قبائل حبل السوس بالمغرب الأقصى، مصلح ديني مغربي، أسس دولة الموحّدين سنة 1120م، خلفه عبد المؤمن بن علي الكومي. انظر فصي علي دولة المرابطين. يراجع كل من: خير الدين، الزركلي: الأعلام، مج. 6، ص. 228-229. كرم البستاني وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 5.

4 - هو عبد المؤمن بن علي الكومي، ولد بقرية ناغرت قرب مدينة ندرومة بقبيلة كومية سنة 496هـ / 1097م. تعلم القرآن الكريم ومبادئ اللغة العربية والفقه بمسقط رأسه، وعندما بلغ سن الـ 15 التحق بتلمسان حيث واصل دراسته، ومنها انتقل إلى مدينة بجاية صحبة عمّه الذي كان متوجّهاً إلى الحج. وفي هذه المدينة التقى بابن تومرت الذي كان يُدرّس بقرية ملاة، فتوطّدت بينهما علاقة قوية جداً، انتهت في الأخير إلى أن أصبح عبد المؤمن خليفة له بعد مماته، فترتّب على عرش الموحّدين مدة 33 سنة (524-558هـ / 1130-1163م)، وظل في الحكم إلى أن وافته المنية إثر مرض ألمّ به أثناء تجهيزه للحملة العسكرية التي دخل بها الأندلس فعاد أدراجه إلى المغرب، توفي بمدينة سلا ومنها تم نقل جثمانه إلى مدينة تملال حيث تم دفنه بجانب ضريح المهدي بن تومرت. يراجع كل من: خير الدين، الزركلي: الأعلام، مج. 4، ص. 170، كرم البستاني، وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 369، عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 218-219.

5 - أبو عمران الشيخ، وآخرون: معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995، ص. 343.

6 - Rachid, Bourouiba: Ibn Thumart, 2ème Edition. Société Nationale d'Édition et de Diffusion, Alger, 1982, P.77.

ليستولي في الأخير على مكناس وفاس؛ ثم مراکش التي دخلها سنة 541هـ / 1147م¹. وفي سنة 546هـ / 1151م فخص من جديد ليغزو دولة بني حماد (ت 419هـ / 1028م)² في بجاية، فاتحه أولا نحو الشمال ليوهم أنه يقصد الأندلس ثم فجأة غير وجهته نحو الشرق؛ فاستولى على مدينة الجزائر ثم بسرعة وصل قرب بجاية التي دخلها تقريبا دون قتال بعدما فرّ واليها يحيى بن العزيز إلى قسنطينة³، ثم التفت إلى قلعة بني حماد فاستولى عليها وطارده الهلاليين حتى قضى عليهم وشرّد جمعهم⁴.

ويعود سبب حديثنا عن هذه الشخصية نظرا إلى حركة الهجرة التي أعقبت هذه الغزوة، فحاكم بجاية آنذاك يحيى⁵ بن عبد العزيز بن حماد المنهزم أمام عبد المؤمن في ذي القعدة 547هـ / فيفري 1152م، يكون قد ركب البحر وفرّ نحو أخيه الحارث بمدينة بونة ثم انتقل إلى مدينة قسنطينة، ولكن بعد وقعة سطيف التي دارت رحاها بين الموحّدين والهلاليين في أوائل صفر 548هـ / أواخر أبريل 1153م، يكون عبد المؤمن بن علي قد حاصر على إثرها قسنطينة وفتحها خلال يوم أو يومين، فاستسلم له يحيى من جديد ونزل عن عرشه مبايعا له⁶. وعلى إثر استيلاء عبد المؤمن على قسنطينة يكون يحيى بن عبد العزيز قد رافقه أثناء عودته إلى مراکش، وهنا لا ندري هل تمت هذه المرافقة بموافقة يحيى أم أن عبد المؤمن أخذه أسيرا معه؟

1 - أبو عمران الشيخ، وآخرون: معجم مشاهير المغاربة، المرجع السابق، ص. 343.

2 - حماد بن بلكين بن زيري بن مناد، مؤسس الدولة الحشادية بالقلعة، بدأ حياته السياسية سنة 387هـ / 997م. حين ولّاه باديس بن المنصور (374-406هـ) أعمال الجزائر الشرقية وأقطعته مدينة أشير ونواحيها، فطمحت نفسه لإنشاء دولة مستقلة، فأنشأ القلعة التي عُرفت باسمه فيما بعد على جبل عجيسة من جبال كتامة سنة 398هـ / 1007م. ثم استقل عن باديس وتخص بيته سنة 405هـ / 1014م، ولقد استمر في الحكم إلى أن توفي بتازمورت وفيه بالقلعة. يراجع كل من: أبو عمران الشيخ، وآخرون: معجم مشاهير المغاربة، ص-ص. 88-89، عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص-ص. 122-123.

3 - أبو بكر بن علي، الصنهاجي: أخبار المهدي بن تومرت، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، ط. 2، م. و. د. الجزائر، 1986، ص. 107.

4 - أبو عمران الشيخ، وآخرون: معجم مشاهير المغاربة، المرجع السابق، ص. 344.

5 - هو يحيى بن العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد الصنهاجي، تولى الحكم سنة 515هـ / 1121م، غزا المهديّة سنة 522هـ وحاصرها؛ ثم تخلّى عنها واحتل تونس وولى عليها عمّه كرامة بن المنصور، ثم غزا المهديّة ثانية سنة 530هـ، إلا أنه الهزم فارتدت جيوشه نحو بجاية التي غزاها عبد المؤمن بن علي سنة 547هـ / 1153م، ففر يحيى إلى بونة ونزل عند أخيه الحارث بن العزيز الذي استنكر عليه تسليم بجاية فأعرض عنه وتوجه إلى قسنطينة، فزل عند أخيه الحسن. إلا أن جيش الموحّدين سرعان ما غزا هذه المدينة فاستسلم يحيى لهم، فأخذه عبد المؤمن معه إلى مراکش، وهناك عاش في كنف الخليفة في عز وسعة من الرزق إلى أن توفي. يراجع: عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 332.

6 - عبد الرحمان بن محمد، الجليلي: تاريخ الجزائر العام، ج. 2، ط. 7، د، م، ج. الجزائر، 1415هـ / 1994م، ص. 11.

فعادل نويهض يرى أن عبد المؤمن قد أخذ معه يحيى بن عبد العزيز إلى مراكش طواعية، وهالك عاش في كنف الخليفة في عز وسعة من الرزق إلى أن مات¹. ولقد روى أحمد توفيق المدني (1404هـ/1983م)² هذه الحادثة دون أن يوضحها لنا بشكل جيد، غير أنه يذكر أن يحيى عندما استوطن مراكش أولاً لم يظب له المقام بما نظرا لوجود غريمه عبد المؤمن بما فطلب الانتقال منها، فسُعد عليه واختار السكن بمدينة سلا³.

وإلى جانب نزول يحيى بمدينة سلا بدار عشرة؛ يكون قد نزل معه أيضا بعض البجائين من حاصته وأقاموا بمدينة سلا مدة من الزمن، كما أخير بذلك محمد بن كثير في تأليفه المعروف بتاريخ سفاقس، وأخير البعض الآخر أن دولة عبد المؤمن بن علي الموحدية ورد عليها بعض الأفراد من قلعة بني حماد⁴.

وخلال الحروب التي دارت رحاها بين الموحدين وبني مرين، وموازة مع دخول الملك يعقوب بن عبد الحق المريني (ت 658هـ/1286م)⁵ مدينة سلا، يكون هذا الأخير قد أمر قبائل زناتة بنواحي تلمسان بانيه وغوان - لعله يقصد ابن غانية الذي كان يحكم بجاية- بالانتقال إلى المغرب، ثم أنزلهما بين عين غبولة بالرباط وعين البركة بنواحي سلا، حيث استقر البعض منهم بنفس المدينة واختلطوا بالبربر المتواجدين بها⁶.

والحاصل أن سكان مدينة سلا ينحدرون من عدة أجناس مختلفة: منهم بقايا سلا كولونيا الرومانية الذين عجزوا في الرجوع لأوطانهم عند انقراض دولتهم، والبرغواطيون وزناتة وصنهاجة، وسكان فزارة والأندلس وبنو

1- عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط. 2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1400هـ/1980م، ص. 353.

2 - هو أحمد توفيق بن محمد بن أحمد المدني، ولد بتونس في 1 نوفمبر 1899، ولما بلغ سن العاشرة انتقل إلى المدرسة القرآنية. فتلقى على شيوخها شتى العلوم والمعارف، وفي سنة 1913 انتقل للدراسة في الزيتونة والحدونية والصادقية، حيث تعمقت معارفه. انخرط سنة 1920 في الحزب الدستوري التونسي، ثم انتخب عضوا في جنته التنفيذية، تولى لفترة إدارة مجلة الصبح الحربية، وكان ينشر فيها وفي غيرها مقالا يوميا في السياسة الخارجية. تحمس للدفاع عن نظام الخلافة الإسلامية، وناضل من أجلها وترأس خفتها التونسية سنة 1922، كما أصدر خلال هذه السنة تقريرا سماه تقويم المنصور في العلوم والأدب والسياسة. وفي سنة 1925 تولى إدارة الجزائر فانخرط في نادي الترقى سنة 1926، وكان من الداعين لتأسيس ج. ع. م. ج.، وفي سنة 1956 انتدبه ج. ت. و كعضو ثالث لتمثيلها في القاهرة، وبعد الاستقلال عُين وزيرا للأوقاف، توفي بالعاصمة. ومن آثاره: حياة كفاح، تقويم المنصور في 5 مجلدات، الخ. يراجع: أبو عمران الشيخ وآخرون: معجم مشاهير المغاربة، ص-ص. 185-483.

3 - أحمد توفيق، المدني: كتاب الجزائر، ط. 2، دار الكتاب، البلدة، الجزائر، 1382هـ/1963م، ص. 28.

4 - المرجع نفسه، ص. 29.

5 - هو يعقوب بن عبد الحق المريني، يعد من أشهر سلاطين بني مرين، خلف أخاه أبا بكر في فاس سنة 1258م، احتل مراكش سنة 1269م وقضى على الموحدين، انتزع سحلماسة من بني عبد الواد. الخ، ومن أهم آثاره مدينة فاس الجديدة المشهورة بمسجدها الجامع. يراجع: كرم البستاني وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 620.

6 - أحمد توفيق، المدني: كتاب الجزائر، المرجع السابق، ص. 30.

العشرة، وأهل قفصة وإنجاية وزناتة تلمسان¹، وخلال هذه الفترة هاجر حجاج بن يوسف الهواري (ت572هـ/ 1176م)²، واستقر به المقام بمراكش، فوُلِّي خطة القضاء بها إلى أن توفي بالطاعون، ونظراً لمكانته صلى عليه السلطان أبو يعقوب يوسف³ وحضر مراسيم دفنه⁴.

وفي وقت لاحق هاجر سليمان بن عبد الرحمان بن المعز المَقْرِي (ت579هـ/ 1183م)⁵، فزُل بمدينة سلا، ومنها انتقل إلى فاس حيث استقر به المقام إلى أن توفي بها. وفي الوقت نفسه هاجر حجاج بن يوسف الهواري الحسن أبو علي نحو مراكش، لكنه لم يلبث أن انتقل إلى الأندلس التي وُلِّي على إثرها الخطبة بإشبيلية سنة 580هـ، غير أنه رجع إلى المغرب واستقر بمدينة فاس إلى أن وافته المنية بها سنة 598هـ/ 1202م، وبعد عدة أشهر حُمِل إلى مراكش ودفن بها⁶.

وخلال القرن 7هـ/ 13م هاجر عدد هائل من الجزائريين. تختلف شرائحهم نحو المغرب الأقصى، من بينهم: ابن اللّحام التلمساني (ت614هـ/ 1217م)⁷ الذي استقر بفاس، ونظراً لمكانته استقدمه السلطان المنصور يعقوب بن يوسف إلى مراكش فاستوطن بها، وكذلك الحسن بن ستّ الأفاق البسكري⁸ الذي توطن بمدينة فاس وبها توفي، ومحمد بن علي بن حماد الصنهاجي (ت628هـ/ 1231م)⁹ الذي تولى بعد هجرته خطة القضاء بمدينة سلا سنة 613هـ، ثم انتقل بعدها إلى مراكش حيث استقر به المقام وبها توفي¹⁰.

1 - جان، كوسني، وأبو القاسم عشّاش: بيوتات مدينة سلا، تحقيق وتعليق نجاة المربني، منشورات الخزانة العلمية النصبية، مطابع سلا، المغرب، 1989، ص. 31.

2 - يحدر من مدينة بجاية، يعد من أهل العلم والأدب، ويمتاز بالفصاحة والبلاغة، يراجع: عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 337.

3 - حكم في الفترة الممتدة من 1163-1184م، يراجع: كرم البستاني وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 539.

4 - عمار، هلال: "العلماء الجزائريون في فاس"، الدراسات التاريخية، ع. 9، د، م، ج. الجزائر، 1415هـ/ 1995م، ص. 15، ويراجع أيضاً: عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 337.

5 - أبو القاسم محمد، الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 1، المصدر السابق، ص. 445.

6 - المصدر نفسه، ص. 383.

7 - هو محمد بن أحمد بن محمد اللّخمي أبو عبد الله ابن اللّحام التلمساني، ولد سنة 558هـ/ 1163م بتلمسان، فاضل له نظم، وهو من أشهر الوعاظ في عصره، توفي بمراكش. من آثاره: حجة الحافظين ومحجة الواعظين، يراجع: عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 275.

8 - أبو القاسم محمد، الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 1، المصدر السابق، ص. 385.

9 - هو محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي، مؤرخ وشاعر وأديب، نشأ بهرج حمزة، أخذ العلم أولاً بقلعة بني حماد ثم على شيوخ بجاية والجزائر وتلمسان، ودخل الأندلس فولاه المرحدون قضاء المغرب والأندلس. يراجع كل من: عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 197، عبد الرحمان، الجليلي: تاريخ الجزائر العام، ج. 2، ص. 38-39.

10 - محمد بن عبد الرحمان، الجليلي: تاريخ الجزائر العام، ج. 2، المرجع السابق، ص. 38-39.

والملاحظ هنا هو كثرة العائلات الجزائرية التي هاجرت إلى المغرب على إثر دخول الموحديين القطر الجزائري، واستيطانهم في عدة مدن مغربية كمرآكش وفاس وسلا والرباط وحتى وجدة التي استقر بها بنو حماد المقيمين حالياً حسب قدور الورتاسي في ناحية بني عتيق مدحقة تافوغالت، ولجوارهم بنو عامر وهم عرب¹. ومن جملة المهاجرين أيضاً: الفقيه محمد بن إبراهيم الغساني التلمساني (ت 663هـ/1264م) الذي دخل المغرب عن طريق الأندلس؛ واستقر به المقام في الأخير بمدينة آسفي حيث امتهن التجارة، ومع ذلك كان متين الدين حافظاً للحديث ومنما بالتاريخ والأدب والفقه². ومحمد بن أحمد بن الدراج التلمساني (ت 693هـ/1294م)، الذي حظي بمكانة معتبرة لدى المرينيين، فبعد هجرته إلى فاس أصبح من المقربين إلى السلطان الناصر لدين الله يوسف بن يعقوب (ت 706هـ/1307م)³، الذي ولّاه قضاء سلا.

ومع نهاية القرن 7هـ/13م هاجر ثابت بن منديل المغراوي (ت 694هـ/1295م) إلى المغرب بعدما توترت علاقته مع يغمراسن وابنه عثمان من بعده، فنشبت بينهما حروب وفتن كثيرة انتهت بسقوط مغراوة؛ وعلى إثر ذلك فرّ ثابت إلى المغرب سنة 694هـ رفقة عائلته مستنجداً بالسلطان يوسف بن يعقوب المريني، إلا أنه توفي بالمغرب في نفس السنة فكفل السلطان من بعده أهله وولده، ومن بينهم حفيده راشد بن محمد (ت 710هـ/1310م) الذي أصهر له في أخته وزوجه إياها⁴.

وفي عهد السلطان أبي الحسن علي المريني (ت 752هـ/1351م)⁵ تذكر آسية بنعدادة نقلاً عن الحجوي: «إن الثغالية قد تم نقلهم إلى المغرب في عهد أبي الحسن بعد تغلبه على بني عبد الواد في تلمسان والجزائر؛ وعند دخولهم المغرب انقسموا إلى ثلاث فرق: فرقة ذهب لدرعة، وفرقة توجد بمدخل الصحراء بأرض متونة، وفرقة استقرت ما بين فاس ومكناس، وتذكر أن أسلافه انتقلوا قديماً من الصحراء إلى فاس، وبها استقروا إلى أن رحلتهم السلطان المولى إسماعيل (ت 1139هـ/1727م)⁷ إلى تازة لفتنة كانت بفاس»⁸.

1- قدور، الورتاسي: معالم من تاريخ وجدة، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 1392هـ/1972م، ص. 27.

2- أبو انفاسم محمد، الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 1، المصدر السابق، ص. 385.

3- كرم البستاني، وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ط. 31، منشورات دار المشرق، بيروت، لبنان، 1991م، ص. 625.

4- عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص. 320.

5- هو أبو الحسن المريني، تولى الحكم سنة 1297م خلفاً لأبيه أبا سعيد الثاني فيما ما بين سنتي 1331-1351م، اشتهر بحروبه ضد الإفرنج في الأندلس، هزمه الفونس 11 ملك قشتالة في خريف 1340م، انتصر عليه العرب في القيروان، ثم خلعه ابنه أبو عنان فمات غريباً منكوباً. يراجع: كرم البستاني وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 17.

6- مصلح جزائري السبب والأصل لعب دور كبير في الحركة الإصلاحية بالمغرب في النصف الثاني من القرن 19 والقرن 20م.

7- هو إسماعيل بن محمد الشريف بن علي الشريف المراكشي، ولد سنة 1056هـ/1645م، تولى الحكم سنة 1082هـ، دامت فترة حكمه 57 سنة، بلغت الدولة في عهده أوج ازدهارها. يراجع: خير الدين، الزركلي: الأعلام، مج. 1، ص. 325.

8- آسية، بنعدادة: الفكر الإصلاحي في المغرب في عهد الحماية (محمد بن الحسن الحجوي نموذجاً)، ط. 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2003م، ص. 63.

وللعلم أن الثعالبة¹ ينحدرون من قبيلة حجاوة الشهيرة التي تنقسم إلى أربعة أرباع: ربعها الأول غزران وأولاد سلامة والمعاينة وبنو وجكل، وربعها الثاني الثعالبة والكلالبة، وربعها الثالث بنوراشد، ومنهم بنوراشد بأولاد عيسى بكدية بوميون، وربعها الرابع أولاد موسى وأولاد عيسى وأولاد عبد الكريم وأولاد ابن عصمان من الشواكر؛ وحل أعيان هذه القبيلة انتقلوا منها، واستوطنوا الحضرة الإدريسية منذ القديم². ويذكر الشريف عبد الكريم بن هاشم الكتاني أن بيت الحجوي كان مشهوراً بفاس منذ قدم الزمان، وهو نسبة إلى قبيلة حجاوة الخارجة عن هذه الحضرة - يقصد فاس - المجاورة لقبيلة شراقة/شراكة وقبيلة أولاد عيسى والكراردة وغيرهم³.

وهذا الخصوص يذكر "قوفيون Govion": أن أصول عائلة الحجوي تعود إلى قبيلة الثعالبة الجزائرية⁴، التي ينتمي إليها الإمام عبد الرحمان الثعالبي الجعفري (ت 875هـ / 1470م)⁵؛ فبعد هجرتهما نحو المغرب تكون قد حطت رحالها بجوار واد سبو؛ ثم انتقلت شرقاً بمشعر بلارج ثم إلى حجر الوفاق بضواحي فاس، وأخيراً استقرت في نواحي سيدي قاسم وهذا يخالف ما ذكره لنا الحجوي⁶.

وخلال القرن 8هـ / 14م تكون قد هاجرت العديد من العائلات الجزائرية، ومن أشهرها عائلة المقرري⁷ التي هاجر منها الجد محمد المقرري التلمساني (ت 759هـ / 1359م)⁸ نحو المغرب ثم توجه نحو الأندلس؛ ولما تولى

- 1 - يقع موطنهم الرئيسي بواد يسر بالجنوب الشرقي من مدينة الجزائر، يراجع: عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 91.
- 2 - الشريف بن عبد الكريم بن هاشم، الكتاني؛ زهرة الآس في بيوتات أهل فاس، ج. 1، ط. 1، تحقيق علي بن سبور الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص. 343.
- 3 - المصدر نفسه، ج. 2، ص. 316.
- 4 - Giovin, Marthe et Edmond: kitab Aâyane Al Maghrib l'Akaça, tome, 2, Paris, 1937, P. 263.
- 5 - هو عبد الرحمان بن محمد بن مخلوف الثعالبي، ولد ونشأ بناحية واد يسر بالجزائر، زاول تعليمه في كل من: نخاية وتونس ومصر، وبعد أن أدى مناسك الحج رجع إلى تونس سنة 819 هـ ومنها إلى الجزائر التي تولى بها القضاء، بعد من كبار المنسكين والعلماء، توفي في شهر رمضان 875 هـ، من آثاره: الجواهر الحسان في تفسير القرآن، وروضة الأنوار ونزهة الأعيان... الخ. يراجع كل من: عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 90، كرم البستاني وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 191.
- 6 - Giovin, Marthe et Edmond: kitab Aâyane Al Maghrib l'Akaça, tome 2, Op, cit, P. 265.
- 7 - يراجع بخصوص هذه العائلة ما جاء في المقال الموسوم بـ:

-Les inscriptions arabes de Tlemcen, tombeaux des familles EL-Makkari et EL Okbani, R. A. N° 5, Année 1861, P-P. 401-423.

- 8 - ولد بتلمسان وبها نشأ وتعلم، زار كل من تونس والمغرب، ثم رحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج فأخذ عن علماء مصر ومكة والمدينة ودمشق وبيت المقدس، ثم عاد إلى بلده، ومنه هاجر نحو المغرب الأقصى، ثم عبر الأندلس فزار غرناطة، ثم رجع ثانية إلى المغرب للإقراء وخدمة العلم، تولى القضاء في عهد السلطان أبو عنان المريني؛ ثم اعتزله وتوجه نحو الأندلس في مهمة كلفه بها السلطان سنة 756هـ، ولما أنهى مهمته رجع إلى المغرب فوُشي به إلى السلطان فنقم عليه، فسعى العلماء لديه وزالت نعمته وعفا عنه، توفي بفاس، وبعد سنة من وفاته نقلت رُفاته إلى تلمسان مقر أسلافه ودفن بعرضته داخل تلمسان. والملاحظ هنا هو وجود نوع من الاختلاف بين من ترجموا له في تاريخ وفاته، فعادل نويهض في: معجم أعلام الجزائر، يورخ لها بـ 759هـ، ص. 312، والحفناوي في: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، يورخ لها بـ 750هـ، ص. 191، وأبو عمران الشيخ في: معجم

السلطان أبو عنان المريني (ت759هـ / 1358م)¹ احكم سنة 749هـ / 1368م، وبعد أن استتب أمره بعد وفاة أبيه سنة 752هـ، ولآه السلطان قضاء الجماعة بفاس، فاشتغل بذلك أعظم اشتغال²، ومارس مهنته بحكمة بعض درايته وعلمه³، ونظرا لمكانته العلمية بنى له السلطان المريني المدرسة المتوكلية البوعنانية المعروفة بالطاعة الكبرى⁴. ومن خلال الدراسة التي أعدها عبد السلام بن سوادة حول بيوت فاس فإننا نقف على كثير من البيوت الجزائرية التي استقرت بها، بيوت هاجر أصحابها في فترات مختلفة قد تمتد حتى مطلع القرن العشرين؛ ومن بين العائلات التي هاجرت خلال هذه الفترة واستوطنت بفاس: عائلة الإدريسي، وهم على ثلاث فرق: «فرقة الشرفاء من أهل الأراثة (كذا) جوطيون وهم الذين يتصرفون في فتوحات (كذا) ضريح الإمام إدريس بفاس، والفرقة الثانية أصلهم من مدينة تلمسان ينسبون إلى الأدارسة، والفرقة الثالثة من أهل فاس»⁵. وعائلة ابن الإمام التي هاجر بعض أفرادها إلى فاس مثل الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمان بن الإمام (ت897هـ / 1394م)⁶. وإلى جانب ذلك نسجل هجرة عدد معتبر من أفراد عائلة الونشريسي مثل الجد ابن عطية⁷، الذي كان له سبق الهجرة إلى المغرب والاستقرار بحوز مكناس، ورغم عدم وقوفنا على تاريخ هجرته فإننا وجدنا بعض أفراد عائلته قد التحقوا به واستقروا بالمغرب؛ ومن بينهم: حسن بن عثمان بن عطية⁸؛ الذي تولى قضاء فاس بالنيابة.

- مشاهير المغاربة يؤرخ لها بـ 785هـ / 1363م، ص. 507؛ و"وفيون Govion" في: أعيان المغرب بالأقصى يؤرخ لها بـ 795هـ / 1392م، ص. 251. وغير الدين الزركلي في: الأعلام، مج. 7، ص. 37، يؤرخ لها بـ 758هـ / 1357م.
- 1 - هو أبو عنان المريني (فارس بن علي) ولد سنة 729هـ / 1329م، سلطان بني مرين في الفترة الممتدة من (1351 - 1358م). عزل والده أبو الحسن، توسعت رقعة الدولة في عهده فاحتل تلمسان وخاية، مات مخوفا، من آثار المدرسة البوعنانية بحس، يراجع كل من: الزركلي: الأعلام، مج. 5، ص. 127، كرم البستاني وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 321.
- 2 - أبو القاسم محمد، الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، المنصر السابق، ص. 190.
- 3 - Govion, Marthe et Edmond: kitab Aayan Al Maghrib l'Akaça, Op, cit, P. 251.
- 4 - عبد الوهاب، بمنصور: أعلام المغرب العربي، ج. 5، الطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1410هـ / 1990م، ص. 348. ويراجع أيضا: محمد عبد الغني، حسن: المقرئ صاحب نفع الطيب، ص. 27.
- 5 - عبد السلام، بن سوادة: "بيوتات مدينة فاس قديما وحديثا"، البحث العلمي، ج. 22، السنة 11، مطابع المغرب الكبير، المغرب، محرم - ربيع الثاني، 1394هـ / يناير - أبريل 1974م، ص. 115 - 116.
- 6 - المرجع نفسه، ص. 115 - 116.
- 7 - عطية هو الجد الأكبر للعائلة التي تنتمي إلى قبيلة بني توجين بمنطقة الونشريس، التي كان لها دور كبير في الأحداث التي عرفتها المنطقة خصوصا في العهد المريني، ومن بين الشخصيات السياسية الفاعلة في هذا الشأن: عمر بن عثمان بن عطية (ت737هـ / 1337م) الذي عقد له أبو تاشفين علي جبل ونشريس وعمال بني عبد القوي، ونصر بن عطية (ت770هـ / 1368م)، الذي ولّاه كل من أبي الحسن وأبي عنان علي ولاية الجبل، ومن بعدهما ولّاه أبي حمو موسى الثاني، ويحي بن عطية (ت710هـ / 1310م) الذي تولى رئاسة بني توجين سنة 710هـ. يراجع: عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 234.
- 8 - هو حسن بن عثمان بن عطية التيجاني الشهير بأبي علي الونشريسي (724-790هـ / 1324-1388م)، ينحدر من قبيلة توجين بالمغرب الأوسط، ولد بتاوريريت بالمغرب، وهو قاض وأديب وشاعر، يعد من فقهاء المالكية. من آثاره: أرجوزة في الفرائض وشرحها، ومجموعة فتاوى نقل بعضها الونشريسي في المعيار. يراجع: عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 344.

ثم وُلِّي قضاء مكناسة وسلا؛ لكنه سرعان ما تخلى عن القضاء وتصدّر للتدريس بجامع القرويين بفاس، إلى أن توفي بهذه المدينة بعد عودته من الحج بمدة تقدر بحوالي 15 يوماً¹، وعمر بن عثمان بن عطية الذي ولد فيما بعد بحوز مكناسة وبها نشأ وتعلم، وكان له شأن عظيم في العلم والمذاكرة إلى أن وافته المنية بفاس²، ويونس بن عطية (ت 816هـ/1413م)³ الذي هاجر والده برفقة عائلته نحو المغرب، واستقر بحوز مكناسة هو الآخر وبها نشأ وتعلم؛ فذاع صيته وبلغت شهرته الآفاق، ومن أهم نشاطاته توليّه خطة القضاء بمكناسة وبقصر كتامة⁴.

وللعلم أن عائلة ابن عطية الجزائرية يكون قد غلب على تسميتها لقب الوشريسي نسبة إلى منطقة الوشريس، وهو الاسم الذي وظّفناه لأنه توجد بالمغرب عائلة ابن عطية الأندلسية التي قدمت من إشبيلية أواخر القرن 9هـ/15م، واستوطنت مدينة الرباط، فكان لهم صيت وسمعة حسنة، فشيّدوا هناك مسجداً يعرف اليوم بمسجد عطية بحومة أبي القرون من مدينة رباط الفتح، ثم انتقلوا إلى سلا وسكنوها⁵.

وخلال هذه الفترة هاجر الفقيه والعلامة سيدي محمد بن عمر بن الفتوح التلمساني (ت 818هـ/1415م)⁶؛ إلى فاس سنة 805هـ، وهو أول من أشاع فيها مختصر خليل بن إسحاق المالكي⁷، كما تولى التدريس بمدرسة أبي عنان، وعُرض عليه كرسي الوعظ بمدرسة العطارين فاعتذر، ثم رحل إلى مكناس لزيارة الوالي الصالح عبد الله بن حمد فأصيب بالطاعون وتوفي على إثره بنفس المدينة⁸.

وفي أواخر القرن 9هـ/15م هاجر الفقيه والأديب عبد الله العتّابي نحو المغرب، واستقر به المقام بواد درعة غير بعيد عن تكمادارت مسقط رأس السعديين الذين يكون قد آزرهم في المراحل الأولى لإقامة دولتهم، كما عمل على مساعدة المستضعفين في الجزيرة فجمع أموالاً طائلة حملها في البحر لإغاثتهم لكن السفينة التي كانت تقله غرقت وقضى شهيداً⁹.

- 1 - أبو القاسم محمد، احناوي: تعريف الخلف برجال السلف. ج. 1، المصدر السابق، ص. 385-387، راجع منه أيضاً: عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 344.
- 2 - عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص. 346.
- 3 - المرجع نفسه، ص. 346.
- 4 - المرجع نفسه، ص. 346.
- 5 - جان كوستي، وأبو القاسم عشاش: بيوتات مدينة سلا، المصدر السابق، ص. 125-126، وتذكر لنا المحققة نجاة المريني أشهر أفراد العائلة: سيدي محمد بن عطية (ت 1052هـ)، وسيدي أحمد بن عطية (ت 1016هـ)، والحاج التهامي بن عطية (ت 1234هـ)، وأحمد بن عطية (ت 1300هـ)، وتُصنّف هذه العائلة ضمن العائلات التي تكاد تنقرض.
- 6 - أبي عبد الله محمد، ابن مريم التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، د، م، ج. الجزائر، 1986، ص. 264.
- 7 - المصدر نفسه، ص. 264.
- 8 - المصدر نفسه، ص. 264.
- 9 - محمد، حجي: جولات تاريخية، ج. 2، ط. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995م، ص. 538.

ويضاف إلى عائلة الونشريسي السالفة الذكر هجرة الفقيه المالكي أحمد الونشريسي (ت 914هـ/ 1509م)¹ إلى مدينة فاس أول محرم سنة 874هـ/ جويلية 1469م² على إثر الحادثة التي وقعت له مع سلطان تلمسان³ فانتهت داره وتعرض إلى ضغوطات كبيرة من نظام الحكم السياسي آنذاك، لكن بعد هجرته نال مكانة معتبرة من طرف آخر سلاطين الوطاسيين آنذاك.

ومن بين الوظائف التي مارسها: حطّتيّ التدريس والفتوى؛ كما أعطي كراسي الفقه في القرويين وغيرها، وفتحت له خزائن الكتب العامة والخاصة لاسيما خزائنه آل غرديس⁴ التي استمد منها أصول كتابه المعيار المغرب لفتاوى أهل إفريقيا والمغرب⁵، الذي يُعد مرجعا أساسيا لدراسة المجتمع المغربي الأندلسي في العصر الوسيط⁶، كونها احتوت على تصنيفات هائلة في شتى فنون العلم والمعرفة، لاسيما فتاوى فاس والأندلس التي تيسرت له من هذه الخزنة⁷.

1 - هو أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الواحد بن علي الونشريسي التلمساني، وُلد بتلمسان نحو 834 هـ/ 1430م وبها نشأ وتعلم، وأخذ عن كبار علمائها كالإمام أبي الفضل قاسم العقباتي وولده أبي سالم، وحفيده الإمام محمد بن أحمد بن قاسم العقباتي، إلى أن حصل له سوء تفاهم مع سلطان تلمسان ففرّ منها هو وعائلته نحو المغرب. واستوطن مدينة فاس، وفيها ذاع صيته وعلت قيمته وبلغت شهرته الأفاق إلى أن توفي بها، ومن آثاره: كتابه المشهور بالمعيار في حوالي 12 جزء، وعنية المعاصر والتالي على وثائق الفشتالي، والفروق في مسائل الفقه. الخ. يراجع كل من: ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص-ص. 53-54، الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 1، ص. 66-68، الكتاب: سلوة الأنفاس، ج. 2، ص. 172، أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص. 124، عادل، نويهيض: معجم أعلام الجزائر، ص-ص. 343-344، عبد الرحمان، الجليلي: تاريخ الجزائر العام، ج. 3، ص-ص. 76-78.

2 - أي عبد الله محمد بن محمد بن جعفر، الكتاب: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقر من العلماء والصلحاء بفاس، مج. 3، تحقيق عبد الله الكامل، وحمزة بن محمد الطيب، ومحمد حمزة بن علي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2004، ص. 342. ويراجع عنه أيضا: ابن مريم: البستان، ص. 53، الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 1، ص. 67.

3 - محمد بن أبي ثابت المعروف بالمتوكل، كان معتل المزاج كثير الشكوك فيس حوله، ومثال ذلك عزله محمد الثعقار حطّيب جامع البيطار بوهران دون سبب يذكر، اللهم ما بلغه أن الشيخ كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. يراجع: أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص. 124.

4 - وهي الخزنة التي أنشأها القاضي محمد بن الغرديس التعليقي قاض فاس الجديد.

5 - أي عبد الله محمد، ابن مريم التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المصدر السابق، ص. 54.

6 - محمد، حسن: "الريف المغربي في أواخر العصر الوسيط مدخل لدراسته من خلال نوازل المعيار للونشريسي"، أشغال المؤتمر الثالث لتاريخ وحضارة المغرب العربي حول العالم الريفي المغربي، ج. 2، غير التاريخ، جامعة وهران، أيام: 26، 27، 28، نوفمبر، 1983، ص. 94.

7 - أي عبد الله محمد، ابن مريم التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المصدر السابق، ص. 54.

إن استقرار الونشريسي بفاس بجوار مسجد القرويين إلى جانب الأمن والاعتبار الذي حققه به السلطان جعل مكاتته تسمو وترتقي في عيون أهل المدينة، فكان محل تقدير الخاص والعام وتخرج على يديه جماعة من كبار العلماء وأعيان المغرب منهم: ابنه عبد الواحد الذي ستحدث عنه لاحقاً، وأبو عباد بن مليح النسطي، والأستاذ أبو زكريا السوسني، والفقهاء المحدث محمد بن عبد الجبار الوردغري، وعبد السميع المصمودي. وقاضي فاس محمد الغرديسي التغلي².

ومدينة فاس يكون قد ولد له عبد الواحد (ت 955هـ / 1549م)³، الذي فاقت شهرته الآفاق على غرار والده؛ فكان له مجلس خاص لا يحضره إلا كبار العلماء كالزقاق واليستيبي، كما تمكن من الجمع بين ثلاث خطط علمية: الفتوى والقضاء والتدريس، فخص خطة القضاء وحدها بـ 18 سنة، ثم تخطى عنها إلى الفتوى بعد وفاة الشيخ ابن هارون⁴.

وعندما قام السلطان السعدي أبو عبد الله الشيخ⁵ بحصار مدينة فاس، وبعدما صعب عليه فتحها تحت عن ذلك فقبل له: «لا سبيل لك إليها ولا يبايعك أهلها إلا إذا بايعك ابن الونشريسي الشيخ الفقيه أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الونشريسي فامتنع الشيخ وقال: بيعة هذا السلطان - يعني أبا العباس الوطاسي - في رقبتي ولا حل لي خلعيها إلا بموجب شرعي وهو غير موجود»⁶.

وكان قد كتب إلى السلطان وأغلظ له القول بأبيات من الشعر، فلما بلغته حنق عليه ودمر له جماعة من المتلصصة لإلقاء القبض عليه ويأتوا به إلى محلته محبوساً من غير قتال، إلا أنهم قتلوه عندما خرج من باب الشماعين

- 1 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، (1830-1500)، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998م، ص. 125.
- 2 - أبي عبد الله محمد، ابن مريم التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المصدر السابق، ص. 54، يراجع أيضاً: الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 1، ص. 67.
- 3 - هو عبد الواحد بن أحمد بن يحيى الونشريسي ولد سنة 885هـ بفاس؛ فقيه مالكي، أخوي وأديب، يعد من الفصحاء، ذهب ضحية المؤامرة التي حاكها ضده خصومه وعلى رأسهم السلطان السعدي. من آثاره: نظم كثيرة في مسائل مختلفة جمعها أبو زيد الكلالي، وشرح على ابن الحاجب الفرعي في أربع أسفار. يراجع كل من: عبد الكبير بن هاشم، الكتاني: زهرة الآس في بيوتات أهل فاس، ج. 2، ص. 263، الزركلي، الأعلام، مج. 4، ص. 174، عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 345.
- 4 - أبي عبد الله جعفر ابن إدريس، الكتاني: سلوة الأنفاس، ج. 2، المصدر السابق، ص. 163.
- 5 - حكم في الفترة الممتدة من 1554-1557م. يراجع: كرم البستاني وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 539.
- 6 - أحمد بن خالد، الناصري: الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، ج. 5، تحقيق وتعليق أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2001، ص-ص. 29-30.

أحد أبواب المسجد¹، ويذهب شارل أندري جوليان في هذا المنحى بالقول: إن محمد الشيخ هو من أمر باغتيال الوانثريسي² ليلة الاثنين 27 ذي الحجة 955هـ / 27 يناير 1549م، ثم دفن مع سيدي بن عباد بروضته³.

2- المهاجرون الجزائريون نحو المغرب أثناء العهد العثماني بالجزائر 1518-1830.

بناء على الأسس الذي اعتمدها في تسع حركة المهاجرين الجزائريين نحو المغرب، ونظرا للفترة الزمنية الطويلة خلال هذه المرحلة فإننا رأينا من الضرورة بما كان تقسيمها إلى مرحلتين رئيسيتين على النحو الآتي:

- المرحلة الأولى: (1518-1660):

وهي تشمل المراحل الأولى للتدخل العثماني في الجزائر وفترة الحكم السعدي للمغرب. وقبل الحديث عن المهاجرين الجزائريين خلال هذه المرحلة: لا بد من الإشارة إلى الأوضاع السياسية التي عرفتتها كل من الجزائر والمغرب مع مطلع القرن 16م، لأن هذه الأوضاع ساهمت دون شك في تفعيل حركة الهجرة، ومن بين هذه الأحداث المعلمية والجوهرية نذكر ما يلي:

1- انتشار الفوضى وعدم الاستقرار الذي عرفته الدول التي قامت على أنقاض دولة الموحدين: بنو حفص بتونس وبنو زيان بالجزائر وبنو مرين بالمغرب⁴، فلقد كان الصراع على أشده تارة خارجيا فيما بينها وتارة أخرى داخليا بين أبنائها الطامعين في العرش، وهو ما ساهم في إضعافها وتقهرها⁵.

2- العدوان المسيحي الصليبي بقيادة كل من البرتغال وإسبانيا، الذي استهدف المدن الساحلية في كل من المغرب والجزائر وتونس؛ وأدى إلى احتلال جزء كبير منها، ففي الجزائر مثلا تم احتلال المرسى الكبير في سنة 1515، ووهران في سنة 1509، وبجاية في سنة 1510⁶.

3- الهجرة الأندلسية نحو بلدان المغرب العربي، بعد استفحال خطر التنصير عقب سقوط غرناطة سنة 1492م.

4- التدخل العثماني في المغرب العربي وإخاق الجزائر بالدولة العثمانية، حيث يعتبر هذا الحدث نقطة تحول تاريخية هامة بالنسبة لبلدان المغرب العربي عامة والجزائر خاصة. وعسى أثر هذا التدخل الذي تم على يد كل من الأخوين خير الدين بربروس وعُروُج وبضاهما المستميت لاسترجاع المدن الساحلية الجزائرية التي تم احتلالها من

1 - يذكر أي عبد الله جعفر ابن إدريس، الكتاني في: سلوة الأنفاس، ج. 1، ص. 164، أنه قتل باب مسجد القرويين، ج. ص. بينما يذكر الناصري في: الاستقصا: ج. 5، ص. 30. إنه قتل عندما خرج من باب الشماخين أحد أبواب المسجد.

2 - تاريخ إفريقيا الشمالية تونس-الجزائر- المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، تعريب محمد مرالي والبيشير بن سلامة، ج. 2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983، ص. 267.

3 - أي عبد الله جعفر بن إدريس الكتاني: سلوة الأنفاس، ج. 2، المصدر السابق، ص. 164.

4 - أحمد توفيق، المدي: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، ط. 2، ش، و، د، ت، الجزائر، 1976، ص. 65.

5 - يحي، جلال: المغرب الكبير، ج. 3، العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981، ص. 6.

6 - Mouloud, Gaïd: L'Algérie sous les Turcs, 2ème Edition, Edition Mimouni Hichem, Boumerdès, Alger, 1991, P. 27.

طرف الأسباب، ثم استقرارهما فيما بعد وتأسيس اياها الجزائر، يكون قد هاجر على إثر ذلك التدخل كثير من الجزائريين نحو المغرب؛ وظلت حركة الهجرة نشطة ومستمرة حتى بعد استقرار أوضاع الأتراك بالجزائر؛ وهناك عائلات بأسرها انتقلت إلى المغرب ولا سيما فاس¹.

لقد كانت منابع هذه الهجرة من مدينة تلمسان بالخصوص، ولاكتساء الطابع الديني لحركتهم أطلقوا على هذا التروح نفس التسمية التي أعطيت لهم عندما تم احتلال الجزائر أي الهجرة أو المهاجرين²، وقبل الخوض في الحديث عنهم رأيت أنه من الضرورة بما كان التطرق إلى جملة الأسباب الرئيسية الكامنة وراء ذلك، والتي يمكن حصرها في ما يلي:

1- الفتن الداخلية والاضطرابات السياسية التي عرفتتها الجزائر، خاصة مدينتي وهران وتلمسان بين المؤيدين والمعارضين للتدخل العثماني على إثر انهيار مملكة بني زيان، ومن مظاهر ذلك: إقدام غروج على الإطاحة بالسلطان أبو حمور الثالث وتنصيب ابن أخيه السلطان أبو زيان الثالث المسعود خلفا له؛ ونظرا للمعاملات القاسية التي تلقاها سكان مدينة تلمسان لجأوا إلى أحمد بن ملوكة التلمساني مُنتسبين منه أن يقبل ولاءهم إلى سلطان فاس، إلا أنه اكتفى بالدعاء على الأتراك كونه كان على علم بضعف الوطاسيين³.

2- طبيعة نظام الحكم التركي القائم على التعسف والظلم واضطهاد وإقصاء وتمييش الجزائريين⁴. ومن مظاهر ذلك ممارسة نوع من التمييز بين الأتراك والجزائريين في المعاملات والتشريع؛ كالتركيز مثلا على وضع كل السلطات الدينية بيد القاضي الحنفي، والاحتفاظ لأنفسهم بحق تعيين الأئمة والخطباء ناهيك عن الامتيازات التي انفردوا بها على حساب السكان، مما أدى إلى ظهور معارضة لنظام الحكم؛ معارضة كثيرا ما كانت تُواجه بعنف وحزم شديدين، هذا إلى جانب تميشهم وإقصائهم واضطهادهم للعلماء والفقهاء، وإرغامهم في بعض الأحيان على الهجرة⁵. فباتوا لا يشعرون بالراحة ولا بالجور الملائم ولا بالاجتهاد في الرأي أو الحياء السياسي⁶.

وأمام هذه الظروف لم يكن هناك بُد أمام كثير من الجزائريين سوى الهجرة نحو المغرب خلال القرن 10هـ/ 16م، هجرة شملت عدد معتبر من العلماء الذين هاجروا من نواحي مختلفة بالقطر الجزائري كتلمسان

1 - سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، المرجع السابق، ص. 423.

2 - Michaux-Bellaire, Edouard: les musulmans d'Algérie au Maroc, Archives Marocaines, Volume XI, année 1907, PUBLICATION de la MISSION SCIENTIFIQUE DU MAROC, Paris, KRAUS REPRINT Nendeln/ Liechtenstein, 1974, P. 04.

3 - أحمد، العماري: "المؤثرات الحقيقية وراء موقف المؤرخين الأجانب من التدخل المغربي في تلمسان إثر الاحتلال الفرنسي للجزائر"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع. 2، 3، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، 1979، 1980، ص. 96.

4 - الزهراء، نظام: العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 10 هـ/ 16م، ج. 2، د. د. ع. دكتوراه الدولة، إشراف حركات إبراهيم، ك. آ. ع.، شعبة التاريخ، جامعة محمد الخامس، 1424هـ/ 2003م، ص. 503.

5 - المرجع نفسه، ص. 503.

6 - سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، المرجع السابق، ص. 424.

وهران وقسنطينة وعنابة واستقر أغلبهم في فاس، ومن بقي منهم استقر بتطوان ومكناس ومراكش والمحمدية (تارودانت) وتكمدارت¹.

وبخصوص فئة العلماء يكون قد انفرد محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني في دوحته برصد حوالي 15 عالم جزائري² هاجروا إلى المغرب في حدود سنة 987هـ أو 968هـ، عندما استغاثوا بالسلطان السعدي عبد الله الغالب³ فرحلهم من تلمسان ونقلهم إلى فاس ووصل كل منهم على قدر حاله⁴. ومن بين الذين نالوا مكانة معتبرة ولعبوا أدوارا كبيرة في الحياة السياسية بالمغرب السعدي، محمد بن عبد الرحمان بن جلال (ت981هـ/1574م)⁵ الذي سبقهم بالهجرة نحو المغرب في سنة 958هـ⁶، برفقة السلطان عبد الله الغالب السعدي الذي اصطحب معه ابن جلال إلى السوس التي مكث فيها سنة كاملة برفقته، قلده خلالها الإقراء بالجامع الكبير بتارودانت⁷.

ثم انتقل إلى مدينة فاس التي استقر بها فقلده السلطان الغالب خطة الفتوى والتدريس؛ والخطبة بجامع الأندلس مدة 8 سنوات؛ ثم بجامع القرويين ثلاث عشر سنة، وظل في الموضوعين أكثر من عشرين سنة⁸ فكان إمام الأئمة وحرير من أحبار الأمة، فتنافس الناس في علومه والاقبتاس من فهمه، كما كان عارفا بالمنطق والبيان والفقه والحديث والتفسير... الخ. ولقد طالت أيام رئاسته العلمية بفاس فانتفع الناس حتى بلغ من العمر عتياً⁹، وظل على ذلك المتوال حتى وافته المنية بها في 8 رمضان 981هـ¹⁰.

- 1 - الزهراء، نظام: العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 10 هـ / 16م، المرجع السابق، ص. 504.
- 2 - ورد ذكرهم ضمن صفحات الكتاب كما يلي: أحمد بن أحمد العبادي، وأحمد بن محمد العبادي، وأحمد بن زكري التلمساني ص. 107-109، ومحمد بن عبد الرحمان ابن جلال التلمساني ص. 111، وأحمد بن يوسف المنياني ص. 112، وأحمد بن شقرون بن أبي حبيده ص. 113. وأحمد بن القاضي الزواوي، وأحمد بن محمد البجالي ص. 114، ومحمد بن موسى التلمساني ص. 117، ومحمد بن أبي مدين التلمساني، وإبراهيم الوجدنجي التلمساني، ومحمد بن عبد الرحمان التلوي التلمساني، ومحمد بن الزنداري التلمساني، ومحمد بن عيسى التلمساني، وأحمد بن ملوكة التلمساني ص. 120-122.
- 3 - حكم في الفترة الممتدة من سنة 1557-1574، يراجع: جلال يحيى: المغرب الكبير، ج. 3، ص. 39.
- 4 - الزهراء، نظام: العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 10 هـ / 16م، المرجع السابق، ص. 504.
- 5 - هو محمد ابن عبد الرحمان ابن جلال، أبو عبد الله التلمساني، ولد بتلمسان سنة 908هـ / 1502م، وبها نشأ وتعلم. اشتهر بعلمه ومكانته وارتباطه بالسلطان السعدي. يراجع كل من: ابن مريم: البستان، ص. 260-261، عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 78، أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص. 426.
- 6 - سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، المرجع السابق، ص. 426.
- 7 - عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص. 78.
- 8 - سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، المرجع السابق، ص. 426.
- 9 - أبو القاسم محمد، الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، المصدر السابق، 258.
- 10- المصدر نفسه، ص. 259، كما يرجع أيضا: ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ص. 261.

وبوصول محمد الشيخ السعدي¹ إلى الحكم تطلّع إلى تلمسان، وجهّز على إثر ذلك حملة عسكرية ووجهها نحو تلمسان في سنة 1550م قصد الاستيلاء عليها والوقوف في وجه الزحف العثماني على حساب المغرب؛ فحالفه الحظ في دخولها والاستيلاء عليها يوم الاثنين 23 جمادى الأولى 1550، فطرد الأتراك منها وانتشر حكمه فيها إلى واد الشلف ثم كثر عليه الأتراك وأخرجوه منها²، وعلى إثر ذلك شرع الأتراك في الانتقام من السكان الموالين له بمصادرة ممتلكاتهم والتضييق على علماء المدينة الذين حرّضوا على الثورة ضد آل عثمان³. فلدّجات عدة أسر وقبائل إلى المغرب كبنى راشد، ومديونة، وبني عامر؛ أما فئة العلماء فلقد كان على رأسها عبد الله محمد بن عبد الرحمان ابن جلال⁴.

ونظراً لتطلّع محمد الشيخ إلى المغرب الأوسط وعدم امتثاله لسلطان العثماني سليمان القانوني⁵ تم اغتياله من طرف الأتراك، وتولى الحكم من بعده ابنه عبد الله الغالب⁶ الذي سار على نهج والده وواصل السعي للاستعانة بالإسبان ضد الأتراك⁷ وفي عهده يكون قد هاجر فريق من العلماء الجزائريين نحو فاس في موفى سنة 967هـ/ 1560م، علماء كان لهم دور فعال في الحياة الثقافية للأسرة السعدية؛ نذكر من بينهم:

1- أحمد بن أحمد العبادي (ت 980هـ / 1572م)⁸ الذي عاش حياة متقلبة نتيجة تقلب ظروف العصر، فبعد استيلاء الأتراك على تلمسان والاضطرابات التي رافقت ذلك، هاجر إلى المغرب وأقام في فاس ثم زار مدينة مراكش، فأكرمه السلطان عبد الله الغالب إكراماً خاصاً⁹، ومن بين ذلك أنه منحه 1000 مثقال من الذهب؛

- 1 - هو أبو عبد الله المنقب بالشيخ السعدي، حكم المغرب فيما بين 1549-1557. مؤسس سلالة السعديين في المغرب، قصي على نوحاسيين واستولى على فاس، اعتنقه العثمانيون. يراجع: كرم البستاني وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 523.
- 2 - أحمد بوقوق، المدي: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، المرجع السابق، ص. 327.
- 3 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب ما بين سنتي 1830-1962، د. د. ع. دكتوراه، إشراف الدكتور محمد كنيب، د. ع. إ. جامعة محمد الخامس أكادال-الرباط. السنة الجامعية 2004-2005، ص. 17.
- 4 - المرجع نفسه، ص. 17.
- 5 - عاشر السلاطين العثمانيين وأعزهم؛ حكم في ما بين 1520-1566، لقبه الأتراك بالقانوني والإفرنج بالعظيم. حارب الصفويين واحتل بغداد وتبريز، بلغت الإمبراطورية العثمانية في عهده أوج سيطرتها، دوّن القوانين والشرائع. تحالف مع فرانسوا الأول ملك فرنسا ومنحه الامتيازات الأجنبية. يراجع: كرم البستاني وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 307.
- 6 - شارل أندري، جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، ج. 2، المرجع السابق، ص. 268.
- 7 - المرجع نفسه، ص. 269.
- 8 - هو أحمد بن أحمد بن محمد بن يعقوب العبادي التلمساني، أبو العباس؛ ولد بتلمسان وبها نشأ وتعلم وهو عالم كبير من فقهاء المالكية. يراجع: عادل، نوبهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 65.
- 9 - سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقالي، ج. 2، المرجع السابق، ص. 45.

وأمر له بكساء وإقامة حليلة وقال في شأنه: لا تُسووه بأحد من الفقهاء وغيرهم فإن همته كبيرة¹، ولكنه ما لبث أن رجع إلى تلمسان -حسب ابن عسكرو- واستقر في مليانة².

2- محمد شقرون الوجدي (ت 983هـ / 1578م)³ هاجر إلى فاس في حدود سنة 967هـ، فنال مكانة معتبرة عند السلطان السعدي عبد الله بن محمد الغالب، الذي سخر له كرسيًا للتدريس داخل قصره، وقّده الفتوى ورئاسة العلم بمراكش وسائر أقطار المغرب، كما درّس خارج القصر مختصر ابن الحاجب الفرعي، والأصنّين، والبلاغة، ولقد ترك لنا ذرية بالمغرب وجدنا نسلها يمتد حتى القرن 18م، ففي عهد السلطان المولى سليمان⁴ وعندما الدلعت ثورة المولى عبد الملك بن إدريس بآنفا في حوالي سنة 1210هـ / 1795م، التي تمكن فيها السلطان من الانتصار عليه، ارتحل على إثرها إلى مكناسة فاحتل بها⁵ وهذا الخصوص نجد أحد أحفاد محمد شقرون العلامة الأديب أبو محمد عبد القادر شقرون يُشيد في قصيدة شعرية بالسلطان ويمتدحه قائلا⁶:

مولاي أنت الذي صفت مشاربه	✽	إن تغر ناحية أوليتها جندك
هذي البشائر وافت وهي قائلة	✽	أعوذ بالله من شر الذي حسدك
فاصعد علي منبر الإقبال معتليا	✽	فالسعد أنجز ما كان به وعدك
وافهض إلى غاية الآمال تدركها	✽	فالآن قالت لك العلياء هات يدك
ولا تخف أبدا من سوء عاقبة	✽	فليس يفلح من بالسوء قد قصدك

3- محمد بن أحمد بن الوقاد (ت 1001هـ / 1593م)⁷ الذي هاجر إلى المغرب ونزل بمدينة تارودانت، التي وُلّي بها خطة القضاء لمدة 16 شهر، ثم أستعفى لكونه لا يعرف البربرية التي هي لسان أهلها، ووُجّه إلى سجنماسة قاضيا خطيبا، ثم انتقل إلى مكناس الزيتون ووُلّي بها الخطابة ثم انتقل إلى فاس التي عُين بها خطيبا بجامع الأندلس؛

1- محمد ابن عسكرو الحسني، الشفشائوني: دوحة الناشر لحاسن من كان بالمغرب منذ مشايخ القرن العاشر، ط. 3، مراجعة عبد الحميد خبالي، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، مطبعة الكرامة، الرباط. 1424هـ / 2003م، ص. 108.

2 - سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 2، المرجع السابق، ص. 45.

3 - هو محمد شقرون بن هبة الله الوجدي، المعروف بشقرون التلمساني، ولد بتلمسان حوالي سنة 908هـ / 1503م؛ وبها نشأ وتعلم، يعد من أكابر فقهاء المالكية، وولي الإفتاء بتلمسان وعرف بمالك الصغير في وقته، له مشاركة في علوم المنطق والفرائض والبيان. يراجع: عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 188.

4 - حكم في ما بين 1742-1822.

5 - أحمد الناصري، السلاوي: الاستقصا، ج. 6، المصدر السابق، ص. 130.

6 - المصدر نفسه، ص. 130.

7 - هو محمد بن أحمد المعروف بابن الوقاد، ولد ونشأ بتلمسان، ثم انتقل إلى المغرب، قاض وعالم بالتفسير والحديث. يراجع كل من: الخفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، ص. 187، عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 343.

ولكن لم يلبث أن رجع إلى تارودانت واستقر بها¹، واتخذها مستقرا له ولأبنائه من بعده²، ولقد كان السلطان المنصور يقول فيه: «ليس عندنا أخطب من ابن الوقاد إلا أن الله اختاره لتارودانت، وإن لم تكن كرسي الخلافة»³ وظل على هذه الحال إلى أن توفي بتارودانت⁴.

وبعد وفاته خلفه ولده الخطيب أبو زيد عبد الرحمان (ت 1057هـ)⁵ في علمه وهديه لمدة تنيف عن نصف قرن في التدريس والخطابة بالمحمدية -تارودانت-⁶ فأقرأ صحيح البخاري بها لعدة مرات، كما كان فصيح العبارة، جيد الشعر، بارعا في تدريس اللغة العربية وقواعدها⁷، هذا إلى جانب مساجلاته ومحاوراته مع علماء المغرب وفقهائه ومراجعته مع القاضي أبي مهدي السجستاني في أرض تارودانت هل يصح تملكها أم لا؟.

خلال هذه المرحلة هاجرت عدة أسر وقبائل جزائرية من الغرب الجزائري؛ وخصوصا من تلمسان باتجاه فاس كأسرة الونشريسي، وبلعياش، وبوعنان، وبوعياذ⁸؛ وبعض القبائل التي كانت مستقرة بجنوب وهران وتلمسان ومعسكر⁹ كقبائل بني راشد، وقبائل مديونة، وقبائل بني عامر.. الخ، وسميت هذه القبائل بالشرافة¹⁰. ويعتبر الشرافة¹¹ هم أول الوافدين على وحدة حيث أطلق عليهم اسم المهاجرين¹²، ويقول محمد حجي بخصوص الشرافة: «وإذا كنا لا نتوفر على أرقام معينة لعددها فإننا ندرك كثرة عدد أفراد هذه القبائل من خلال الأدوار العسكرية التي قامت بها في حظيرة الجيش السعودي، ثم بالأدوار الحاسمة التي لعبتها عند قيام الدولة العلوية»¹³.

1 - محمد، الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخراج. ش، و، ن، ت، الجزائر، 1983، ص. 256.

2 - عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص. 343.

3 - أبو القاسم محمد، الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، المصدر السابق، ص. 187.

4 - المصدر نفسه، ص. 188، يراجع بشأنه أيضا: أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص. 425.

5 - هو أبو زيد عبد الرحمان بن محمد التلمساني المعروف بابن الوقاد. كان إماما مشاركا في عدة فنون، منقطع القرين في خفض الجناح ولين الجانب. يراجع: الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، ص. 8-9، عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 343.

6 - محمد، حجي: جولات تاريخية، المرجع السابق، ص. 541.

7 - عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص. 343.

8 - عبد الرحمان، ابن زيدان: العز والصلوة في معالم نظم الدولة، ج. 3، المطبعة الملكية، الرباط، 1381هـ/ 1961م، ص. 169.

9 - Louis, Mougin: Les Algériens à Oujda, Rapport du Capitaine Mougin, Supplément au Bulletin du Comité de l' Afrique Française, N° 9, septembre, 1908, P. 89.

10 - لفظ الشرافة في الأصل لقب لعرب بادية تلمسان ومن انظم إليهم، وسموا بذلك لأنهم في جهة الشرق من المغرب الأقصى، فأهل تلمسان مثلا يسمون أهل المغرب الأقصى مغاربة، وأهل المغرب يسمون أهل تلمسان مشاركة. يراجع: أحمد الناصري، السلاوي: الاستطفا، ج. 6، ص. 59.

11 - مفردتها الشرقي والتي تعني الرجل القادم من الشرق.

12 - Louis, Mogin: Les Algériens à Oujda, Rapport du Capitaine Mougin, Op, cit, P. 189.

13 - محمد، حجي: جولات في تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص. 539.

فالشراكة مثلاً هم الذين ناصروا الشيخ أبو عبد الله محمد العياشي ضد السلطان السعدي عبد الملك بن زيدان عندما تنازل عن العرائش لإسبان، وضربت الفوضى أضابها في أرجاء الدولة وخاصة مدينة فاس، فالتحق به نفر كبير من هذه القبائل لأن السلطان كان فاسداً وسيئ السيرة، وبعدهما قتله أحد علوجه، تولى الحكم من بعده أخوه أبو يزيد الوليد بن زيدان (ت 1045هـ/1635م)¹.

وفي عهد المولى الرشيد² يكون قد انخرط في جيشه عدد كبير منهم، فمن العرب أشجع وبنو عامر، ومن البربر مديونة وهوارة وبنوسنوس، كما أمر ببناء قصبة لهم بفاس بديار المتون وعرضة ابن صالح بفاس، وبذل لأصحابه وقواده ألف مثقال لبناء سور القصبة وأمرهم ببناء الدور فيها، كما أعطى للشراكة هؤلاء أيضاً 1000 دينار لبناء قصبة الخميس؛ وكانوا قبل ذلك يسكنون بأحواز فاس فتتزز الناس منهم فأمرهم بالانتقال لجلتهم إلى بلاد صدينة وقشتالة بين نهر سيو ودرعة، وجعل العزّاب منهم على حده ثم شيد سور القصبة المذكورة وأذن لهم بالانتقال إليها؛ وقد اختلط فيها بربرها وعربها منذ ذلك الحين³. وحتى يحكم المولى الرشيد قبضته على فاس، بادر إلى بناء قنطرة على واد سيو خارج فاس لتسهيل حركة المرور، ثم نقل إلى أحواز فاس قبائل الشراكة الذين هم عماد جيشه سنة 1670م⁴.

كما لعبوا أدواراً حاسمة عند قيام الدولة العلوية⁵، فعندما دخلت وجدة مثلاً في طاعة السلطان المولى سليمان في أواخر سنة 1211هـ/1796م، أرسل إليها عساكر من الأودايا والأحلاف والشراكة، ووضع عسي رأسهم محمد بن خده الشرقي للوقوف في وجه الأتراك الذين كانوا قد استولوا عليها⁶. ولقد ثمن هذا الدور في سنة 1217هـ/1802م محمد بن خده الشرقي الذي وقف إلى جانب المولى عبد القادر وقائد العسكر أحمد بن العربي في جباية الضرائب والزكاة خلال ثلاث سنين مضت⁷.

وبخصوص العائلات المهاجرة نحو المغرب يذكر لنا ابن سودة مجموعة من العائلات التي هاجرت خلال هذه الفترة؛ مثل عائلة ابن الأحرش التي دخلت فاس قبل عام 951هـ/1561م؛ وعائلة ابن الأخضر التي لها زنقة تسمى باسمها في فاس قرب حومة القفلين، أسفل زاوية الشيخ عبد القادر الفاسي⁸.

- 1 - حسين، مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مج. 2، ج. 2، ط. 1، الجزء الحديث للنشر والتوزيع. 1412هـ/1992م، ص. 215.
- 2 - هو المولى الرشيد بن محمد بن علي بن يوسف، حكم في الفترة ما بين 1057-1082هـ/1664-1671م، تراجع: حسين، مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، مج. 2، ج. 2، ص. 229.
- 3 - حسين، مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته، مج. 2، ج. 2، المرجع السابق، ص. 236.
- 4 - أبو عمران الشيخ، وآخرون: معجم مشاهير المغاربة، المرجع السابق، ص. 524.
- 5 - محمد، حجي: جولات تاريخية، ج. 2، المرجع السابق، ص. 539.
- 6 - أحمد الناصري، السلاوي: الاستقصاء، ج. 7، المصدر السابق، ص. 135.
- 7 - المصدر نفسه، ص. 139.
- 8 - عبد السلام، ابن سودة: "بيوتات مدينة فاس قديماً وحديثاً"، البحث العلمي، ع. 22، المرجع السابق، ص. 115.

ومع مطلع القرن [11هـ/17م]، هاجر كثير من العلماء من نواحي تلمسان ووهران وقسنطينة وعنابة، واستقر أغلبهم بفاس، وانتقل آخرون إلى تطوان ومكناس ومراكش وتارودانت، وتاكمدارت؛ وحضي هؤلاء العلماء بترحيب كبير من نظرائهم المغاربة، واهتمام فائق من الملوك الشرفاء، ويذكر محمد حجي بهذا الخصوص: «وسخي عطاياهم ما سلاهم على الاغتراب ودفع بهم إلى الانكباب على التدريس والتأليف»¹.
ويأتي في طليعتهم أحمد المقرئ (ت 1041هـ / 1631م)² الذي انتقل برفقة عائلته نحو مدينة فاس في موفى سنة 1009هـ / 1600م. فنال مكانة معتبرة عند السلطان السعدي أحمد المنصور الذهبي (ت 1012هـ / 1603م)³، ثم انتقل إلى مراكش في نفس السنة، فاستدعاه السلطان وقرّبه إليه وأكرمه، وفي منتصف ربيع الثاني 1010هـ / سبتمبر 1601م رجع إلى فاس، ولكنه سرعان ما غادرها في منتصف ذي القعدة نحو مسقط رأسه تلمسان، وفي أوائل سنة 1013هـ / 1604م، قصد فاس للمرة الثانية فأُسندت إليه في سنة 1022هـ ولاية الفتوى والخطابة والإمامة في جامع القرويين، وفي أواخر شهر رمضان 1027هـ / 1618م؛ غادر المغرب معذرا بالتوجه إلى البقاع المقدسة لأداء فريضة الحج؛ بعدما ترك فيه أهله وابنته ومكتبته⁴، ولكن في الحقيقة هو خوفاً من الفتن بعد فساد البلاد بتبدل دولها بين أولاد أميرها حتى تداعت للحراب، ويقال أنه خوف من الأمير الذي تولى إذ ذاك لكونه -المقرئ- فيما يقال له خلطة بالأمراء والانتفاء إلى بعض دون بعض⁵.

1 - الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج. 1، مطبعة فضالة، المغرب، 1977، ص-ص. 68-69.

2- هو أحمد بن محمد، أبو العباس المقرئ التلمساني، ولد بتلمسان في سنة 986هـ / 1578م، وبها نشأ وتعلم؛ وأخذ عن عمه سعيد المقرئ، ثم انتقل إلى فاس سنة 1009هـ / 1600م؛ ثم مراكش، ثم عاد إلى فاس، لكنه سرعان ما غادرها نحو تلمسان، وفي أوائل سنة 1013هـ / 1604م، عاد إلى فاس من جديد، ليملك هناك حوالي 14 سنة، وتوجه على إثرها إلى الحج سنة 1028هـ / 1619م مروراً بالقاهرة التي استقر بها حوالي 60 يوماً، ثم زار القدس الشريف والشام، تولى بالقاهرة في حمادى الآخرة 1041هـ / 1631م، إلا أن الحفناوي في: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 1، ص. 66، يستطرد قائلاً: أنه تولى بالشام مسموماً على ما قيل سنة 1041هـ؛ وأن ما ذكره الشيخ ميارة من أنه تولى بمصر فهو سهو. من أهم آثاره:
-نسخ الطيب في غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب. يراجع كل من: الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 1، ص. 52، عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص-ص. 310-311، خير الدين، الزركلي: الأعلام، مج. 1، ص. 237.

3 - هو أحمد بن محمد (1549-1603) سلطان السعديين في المغرب؛ تولى الحكم في سنة 1578، نودي به بعد انتصاره على سيستان ملك البرتغال في وادي المخازن، احتل السودان ونقل العاصمة من فاس إلى مراكش، لقب بالذهبي، بلغت الدولة في عهده أوج ازدهارها. يراجع: كرم البستاني وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 549.

4 - سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 2، المرجع السابق، ص. 215.

5 - المرجع نفسه، ص. 214.

ويذكر الحفناوي (ت1361هـ / 1941م)¹: أن خروج المقرّي للحج سنة 1027هـ - بموجب اقتضى خروجه عن فاس، كونه أقم بالميل جماعة شراكة/شراكة وأضرأهم فلما رأى ذلك خاف على نفسه من أهل فاس فخرج منها مزعجاً وهو الذي قال عند خروجه منها: دخلت كمائها وخرجت كمائها مشيراً إلى ذلك². بينما يذكر أبو القاسم سعد الله في هذه المسألة ما نصه: «إن محمد الشيخ المأمون الثائر المطالب بالعرش استفتى علماء فاس ومنهم المقرّي، على جواز افتداء أهله من يد الأسيان بمنحهم مدينة العرائش فأجابته البعض خوفاً وامتنع البعض خوفاً ففروا واختفوا ومنهم أحمد المقرّي ومحمد الجنان»³.

وبوفاة المنصور الذهبي سنة 1603م بمرض الطاعون⁴ دخلت بلاد المغرب في ضعف وتقهقر كبير، فتعددت فيها القيادات والمنافسات للوصول إلى الحكم، ولقد انعكس هذا الضعف والتفكك على مجموع الإقليم بأكمله وأدى كل ذلك إلى فوضى واضحة من الناحية السياسية، صاحبها تدهور في الناحية الاقتصادية، وسمح لقيادات أخرى من الطرق الصوفية ومن المجاهدين بالظهور في الميدان، وعملت كل هذه القوى على ضرب الواحدة الأخرى بشكل مهّد لاهيار حكم السعديين، وفرض ضرورة ظهور قيادة جديدة في الميدان⁵، إلا أن هذا الوضع لم يوقف استمرار حركة المهاجرين الجزائريين بمختلف شرائحهم نحو المغرب، وهذا ما سنتحدث عنه في المرحلة الموالية من حكم العلويين.

- المرحلة الثانية: تمتد من تأسيس الدولة العلوية إلى غاية الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830.

إذا كانت الحالة السياسية للمغرب الأقصى تخيم عليها الفوضى والاضطراب؛ فإن الوضع السياسي في الجزائر كان هو الآخر يندر ببعض التطورات الخطيرة والممارسات القائمة على العنف والظلم والاستبداد⁶، فكان الباشوات والولاة عموماً يُفضّلون المستوى الثقافي الأدنى على المستوى الأعلى، لأنهم هم بأنفسهم لم يكونوا مثقفين، وكان يُرضيهم من الموظف أن يكون في مستواهم أو أقل منهم، أما الجزائريين الطموحين إلى المزيد من العلم والأدب وذوي المواهب الدفينة الذين كانوا راغبين عن الوظائف الجامدة والتبعية الدليلة فقد اختاروا الهجرة

1 - هو محمد الحفناوي بن أبي القاسم الديسي، ولد بقرية الدير بوسعادة، في سنة 1269هـ / 1852م، وتعلم في زاوية أبي علي داود ببلاد زاوية ثم في زاوية طولقة وزاوية الضامل، شارك في تحرير الجريدة الرسمية المبشر من سنة 1301-1344هـ / 1884-1926م، درس بالجامع الكبير بمدينة الجزائر ابتداء من سنة 1314هـ / 1897م، كما تولى منصب الإفتاء المالكي سنة 1355هـ / 1936م. من آثاره تعريف الخلف برجال السلف، يراجع: عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 121.

2 - تعريف الخلف برجال السلف، ج. 1، المصدر السابق، ص. 62.

3 - سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 2، المرجع السابق، ص. 215.

4 - شارل أندري، جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، ج. 2، المرجع السابق، ص. 278.

5 - يحيى، جلال: المغرب الكبير العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، ج. 3، المرجع السابق، ص. 47.

6 - فالباشا بكداش مثلاً نجده قد أعدم المفتي أحمد قدورة، كما حكم الديوان على المفتي الحنفي محمد بن مصطفى المعروف بابن المسي بالموت ومصادرة أملاكه سنة 1138هـ، إلى جانب نفي الشيخ المهدي بن صالح خارج الوطن... الخ. يراجع: سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص. 413-418.

إلى حيث يجدون الرعاية والاعتراف بإنتاجهم وفضلهم كما يقول أبو القاسم سعد الله. هذا إلى جانب عملية الاستقطاب السياسي من طرف سلاطين المغرب مما شجع على هجرهم وهذا ما سنتحدث عنه في ما يلي:

فمن جهة المغرب نجد أنه بعدما استولى السلطان محمد بن الشريف (ت1075هـ)¹ على وحدة التي كانت منقسمة في موقفها تجاه الأتراك بين مؤيد ومعارض، هاجم أولاد زكري وأولاد علي وبني سنوس وجمع الغنيمة²، ثم قام بشن غاراته على تلمسان وأحوازها حوالي سنة 1050هـ، وسار إلى ناحية ندرومة فشن غاراته على مضفرة وقلدبة وترارة وولطاسة لم توجه إلى تلمسان فغار على سرحها وسرح القرى المحاورة لها واكتسح بساطها، فاضطرت أحوال المغرب الأوسط واشرايت رعاياه إلى الانتقاض على الأتراك³.

ويواصل الناصري (ت1315هـ/ 1897م)⁴ القول: «ولما وصل عسكر الترك إلى تلمسان وجدوا البلاد خالية وكل الرعايا قد أحفلت عن أوطانها وتحصنوا بالجبال، وانخرق عنهم أهل تلمسان أيضا، وكانوا قد ركبوا إلى المولى محمد وحاطبوه، فرأى الترك أنهم قد شوركوا في بلادهم وزوجموا في سلطانهم»⁵.

وعندما عاد المولى محمد إلى سجلماسة لحقت بالمغرب عدة قبائل جزائرية فتعرض الاقتصاد التركي إلى أزمة كبيرة، دفعت الأتراك إلى مناشدة السلطان بقبول الصلح وإقناعه بضرورة التخلي عن هذه الثورة وبالتالي عودة تلك القبائل التي لجأت إلى المغرب⁶، فأرسل الباي محمد باشا رسالة مطولة إلى سلطان سجلماسة مع وفد مشكّل من الفقيه عبد الله النفزي والفقيه الحاج محمد بن علي المزغاني وعضوين من أعضاء الديوان، غير أن هذه الوفادة لم تأت بشيء، لكن السلطان تعهد لهم أن لا يتجاوز مجرى واد التافنة⁷.

أما في عهد السلطان مولاي الرشيد⁸ تكون قد هاجرت عدة عناصر تنتمي إلى قبائل الشجع وبني عامر من العرب، ومدبونة وبني سنوس من البربر، فوطنهم السلطان بالقصبة الجديدة وعرضة ابن صالح بفاس، ثم نقلهم إلى

1 - تمت مبايعته سنة 1050هـ/ 1640م، راجع: أحمد الناصري، السلاوي: الاستقصا، ج. 6، ص. 25.

2 - صالح، عباد: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005، ص. 126.

3 - أحمد الناصري، السلاوي: الاستقصا، ج. 6، المصدر السابق، ص. 30.

4 - هو أحمد بن خالد الناصري الدرعي، ولد بمدينة سلا بالمغرب سنة 1250هـ/ 1835م، مؤرخ نحات. له مؤلفات في مختلف نواحي المعرفة: الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، طلعة المشتري في النسب الجعفري، الخ، تولى منصب حطة أجمارك ببلده، كما تنقل في عدة أعمال حكومية. يراجع: خير الدين الزركلي: الأعلام، مج. 1، ص. 120.

5 - الاستقصا، ج. 6، المصدر السابق، ص. 31.

6 - أحمد، العماري: مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر واستغلالها في المخطط الفرنسي للسيطرة على المغرب (1830-1912) من خلال رحلة علي السوسي منتهى النقول، مساهمة في محاولة إبراز أهم المؤثرات التي تحكمت في توجيه تاريخ المغرب خلال مواجهة التغلغل الإمبريالي في القرنين 19 و 20، د. د. ع. ك. آ. ع. إ، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1981-1982، إشراف، د. محمد زنيبر، رسالة مرقونة، ص-ص. 285-286.

7 - صالح، عباد: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، المرجع السابق، ص. 126.

8 - حكم فيما بين 1666/1667-1672م.

منطقة فشتالة بين كهري ورغة وسبو شمال مدينة فاس، واحتلظت هذه القبائل فيما بينها¹، وبعد هذه الأحداث التي عرفها الغرب الجزائري نسجل وجود هجرة متنوعة نحو المغرب شاركت فيها مجموعة من العلماء والمثقفين، يمكن الإشارة إليهم على النحو الموالي:

1- أبو عثمان سعيد بن عبد الله المنداسي² (ت1088هـ / 1677م)³ الذي عاش حياة متقلبة وظروفا صعبة، في ظل طبيعة نظام الحكم العثماني بالجزائر، فلقد شاهد بنفسه مذبحه عنيفة، هجم فيها الأتراك على بعض الأعيان وقتلوهم وهدموا ديارهم وسبوا نسائهم وأبنائهم بعد أن وافقهم على ذلك مفتي المدينة ابن زاغو الذي كان من أبرز العائلات التلمسانية القديمة، فتأثر كثيرا لهذه المذبحة التي لم يحدثنا التاريخ عنها⁴، كما كان متذمرا وساخطا على هذا الحكم الذي بات من الصعب جدا العيش في كنفه، وبناء على ذلك أنشد قصيدة يهجو فيها الأتراك وحليفهم ابن زاغو ثم فرّ من تلمسان باتجاه المغرب، ومما جاء في هذه القصيدة⁵:

على نهب أموال التامى تظاهروا ❁ وكانت لهم أعلى المدينة آذانا
وقال في سفكهم لدماء الأبرياء⁶:

فما الله عن سفك الدماء بغافل ❁ ولا يترك الرحمان - حشاه - لعبانا
رأى شبيهة التوحيد كيف تخضبت ❁ بأسر كالبلسم ظلمنا وعدوانا
ورأسا بأيدي الجند كم بات ساجدا ❁ وكم في ظل الكبرى يركب برهانا
وعبد العزيز في القيود كأنه ❁ إلى النحر يرفع الطرف حيرانا

ثم صبّ هجاءه على الفقيه ابن زاغو الذي أعان حكام الأتراك بتلمسان على ارتكاب الفضائع الدموية وتجراً الشاعر فدعا الناس إلى الثورة ضد الأتراك ومحاربتهم فقال⁷:

أيا آل دين الله ما لي أراكم ❁ نياما وكان الطرف من قبل يقظانا

1 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 18.
2 - نسبة إلى منداس وهي أرض معروفة شرقي نهر مينة أحد أنهار المغرب الأوسط. وسمي المنداسي نسبة لسكانه من البربر، له خمس أولاد كثرت ذريتهم في ذلك الموضع وانتشرت، يراجع: المشرفي: يا قوتة النسب الوهاجة، ورقة رقم 54.
3 - ولد بتلمسان وبها نشأ وتعلم، كما درس العلوم التي كان يدرسها أبناء عصره: اللغة والنحو والصرف والبلاغة والعلوم الشرعية وعلم الكلام وغيرها؛ ونبغ في الشعر الفصيح والشعبي فهو شاعر بالملحون؛ ومن أهم آثاره العقيقة القصيدة اللامية التي قالها في مدح الرسول (ص)، ولقد شرحه الشيخ أبو رأس العسكري سبعة شروح، وهي من الملحون قافيا في بلاط السلطان النور إسماعيل بمكناس سنة 1088هـ / 1677م. ونشرها الجنرال " Faure, Biquet " متا وترجمة فرنسية بمقدمة وافية في الجزائر سنة 1319هـ / 1901م، يراجع كل من: عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 68، سعيد، المنداسي: ديوان سعيد بن عبد الله التلمساني المنداسي، ص. 5.

4 - سعيد بن عبد الله التلمساني، المنداسي: ديوان، تحقيق وتقديم رابع بونار، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1976، ص. 6.

5 - المصدر نفسه، ص. 9.

6 - المصدر نفسه، ص. 10.

7 - المصدر نفسه، ص. 10.

فداركم الزهراء بالنار أحرقت	✿	وبان جميل الصبر للزيف إذ بانا
أما تذكرون الأهل والزمن الذي	✿	عهدتم فذاك الوصل قد صار هجرانا
وهيلا سألتكم عن يتامى تفرقت	✿	أيادي سبأ في الغرب أنشئ وذكرانا

ومن غير المستبعد أن يكون المنداسي قد تعرف على المولى الشريف بتلمسان خلال غزوه لها فالتحق بحاشيته ورافقها أثناء عودتها إلى المغرب في حدود سنة 1060هـ¹. وعليه فما هو موقع المنداسي في المغرب بعد هجرته إليه؟ وما هي الأدوار التي قام بها والمناصب التي شغلها في المغرب؟ هذا ما سندرج منه في الفقرات الموالية.

لقد تبوأ المنداسي مكانة رفيعة عند سلاطين المغرب الذين عاصروهم، وخاصة السلطان محمد بن الشريف الذي منح له نحو 25 رطل من خالص الذهب جائزة له على بعض أمداحه وحكاياته²، وفي عهد المولى الرشيد ذاع صيته في المغرب، ونظرا لما لاقاه من التحلة والإكرام عند هذا السلطان، حسده شعراء المغرب وعابوا عليه شعره قائلين: إن موازين شعر المغرب الأوسط يقدر على الإتيان. مثلها صبياننا لأن غالبه يتمشى على حرفين فلو ارتكبتم ما ترتكب من التفتن لما وجدتم معنى أصلا، فعندنا من ينظم الرباعي والحماسي وحتى العشاري، فلما رأى المنداسي منهم ذلك الإنكار ذهب من فوره وقال قصيدة بليغة لا من السداسي ولا من السباعي بل من الثنائي عشر وأتى بها إليهم فعلموا حينئذ أنه بحر لا يطاق³. ومن قصائده المولدية في مخاطبة المولى الرشيد⁴:

هاك الدر النفيس الزهر	✿	مما نظمه سعيد في سلك الإبريز
في مولد الماحي المطهر	✿	شهر الربيع الفضيل عند الناس عزيز
سبع الستين شاع وظهر	✿	بعد الألف قام بألفاظ التميز

كما نال مكانة معتبرة عند السلطان المولى إسماعيل، حيث أصبح المنداسي من بين شعراء البلاط الذين خصّهم السلطان بعطفه ورعايته، ومن أشعاره في مدح السلطان⁵:

كفسي لمن يراقب دار الملك	✿	من شاف بعسكره ديمسا حراك
دار بقطر سوس الأقصى دور فلك	✿	بنواقب الرجم تهوى من الأفلاك
طبعه من طبع الذهب يصفى بالدلك	✿	ما ينكسر التيسر إذا شافه سباك

ومقابل هذا نجده يهجو القبائل البربرية بالمغرب التي كانت تقوم بشورات مختلفة بين الحين والآخر على المولى إسماعيل، فقال في بعض قصائده: «ما رأيت العين بربري محمود الفعل»⁶. وفي نهاية المطاف وقعت له حادثة

- 1 - المصدر نفسه، ص. 10. وللمنداسي قصيدة في تقلبات الزمان يتحدث فيها عن مكر الناس وخداعهم وعن العصر وأهله تتألف من 40 بيت، يراجع: سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 2، ص. 298-299.
- 2 - أبو حامد العربي، المشرفي: بالقوة النسب الوهاجة، مخ. خ. ع. ر، رقم 1534 د، ورقة 1، ص. 21.
- 3 - عباس، الجاروي: القصيدة (الزجل في المغرب)، ط. 1، مطبعة الأمنية، الرباط. المغرب، 1390هـ/ 1970م، ص. 606.
- 4 - سعيد بن عبد الله التلمساني، المنداسي: الديوان، المصدر السابق، ص. 16.
- 5 - المصدر نفسه، ص. 16.
- 6 - المصدر نفسه، ص. 19.

طريقة¹ مع المولى إسماعيل عاد على إثرها إلى مسقط رأسه تلمسان، لكنه ما لبث أن رجع من جديد إلى المغرب ليجد السلطان قد أقبل له ظهر الجفن، وعاش عيشة ملؤها الشقاء والتعاسة لأن السلطان جفاه وأغفل الإحسان إليه وسمع أقوال الوشاة فيه، وكتب في ذلك شعرا اقتبس منه ما يلي²:

لايس ثوب جميل ما لبسوا بقال	✿	وأرضكم من صغري ما ينسب لي
لا همهن لا جاه لا رصعه مال	✿	ميت وأنا حتى في الدنيا مجلي
والله ما أنا سفيه ولا عمال	✿	ولا عمري ترضى الصغيرة تنسب لي
ما تحرت غفلة ولا نخصد محال	✿	عقلي بوضوء الشك هيهات ايصلي
هذا ما عندي ومولانا الفعال	✿	شايسن راد يكون هو سابق لسي

ولقد ظل على هذه الحال إلى أن توفي³ بفاس ودفن خارج باب الجيسة وبني على قبره بيت بروضة ابن جلون⁴.

2- يُعد أحمد التريكي من تلامذة المنداسي الذين نفاهم الأتراك من تلمسان سنة 1083هـ، فهاجر إلى المغرب برفقة أستاذه أثناء زيارته إلى تلمسان؛ وحط رحاله بجبل بني زناتن من قبائل المغرب غرب وجدة، فمكث هناك عدة أيام نظم خلالها العديد من القصائد الشعرية. وعليه يكون المنداسي والتريكي قد ساهما بإضافات مهمة إلى الملحون على مستوى مضامينه وأوزانه⁵.

1 - مفادها أنه كان للمولى إسماعيل شاعرا آخر اسمه خياب، فأمرهما ذات يوم بنظم قصيدة تمرجان بها جارية له اسمها سلمى، فالمنداسي جعل استخارة وراها في المنام فحكى على حسب ما رأى، وأما خياب فقد قال من غير رؤية، وعندما القى كل منهما قصيدته على مسامع السلطان، قال خياب: سعيد أفضل منك فأجابه بأن سعيدا ولعله رآها، وأما أنا فلم أراها؛ فعند هذه التهمة خرج المنداسي من مدينة فاس وأتى مدينة تلمسان، إلا أنه ما لبث أن عاد إلى المغرب من جديد. يراجع كل من: عباس بن عبد الله، الجراي: القصيدة الزجل في المغرب، ص. 607، سعيد، المنداسي: ديوان المنداسي، ص. 21.

2 - سعيد ابن عبد الله المنداسي التلمساني: الديوان، المصدر السابق، ص. 21.

3 - هناك اختلاف في تاريخ وفاته فالأستاذين علوش والجراني يذهبان إلى القول بأنه توفي سنة 1088هـ / 1677م، وأبو راس في شروحه للعبقة يذهب إلى أنه توفي في أواسط القرن 12هـ / 18م، كما اختلف في مكان وفاته فمحمد لكوشة يرى أن وفاته كانت بتلمسان لأنه شده إليها الحنين فعاد إليها ومات بها، بينما ما جاء به أبي رأس أنه توفي بسجلماسة ودفن بها. وهو الراجح ويعزز هذه الرواية ما جاء في فهرس المخطوطات العربية بالرباط عندما ذكرت قصيدته في هجاء الترك من أنه توفي في الرتب على مقربة من سجلماسة، يراجع: سعيد ابن عبد الله المنداسي التلمساني: الديوان، ص. 7.

4 - أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، مج 2، المصدر السابق، ص. 185.

5 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 19.

- 3- محمد بن عبد الكريم الجزائري (ت 1102هـ)¹ الذي رافق هو الآخر كل من المنطاسي والتريكي، فبعدهما وفد على السلطان المولى إسماعيل نال مكانة معتبرة عنده²، كما كان يكرمه ويحمله ويعظمه³.
- 4- أحمد القسنطيني المعروف بابن الكماد (ت 1116هـ / 1704م)⁴ هاجر إلى المغرب واستقر بمدينة فاس، ومن أهم المناصب العلمية التي شغلها: تصدر لإقراء جمع الجوامع للنسبكي بفاس فأبدع في إقراءه، ورأى الطلبة من حفظه ما لم يكونوا يعهدون فأكثرُوا الازدحام عليه، وتوجهت عيون أهل الدولة إليه، فارتفعت مرتبته وأجريت له المرتفعات العالية، وشمله برور السلطان وإحسانه، ومن بين المناطق التي زارها في المغرب مدينة تطوان التي وقعت له فيها وحشة بينه وبين قاضيها الفقيه أبي عبد الله بن قريشي⁵ فكتب له الكماد بأبيات من الشعر مفاخرها جاء فيها⁶:

فلف نفسي على كسوف شمس	✽	للعلم وذلة الغرباء
لطف نفسي على زمان عبوس	✽	قمطير ذي قسمة ضياع
فأنا للعلی سموت وحرز	✽	رتبة لا تسام بالجوزاء
وورثت العلوم قدما يقينا	✽	عن أباء قساور نجباء
فأنا شمسها ونجم سماها	✽	حافظ العصر سيد النبلاء

- ولقد أفاد ابن الكماد وأجاد، وأخذ عنه الجم الغفير من كل بلاد حتى وافته المنية يوم الجمعة 4 محرم 1116هـ، وصلى عليه الشيخ سيدي محمد بن عبد القادر، ودفن بالقرب من ضريح سيدي أبي الغالب⁷.
- 5- سيدي محمد بن عطية التلمساني (ت 1163هـ) الذي استقر به المقام بجزء ابن برفوقة؛ كان ملازما لكراسي العلم والوعظ، كما كان يدير دكان لبيع الخضرة؛ وبعد وفاته دفن بزاوية شيخه سيدي محمد بن يوسف الحسناوي⁸.

- 1 - هو أبو عبد الله سيدي محمد بن عبد الكريم الجزائري ويقال: أبو الجمال، الشريف الحسيني نزيل فاس، عالم وأديب من الفقهاء، أخذ عن نحو سبعين شيخا من علماء المغرب والمشرق، وأجازده آخرون. يراجع كل من: الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، ص. 264-266، عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 110.
- 2 - أحمد توفيق، المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، م. و. ك، الجزائر، 1986، ص. 68.
- 3 - أبي عبد الله جعفر بن إدريس الكتاني: سلوة الأنفاس ومحاذلة الأكياس، ج. 2، المصدر السابق، ص. 185.
- 4 - هو محمد بن أحمد القسنطيني الشريف الحسيني المعروف بابن الكماد، ولد بقسنطينة وبها نشأ وتعلم، ثم هاجر إلى المغرب، واستقر بمدينة فاس. يراجع كل من: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، ص. 180-183، عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 274، عمار، هلال: "العلماء الجزائريون في فاس ما بين القرنين 10-20 م / 4-14هـ"، الدراسات التاريخية، ع. 9، ص. 36.
- 5 - أحمد توفيق، المدني: محمد عثمان باشا، المرجع السابق، ص. 69.
- 6 - أبو القاسم محمد، الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، ص. 182.
- 7 - المصدر نفسه، ص. 183.
- 8 - أبي عبد الله جعفر بن إدريس الكتاني: سلوة النفاس ومحاذلة الأكياس، ج. 1، المصدر السابق، ص. 403.

6- عبد الرحمان بن أحمد المنجري الإدريسي الحسيني التلمساني (ت1189هـ / 1783م)، ونظرا لطول مكوثه بفاس وتأثيره في محيطها العلمي والثقافي أصبح يعرف بالفاسي عوضا عن التلمساني؛ ويعد من كبار العلماء في عصره، ولقد كانت له اهتمامات كبيرة بعلوم اللغة والمنطق والحديث، إلى أن وافته المنية بفاس¹.
أما بخصوص العائلات الجزائرية المهاجرة نحو المغرب خلال هذه الفترة فإننا نسجل هجرة عائلة أولاد بوعنوة من تلمسان في عهد مولاي إسماعيل بطلب وأمر منه، فهو الذي أمر بنقل سيدي محمد السنوسي وسيدي محمد الصيبي اللذين كانا من أشهر علماء فاس في ذلك العصر، فأنزلهما بمكناسة الزيتون، ثم بطلب من أهل سلا أذن لهما في السكنى بها، بقصد نشر العلم والتدريس²؛ وبعد هجرة أولاد بوعنوة إلى المغرب قابلهم السلطان بكرم واعتناء، وأنعم عليهم بدار قرب المسجد تشمل على فرن ورحى، كما أنعم عليهم بقبض العشر والزكاة من قبيلة عامر، وهناك ظهر سلطاني أنعم بموجبه السلطان مولاي إسماعيل على السيد محمد الصيبي بالدار التي توجد بسلا بباب أحساين في الخزانة العلمية الصيحية.

ومما جاء فيه بهذا الخصوص: «ونأمر من يقف عليه من خدامنا وعمالنا وولادة أمرنا أن يحترموا ويوقروا وذلك بتاريخ 10 ربيع الأول 1094هـ»³، وقد سمحت لنا ظروف البحث بالإطلاع على الظهير من خلال البحث الذي أعدته كبايد رقية في الإجازة سنة 1976 الموسوم بوثيقة اجتماعية من سلا في القرن 18⁴. كما وقفنا على ظهير مؤرخ في سنة 1110هـ للمولى إسماعيل يأذن فيه للسيد الحاج بوعنوة بأخذ معين له في وظيفة، ويظهر من معنى الظهير المذكور أن بوعنوة كانت لهم مرتبة عالية غير أننا لا نعلم ما هي على وجه التحقيق⁵.

ونظرا للفتنة التي أثارها الأوداية -قبائل- بفاس الجديد وما ترتب عنها من نهب وسلب للممتلكات، يذكر الناصري: إن أهل فاس اجتمعوا فيما بينهم وتحالفوا على حلع السلطان المولى عبد الله وبيعة أخيه المولى محمد بن عربية في 10 جمادى الأولى 1150هـ/ غشت، شتنبر 1737م⁶، وهو ما نتج من دون شك أولاد بوعنوة على مناصرتهم، ورغم ذلك فإن السلطان عفا عنهم -بعد الفتنة- فيما أوقعوا من جرائم مع المحزن، وأصدر ظهيرا يأمر فيه الأوداية برد الأمتعة التي أخذوها من أولاد بوعنوة؛ كما جدد لهم ظهير والدد مولاي إسماعيل الذي خصّهم فيه بالتوقير والاحترام⁷.

1 - عمار، هلال: "العلماء الجزائريون في فاس فيما بين القرنين 10-20م، و4-14هـ"، الدراسات التاريخية، ع. 9، المراجع السابق، ص. 37.

2 - جان، كوسني، وأبو القاسم عشّاش: بيوتات مدينة سلا، المصدر السابق، ص. 119.

3 - المصدر نفسه، ص. 119.

4 - المصدر نفسه، ص. 119.

5 - المصدر نفسه، ص. 119.

6 - أحمد الناصري، السلاوي: الاستقصاء، المصدر السابق، ج. 6، ص. 169.

7 - جان، كوسني، وأبو القاسم عشّاش: بيوتات مدينة سلا، المصدر السابق، ص. 120.

وتذكر نحاة المريني أن الظهائر السلطانية والمكاتب التي هي اليوم بيد أولاد بوعلو؛ تدل على ما كان لأسلافهم من التعظيم والرفعة في دولة الملوك العلويين، وسنجد في تاريخ متقدم خلال النصف الثاني من القرن 19م، توليهم لبعض المناصب في الإدارة المغربية، وهو ما سُندرجه في باب الأدوار؛ والحاصل أن أفراد هذه العائلة لا زالوا إلى اليوم على تعظيمهم واحترامهم رغم وفاة الأعيان من رجالهم. ومن بين هؤلاء الحاج محمد بوعلو الذي ما يزال يمارس نشاطه الفلاحي بدكالة، والسيد عبد الكريم¹ نجل السيد بوعلو يتعاطى القراءة بالمدرسة الثانوية الرباطية وأفراد آخرون يتعاطون الفلاحة وبعض الحرف والصناعات².

ومن خلال ما كتبه ابن سودة حول بيوتات فاس، يمكننا الوقوف على عدد هائل من العائلات الجزائرية التي هاجرت إلى المغرب خلال هذه الفترة مثل: عائلة الأبار التي من بين أفرادها أحمد المدعو حمدون ابن محمد بن موسى الأبار (ت 1071هـ / 1660)، الذي كان خطيبا بجامعة الأندلس، وابن أخيه محمد بن الحسين (ت 1113هـ / 1701م)، كما كانت لهم معرفة بالحساب والفرائض، وهم مسجد يعرف بمسجد الأبارين بخومة الشرشور، كما كان يُنسب إليهم عرصة بخومة الرميلة³. أما بقية العائلات الآتي ذكرها والتي تقدر بحوالي 25 عائلة فإننا لم نقف على تاريخ هجرتها نحو المغرب ولكن من غير المستبعد أن تكون قد هاجرت قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر، واستقرت بفاس وأصبحت تُعد من بيوتاتها؛ وهي مرتبة على النحو الموالي:

- 1- باجي ويُقال لهم الباجاوي، والبارودي وهم على فرقتين من مدينة تلمسان كانت لهم عرصة بباب الزيات، وبانوي⁴، وبغات، وبالخير، وبخيش، وبرار، والبراز⁵، وبلمان⁶.
- 2- التنجيتي، والتلمساني وهم على فرقتين، ويدعون الشرف، إلا أنهم انقرضوا، والتلموني الذي كان لهم عرصة برأس الجنان⁷.
- 3- جابر وهم على فرقتين: فرقة من أولاد جامع وفرقة من تلمسان، الجادري وأصلهم من مديونة من تلمسان، إلا أنهم انقرضوا؛ وكان لهم ذكر⁸.
- 4- ابن جلال الذين يدعون الشرف.

- 1 - من مواليد 1905م من خريجي ثانوية مولاي يوسف بالرباط. شغل رئيس تحرير جريدة السعادة.
- 2 - جان، كوستي، وأبو القاسم عشّاش: بيوتات مدينة سلا، المصدر السابق، ص. 121.
- 3 - عبد السلام، ابن سودة: "بيوتات مدينة فاس قديما وحديثا"، البحث العلمي، ع. 22، المرجع السابق، ص. 115.
- 4 - عبد السلام، بن سودة: "بيوتات مدينة فاس قديما وحديثا"، البحث العلمي، ع. 25، السنة 13، مطبعة فضالة، المغرب، محرم - جمادى الثانية 1396هـ / يناير - يونيو 1976م، ص. 77.
- 5 - المرجع نفسه، ص. 78.
- 6 - المرجع نفسه، ص. 80.
- 7 - المرجع نفسه، ص. 85.
- 8 - المرجع نفسه، ص. 87.

- 5- ابن حماد، وابن حميدان، وابن حميدة الذين ينحدرون من قبيلة أشراكة؛ ولعلمهم انقراضوا¹، والحصار وهم على فرقتين: فرقة أصلها من مدينة سلا ويدعون الشرف، وفرقة من أهل فاس وأصلهم من تلمسان من منطقة عين الحوت، والحقيقي، وابن حوية، وابن حميد، وابن نخدة الذي ينحدر من قبيلة أشراكة².
- 6- الدايري، وابن الدايج، وابن الدائم³، والدرعاوي الذي ينحدرون من قبيلة أشراكة⁴، والذبلاوي، ودقيلو⁵.

مع نهاية القرن 18م ومطلع القرن 19م تشهد الجزائر عموما ومنطقة الغرب الجزائري خصوصا موجة من الاضطرابات السياسية والثورات الشعبية التي استهدفت في مجملها نظام الحكم العثماني بالجزائر⁶، كتورة ابن الأحرش، التي قام بها محمد بن عبد الله الشريف الملقب بالبودالي⁷ وثورة درقاوة بين سنتي 1805-1816، وثورة التيجانيين.. الخ. ونظرا للطريقة التعسفية التي أحدثت بها تلك الثورات، فإنها تكون قد ساهمت بطريقة مباشرة في هجرة كثير من الجزائريين نحو المغرب؛ هذا من جهة، ومن جهة أخرى ونظرا للتوتر الحاصل في العلاقات السياسية بين نظام الحكم العثماني بالجزائر والأسرة العلوية بالمغرب؛ فإن هذه الأخيرة تكون قد ساهمت في استقطاب الجزائريين وتشجيعهم على الهجرة نحو المغرب. وهذا ما سنتطرق له في ما يلي:

1- ثورة التيجانيين:

فعلى إثر الحملة العسكرية التي قادها الباي محمد الكبير إلى عين ماضي سنة 1784 والتي رفضت بموجبها دفع الضريبة المعهودة، تكون قد دفعت به إلى تجهيز حملة ثانية في السنة الموالية، حملة كادت أن تفشل لولا الإمدادات الهائلة التي وصلته من الجزائر العاصمة، فتمكن من أخذ ما مقداره 188 ريبالا، إلا أن خضوع المدينة لم يدم طويلا، مما دفعه إلى توجيه حملة عسكرية أخرى عليها سنة 1797م.

غير أن الواحة لم تخضع بالشكل الذي كان يرغب فيه، ونظرا لهذا الضغط المتوالي على الواحة وسكانها. يكون قد دفع بكثير منهم إلى الهجرة، حيث يأتي في مقدمتهم الشيخ أحمد التيجاني (ت1230هـ/1814م)⁸ وجمع

1 - المرجع نفسه، ص. 95.

2 - المرجع نفسه، ص. 97.

3 - المرجع نفسه، ص. 100.

4 - المرجع نفسه، ص. 101.

5 - المرجع نفسه، ص. 102.

6 - بخصوص هذه الثورات يمكن مراجعة كل من: غربي، الغالي: الثورات الشعبية في الجزائر أثناء العهد التركي 1792-1830، حنيفي هلايلي: "الثورات الشعبية في الجزائر في أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع. 20، ص-ص. 189-204.

7 - CH. Ferraud: "les Chérifs kabyles de 1804 à 1809 dans la province de Constantine", R. A, N°. 13, O. P. U. Alger, 1869, P-P. 217-218.

8 - هو أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التيجاني، شيخ الطائفة التيجانية بالمغرب؛ ولد بعين ماضي سنة 1150هـ/1737-1738م، وما نشأ وتعلم، وترى معلمة المغرب في الجزء السابع، ص. 2282: أن أصله من المغرب، لأن رابع أجداده

هائل من أنصاره هاجروا نحو فاس.¹ ونظرا للمكانة التي حظي بها في المغرب ومساهمته في استقطاب مردييه، رأيت من الضرورة بما كان الحديث عنه وفق ما يخدم موضوع بحثنا على النحو الموالي.

هاجر أحمد التجاني نحو فاس في حدود 17 ربيع الأول 1213هـ، مرفوقا بعائلته وتلامذته وخدمه، ومن بين الأتباع الفاعلين المرافقين له في هجرته سي محمد بن المشري²، وكان دخوله فاس في 6 ربيع الثاني 1213هـ³، وقبل الحديث عن موقف السلطان المغربي المولى سليمان من هجرته، أود الإشارة إلى طرح جملة من الدوافع الرئيسية الكامنة وراء ذلك، فهي تعود إلى ذلك الإزعاج الذي سببه له باي وهران محمد بن عثمان، مما دفعه إلى التزوح إلى قرية أبي سمعون فأقام بها وأقبل عليه أهلها، وبعد وفاة الباي المذكور تولى الحكم من بعده نجله عثمان فسُعي عنده بالشيخ التجاني، مما دفع به إلى مراسلة سكان بوسمعون وتهدديهم بإلقاء القبض عليه أو طرده، ولما سمع بذلك خرج مع بعض تلامذته وأولاده وسلك طريق الصحراء حتى وصل مدينة فاس⁴.

بينما يذكر أبو القاسم سعد الله: «إن التجاني هاجر بعد أن أحس بالمضايقات في الجزائر من جانب بايات الغرب»⁵. وهو نفس الطرح الذي قدمه ابن عبد الله السليمان في قوله: «ولما استفاض أمره هناك بوطن الجزائر نفتته الحكومة التركية خوفا من عائلته فانتقل بأهله وولده إلى فاس أيام أمير المؤمنين مولاي سليمان»⁶، بينما جاء

هاجر من مراكش إلى عين ماضي وتوطن بها وتزوج من تيجان فكانوا أحوالا له، ولهذا ينتسب للتجانبة عن طريق المصاهرة، بينما ورد خلاف ذلك في تحفة الزائر، ج. 1، ص. 125: أن أصله من توجين أمراء تاهرت. زار مدينة فاس في سنة 1171هـ وعمره 21 سنة وسمع بها شيئا من الحديث، ثم دخل تلمسان ودرّس بها، حج في سنة 1186هـ مرورا بتونس التي أقام بها مدة، ثم عاد إلى فاس، لكنه لم يلبث أن ارتحل إلى توات، وأخرج منها فقصده فاس سنة 1213هـ، بعد مروره بواحة فحيج التي قضى بها فترة طويلة، وترك وراءه ما يقارب 100 مريد من أتباعه، ثم انتقل إلى فاس. يراجع كل من: الكتاني: سلوة الأنفاس، ج. 1، ص-ص. 197-199، عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 62، الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 1، ص-ص. 281-286، الناصري: الاستقصا، ج. 7، ص. 110، محمد ابن عبد القادر، تحفة الزائر، ج. 1، ص. 125، معلمة المغرب، ج. 7، ص. 2282، صالح، عباد: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، ص. 176. محمد، بوربان: واحة فكيك تاريخ ومعالم.

ص. 137. Histoire de L'Ouali Sidi Ahmed ET-Tedjani, R. A, N° 5, P-P. 468-474.

1 - صالح، عباد: الجزائر خلال الحكم التركي، المرجع السابق، ص. 176.

2 - المرجع نفسه، ص. 176.

3 - بن يوسف، التلمساني: الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني)، الأمير عبد القادر، الإدارة الاستعمارية، د، د، ع، مرقونة، إشراف سعيدوني ناصر الدين، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1997-1998، ص. 74.

4 - أحمد الناصري، السلاوي: الاستقصا، ج. 7، المصدر السابق، ص. 135.

5 - تاريخ الجزائر الثقاني، ج. 4، المرجع السابق، ص. 135.

6 - ابن عبد الله، السليمان: اللسان المغرب عن ثقافت الأجنبي حول المغرب، ط. 1، مطبعة الأمنية، الرباط. 1391هـ/

1971م، ص. 104.

في تحفة الزائر: «كما شاع أمره في وطنه وخاف من غوائل الحكومة، انتقل بأهله وأولاده إلى فاس في أيام سلطتها مولاي سليمان العلوي»¹.

عندما حلّ أحمد التجاني بمدينة فاس بعث برسالة إلى السلطان: «ليعلمه بأنه هاجر إليه من جور الترك وظلمهم واستحار بأهل البيت الكريم، فقبله السلطان وأذن له في الدخول عليه والحضور بمجلسه، ولما اجتمع به ورأى سمته ومشاركته في العلوم أقبل عليه واعتقده وأعطاه دارا معتبرة من دوره كان أنفق في عمارتها نحوًا من عشرين ألف مثقال ورتب له ما يكفيه»²، وتذكر معلمة المغرب: «أن السلطان المولى سليمان استقبله أحسن استقبال وأنزله على الرحب في دار المرابح³ بفاس وصار يتردد للاقتباس من علمه والغرف من معين هديه»⁴. ونظرًا لمكانته الكبيرة في قلوب الناس فإن السلطان المغربي أكرمه غاية الإكرام وكان لذلك إثر بعيد في استقرار سلطانه⁵. خاصة إذا كنا ندرك بأن هناك ارتباط وثيق بين تجانية الجزائر والمغرب، خصوصًا الأنصار الذين عمل السلطان على كسبهم واحتوائهم للحفاظ على استقرار الأوضاع بالمغرب عكس ما كان يجري في الجزائر.

لقد ظل التجاني على هذا الحالة والمكانة إلى أن وافته المنية بفاس في 15 شوال 1230هـ/ 1814م، ودفن بزاويته المشهورة من حومة البليدة⁶، ترك وراءه ولدين هما: محمد الكبير ومحمد الصغير، تركهما يتيمين في حالة قصور، أوصى بما سي محمد بن أحمد التونسي، مات الأول في محاربة باي وهران بناحية معسكر وعاش الثاني إلى سنة 1853م⁷. أما قيادة الطريقة فأوصى بها مقدم زاوية تماسين سي الحاج علي بن الحاج عيسى أصيل ينبع من

- 1 - محمد بن عبد القادر، الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج. 1، ط. 2، شرح وتعليق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، بيروت، 1384هـ/ 1964م، ص. 125.
- 2 - أحمد الناصري، السلاوي: الاستقصا، ج. 7، المصدر السابق، ص. 136.
- 3 - اشتراها السلطان المولى سليمان من ورثة المولى الطيب بن محمد شيخ الطريقة الطييبة دفين وزان، وأصلحها ثم أعطاها لبعض أشرف فاس وأشهد عليها الفقهاء أنها من ماله الخاص الذي ورثه، فلما توفي الشريف الذي وهبت له على إثر ولاء 1213هـ رأى السلطان أن تمنها انفع لورثته من تلك الدار، فاشتراها منهم وبقيت شاعرة إلى أن حل أحمد التجاني فتمسح بإياها، وبعد وفاته ورحيل عائلته إلى عين ماضي توارث هذه الدار بعض عائلات الأشراف إلى أن اشتراها في الثمانينيات من القرن 20. أخذ التجانيين، وأهداها لشيخ زاوية عين ماضي حفيد الشيخ السيد علي بن محمود. يراجع: بن يوسف، التلمساني: الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر، ص. 74.
- 4 - معلمة المغرب، ج. 7، ص. 2282.
- 5 - حسين، مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، المرجع السابق، ص. 313.
- 6 - أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج. 1، المصدر السابق، ص. 199.
- 7 - سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقالي، ج. 3، المرجع السابق، ص. 224.

شبه الجزيرة العربية¹، ثم قام بأمر الطريقة من بعده ابنه سيدي محمد الكبير بعدما رجع إلى عين ماضي وكانت حكومة الجزائر ترهب سيطرته وتتوقع خروجها عن طاعتها².

2- ثورة الدرقاويين³:

مع مطلع القرن 19م، قام عبد القادر بن الشريف الساحلي المنقلب بالدرقاوي؛ بالثورة ضد الأتراك وبتهريض من سلطان فاس مولاي الشريف سليمان⁴، وشيخ الطريقة الدرقاوية بالمغرب مولاي العربي، فدارت معارك كبيرة بينه وبين الجيش التركي والقبائل الموالية له⁵، رغم تعاليم شيخه مولاي العربي بعدم الخروج عن قواعد وسلوك الطريقة. ورغم تنقله هو بنفسه لإقناعه بالعدول عن هذا المسعى، إلا أنه فشل في ذلك⁶. هذا إلى جانب الوساطة التي قام بها المولى سليمان بطلب من الباي الجزائري من خلال إرساله لعبد الله الدرقاوي شيخ أبي محمد والأمين الحاج الطاهر بادوس المكناسي، فاضطر الباي إلى قتالهم قتالا شديدا كانت الدائرة فيه عليهم.

ولقد كان لأهل تلمسان خصوصا وقبائلها عموما التفات إلى المولى سليمان فاتفقوا على خلع طاعة الترك ومبايعته، فاشتد ضغط الأتراك على التلمسانيين، وجلا أهل تلمسان إلى بلاد المغرب؛ وعلى الرغم من مكاتبة الباي في شأنهم للمولى سليمان، فإنه أشفق من حالهم ورتب لهم العطاء وتركهم في المغرب، فكانت وحدة أقرب إليهم وأحق باستيطانهم لها وهم فيها كثيرون جدا⁷.

ونظرا للطريقة التي أهدت بها هذه الثورة التي جمع فيها باي وهران بين الوسائل الدبلوماسية والدهاء السياسي لاتقاء شر الدولة المغربية، وإلى أنواع القمع والإرهاب ضد الثوار⁸، ولسوء المعاملة التي تلقاها أتباع الطريقة الدرقاوية فيما بعد، يكون قد طلب عبد القادر من شيخه الإذن له بالهجرة إلى المغرب والإقامة به، وأكد له رغبة أتباعه في الدخول تحت طاعة المولى سليمان ومبايعتهم له كسنتان شرعي عليهم⁹. لكن المولى سليمان تخلى عن هذه الفكرة. وفي سنة 1813 قَدِمَ على المولى سليمان وفدٌ يمثل سكان الغرب الجزائري نظرا لتدمرهم

1 - صالح، عباد: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، المرجع السابق، ص. 176.

2 - محمد بن عبد القادر، الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج. 1، المصدر السابق، ص. 125.

3- حنيفي، هلابلي: "الثورات الشعبية في الجزائر أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع. 20، دار الهدى. عين مليلة، الجزائر، ربيع الأول 1427هـ/أفريل 2006، ص. 201.

4 - حسين، مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، المرجع السابق، ص. 366.

5 - يمكن مراجعة مجمل الحروب التي دارت بين أتراك الجزائر وسلطين المغرب أثناء العهد العثماني بالجزائر، أطروحة المنكي جلول الموسومة بـ: مسألة الحدود المغربية الجزائرية من 631-1263هـ/ 1234-1847م وأثرها على العلاقات بين البلدين، د. د.

ع، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1413هـ/ 1993م، إشراف، د. مولاي بلحميسي، مرقونة.

6 - صالح، عباد: الجزائر خلال العهد العثماني 1514-1830، المرجع السابق، ص. 204.

7 - قدور، الورطاسي: معالم من تاريخ وحدة، المرجع السابق، ص. 40.

8 - غربي، الغالي: "ثورة ابن الشريف الدرقاوي في الغرب الجزائري إبان القرن التاسع عشر"، الدراسات التاريخية، ع. 10، معهد التاريخ، بجامعة الجزائر، 1417هـ/ 1997م، ص. 63.

9 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 20.

من نظام الحكم العثماني، يشمل ممثلي أهل تلمسان ومستغانم والبيده وهران، لالتماس بيعة السلطان والدخول تحت طاعته، لكنه رفض مطلبهم مرة أخرى، والتزم الحياد في علاقاته مع نظام الحكم العثماني بالجزائر، خاصة وأن هذا الأخير لم يدعم أخويه ومنافسيه على العرش مسلمة واليزيد¹ عند لجوئهما إلى الجزائر².

وللعلم أن حركة ابن الشريف الدرقاوية لم تكن دينية محضة كما يدل عليها ظاهرها، فقد كان لها طابع سياسي يتداخل فيه المغرب الشريف والجزائر العثمانية؛ ولعل الشيخ عبد القادر بن الشريف كان مجرد أداة لتنفيذ خطة سياسية ضد النظام العثماني³، ولم تنته هذه الثورة إلا بعد إجراء اتصالات سياسية بين الجزائر والمغرب على المستوى الرسمي⁴. ومن النتائج المباشرة لثورة الدرقاوية في مراحلها الأولى هجرة سكان تلك المناطق للمغرب، خاصة من تلمسان والمناطق المجاورة من أهل الجبال والعرب الذين استقر جلهم بفاس⁵، ومن أهم المهاجرين الجزائريين في هذه الأثناء:

1- الدرقاوي شارف بن عبد الله تكوك: الذي خاف على نفسه وعائلته من العثمانيين الذين قتلوا بعض شيوخه فرحل إلى المغرب ولم يرجع إلى بلاده إلى بعد الاحتلال الفرنسي لوهران سنة 1832 حسب الكتاني. في حين يرى عمار هلال أن عودته من المغرب كانت في حدود سنة 1276هـ، حيث أسس زاوية سنوسية في بوقيرات التي تبعد بحوالي 30 كلم عن مستغانم⁶.

2- سيدي محمد بن سعيد بن الحاج الحسيني التلمساني الذي سبق له وأن درس بفاس، ورغم شغله منصب القضاء بتلمسان إلا أنه هرب منها هو وعائلته واستقر بفاس، وبعدها أصبحت تلمسان تابعة للمغرب بعد سنة 1830 رجوع إليها، لكن بعد الاحتلال الفرنسي لها رجوع إلى فاس من جديد واستقر بها نهائيا حتى وفاته المنية في 17 محرم 1264هـ/ 26 ديسمبر 1846م⁷.

3- محمد بن الخضر الإغريسي⁸ الذي هاجر برفقة عائلته واستقر به المقام في مدينة فاس، وكان يقرأ ويُدرّس الطلبة ما تيسر بجامع الرصيف وغيره ويؤم المصلين بجامع أعلا عقبة بن صوّال، إلى أن وافته المنية في سنن

- 1 - أحمد الناصري، السلاوي: الاستقصا، ج. 7، المصدر السابق، ص. 121.
- 2 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 21.
- 3 - سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، المرجع السابق، ص. 221.
- 4 - المرجع نفسه، ص. 222. وللمزيد من المعلومات حول هذه الثورة يراجع: غالي، الغربي: "ثورة ابن الشريف الدرقاوي في الغرب الجزائري إبان القرن التاسع عشر"، الدراسات التاريخية، ع. 10، ص. 53-66.
- 5 - عبد العزيز، بن عبد الله: فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، ج. 2، المطبعة الملكية، الرباط. 1422هـ/ 2001م، ص. 809.
- 6 - سلوة الأنفاس، ج. 3، المصدر السابق، ص. 250، عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص. 63، عمار، هلال: "العلماء الجزائريون في فاس"، الدراسات التاريخية، ع. 9، ص. 40-41.
- 7 - المصدر نفسه، ص. 251.

8 - هو الفقيه العالم أبو عبد الله سيدي محمد بن الخضر الإغريسي المهاجى الحسيني، فقيها ومدرسا وإماما، يراجع كل من: الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، ص. 205، الكتاني: سلوة الأنفاس، ج. 3، ص. 102.

متقدمة بفاس يوم 18 رمضان 1292هـ / 18 أكتوبر 1875م¹.

- 4- بوعدة التلمساني المهاجي² الذي هاجر نحو فاس واستقر بها، وكانت له زاوية بوجدة وأخرى بتلمسان، له فيهما أصحاب وأتباع، ويعد من كبار أصحاب الشيخ والعارف بالله مولاي العربي الدرقاوي، كان عالما مهابا ممن يعمران الزوايا لنشر العلم وبث الدين وهداية الناس³، توفي في ربيع الأول 1277هـ / سبتمبر 1861م⁴، ودفن بمسجد سيدي أبي مدين الغوث المعروف بأقصى حومة الرميطة من غدوة فاس الأندلس⁵.
- 5- البوجلالي العسكري هاجر إلى فاس؛ درّس بالمدرسة المصباحية سنة 1170هـ / 1756-1757م. كما كان الشيخ العربي يكثر من ملاقاته، توفي بفاس سنة 1277هـ، ودفن بمسجد سيدي أبو مدين الغوث⁶.
- 6- محمد بن محمد بن ملوك التلمساني الذي هاجر هو الآخر نحو المغرب واستقر بمدينة فاس، وكان يُدرّس بمسجد القرويين ومسجد أبي الجنود، إلى أن وافته المنية بمرض الطاعون في 15 رجب 1284هـ / 16 نوفمبر 1261م.

يبدو أن سبب هجرة هؤلاء هو خوفهم من جور العثمانيين وظلمهم، ومما زاد في كثرة أعدادهم قحط بلادهم وانتشار المجاعة؛ وحسب رواية الناصري السلواوي أن هجرتهم كانت بأعداد كبيرة حتى لم يبق لباش الترك مع من يتكلم... فضلا عن أن يأمر... لقد هاجر هؤلاء بعائلاتهم نحو المغرب وأكثرهم حل بفاس، وجاء منهم بنو عامر المقيمين بين وهران وتلمسان والذين لم يرجعوا إلى بلادهم إلى في حدود سنة 1808م ولقد كاتب داي الجزائر سلطان المغرب في شأنهم لكنهم رفضوا العودة.

وخلال هذه الفترة هاجرت عدة عائلات وأسر أخرى أشهرها أسرة سي الأكحل المقرري التي شغل بعض أبنائها فيما بعد وظائف مخزنية سامية، مثل الحاج عبد السلام المقرري وابنه محمد الذي أصبح وزير مالية السلطان عبد الحفيظ وصدرا أعظما في عهد الحماية⁷، وعائلة سي الماشقي بن بومدين بروخ الذي ينحدر من منطقة معسكر والتي كانت عائلته مقيمة بوجدة منذ حوالي 100 سنة، بمعنى أن عائلته تكون قد هاجرت سنسة

- 1 - أبو القاسم محمد، الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، المصدر السابق، ص. 205. يراجع أيضا الكتاني: سلوة الأنفاس، ج. 3، ص. 102.
- 2 - نسبة إلى قبيلة مهاجة، وهي قبيلة من بني عامر قرب تلمسان. يراجع: أحمد توفيق، المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، ص. 73.
- 3 - أحمد توفيق، المدني: محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، المرجع السابق، ص. 73.
- 4 - أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس، مج. 3، ص. 251.
- 5 - المصدر نفسه، ج. 1، ص. 415.
- 6 - محمد، الحفناوي: دور الزوايا والطرق الصوفية في العلاقات بين المغرب وولاية الجزائر، حالة الزاوية الدرقاوية من 1786-1823، د، د، ع. أطروحة دكتوراه، إشراف عبد الرحمان المودن، شعبة التاريخ، لك. أ. ع. إ، جامعة محمد الخامس، السنة الجامعية 2004-2005، مرقونة، 149.

1809م نحو المغرب حسب "لويس موجان"¹. كما تفيد التقارير الفرنسية بحجرة العديد من أفراد قبيلة أولاد سرور بالمشية نحو المغرب قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر².

ولم تقتصر هجرة الجزائريين على فاس فحسب بل كانت هناك مدن مغربية أخرى حظيت باستقبالهم مثل تطوان، وبهذا الخصوص هناك دراسة أكاديمية أعدها إدريس بوهليلة من خلال تحقيقه لمخطوط عمدة الراوين لصاحبه العلامة أحمد الرهوني³ (ت 13 ربيع الثاني 1373هـ / 21 ديسمبر 1953م)⁴، وهي عائلات سبق وأن هاجرت إلى تطوان قبل سنة 1830 لكن المؤلف لم يحدد لنا تاريخ هجرتها بشكل دقيق ومن أهمها:

- 1- عائلة الثعالبي: استوطنت بتطوان منذ القدم، ولقد حدد الرهوني تاريخ وجودها بتطوان في حدود سنة 1040هـ / 1630م، و1145هـ / 1734م؛ وهي عائلة شريفة النسب، تنسب إلى ذرية الولي الصالح عبد الرحمان الثعالبي (ت 875هـ / 1470م)⁵.
- 2- عائلة القسنطيني: نسبة إلى مدينة قسنطينة، ومن أشهر أعلامها: الفقيه هاشم القسنطيني الذي كان عدلا بتطوان سنة 1158هـ / 1745م، إلا أنها انقرضت فيما بعد.
- 3- عائلة المتيجي: نسبة إلى منطقة متيجة، كانت بمدينة تطوان سنة 1192هـ / 1778م، ثم انقرضت بعد ذلك⁶.
- 4- عائلة التلمساني: ومن أفرادها محمد التلمساني الذي كان من شيوخ السكيرج. قرأ عليه مختصر خليل بشرح الزرقاني، توفي سنة 1202هـ / 1787م⁷.
- 5- عائلة المستغامي: عمرت طويلا بمدينة تطوان ووجدت بها سنة 1203هـ / 1788م، ثم انقرضت فيما بعد⁸.
- 6- عائلة العنابي: لقد كانت متواجدة بتطوان سنة 1215هـ / 1800م، وهي تنسب لمدينة عنابة⁹.

1-Louis. Mougin: Les Algériens à Oujda, Rapport du Capitaine Mougin, Op, cit, P. 192.

2-Le général Boitard Commandant la Division d'Oran à Monsieur le Gouverneur général de l'Algérie à Alger. G. G. A. Division d'Oran, Cabinet Affaires Indigènes, Oran fait le 24 Mai 1897. A. O. M. carton H 99. H101. Aix en Provence, France. ينظر الملحق رقم 1

3 - سنقدم له ترجمة وافية في الفصل الثاني من الباب الثاني، عندما نتحدث عن هجرة الجزائريين نحو تطوان.

4 - إكلا، آسية: عمدة الراوين في تاريخ تطاوين للفقير أحمد الرهوني (1871-1953)، دراسة وتحقيق، د، د، ع. شعبة التاريخ، جامعة محمد الخامس، إشراف التلمساني عبد العزيز خلوف، الرباط. ك. آ. ع. إ، 1998-1999، ص. 297.

5 - إدريس، بوهليلة: ((العائلات الجزائرية بتطوان من خلال مخطوط عمدة الراوين لأحمد الرهوني))، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع. 10، جامعة الملك السعيد، مطبعة أطوبريس، تطوان، 2000، ص. 305.

6 - المرجع نفسه، ص. 307.

7 - المرجع نفسه، ص. 305.

8 - المرجع نفسه، ص. 307.

9 - المرجع نفسه، ص. 306.

7- عائلة ابن مرزوق: ظهر من هذه العائلة بتطوان محمد بن عبد القادر ابن مرزوق الذي عدّه الرّهوني من الأولياء الصالحين، أصله من تلمسان، ودرس بها على الشيخ علي البركة، لقد كان إماماً في الفقه والنحو والبيان والتفسير، فغلب عليه التبتل والانقطاع للعبادة والخلوة، توفي في أواخر القرن 12هـ / 18م، وقد بنى قبته السلطان مولاي إسماعيل، ومن هذه العائلة أيضاً شيخ الرّهوني سيدي العباس بن عبد الرحمان ابن مرزوق¹.

8- عائلة الرايس: كانت تتواجد بتطوان سنة 1240هـ / 1824م، من أفرادها أحمد الحجّام الذي كان يمتهن حرفة الرايس².

ويضاف إلى هذه العائلات عائلة إسماعيل التي هاجرت من الجزائر واستقرت بمدينة تطوان، ومن أهم أفرادها الفقيه أحمد بن محمد إسماعيل الذي كان يتعاطى حطة العدالة من سنة 1190-1207هـ / 1776-1793م، ومحمد الذي حضني بمنصب قائد المخزنية بخامية تطوان، وكان من بين الموقعين على وثيقة بيعة مولاي سعيد ابن السلطان مولاي البيزيد بتطوان في 12 جمادى الثانية 1236هـ / 17 مارس 1821م، ولا زالت هذه الأسرة موجودة بتطوان³.

وإلى جانب تطوان تكون وجدة قد حظيت باستقبال عدد لا بأس به من المهاجرين الجزائريين بمختلف شرائحهم خلال العقود الثلاثة الأولى من القرن 19، ووهم مرتبون حسب تاريخ هجرتهم على النحو الموالي:

1- آل الصابونجي-الصابوني- التلمسانيون: هاجرت هذه الأسرة من تلمسان نحو وجدة في حدود سنة 1222هـ⁴.

2- آل ابن الكندوز: هاجروا من مدينة مستغانم نحو وجدة في حدود سنة 1813⁵، ومن بين العناصر الفاعلة والمهاجرة في هذه الأسرة الفقيه سيدي محمد -فتحاح- بن الكندوز المستغانمي⁶.

3- آل القرموني: هاجروا من تلمسان سنة 1817⁷.

4- آل التومي: هاجروا من تلمسان في سنة 1817⁸.

1 - المرجع نفسه، ص-ص. 303-304.

2 - المرجع نفسه، ص. 306.

3 - معلمة المغرب، مج. 2، المرجع السابق، ص. 444.

4 - بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، ط. 1، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، مطبعة إيت، الحى الصناعى بالوئجة، سلا، الرباط. 1427هـ / 2006م، ص. 70.

5 - بدر، المقرئ: "التشكيلة الاجتماعية في المجتمع المغربي في الربع الأخير من القرن 19 والربع الأول من القرن 20، مساهمة في دراسة الجذور والامتدادات. وجدة نموذجاً"، أمّس، ع. 18، السنة. 6، ندوة الجمعية المغربية للبحث التاريخي المنعقدة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط من 26-28 أكتوبر 1995، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1999، ص. 7.

6 - بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 79.

7 - بدر، المقرئ: "التشكيلة الاجتماعية في المجتمع المغربي في الربع الأخير من القرن 19 والربع الأول من القرن 20، مساهمة في دراسة الجذور والامتدادات. وجدة نموذجاً"، أمّس، ع. 18، المرجع السابق، ص. 7.

8 - المرجع نفسه، ص. 7.

- 5- آل النكروف المعسكرين: من بينهم الفقيه سيدي محمد النكروف البوعناني¹، الذي كان مقيما بحاضرة وجدة سنة 1203هـ؛ ويشغل منصب القضاء؛ ثم تلاه فيما بعد إدريس بن صالح النكروفي سنة 1233هـ².
- 6- مجموعة من الشرفاء القادرين الذين هاجروا من تلمسان نحو مدينة وجدة في سنة 1827، وهم على التوالي: شعبة سيدي محيي الدين، وشعبة سيدي بن عبد الله، وشعبة مولاي إدريس، وشعبة سيدي عبد الرزاق³.
- 7- آل ابن زاوية الغريسيين: هاجروا من مدينة معسكر نحو مدينة وجدة في سنة 1827⁴، ولقد تجددت هجرتهم بعد سنة 1830، حيث نسجل هجرة الفقيه سيدي الطيب بن زاوية المعسكري نحو مدينة وجدة، واستقراره بربع أولاد عمران، وبوجدة يكون قد اشتهر من هذه العائلة كل من الفقيه سيدي محمد الحاج أحمد بن زاوية، والحاج محمد بن زاوية، وولده الحاج المصطفى السروجيان حرفة⁵.
- والخلاصة التي يمكن الخروج بها في الأخير هي عبارة عن جملة من النقاط يمكن إبرازها في ما يلي:
- كثرة عدد المهاجرين الجزائريين نحو المغرب الأقصى قبل سنة 1830، حيث لم تسمح لنا طبيعة هذا الفصل التمهيدي بالإسهاب في ذكرهم؛ ووجدنا أن هذا العمل هو قابل لأن يكون أطروحة علمية قائمة بذاتها.
 - هناك تنوع هائل في عدد المهاجرين شمل مختلف شرائح المجتمع الجزائري، إلا أن الفئة المثقفة كانت هي الغالبة على المهاجرين الجزائريين.

- طبيعة هجرة الجزائريين التي جمعت بين الفردية والجماعية وأحيانا شملت أسرا وقبائل بأكملها.
- تعدد وتنوع مناطق الهجرة، حيث شملت مختلف مناطق القطر الجزائري، إلا أن منطقة الغرب الجزائري أخذت النصيب الأكبر من الهجرة، كما نسجل تنوع وتعدد في المناطق التي وفدوا عليها واستقروا بها في المغرب، كما نلاحظ أن فاس قد حظيت بنصيب كبير في استقطاب الجزائريين نحوها.
- تداخل عاملين رئيسيين في حركة الهجرة، وهما طبيعة نظام الحكم العثماني بالجزائر، وسياسة استقطاب الجزائريين التي مارسها سلاطين المغرب تجاه السكان بالغرب الجزائري.
- ولا شك أن هؤلاء المهاجرين الجزائريين قد شكلوا سببا واضحا ودافعا رئيسيا في هجرة الجزائريين بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1246هـ/ 1830م نحو المغرب بالخصوص، كونهم شكلوا الأرضية الخصبة لاستقبالهم واحتضانهم، وهذا ما سنتطرق إليه بالتفصيل في متن البحث.

-
- 1 - تنحدر هذه العائلة من حشم مدينة معسكر، وقد اشتهر منها قائد الحشم محمد ابن نكروف الذي قتله الباي حسن من قواد الحشم الإثني عشر لتحالفهم مع أحمد التجاني الذي حاول شق عصا الطاعة ضد الأتراك سنة 1242هـ. يراجع كل من: ابن عودة، المزاري: طلوع سعد السعود، ج. 1، ص. 354. و بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، ص. 93.
 - 2 - بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 93.
 - 3 - بدر، المقرئ: ((التشكيلة الاجتماعية في المجتمع المغربي في الربع الأخير من القرن 19 والربع الأول من القرن 20، مساهمة في دراسة الجذور والامتدادات. وحدة نموذج))، أمسل، ع. 18، المرجع السابق، ص. 6.
 - 4 - المرجع نفسه، ص. 7.
 - 5 - بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 172.

جامعة الأمير
الباب الأول
عوامل الهجرة الجزائرية
نحو المغرب الأقصى.

الكتاب للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

العوامل السياسية.

- سقوط نظام الحكم العثماني.
- النفي والتهجير.
- الإبادة الجماعية.

يمكن القول أن هناك عدة عوامل ودوافع ساهمت وتحكمت في هجرة الجزائريين نحو المغرب عقب الاحتلال الفرنسي للجزائر؛ عوامل متعددة ومختلفة باختلاف طبيعتها، وللعلم فإن هذه العوامل لم ترد جملة واحدة وإنما وردت عبر فترات مختلفة؛ وهو ما يتماشى مع المراحل التي عرفتها الهجرة التي ظلت مستمرة طيلة الاحتلال الفرنسي للجزائر، ونظرا لشعب هذه العوامل وتعددتها، فضلنا تقسيمها وتصنيفها على النحو الآتي:

1 - سقوط نظام الحكم العثماني:

على إثر توقيع الداي حسين باشا (ت 1254هـ / 1838م)¹ على معاهدة الاستسلام يوم 05 جويلية 1830م، والتي ورَدَ في بندها الثالث: «الداي حر في الانسحاب مع أسرته وثرواته الخاصة إلى المكان الذي يحدده، وسيكون هو وكامل أفراد أسرته تحت حماية قائد جنرالات الجيش الفرنسي وذلك طيلة المدة التي يقضيها بالجزائر وستقوم فرقة من الحرس بالسهر على أمنه وأمن أسرته»²، ورغم أن الداي قد اختار جزيرة مالطا ليستقر بها، إلا

1 - هو حسين بن علي ولد في شهر فيفري 1768م بمدينة صدوق في آسيا الصغرى، ينحدر من عائلة تركية أصيلة وميسورة الحال، نشأ وتعلم على يد والده، وعندما بلغ سن 24 توجه نحو اسطنبول، حيث انخرط في الجيش العثماني كجندي في سلاح المدفعية والقنبلة (قومراحي)، وفي حدود سنة 1795م التحق بالجيش العثماني بالجزائر، ونظرا لمهارته ترقى بسرعة من جندي في سلك الروجق إلى عضو بالديوان، ولقد شغل مناصب عدة بالجزائر قبل أن يصبح دايًا سنة 1818م، من أهمها: وكيل حوش راسوطا، حوجة الخيل، إماما للصلاة، الكتابة في مخزن الزرع بدار الإمارة. وعلى إثر التوقيع على معاهدة الاستسلام، تم نفيه هو وحاشيته إلى مدينة نابولي التي حل بها في أواخر شهر جويلية، وأثناء إقامته بها، زار عدة مدن إيطالية كما زار العاصمة الفرنسية باريس، ونظرا للمشروع السري الذي كان يوي من خلاله استرجاع مدينة الجزائر والذي تم اكتشافه من طرف فرنسا، نُفي إلى مصر حيث تكفل به محمد علي باشا، إلى أن وافته المنية بها. يراجع كل من: سعد الله، أبو القاسم: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 3، ط. 1، ص. 243، عبد الرحمان، الخليلي: تاريخ الجزائر العام، ج. 3، ط. 7، ص. 331، أبو عمران الشيبخ وأخرون: معجم مشاهير المغاربة، ص. 156، محمد السعيد، فاصري: "موقف السلطان المغربي من الداي حسين عقب الاحتلال الفرنسي للجزائر"، منتدى الأستاذ، ع. 3، ص-ص. 145-148.

2 - حمدان، حوجة: المرأة، تقدم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، ط. 2، ش. و، ن، ت، الجزائر، 1986، ص. 203. ويراجع بهذا الشأن كل من: مذكرات أحمد الشريف الزهار، ص. 75، جمال، قنان: معاهدات الجزائر مع فرنسا، ص. 350.

أن "دي بورمون De Bourmont"¹ اختار له مدينة نابولي الإيطالية، فتم نفيه هو وعائلته وحاشيته البالغ عددهم حوالي 110 شخص في العاشر من جويلية 1830م².

وبالتالي فترحيل الداي حسين يكون قد تزامن مع سقوط نظام الحكم العثماني بالجزائر العاصمة؛ وبهذا الشأن يقول أحمد توفيق المدني: «انتهى حكم الأتراك بما له وما عليه في الجزائر»³، الشيء الذي خلق فراغا إداريا وسياسيا كبيرا على مستوى العاصمة الجزائرية؛ والمصير نفسه عرفه بايلك الغرب الجزائري. فعلى إثر الاحتلال الفرنسي لمدينة وهران في 4 جانفي 1831م/ 9 رجب 1246هـ⁴ ونظرا لكون الباي حسن⁵ رجلا طاعنا في السن، فهو لم يكن يطمح إلا في حياة هادئة، وكان يأمل أن الفرنسيين سيحترموا راحته إذا ما أظهر أنه لا يضم لهم العداوة⁶، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإنه لم تكن تربطه بالسكان أية رابطة ما عدا التسلط والإرهاب، وكان على علم بما يفكر به أعيان المدينة، لأنه كان طالما فلماذا يناصرونه؟ وكان يعتبر نفسه تركيا، فلماذا لا يبحثون عن بديل له منهم؟ يضاف إلى ذلك أنه خيرهم بين الوقوف معه أو تسليم نفسه للفرنسيين ولم يخبرهم بين الجهاد والاستسلام

1 - هو لويس أوغست دي بورمون (De Bourmont) ولد بفرنسا، يعد من بين العسكريين الذين شاركوا بفعالية إلى جانب نابليون سنة 1810 في حملاته ضد إيطاليا وروسيا برتبة عقيد، وقد رقي إلى رتبة لواء في سنة 1814، خدم بإخلاص وصدق أسرة البوربون التي رجعت إلى حكم فرنسا وعلى رأسها لويس 18، رقي هذه الفترة بنيل العضوية في المجلس الأعلى للتشريع بعد مساهمته في الحملة ضد إسبانيا سنة 1823، وفي سنة 1829 عين وزيرا للحربية، ثم مشيرا عند قيادته للحملة ضد الجزائر سنة 1830؛ وبعد سقوط الملك شارل 10 وتولي لويس فيليب الحكم استدعي إلى فرنسا، إلا أنه امتنع عن خدمة هذا الأخير وفضل اللجوء إلى البرتغال بعد محاولة فاشلة في إثارة غرب فرنسا ضد أسرة أورليان الحاكمة، لم يعد إلى فرنسا إلى بعد سنة 1840. يراجع كل من: G.D.E. Larousse, Tome 2, P. 1432, عبد الحميد، زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، ص. 15.

2 - علي النبيري المرالي، التونسي: العود الجزائري، تقديم وعرض أحمد عميراي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1427هـ/ 2006م، ص. 117.

3 - محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، المرجع السابق، ص. 61.

4 - وبعض الروايات ترى أنه تم احتلالها في 27 رجب 1246هـ/ 27 ديسمبر 1830م. يراجع كل من: محمد ابن عبد القادر: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج. 1، ص. 141، ابن عودة، المزاري: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19، ج. 2، ص. 89.

5 - آخر بابات وهران حكم في الفترة من 1817-1830.

6 - حمدان بن عثمان، خوجة: المرأة، المصدر السابق، ص. 220.

ولو فعل ذلك لوجدتهم كما يذكر أبو القاسم سعد الله¹. وبالتالي فبعد تسليمه مفاتيح المدينة للفرنسيين قاموا بنقله إلى الجزائر العاصمة، ومن هناك تم نفيه إلى الإسكندرية التي استقر بها حتى وافته المنية سنة 1838². أما بايلك التيطري بقيادة مصطفى بومزراق³، فإنه رغم المقاومة المستميتة التي أبدتها ضد الفرنسيين، إلا أنه سرعان ما هزم أمام الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال "كلوزيل"⁴ بشية موزاية، الذي واصل تقدمه نحو المندية وتمكن من احتلالها يوم 23 نوفمبر 1830 وولّى عليها مصطفى بن عمر⁵، الذي تم تعيينه بقرار من المجلس البلدي لمدينة الجزائر الصادر في 15 نوفمبر 1830⁶؛ خلفا للباي المخلوع مصطفى بومزراق، وللعلم أن بومزراق طلب الأمان لنفسه فأمنه الفرنسيون لكنهم سرعان ما اعتقلوه ثم أخذوه أسيرا معهم نحو الجزائر العاصمة، ومن هناك تم نفيه نحو الإسكندرية. أما في الشرق الجزائري فإن نظام الحكم العثماني ظل قائما ومستمرا بقيادة الحاج أحمد باي (ت 1580م)⁷ إلى غاية سقوط مدينة قسنطينة سنة 1837.

وعليه يمكن القول أن نفي الداي حسين وباي وهران وباي التيطري إلى جانب سقوط بعض المدن في قبضة الجيش الفرنسي، يكون قد صاحب ذلك موجة من الاضطرابات والفوضى في مختلف المجالات، فغساب الأمن والاستقرار واحتل الحابل بالنابل؛ وبخصوص هذه المسألة فإن المصادر التاريخية وضحت لنا بما فيه الكفاية الوضع الذي آل إليه الشعب الجزائري خصوصا بمنطقة الغرب الجزائري؛ وخاصة في ظل تدخل الباي التونسي ومحاولته

- 1 - الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 1، القسم الأول، م. و. ك، الجزائر، 1992، ص. 168.
- 2 - عبد القادر، بن محمد الدين: مذكرات الأمير عبد القادر، تحقيق محمد الصغير بناني ومحفوظ سمان والصالح أجنون، ط. 3، شركة دار الأمة، الجزائر، 1998، ص. 137.
- 3 - تولى قيادة المقاومة بعدما هزم إبراهيم آغا في معركة سطاوالي في 19 جوان 1830، ثم تصدى للزحف الفرنسي في سهل متيجة خاصة في نواحي بوفاريك، أعلن نفسه باشا الجزائر خليفة للداي حسين، وطلب من الحاج أحمد باي الاعتراف به لكي يرسل له القفطان فلم يرد عليه وقال للوفد -نحن سواء- والبارود هو الذي يقرر بيننا، هزم أمام الفرنسيين فأسروه ثم نفوه نحو الإسكندرية. تراجع: سعد الله، أبو القاسم: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ص. 68-70.
- 4 - هو الكونت برترون دو كلوزال، De Clauzel Comte, Bertrand (1772-1842) شغل مناصب متعددة: ضابطا في الأركان العامة للجيش الفرنسي، اشتهر بحروبه مع نابليون في إسبانيا 1810-1813، عين سنة 1827 ممثلا للنواب في مقاطعة رينال، عينته الحكومة الفرنسية خلفا للجنرال دي بورمون، وقي إلى رتبة مارشال في 1831/07/27؛ لكن تم عزله في 1831/02/20، عين حاكما عاما للجزائر 1835-1837 رتبة مارشال، فشل في معركة قسنطينة سنة 1836، تراجع كل من: أديب، حرب: التاريخ العسكري والإداري، ج. 1، ص. 203، تاريخ الجزائر 1830-1962، قرص مضغوط.
- 5 - محمد بن عبد القادر، الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج. 1، المصدر السابق، ص. 141.
- 6 - أبو القاسم، سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط. 3، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1982، ص. 68.
- 7 - هو ابن محمد الشريف خليفة حسن باي الذي تولى الحكم بعد صالح باي (ت 1792) أمه الحاجة الشريفة، ولد في حدود سنة 1786م؛ وهو كرغلي ينحدر من أسرة ابن قانة، نشأ في بيت أحواله فشب على حياة البداوة، وتعلم الفروسية. تراجع: مذكرات الحاج أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، ص. 6.

الفاشلة لفرض حمايته على مدينة وهران¹، وتدخّل السلطان المغربي ومحاولته فرض حمايته على مدينة تلمسان؛ وسنكتفي هنا بتقديم بعض المظاهر التي تعكس لنا الأوضاع التي أعقبت الاحتلال الفرنسي لكل من مدينتي الجزائر وهران، وهو ما شجع كثيرا من الجزائريين على الهجرة نحو المشرق والمغرب.

يذكر لنا صاحب التحفة بخصوص الوضع في الجزائر: «ولما استولى الفرنسيين على مدينتي الجزائر وهران وتمكن منها تفرق الناس فرقا، وسلخوا من الخلاف طرقا وفسدت السبل، فإن سكاها عرب وبربر مختلفو المسراج والهدد ومن شأن أهل البادية إثارة الفتن ليتها لهم ما اعتادوا عليه من الغزو... فترى كل فريسة يترصده فرصة للثوب على مقابلته، لاسيما وأن الحكومة الجزائرية قد أحكمت عرى هذه الضمان بينهم، ولما آل الأمر إلى ما آل إليه ازداد هيجانهم، وسري داعى الانتقام في نفوس العامة، ووقف دولاب التجارة وتعطلت الزراعة... فاشتد الأمر وكثر القتل وعظم الكرب»².

في حين يذكر لنا محمد السعيد بن محي الدين - شقيق الأمير - في أحد مخطوطاته: «فتفرق أهل الجزائر على جميع الأقطار، فمنهم من ذهب إلى تيطاون (كذا) من أرض المغرب وإلى فاس، ومنهم من ذهب إلى أرض الحجاز... فلما افتقرت دولة الأتراك بأرضنا، فسد أهلها وكثر الهرج والمرج، وصار كل قبيل يقاتل ويحارب جاره، فأفسدت الطرقات وتقطعت بهم الأسباب من حدود تونس إلى أرض وجدة»³. ولقد عبّر محمد ابن الشاهد (ت 1253هـ / 1837م)⁴ في رثائه لمدينة الجزائر بعد أن وقعت فريسة للغزو الفرنسي بقوله⁵:

ليست سواد الحزن بعد مسرة	✿	وعمت بواديك الفتون بلا حصر
رفضت بياض الحق يوما فأصبحت	✿	نواحيك تشكو بالأمانى إلى الجور
ولثم درس العلم والجهد عسعن	✿	ونادى بتعطيل العلوم على النشر

1 - Julien, Charles André: Histoire de l'Algérie contemporaine, conquête et colonisation, Tome, 1, Presse universitaire de France, 108, Boulevard Saint Germain, Paris, 1964, P-P. 68-69.

- 2 - محمد بن عبد القادر، الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج. 1، المصدر السابق، ص. 146.
- 3 - محمد السعيد، ابن محي الدين الحسني الجزائري: نبذة عن حياة الأمير عبد القادر وأسرته، مخ، م، ج، ح، ج، رقم 9. ص. 10.
- 4 - هو أبو عبد الله محمد بن الشاهد الجزائري، ولد بالجزائر سنة 1150هـ، وبها نشأ وتعلم؛ وتعتبر أصوله أندلسية؛ بدأ حياته العلمية مدرسا ومفتيا في جامع حسين ميزمورط باشا سنة 1196هـ، وحزّابا في الجامع الكبير وفي جامع علي باشا سنة 1202هـ، تولى عدة وظائف: الفتوى على مذهب الإمام مالك مرتين: الأولى سنة 1192هـ إلى سنة 1206هـ والثانية من هذه السنة إلى سنة 1207هـ. كان أديبا ماهرا وشاعرا متميزا عالما بأصول الدين والفقه والتفسير والحديث والقراءات والفرائض. ذهب إلى الحجاز وأدى فريضة الحج. فزار في طريقه كل من مصر وتونس، وبعد سنة 1830 أصبح طاعنا في السن فاقدًا للبصر فقيرا مُعدما، ولقد ظل على هذه الحالة إلى أن وافته المنية بمدينة الجزائر عن عمر ناهز 100 سنة. من آثاره: رسالته إلى ابن سحنون الموسومة بس: الشاب الظريف الناظر روض أدبه الوريث، أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الشريف. يراجع كل من: الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، ص. 150، سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 2، ص. 274، ص. 184، سعد الله، أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 1، القسم الأول، ص. 80، محمد بن عبد الكريم: حكم الهجرة الجزائرية من خلال ثلاث رسائل جزائرية، ص. 7. سعد الله، أبو القاسم: تجارب في الأدب والرحلة، ص. 109.
- 5 - أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 1، القسم الأول، المرجع السابق، ص. 80.

فأصبح فأس المهدم ينبئ بالفسد	✿	وناح على الأسس والطين حراهما
تراد عن المعيان بالشفيع والوتر	✿	أصبت بسهم من عيون سهامها
وواليت أقواما توات على ضرر	✿	نقضت عهدا بالوداد تقررت
وداسوا ديارا بالنواهي وبالأمير	✿	فجاسوا بروجا للحروب تشيدت
وفازوا بها والقلب يصلى على الجمر	✿	ونالوا من الأموال بمرامير
وكيف يطيب العيش والأنس في الكفر	✿	أموات وما تدري البسواكي بقصتي

أما حمدان خوجة فيقول بخصوص التخريب الذي طال مدينة الجزائر بعد الاحتلال: «وأن الأبواب كانت تكسر لتحرق، وسيجاجات الحديد تعلق لتباع، وكان الجنود يحفرون الأرضيات بحثا عن الكنوز الموهومة، وأحسرا فإن الأجنة والمساكن قد خربت إلى درجة أنها لم تعد صالحة لشيء»¹ ويشاطره في هذا المنحى المؤرخ الفرنسي "غابريال أسكير" بالقول: «ليس هناك مدينة في العالم قد شهدت عند احتلالها الفوضى التي شهدتها مدينة الجزائر. فقد اختفت الخلق والسلاسل والصواري والخشاب والسنانيير من الميناء، وخنعت أبواب المحلات العامة، ونهبت الأموال والأثاث والحلي والمنازل وكثر الاعتداء على الأشخاص والأعراض»².

أما أبو القاسم سعد الله فيصف لنا وقائع الاحتلال المريرة بقوله: «فلقد واجه السكان وأعيان المدينة أول صدمة وهم يشاهدون دعاة التحرير وقد أصبحوا هداة تخريب، صحيح أن بعضهم لم يصدق عينيه بعد، وأن آخرين ما يزالون تحت أثر الصدمة، ولكن ما كانوا يشاهدونه ويسمعون عنه ويعانونه كان حقيقة لا خيالا، وهي أنه لا حرية ولا أمن ولا كرامة مع هؤلاء الغزاة الشرهين»³ وسنحاول تبيين وقع هذه المأساة على سكان الجزائر العاصمة بما تحتفظ به الذاكرة الشعبية من زجل وقصائد شعبية، فهذا أحد الشعراء يدعو إلى الهجرة أو الهروب من هذا الوطن الذي أصبح في نظره مُعافا في قوله⁴:

ما بقات إلا الهرب	✿	هذا الوطن أنعاف
حتى يجي مولا النسوب	✿	سلطان من الأشراف
يفكنا من ذا الغلب	✿	ويوم من ألي يخاف.

1 - المرأة، المصدر السابق، ص. 234.

2 - أبو القاسم، سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص. 57.

3 - أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 1، القسم الأول، المرجع السابق، ص. 24.

4 - عبد الحميد، زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، م. و. ك، الجزائر، 1984، ص. 119.

كما أن هناك قصيدة في شكل أغنية شعبية نقلها لنا الألماني "فيلهلم شيمر" (1804-1878)¹، تصور لنا حقيقة الحزن الذي امتلأت به النفوس بعد الاحتلال، حين اضطر الكثير من المواطنين إلى الهجرة، كما تجسد غضب من أقام على من ارتحل². ونظرا لأهميتها أوردتها في ما يلي³:

عندما دقت الباب

رن نائحا صوت الناقوس

قلت: أين أحبائنا يا دار؟

فخف إلي طير من السماء

وهمس في حزن أليم:

أتسأل عن أحبائك؟

لقد ذهبوا... فلم الحزن؟

ألست في بلاد فيها يعيش أهلي وأحبابي؟

كلا. أنا في بلاد تمزق فيها

قلبي والتهب كالحطب

لا تكتب إليهم، أيها الكاتب

فالفراق بيني وبينهم

إذا بقيتم بعيدا عني، ي أحبائي

فسوف أقسوا عليكم في كتاباتي

سأسحق الرمل والصوان بين أسناني

سأكوم البحر فتجاننا صغيرا أضعه فوق رأسي وأدعو الله أن يلطف

قلوبكم الظالمة القاسية

كيف جرؤت أن تنشر نورك

يا يوم فراق

ها قد احترق قلبي الما

ونددت دنجلتي حزنا

فلماذا أشقيت حياتي؟

1 - رحالة وعالم، له الهام كبير بعلم النبات، زار الجزائر في شهر ديسمبر 1831؛ وأقام بها مدة حوالي 10 أشهر، أصدر كتابا صغير الحجم بعنوان: رحلة فيلهلم شيمر إلى الجزائر في سنتي 1831-1832، يراجع: أبو العيد، دودو: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855، ص. 12.

2 - أبو العيد، دودو: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855)، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1975، ص. 16.

3 - المصدر نفسه، ص. 16.

آه منه، آه من يوم الوداع يا أحبابي.

ونظرا لظول الفاجعة التي حلت بالجزائريين يكون قد بلغ صداها حتى إلى المشارق والمغرب، وبهذا الشأن عبّر الشعراء والأدباء في قصائدهم الرثائية عن ما آل إليه أمر الجزائر، فهذا أحد شعراء مدينة تطوان يتساءل بعدما وصلته أخبار هذه النكبة¹:

أحقا ما أشيع عن الجزائر ❁ وإرهاب البواطن والظواهر
لئن نزل الهوان بها وذلت ❁ فقد شمل البوادي والحواضر
وكيف يلذ في بلد مقام ❁ إذا هان الهوان على الأكابر
لئن ثبت المقال كما سمعنا ❁ فقد طاب الرحيل إلى المقابر

ونظرا لهذه النظرة التشاؤمية التطوانية؛ تكون قد بلغت الحمية الدينية بالشيخ سيدي سعيد بن إبراهيم الجزائري؛ إلى الرد على هذه القصيدة الاستفهامية بقصيدة رائية تطمينية، جاء فيها²:

هي الأفلام شظفها الخابر ❁ لتسمعك اليقين عن الجزائر
أناها ما أراد الله حينما ❁ فكانت شمس في الجزائر
إلى أن جاءها والأمر أمر ❁ ملك لا يماري في المآثر
وألبسها ثياب العز فحجرا ❁ أصبح وجهها كالبر زاهر
وانفق في سبيل الله مالا ❁ وجهز جيشا للقاء الكوافر
فجادلنا وجادلهم بمال ❁ وطعن في الصدور والحناجر
وكم رمت الحصون عليهم من ❁ صواعق لا تعرف خلال زاجر
فقل للعالم النحرير نفسي ❁ فداؤك لا تخف بالله ناصر
ولا تحزن فإن الله معنا ❁ إذا التقت العساكر بالعساكر

أما ما عرفته مدن الغرب الجزائري كوهراة وتلمسان ومعسكر فإن أثار النكبة كانت أشد وطأة ووقعا على السكان، ففي مدينة وهران وحسب ما جاء به الأغا ابن عودة المزاربي يكون قد انحلا عنها أهلها في 5 صفر 1246هـ / 27 جويلية 1830م، وتعرضت الأعراب البادية لهم في السبل لأخذ الأمتعة والإهانة هم بكل ما كان في كل مكان.

وإلى ذلك أشار العلامة الماهر السيد مسلم بن عبد القادر الحميري³، في رجزه بقوله¹:

1 - أبو حامد العربي، المشرف: الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية، مخ، نخ، ع، الرباط. رقم 1463د، ص. 202.

2 - المصدر نفسه، ص. 202.

3 - هو محمد بن مسلم الوهراني، تولى منصب خوجة للأغا ابن عودة المزاربي، ثم ارتقى إلى منصب باش كاتب لدى الباي حسن بوهران، وبعد دخول الفرنسيين وهران انتقل إلى عين تموشنت، وأقام بها إلى أن وافته المنية بعد سنة 1248هـ / 1832م. حضر المعارك التي دارت بين الجيش الفرنسي والمقاومة الجزائرية أثناء احتلالهم للمدينة، كما شارك في المشاورات التي عقدها الباي حسن مع رجال مشورته حول تسليم وهران للفرنسيين. تراجع: مسلم ابن عبد القادر: أنيس الغريب والمسافر، ص-ص. 33-36.

في خامس من صفر حان الرحيل	✿	لأهل وهران خوفا من التبديل
فَرَوَا بأنفسهم وحسَلَفُوا	✿	بما ملك الوقت عنه انخرفوا
فافترقوا شرقا وغربا ومجّوا	✿	وساحوا في كل الأوطان وعجوا
فارتكبوا وانتكبوا وانتهبوا	✿	وانتهكوا وانهمكوا وانتشبا
في يوم ذي حرّ والناس سكارى	✿	كيومهم في الخشر صاروا حيارى
فكم وكم من المتاع تركوا	✿	من عدم الظهر عليه انهمكوا
وكم وكم من الأطفال تلفوا	✿	من شدة الرجف والخوف اختلفوا
وكم وكم من الشيوخ عجّزوا	✿	عن الفرار في الفلّس تحيّرّوا
وكم وكم من غانية ما رأّت	✿	الشمس قط بالحفا قد مشيت
وكم وكم من حاضر بياديه	✿	حرمته بعد الستور باديه
وكم وكم من عالم مدرّس	✿	في مسكن من شجر معرّس.

ونستشف هذا الوضع المزري الذي عرفه الغرب الجزائري من خلال ما كتبه أعيان المنطقة إلى السلطان المغربي عبد الرحمان ابن هشام حيث شكروا له ما حلّ بهم: «كثرت الموت في كل قبيل، وانعدم الأمن على المسافر ولو بنفسه؛ فضلا عن القوافل إلى غير ذلك من أمر الفوضى والغوغا»². ويذكر الأمير عبد القادر أن الفتنة زاد خبيثها بعد رحيل قوات السلطان المغربي في المرحلة الأولى: «واضطّر الوطن بعد ذلك اضطرابا أكثر من الأول، واشتد به الهرج وانقطاع الدفاع والشقاق والتراع»³.

بينما يصف لنا أحمد الناصري السلاوي الوضع في الغرب الجزائري بعد انسحاب ممثل السلطان بقوله: «لما رجع جيش السلطان من تلمسان مع المولى علي بن سليمان... بقي أهل تلمسان فوضى ورجعت الحرب بين الحضّر من أهلها والكرغلية جذعة وهاجت الفتن بين قبائل العرب الذي هناك واختلط الحابل بالنابل»⁴. وصار الناس في هرج ومرج وحيص ويص⁵.

ويصوّر لنا الأغا ابن عودة المزابي الحالة التي وصل إليها بايلك الغرب الجزائري بعد رحيل الأتراك والمغاربية بقوله: «لما ذهب الأتراك من وهران والمغاربية من المعسكر (كذا) وتلمسان... قامت العرب على بعضها بعض في كل ناحية ومكان، وعمّت الفتنة وعظمت البلوى في أقطار المغرب الأوسط مدة من زمان... ووقع القتال ما بين

1 - ابن عودة، المزابي: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19، ج. 2، ط. 1، تحقيق ودراسة يحي بوغزير، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990، ص. 86.

2 - عبد القادر، ابن محي الدين الجزائري: مذكرات الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص. 138.

3 - المصدر نفسه، ص. 149.

4 - الاستقصا، ج. 8، المصدر السابق، ص. 51.

5 - إسماعيل، العربي: المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ط. 2، ش. و، د، ت، الجزائر، 1982، ص. 43.

الأعراب والقرى والمدون (كذا)، وصار كل واحد من رؤساء العرب يروم إرث مملكة الترك إلى أن وقع الخسلاط الكبير في البوادي والمدون (كذا)... وكثر الجزع والهرج والفرج والهرج¹.

وبخصوص الوضع الذي آل إليه المغرب الجزائري بعد رحيل قوات السلطان المغربي من المغرب الجزائري على إثر تدخلها الذي استمر من سنة 1830-1832م²، فإن الذاكرة الشعبية الجزائرية حفظت لنا الكثير من الأشعار التي قيلت حول هذا التدخل الذي لم يزد الوضع إلا سوءاً وتدهوراً، نظراً للأخطاء الفادحة التي ارتكبت في حق السكان، وهذا ما عبّر عنه أحد الشعراء بقوله³:

أها للمغرب الأوسط ضاعا	✿	وبان وهنه من به جاعا
تراكمت أهواله وزادت	✿	به الشدائد الفساد ذاعا
جاء به لحكم أهل فاس	✿	فجاسوا خلال دياره سراعاً
وحلوا وأبرموا الحكم بظلم	✿	ودبت فيه اجراء ضباعا
كأنه على التحقيق ليست	✿	به رجال قد قهروا سباعا
لا غسرو يا علووين يحلّ	✿	بكم ما بيني سعد قد شاعا
فإنهم قبلكم قد جاءوا (كذا)	✿	لمغربنا وقد ذهبوا جزاعا
رأوا من بأسنا ما ليس يرى	✿	وأسيافنا للحمهم بضاعا
بنادقنا رصاصها مصيب	✿	لمهم بكسل حالة وقعا
هزمناهم إلى فاس وزدنا	✿	في أثرهم قتلا وسبياً إيقاعا.

وفي ظل هذه الأوضاع السياسية المضطربة والأمنية غير المستقرة في المدن الجزائرية التي تعرضت للاحتلال الفرنسي لم يكن هناك خيار أمام كثير من الجزائريين سوى الهجرة خارج الوطن بحثاً عن الأمن والاستقرار وهرباً من نير الاستعمار الفرنسي؛ فهاجروا أفراداً وجماعات وقبائلاً وأسراً نحو المغرب وهذا ما سنراه في مراحل الهجرة.

2- النفي والتهجير:

استهدفت هذه السياسة في البداية العنصر التركي بالجزائر، ثم سرعان ما مست العديد من الشخصيات والعناصر الفاعلة في المجتمع الجزائري، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تعداه إلى نفي عائلات وأسرى وقبائل بأكملها خارج الوطن؛ وللعلم أن هذه السياسة قد استمرت طيلة فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر؛ ومن بين الذين ذهبوا ضحيتها في السنوات الأولى من الاحتلال نذكر ما يلي:

1 - طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19، ج. 2، المصدر السابق، ص. 93.
2 - Hamet, Ismaïl: Le gouvernement Marocain et la conquête d'Alger, présente, Ali Tablit, Thala éditions, les éditions Chihab, Alger, 1998, P-P. 20-39.
3 - طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19، ج. 2، المصدر السابق، ص. 93.

1- الداوي حسين:

على إثر توقيع علي معاهدة الاستسلام السابقة الذكر لم يتردد القائد العام للقوات الفرنسية "دي بورمون" في التوجه إلى الداوي قصد ترتيب ترحيله من الجزائر برفقة حاشيته؛ ولقد تم له ذلك يوم 10 جويلية 1830؛ عبر السفينة الفرنسية "جان دارك"¹ التي غادرت ميناء الجزائر العاصمة في حدود الساعة الرابعة بعد الزوال باتجاه ميناء ماهون، ثم جزيرة مينورقة التي مكث بها إلى غاية يوم 23 من نفس الشهر، ثم أبحرت السفينة باتجاه مدينة نسابولي التي وصلتها في أواخر شهر جويلية من نفس السنة².

2- أتراك الجزائر:

وفي اليوم الموالي لرحيل الداوي حسين تم الشروع في ترحيل أتراك مدينة الجزائر الذين كان عددهم يتراوح ما بين 300³ و5092⁴ شخص، كان من بينهم 891 طوبجي (مدفعي)، بطريقة تثير الشفقة والحزن، ولقد كسان من بينهم متزوجون وعزاب، ويبدو أن بعض المتزوجين سمح لهم في البداية بالبقاء؛ أما البقية منهم ففسد حملتهم سفن فرنسية إلى آسيا الصغرى لأن بعضهم - كما تقول الميررات - كانوا قد ولدوا هناك، كما أنهم هم الذين طلبوا ترحيلهم إلى أناضوليا؛ وقرر لهم "دي بورمون" أجرة شهرية من مال الخزينة الجزائرية دون طلب منه⁵.

وحسب ما ذكره محمد ابن عبد القادر: «إن الفرنسيين يكونوا قد وضعوا العزاب منهم في سفن حماتهم إلى أزمير؛ ثم حملوا حوالي ألف متزوج منهم أيضا إلى نفس المكان، وقد هاجر بعضهم الآخر طوعا إلى المشرق، ولقد رخصوا للأغنياء منهم في الإقامة بالجزائر ريشما يبيعون عقاراتهم وأمتعتهم، وبعد فراغهم من أئقائهم، حملهم القائد العمومي العام إلى جهات مختلفة»⁶. وللعلم أن الحاج أحمد باي قد اصطحب معه نسبة كبيرة من أتراك مدينة الجزائر أثناء عودته إلى مدينة فسنطينة والبالغ عددهم حوالي 1600 شخص⁷.

1 - جان دارك (Jeanne, D'arc) (1412-1431): بطلة فرنسية، تصدت للإنجليز وردتهم عن حصار أورليان سنة 1429، قبض عليها وأحرقت في روان. يراجع: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 196.

2 - محمد السعيد، قاصري: "موقف السلطان المغربي من الداوي حسين عقب الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830"، منتدى الأستاذ، ع. 3، المدرسة العليا للأساتذة بقسنطينة، د. م. ج، فسنطينة، أفريل 2007، ص. 148.

3 - محمد، ابن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج. 1، المصدر السابق، ص. 138.

4 - أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية للجزائرية، ج. 1، القسم الأول، المرجع السابق، ص. 19.

5 - المرجع نفسه، ص. 19.

6 - تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبيد القادر، ج. 1، المصدر السابق، ص. 138.

7 - مذكرات الحاج أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، ترجمة محمد العربي الزبير، ط. 2، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1981، ص. 16. ويذكر أحمد باي في مذكراته أن هذا العدد المذكور كان من بينه 400 فارس قد رافقوه إلى الجزائر العاصمة أثناء تأديته للأزمة قبل نزول الفرنسيين بسيدي فرج. وبالتالي يصبح عدد الأتراك الذين رافقوه حوالي 1200 تركي.

3- أعيان مدينة الجزائر:

فإلى جانب العنصر التركي الذي تم نفيه أقدمت سلطات الاحتلال على نفي وتكجير كثير من الشخصيات الجزائرية الفاعلة، التي رأت فيها عامل تشويش على مستقبل وجودها في الجزائر، ومن بين أهم الشخصيات التي راحت ضحية هذه السياسة في السنوات الأولى من الاحتلال نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

- محمد ابن العنابي (ت 1267هـ / 1851م)¹:

نظرا لجرأته وهجته الحادة في مخاطبة السلطات الفرنسية ونقده اللاذع لخرقهم للاتفاق الموقع بين السدائي حسين باشا والكونت "دي بورمون" من خلال كتاباته ورسائله التي تحمل اللوم والعتاب إلى الجنرال "كلوزيل"، يكون هذا الأخير قد ضاق به ذرعا، فراح يترصد خطواته وحركاته وسكناته حتى دبر له مؤامرة² مفادها التحريض ضد الوجود الفرنسي والعمل على إعادة الحكم العثماني إلى الجزائر؛ فتم على إثرها إلقاء القبض عليه وسجنه ثم نفيه هو وأسرته من الجزائر نحو الإسكندرية. حيث حمل معه بعض كتبه وهي لا تزال إلى الآن تحمّل حتمه وخطئه³؛ وتولى بمصر خطة الإفتاء وكان يعرف بمفتي السادة الخفية بئر الإسكندرية⁴؛ وظل علسي ذلك المنصب حتى وفاته المنية بها، وقد قيل أن أسرة ابن العنابي ما زالت بالإسكندرية إلى اليوم وتُعرف باسم الجزائري⁵.

- المفتي مصطفى ابن الكياطي⁶، وولده وابن أخيه في حدود شهر ماي 1843، فحُمّلوا على ظهر باخرة إلى مرسيليا تمهيدا لنقلهم منها إلى منقاهم الأخير بجزيرة سانت مارغريت 1843، ومع أول شهر يونيو نزلوا

1 - هو أبو عبد الله الحاج محمد بن حسين المعروف بابن العنابي، ولد بالجزائر العاصمة سنة 1189هـ / 1775م. تولى عدة وظائف منها: الإفتاء، القضاء الخفي على عهد الداوي أحمد باشا (1220هـ / 1805م)، وفي عهد الداوي عمر باشا (1230-1814هـ / 1816م) تقلد وظيفة نقيب أوقاف مكة والمدينة، وقاضي الخفية في عهد الداوي حسين باشا، ولقد أرسله الداوي عمر باشا في مهمة إلى المغرب الأقصى سنة 1816م، لطلب المعونة العسكرية من السلطان سليمان؛ كما قام بسفارة أخرى إلى اسطنبول سنة 1232هـ لنفس الغرض؛ يعتبر من المجددين ودعاة الإصلاح الاجتماعي والسياسي في العالم الإسلامي؛ من آثاره: السعي المحمود في نظام الجنود الذي ألفه بمصر سنة 1242هـ، شرح الدر المختار، العزيز في علم التوحيد. يراجع كل من: عبد الرحمان، الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج. 4، ص-ص. 131-144، عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 245، سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص 294، ابن العنابي: السعي المحمود في نظام الجنود، ص. 6.

2 - حمدان بن عثمان، خوجة: المرأة ص. 260.

3 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، المرجع السابق، ص. 302.

4 - عبد الرحمان، الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج. 4، المرجع السابق، ص. 141.

5 - المرجع نفسه، ص. 141.

6 - ولد بالجزائر العاصمة في شهر شوال 1189هـ، ينحدر من أسرة أندلسية، نشأ وتعلم بالجزائر على يد كثير من الشيوخ مثل علي بن قنور المعروف بابن الأمين وعلي المناجلاقي، ومحمد بن موسى... الخ، ثم انتقل إلى فاس وتلمذ على يد محمد الزرواري الفاسي بجامع القرويين، وبه أتمى تعليمه المنقول والمعقول سنة 1227هـ، ثم انتقل إلى الإسكندرية وتلمذ على الشيخ محمد الرضوي البخاري؛ تولى عدة مناصب منها: التدريس في الجامع الأعظم-الكبير- سنة 1240هـ، ويبدو أنه مارسه قبل ذلك في حدود سنة 1227هـ، وكان يدرس الفقه والحديث والنحو والمنطق وبعض المتون، ومن تلاميذه بالجزائر: حمودة العمالي (ت

بمرسيليا، ويبدو أن المراسلات التي دارت بين المصالح الفرنسية حول توجيهه الوجهة التي كان يريد لها؛ فقد تم ترحيله إلى الإسكندرية¹، على متن باخرة تابعة لشركة المشرق كانت متوجهة نحو الإسكندرية، وكان يرافقه فيها ابنه وابن أخيه أحمد بن عاشور، وكان وصولهم إليها يوم 24/06/1843، حيث التقى برفيقه في المخنة محمد ابن العنابي².

وللعلم أن محمد علي باشا والي مصر آنذاك، استقبلهم بخفاوة كبيرة، ورتب للكبابطي راتباً شهرياً معتبراً لمساعدته على ظروف الدهر³. فأقام بالإسكندرية مشغولاً برواية الحديث، والفتوى على المذهب المالكي، وظل بالإسكندرية حوالي 18 سنة، ولما عجز عن الخروج إلى جامع ترابنة لرواية الحديث، اعتكف في داره ابتداءً من سنة 1270هـ، ولكنه تمسك برواية الحديث في بيته لمن حضر إليه، إلى أن وافته المنية سنة 1277هـ⁴. هذا إلى جانب نفي باي التيطري مصطفى بومزراق وعدد هائل من الجزائريين الذين لا يسعنا المقام لذكرهم.

- مصطفى بومزراق باي التيطري وعدد هائل من الجزائريين خارج وطنهم.
- أما في عهد الدوق "دور فيتو"⁵ فلقد تم نفي أحمد بوضربة وجماعته الذين باتوا يشكلون خطراً كبيراً على الوجود الفرنسي بالجزائر؛ لذلك قرروا التخلص منهم بشتى الطرق والوسائل، فسجن بعضهم وأبعد البعض الآخر من مدينة الجزائر. وهكذا تم نفي عدد هائل من الجزائريين: بوضربة، وابن أمين السكة، وابن عمر، وحمدان خوجة، وإبراهيم بن مصطفى باشا⁶. هذا إلى جانب مجموعة من الشخصيات الأخرى التي من بينها⁷:
- الحاج حسن بن حمدان خوجة برفقة عائلته إلى الإسكندرية.
- علي بوراده تم نفيه برفقة عائلته نحو الإسكندرية.

1273هـ)، ومصطفى الحرار، وعبد الرحمان الإمام (ت 1292هـ)، أما بالمغرب: أحمد بن الطالب ابن سوادة المرزي. وفي سنة 1243 يكون قد تولى القضاء على المذهب المالكي بتعيين من الداوي حسين باشا وظل في هذا المنصب إلى ما بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر؛ إلى أن تم نفيه. يراجع كل من: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 2، ص-ص. 14-33، عبد الحميد، بيك: أعيان من المشاركة والمغاربة، ص-ص. 212-216.

1 - عبد الحميد، بيك: أعيان من المشاركة والمغاربة، تقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000، ص. 213.

2 - أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 2، م، و، ك، الجزائر، 1986، ص. 30.

3 - المرجع نفسه، ص. 30.

4 - المرجع نفسه، ص. 31.

5 - تم تعيينه خلفاً للجنرال "برترين" أواخر شهر ديسمبر 1831، تميز بحمقه وكرهيته للجزائريين، وهو ما تجلّى في تصرفاته، تولى منصب القائد العام لقتل احتلال إفريقية، عزلته الحكومة الفرنسية واستبدلته بالجنرال "فوارول"، بعد إصابته بمرض سرطان اللسان؛ الذي توفي على إثره في شهر جوان 1833.

يراجع: سعد الله، أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 1، القسم الأول، ص. 50.

6 - أبو القاسم، سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، المرجع السابق، ص. 77.

7 - أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 1، القسم الأول، المرجع السابق، ص. 120.

- الحاج محمد خوجة تم نفيه إلى تونس.
 - محمد أحمد مكوار - قيل أنه مغربي مراكشي - تم نفيه هو وابنه.
 - حمودة الفقون وأخيه من قسنطينة إلى الإسكندرية بحجة التآمر على الفرنسيين.
- 3- الإبادة الجماعية:

منذ اللحظات الأولى للاحتلال لم يتوان الجيش الفرنسي في ارتكاب أبشع المجازر ضد السكان العزل، ويبدو ذلك من خلال الشعارات التي رفعتها هذه الحرب ضد الجزائريين: التهذنة، الأرض المحروقة، السيف والمحرث، التطهير... الخ؛ والغاية من كل هذا هو القضاء على الشعب الجزائري وإبادته بل وطرده وتمجيده؛ ناهيك عن الأوضاع الاقتصادية المتدهورة والاجتماعية المنهارة التي كان يعاني منها الشعب الجزائري؛ الأمر الذي أحسب مختلف شرائح المجتمع الجزائري على الهجرة، وسأكتفي بالإشارة إلى بعض هذه الممارسات البشعة في ما يلي:

- مذبح قبيلة العوفية¹:

ارتكب هذه المجزرة البشعة الجنرال "دو ريفقو"، مجزرة تصف لنا المصادر والمراجع وقائعها على النحو الموالي: «هجمت سارية في الصباح الباكر على قبيلة الأوفياء وفاجأهم وهم نائمون في خيامهم وذبحهم دون أن يفكر أحد في اللوذ عن نفسه، كل من كان حيا كان مصيره الموت دون ما تمييز بين الصغير والكبير، والذكر والأنثى؛ وبعد العودة من تلك الملحمة الفظيعة كان فرساننا حاملين رؤوسا في أعالي رماحهم»². ولقد تمت محاكمة شيخها محاكمة صورية فأعدم وقطعت رأسه وحملت هدية إلى الدوق "دو ريفقو" الذي قام بدوره بالتبرع برأسه ورأس أحد أفراد قبيلته إلى الطبيب "بونافون" لإجراء تجربة علمية عليها³، ولقد اتضح فيما بعد للفرنسيين أن هذه القبيلة كانت بريئة من التهمة التي نسبت إليها⁴.

وسنحاول هنا تقديم نماذج لبعض تصريحات وتقارير الضباط والجنود الفرنسيين حول كثير من المجازر البشعة التي ارتكبوها في حق السكان، ومن بينها نذكر:

- تصريح القبطان "دي ومبفن De Wempfen" في مراسلاته العسكرية: «قضينا أربع وستين يوما كنا نجوب خلالها نواحي الأصنام واستطعنا أن ندمر وأن نخضع جميع القبائل الثائرة، ولكن بدا لي مما رأيت أنما لا تطيع أوامرنا إلا بالقوة... إذ ما كانت طوابيرنا تبعد عن ميدان المعركة بعد أن أتلقت الحصاد وقطعت الآلاف من الأشجار وأحرقت الدواوير وفتكت بالعرب، ما كادت تبعد حتى استجمع العدو قوته فأباد مفرزة من جيشنا

- 1 - قبيلة العوفية فرع من عرش عريب، أصلها من عين بسام وكانت تقطن في طريق الفندق غير بعيد عن مفترق طرق العلمة. يراجع: سعد الله، أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 1، القسم الأول، ص. 192.
- 2 - مصلحة الدراسات في المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954: "من جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر"، المصادر، ع، 5، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية الثورة التحريرية، صيف 1422هـ/ 2001م، ص. 205.
- 3 - المرجع نفسه، ص. 205.
- 4 - أبو العيد، دودو: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855)، المرجع السابق، ص. 19.

بقيت متخلّفة في نواحي الأصنام... ومررت ثانية بالدواوير التي أحرقناها فما وجدت فيها أية محاولة تبذل لبناء ما هدمناه»¹.

- تقرير الكولونيل "فوري" Forey: «لم أرى في حياتي ولم يخطر ببالي أن أرى ما رأيته من تجمعات سكانية في جبال بني بوغيش وبني بومالك... إذ أننا دمرنا تدميرا كاملا جميع القرى والأشجار والحقول، والخسائر التي ألحقها طابورنا بأولئك السكان لا تُقدّر؛ وإذا تساءل البعض: هل كان عملنا خيرا أو شرا؟ فإني أجيبهم بأن هذه هي الطريقة الوحيدة لإخضاع السكان وحملهم على الرحيل»².

- تقرير الكومندان "ويسني" المؤرخ في سنة 1841، الذي يتحدث فيه عن حملته في جنسوب مقاطعة الجزائر: «إن عدد الدوائر التي أحقرت والمحاصيل الزراعية التي أتلفت لا يكاد يصدق، فلم يكن أحدا يرى على الجناين من الطابور سوى النيران»³.

- تقرير الضابط "ليو" المؤرخ في سنة 1843 الذي ضمنه احتجاجه ومعارضته لسياسة التخريب والتدمير التي يقوم بها الجيش الفرنسي في الجزائر؛ عندما كان بنواحي شرشال والذي جاء فيه: «لقد هدمت الكثير من الدواوير وأزيلت من الوجود قرى بكاملها بعد إشعال النيران فيها، وقطعت عدة آلاف من أشجار التين والزيتون وغيرها، وأنا لا أرى من مبرر لهذا النوع الأخير من التخريب، خاصة إذا كنا نريد حقا أن نحتل البلاد»⁴.

- اعتراف الرائد "مونتنيك" المؤرخ في سنة 1843 بجريمة قطع رؤوس العرب لاعتقاده أن العرب بدءا من خمسة عشر سنة يجب أن يقتلوا، وباعتبار آخر: «يجب أن نبعد كل من يرفض الزحف كالكلاب عند أرحلنا»⁵، وفي هذا الصدد كتب لأحد أصدقائه: «تطلب مني ماذا كنا نفعل بالنساء؟ كنا نحفظ ببعضهن كرهائن، بينما كنا نقايض أخريات بأحصنة وبيع ما تبقى منهن في المزارد العلني كقطيع غنم»⁶.

ويقول في موضع آخر: «هذه هي طريقتنا في الحرب ضد العرب يا صديقي... قتل الرجال وأخذ النساء والأطفال ووضعهم في بواحر ونفيهم إلى جزر الماركيز البولينية باختصار: القضاء على كل من يرفض الركوع تحت أقدامنا كالكلاب»⁷. ثم يواصل حديثه في نفس الشأن قائلا: «لقد أحصينا القتلى من النساء والأطفال

1 - مصطفى، الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة حنفي بن عيسى، م، و، ك، الجزائر، 1983، ص. 83-84.

2 - المرجع نفسه، ص. 85.

3 - المرجع نفسه، ص. 108.

4 - المرجع نفسه، ص. 110.

5 - مصلحة الدراسات في المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954: "من جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر"، المصادر، ع، 5، المرجع السابق، ص. 205.

6 - المرجع نفسه، ص. 205.

7 - المرجع نفسه، ص. 206.

فوجدناهم ألفين وثلاثمائة، أما عدد الجرحى فلا يكاد يذكر لسبب بسيط هو أننا لم نكن نترك جرحاهم على قيد الحياة»¹.

- اعتراف الجنرال "كافينيك" المؤرخ في سنة 1844 حول إبادة قبيلة بني صبيح: «لقد تولى الأجناد جمع كميات هائلة من أنواع الحطب ثم كدسوها عند مدخل المغارة التي حملنا قبيلة بني صبيح على اللجوء إليها بكل ما تملك من متاع وحيوانات، وفي المساء أضرمت النيران وأخذت الاحتياطات كي لا يتمكن أيا كان من الخروج حيا»².

أما الناجون من فرن "كافينيك" الذين كانوا خارج القبيلة فقد تولى العقيد "كانروبار Conrobert" جمعهم بعد حوالي عام من حرق أهاليهم، ثم قادهم مقيدين إلى مغارة ثانية وأمر ببناء جميع مخارجها ليحجز منسها على حد تعبيره مقبرة واسعة لإيواء جثث أولئك المتزمتين، ويقول بخصوص هذه المغارة: «لم ينزل أحد غيري إلى تلك المغارة ولا يعرف أحد غيري أنها تضم تحت ركامها خمسمائة من الأشرار الذين لم يقوموا بعد ذلك بسذبح الفرنسيين»³. وفي تعليقه على هذه الجريمة البشعة قال السيد "برار Bérard": «لقد ظلت تلك المقبرة مغلقة وبداخلها جثث رجال ونساء وأطفال وقطعان تتأكل أو يأكلها التراب»⁴.

- تقرير اللجنة البرلمانية الفرنسية المؤرخ في سنة 1844⁵، حول الوضع العام في الجزائر، حيث جاء فيه ما يلي: «لقد أضفنا على الأملاك العامة المنشآت الدينية وحجزنا أملاك فئات من السكان سبق وأن وعدناهم بالاحترام، وشرعنا في ممارسة قوتنا في أخذ سلفة إجبارية تقدر بـ 100 ألف فرنك فرنسي، واستولينا على الأملاك الخاصة دون تعويض وأحيانا ذهبنا إلى أبعد من ذلك فأحرقنا المصاين على دفع ثمن تخريب ديارهم وشمس هذا حتى المساجد، إننا لم نحترم المنشآت الدينية ولا المقابر، لقد قمنا أناسا يحملون رخص المرور، وذبحنا الجسد ثمة جماهير بأكملها ظهر في الأخير أنها بريئة»⁶.

ومن دون شك أن هذه الأعمال الإجرامية البشعة في حق الشعب الجزائري، كانت تهدف إلى شيء واحد وهو إبادة جماعية، لتحقيق ثلاث أهداف جوهرية: ضمان الأمن والاستقرار للوجود الفرنسي، والقضاء على المقاومة الشعبية المسلحة، وتشجيع حركة الاستيطان الأوربي في الجزائر. ومقابل هذا فلقد كان لهذه السياسة أثر كبير في تراجع عدد السكان في الجزائر بشكل رهيب جدا؛ وهذا ما سنعبر عنه الإحصائيات والمعطيات الآتية:

1 - المرجع نفسه، ص. 206.

2 - المرجع نفسه، ص. 206.

3 - المرجع نفسه، ص. 206.

4 - المرجع نفسه، ص. 206.

5 - ذكر هذا المؤلف أن هذه اللجنة تشكلت بطلب من وفد كان قد ترأسه حمدان خوجة، وللعلم أن هذا الأخير قد توفي قبل

سنة 1841؛ يراجع: حميدة، عميراي؛ دور حمدان بن عثمان خوجة في تطور القضية الجزائرية 1827-1840، ص. 61.

6 - سعدي، بزبان: جرائم فرنسا في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2002، ص. 22.

من خلال الإحصائية التي قدمها حمدان خوجة حول عدد سكان الجزائر والتي قدرها بحوالي 10 ملايين نسمة¹ سنة 1830، فإن هذا العدد تراجع بشكل كبير جدا؛ ليصل إلى حدود 2.3 مليون نسمة سنة 1856²؛ ورغم التضارب الحاصل حول عدد سكان الجزائر فإنه يمكن القول أن الجزائر قد خسرت نصف سكانها في ظرف أربعين سنة³. وبخصوص عدد سكان الجزائر فإن الجنرال "بيجو" قدر في شهر نوفمبر 1844 عدد السكان ذوي الأصل الجزائري بـ 5 ملايين، وأضاف ربما ستة، ثم في شهر جانفي 1855 أعطى أمام مجلس النواب رقما آخر هو 4 ملايين⁴.

ويذكر مصطفى الأشرف: « إن هذا الرقم قد انخفض انخفاضا كبيرا فيما بعد نتيجة لتكرار أعمال الإساءة الجماعية وكثرة الوفيات بسبب حصار التجويع، وبقاء الأراضي بورا بسبب نزوح السكان ونفيهم، فضلا عن الأوبئة الناجمة عن الحرب المتواصلة والأشغال الشاقة والمعارك الفتاكة، وقد تصدى بعضهم من ذوي النوايا السيئة للرد على ما ذهب إليه "ميشيل هاربار"، فاستغربوا كيف يمكن للفرنسيين أن يقتلوا ابن الاحتلال عدة ملايين من الجزائريين، والحقيقة أن هؤلاء يتظاهرون بالجهل، لأنهم لا يعرفون تمام المعرفة بأن حربا كالتى عرفتها الجزائر امتدادا وضراوة، لا تقتل بالحديد والنار فحسب، فالجتمتع الذي لا يموت بالسيف يموت بغيره»⁵.

ولتأكيد مدى حسامة هذه الخسائر البشرية، سنكتفي بتقديم نموذج حي عن سكان مدينة وهران، التي رحل عنها سنة 1831 جميع سكانها وعددهم حوالي أربعين ألف؛ انخفض هذا العدد إلى حوالي ألف نسمة في 1838، و2120 نسمة في 1845، و2895 نسمة في 1861، وهكذا فلم يزد عدد سكانها الأصليين إلا بـ 775 نسمة، وقد استخلص "أوغسطين بيرك" من هذه الأرقام التي استقاها من مصدر وثيق فقال: «هذه هي وهران: مدينة كل سكانها المسلمين جدد، وليس بينهم من كان يعيش فيها من قبل»⁶.

وهكذا فلم يبق في المدن التي دخلها الجيش الفرنسي إلا الخراب والدمار، بل وجدنا نخالية مسن سكانها كشرشال والمدينة ومعسكر ومليانة وتنس.. الخ، وبلغ عدد المهاجرين من الجزائر وتلمسان وقسنطينة ثلث سكانها⁷ نحو دول المشرق العربي، ولقد كان المغرب الأقصى هو الآخر ملجأ ومستقرا للعشرات من المهاجرين الجزائريين كما سنرى في موجات الهجرة.

1 - المرأة، المصدر السابق، ص. 51.

2 - صالح، عباد: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، المرجع السابق، ص. 354.

3 - عبد الله، العروي: مجمل تاريخ المغرب، ج. 3، ط. 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1999، ص. 130.

4 - مصطفى، الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع، المرجع السابق، ص. 287.

5 - المرجع نفسه، ص. 287.

6 - المرجع نفسه، ص. 229.

7 - أندري، نوشي وآخرون: الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطنبولي رابع ومنصف عاشور، موفم، الجزائر، 1984، ص. 294-295.

الفصل الثاني

العوامل الاقتصادية والاجتماعية.

● مصادرة الأراضي و الممتلكات.

● فرض الضرائب والغرامات.

● العوامل الاجتماعية.

لم تكن الإدارة الاستعمارية بالنفي والتهجير والإبادة الجماعية للشعب الجزائري، بل نجدها قد مارست نوعاً آخر من الاستعمار ألا وهو الاستعمار الاقتصادي والذي كانت تسعى من ورائه إلى تدمير البنية التحتية الاقتصادية للجزائر، وهذا ما يتجلى لنا في القوانين والإجراءات التعسفية والردعية التي تمت في هذا الشأن، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى فلقد كان لهذه السياسة الاقتصادية وقع كبير على كاهل السكان الذين لم يجدوا بُداً من الهجرة خارج وطنهم، وسنحاول التعرف على مظاهر هذه السياسة الاستعمارية الاقتصادية ضمن العناصر الآتية:

1- مصادرة الأراضي والممتلكات:

تبرز هذه المصادرة من خلال العديد من المراسيم والقوانين التي أصدرت بهذا الشأن، والتي من أهمها:

- القرار المؤرخ في 18/09/1830، الذي أصدره الجنرال "كلوزيل" بشأن أملاك الجزائريين، حيث جاء فيه: «إن كل الدور والدكاكين والمخازن والحدايق والأراضي والمحلات والمؤسسات مهما كانت، التي كانت يشغلها الداي والبايات والأنتراك الذين خرجوا من إيالة الجزائر أو التي يشغلها الآن أناس باسمهم، بالإضافة إلى المؤسسات التابعة لمكة والمدينة؛ كل ذلك يدخل في أملاك الدولة، ويجب أن تستثمر لحسابها»¹. مع العلم أن الأملاك كانت مصنفة سنة 1830 على النحو الموالي:

- 1- أملاك البايك: والمقدرة بـ 5000 ملكية وقيمتها المالية بـ 4000 فرنك فرنسي².
- 2- أملاك بيت المال: قيمتها غير معروفة.
- 3- الأموال الخاصة: وتشمل العقار وغيره، وهي الأملاك التي يملكها الأفراد سواء كانوا حاضرين أو غائبين، وقيمتها هي الأخرى غير معروفة.
- 4- أملاك الأوقاف: وتشمل سبعة أنواع: أوقاف مكة والمدينة، وأوقاف المساجد، وأوقاف الزوايا والقباب، وأوقاف الأندلس، وأوقاف الأشراف، وأوقاف الإنكشارية، وأوقاف الطرق العامة، وأوقاف عمير الماء³.

وعليه فإن كل ما تمت مصادرته كان القصد منه تكوين أملاك الدولة تحت اسم "الدومين Domain"، وقد كان ذلك دافعا قويا في هجرة الجزائريين، لدرجة نجد خلالها أن أحد أدياء مدينة قسنطينة راح يعني الهجرة بقوله⁴:

يا أهل بلد الهوى ضعوا رحالكم فما الرحيل عنها إلا من الغلظ

- المرسوم المؤرخ في 07/12/1830 الذي أصدره الجنرال "كلوزيل" وتم بموجبه تحويل حق امتلاك الأوقاف للأوربيين، وذلك بتوجيه من السيد "فورجرو Furgerou"-مفتش المالية- والسيد "فونلاند"-مقتصد

1 - أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 1، القسم الأول، المرجع السابق، ص. 68.

2 - المرجع نفسه، ص. 66-67.

3 - المرجع نفسه، ص. 66-67.

4 - المرجع نفسه، ص. 314.

في الجيش الفرنسي-، حيث طلب هذا المرسوم من القضاة والمفتين والوكلاء تقديم حساباتهم عن الأوقاف وسجلاتهم إلى مدير الدومين، مهددا المخالفين منهم بالعقاب الشديد؛ مقابل أن تدفع لهم إدارة الدومين من حساب الأوقاف ما يحتاجونه كل شهر، وقد نص هذا المرسوم على ثمانية بنود رئيسية¹، وبالتالي فإن هذه القوانين وغيرها كانت بمثابة ضربة قاضية للوقف الإسلامي بالجزائر بعد الاحتلال الفرنسي².

- تقرير اللجنة الاستطلاعية التي بعث بها "لويس فيليب" إلى الجزائر في 1833/07/07 حيث جاء فيه: «ضممنا إلى أملاك الدولة سائر العقارات التي كانت من أملاك الأوقاف، واستولينا على أملاك طبقة من السكان كنا تعهدنا برعايتها وحمايتها... لقد انتهكنا حرمة المعاهد الدينية، ونهشنا القبور واقتحمنا المنازل التي لها حرمتها عند المسلمين»³.

- القرار المؤرخ في 1834/03/23 الذي أصدره وزير الحربية الدوق "دلماسي Dalmatie" الذي تضمن بدوره ثمانية مواد رئيسية، نصت الأولى منها على أن كل المصاريف الناتجة عن كل المؤسسات الدينية والأوقاف قد أصبحت ملحقة بالميزانية الكولونيالية⁴.

- قرار التعديل في مفهوم الملكية المؤرخ في 1839/08/29، الصادر عن الإدارة الاستعمارية حيث تم بموجبه تقسيم أملاك الدولة إلى ثلاثة أقسام:

1- الدومين الوطني.

2- الدومين الكولونيالي.

3- أصبحت الأملاك المصادرة وأملاك الوقف ضمن النوع الثاني.

- مرسوم 1844 القاضي بمصادرة أراضي الزوايا كونها تعتبر قاعدة خلفية لتموين حركة المقاومة الجزائرية. - القرار المؤرخ في 1845/10/31:

الذي أصدره المارشال "بيجو"⁵، حيث تم بموجبه تجريد كل جزائري من أرضه وممتلكاته، في حالة ما إذا شارك في المقاومة أو اتخذ موقفا عدائيا من الفرنسيين، بل سرى مفعوله على كل من ثبتت معاداته للجزائريين

1 - رابح، كتور: "أوقاف البلدة والسياسة الفرنسية في المصادرة والاستيلاء على الملكية"، حولية المؤرخ، ع. 6، دار الكرامة للطباعة والنشر، الجزائر، جويلية 2005، ص. 273. يمكن مراجعة هذه البنود في هذا المقال، ص. 273.

2 - يراجع ما كتبه عبد الرحمان الجيلالي بشأن الوقف الإسلامي في الجزائر: تاريخ الجزائر العام، ج. 3، ص. 422-446.

3 - محمد البشر الهاشمي، مغلي: "التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري ودوره المقاوم للاحتلال الفرنسي"، المصادر، سداسية، تاريخية، ع. 6، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والتوزيع. الجزائر، محرم 1423هـ/ مارس 2002م، ص. 167.

4 - رابح، كتور: "أوقاف البلدة والسياسة الفرنسية في المصادرة والاستيلاء على الملكية"، حولية المؤرخ، ع. 6، المرجع السابق، ص. 279.

5 - هو توماس روبر بيجو دولا بيكو نوري المعروف بالدوق دي زلي، ولد في 1784/10/15 بليمونج. حارب قبل مجيئه إلى الجزائر في إسبانيا، تولى الحكم في الجزائر في فترات متعددة من بينها: 1836-1837، 1841-1844، 1845-1846، أعيد للحكم سنة 1847 غير أنه سرعان ما استقال من منصبه لعدم موافقة الحكومة على مخططاته. رقي إلى رتبة مارشال في 1843/07/31، اتبع حرب الإبادة ضد الأمير. بسام، العسلي: المارشال بيجو 1784-1849، ص. 11-12.

الموالين لفرنسا، أو قدم مساعدات لأعدائها سواء من قريب أو من بعيد¹.

- المرسوم المؤرخ في 1846/07/03 القاضي بمصادرة الأراضي البور والأراضي التابعة للعرش والقبائل الرحل، كما تم فرض على كل مواطن جزائري إثبات سندات الملكية للأراضي التي يحوزتها، وتلك التي لا يستطيع أصحابها إثبات سندات بشأنها تزرع منهم لصالح ملكية الدولة الفرنسية².

- المرسوم المؤرخ في 1846/07/21 القاضي بمصادرة واغتصاب الأراضي البور والأراضي المهملة، وكذلك الأراضي العروشية التي جلا عنها أهلها مهما كانت الأسباب³.

وبناء على هذا المرسوم يكون فلقد اغتصب الأوربيون ما مقداره 54,894 هكتار من الأراضي، مقابل استيلاء الدولة على 114,721 هكتار، وخلال الفترة الممتدة بين 1851-1860 ازدهر عهد ما سمي بترحيل الجزائريين وتحريرهم وإبعادهم وإنشاء المراكز الاستيطانية في أماكنهم⁴.

- المرسوم المؤرخ في 1851/6/16 الذي تم بموجبه الاستيلاء على أراضي العرش، فرغم حق الأعراش في الملكية الجماعية للأرض، فإن الكولون مارسوا ضغوطاتهم على السلطات لكي تحدد للأعراش الأرض التي تكفيهم وتحريرهم على التنازل عن الباقي، لتسهيل محاصرتهم وإجبارهم بالتخلي تدريجياً عن أراضيهم لأنهم لم يعودوا قادرين على الحفاظ عليها وفلحها⁵. الشيء الذي يمكن اعتبار هذا المرسوم وجهاً من وجوه التأميم غير المباشر للملكية العقارية في الجزائر بصيغة شرعية، كونه منح السلطة العامة للدولة على أرض العرش⁶.

ومن خلال الرسالة⁷ التي بعث بها إمبراطور فرنسا نابليون الثالث⁸ يوم 1863/02/06 إلى المارشال

1- أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج.1، القسم الثاني، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000، ص. 29.

2- رابح، كنتور: "أوقاف البلدية والسياسة الفرنسية في المصادرة والاستيلاء على الملكية"، حولية المؤرخ، ع. 6، المرجع السابق، ص. 280.

3- أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 1، القسم الثاني، المرجع السابق، ص. 29.

4- المرجع نفسه، ص. 30.

5- المرجع نفسه، ص. 33.

6- رابح، كنتور: "أوقاف البلدية والسياسة الفرنسية في المصادرة والاستيلاء على الملكية"، حولية المؤرخ، ع. 6، المرجع السابق، ص. 282.

7- عبد الحميد، زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، المرجع السابق، ص. 153-154.

8- ولد بياريس في 1808/04/20، ترعرع بسويسرا، وتابع دارسته في أوكس بورغ، ثم التحق بالمدرسة العسكرية بتون Thoun بسويسرا، حيث تخرج برتبة ضابط في المدفعية، ففي سنة 1806 إلى البرازيل ثم عاد إلى الولايات المتحدة ومنها توجه نحو إنجلترا، وفي 1846/05/25 فر من منفاه متقمصاً شخصية بناء فرجع إلى فرنسا في فيفري 1848 بعد سقوط النظام الملكي، وفي شهر ديسمبر انتخب رئيساً للجمهورية الفرنسية لمدة أربع سنوات، قاد في ديسمبر 1852 انقلاباً ضد الجمهورية، وأعلن النظام الإمبراطوري، فسمى نفسه الإمبراطور نابليون الثالث 1852-1870. خاض الحرب ضد بروسيا في معركة سوان

"بليسيه"¹، تبين أن الجزائر تضم 14 مليون هكتار من الأراضي الزراعية، وأن الدولة الاستعمارية باتت تملك 2680000 هكتار، وبقي في أيدي الأهالي منها 2 مليون، بينما حصل الكولون على 420000 هكتار، وفي وقت كان فيه عدد السكان سنة 1863 03 ملايين نسمة من العرب و200000 أوروبي منهم 120000 فرنسي².

- قانون سناتوس كونسلت (Senatus Consult) المؤرخ في 1863/04/22م³، الذي أصدره نابليون الثالث وتم بمقتضاه تفكيك أراضي العرش لتسهيل عملية إجراء التصرفات القانونية عليها وذلك لخدمة هدفين:

- هدف مادي يتعلق بعملية انتقال الملكية من الجزائريين إلى المعمرين نظرا لاحتلال التوازن الاقتصادي بينهما.

- هدف سياسي اجتماعي من أجل القضاء على النسيج الاجتماعي والترابط العائلي السائد آنذاك⁴، قصد هيكلة الملكيات ذات الطابع الجماعي مثل أراضي العرش وتوزيع القبائل على شكل تجمعات سكانية اصطناعية سميت بالدوار لتفكيك الإطار الاجتماعي للمجتمع⁵. كما كان يهدف إلى تفتيت ملكية أراضي العرش، الشيء الذي أفضى في الأخير إلى مصادرة حوالي 1.2 مليون هكتار.

- قانون سناتوس كونسلت المؤرخ في 1865/07/14 الذي أصدره نابليون الثالث، حيث أقر بموجبه صيغة أخرى لتفكيك الأراضي مفادها⁶:

1870/09/02، أين ألقى عليه القبض، توفي في 1873/01/09. يراجع كل من: تاريخ الجزائر قرص مضغوط، بينما يرى كرم

البيستاني في: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 568 أنه تم خلع بعد هزيمته أمام بروسيا ثم اعتزل نفسه في المنعزل.

1 - ولد في 1799/11/06 بمدينة روان الفرنسية، خريج مدرسة سان سير العسكرية بتاريخ 1815/03/18، شارك في الحملة الفرنسية على الجزائر، تولى القيادة في مستغانم لمدة ثلاث سنوات ثم قيادة الجيش بوهران، شارك في معركة ايسلي 1844. كما اقرف مذبحة في حق قبيلة أولاد رياح حيث خنق أكثر من ألف شخص في غار الفراشيش بالظهرة يوم 1845/06/19 ترقى على إثرها على رتبة جنرال، عُين حاكما عاما بالنيابة من 04/23 إلى 1851/12/10، وفي 1860/11/24، تم تعيينه حاكما عاما، توفي في 1864/05/22 بالجزائر، راجع: تاريخ الجزائر قرص مضغوط.

2 - أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 2، المرجع السابق، ص. 34.

3 - يراجع بشأن هذا القانون الاستعماري المشتموم ما تعرضت له البلديات المختلطة لمنطقة جندل وما جاورها من أعراش وقبائل، والمصادرات التي تعرضت لها في المقال الموسوم بـ:

-N, Lacroix : Les groupements indigènes de la commune mixte du Djendel au moment de l'établissement du Sénatus-consulte de 1863, R. A, N° 53, Année 1909, P-P. 311-397.

4 - محمد البشير الهاشمي، مغربي: "التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري ودوره المقاوم للاحتلال الفرنسي"، المصادر، ع. 6، المرجع السابق، ص. 174.

5 - رايح، كنتور: "أوقاف البليدة والسياسة الفرنسية في المصادرة والاستيلاء على الملكية"، حولية المؤرخ، ع. 6، المرجع السابق، ص. 284.

6 - يمكن الرجوع إلى مضمون هذا القانون عند رايح، كنتور: "أوقاف البليدة والسياسة الفرنسية في المصادرة والاستيلاء على الملكية"، حولية المؤرخ، ع. 6، ص-ص. 285-287.

- 2- تفتتت الأراضي الجماعية وأراضي الشيوخ وتحويلها إلى ممتلكات استيطانية.
- 3- تحديد مساحة أراضي القبائل، ومنح الإدارة الاستعمارية لرخص حيازة هذه الأراضي لسكان الدوائر والمداشر، وذلك بعرض مختلف أنواع الملكيات للبيع والمصادرة¹.
- وعلى إثر ثورة الشيخ محمد المقراني² صادرت سلطات الاحتلال 60000 هكتار، ثم سرعان ما وزعتها على مهاجري الأتزان واللورين³، وفي السنة المالية للثورة، قررت بدورها مصادرة جميع أراضي المتمردين لفائدة الدولة والمعمرين والمقدرة بـ 2.64.000 هكتار، وعلى إثر ذلك صدر قانون "واري" في 1873/07/26 العقاري كتكملة للقرار المشيخي الصادر في سنة 1863، والمهدف الأساسي من كل هذا هو إفقار الفلاحين ومضاعفة عدد الكادحين في الأرياف⁴ ومحاولة إضفاء صبغة قانونية وتنظيمية لانتزاع الملكية الفردية من الأهالي⁵. وما تعرضت له منطقة البويرة من هب و اغتصاب للأراضي يبقى شاهدا على ذلك⁶ وهذا ما تعبر عنه المعطيات العددية للأراضي المصادرة ضمن الجدول الآتي⁷:

السنوات	المساحة المصادرة/هـ
1850	115.000
1870	765.000
1900	1682.000

- 1 - المرجع نفسه، ص. 293.
- 2 - هو محمد بن الحاج أحمد المقراني (ت1853م)، تولى منصب الباشاغا خلفا لوالده. وهو منصب أقل من منصب الخليفة الذي كان يشغله والده، ثم قلصت فرنسا من نفوذه فأصبح مجرد عضو في بلدية البرج. وبعد القرار الصادر في 1870/10/24 القاضي بإلغاء النظام العسكري والعمل بمقتضى النظام المدني استقال من منصبه واستقر في ملكيته بين عمكون، غير أن احكام العام ماكماهون رفض استقالته، فجددها في 1871/02/27، على كل من أوجورو بقسنطينة والجنرال لانان في الجزائر، فرفضوا قبولها، إلى أن المقراني أصر على استقالته، وجددها مرة أخرى في 09 مارس وأعاد إلى السلطات الاستعمارية بمدينة البرج مرتبه الشهري عن شهر فيفري، كما أعاد إلى وزارة الحرب شارة الباشاغاوية المتمثلة في البرنوس الخاص بالوظيفة وقطع صلته نهائيا بالفرنسيين، وفي 16 مارس أعلن عن الثورة لكنه سرعان ما استشهد في 05 ماي 1871. يراجع كل من: يحيى، بوغريز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص-ص 196-197، الطاهر، أوصديق: ثورة 1871، ص-ص 33-37.
- 3 - يحيى، بوغريز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، د، م، ج. الجزائر، 1985، ص. 30.
- 4 - مصطفى، الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع. المرجع السابق، ص. 73.
- 5 - يحيى، بوغريز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، المرجع السابق، ص. 30.
- 6 - Djilali, Sari: DEPOSSESSION ET RESISTANCE A BOUIRA, MAJALLAT ET- TARIKH, N° 21, Centre National D'études Historiques, Alger, 1986, p-p, 17-26.
- 7 - إبراهيم، مياشي: "الاستيطان الفرنسي في الجزائر"، المصادر، فصلية، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 54، ع. 5، الجزائر، 1422هـ/ 2001م، ص. 125.

وخلال الفترة الممتدة من سنة 1871 إلى 1882 تمت مصادرة ما مساحته 347268 هكتار، وفي الفترة الممتدة من سنة 1880 إلى سنة 1908 صادرت ما مساحته 450823 هكتار¹ في حين تم في الفترة الممتدة من 1887 إلى 1899 الاستيلاء على 957000 هكتار بصفة مجانية كانت ملكا لأكثر من 224 قبيلة لم يطبق عليه مرسوم 1863/04/22 فأصبحت ملكا للدولة. كما تم تسليم حوالي 120097 هكتار فيما بين 1891-1900 إلى مهاجرين أوروبيين؛ وبذلك يكون قد وصل مجموع ما تسلمه هؤلاء المهاجرين خلال 30 سنة 687000 هكتار أي ما بين 1871-1900².

وتوصلت في الأخير مصالح الاستيطان الأوربي إلى الحصول على حوالي مليون هكتار خلال ثلاثين سنة تقريبا وتم تملك 450823 هكتار للمستوطنين ما بين 1880-1908³، ومن بين أهم النتائج التي ترتبت عن هذه السياسة:

- 1- تفتيت وتفكيك العائلات الجزائرية الكبرى التي كانت تمثل دور القيادة الروحية والمادية في المجتمع. وتمزيق المجتمع الجزائري وتشريد أبنائه وإفقارهم⁴. ويصف لنا "شارل روبري أجرون" خطر هذه السياسة كما جاء على لسان الجنرال "بيجو": «لا يجب أن نحري وراء العرب بل يجب أن نمنعهم من أن ييذروا أرضهم أو يحصدوا محاصيلهم أو يرعوا مواشيهم»⁵.
- 2- مضاعفة حجم التدمير الاقتصادي؛ جراء الغزوات المنظمة والمستمرة كتهب مستودعات الحبوب وسلب المواشي وقطع الأشجار، ومنه تكون الأوبئة قد راحت تحصد المئات من السكان سيئي التغذية⁶.
- 3- هجرة سكان منطقة السهول الوهرانية كقبيلة هاشم في سهل غريس وبني عامر في نواحي سيدي بلعباس وعين تموشنت وأولاد رياح وبني ورنيد في ضواحي تلمسان، كلهم هجروا بلادهم ونزحوا بالآلاف إلى المغرب تاركين أراضيهم باثرة مهملة؛ وقد اعتبرت الأراضي المهجورة أملاكًا شاغرة وتفتت وضمت إلى إدارة الأملاك العمومية دون أن توزع أو تمنح فوراً، وبقيت هكذا مهملة⁷. كما أن نزاع الملكية في الإقليم الوهراني لكن

-
- 1 - شارل روبري، أجرون: "تنمية الاستيطان في الجزائر 1870-1900"، ترجمة محمد الطاهر العمودي، المصادر، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 54، ع 2، الجزائر 1420هـ/ 1999م، ص-ص. 188-189.
 - 2 - يحيى، بوعزيز: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، المرجع السابق، ص. 35.
 - 3 - المرجع نفسه، ص. 35.
 - 4 - المرجع نفسه، ص. 38.
 - 5 - تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيس عصفور، ط 2، د، م، ج. الجزائر، 1982، ص. 32.
 - 6 - المرجع نفسه، ص. 32.
 - 7 - آلندري، نوشي وآخرون: الجزائر بين الماضي والحاضر، المرجع السابق، ص. 297.

الفصل الثاني: العوامل الاقتصادية والاجتماعية
من أولاد خليفة وأولاد زعير والجاحز وأولا إبراهيم وأولاد سليمان؛ دفع بهم إلى الهجرة نحو المغرب الأقصى بعدما معاناهم من الجوع والفقر وضياح قطعان ماشيتهم¹.

4- استمرار نزع الملكية بطرق مختلفة من الفلاحين الجزائريين إلى غاية موفى القرن 19، وقد تم تقويتها وجرى الطرد المنظم للفلاحين والاستيلاء على أراضي القبائل التي هاجرت إلى المغرب الأقصى². وبخصوص هذه الهجرة فقد كانت تنحصر بالخصوص في سكان الإقليم الوهراني القريبيين من الحدود المغربية، فمن جرائها حلت السهول الممتدة بين وهران وتلك الحدود من سكانها، وكانت تلك الهجرة سببا في تناقص العمران البشري نظرا للخسائر البشرية التي تقدر بالعشرات من الآلاف³.

2- فرض الضرائب والغرامات:

- دفع الأهالي في سنة 1870 مبلغ 14 مليون فرنك فرنسي ضريبة عربية، و22 مليون ضرائب أخرى، وفي السنوات الممتدة من 1885 إلى 1890 كانوا يدفعون سنويا مبلغ 4 ملايين و8000 فرنك. منها 19 مليون ضريبة عربية، ودفعوا في عام 1912 مبلغ 45 مليون فرنك فرنسي كضرائب⁴ كما غرّمتهم الحكومة الفرنسية بحوالي 100 مليون فرنك فرنسي، وقُدّر ما فقدوه من جراء الغرامات والمصادرات بأكثر من 70.4% من مجموع أملاكهم وثرواتهم العقارية والحيوانية، وبقوا مدة أكثر من عشرين عاما يدفعون هذه الغرامات حتى دمروا تماما وتحولوا إلى مجتمع فقير معدم متشرد⁵.

- قانون الأهالي الذي صدر في 1881/06/28.

3- العوامل الاجتماعية:

لقد أفرزت السياسة الاستعمارية، على المستوى الاقتصادي، عدة انعكاسات سلبية على المجتمع الجزائري؛ وفي ظل استمرار تنفيذ هذه السياسة تكون الجزائر قد تعرضت إلى عدة هزات اجتماعية أثقلت كاهل الشعب الجزائري، ومن بينها موجات الجفاف والقحط والجوائح الطبيعية وموجات الجراد الذي كان يأتي على الأحضر واليابس؛ الشيء الذي أدى في الأخير إلى الهيار المجتمع الجزائري، وظهور كثير من الآفات الاجتماعية الخطيرة كالبطالة والفقر والجوع والللصوصية، وانتشار الأوبئة كالطاعون والكوليرا والحمى وغيرها، وهو ما دفع بالجزائريين إلى الهجرة بحثا عن أماكن استقرار لهم في البلدان التي هاجروا إليها؛ ويمكننا توضيح جوانب هذه الاضطرابات الاجتماعية ضمن المحطات التاريخية الآتية:

1 - أحمد حسين، السليمان: "نزع الملكية العقارية للجزائريين 1830-1871"، المصادر، ع. 6، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، محرم 1423هـ/ مارس 2002م، ص. 118.

2- المرجع نفسه، ص. 122.

3 - أندري، نوشي وآخرون: الجزائر بين الماضي والحاضر، المرجع السابق، ص. 299.

4 - يحيى، بوغزير: سياسة التسلط الاستعماري، المرجع السابق، ص. 41.

5 - المرجع نفسه، ص. 30.

- خلال سنة 1835 وبعد انتصار الأمير عبد القادر في معركة وادي المقطع¹ على الجنرال "تريزيل"² يوم 28 جوان 1835، ضرب داء الكوليرا منطقة المغرب الجزائري؛ كما انتشر في أوساط الجيش الفرنسي وفي جيش الأمير نفسه، فمات منه كثير من السكان وهذا ما جاء على لسان الأمير: «وفي هذه الأيام جاء الوباء المسمى بالريح فمات به كثير من الخلق، وقتل الخليفة المذكور ابن عربي»³، ثم يواصل الحديث عن شدة وقع هذا الوباء الخطير وفتكه بقوله: «فبيتنا محلتنا في أعبال وإذا بالوباء أضرب وأوقع فينا قتلا ذريعا، فرجعنا والناس يتساقطون في الطريق تساقط الفراش»⁴.

ويحدثنا عن هذا الوباء الخطير الأسير الألماني "يوهان كارل بيرنت"⁵ الذي كان شاهد عيان على ذلك: «وقد اجتاحت الطاعون في صيف السنة المذكورة -1835- شمال إفريقيا كلها، فأدى ذلك، إضافة إلى حرارة الفصل بشكل عام، إلى قيام هدنة مؤقتة غير مقصودة بين الطرفين»⁶، كما يحدثنا عن وفاة زميله الذي كان يرفقته، وأن الأمير كان يصدد تجهيز حملة عسكرية على العاصمة الجزائرية إلا أن انتشار هذا الوباء حال دون نجاح مسعاه ويقول بهذا الشأن: «وكان الطاعون منتشرا في البلاد كلها، واجتاح فيما قبل لنا الجزائر أيضا، وذلك ما جعل الأمير يتراجع عن جمع جيشه وقيادته للقيام بحملة عليها بعد معركة المقطع»⁷.

1 - يراجع كل من: أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 1، القسم الأول، ص. 53، إسماعيل، العربي: المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ص. 94.

2 - ولد بباريس في 5 / 1 / 1780؛ ولما بلغ سن 25 انخرط في الجيش الفرنسي، ونظرا لمهارته العسكرية تم ترقية إلى عدة رتب عسكرية، عُيِّن على إثرها قائدا عاما للجيش الفرنسي في وهران سنة 1835 خلفا للجنرال دي ميشال، انخرط في معركة المقطع سنة 1835، فاستدعته الحكومة الفرنسية إلى باريس؛ تم تعيينه وزيرا للحرية سنة 1847؛ وبعد ثورة 1848 بفرنسا أُحيل على التقاعد، توفي بباريس في 11 أبريل 1860. يراجع: مذكرات الأمير عبد القادر، ص. 117.

3 - مذكرات الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص. 151.

4 - المصدر نفسه، ص. 152.

5 - ولد في سنة 1812، درس وتعلم بمسقط رأسه، وأثناء مرحلته الجامعية وقعت له مشادة عنيفة بجامعة هاله بألمانيا في سنة 1833، أدخل على إثرها السجن؛ وبعد إطلاق سراحه انخرط سنة 1834 في الفرقة الأجنبية العاملة بالجزائر، وبعد تلقيه التدريبات اللازمة التحق بها في سنة 1835، فتم وضعه في الصفوف الأمامية للفرقة بيوفاريك، وأثناء قيامه بحولة تفقدية رفقة أحد زملائه خارج مركز الفرقة تعرض للاختطاف من طرف مسلحين جزائريين، وأصبح منذ ذلك الوقت أسيرا ضمن أسرى الأمير عبد القادر إلى غاية سنة 1838 حيث تمكن من الفرار والالتحاق بالجيش الفرنسي بوهران، ومن ثم عاد إلى الجزائر التي وصلها يوم 06 أبريل 1838 وانظم من جديد لفرقة السابقة الذكر، ولكنه لم يلبث أن غادر الجزائر وعاد إلى وطنه يوم 06 أبريل 1839.

يراجع: يوهان كارل بيرنت: الأمير عبد القادر، ص. 9.

6 - يوهان كارل، بيرنت: الأمير عبد القادر، ط، 2، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 1996، ص. 78.

7 - المصدر نفسه، ص. 78. وللمزيد من المعلومات حول هذا الداء الفتاك يراجع: إبراهيم، لونيبي: القضاء الوطنية في جريدة المشر 1847-1870، ص-ص. 302-303.

والفصل الثاني: العوامل الاقتصادية والاجتماعية

وخلال الفترة الممتدة من سنة 1830 إلى سنة 1840 يكون قد تزامن مع هذه السنوات ظهور سلسلة من الأمراض المعدية التي فتكت بالبلاد والعباد؛ مثل الحمى والطاعون والحمى السوداء، وكان وقعها شديد على الجزائريين عموما وعلى سكان الوسط والشرق الجزائري خصوصا؛ وهذا الشأن يقول الحاج أحمد باي: «ولقد بلغت الوفاة أوجها إلى حد أن ملك الموت قد حثف طابعه في بلادنا»¹. وفي سنة 1838 وقع قحط ومسغبة شديدة مردها جملة من العوامل:

- 1- الجائحة التي أصابت الزروع وأتلفتها.
 - 2- عدم تمكن الفلاحين من مباشرة عملية الحرث لما غمرهم من الفتن والأهوال باعتداء الأعراش على بعضها البعض، نتيجة للبليلة التي تركها احتلال الفرنسيين لمدينة قسنطينة².
 - 3- كثرة الأمطار والثلوج التي تساقطت على المنطقة طيلة فصل الشتاء مما حال دون ممارسة النشاط الفلاحي وقد نتج عن ذلك:
 - ارتفاع أسعار الحبوب واللحوم والسمن والتمر.
 - ضياع أملاك الناس وعقاراتهم تحت تأثير الحاجة إلى النقود بما كانوا يقدمون عليه من إبرام عقود ربوية تحت أسماء مختلفة، ولقد استغل اليهود هذه الأزمة فاستولوا على كثير من أملاك المسلمين بمقتضى عقودهم الربوية، حيث كان اليهودي يشتري الدار أو المنزل الذي كانت قيمته 10000 فرنك فرنسي بـ 100 فرنك³.
- مع مطلع العقد الرابع من القرن 19م وبعد استيلاء الجيش الفرنسي على زمالة الأمير عبد القادر في 16 ماي 1843؛ تكون عشرات الأسر والقبائل الجزائرية قد هاجرت نحو المغرب، ناهيك عن الأفراد والجماعات وأعيان منطقة غريس؛ ولقد كان من جملة النخبة الجزائرية المهاجرة العالم الجليل أبو حامد العربي المشرفي الذي صوّر لنا بما فيه الكفاية الوضع الاجتماعي المتدهور للسكان في المغرب الجزائري عامة، والقبائل المناصرة والمساندة لمقاومة الأمير عبد القادر خاصة، وذلك من خلال ما جاء في مخطوطه الموسوم بطرس الأخبار. وعليه المشرفي يكون قد حدد لنا أسباب هجرة الجزائريين نحو المغرب بعد سقوط الزمالة⁴ في نقطتين جوهريتين:
- النقطة الأولى:

تكمن في كثرة الفتن وانعدام الأمن وانتشار عمليات السلب والنهب؛ فضلا عن ما كان يقوم به الجيش الفرنسي وهذا الصدد يقول: «اعلم أن النصراري لما اشتدت صوتلتهم وكثرت اذيتهم وعظمت شوكتهم وهالتنا غزواتهم وفجعتنا روعته، فررنا بالحریم للجبال، وتركنا وراءنا قوت العيال، وتحصنا بالأعراب المسلمين، وقلنا في زعمنا أسندنا ظهورنا لإخواننا المؤمنين فإذا هم قاموا لأخذ مالنا وغاروا أخذنا بثأر نهب عمالنا، فوقفنا حائرين

1 - أندري نوشي وآخرون: الجزائر بين الماضي والحاضر، المرجع السابق، ص. 335.

2 - صالح، العنتري: مجاعات قسنطينة، تحقيق وتقديم رابع بونار، ش، و، ن، ت، الجزائر، 1394هـ/ 1974م، ص. 15.

3 - المصدر نفسه، ص. 49.

4 - لقد صوّر لنا علي النبيري المرالي التونسي وقعة الزمالة في يد الجيش الفرنسي في قصيدة ملحمة شعرية مطولة، راجع: علي،

النبيري: العود الجزائري، ص. 25.

حيث أخذنا بجزيرة أهل الأمير الجائرين، ولا ألقينا للعدو سلاح إلا باجتماع الأعراب مع النصارى في الاصطلاح. إذا الأعراب تغير علينا من أمام، ومن خلف تغير الكفرة اللثام، فالنهار حرب معهم ورحيل وعمسات تحرس من الجميع في الليل، فإن مروا بموتانا مثلوا بهم وتبعوا جرحانا فادفنا عليهم وهتكوا حرمة الحرم، من أجل ذلك مات الأحرار بالتخميم، فلا يشد المسلم عضد أخاه ولا يسد خلة جوعه بجوده وسخاه، لذلك رجع المستضعف للبلاد بعد أن مرت عليه المشاق وتكررت عليه الأنكاد، ووقع الجبل منا أسيرا وصار الكافر على من رجع للبلاد أميرا فافتقرت جموعنا أيادي سبأ، وتشتتنا جوفاً وقبلة وشرق وغرباً»¹.

النقطة الثانية:

تكمن في شدة الجوع والفقر وانتشار الجفاف والتحط الشديد؛ وبهذا الخصوص يقول: «ولما فقدنا القمح والشعير ورجعنا لأكل لحم الغنم والبقر والبعير معشر الكبير والصغير، وبلغنا حد الجهد في الجوع لا سيما من ترضع الرضيع فيطبخ بلا ملح الطبخ، حتى مات بأكل المسوس الكهل والشيخ، وترادف الرحيل في الفرار بلا إقامة بأرض هناك ولا قرار، وطال بنا الرجا وأعيانا مشي الوجا، فلا محتطب في طريقنا ولا مرعى لسائمة ماشية ترعى، إلا الشيخ في بعض الأودية والحلفاء، فلا تراها إلا يابس من جايحة الحر والقر والأصفا، نيراتها باردة لا تنضح نيا فلم تحصل لنا بها فائدة، فترى الناس يتداولون طول الليل على إيقادها فلم ينتج لهم الأمر إلى أن رجعوا لغلي القديد فلم يكملها في إيرادها، عند ذلك هاجت بطون القوم، ومات الجبل بها في النوم، وما سلكتنا فجا من فجاج تلك الأرض إلا امتلأت أفواهنا بالتراب طولاً وعرضاً، والعدو في أثرنا طالبا منا حرب الكفاح، فنصرتنا علينا والله عواصف الرياح، وضافت علينا الأرض بما رحبت، ومن قلة الماء والعيش فما وسعت، وكنا رحنا في هروبنا السنة الأولى رحلة بعد رحلة حتى كملت لنا ستين جفلة، وفي السنة الثانية ثمانين رحلة قاصية، إلى أن أتت على آخرنا السنة الثالثة، فاحترق ريشنا في المائة الرحلة الكارثة»².

وفي السنة الموالية لسقوط الزمالة ونتيجة للقوانين العقارية المخحفة التي أصدرتها السلطات الفرنسية، ناهيك عن عمليات التخريب والإبادة الجماعية للجزائريين، انتشرت المجاعة التي دامت حوالي سنة كاملة، فهلك فيها ما لم يسبق له مثيل في تاريخ الجزائر، كارثة قد قضت على حوالي 500.000 نسمة؛ ولم يخطر ببال أحد من الرسميين، أو من الخواص أن يبذل يد المساعدة للجائعين، وذلك أن هؤلاء الأجانب كانوا متبهجين لاحتمال انقراض السكان بهذه الطريقة البسيطة³.

وخلال سنة 1846 توالى الأزمات الاقتصادية على البلاد، في الشرق والغرب، ووقعها كان أشد بالنسبة لإقليم قسنطينة، وذلك من خلال التقرير الذي وضعه المكتب العربي بقسنطينة الذي بين أن الزراعة عانت

1 - أبو حامد العربي، المشرق: طرس الأبخار بما جرى للمسلمين مع الكفار في عنتر-عتو- الحاج عبد القادر وأهل داتوته الفجار، مخ، خ. ع. ر، رقم ك 496، ص. 135-140.

2 - المصدر نفسه، ص. 136.

3 - مصطفى، الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع. المرجع السابق، ص. 15.

كثيرت نتيجة لاكتساح الجراد لها، ورغم ذلك كلف هذا المكتسب ضباط المكاتب العربية بمراجعة قوائم المحرث لتأسيس الضريبة، غير مهالين بحالة الأهالي في مثل هذه المناسبة من المجاعة والفقر والمعاناة¹.

وفي سنة 1847 ضرب قحط شديد أهل قسنطينة فارتفعت الأسعار، ودام الحال كذلك مدة ثلاث سنين متوالية؛ ويعود سببه حسب صالح العنتري² إلى آفة الجراد الذي كان يضرب بقوة بين الحين والآخر، ويقول بهذا الشأن: «الجراد الذي نزل بالوطن فأكل الزرع ولم ينج من الأكل فيها إلا القليل، وفيها حصل الضرر لبعض الفلاحين، واستمر أكل الجراد للزرع في السنتين اللتين بعدها أيضا، وزادت الحجر عنيه في بعض الأماكن، فارتفع سعر حبوب الزرع حينئذ وعزّ ظهورها؛ فبلغ سعر الصاع الواحد من البُر إلى ستين وسبعين فرنكا وصاع الشعير من الخمسة دورية إلى الثلاثين فرنكا»³.

وحسب "آندري نوشي" فإنه خلال السنوات الثلاث الماضية -1845-1847-، انتشرت الأمراض وعمت المجاعة القطر وزادت حدة السياسة الاستعمارية؛ وهو ما أثقل كاهل الفلاحين؛ ففي سنة 1847 تعددت أنواع الجراد والجفاف ليسحق الأرض لمدة ثلاث سنوات متلاحقة، ولم يكن للقبائل من المدخرات ما يكفي للقوت في فصل الخريف في سنوات 1847-1848 التي كانت قاسية البرد، كما أتت الأمطار على المزروعات فارتفعت أسعار الحبوب وصار سعر القنطار من القمح بعناية في سنة 1844 يقدر بـ 14.25 فرنك، وسعر الهيكنتولتر من القمح -80 كلغ- في جانفي 1848 يتراوح بين 27 و32 فرنك، أي أن سعر القنطار يبلغ 33.75 أو 40 فرنك⁴.

وإلى جانب هذه المسغبة تفشى في شتاء 1849 مرض الطاعون واكتظت المستشفيات العسكرية بالمصابين، ولم يمنع عدد الأطباء وأعاون الصحة من انتشار هذا المرض عبر الجزائر؛ وبهذا الشأن يقول رئيس أطباء الجيش الإفريقي "بول": «إن الأمر قد آل إلى إخلاء بعض القرى من السكان، ويجد هذا الرأي صدى لدى القائد

1 - صالح، فركوس: المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (1814ق.م-1962)، دار العلوم، عنابة، الجزائر، ص. 208. وهذا الخصوص يراجع ما كتبه المؤلف في كتابه الموسوم بإدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد 1844-1871.

2 - هو صالح بن محمد العنتري، ولد في مطلع القرن 19م بمدينة قسنطينة؛ تم تعيينه سنة 1837 كاتب في المكتب العربي الفرنسي في المدينة برتبة حوجة الدائرة، كما تولى تحرير الكتابات باسم الضابط الفرنسي بواسوني؛ الشيء الذي ساعده على الإطلاع الواسع على الثقافة الفرنسية، اشتغل لفترة بالتدريس والقضاء بقسنطينة، يُعد من جملة علماء قسنطينة وأعيانها الذين شاركوا في الرحلة إلى باريس سنة 1844 وتعرفوا على المظاهر العمرانية بها؛ وهم: محمد بن القاضي، ومحمد الشاذلي القسنطيني، وأحمد بن المبارك... الخ، ولقد ظل يتقلب في هذه الوظائف وفي خدمته للفرنسيين إلى أن وافته المنية في سنة 1876، ومن أهم مؤلفاته: الأخبار المبينة المذكورة في تاريخ قسنطينة، الذي ألفه سنة 1844، وطبعه بإعانة الكابتن بواسوني سنة 1846، ومجموعات قسنطينة الذي ألفه سنة 1870 باقتراح من الكومندان دولير،... الخ. يراجع كل من: صالح، العنتري: مجموعات قسنطينة، ص. 7، عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 246، أبو عمران الشيخ وآخرون: معجم مشاهير المغاربة، ص-ص. 395-398.

3 - صالح، العنتري: مجموعات قسنطينة، المصدر السابق، ص. 51.

4 - الجزائر بين الماضي والحاضر، المرجع السابق، ص. 337.

العسكري في فيلبييل الذي يقول: «كانت إصابات الكوليرا ضخمة وانقرضت عدة قرى بأثمتها وشاهدنا رعاة القطيع يتساقطون ويهلكون وهم مهملين في الحقول»¹. ولم تسلم العديد من المدن الجزائرية من هذا الوباء الخطير؛ فمدينة قسنطينة لوحدها مات بها حوالي 9.434 نسمة².

ومع مطلع سنة 1850 ظهرت الكوليرا من جديد في المجموعات القبلية، وكان الحال مبنوس منه بين سكان جبال بجاية حيث كان يعرض الفلاحون على اعتبار الأحياء لا الأموات عند اختفاء هذا المرض³. وسبب ذلك المواسم السيئة ونقصان المواشي وكذلك القحط المحلي الرهيب الذي أدى إلى تفشي هذا المرض الفتاك خلال سنوات 1849-1851، وهو ما أدى إلى تناقص كبير في عدد السكان الذين لم يكن يتجاوز عددهم 2324000 نسمة، سنة 1851، هذا إلى جانب منطقة القبائل الكبرى التي كان عدد سكانها يقدر بحوالي 140000 نسمة⁴. وخلال العقد السادس من القرن 19 عصفت بالجزائر عدة أزمات وجوائح فتاكة، وذلك بسبب المجاعة التي امتدت من 1866-1868⁵؛ فانتشرت الكوليرا في خريف عامي 1866 و 1867، ثم مرض الطاعون والحمى في ربيع 1867، فظهرت المجاعة ونقصت المواد الغذائية في هاتين السنتين، ولقد فتكت هذه الأمراض بالسكان واكتظت السجون بالمرضى، حتى أن الإدارة الفرنسية قد جمعتهم في الحقول والمحتشدات، ولم تنضح الحالة إلا في ربيع سنة 1870⁶.

ويصف لنا الكاردينال "لا فيجيري" Lavigerie⁷ المشاهد المرعبة التي أعقبت موجة جفاف صيف 1867 بقوله: «منذ عدة شهور والعرب لم يجدوا ما يقتاتون به إلا الأعشاب في الحقول أو أوراق الأشجار التي يرعون فيها مثل الحيوان، والآن مع شدة الخريف ضعفت أجسامهم فماتوا جوعا فهم عراة يرتدون لباسا رثا يتسكعون ضالين على الطرق وحول المدن التي أخرجوا منها خوفا من الفوضى التي قد يتسببون فيها، فهم ينتظرون جمع النفايات والفواضل للصراع حولها فلا يرجعهم شيئا ويحفرون الأرض للقوت من الحيوانات الجيفة وهم يغيرون

1 - أندري نوشي، وآخرون: الجزائر بين الماضي والحاضر، المرجع السابق، ص. 354.

2 - صالح، فركوس: المختصر في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص. 209.

3 - أندري نوشي، وآخرون: الجزائر بين الماضي والحاضر، المرجع السابق، ص. 354.

4 - شارل رويير، آجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص. 50. وللمزيد من المعلومات حول هذه الأزمة يراجع ما جاء في بحث الأستاذ إبراهيم لونيبي الموسوم بـ: القضايا الوطنية في جريدة المبشر، ص-ص. 277-286.

5 - إبراهيم، لونيبي: القضايا الوطنية في جريدة المبشر 1847-1870، د. د. ع. إشراف الدكتور أبو القاسم سعد الله، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1993-1994. رسالة مرقونة. ص-ص. 286-298.

6 - أندري نوشي، وآخرون: الجزائر بين الماضي والحاضر، المرجع السابق، ص. 342.

7 - شارل لا فيجيري (1825-1892)، كردينال فرنسي، رئيس أساقفة الجزائر، أسس جمعية الأباء البيض سنة 1868، يراجع: كرم البستاني وآخرون: المتجدد في اللغة والأعلام، ص. 489.

علف حيوان المعمرين الذين كانوا يجرسون حقولهم بالسلاح، والأفضح في كل ذلك موت كثير غير الحقول وتناثرهم كل صباح دون حركة»¹.

وتعترف الإدارة الفرنسية أن الوباء كان أشد فتكا في الأهالي لعريتهم وسوء غذائهم وموت الأراضي، وأن ذلك الهلاك كان متصلا بعدم الأمن فيما يخص الأنفس والأموال². ومرد هذه الأزمة التي عصفت بالجزائريين من سنة 1866-1870 إلى عدة عوامل:

- حرق الغابات ورم أبار المياه من طرف الجيش الفرنسي كونها تعد مصدر رئيسي وحيوي للسكان³.
- الجوائح التي استهدفت المزارع والحقول فأتلقتها.
- ندرة الأمطار خلال الفترة الممتدة من 1867-1869، وشدة البرد أثناء فصل الخريف طيلة هذه السنوات، مما أدى إلى اضطراب موعد الحراثة وتقلص المساحات المستغلة⁴.
- انتشار مرض الرّمة⁵ الذي أهلك المواشي سنة 1867 من قلة علفها وتبينها في فصل الشتاء.
- زحف الجراد خلال سنة 1866، والذي كانت حصيلته الدمار الكامل لكل المزروعات بما فيها الخضار والفواكه التي يجد فيها المستقرون من السكان أثناء موسم الخريف موردا لعيشتهم⁶ وخلال سنة 1868 حيث ألحق أضرارا جسيمة بالمزارع والأشجار والنباتات، والأخطر من ذلك كله هو أن الجراد يخلف دائما وراءه بيضا يفرخ في السنة الموالية ما يعرف بالمرّاد. مما أدى إلى ظهور عدة نتائج سلبية أخرى يمكن حصرها في ما يلي:
- انعدام الحبوب من الأسواق وموت المواشي.
- ارتفاع أسعار الحبوب ارتفاعا فاحشا.

- ضياع الأملاك والثروات، ولقد وصف لنا العنتري شدة هذه المجاعة ووقعها على السكان بإقليم قسنطينة في ما يلي: «ما هي إلا مجاعة سوداء لم تر في الزمان السالف أقبح وأفضح منها، وليس الخير كالعيان... فإن الجمل الكثير من أولئك المصابين صاروا يقتاتون ما لا يباح اقتيائه، فتراهم يودحون على الوصول إلى هرّ ودم وميتة وغير ذلك من الأمور المحرمة شرعا، المستقدرة بالنظر للإنسان عقلا وطبعاً لكون النفس لا تستطيع مشاهدة ذلك فضلا عن أكله... والحال فإن ضررها فادح قد شمل كل إنسان كما لا يخفى، فالغني منهم أفقرته وصيرت أحواله ضيقة

1 - أندري نوشي، وآخرون: الجزائر بين الماضي والحاضر، المرجع السابق، ص. 341.

2 - المرجع نفسه، ص. 300.

3 - عمار، قليل: ملحة الجزائر الجديدة، ج. 3، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1991، ص. 100.

4 - أندري نوشي، وآخرون: الجزائر بين الماضي والحاضر، المرجع السابق، ص. 340.

5 - الرّمة: مرض يصيب البقر والثيران والأغنام والماعز لقلة العلف، ثم سرعان ما تموت إذا لم تتدارك بالعلف والعلاج الكافي، وتكون غير قابلة للذبح أو الأكل نظرا لقزامتها. يراجع: صالح، العنتري: مجاعات قسنطينة، ص. 56.

6 - عبد الحميد، زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، المرجع السابق، ص. 105.

حرجة جدا، والضعفاء قد أهلكتهم في حينهم ودمرتهم تدميرا كأنهم لم يكونوا (كذا) بالأمس، وما ترك الزمان من بعدهم إذ ذاك إلا مراسم ديارهم خالية سخاوية وذلك هو البلاء العظيم»¹.

ولقد امتدت هذه الأزمة طيلة سنة 1869، فتواصل الجفاف والقحط على البلاد، الشيء الذي أدى إلى انعدام المواد الغذائية والحبوب للناس والعلف للحيوانات، فماتت عشرات الآلاف من قطعان المواشي؛ لقلة الحبوب والعلف، واضطر سكان الهضاب العليا بصورة خاصة إلى النزوح على مدن الشمال أفوجا وجماعات نخشا عن مورد للرزق ومصدر للعيش والتكسب². كما امتد أثرها إلى نواحي باتنة وسطيف وبنجاية وبوسعادة، وسأكتفي بالإشارة إلى بعض المساحات الخضراء التي زحف عليها الجراد ضمن الجداول الآتية:

1- جهة قسنطينة³:

أسماء القبائل المحتاجة	المساحات/ الهكتار	الخسائر/ بالمحراث الروبجة	القبائل المهتدة
أولاد عبد التور	50.000	21/2	أولاد كباب
وادي بوصول	10.000	6	السراوية
تلاغمة	500	1/2	
فرجيوة	100		

2- جهة باتنة⁴:

أسماء القبائل المحتاجة	المساحات/ الهكتار	الخسائر/ بالمحراث الروبجة	القبائل المهتدة
الأحضر حلقاوي	5.600	30	القبائل المهتدة
أولاد شليح	1.000	10	تلاتنس
حراكنة المعذر	50	3	حراكنة حربية
أولاد قضاة	3.000	6	زوى
أولاد بووعون	10.000	6	أولاد سي علي تاحمات
أولاد سلطان	20.000	15	بني معافة
أولاد سلام	40.000	26	
أولاد علي صابور	20.000		
أولاد عبدي	10.000	3	

1 - مجاعات قسنطينة، المصدر السابق، ص. 55.

2 - يحيى، بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط، 1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1400هـ - 1980م، ص، ص. 193-194.

3 - عبد الحميد، زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، المرجع السابق، ص. 106.

4 - المرجع نفسه، ص. 106.

3- جهة سطيف¹:

أسماء القبائل اختارها	المساحات/ المتكاثرات	الحسائر/ باخرات الزوينة	القبائل المهجدة
أعمار الظهرة	4.000	15	
أعمار القبلة	6.000	15	
ريفة الظهرة	9.000	20	دهشة
ريفة القبلة	10.000	23	
العلمة	4.000	2	
أولاد موصللي	650	21/2	
عين تاغروت	5.000	3	

ومن بين النتائج التي تمخضت عن المجاعة والأوبئة التي وقعت ما بين 1867-1869 تدمير كثير من العشائر؛ فمثلا قبيلة أولاد يحيى بن طالب فقدت 364 أسرة من مجموع سكانها 10211 نسمة، ليصبح عددها 4325 نسمة، بمعنى أنها فقدت 5.886 نسمة، أي بنسبة 67.6% على الأقل؛ وقبيلة العلاونة صار عددها 3968 نسمة بعدما كان 8339 نسمة، بمعنى أنها فقدت 4371 نسمة، أي بنسبة 52%، وقبيلة أولاد عبد النور بأعالي سهول سطيف فقدت نصف سكانها ليصبح عددهم 78512 نسمة بعد أن كان 25031 نسمة².

وعلاوة على ذلك أصيبت مياه الآبار والمنايع والمجاري بالتسمم بفعل فضلات الجراد مما أسهم في تقوية الكوليرا والتوفيس لدى السكان بشكل مخيف³. وتذكر بعض التقارير الرسمية أن مجاعة 1867 أودت بحياة ما لا يقل عن 300000 نسمة⁴. والمعطيات الآتية ستوضح لنا بعض جوانب هذه الأزمة في الشرق الجزائري⁵:

الجهة	عدد السكان	عدد الوفيات	النسبة المئوية
عنابة	150399	6.881	4.5%
قسنطينة	399287	9663	2.5%
سطيف	411137	8057	2.0%
باتنة	240539	9670	4.0%

بينما بلغ عدد الوفيات في مقاطعة الجزائر ما بين شهر أوت 1867 وشهر ماي 1868 حوالي 10614 نسمة؛ وفي ناحية تنس ما بين 15 أوت 1867 وفاتح جوان 1868 حوالي 2315 نسمة، من مجموع السكان المقدر عددهم بـ: 6004 نسمة أي بنسبة 38%. ولم تنج قطعان المواشي هي الأخرى من هذه الآفة بسبب تسمم المياه، وانعدام الكلاً بسبب الجفاف، وعليه فقد أيدت قطعان هائلة من المواشي في نقاط كثيرة وفي غضون

1 - المرجع نفسه، ص. 107.

2 - صالح، فركوس: المختصر في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص. 209-210.

3 - عبد الحميد، زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، المرجع السابق، ص. 105.

4 - عبد الله، العروي: مجمل تاريخ المغرب، ج. 3، المرجع السابق، ص. 130.

5 - عبد الحميد، زوزو: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1900، المرجع السابق، ص. 110.

ثمان وأربعين ساعة، فانخفض سعر الأغنام إلى فرنك واحد عند مشارف مدينة المدية، أما في الجنوب فقد قل سعرها عن الفرنك، وكانت الفرقة العسكرية التابعة للأغواط تشتري الرأس الواحد من الغنم بـ50 سنتيم¹.

ومع مطلع سنة 1871 تفاقمت حدة الأزمة، وحلت بمنطقة القبائل مجاعة رهيبية؛ على إثر نقص الاحتياطات الغذائية ونهب المحاصيل الزراعية وحرق الأشجار المثمرة بعد ثورة 1871². ولم تلبث هذه الجوائح أن تكررت بين الحين والآخر حيث نسجل عودة الجراد والحفاف بين سنتي 1886، و1890، وبعد سنتين من الركود 1890-1892، عادت السنوات العجاف لتستمر بشدة إلى أواخر القرن 19م، حيث تصادف انتشار مرض قمل النبات وسلسلة من السنوات الرديئة ناهيك عن العواصف الثلجية التي فتكت بالمحاصيل الفلاحية والثروة الحيوانية فأقبل الفلاح الجزائري على بيع أرضه ومغادرة وطنه³. مما ضاعف من تصاعد حركة هجرة الجزائريين نحو المشرق والمغرب، وهذا ما سنتطرق له في الباب الثاني أثناء الحديث عن مراحل الهجرة.

عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 - المرجع نفسه، ص. 105.

2 - الطاهر، أوسديق: ثورة 1871، ترجمة جباح مسعود، م. و. ك، الجزائر، 1989، ص. 13.

3 - أندري نوشي، وآخرون: الجزائر بين الماضي والحاضر، المرجع السابق، ص. 367.

الفصل الثالث.

العوامل الدينية.

● الروابط الروحية والصوفية الجزائرية-
المغربية.

● الفتوى بالهجرة من دار الحرب إلى دار
السلام.

العوامل الدينية:

إذا أردنا الوقوف على العوامل الدينية الكامنة وراء هجرة الجزائريين إلى الدول العربية عموماً والمغرب الأقصى خصوصاً، فإننا سننتقل من قاعدة مفادها أنه في الفترة التي وقعت فيها الهجرة -القرن 19م- لم يكن هناك ما يسمى بالحدود السياسية والقطرية كما هو الحال اليوم؛ وإنما الفكرة التي كانت سارية المفعول آنذاك هي الأمة المحمدية. وعليه فالمسلم سواء كان عربياً أو أعجمياً لا يشعر بالغرابة والعزلة في مختلف بلاد الإسلام، كونه يحس أنه في وطنه الأم، ولذلك فلا ضير أن يهاجر الجزائري إلى المغرب أو المغربي إلى الجزائر.

وللعلم هنا أن فكرة تعيين الحدود بين الدول العربية ما هي إلا وليدة الاستعمار الأوربي الحديث، كما أن مصطلح الوطنية والقطرية الضيقة والقومية العربية هي مصطلحات أوربية حديثة ودخيلة عن المجتمعات العربية، ولا تمت بأي صلة لها، والغاية منها هي تفتيت وحدة الأمة العربية وتمزيقها، لأن البلدان العربية تتوفر على مقومات مشتركة تجعل منها بلداً موحداً، ومن بين هذه المقومات الروابط الروحية الصوفية التي جمعت بين الجزائريين والمغاربة على فترات طويلة، روابط ساهمت فيه بشكل مباشر الطرق الصوفية التي ظهرت هنا أو هناك؛ ثم امتدت فروعها في كلا البلدين وهذا ما سنتطرق له في العنصر الآتي:

1- الروابط الروحية والصوفية الجزائرية-المغربية:

لقد لعبت الطرق الصوفية المنتشرة في كلا البلدين دور كبير في التواصل الثقافي والروحي بين سكان الجزائر والمغرب قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830، وبعد الاحتلال يكون هذا العامل قد أعطى دفعا قويا لنمو وتطور هذه الروابط، وهو ما تجلّى لنا من خلال حركة الزيارات والتحرّكات التي كان يقوم بها زعماء الطرق الصوفية ومريدوهم بين الجزائر والمغرب، تارة لأسباب ثقافية وتارة أخرى لأسباب سياسية وأمنية.

ويعود سبب ذلك في نظرنا إلى الامتداد الروحي بينهما، ناهيك عن علاقة الجوار والروابط التاريخية والمصيرية المشتركة؛ وبالتالي فالجزائري لم يجد عقبة أو صعوبة في الهجرة نحو المغرب الأقصى، كما لم يجد المغربي صعوبة في الهجرة نحو الجزائر، هذا إلى جانب حسن المعاملة التي كانت مترسّخة في أوساط الشعبين الجزائري والمغربي. مما أدى بدوره إلى سهولة الاندماج والتأقلم مع سكان هذا البلد أو ذاك.

ورغم أن المهاجرين الجزائريين نحو المغرب لم يرفعوا شعاراً صوفياً عند هجرتهم، ولم تكن هناك طريقة صوفية معينة حملت الجزائريين على الهجرة باسم التصوف¹، فإن ذلك لم يمنع عشرات بل مئات الجزائريين، الذين ينتمون إلى إحدى الطرق الصوفية المتواجدة بالمغرب الجزائري والمغرب الشرقي بالخصوص، من الهجرة نحو إخوانهم بالمغرب، وحتى لا نخرج عن الإطار العام للموضوع المعالج فإننا سنكتفي بتقديم بعض النماذج الحية لهذا التواصل الروحي-الصوفي بين الجزائر والمغرب، وذلك من خلال الطرق الصوفية الآتية:

1 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 5، المرجع السابق، ص. 509.

1- الطريقة الشاذلية:

تأسست بالمغرب على يد الحسن بن علي الشاذلي (ت 656هـ / 1252م)¹، ويعود أصلها إلى الطريقة المشيشية²، ثم انتشرت في الجزائر بعدما تفرعت إلى عدة طرق صوفية مثل: الجزولية، والزروقية، واليوسفية، والعيساوية، والبكائية، والأحمدية (الكرزازية)، والشيخية، والناصرية، والطيبية، والزبانية، والحصالية، والحبيبية. والمدنية... الخ³ ويعود سبب انتشارها في الجزائر إلى الطلبة الذين درسوا آنذاك في المغرب الغني بتراته الصوفي، وتعلموا على يد العديد من أقطاب التصوف وأخذوا عنهم العهد وورد الطريقة، وأثناء عودتهم إلى الجزائر يقومون بنشر أفكار الطريقة، ومن بين الذين بثوا ونشروا فروع الشاذلية في الجزائر والمغرب أحمد بن يوسف الملياني (ت 927هـ)⁴.

ونظرا لكثرة أتباعه بالجزائر والتجمعات التي كان يشرف عليها في رأس الماء وفي تلمسان وفي وهران ونواحي البطحاء، وهي مناطق كانت مستعدة للثورة ومعرضة للاضطراب لتراخي قبضة الدولة الزبانية عنها⁵ الشيء الذي جلب انتباه السلطات إليه؛ فتم اضطهاده والتضييق عليه، ونفس الشيء تعرض له في المغرب من طرف السلطان السعدي عبد الله بن محمد القيم (965-981هـ) الذي اتهمه بالانحراف عن الدين الإسلامي، ولعل السبب الجوهرى يعود إلى أن أتباع الملياني بالمغرب كانوا من أنصار العثمانيين في الجزائر⁶.

ومن بين الذين ساهموا في تأسيس فرع الطريقة الشاذلية بالجزائر في القرن الـ 19م الشيخ محمد الموسوم، وذلك من خلال الزاوية التي أسسها جنوب المدينة والتي أصبحت تتمتع بسمعة كبيرة في وقته؛ ورغم الظروف التي

1 - ولد في قبيلة غمارة قرب مدينة سبتة سنة 593هـ، أخذ تعاليم شيخه ابن مشيش، وعندما بلغ سن 22، توجه إلى قرية شاذلة بتونس، نزولا عند نصيحة شيخه ابن مشيش الذي أوصى أتباعه بالابتعاد عن أصحاب السلطة والسياسة، فاحتل بها، وتقول بعض الروايات أنه احتل في جبل جلاس، ثم سرعان ما شاع أمره. ونظرا للحصار الذي حصرته عليه السلطة السياسية في تونس والعيون التي كانت ترصده خاف على نفسه فتوجه نحو مصر، فشاخ عنه من طرف خصومه أنه ملحد وهو ما زاد في عزله في أحد الكهوف بالإسكندرية، حيث عانى من الفقر والجحمان والوحدة، وبعد ما صفا له الجو، ذهب إلى القاهرة حيث استقر بها، وأظهر كراماته للعامّة والخاصة فكثرت أتباعه، وبات يحج كل سنة إلى أن وافاه الأجل في إحدى هذه المحاحات في مكان مجهول بأعالي مصر يعرف بالأبيار الشاذلية. يراجع: أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، ص-ص. 66-67.

2 - نسبة إلى ابن مشيش أبو محمد الإدريسي، وهو صوفي مغربي قُتل نحو 622هـ / 1225م؛ له صلوات مشهورة تعرف بالصلاة المشيشية، يراجع: كرم البستاني وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 14.

3 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، المرجع السابق، ص. 70.

4 - هو أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي نسبا والملياني دارا، ينحدر من قلعة بني راشد قرب تلمسان، تخرج من مدرسة محمد بن يوسف السنوسي، كانت له زاوية برأس الماء يستقبل فيها الأتباع ويتقبل الهدايا ونحوه، يُعد من أعيان مشايخ المغرب وعظماء العارفين، توفي حسب سلوة الأنفاس سنة 927هـ، ودفن بمليانة، غير أن أبو القاسم سعد الله ذكر تاريخ وفاته بـ 931هـ، يراجع: الكتاني: سلوة الأنفاس، ج. 2، ص-ص. 14-16، سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص. 496.

5 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، المرجع السابق، ص. 497.

6 - المرجع نفسه، ص. 497.

كانت تمر بها الجزائر على مختلف المستويات¹ والسياسة الاستعمارية التي لم تكن تسمح بمثل هذه النشاطات، فإن زاويته كانت تمثل نموذجاً للعمل الصوفي في وقت الاضطراب السياسي والاقتصادي²، وبلغ عدد أتباع الشاذلية في الجزائر في أواخر القرن 19م حوالي 14.206 مريد، موزعين على إقليم الجزائر وقسنطينة، كما كان للطريقة 11 زاوية، و195 طالب، و9 شيوخ، و99 مقدم³.

2- الطريقة التجانية⁴:

تأسست على يد أحمد التجاني (ت1230هـ/ 1814م)، وحسب أبو القاسم سعد الله فإن التجاني لم يؤسس في الجزائر، كما فعل بعض زملائه المرابطين، معهداً للتعليم أو تصدراً للتدريس، ومع ذلك فإن الطريقة التجانية قد انتشرت في الجزائر وأصبحت ذات أهمية كبيرة اجتماعياً وسياسياً⁵. وإذا كان التجاني قد أسس زاويته بفاس بحومة الدرداس المعروفة اليوم بالبيدة (فاس القديمة) سنة 1215هـ/ 1801م، ورغم مدة إقامته بفاس والمقدرة بـ 17 سنة، فإن هذا لم يمنع من انتشار تعاليم وأتباع الطريقة التجانية في الجزائر، ويبدو ذلك من خلال الروايات التي انتشرت في الجزائر، كزاوية قمار التي تأسست سنة 1204هـ/ 1789م⁶؛ ومن بين الذين نشروا أفكار الطريقة في الجزائر وأسسوا لها عدة زوايا:

- 1- المقدم محمد بن العباس الذي وضع النواة الأولى للطريقة في قرية أبي سمغون، وأحمد بن عبد الرحمان، وأبو القاسم بن يحيى، ومحمد بودواية الذين ينحدرون من أولاد سيدي الشيخ، هذا إلى جانب التجار السمغوني.
- 2- المقدم محمد بن حسونة المهناوي في عين ماضي والأغواط التي تعتبر مسقط رأس الشيخ المؤسس، فلقد أقبل أعيان القبائل القاطنة بنواحيها على أخذ ورد الطريقة ولقد ساعدته في ذلك مجموعة من العناصر مثل الشيخ النوي بن عطا الله، والشيخ محمد بن سلامة، ومن الغواطين سلمان بن سعد الذي شغل منصب كاتب محمد الصغير التجاني، والشيخ سحنون بن الحاج الخ⁷.
- 3- الشيخ الطاهر بوطيبة بتلمسان الذي شغل منصب مقدم الزاوية والمختار بن الطالب.

1 - نشاط موسى بن حسن الدرقاوي، ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864، ثورة المقراني سنة 1871.

2 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، المرجع السابق، ص. 70.

3 - المرجع نفسه، ص. 77.

4 - للمزيد من المعلومات حول الطريقة التجانية وأورادها، والخلاف الذي حصل بين تجانية عين ماضي والأمير عبد القادر براجع:

-ARNAUD: "siège d'Aïn-Madi par EL-Hadj Abd EL-Kader B. Mohieddine", R. A, N° 8, Année 1864, P-P. 354-371.

-Yver, George : "Abdelkader et le Maroc en 1830", R. A. N° 60 Année, 1919, P-P. 93-111.

5 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، المرجع السابق، ص. 513.

6 - بن يوسف، التلمساني: الطريقة التجانية وموقفها من نظام الحكم المركزي، المرجع السابق، ص. 75.

7 - المرجع نفسه، ص. 90.

- 4- محمد بن الفضيل التواتي بتوات في الجنوب الغربي الجزائري، والشيخ الطاهر بن عبد القادر القندوسي¹.
- 5- محمد الساسي القماري الذي أدخل تعاليمها إلى وادي سوف إلى جانب الطاهر بن الصادق وأحمد بن راس وأحمد منصور، فكانت الوفود تنجح من قمار إلى عين ماضي لزيارة الشيخ، ولقد استمر العمل بهذا التنظيم حتى بعد هجرة أحمد التجاني إلى فاس سنة 1213هـ/ 1799م وبناء على هذا تكون الطريقة قد انتشرت بشكل كبير جدا في الجزائر، وتوضح لنا المعطيات التالية مدى انتشار الطريقة في الجزائر، حسب إحصائية سنة 1882²:

المقاطعات	عدد الزوايا	عدد المقدمين	عدد المريدين
الجزائر	03	26	4348
وهران	02	20	588
قسنطينة	12	54	6146
المجموع	17	100	11082

أما إحصاء سنة 1897 فإنه يشير إلى أن عدد أتباعها يكون قد بلغ 25.323 مريد، ووصل عدد زواياها إلى 32 زاوية، وحوالي 165 مقدم، و9 وكلاء، و2 من الشواش.

3- الطريقة الطيبية (التهامية)³:

ظهرت في منطقة وزان بالمغرب على يد الشيخ عبد الله الشريف (ت 1089هـ)⁴، ثم سرعان ما انتشرت بعد وفاته، من طرف أبنائه وأحفاده، وأصبح لها فروع وأتباع في المغرب والجزائر، ويعزو أبو القاسم سعد الله سبب انتشارها في الجزائر إلى الفقراء والمحتاجين في المناطق الجبلية كالونشريس والظهرة وبعض المدن كمستغانم⁵. كما لا يستبعد أن تكون تعاليم هذه الطريقة قد دخلت الجزائر في عهد الشيخ علي (1195-1226م)، ثم انتقلت إلى مدن أخرى كوهران عن طريق مقدم الطيبية الحاج التهامي بن عمر، ورغم أنها لم تخلق صعوبات للأتراك في الجزائر، فإن هذا لم يمنعهم من إثارة مخاوفهم من ارتباطها السياسي بالمغرب؛ خاصة وأن السلطان المولى سليمان كان من أتباعها⁶.

1 - المرجع نفسه، ص. 90.

2 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، المرجع السابق، ص. 242.

3 - المرجع نفسه، ص. 102.

4 - ولد في قبيلة بني عروس في جبل علام بالمغرب، درس في تطوان؛ ثم قصد فاس فتتلمذ على علماء القرويين، وانتهى به الأمر في الأخير إلى تأسيس زاويته؛ وللعلم أنه بدأ حياته فقيرا معدما؛ حتى أنه حين تزوج لم يجد ما يدفعه مهرا لزوجته فحاده المنهر عن طريق الكرامة الصوفية. يراجع: أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص. 515.

5 - تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، المرجع السابق، ص. 516.

6 - المرجع نفسه، ص. 516.

لقد لعبت الطريقة الطيبية دورا سياسيا كبيرا في كل من الجزائر والمغرب، فالثائر محمد بن عبد الله¹ الملقب بـيومعرة كان من إخوان الطيبية، كما أن انتشارها في الغرب الجزائري يكون قد ساعد على تغلغلها في الشرق الجزائري بمدينة قسنطينة؛ ونظرا لإنتشارها الواسع قامت السلطات الفرنسية سنة 1843 بإرسال "ليون روش Léon Roches"² إلى طنجة للاتصال بشيخ الزاوية ورئيس الطريقة الحاج العربي قصد تسهيل مهمة الفرنسيين في الجزائر على يد أتباعه، خاصة في ظل التزايد المستمر للأتباع والمريدين وهذا ما يبيته الجدول الآتي:

السنوات	عدد الروايا	عدد الإخوان
1882	20 منها 11 في وهران	15744
1897	08	22148

1 - يعود أصله إلى أولاد حويدم الموجودين بناحية وادي الشلف بنواحي الأصنام، اسمه محمد بن عبد الله، بينما علال الفاسي ينسبه إلى المغرب موافقا في ذلك الرحالة الألماني "هاينريش فون مالتسان" فهو يقول: "إنه مراكشي من أولاد سيدي الطيب بنواحي وزان، دخل الجزائر سنة 1835" وكان لا يظهر أمام الناس إلا وحنانه عذبة تجرها معه، تراجع كل من: عبد الرحمان، الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج. 4، ص. 206-208، علال، الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ص. 4.

2- ولد ليون روش في مدينة غرونوبل الفرنسية (Grenoble) سنة 1809، وهو من أبوين فرنسيين، زاول تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه، وتعليمه الثانوي في ثانوية تورنون التي نال منها شهادة البكالوريا سنة 1828، اشتغل بعدها في التجارة، ونظرا لخب المغامرة التي جبل عليها فإنه التحق بوالده ألفونس روش سنة 1832، الذي كان يعمل كملحق في خدمات العتاد العسكري منذ سنة 1830 بالجزائر، ومنذ التحاقه بالجزائر شغل عدة مناصب عسكرية منها في الجيش الفرنسي، ونظرا لمهارته رقي إلى رتبة ملازم في الحرس الوطني عند الدوق دو ريفوقو سنة 1833، كما شارك إلى جانب كنوزيل في حملته العسكرية على المدينة سنة 1836، وبموجب معاهدة التافنا التحق بالأمير عبد القادر بصفته فارا من الجيش الفرنسي ويزيد خدمته، ولقد اعتنق الإسلام وأصبح يحمل لقب عمر، ولكن في باطنه هو مجرد جاسوس اندس في صفوف الأمير، كما مارس عدة أدوار خطيرة منها التجسس على الأمير عبد القادر الذي التحق به وأسلم بين يديه وحمل لقب عمر، كما قاد الوفد الجزائري الذي توجه نحو البقاع المقدسة سنة 1841 للمصادقة على فتوى تبطل فريضة الجهاد والهجرة خارج الجزائر، وأصبح يعرف بعده عند الجزائريين بالحاج عمرا، وبعد قيامه بهذه المهمة الخطيرة هرب من عنده والتحق بالجيش الفرنسي، ثم توجه إلى فرنسا حيث كافأته الحكومة الفرنسية على تحقيق مهماته في الجزائر، ثم التحق بالمغرب كمبعوث عن الحكومة الفرنسية لدى السلطان المغربي عبد الرحمان ابن هشام، ولا شك أنه ساهم في توتر العلاقات بين الأمير والسلطان في المرحلة الأخيرة من عمر المقاومة، تراجع: يوسف، مناصري: مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1847، عبد الرحمان، الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج. 3، ص. 181، مذكرات الكولونيل سكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر سنة 1841، ص. 169، وكتاب روش نفسه الموسوم بـ:

-Léon Roches, Trente deux ans à travers l'Islam

-AKHBAR, journal de l'Algérie, N° 655, 7^{ème} année, Mardi 25 Novembre 1845, 31 Delhadj

1261h.p.1.

4- الطريقة الدرقاوية¹:

أسسها محمد العربي الدرقاوي (ت 1823م)²، ومن فروعها العلوية والهيرية، ويعود سبب انتشارها في الجزائر، بعد المحاكمة التي تعرض لها أتباع ومريدي الطريقة في المغرب، حيث لجأ محمد البوزيدي إلى تلمسان خوفاً من رجال المخزن، ثم سرعان ما لحق به الهاشمي بن عجيبة، ومن هناك نشر شيوخ درقاوة طريقتهم بثوب التجرد بين أوساط الجزائريين عامة والشاذليين خاصة³ وإلى جانب الزاوية الأم ببويريج، نجد زاوية تافيلالت التي أسسها أشرف مدغرة والتي كانت فيما بعد ملجأً للثائرين أمثال الشيخ بوعمامة وأتباعه، ثم تليها زاوية كدغرة التي أسسها أحمد البدوي⁴.

يعزو البعض الهجرة الجزائرية إلى التصصب الديني الذي كان مسيطراً على شيوخ الطرق الصوفية، أمثال ابن بلس شيخ الطريقة الدرقاوية⁵، الذي يكون قد دفع بأتباعه إلى الهجرة، سواء نحو المشرق أو المغرب، هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الطريقة الدرقاوية قامت بعدة أدوار على مستويات مختلفة، خصوصاً في علاقاتها مع الأتراك بالجزائر، الشيء الذي دفع بالبايات إلى مرافقة زعمانها وتضييق الخناق على أتباعهم؛ مما شكل عامل طرد لهم باتجاه المغرب الذي كان غنياً بأمتثالهم من الدرقاويين⁶، وهذا ما يمكن توضيحه فيما يلي:

1- الدور السياسي:

يتجلى لنا من خلال الثورات والانفضاض التي قام بها أتباع الطريقة الدرقاوية ومريديها ضد الحكم العثماني بالجزائر وضد الفرنسيين فيما بعد؛ ومن أبرز الأمثلة على ذلك:

- ثورة ابن الأحرش المغربي المسمى البيودالي محمد بن عبد الله في الشرق الجزائري سنة 1805.
- ثورة ابن عبد الله الشريف الدرقاوي في الغرب الجزائري بناحية وهران⁷.

1 - نسبة إلى منطقة درقة التي تقع بضواحي مدينة فاس بالمغرب، يراجع بشأنها:

-A. BERBRUGGER: "EL-Hadj-Moussa, ou l'Homme à L'Ane et l'Emir Abd-el-Kader, en 1835", R. A. N°. 1, années 1856-1857, P-P. 43-49.

2 - ولد في حدود سنة 1214هـ، وهو ينتسب إلى قبيلة درقة، زار الجزائر مرتين على الأقل قبل ثورة أتباعه بها وهو في طريقه إلى الحج. توفي الشيخ في زاوية بويريج شمال فاس في قبيلة بني زروال وخلفه محمد البوزيدي.

3 - عماد، الخنداري: دور الزوايا والطرق الصوفية في العلاقات بين المغرب وولاية الجزائر، حالة الزاوية الدرقاوية من 1786-1823، المرجع السابق، ص. 130.

4 - يعد من الأشراف وهو دفين مدينة فاس، يراجع: أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، ص. 113.

5 - محمد، غالم: "الوثائق الفرنسية والهجرة إلى الديار الإسلامية، دراسة ونقد"، الدراسات التاريخية، دورية، ع. 5، السنة الثالثة، 1408هـ / 1988م، يصدرها معهد التاريخ بجامعة الجزائر، ص. 207.

Achevé d'imprimer sur les presses d'I.A.I.G. 1er trimestre 1991.

6 - كان لهذه الطريقة أنصار كثيرون بواحة فجيح على عهد مؤسسها الشريف الإدريسي مولاي محمد العربي الدرقاوي. يراجع: محمد بوزيان، بن علي: واحة فككك تاريخ وأعلام، ص. 136.

7 - مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط. 2، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1980، ص-ص. 84-87.

- ثورة موسى الدرقاوي¹ التي خاضها ضد الفرنسيين سنة 1833 بنواحي متيجة، إلى جانب سيدي السعدي وعيسى البركاني.

- عبد الرحمان الطوطي الذي أعلن المقاومة سنة 1845 في نواحي سيدي بلعباس. ولم يسع الكثير من المتقدمين الآخرين مثل الحاج محمد ولد الصوفي والحبيب بن أميان إلا الخروب الأول إلى المغرب والثاني إلى الدوائر².

2- الدور الديني والتواصل الروحي:

يمكن إبراز هذا الدور من خلال حركة الزيارات والتنقلات التي كانت تتم بين درقاوة الجزائر والمغرب؛ فشيوخ ومريدو الدرقاوية بالجزائر يكونوا قد تأثروا كثيرا بشيخهم، حيث قاموا بتبادل الزيارات فيما بينهم من جهة وبينهم وبين شيخهم وأتباعه من جهة أخرى؛ ومثال ذلك أبو زيان المعسكري الذي رافق الشيخ العربي الدرقاوي مدة 20 سنة، وكان يقوم بزيارته عدة مرات في السنة بزوايته ببويريج وفاس.

ومن بين تلامذة الدرقاوي المفضلين بالجزائر عبد القادر بن الشريف مقدم الطريقة بالجزائر، الذي كان هو الآخر يزور شيخه عدة مرات في السنة مع جمع من أصحابه؛ وحين ينهي زيارته يبعث بطائفة أخرى؛ لدرجة أن نصحه الشيخ بالتقليل من ذلك خشية عليه من الشهرة وصعوبة الطريق وبعد المسافة. وقد رأى المعسكري ركب ابن الشريف سنة 1219هـ/ 1805م ومعه نحو 150 من الأتباع الجزائريين، وعند وصولهم إلى بويريج وجدوا عند الشيخ نحو 500 فرد³.

وإلى جانب عبد القادر بن الشريف نجد كل من الشيخ محمد بن معروف بوشنافة الجزائري، الذي دأب على الدراسة بفاس قبل ظهور الطريقة الدرقاوية، وكان يلتقي حينها بالعربي الدرقاوي، وبعد استقراره بفكيك ودخوله الطريقة، استمر في زيارة شيخه في ركب من فقراء فكيك وأبناء عمه أولاد سيدي بوشنافة والمناطق الجزائرية القريبة، وكان يحثهم على زيارة الشيخ والأخذ برأيه، والشيخ محمد بن حمو الفجيجي الذي اجتمع به المعسكري عدة مرات بدار الشيخ المؤسس ببويريج حيث كان مواظبا على زيارته⁴.

1 - وقد تمصر، اعتنق ورد الشاذلية على يد مقدمها حمزة بلييا سنة 1829، ثم انتقل إلى المغرب فأخذ تعاليم الطريقة. وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، عاد إلى الجزائر واتصل بالحاج سيدي السعدي وعيسى البركاني لمقاومة الجيش الفرنسي بنواحي متيجة؛ احتلف مع الأمير عبد القادر في مقاومته للفرنسيين، فتوجه نحو أولاد نائل بجبل مساعد وحارب الفرنسيين ثم دحر الأغواط وانظم إلى إخوان الطريقة القادرية-المدنية، طارده الفرنسيون على يد يوسف المملوك، فهرب إلى بني يعلى بزواوة ثم تحول إلى متليلي عند الشعانية سنة 1848، وعندما اندلعت ثورة الزعاطشة، انظم إليها واستشهد مع الشيخ بوزيان، بعد أن ترك له ولدين: أحدهما بقي على رأس الزاوية بالأغواط والمعروفة عند الناس بزواوة درقاوة سيدي موس أبو بكر، والقاضي مصطفى الذي تولى تعليم اللغة العربية في معهد "لا فيجري" بتونس. يراجع: أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، ص. 116.

2 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، المرجع السابق، ص. 115.

3 - محمد، الخداري: دور الزوايا والطرق الصوفية في العلاقات بين المغرب وولاية الجزائر، حالة الزاوية الدرقاوية من 1786-1823، المرجع السابق، ص. 131.

4 - المرجع نفسه، ص. 131.

لقد لعبت هذه الزيارات الروحية دورا كبيرا في تبيين الروابط الأخوية بين أتباع الطريقة الدرقاوية وشيوخها، وهو ما أدى إلى توسيع ودعم قاعدتها المادية والمعنوية في كل من المغرب والجزائر، فمدن الجزائر كانت تعج بأهل الطريقة الدرقاوية، ففي معسكر: «منها رجال أبرار من هذه الطائفة أحيان لا يفترون عن الهيلة آناء الليل وأطراف النهار... في غريس وطن الراشدية وحول مدينة مستغانم أفراد أقطاب، واتصل جذبهم بالسلوك وسلوكهم بالجذب، ولكل واحد تعترتهم أحوال وأسباب مع كثرة العلماء العاملين»¹.

والملاحظ أن الطريقة الدرقاوية انتشرت عبر جل الأراضي الجزائرية من تلمسان إلى تونس، وكثير عدد شيوخها، مثل: عبد القادر بن الشريف، وأبو زيان الشريف المعسكري، ومحمد بن الأحرش، ومحمد بن معروف بوشنافة، وأبو الطويل العربي بن عطية الونشريسي، وأحمد الحضرمي المعسكري، ومحمد بن بوعزة التلمساني، وعبد الله بن حواء، ومحمد بالكندوز التوجيني...².

5- الطريقة العمارية القادرية:

أسسها عمار بوسنة (ت حوالي 1900م)³، لكن وظف الفرنسيون لهذه الطريقة شخصا مغربيا مغامرا جمع بين الدروشة والسياسة، وهو الحاج مبارك بن يوسف الذي قدم من مراكش إلى الجزائر سنة 1815، بعد أن ترك عائلته بمكناس، وأثناء وصوله إلى الجزائر اشتغل اسكافيا؛ وظل على هذا الحال إلى غاية سنة 1830، حيث تم احتلالها من طرف الفرنسيين، فخرج منها بحجة أداء فريضة الحج⁴، وبعد أداء مناسك الحج عاد إلى الجزائر عبر تونس وزار عدة مدن في الشرق الجزائري إلى أن استقر به المقام في قالمة.

ومن بين الخدمات التي قدمها للفرنسيين مساعدتهم في حملتهم الأولى على قسنطينة سنة 1836 ونتيجة لذلك كافأه يوسف المملوك⁵ ببناء زاوية له كتعويض له على خدماته، وهي زاوية تقع بالقرب من مدينة قالمة.

1 - المرجع نفسه، ص، 131.

2 - المرجع نفسه، ص-ص. 133-140.

3 - من مواليد سنة 1123هـ / 1712م، وهو رجل مشهور بالشرف والبركة والعلم. يراجع: أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، ص. 60.

4 - للعلم أنه ظل يتردد على البقاع المقدسة حتى بلغت عدد حجاته ثمانية، في وقت كان فيه الحج من الصعوبة بمكان، وهو ما يطرح احتمال مساعدته من طرف الفرنسيين مقابل تعاونه معهم.

5 - ينحدر من جزيرة ألبا، وقد ادعى أنه ابن غير شرعي لنابليون الأول، إلا أن مذكرات الحاج أحمد تكشف لنا على أنه كان يهوديا مرتدا؛ وأنه كان أسيرا لدى باي تونس كما كان له علاقة غرامية بابنته، وعندما اكتشف أمره فرّ إلى الجزائر، وانضم إلى الجيش الفرنسي؛ ونظرا لنسبه المزعوم فلقد حظي بمكانة مميزة وحمل لواء الشرف الفرنسي في الجزائر لعدة عقود في الجيش الإفريقي حتى وصل إلى رتبة جنرال؛ رافق كلوزيل كمترحم أثناء حملته على البليدة في شهر نوفمبر 1830، كما قاد الخمسة الفرنسية على مدينة عنابة بجانب أرمندي ARMANDY، وبعد احتلالها تم تعيينه بابا عليها، ثم عُين فيما بعد بابا على قسنطينة. يراجع كل من: مذكرات الحاج أحمد باي، ص-ص. 41-45، أبو القاسم، سعد الله: محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ص. 138، حميدة، عمراوي: دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية 1827-1840، ص. 119.

-MAURICE, Constantine-Wyer. la vie du général Yussuf, 4ème édition, Gallimard, Paris, 1930.

وتعرف بزواوية عين الدفلى، التي باتت مسكنا ومركزا للحاج مبارك. وللعلم أنه خلال حجاته الثمانية التي قام بها بمساعدة فرنسا، كانت تقام له الأفراح والاحتفالات وهو ما زاد في شعبيته، وإلى جانب ذلك يكون قد زار المغرب الأقصى وعاد منه بإجازة من شيخ زاوية مولاي إدريس، كما جاء بورد إحصائية من زاويتها الأم بدادس¹.

لقد ظل عمل هذا المغامر مستمرا إلى أن تم تكوين وتأسيس طريقة الحاج مبارك الصوفية رسميا في سنة 1882². وتذكر بعض الروايات أنه عاش حوالي 130 سنة وروايات أخرى تذكر حوالي 80 سنة.

أما عدد أتباع وزوايا هذه الطريقة فتذكر إحصائيات سنة 1882 حوالي 1.062 مريد، و 15 زاوية في إقليم قسنطينة وحدها؛ بينما يشير إحصاء سنة 1897 إلى حوالي 6.435 مريد، و 26 زاوية، و 46 مقدم، و شيخ واحد وثلاثة وكلاء، و 36 خليفة، إضافة على عدد الفقراء والمقدر بـ 5774 من الشواش والطلبة³.

6- الطريقة الزروقية-اليوسقية:

أسسها الشيخ أحمد زروق البرنوسي الفاسي⁴، غير أن هذا لم يمنع من انتشارها في الجزائر بكل من تلمسان وبجاية وقسنطينة، ويبدو ذلك من خلال مريدتها كعبد الرحمان الأخضرى⁵، وعبد الكريم الفقون، ونظرا لنشاطها المشبوه دأبت السلطات الفرنسية على مراقبتها كغيرها من الطرق الصوفية التي لها ارتباط وثيق بالمغرب، خاصة في ظل العلاقات التي كانت قائمة بين درقاوية المغرب ويوسقية الجزائر، فراقبوها عن كثب، وتوصلوا إلى أن سي عبد القادر مرابط طيوط قد استقبل سنة 1880 محمد الشاوي، أحد زعماء الطريقة الدرقاوية دون أي ترخيص من فرنسا، كما قام بزيارة زاوية مدغرة التي كان يديرها سي محمد بن العربي فآخمتها السلطات الفرنسية بانتماه للدرقاوية، وعندما أحس عبد القادر بالتضييق عليه طلب من السلطات الفرنسية الانتقال إلى تلمسان والابتعاد عن

1 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، المرجع السابق، ص. 61.

2 - المرجع نفسه، ص. 62.

3 - المرجع نفسه، ص. 64.

4 - كان قد أقام في الجزائر في أواخر القرن 19، وفي بجاية وقسنطينة كان معلما ناجحا ورفيقها، توفي سنة 899هـ ودفن بمصراتة، يراجع: أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، ص. 79.

5 - ولد في بنطوس بنواحي بسكرة سنة 920هـ، ينحدر من أسرة علمية، تلقى تعليمه على يد والده وشقيقه الأكبر، ثم انتقل إلى قرية ليشانة حيث تتلمذ عند الشيخ عبد الرحمان بن القرون؛ ثم انتقل بعده نحو مدينة قسنطينة لمزاولة تعليمه، ولم يكتف بذلك بل هاجر إلى تونس لتلقي العلم في جامع الزيتونة، بعد من العلماء الصالحين والزهاد الورعين، ولقد ذاعت شهرته في الأوساط العلمية والثقافية بفضل المختصرات التي ألفها للمؤسسات التعليمية والدينية، والتي من أهمها: الدررة البيضاء في الحساب والفرائض، التحذير من البدع، السلم المرووق في علم المنطق.. الخ، توفي بمنطقة قجال بنواحي سطيف سنة 953هـ. يراجع كل من: الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 1، ص. 72، أبو عمران الشيخ وآخرون: معجم مشاهير المغاربة، ص-ص. 31-32، أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص-ص. 500-503.

طيطوط ومشاكلها وعلاقتها مع المغرب الأقصى، وافقت على طلبه وقضى بقية حياته في تلمسان إلى أن توفي بها سنة 1888¹.

لقد خلف سي عبد القادر عدة إخوة منهم سي زروق الذي ظل يدير شؤون الزاوية حتى سنة 1897. ومولاي الذي كان هو الآخر يدير الزاوية اليوسفية في الجزائر، أما من حيث أتباعه في الجزائر فهم قليلون مقارنة بغيرها من الطرق الصوفية الأخرى، باستثناء من كان متواجداً من بينهم في الغرب الجزائري؛ وبناء على إحصاء سنة 1882، فإنها كانت تتوفر على زاوية واحدة في الجزائر و50 مقدم، و519 مرید، أما إحصاء سنة 1897 فيقدم لنا ما مجموعه 1446 مرید².

7- الطريقة العيساوية:

أسسها الشيخ محمد بن عيسى دفين مكناس بالمغرب الأقصى³، تفرعت عن الشاذلية والجزولية؛ اتخذت طابعا شعبيا في الجزائر وفي المغرب، هنا بعض الزوايا كزاوية وزرة بنواحي المدية التي تمثل مشيخة العيساوية، ونظرا لنشاطها المشهود وعلاقتها بالمغرب، أصبحت تحت رقابة السلطات الفرنسية، التي قامت في كثير من الأحيان بنفي وطرده زعمائها وأتباعها إلى المغرب.

وللعيساوية عدة فروع وزوايا بالجزائر مثل زاوية ورزة التي كان يرأسها علي بن محمد بن الحاج علي المقيم في البرواقية ثم محمد الكبير المقيم في البليدة، وزاوية الرمشي قرب تلمسان برئاسة الكزولي ولد الحاج محمد، وزاوية قسنطينة وعنابة. أما فيما يتعلق بأتباعها فهم قليلون أيضا على غرار الطريقة الزروقية-اليوسفية، فحسب إحصاء سنة 1882 يكون قد بلغ عددهم 3.116 مرید، و13 زاوية، و45 مقدم، أما إحصاء سنة 1897، فيشير إلى ارتفاع عددهم إلى 3.580 مرید، من بينهم 33 امرأة⁴.

8- الطريقة الكرزازية (الأحمدية) والزيانية:

أسسها أحمد بن موسى الحسن مولى كرزاز بمنطقة القنادسة، ثم سرعان ما انتشرت في الجنوب الغربي الجزائري، وبالإضافة إلى دورها الديني والصوفي فالزاوية كانت ملجأ آمنا لكل من تقطعت بهم السبل، كأولاد سيدي الشيخ الذين استقر كثير منهم بالزاوية قبل هجرتهم إلى المغرب؛ وشيئا فشيئا امتد نفوذ الزاوية إلى بني سناسن ونواحي توات، وبني غيل ودوي-مينان (منيع) وحميان، وتلمسان وعين تموشنت⁵ وبني كومي وفجيج والقورارة ووادي الساورة، وحسب إحصائيات سنة 1888، يكون عدد أتباعها قد بلغ 2.924 مرید، و62

1 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، المرجع السابق، ص. 80.

2 - المرجع نفسه، ص. 80.

3 - تأسست الزاوية بوزرة - قبيلة منحدره من الشيخ محمد بن عيسى مؤسس العيساوية بمكناس - على يد أحد أجداد الأسرة سنة 1788، وكان جدهم علال قد جاء من المغرب الأقصى إلى وزرة حوالي سنة 1570، وهم فيما يقال من نسل محمد بن عيسى مؤسس زاوية مكناس. يراجع: أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، ص. 84.

4 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، المرجع السابق، ص. 85.

5 - المرجع نفسه، ص. 89.

مقدم في إقليم وهران، ثم ارتفع هذا العدد إلى حوالي 3000 مريد، و78 مقدم؛ بينما بلغ عدد زواياها سنة 1906 حوالي 10 زوايا¹.

ولا ننسى في الأخير الإشارة إلى الطريقة المهرية التي أسسها الحاج محمد المهري (ت 1901م)² الذي تمكن من جمع الأتباع حول زاويته التي أسسها بوادي كيس في مكان يعرف بدريوة في بني سناسن، وبفعل قوة شخصيته وحسن معاملته سرعان ما امتد نفوذها إلى جبال الريف غربا وهران شرقا³.

2- الفتوى بالهجرة من دار الحرب إلى دار السلام⁴:

لقد دأب العلماء والفقهاء منذ القدم على اعتبار أن البلاد العربية أو الإسلامية التي تتعرض أطرافها إلى الغزو أو الاحتلال، ويتمكن العدو الأجنبي منها، تصبح تعرف بدار الحرب، وغيرها يعرف بدار السلام، وهذا ما حدث مثلا لبلاد الأندلس بعد سقوط مدينة غرناطة سنة 1492م، حيث اعتبرها العلماء والفقهاء دار حرب، لا يمكن للمسلم الإقامة بها، نظرا لحركة التنصير والحرق التي قامت بها محاكم التفتيش الظالمة ضد المسلمين، وبالتالي أفتوا بضرورة الهجرة نحو بلدان المغرب العربي الإسلامي التي أصبحت تشكل في المقابل دار سلام.

ومن بين العلماء والفقهاء الذين تصدوا هذه النازلة، الفقيه والعلامة أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي (ت 914هـ / 1508م)⁵، من خلال رسالته الفقهية الموسومة بـ: أسنى المناجر في بيان أحكام من تغلب على وطنه النصراني ولم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر⁶. وبخصوص هذه النقطة يذكر قدور بوزياني في إحدى مقالاته: «إن دار الإسلام هي بمثابة مجال جغرافي وفضاء حضاري يحق للمسلم أيا كان أن ينتقل أو يستوطن في مختلف جهاتها ويتعايش مع المكونات الإثنية التي تشكلها»⁷.

وعليه فإن الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830 يكون قد صاحبه ظهور جدل كبير بين الفقهاء والعلماء حول ضرورة الهجرة من الجزائر التي باتت في نظرهم دار حرب؛ لا يمكن للجزائري المسلم الإقامة بها تحت ذمة

1 - المرجع نفسه، ص. 90.

2 - من مواليد سنة 1280هـ / 1863م؛ ينحدر من عائلة مرايطية تدعى أولاد بوغزة، كما ينسب إلى قبيلة زغبة الغربية المنتزعة عن قبيلة اهيرة، ولتعلم أن محمد المهري كان في البداية مقدا على زاوية الخيثر في بني يحيى بالريف المغربي ثم أظهر فيما بعد استقلاله عنها. يراجع: أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. ص. 118.

3 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، المرجع السابق، ص. 118.

4 - محمد السعيد، قاصري: "موقع المسجد في المشروع الثقافي الاستعماري 1830-1900"، المعيار، ع. 10، كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، دار الفجر للطباعة والنشر، فسنطينة، الجزائر، شعبان 1426هـ / سبتمبر 2005م، ص-ص. 179-189.

5 - هو أبو العباس أحمد الونشريسي، فقيه مالكي نشأ في تلمسان واستقر بفاس، من كتبه: المعيار المغرب عن فتاوى إفريقية والمغرب. يراجع: كرم البستاني وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 614.

6 - محمد بن عبد الكريم، الجزائري: حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية، ش. و. د. ت، الجزائر، 1981. ص. 6.

7 - "البعد الحدودي في علاقة المغرب بأتراك الجزائر (ق 10-11هـ / 16-17م)"، ط. 1، سلسلة ندوات ومناظرات، المغرب في العهد العثماني، تنسيق عبد الرحمان المودن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1995، ص-ص. 25-26.

الكافر، بل يحرم على المسلم العيش في كنفها¹، ومقابل ذلك ظهرت هناك أصوات تنادي بضرورة عدم وجوب الهجرة من الجزائر التي لا تمثل في نظرهم دار حرب، ولكل طرف من هؤلاء العلماء والفقهاء حججه. ومن بين الفقهاء الذين نادوا بوجوب الهجرة من الجزائر:

1- المهدي السكلاوي²، وذلك من خلال النصيحة التي قدمها لسكان وادي سيباو عندما أرادوا معرفة رأيه بالبقاء في الجزائر أو الخروج منها، بعدما تمكن الفرنسيون من احتلال مدينتهم سنة 1833، فكانت نصيحته لهم في هذا الشأن: «يجب ترك هذه الأرض المنعونة التي مات فيها الإسلام»³، الأمر الذي دفع بالفرنسيين إلى نعتهم بالمتعصب الديني⁴. وبهذا الخصوص تحتفظ الذاكرة الشعبية لمنطقة القبائل بمادة شعرية متميزة عبّر من خلالها السكلاوي عن سخطه وكراهيته للعدو الفرنسي، وشجّع من خلالها الجزائريين على الهجرة نحو بلاد الشام، ورغبهم فيها؛ ومما جاء في هذه المادة الشعرية، التي مازالت تحتفظ بها هذه الذاكرة⁵:

أنكر أن هاجر غر الشام

تامورت نليسلام

أقبائلي أزداس نرتيخ (آن وقت الهجرة إلى الشام/ إلى أرض الإسلام/ وسأتلخص من مثالب القبائلي)

...

الحرمة أتسنتشام

أذاو نيغيب لعلام

ثامعشت أذاو تيقشسح (عرضكم سيحرق/ رايكم ستكس/ حياتكم ستعقص)

...

غورواث أتس غيلم شعام

1 - عكاشة، برحاب: من قضايا الحدود بين المغرب والجزائر، ط. 1، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، المغرب، 2003، ص. 98.

2 - من مواليد سنة 1200هـ/ 1784م بدلس، شيخ الطريقة الرحمانية ببجاية، أفق بالحجرة من الجزائر نحو بلاد الشام، وحث أتباعه من سكان زواوة على الإقتداء به، ولم يكتف بذلك بل قاد بنفسه هجرة العلماء الجزائريين إلى سوريا سنة 1263هـ/ 1847م بأمر من الأمير عبد القادر، توفي بدمشق سنة 1278هـ/ 1862م. يراجع بهذا الخصوص كل من: سهيل، الخالدي: الإشعاع المغربي في المشرق، ص. 270، عبد العزيز، لعמיד: الشيخ طاهر الجزائري ودوره الإصلاحية في المشرق العربي، ص. 49، أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 5، ص. 509، عبد الباقي، مفتاح: أضواء على الطريقة الرحمانية الحلواتية، ص. 77، محمد أرزقي، فراد: "المشرق العربي في الشعر القبائلي"، الشروق اليومي، ع. 2475، ص. 14.

3 - عبد العزيز، لعמיד: الشيخ طاهر الجزائري ودوره الإصلاحية في المشرق العربي، د، د، ع. ماجستير، ك. آ. ع. إ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسم التاريخ، تحت إشراف عبد اللطيف صوفي، نوقشت في 9 ديسمبر 2001، ص. 49.

4 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 5، المرجع السابق، ص. 509.

5 - محمد أرزقي، فراد: "المشرق العربي في الشعر القبائلي"، الشروق اليومي، يومية، إخبارية وطنية، ع. 2475، تصدر عن ش. ذ. م، مؤسسة الشروق للإعلام والنشر، الجزائر، 9 ذو الحجة 1429هـ/ 7 ديسمبر 2008، ص. 14.

مأواهم جهنم وساءت مصيرا¹، ولقد فرغ الإمام التسولي من الإجابة عن أسئلة الأمير في ظهر يوم الأربعاء 10 ربيع الأول 1253هـ.²

3- وحسب تحفة الزائر³، فإن الأمير عبد القادر يكون قد بعث أيضا بأسئلة في هذا الشأن إلى علماء وفقهاء الأزهر الشريف، لكنه لم يذكر لنا لا نص السؤال ولا الجواب عنه.

4- فتوى الأمير عبد القادر بالهجرة التي حررها في شهر ذي الحجة سنة 1258هـ/ أواخر شهر جانفي 1843م، الموسومة بـ: حسام الدين لقطع شبه المرتدين⁴. وهي عبارة عن فتوى طويلة جدا، وغنية بالشواهد القرآنية والأحاديث النبوية، وما جادت به قريحة العلماء والفقهاء؛ كالإمام السنوسي أبو عبد الله محمد بن يوسف (ت895هـ/ 1490م)، والزمخشري جار الله أبو القاسم محمد بن عمر (ت538هـ/ 1143م)، وأبو العباس أحمد بن محمد بن زكري التلمساني (ت899هـ/ 1493م)، وعبد الكريم الرفاعي القزويني (ت624هـ/ 1227م)..⁵ ونظرا لأهميتها يمكن تلخيص أهم ما جاء فيها في النقاط الآتية:

1- البقاء تحت ذمة الكفار حرام؛ والمستحل لما حرم الله يعد كافرا بنص القرآن والإجماع، ويستشهد بقوله (ص): «أنا بريء من كل مسلم مقيم بين أظهر الكافرين»⁶. وفي الصحيح: من جامعهم أو ساكنهم فهو منهم، قالوا لما يا رسول الله؟ قال: ألا تترابا نارهما؟ وقال مالكك تحب الهجرة من أرض الظلم والعدوان، فكيف يبلى يكفر فيه بالرحمن؟ وتبعد من دونه الأوثان؟ إلى أن يقول: ولم يعذر الله تعالى المقام تحت ذمة الكافر إلا الذي لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلا، كالأعمى الذي لا يجد قائدا والزمن الذي لا يجد حاملا، مع نيتهما أحما مني وجدا ذلك هاجرا، فإن تركا النية وماتا، ماتا على غير سبيل المؤمنين»⁷.

2- «وجوب الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام ستظل باقية إلى يوم القيامة، وأن الهجرة التي انقطعت هي الهجرة من مكة إلى المدينة، بينما الهجرة من أرض الكفر، أو من أرض الفتننة، أو من أرض الباطل والحرام لا تزال قائمة، وأن الجزائريين المقيمين تحت ذمة النصارى لا تصلح لهم صلاة ولا صيام ولا حج ولا جهاد بأي وجه من الوجوه، ولا تجوز شهادتهم ولا تنفذ أحكام قضائهم»⁸.

1 - سورة النساء، الآية رقم 96، برواية ورش عن نافع، مؤلف، الجزائر، 1995، ص. 95.

2 - محمد ابن عبد القادر: تحفة الزائر، ج. 1، المصدر السابق، ص.

3 - المصدر نفسه، ص. 329.

4 - يراجع مضمون هذه الفتوى كاملة عند محمد بن عبد القادر: تحفة الزائر، ج. 1، ص-ص. 411-422، محمد بن عبد الكريم: حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية، ص-ص. 45-66.

5 - رواه أصحاب الصحيح عدا البخاري.

6 - محمد بن عبد القادر، الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج. 1، المصدر السابق، ص. 415.

7 - المصدر نفسه، ص. 415.

3- «المنضويين تحت ذمة النصارى الذين طلبوا الأمان منهم فأمتوهم وأقاموا تحت ذمتهم ودانوا بطاعتهم؛ تؤخذ أموالهم ويقتلون ولو كانوا يقرؤون القرآن، وأن أموالهم مستباحة، ومن أعانهم على إخوانهم المسلمين فإن حكمهم حكم أهل دار الحرب، في قتلهم وسلب أموالهم»¹.

لقد انتصر لفتوى الأمير هذه مجموعة من الفقهاء والعلماء؛ وعلى رأسهم الفقيه قنور بن رويلة، وعلي ابن الحفاف؛ فضلا عن علماء وفقهاء المغرب، الذين عادة ما كان يستفتيهم في كثير من المسائل الفقهية، ويمكننا متابعة هذا الانتصار الفقهي على النحو الموالي:

1- قنور بن رويلة²:

لقد انحى باللوم على كل من تخلف بالجزائر ولم يهاجر منها بعد الاحتلال الفرنسي، ووصف هؤلاء المتخلفين بالذميين في رسالته التي كتبها في هذا الشأن ووجهها إلى فقهاء العاصمة، ومما جاء فيها: «الحمد لله! هذا ما كتبه قنور بن رويلة إلى فقهاء المسلمين الذميين بالجزائر فأقرأوه وأفهموه! وإن وجدتم ردا فردوه، وإلا فتوبوا، وارجعوا لله تعالى! واخرجوا من تحت الذمة! والسلام»³. وقد خص بهذه الرسالة المفتي مصطفى ابن الكبايطي، حيث أفرد الصفحات الثلاث الأولى لتأنيبه على تودده إلى الحكام الفرنسيين، ومواقفه الودية معهم. أما عن الهجرة، فقد خاطبه بالقول: «لعلكم ظنتم أن الله لا يعبد إذا خرجتم من الجزائر وأن شريعته لا تطبق»⁴.

وتعود أسباب كتابة هذه الرسالة إلى أن ابن الكبايطي عاتب ابن رويلة على استعماله عبارة المعظم الأجد في مخاطبة الفرنسيين، وقد ردّ ابن رويلة على ذلك بأنه كان يكتب ذلك قبل أربع سنوات وكان ما يكتبه باسم الأمير؛ إلى أن نماه عن استعمال مثل هذه العبارات ((فتاب)) ولم يرجع إليها، وتعداه أن يجد عنده عبارة أخرى

1 - المصدر نفسه، ص. 419.

2 - ولد بالجزائر العاصمة، ينحدر من عائلة موسرة الحال، نشأ متشبعا بالروح الدينية والثقافة الإسلامية، تتلمذ عن الشيخ حمودة المقايسي (ت 1245هـ / 1829م)، وبعد سقوط العاصمة الجزائرية في قبضة الفرنسيين هاجر منها والتحق بخليفة الأمير عبد القادر محمد بن علال، ونظرا لمهارته وظّفه ككاتب ممتاز في مقاطعته، ثم اصطفاه الأمير عبد القادر لنفسه ومنحه وظيفة الشورى وكتابة الإمارة، إلى أن كانت واقعة طاكين سقوط الزمالة 16 ربيع الأول 1259هـ، فوقع في الأسر رفقة ولده أحمد (ت 1281هـ / 1864م)، ولما أفرج عنه التحق بالحجاز، توفي في ربيع الثاني 1272هـ / ديسمبر 1855م. من آثاره: تيسيف في علم الكلام تكتم فيه عن رسالة السنوسي في العقائد أيام حلوله بمدينة المدية سنة 1254هـ / 1838م، باقتراح من الخليفة ابن علال، وفرغ منه سنة 1257هـ / 1841م، وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، ورسالة مطولة في موضوع الهجرة خاطب بها المفتي المالكي مصطفى بن الكبايطي، توجد نسخة منها بالمكتبة الوطنية بالجزائر رقم 2083. يراجع كل من: محمد ابن عبد القادر: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج. 1، ص. 594، عبد الرحمان، الجيالي: تاريخ الجزائر العام، ج. 4، ص-ص. 144-147، قنور بن رويلة: وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، ص-ص. 18-19.

A. BERBRUGGER: " Ouichah El-Kataïb", R. A, N°. 8, Année 1864, P-P. 98-103.-

3 - محمد، ابن عبد الكريم: حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية، المرجع السابق، ص. 12.

4 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقال، ج. 6، المرجع السابق، ص. 359.

غير إلى عظيم الخنزرات منذ ذلك الحين، وقد ردّ ابن رويلة على معارضيه عبر جواب ضمّته 10 نقاط رئيسية؛ كل واحدة منها تدل على خضوع العلماء للفرنسيين مما كان يؤدي في نظره إلى الكفر¹.

2- علي بن الخفاف (ت 1307هـ/1890م)²:

يتجلى لنا انتصار ابن الخفاف لفتوى الأمير بالمهجرة من خلال تعليقه على رسالة قدور بن رويلة السالفة الذكر؛ حيث جاء فيها: «وأما ما بين حواشيها فكتبه السيد علي بن الخفاف، كان مفتي البليدة-وحج- ثم بالجزائر، وتوفي بها. فيا عجيباً! وتوليت هذا الوظيف بعدما سبّ أهل الجزائر العاصمة، وأفتى فيهم بالكفر، وأنظر وتأمل! فإنه غريب، تستدل به على نقصان عقله»³.

ويبدو أن ابن الخفاف قد غيّر رأيه في موضوع الهجرة بعدما التقى بالشيخ محمد بيرم الخامس التونسي (ت 1307هـ/1889م)⁴ الذي يكون قد أقتعه بضرورة البقاء في الجزائر حفاظاً على المصلحة العامة للجزائريين؛ وبهذا الشأن يقول محمد بيرم التونسي: «ومن الأخيار الذين اجتمعت بهم ومنحوني فضائل أخلاقهم التحرير العام الشيخ علي بن الخفاف المفتي المالكي بقاعدة الجزائر... وذاكري في المهجرة فذكرته بأن مثته قليل الوجود في ذلك القطر، وأن بقاءه فيه لتعليم الناس دينهم أنفع للعامة وله عند الله من خروجه برأسه وإبقاء تلك الأمة المسلمة خالية عن مثله، بل وربما حمل خروج غيره، ممن هو علي شاكلته على الخروج، فتبقى العامة بلا تعلم لديانتهم،

1 - المرجع نفسه، ص. 358.

2 - هو علي بن عبد الرحمن بن الخفاف، خرج من الجزائر مع من جملة من خرج منها انتظارا للفرج وحلاء العدو، إلا أن ذلك لم يتم، فصادر الفرنسيون أملاكه وأملاك أسرته؛ وبعد سقوط زمامة الأمير عبد القادر سنة 1843 رجع إلى الجزائر واستقر به عندما أدى فريضة الحج. وقد سمح الفرنسيون للمفتي علي القاديري أن يمسد وظيفة حزاب وخطور بالجامع الكبير، مظهرين له العفو والتغاضي، ثم تعيينه خلال نفس السنة وكيلا بجامع سيدي رمضان. وفي سنة 1859 مفتي في مدينة البليدة، وفي سنة 1873 تولى الفتوى بالمالكية والتدريس في الجامع الكبير على إثر وفاة الشيخ حميدة العمالي، ولقد كان في هذه الأثناء متردداً بين الهجرة أو البقاء في الجزائر، وفي سنة 1878 يكون قد زاره محمد بيرم الخامس في مقصورة الجامع حيث يستقبل خاصة الزوار؛ ونصحته بالبقاء في الجزائر. أدى فريضة الحج في حدود سنة 1280هـ. يراجع كل من: الخفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ص- ص. 82-83، أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 3، ص-ص. 82-83. محمد بيرم الخامس، التونسي: صفوة الاعتبار، ج. 2، ص. 16، أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 5، ص. 573.

3 - محمد، ابن عبد الكريم: حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية، المرجع السابق، ص. 13.

4 - ولد بتونس سنة 1256هـ/1840م، ينحدر من أسرة علمية مثقفة، حيث كان عمه بيرم الرابع مفتياً وعالماً زيتونياً؛ زار عدة مدن أوربية كفرنسا ولندن؛ وله معرفة بأوروبا وله تفكيره الخاص في التقدم الأوربي والنهضة الإسلامية، تكررت زيارته إلى الجزائر، حيث كان يلتقي فيها بالعديد من رجال الدين والقضاء مثل أحمد بوقندورة، وقدور الشريف وعلي بن الخفاف سنة 1878، يعد من المصلحين التونسيين الكبار، ومن الناقدین الكبار للحكم الفرنسي؛ وبعد فرض الحماية الفرنسية على تونس سنة 1881، هاجر إلى المشرق واستقر به المقام في القاهرة أين أصدر جريدة الإعلام اليومية ثم الأسبوعية لمدة أربع سنوات، كما تولى منصب القضاء في محكمة مصر الابتدائية الأهلية سنة 1306هـ، توفي بجزلان سنة 1889م. يراجع: أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 5، ص. 573. محمد بيرم الخامس، التونسي: صفوة الاعتبار، ج. 1، 2، خمير الدين، الزركلي: الإعلام، مج. 7، ص. 101.

وتتضمن حل منهم الديانة شيئا فشيئا والعياذ بالله بخلاف ما إذا بقي هو وأمثاله، فإنه تنتشر تعاليم العقائد والفقهاء، وتبقى الديانة إن شاء الله محفوظة في الأهالي، وذلك هو المنصوص عليه في كتب فقهاء، حتى أن الأسارى إذا لم يكن فداءهم جملة فيؤخر منهم العتقاء»¹.

وإذا كنا قد عرفنا الرأي الأول القائل بوجوب الهجرة؛ فمن الأجدد بنا معرفة الرأي المعارض لذلك، ومن بين الذين انتصروا لهذا الرأي: موسى الدرقاوي، وعبد صالح الرضوي²، والمفتي محمد بن الشهيد، الذي أدلى برأيه بشكل كبير في هذه المسألة، وذلك من خلال رسالته التي ردّ فيها على الذين أجازوا الهجرة واعتبروا الجزائر دار حرب بل دار كفر لا تجوز الإقامة بها، وهي رسالة مطولة افتتحها بنوع من التقرير والتوبيخ والتغليظ في الألفاظ، حيث يقول:

«فقد وصلتنا رسالتكم التي أطبتم فيها وأوجزتم، وأظهرتم علينا وأضمرتم، ومن سبنا صريحا والتزاما أكثرتم، ثم تحومون فيها حول تكفيرنا بسبب مكثنا في هذه البلدة وعدم انتقالنا فرشقتمونا بسهام واهية، أنشأتم تخيلات أوهام هي عن إتباع الحق ساهية، وبارتكاب الدعاوى ومتابعتها للهوى لاهية... وأنكم من العلم في غاية البعد ومن الجهل في غاية القرابة، ولكن لما جرت بحور الأغراض بأفكاركم وهاجت بقلوبكم أمواج الحقد والحسد... عمدتم إلى تكفيرنا من غير إسناد لدليل تقوم به الحجة ويشفي به غليل العليل، بل أتيتم بدلائل تخيلتم بتخيلاتكم الفاسدة... وأذهانكم الجامدة، أنها تقوم علينا بما الحجة، وما هي إلا كسراج بيد من لم يدر أين يضع قدمه؟»³.

ويتساءل جمال قنان⁴ عن صاحب الرسالة التي ردّ عنها ابن الخفاف، وعن تاريخ كتابتها، ويرجح أبو القاسم سعد الله أن يكون قدور بن رويلة⁵؛ بينما يذهب محمد بن عبد الكريم⁶ إلى القول أن ابن الشهيد ردّ في هذه الرسالة على فتوى الأمير عبد القادر السالفة الذكر، وهو ما يجعلنا نقف على تناقض صريح جاء به ابن عبد الكريم؛ الذي يؤرخ لوفاة ابن الشهيد بسنة 1837م، بينما تم تحرير فتوى الأمير سنة 1258هـ/ 1843⁷ هذا من جهة ومن جهة أخرى فوفاة ابن الشهيد وجدناها متباينة عند من ترجموا له، فجمال قنان⁸ يؤرخ لها بـ

1 - محمد بيرم الخامس، التونسي: صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج. 2، ط. 1، دار صادر، بيروت، بالاشتراك مع المطبعة الإعلامية بمصر، 1303هـ، ص. 16.

2 - محمد صالح الرضوي البحاري: معروف بكثرة إجازاته للجزائريين الذين يفوق عددهم 20 شخصا، في علم الحديث وروايته وفي التصوف كحسن بن بريهمات سنة 1821، وكان الرضوي قد زار الجزائر سنة 1261هـ.

3 - محمد بن عبد الكريم: حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية، المرجع السابق، ص. 107، ومضمون الرسالة كاملة في نفس المرجع، ص-ص. 107-124، كما أوردها جمال قنان: نصوص سياسية جزائرية، ص-ص. 136-141.

4 - نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، د. م. ج. الجزائر، 1993، ص. 137.

5 - تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 6، المرجع السابق، ص. 360.

6 - حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية، المرجع السابق، ص. 7.

7 - تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج. 1، المصدر السابق، ص. 422.

8 - نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، المرجع السابق، ص. 137.

1252هـ، بينما أبو القاسم سعد الله¹ يؤرخ لها بـ 1260هـ، ومحمد بن عبد الكريم بـ 1253هـ² وبناء على أن ابن الشاهد ناهز مائة سنة فمن المرجح أن يكون تاريخ وفاته في حدود سنتي 1252-1253هـ على أكثر تقدير، ومن غير المستبعد أن يكون ابن الشاهد قد ردّ في رسالته هذه على قدور بن رويلة كما ذهب إلى ذلك جمال قنان. ويمكننا في الأخير تلخيص ما جاء في رسالة ابن الشاهد في ما يلي³:

1- الهجرة المطلقة واجبة على من لم يتمكن من إقامة شعائر دينه؛ وكان قادرا على الهجرة، أما العاجز عنها بدنيا أو ماليا فلا.

2- البقاء تحت ذمة الكافر ليس معناه القبول والرضى بحكمه، وإنما العجز هو الذي فرض ذلك، مع توفر نية الهجرة، بقوله: «الناس قاطبة على نية الارتحال، كل يتربص ويتنظر الوقت، هذا حاصل مكثنا في هذه البلدة». ثم سرعان ما يتساءل في قوله: «كيف يتصور في أذهانكم أننا نرضى بالكفر ونحب معايشة أهلها؟ وقد غلت أسعارنا وتقطعت صنائعنا وانهدمت حوائيتنا وتعسرت مكاسبنا، وحفرت مقابرنا ونبشت ضرائح أوليائنا... فحينئذ عدم ارتحالنا إنما هو لعجزنا».

3- الهجرة غير واجبة من موضع يتمكن فيه الرجل من إقامة شعائر دينه، وإذا كان لا يتمكن من إقامتها وعاجز عن الهجرة فقد عذره الله، وإن كان قادرا عليها فهو تارك لواجب، ومن ترك واجبا فقد فعل حراما، ومن فعل حراما فهو مرتكب معصية، ولا يكفر مرتكب المعصية وأن الذين بقوا تحت ذمة الكافر ليسوا بكفار.

4- حاول الدفاع عن المتأخرين عن الهجرة، من خلال الاستشهاد بحجّة الرسول (ﷺ) وأصحابه التي لم تكن لا في يوم واحد ولا في شهر واحد، وإنما مع مرور الوقت الذي تيسرت لهم فيه، فيقول: «ونحن كذلك فالناس قاطبة على نية الارتحال والخروج كل يتربص ويتنظر الوقت الذي يجعل له فيه التيسير».

أما في المغرب الأقصى فقد أحدث هذا الجدل الفقهي بين الجزائريين ردود فعل تنتصر للمنادين بالهجرة من الجزائر التي أصبحت في نظر بعض فقهاء وعلماءه دار حرب، لا يجوز للمسلم البقاء فيها، ومن بين هؤلاء محمد العاقب بن عبد الله الجنكي (ت 1909م) في كتابه الموسوم بـ: في ذم موالاة الكفار ومدح الهجرة من بلاد الكفار، وأحمد بن محمد بن الحاج الأوماكي (ت 1914م) في مؤلفه الموسوم بالمنحة في بيان وجوب الهجرة، ومحمد بن وعزاز بن الحسن بن عبد العزيز المرغادي الأيوبي في أرجوزته الموسومة بعبارة أولى الأنصار في وجوب الهجرة من أرض الكفار؛ الذي انتهى من تأليفه سنة 1921⁴؛ والفقير محمد بن المدني كنون في مخطوطه الموسوم بـ: التحذير من الإقامة بدار العدو⁵.

1 - أبو القاسم، سعد الله: تجارب في الأدب والرحلة، م. و. ك، الجزائر، 1983، ص. 108.

2 - حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية، المرجع السابق، ص. 7.

3 - تراجع جمال، قنان: لصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، ص-ص. 136-141.

4 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب 1830-1962، المرجع السابق، ص. 29.

5 - التحذير من الإقامة بدار العدو، مخ، ع، ع، ر، رقم 2223.

وسأكتفي بالإشارة إلى ما جاء في هذا المخطوط بخصوص الهجرة من دار الحرب إلى دار السلام: «تحريم الإقامة والسكنى بين قوم لا يتناهون عن المنكر، ولا زاجر لهم يجرهم عنها وإن لم يباشروا معهم ما هو عليه تجب عليه هجرتهم... والهجرة هي الخروج من دار الحرب إلى دار السلام كانت فرضاً في أيام النبي (ﷺ)، وهذه الهجرة باقية مفروضة إلى يوم القيامة... وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل... لا تسقط هذه الهجرة الواحدة على هؤلاء الذين استولى على بلادهم أهل العدو»¹.

وإذا كانت الهجرة الجزائرية التي مسّت بلدان المشرق العربي بالخصوص ونوقشت في عدة بحوث جامعية وألفت عدة كتب حولها²، فلقد كان لبلدان المغرب العربي الأخرى كتونس³ والمغرب نصيب في هذه الهجرة؛ ويحدد لنا محمد بن العربي المشرقي وهو أحد المهاجرين الجزائريين نحو المغرب سبب لجوء الجزائريين إلى هذا البلد بقوله: «فولاية أهل النبوة أمان لهذه الأمة من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة؛ وهذا هو أحد الأسباب التي جاءت بنا للمغرب محشراً (كذا) المهاجرين واحترنا الهجرة إليه دون الهجرة لأرض تونس وما ورائها من الأمصار التي يحكم سواهم وقال عليه الصلاة والسلام «ولاية أهل بيتي أمان لأمتي»⁴. وقبل الحديث عن ردود الفعل الفرنسية حول هجرة الجزائريين، نتحدث بنا الإشارة إلى ثلاث نقاط جوهرية:

1- يذكر أبو القاسم سعد الله: «إن الهجرة الجماعية من المدن التي احتلها الفرنسيون أول مرة، كالعاصمة ووهران وتلمسان ومعسكر وعنابة وبجاية؛ لم ينتظر أصحابها فتوى العلماء ولا حكم الشريعة؛ لقد حمل القادرون أولادهم وأرزاقهم التي خفت وارتحلوا برا وبحرا وشرقاً وغرباً»⁵. ولكن على الرغم من ذلك فإن فتوى العلماء بالهجرة تكون قد شجعت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة الجزائريين على الهجرة، خصوصاً مع تنامي خطر السياسة الاستعمارية، وظهور كثير من المؤلفات التي تدعو المسلمين إلى الهجرة من الأرض التي استولى عليها العدو.

2- وحسب سعد الله أبو القاسم دائماً فإن المقصود بالهجرة عندما طرحت في الثلاثينات من القرن 19: «هي الخروج من المنطقة التي تغلب عليها الفرنسيون إلى منطقة أخرى ما تزال تحت الحكم الإسلامي، كالمناطق

1 - انصدر نفسه، ورقات ص-ص. 145-146.

2 - مثل: الإشعاع المغربي في المشرق العربي لسهيل الخالدي، الهجرة الجزائرية إلى بلاد الشام لعمار هلال، الهجرة الجزائرية إلى المشرق العربي من منتصف القرن التاسع عشر إلى مطلع القرن العشرين (سوريا نموذجاً) لنادية طرنتون.

وللعلم أن هناك كم هائل من الوثائق الأرشيفية في أرشيف مدينة أكس-أن-بروفانس (Aix-en-provence) بفرنسا تتعلق بهذا الموضوع ضمن العلبه H، اطلعنا على بعض جوانبها أثناء وجودنا بهذا المركز في موفى شهر أكتوبر 2007.

4 - محمد، أمطاط: المهاجرون الجزائريون نحو المغرب 1830-1962، المرجع السابق، ص. 28.

5 - تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 6، المرجع السابق، ص. 356.

الواقعة تحت حكم الأمير عبد القادر؛ والجدل الذي نشأ حول الهجرة بين بعض العلماء عندئذ إنما مصدره هذه الفكرة، وهي تجميع المسنمين تحت راية الأمير ورفض الحكم الفرنسي وتوحيد الصف، وليس المقصود بها مغادرة القطر الجزائري إلى بلدان إسلامية أخرى»¹.

3- محمد خلدون بن محمد مكّي الحسيني الجزائري؛ ينفي نفيًا قاطعًا فتوى الأمير عبد القادر بالهجرة، وذلك في مقاله الموسوم بـ: تجلية الأمر ثم الإعلام بصحة فتوى الأمير عبد القادر في وجوب الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام²، وهو مقال يرد فيه بشدة على محمد بن عبد الكريم بخصوص كتابه الموسوم بحكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية.

ولكن من خلال النصوص والشواهد الفقهية السالفة الذكر يلاحظ أنها لم تخصص لنا الهجرة نحو دولة الأمير بعينها، ولا هو بدوره دعا في فتواه بالهجرة إليها، كما أن سعد الله نفسه يعود ويستطرد في القول: «وقد ظهرت فكرة الهجرة الجماعية بين العلماء ورجال الدين، وحتى عند الأمير، وهي دعوة الناس إلى الخروج من الجزائر كلية ما دام الكافر قد تغلب عنها، قياسًا على هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم»³. هذا من جهة ومن جهة أخرى فهذا الجدل الفقهي تجده قد ظل مستمرًا حتى بعد اختيار حكومة الأمير وسقوط زمالته وفشل مقاومته سنة 1847م كهجرة أولاد سيدي الشيخ نحو المغرب وهجرة التلمسانيين والقسنطينيين وغيرهم نحو المشرق؛ وذلك من خلال الدور الذي كانت تقوم به الجامعة الإسلامية، في استقطاب المهاجرين الجزائريين.

4- لقد ظلت حركة الهجرة مستمرة طيلة القرن 19 وخلال الربع الأول من القرن 20 حيث أخذها قد بدأت تقل نوعًا ما، بسبب التغيير الحاصل في السياسة الاستعمارية بفرنسا وكتيجة لفرض الحماية الفرنسية على المغرب، ولكن مع بداية النصف الثاني من هذا القرن وخصوصًا أثناء الثورة الجزائرية نشطت حركة الهجرة نحو المغرب من جديد.

نظرًا للتدفق الهائل للمهاجرين الجزائريين نحو المشرق والمغرب، لم تبق السلطات الاستعمارية مكتوفة الأيدي أمام هذا التروح الذي بات لا يخدم مصالحها كتوفير اليد العاملة الرخيصة للمعمرين في الجزائر، والحفاظة على تحسين صورتها لدى الدول التي مستها الهجرة راحت تمنع وتعرفل هجرة الجزائريين، ومن بين الوسائل التي راхنت عليها في ذلك الفتوى بعدم جواز الهجرة من الجزائر!. وهذا ما سنلمسه من خلال النموذجين الآتيين:

1- الفتوى بإبطال فريضة الجهاد و عدم شرعية الهجرة⁴:

نظرًا للمرجعية الدينية التي ساهمت في تفعيل حركة المقاومة الجزائرية، قام الجنرال "بيجو" بتكليف "ليون روش" للقيام بمهمة خطيرة للغاية مفادها: السعي لدى الفقهاء والعلماء للظفر منهم بفتوى تبطل فريضة الجهاد

1 - المرجع نفسه، ص. 357.

2 - بديعة الحسيني، الجزائري؛ وما بدلوا تبديلاً، ط. 2، دار الفكر، دمشق، 1429هـ/ 2008م، ص-ص. 235-257.

3 - الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 1، المرجع السابق، ص. 251.

4 - محمد السعيد، قاصري: "موقع المسجد في المشروع الثقافي الاستعماري 1830-1900"، المعيار، ع. 10، المرجع السابق، ص-ص. 179-184.

بالجزائر، وتحرم في نفس الوقت هجرة الجزائريين نحو الخارج، فقام روش بالاتصال ببعض الأطراف المناوئة للأمير عبد القادر آنذاك وعلى رأسهم شيخ الزاوية التجانية؛ الذي يكون قد تمكن من إقناعه بهذه الفكرة، وبناء على ذلك قام محمد التجاني ومقدم الزاوية الطيبية بالتحرك لنجاح هذا المسعى، حيث تمكننا من تشكيل وفد يضم بعض الفقهاء. ونظرا لقدرة روش على المناورة والتخطيط تم تعيينه على رأس هذا الوفد الذي سيتوجه نحو البقاع المقدسة مروراً بعلماء الزيتونة والأزهر الشريف، وفعلاً تمكن في الأخير من الظفر بهذه الفتوى التي صادق عليها كثير من العلماء والفقهاء في الطائف ومكة المكرمة، وبعد أن أدوا مريضة الحج رجع الوفد إلى الجزائر حاملاً معه نص هذه الفتوى¹.

وخلاصة ما جاء في هذه الفتوى، هو دعوة الجزائريين إلى مهادنة الفرنسيين، وعدم جواز مقاومتهم. ما داموا لم يتعرضوا لنسائهم وأطفالهم، وسمحوا لهم بممارسة شعائرهم الدينية، وبالتالي فليس هناك سبب يدعوهم إلى الهجرة، ولتفعيل هذه الفتوى علق على أبواب المساجد وألقيت على المنابر، كما نشرت في جريدة المشرق؛ ولتوضيح ما أحدثته هذه الفتوى من نتائج ايجابية لصالح الطرف الفرنسي سنكتفي بما جاء على لسان الجنرال "بيجو" في خطابه إلى الجنرال "لامورسيير" بوهران: «لقد كان سفر روش إلى مكة واجراره وراء الحجاج أمراً لم أرضه؛ ولكن نظراً لما كسبناه من وراء ذلك من الناحية السياسية المحضة؛ فقد نال إعجابي وصارحته على السعي المحمود»².

2- فتوى أهل قورارة سنة 1895³:

صدرت هذه الفتوى بأمر من الحاكم العام "جول كامبون"، على شكل سؤال مفاده: «ما قولكم في أهل بلدة مسلمين قد استولى عليهم الكافر وصار حاكماً عليهم ولم يتعرض لهم في أمور دينهم بل يحثهم على إجراء أحكامهم الدينية ووظف عليهم قاضياً من أهل دينهم يجري عليهم الأحكام الشرعية وجعل له معاشاً وافراً يأخذ على رأس كل شهر، فهل مع هذا تحب عليهم الهجرة أم لا؟ وهل تحب عليهم مقاومة ومخاربه مع عدم قدرتهم على ذلك أم لا؟ وهل بلادهم التي استولى عليها يقال لها دار حرب أم دار سلام؟ بيئوا لنا شافياً وقاطعاً للتراع أيداً الله بكم الدين»⁴.

1 - يراجع بهذا الخصوص ما كتبه يوسف مناصرية: مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب، ص-ص. 40-42.

2 - يوسف، مناصرية: مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1874، م، و، ك، الجزائر، 1990، ص. 42.

3 - محمد السعيد، قاصري: "موقع المسجد في المشروع الثقافي الاستعماري 1830-1900"، المعيار، ع. 10، المرجع السابق، ص-ص. 184-189.

4 - جمال، فنان: نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، د، م، ج. الجزائر، 1993، ص-ص. 262-264، يراجع كل من: محمد الأمين، بلغيث: "التوسع الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري من خلال فتوى أهل قورارة"، المصادر، ص-ص. 133-145. محمد السعيد قاصري: "موقع المسجد في المشروع الثقافي الاستعماري 1830-1900"، المعيار، ع. 10.

ص-ص. 163-191.

لقد استعان "جول كامبون" في سبيل الإجابة عن هذا السؤال بأحد الشخصيات المغامرة وهو "كورتيلسون" الذي كلف أحد الحجاج الجزائريين المتوجهين لأداء فريضة الحج؛ وزوّده بالهدايا والأموال لكي يتصل بشيوخ المذاهب السنية المقيمين بمكة المكرمة والحصول منهم على فتوى في هذا الموضوع. وتزعم المصالح الفرنسية أن المفتون بالمذاهب الثلاث في مكة: الشافعي والحنفي والمالكي قد أحابوا بما يرضي الفرنسيين، فالسؤال الأول المدرج في نص الفتوى أجاب عنه المفتي الحنفي عبد الرحمان بن عبد الله سراج بما يلي:

1- لا تعتبر دار الإسلام دار حرب إلا بأمور ثلاث: إجراء أحكام أهل الشرك. واتصالها بدار الحرب. وبأن لا يبقى فيها مسلم أو ذمي آمن بالأمان الأول على نفسه.

2- متى وجد قاضي من المسلمين ولو بإقامة الكافر له وأجريت أحكام المسلمين كإقامة صلاة الجمعة والأعياد والحدود... الخ، لا تخرج البلاد على أن تكون دار إسلام². بينما يكون قد أجاب عن السؤالين الثاني والثالث كل من: المفتي الشافعي محمد سعيد ابن محمد بايصيل، والمفتي المالكي محمد عابد ابن المرحوم الشيخ حسين بما يلي³:

1- يجب عدم مقاومة الكفار مع عدم القدرة.

2- لا تصبح بلاد الإسلام إذا استولى عليها العدو دار حرب.

إن ما يمكن الوقوف عليه في الأخير هو أن هذه الفتوى تكون قد ساهمت في التشويش على حركة المقاومة الجزائرية، وعمقت الانقسام بشكل كبير بين المؤيدين والمعارضين لها، كما تمكنت من التخفيف من حدة الهجرة الجزائرية نحو المغرب الأقصى، ولم تكتف السلطات الفرنسية بهذا المسعى بل قامت بمحاولة استقطاب المهاجرين الجزائريين في المغرب بعودتهم إلى الجزائر، وهذا ما لمسناه من خلال طلبات الرجوع والعودة إلى الوطن الأم والتي تقدم بها مجموعة من المهاجرين بالمغرب إلى السلطات الفرنسية بهران وسعيدة وسيدي بلعباس وتلمسان... الخ ومثليها بالمغرب الأقصى في كل من طنجة والرباط وتطوان؛ ورغم محدوديتها فإن فرنسا حاولت أن تضني عينيها نوعاً من المصادقية وتولي لها أهمية كبيرة.

1 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 6، المرجع السابق، ص. 365.

2 - محمد الأمين بلغيث: "سياسة التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري من خلال فتوى أهل قورارة"، المصادر، ع، 3، فصلية، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة التحرير الجزائرية، الجزائر، 1421هـ/2000م، ص. 136.

3 - المرجع نفسه، ص. 143.

جامعة الأميرة
علاء الدين بن غلوم الإسلامية

الباب الثاني

مراحل الهجرة واتجاهاتها في

المغرب

الفصل الأول:

مرحلة الهجرة الأولى

(1830-1859).

- المهاجرون الجزائريون نحو تطوان.
- المهاجرون الجزائريون نحو فاس.
- المهاجرون الجزائريون نحو وجدة وطنجة.

1- المهاجرون الجزائريون نحو تطوان:

تعتبر تطوان من بين المدن المغربية التي كانت في الطليعة الأولى لاستقبال أفواج المهاجرين الجزائريين¹، نظراً للدور الريادي الذي لعبته في تميمين وتثمين العلاقات الجزائرية المغربية قبل الاحتلال الفرنسي، وخصوصاً ما تعلق منها بالعلاقات الاقتصادية، كونها تتوفر على ميناء بحري هام جداً، كان على صلة وثيقة بميناء الجزائر العاصمة؛ فكانت حركة السفن الواردة على المرفأين دائبة، وكانت تطوان مثلاً تصدر جزء كبير من منتوجاتها نحو الجزائر. مثل البلاغي والكرازي الصوفية التي تقتنيها القوات الجزائرية، والحصائر، والمكاحل، والبارود، وأنواع الحصى ومادته كالديس، وللعلم أن هذه الصناعة انتقلت إلى الجزائر على يد أسرة الحسيين التي كان أفرادها يتنقلون بين تطوان ووهرا².

ومقابل ذلك كانت تطوان تستورد من الجزائر السبنيات والكرازي الحريرية والأواني الصغرية؛ كما كان يقيم بتطوان أحد التجار الجزائريين ألا وهو عبد الكريم بن الطالب³، الذي لعب دور كبير في تميمين هذه الروابط التجارية، إلى جانب كونه قنصل نيابة الجزائر في تطوان إلى غاية سنة 1830، ناهيك عن العلاقات المتينة التي كانت تربطه برجال المخزن منذ استقراره بهذه المدينة. ولقد تطورت هذه العلاقات التجارية بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث شكلت تطوان فيما بين 1838-1843 قاعدة أساسية لتزويد الأمير عبد القادر بالأسلحة، عن طريق وكيله النشيط بالمدينة ابنصور- من أصول يهودية- الذي كانت له علاقة وطيدة بأحد التجار

1-Michaux-Bellaire: les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, P. 5.

2-عبد العزيز، السعود: تطوان خلال القرن 19، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي، منشورات جمعية تطوان-تطوان، 1996، ص. 43.

3-بعد أحد كبار التجار الأثرياء بمدينة الجزائر؛ هاجر نحو مدينة تطوان واستقر بها قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر، قام بعدة مهام وأدوار سواء كان لصالح الجزائر أو المغرب، من بينها:
-قنصل نيابة الجزائر بتطوان إلى غاية سنة 1830.
-تنشيط الحركة التجارية بين مدينة تطوان ومدينتي الجزائر ووهرا.
-وساطته للداي حسين باشا لدى السلطان المغربي في قبول لجوءه إلى مدينة تطوان والاستقرار بها، إلا أن الداي حسين اختار الاستقرار فيما بعد بمصر.

-كانت له روابط تجارية مع المخزن، حيث نجده قد سافر إلى أوروبا للمناجحة لحساب السلطان. يراجع كل من: عبد العزيز، السعود: تطوان خلال القرن 19، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي، ص. 43، محمد السعيد، قاصري: ((موقف السلطان المغربي من الداي حسين عقب الاحتلال الفرنسي للجزائر))، منتدى الأستاذ، ع. 3، ص. 151.

الإنجليز في جبل طارق¹، فكانت تطوان تتوصل بالطلبات والنقود عن طريق الوكيلين الرئيسيين للأمير عبد القادر المقيمين بفاس وهما بنونة من تلمسان و"مانوتشي"² من تونس³.

وإلى جانب هذه العلاقات التجارية تكون قد جمعت عدة روابط أخرى بين سكان مدينة تطوان وبعض المدن الجزائرية الرئيسية كالجزائر وهران وتلمسان؛ وهذا ما عبّر عنه التواجد الجزائري المائل بتطوان قبل سنة 1830، ناهيك عن الروابط التاريخية وعلاقات حسن الجوار التي تميزت بطابعها الحسن أثناء العهد العثماني؛ وبالتالي فلا ضير أن تكون تطوان قبلة للأفواج الأولى من المهاجرين الجزائريين، وعلى هذا الأساس فإنه بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر العاصمة مباشرة يكون قد ورد على ميناء مرتيل⁴ بتطوان مراكيب بحريين حامدين للمهاجرين الجزائريين، وهذا ما أشارت إليه مراسلات السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى القائد محمد العربي أشعاش⁵.

ومن أهم ما جاء في جواب السلطان عن رسالة أشعاش بخصوص هؤلاء المهاجرين: «فقد وصلنا كتابك مخبرا بورود المراكيب الحاملين لأهل الجزائر ردها الله دار إسلام، وبما أخبر به أهلها عليها وعلى وهران، وما فعل العدو الكافر قصمه الله وخيب سعيه»⁶. ولم يكتف السلطان بهذا الجواب؛ بل سرعان ما تمّنه برسالة أخرى جاء

1 - محمد السعيد، قاصري: العلاقات الجزائرية المغربية 1830-1847 (الغرب الجزائري والمغرب الشرقي نموذجاً)، د. د. ع. أطروحة ماجستير، مرقونة، نوقشت يوم 21 مارس 2001، في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، تحت إشراف: الدكتور احميده عميرايوي، ص. 97.

2 - ولد في جزيرة كورسيكا من أب يهودي كان فصيلاً لإيطاليا في مدينة بزررت التونسية، ورد ذكره في مذكرات الكولونيل سكوت بقوله: (إن مانوتشي هو سفير لصاحب السمو الملكي الأمير عبد القادر)، لعب دور كبير في تنظيم اتصالات الأمير بالسلطات الإنجليزية في جبل طارق، خصوصاً مع التجار الذين كانوا يزودونه بمختلف أنواع الأسلحة التي يتم استيرادها. يراجع كل من: مذكرات الكولونيل سكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر سنة 1841، ص. 14، محمد السعيد، قاصري: العلاقات الجزائرية المغربية 1830-1847 (الغرب الجزائري والمغرب الشرقي نموذجاً)، ص. 97.

3 - عبد العزيز، السعود: تطوان خلال القرن 19 مساهمة في دراسة المجتمع المغربي، المرجع السابق، ص. 43.

4 - إدريس، خليفة: الحركة العلمية الثقافية بتطوان منذ الحماية إلى الاستقلال 1331-1376هـ / 1912-1956م، ج. 2، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1414هـ / 1994م، ص. 63.

5 - هو ابن القائد الحاج عبد الرحمان بن عبد القادر أشعاش، ونظراً لمكانة والده ودوره البارز في القيادة، التحق ببلاط السلطان عبد الرحمان ابن هشام، ونظراً لإخلاصه وتفانيه في خدمة المحزن، يكون قد عينه السلطان قائداً على مدينة تطوان سنة 1242هـ، يتميز بشخصية جمعت بين القوة والتسلط والاستبداد في الحكم، ساهم عدة مرات في نجدة السلطان وحمايته من الفتن الداخلية التي كانت تعصف به بين الحين والآخر، توفي بمدينة تطوان يوم 24 محرم 1261هـ، ودفن بزواية سيدي عبد الله الحاج البقال المتصلة بدار أشعاش. يراجع: محمد، داود: تاريخ تطوان، ج. 3، ص. 276-294.

6 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى محمد أشعاش بشأن المهاجرين الجزائريين، مؤرخة في 22 ربيع الأول 1246هـ. دورية الوثائق الملكية، مجموعات وثائقية، تصدرها م. و. م. مع. 1، المطبعة الملكية بالرباط، 1396هـ / 1976م، ص. ص. 458-459.

فيها: «وبعد فقد وصلنا كتابك وصحبته زمام الواردين على ذلك الثغر من أهل الجزائر، ردها الله دار إسلام بجاه النبي عليه الصلاة والسلام، وعلمنا عددهم وكل واحد وخدمته»¹.

إن أصل هذا الزمام المشار إليه ، يوجد أصله في الخزانة الملكية بالرباط، وهو زمام تضمن أسماء المهاجرين وأصلهم وعمل كل واحد منهم؛ وعددهم المقدر بحوالي 100 مهاجر؛ وهذا ما سنشير إليه ضمن الجداول الآتية:

1- رؤساء البحر²:

الاسم	الأصل
أحمد بلجي	عربي
محمد بن سلوطني	عربي
عبد القادر بن الرئيس	كرغلي
حسن تلو رئيس المرسي	تركي

2- الطوبجية/المدفعية³: وهم في معظمهم ينتمون إلى فئة الكراغلة.

محمد بن أيوب	سايما	محمد بن المصطفى	أحمد بن محمد
علي بن أحمد	إبراهيم	عبد الرحمان بن عمر	مصطفى
مصطفى بن عبد الله	أحمد	حسن بن أيوب	حسن
مصطفى بن علي	إبراهيم	يوسف بن مصطفى	مصطفى
مصطفى بن محمد	أيوب	محمد بن إسماعيل	علي بن أحمد

3- البحرية⁴:

الاسم	الأصل	الاسم	الأصل
مصطفى	عربي	مولود بن قاره	عربي
فرجي	سوداني	علي بن الحاج محمد	عربي
حمادي	سوداني		

4- القلاطية⁵:

الاسم	الأصل	الاسم	الأصل
محمد بن عصمان	تركي	علي بن محمد	كرغلي من صناع الزنادات
حاج محمد بن محمد	كرغلي	إبراهيم	كرغلي زنايدي أيضا
محمود خليل	عربي من صناع الكرايط	علي	عربي قردري/ قصدري.

1- م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى محمد أشعاش بشأن المهاجرين الجزائريين، مورخه في 23 جمادى

الأولى 1246هـ، دورية الوثائق الملكية، مج. 8، الرباط، 1398م/ 1978م، ص. 202.

2- المصدر نفسه، ص. 202.

3- المصدر نفسه، ص- ص. 202-203.

4- المصدر نفسه، ص. 203.

5- المصدر نفسه، ص- ص. 203-204.

5- الأعيان¹:

الاسم	الأصل	الاسم	الأصل
محمد خوجة	كاتب تركي	مصطفى بن الخرنجي	
محمد خوجة سي أحمد طرم		عبد الرحمان الرشاي	عربي
أحمد بن عمر	عربي	أخوه	
عبد القادر أشعاش	كرغلي	أحمد بن المقلع	عربي
الحاج علي بن المنقي	كرغلي	الحاج محمد الدباغ	عربي
الحاج أحمد بن الطالب		ولده	
وولده عبد الرحمان		محمد بن الفكائي وأخوه	عربي
وحفيده الحاج محمد		محمد الترجمان	كرغلي

6- أصحاب الحرف وغيرهم²: يمكن تصنيفهم حسب الزمام وفق نسبهم إلى قسمين رئيسيين على النحو الموالي:

1- العرب:

الاسم	الحرفة	الاسم	الحرفة
سيدي أحمد	حرار	حاج مصطفى بن محمد	خرزاز ³
عبد القادر	خياط	أحمد بن محمد	حرار
محمد بن عبد الرحمان	قزاز ⁴	المختار بن حمدان	حمام ⁵
قدور بن إبراهيم	خياط	محمد بن الخروي	خياط
أحمد بن علي	سباغ	محمد بن عبد الرحمان	خرزاز
حاج محمد بن الهاشم	/	علي بن المساري	خرزاز
عمر بن الحاج محمد	حرار	محمد بن محمد	عطار
حاج مصطفى	حرار	محمد بن الحاج قدور	نجار
حاج محمد بن المصطفى	عطار	علي	/
قدور بن منح	قزاز	حاج عمر	عطار
أحمد بن محمد	حمام	أحمد بن محمد	حرار
محمد محمود	/	علي بن الحاج عمر	حرار

1 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى محمد أشعاش بشأن المهاجرين الجزائريين، مج. 8، دورية الوثائق

الملكية، المصدر السابق، ص. 204.

2 - المصدر نفسه، ص- ص. 204-206.

3 - هو الذي يصنع أحذية الرجال.

4 - نسبة إلى القز، وهو ما يسوى منه الإبرسيم أو الحرير؛ وهي كلمة فارسية، والقزاز هو بائع القز. يراجع: كرم البستاني

وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، المرجع السابق، ص. 627.

5 - فالْحَمَام هو من يتعاطى الحِصَامَة، وهي تتم بالحجم الذي هو عبارة عن آلة وهي شيء كالكَاس يفرغ من الهواء ويوضع على

الجلد فيحدث تمبعا ويجذب الدم أو المادة بقوة. يراجع كرم البستاني وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 120.

2- الكراغلة:

الاسم	الحرفة	الاسم	الحرفة
إبراهيم	قزاز	محمود بن سليمان	قزاز
مصطفى بن شاوش	/	أحمد بن محمد	قزاز
عمر	شاوش	مصطفى بن قدور	
سيدي محمد	خياط	قرلا	
حمود حسين	خياط	محمد بن عصمن	حضاق
يوسف		أحمد بن علي	
أحمد بن عمر	حجام	مصطفى بن علي	يفرا
أحمد بن سليمان	خياط	عمر بن الحسن	حرار
أحمد بن المصطفى		مصطفى	
حمود بن الحاج محمد	خراز		

3- الأتراك:

الاسم	الحرفة	الاسم	الحرفة
عصمان		إبراهيم بن أحمد	
محمد تركي	شاوش	إبراهيم بن أحمد	

وإلى جانب هذا نسجل هجرة 24 أسرة جزائرية كورغلية ضحّت بمصالحها وأملاكها والتجأت إلى المغرب؛

واستقرت بتطوان، وهي مدرجة ضمن الجدول الموالي¹:

ابن عبد اللطيف وإسماعيل	النشار	ربيع	الكرمة
ابن الشطاب	المقفلحي	بوعزيز وبلاهوان	النفقاي
ابن المفتي	المعمر	الترجمان	الشاوش
ابن القات	المسامري	الحرايقي	الجزيري
ابن سفاج	المسوس	الحزنادجي	ابن صيام
ابن عودة	الموفق (الثعالبي)	الرشاي	الحرار

كما أن معلمة المغرب ترصد لنا بدورها بعض الأسر الجزائرية التي هاجرت نحو تطوان واستقرت بها والسبي

يمكن حصرها في ما يلي:

1 - عبد العزيز، السعود: تطوان خلال القرن 19 مساهمة في دراسة المجتمع المغربي، المرجع السابق، ص. 91.

1- أسرة السليمانى¹:

للعلم أنه توجد بتطوان أسرة تحمل هذا الاسم غير أنها من أصول أندلسية، كما توجد بنفس المدينة أسرة تحمل نفس الاسم وتمييزا لها عن أسرة السليمانى الجزائرية الأصل، وتمييزا لها عن السليمانى الأندلسية فإن أسرة السليمانى الجزائرية باتت تعرف في تطوان بأسرة الغنمية؛ وهم شرفاء حسنيون يتواجدون أيضا بفاس انتقلوا إليها من مدينة معسكر، وهم ينتسبون إلى سليمان بن عبد الله أخي إدريس الأكبر².

2- أسرة الطرابلسي:

وهي أسرة تطوانية ذات أصول جزائرية، هاجرت ضمن الأسر الجزائرية نحو تطوان سنة 1840، وكان جل أفرادها يتعاطون حرفة الصيد البحري، غير أن هذه الأسرة لم تحافظ على بقائها واستمرارها فكان مصيرها الانقراض³.

3- أسرة التُّرجمان أو الطُّرجمان:

وهي أسرة ذات أصول جزائرية، كانت من ضمن طليعة الأسر الجزائرية التي هاجرت نحو تطوان بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر مباشرة سنة 1246هـ / 1830م، ولقد ظلت هذه الأسرة معروفة إلى حدود سنة 1354هـ⁴.

أما بخصوص الدراسة التي قام بها إدريس بوهليلة⁵ حول العائلات الجزائرية المقيمة بتطوان من خلال تحقيقاته لمخطوط عمدة الراوين، فهو يذكر لنا حوالي 33 عائلة منها 9 عائلات سبق ذكرها في الفصل التمهيدي، كونها هاجرت قبل سنة 1830، أما العائلات المتبقية فيمكننا حصرها ضمن الجدولين الآتيين:

1- الجدول الأول: وهو يشمل لنا حوالي 10 عائلات جزائرية؛ تمكن أحمد الرَّهوني من تحديد تاريخ هجرتها نحو مدينة تطوان، بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر؛ تتمثل في ما يلي:

1- السليمانى في الأصل هي عبارة عن أسرة تطوانية أصلها من الأندلس، وبعد سقوط مدينة غرناطة سنة 1492م تبسّن ضم أن يهاجروا كغيرهم من المسلمين المضطهدين نحو بلدان المغرب العربي، فأرغموا على كتابة اسم عائلتهم بالحروف اللاتينية - çuleymen / çuleyma - ثم وجدنا أن هذه العائلة انتقل بعض أفرادها إلى تطوان. فباتت تعرف بهذا الاسم، في الوقت الذي توجد فيه أسرة بتطوان تحمل نفس اللقب غير أنها من أصول جزائرية.

2 - معلمة المغرب، مج. 15، المرجع السابق، ص. 5102.

3 - معلمة المغرب، مج. 17، المرجع السابق، ص. 5725.

4 - دورية الوثائق الملكية، ج. 8، المصدر السابق، ص. 204، يراجع أيضا: معلمة المغرب، ج. 7، ص. 2319.

5 - أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الملك السعيد بتطوان، قام بدراسة وتحقيق هذا المخطوط، في سنة 2006م، في حوالي 6 أجزاء، ولم تسمح لي الظروف بالاستفادة من المعلومات التي اشتمل عليها الجزء السادس أثناء وجودي في المغرب في شهر جويلية 2006، لأنه لم يصدر آنذاك بعد، وهو جزء مهم جدا لموضوع دراستنا.

اسم العائلة	ملاحظة
أبو عزيز أو ابن عبد العزيز	كان لها صيتا في عالم المعرفة، ومن أشهر أعلامها العلامة الجليل سيدي احمد بن عبد العزيز السدي يُعد أول من هاجر نحو هذه المدينة، ثم تبعه شيخه محمد بن عبد العزيز ¹ .
ابن الشطاب	عائلة كرجلية ومن أفرادها الذين كانوا علي قيد الحياة في عهد الرهوني محمد ابن الشطاب.
ابن عبد اللطيف	عائلة كرجلية
ابن عمر	
ابن القاش ² .	
ابن المفتي	عائلة كرجلية
بنونة ³ .	عائلة جزائرية هاجرت من تلمسان، ومن بين أعيانها محمد بن نونة الذي وقف في وجه الأمير عبد القادر، وهرب إلى المغرب، ثم رجع إلى تلمسان بوساطة السلطان المغربي عبد الرحمان ابن هشام ⁴ .
الجزائري ⁵ .	
الطراري/ الترابي	
الغنمية ⁶ .	تنسب إلى الشرفاء الحسينيون بمدينة معسكر.

2-الجدول الثاني:

وهو يشمل لنا مجمل العائلات التي أشار إليها الباحث المغربي إدريس بوهليلة من خلال تحقيقه لمخطوط عمدة الراوين في تاريخ تطاوين لأحمد الرهوني (ت1373هـ/1953م)⁷؛ والتي يبلغ عددها حوالي 14 عائلة جزائرية:

1- إدريس، بوهليلة: ((العائلات الجزائرية بتطوان من خلال مخطوط عمدة الراوين في تاريخ تطاوين لأحمد الرهوني))، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المرجع السابق، ص. 302.

2- المرجع نفسه، ص. 303.

3- المرجع نفسه، ص. 304.

4- Ougest, Cour : (L'occupation Marocaine de Tlemcen , September 1830- Janvier 1836), op, cit, p-p, 32-33.

5- إدريس، بوهليلة: ((العائلات الجزائرية بتطوان من خلال مخطوط عمدة الراوين في تاريخ تطاوين لأحمد الرهوني))، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع. 10، المرجع السابق، ص. ص. 305.

6- المرجع نفسه، ص. 30.

7- ولد بتطوان سنة 1288هـ/ 1871م، وما نشأ وتعلم، حفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه وتلقى مبادئ الشريعة والعلم والعلوم اللغوية، انتقل إلى فاس سنة 1891م، وهناك تردد على حلقات كبار شيوخها بجامع القرويين، وبقي فيها مسدة 6 سنوات (1891-1897)، اعتنق خلالها الطريقة التجانية؛ ثم رجع إلى تطوان وتقلد بها مناصب عديدة كالتدريس والعدالة والكتابة بدار النيابة بطنجنة، وكتابة النائب السلطاني، بالإضافة إلى وظائف أخرى: وزير العدلية خليفة المولى المهدي سنة 1313هـ/ 1913. وشيخ العلوم سنة 1934، ورئيس المجلس الأعلى للتعليم، كان من طليعة العلماء الذين وقّعوا على البيعة للملك محمد الخامس المؤرخة في 05 شعبان 1372هـ/ 29 أبريل 1953م؛ عزل من وزارة العدل أول مرة سنة 1923، والثانية عندما أهد من منصبه كرئيس لمجلس الأعلى للتعليم، كثرت عليه الديون فزهد في آخر أيامه وظل على هذه الحال إلى أن توفي. ومن آثاره: الفقهية:

غير أنه لم يحدد لنا تاريخ هجرتها نحو مدينة تطوان؛ والتي من غير المستبعد أن تكون هاجرت خلال هذه المرحلة؛ وهي على النحو الموالي¹:

اسم العائلة	ملاحظة	اسم العائلة	ملاحظة
ابن جعفر	لم تعد متواجدة بالمدينة	ابن فاضل	
ابن دباغ	لم تعد متواجدة بالمدينة	ابن يونس	كانت لا تزال متواجدة في عهد أحمد الزهوي
ابن سفاح	لم تعد متواجدة بالمدينة	أبو عمارة	لم تعد متواجدة بالمدينة ² .
ابن زاكور		أبو معزة	لم تعد متواجدة بالمدينة ³ .
ابن صيام		أبو البلهوان	
بن طالب		الحرايقي	
ابن عبد البر		الحفاف	عائلة جزائرية

ولم تقتصر الهجرة على مدينة الجزائر العاصمة فحسب، بل شملت عدة مدن جزائرية أخرى كقسنطينة، ومستغانم ووهران وتلمسان وغيرها⁴؛ هذا ولقد أحصى من فقراء الجزائر المهاجرين بتطوان وحدها في حدود سنة 1258هـ / 1842م، حوالي 700 شخص⁵، وإلى جانب هذه العائلات وهذا العدد الهائل من الجزائريين المستقرين بالمدينة؛ تكون قد هاجرت نحو مدينة تطوان عائلة بوضربة؛ والتي من بين أهم أفرادها الذين مثلوها في تطوان أحمد بوضربة، وابنه، وعمه مصطفى بوضربة؛ ونظرا للدور الفعال الذي قام أفراد هذه العائلة سواء في الجزائر أو في مدينة تطوان رأيت من الضرورة بمكان الوقوف عندهم والتعريف بهم في ما يلي:

1- أحمد بوضربة:

تحدر عائلته من أصول أندلسية⁶، كان أهله يقيمون في القدم بالمدينة؛ كان من بين المناصرين للحملة الفرنسية على الجزائر، لأنه كان يعتقد أن الفرنسيين صادقين في تحريرهم من النير والظلم التركي فارتبط بهم، كونه كان من المعجبين بالفرنسيين وثقافتهم ولغتهم⁷؛ هذا إلى جانب أنه كان يتقن اللغة الفرنسية بشكل جيد، وعاش

تاريخ تطاوين للعلامة أحمد الزهوي 1871-1953، إدريس، بوهيلة: ((العائلات الجزائرية بتطوان من خلال مخطوط عمسة. الراوي))، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، خير الدين، الزركلي: الأعلام، مج. 1، ص. 253.

1- إدريس، بوهيلة: ((العائلات الجزائرية بتطوان من خلال مخطوط عمدة الراوي في تاريخ تطاوين لأحمد الزهوي))، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع. 10، المرجع السابق، ص. 308.

2- وهي ليست عائلة الشيخ بوعمامة الذي تولى المقاومة ضد الفرنسيين من سنة 1881-1908.

3- وهي ليست عائلة بومعزة الذي قاد الثورة في منطقة الظهرة والونشريس سنة 1845.

4- عبد العزيز، السعود: تطوان خلال القرن 19 مساهمة في دراسة المجتمع المغربي، المرجع السابق، ص. 89.

5- إبراهيم، حركات: المغرب عبر التاريخ، ج. 3، ط. 1، دار الرشد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1405هـ / 1985، ص.

216

6- أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 6، المرجع السابق، ص. 229.

7- المرجع نفسه، ص. 153.

بفرنسا مدة من الزمن وبها تزوج من امرأة فرنسية، ومدينة مرسيليا ولد له إسماعيل بوضربة سنة 1823¹؛ السدي قام بتعليمه في المدارس الفرنسية بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر. ويقال عنه أنه كان تاجرا حيويا بهذه المدينة وله عدة معاملات وارتباطات بالمخيمات التجارية اليهودية بمرسيليا²، إلى جانب أنه كان يمثل تجارة الداوي حسين باشا بمرسيليا قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر.

وقبل سقوط العاصمة في يد الجيش الفرنسي تم تعيينه من طرف الداوي حسين باشا للتفاوض بحكم أنه زعيم الحضر مع "دي بورمون"؛ إلى جانب كل من مصطفى القادري، والحاج حسن... الخ، وبعد سقوط العاصمة ونظرا لعلاقته بالفرنسيين يكون بوضربة قد تولى عدة مهام من بينها:

- عضو في لجنة بلدية الجزائر³ التي شكلها "دي بورمون" لإدارة شئون العاصمة⁴، وهو من اقترح على هذا الأخير تعيين صديقه حمدان بن عبد الرحمان أمين السكة المعروف بحمدان بوركايب⁵ في منصب آغا العرب بمنطقة المتيجة. وتعيين عمه مصطفى بوضربة وكيلا لأوقاف مكة والمدينة⁶.

- كان من بين المطالبين بإنشاء جريدة فرنسية أخرى بدلا من "المونيتور الجيران" كونها أصبحت لا تؤدي دورها الحضاري، ومن غير المستبعد أن تكون جريدة المبشر التي ظهرت سنة 1847 هي استجابة لهذا الطلب.

- كان يعمل لصالح الحزب الوطني الجزائري، ولذلك وجه جل نشاطه ضد عناصر الحزب العثماني وبقايا الأتراك، فكان يتهمهم بالتآمر ويشيع عنهم العداء له وللفرنسيين؛ ويتصح هؤلاء بطردهم من الجزائر⁷.

- وقع مع أعيان العاصمة عدة عرائض تُحوّله للتفاوض باسمهم مع الفرنسيين سنة 1831.

- تم نفيه سنة 1832 من طرف "الدوق دورفيقو" إلى مرسيليا، كونه أصبح في نظره من المشاغبين الذين يعملون على إعادة الحكم الإسلامي، فأقام بها مدة من الزمن؛ إلا أنه لم يتوقف عن مناصرة قضية وطنه، وسرعان ما أخذ

1 - ولد سنة 1823 بمدينة مرسيليا من أم فرنسية، وها نشأ وتعلم، وعندما أنهى دراسته النظامية بفرنسا أصبح مترجما موفتا سنة 1853، ثم مترجما رئيسيا سنة 1872، قضى جزء كبير من حياته في الأغواط مع الضباط الفرنسيين؛ وعلى رأسهم "دي باراي" الذي وصفه بالجوهرة، ولثقة الفرنسيين فيه كلفوه بعدة مهام في مراكش و غات وغدامس ومناطق أخرى من الصحراء، ثم أصبح عضو في الجمعية التاريخية بالجزائر التي كان يشرف عليها "بير بروجر"، وعضو في الجمعية الجغرافية بباريس؛ توفي بالجزائر العاصمة يوم 16 نوفمبر 1875، وكتب على قبره أنه يمثل حلقة وصل بين مزج الأعراق. يراجع: أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 6، ص- ص. 228-229.

2 - عبد العزيز، السعود: تطوان خلال القرن مساهمة في دراسة المجتمع المغربي 19، المرجع السابق، ص. 43.

3 - تكونت بلدية الجزائر سنة 1830 بأمر من "دوبورمون"، وكانت تحت رئاسة أحمد بوضربة وعضوية عناصر من الأهالي واليهود، ثم أعيد تنظيمها بقرار أصدره الوالي العام يوم 18 نوفمبر 1833؛ ويتكون المجلس البلدي من 19 عضو: 10 فرنسيين،

و 6 مسلمين، و 3 يهود، يعينون لمدة سنة. يراجع: مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، ص. 174.

4 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 6، المرجع السابق، ص. 154.

5 - أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 1، القسم الأول، ص. 54.

6 - المرجع نفسه، ص. 111.

7 - المرجع نفسه، ص. 111.

-تم نفيه سنة 1832 من طرف "الدوق دورفيكو" إلى مارسيليا، كونه أصبح في نظره من المشاغبين الذين يعملون على إعادة الحكم الإسلامي، فأقام بها مدة من الزمن؛ إلا أنه لم يتوقف عن مناصرة قضية وطنه، وسرعان ما نجده قد ظهر في الجزائر من جديد، وتقدم بمذكرة سياسية¹ إلى اللجنة الإفريقية التي عملت بالجزائر فيما بين سنتي 1833-1834²، وبعد توقيع معاهدة "دي ميشال" سنة 1834 التحق بالأمير عبد القادر بجانب قدور بن روينسة؛ كما أننا نجده في سنة 1835 يصبح كعضو في بندية الجزائر من جديد³.

ولكن مع مرور الزمن اتضح لبوضربة أنه كان ضحية لأرائه الخاطئة في الفرنسيين، وأصبح من أشد المعارضين لهم، فتم عزله من منصبه وتعيين إبراهيم بن مصطفى باشا خلفا له⁴، وبعد جلسة المحاكمة التي تعرض لها بمدينة عنابة يوم 26 سبتمبر 1836 تكون قد حكمت عليه بالنفي هو وزوجه إلى ماهون ثم إلى جبل طارق⁵، غير أنه لم يستقر بهذه المدينة بل انتقل منها إلى مدينة تطوان؛ بعد أن ترك أحد أبنائه بجبل طارق يمارس التجارة، وهذا الابن سنجده فيما بعد يؤدي بعض المهام لصالح السلطان المغربي عبد الرحمان ابن هشام، الذي كلفه سنة 1846 بتكوين جيش نظامي. في الوقت الذي أحرز فيه والده التاجر والثري⁶؛ على امتياز استقلال منحج النحاس بحسوز تطوان⁷.

2- الحاج مصطفى بوضربة:

هو عم أحمد بوضربة؛ تم تعيينه في وظيفة وكيل لأوقاف مكة والمدينة من طرف الفرنسيين، بوساطة من ابن أخيه؛ فظل في هذا المنصب إلى غاية سنة 1836 حيث جاء اقتراح وزير الحربية الفرنسية بتغييره وتعيين حفيظ خوجة خلفا له؛ وهذا الأخير كان هو الآخر موظف بإدارة الأوقاف؛ ولذلك راح ينتقد في إدارة زميله المعزول.

1- تحت عنوان: تأملات حول مستعمرة الجزائر والوسائل الضرورية لازدهارها، وهي تتكون من حوالي 7 فصول رئيسية.

2- مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، ترجمة محمد العربي الزبيري، ط. 2، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1981، ص- ص. 171-201.

3- أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 1، القسم الأول المرجع السابق، ص. 111، يراجع أيضا: إسماعيل، العربي: ((سفارة ميلود بن عراش لدى الملك لويس فليب خلفيتها ونتائجها))، مجلة التاريخ، ص. 116.

Mémoires de Boudarba, 1^{er} trim, R,A, N° 13 p, 218

4- لم يمكث طويلا في منصبه مساعد رئيس البلدية، إذ سرعان ما استقال منه بعد عزل زملائه منها؛ كان من بين المبعدين فيما بعد مع زملائه إلى مدينة عنابة، بعد أن اتهمه "كلوزيل" بإخفاء مفتاح الشيفرة التي كانت مستعملة في المراسلات بينه وبين حمدان خوجة؛ وغيره من زعماء المعارضة، وعندما أصر على كتمانته تمت محاكمته إلى جانب 10 عناصر من زعماء الحضر بمحكمة عنابة. ولقد اختلفت الآراء حول مصيره بعد ذلك: فهناك من يقول أنه كان من بين المعنى عنهم، غير أن هناك من يقول أنه قد مات في سجنه بعنابة. يراجع: أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 1، القسم الأول، ص. 117.

5- أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 1، القسم الأول، المرجع السابق، ص. 191.

6- هيحة، سيمو: العلاقات المغربية الإيطالية 1869-1912، ط. 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2003، ص. 721.

7- عبد العزيز، السعود: تطوان خلال القرن 19 مساهمة في دراسة المجتمع المغربي، المرجع السابق، ص. 44.

ويثبت للفرنسيين عدم دقة حساباته والفوضى التي كانت تتخبط فيها إدارته، ولم يكتف بذلك بل اقترح عليهم تخفيض الراتب الذي كان يتقاضاه الحاج مصطفى بوضربة من 6000 فرنك فرنسي إلى 3000 فرنك. وعلى اثر عزله يكون قد هاجر بجانب ابن أخيه نحو المغرب حيث حل بمدينة طنجة وبها توفي، وكذلك الحال مع ابن أخيه أحمد بوضربة؛ الذي مات غريبا بنفس المدينة، حسب ما ذكره أبو القاسم سعد الله¹، غير أن بعض المراجع المغربية² التي تحدثت عن هذه العائلة لم تذكر استقرارها بمدينة طنجة ولا بوفاة هؤلاء الأفراد بها، بقدر ما ذكرت لنا حلولها بمدينة تطوان واستقرارها بها، وبحكم مهنة التجارة التي تتعاطاها هذه العائلة فمن غير المستبعد أن أفرادها كانوا دائمي التنقل فيما بينهما.

وإلى جانب هجرة أفراد هذه العائلة نحو تطوان، نسجل أيضا هجرة بعض العناصر الجزائرية الأخرى التي وردت أسماءها ضمن الظواهر الرحمانية والمراسلات التي كانت تتم بين السلطان المغربي وقواده بين الحين والآخر، ويمكننا الإشارة إلى هؤلاء المهاجرين في ما يلي:

- 1- قويدر بن أحمد الجزائري الذي ورد اسمه في الظهير الرحمانى الصادر عن السلطان عبد الرحمان ابن هشام، والموجه إلى القائد محمد بن عبد الرحمان أشعاش؛ المؤرخ في مهل ذو القعدة 1260هـ³.
- 2- الحاج أحمد ولد الرايس.
- 3- صهره محمد بن عبد المالك.
- 4- أحمد بن الحاج علي.
- 5- محمد مصطفى خوجة، فهؤلاء الأشخاص الأربع يُعدون من المهاجرين الجزائريين الذين ورد ذكرهم في أحد الرسائل الصادرة عن السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى القائد محمد أشعاش، والمؤرخة في 18 جمادى الأولى 1260هـ⁴.
- 6- حميده بن جراح الجزائري الذي ورد ذكره في أحد الرسائل التي بعث بها بوسلهام بن علي⁵ إلى الحاج أحمد

1 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 6، المرجع السابق، ص. 199 و جزء. 5، ص- ص. 162-163.

2 - عبد العزيز السعوي: تطوان خلال القرن 19 مساهمة في دراسة المجتمع المغربي، ص. 43، كما يراجع أيضا هبة سيمو: العلاقات المغربية الإيطالية 1869-1912، ص. 721.

3 - محمد، داود: تاريخ تطوان، ج. 9، ط، 1، منشورات الخزنة الدوادية، تطوان، 1419هـ/ 1998م، ص. 125.

4 - المصدر نفسه، ص. 45.

5 - احتل مكانة معتبرة في بلاط السلطان عبد الرحمان ابن هشام؛ فهو يعتبر من عماله المقربين الذين يمكن أن يستشيرهم السلطان في القضايا المصرية، ومن بين المهام التي كلفه بها: إدارة المفاوضات التي تمت بين الفرنسيين والمغاربة بعد معركة واد بسلي والتوقيع على معاهدة طنجة سنة 1844، واتفاقية لالة مغنية سنة 1845، فلقد كان بوسلهام مشرفا ومراقبا لكل هذه المفاوضات، ويتجلى لنا ذلك من خلال الكم الهائل من المراسلات التي تمت بينه وبين السلطان المغربي، وهي مراسلات تم الإطلاع على العديد منها بريائد الخزنة الحسنية بالرباط. في المحافظ رقم: 14، 15، 16، 17، يراجع: محمد السعيد، قاصري: العلاقات الجزائرية المغربية 1830-1847 (المغرب الجزائري والمغرب الشرقي نموذجًا)، ص- ص. 143-154.

- 1- الرزيني¹، والمؤرخة في 5 رمضان 1260هـ².
- 2- عبد الرحمان بن جعدون³ الذي ورد ذكره هو وعياله في الظهير الرحماني الصادر عن السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى الحاج عبد القادر أشعاش، والمؤرخ في 28 شوال 1262هـ⁴.
- 3- الحاج المكي المقرّي الذي ورد اسمه في الظهير الرحماني الصادر عن السلطان عبد الرحمان ابن هشام، المؤرخ في 6 رمضان 1296هـ، والموجه إلى الطالب أحمد بن عبد العزيز الفقاي التطواني⁵.
- 4- عبد العزيز الجزائري الذي أشار إليه محمد داود⁶ وعده من جملة الفقهاء الجزائريين المهاجرين بتطوان، وهو من بين المتخلفين عن الهجرة من مدينة تطوان على اثر الهجوم الإسباني الذي استهدفها سنة 1860، ورضي باستقبال والإقامة تحت حكم الكفار⁷.
- 5- أحمد بن شطاب الجزائري⁸.

- 1 - ورد اسمه في أحد الرسائل السلطانية على أساس أنه قنصل مغربي، كان يرود السلطان المغربي إرساله إلى فرنسا نزولا عند ضئبها بإيفاد مبعوثا عنه إلى العاصمة الفرنسية، غير أن وزير السلطان وشاعره محمد بن إدريس رفض أن يقع اختيار السلطان على بوسلهام. واقترح تعيين عبد الرحمان أشعاش؛ وهو ما تم فعلا سنة 1261هـ. يراجع: محمد السعيد، قاصري: العلاقات الجزائرية المغربية 1830-1847 (الغرب الجزائري والمغرب الشرقي نموذجاً)، ص. 154.
- 2 - محمد، داود: تاريخ تطوان، ج. 9، المصدر السابق، ص. 107.
- 3 - ينحدر من بيت علم وصلاح؛ هاجر مع عائلته نحو مدينة تطوان واستقر بها.
- 4 - محمد، داود: تاريخ تطوان، ج. 9، المصدر السابق، ص. 320.
- 5 - المصدر نفسه، ص. 511.
- 6 - مؤرخ مغربي مشهور بمؤلفه تاريخ تطوان الذي يتكون من حوالي 9 مجلدات، شغل منصب مدير المكتبة الملكية بالرباط؛ وذكره أبو القاسم سعد الله أنه كان من بين المثقفين المغاربة الذين قدموا له مساعدات جد معتبرة أثناء تأليفه لكتابه الموسوم بتاريخ الجزائر الثقائي، يراجع: أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقائي، ج. 1، ص. 7.
- 7 - تاريخ تطوان، مج. 5، القسم الثاني، ص. 231.
- 8 - دورية الوثائق الملكية، ج. 8، المصدر السابق، ص. 328.

المهاجرون الجزائريون نحو فاس

2- المهاجرون الجزائريون نحو فاس:

لقد لعبت مدينة فاس دور كبير في استقطاب المهاجرين الجزائريين قبل وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، نظرا لموقعها الجغرافي ودورها الحضاري والثقافي الذي لعبته منذ تأسيسها سنة 192هـ على يد إدريس الثاني (ت213هـ/ 828م)¹، وعلى اثر الاحتلال الفرنسي للجزائر أصبحت فاس هي الأخرى قبلنة للمهاجرين الجزائريين من مختلف مدن الغرب الجزائري كتلمسان، ومعسكر، ومستغانم، ووهران... الخ؛ وكان هؤلاء يشكلون في المجموع كتلة من 4000 إلى 5000 شخص². ونظرا لكثرتهم رأيت من الضرورة بمكان تقسيم هجرتهم خلال هذه المرحلة إلى مرحلتين رئيسيتين على النحو الموالي:

-المرحلة الأولى: 1830-1843:

وهي تبدأ من الاحتلال الفرنسي للجزائر وتنتهي بسقوط زمالة الأمير عبد القادر في شهر ماي 1843 بعدما علم الأعداء بواسطة عدد من الخونة موقع هذه المدينة المنقلة³.

-المرحلة الثانية: 1843-1859: وهي تبدأ من ما بعد سقوط زمالة الأمير وتنتهي بوفاة السلطان عبد الرحمان ابن هشام سنة 1859. وسأنتظر خلال هاتين المرحلتين إلى جُل المهاجرين الجزائريين الذين هاجروا نحو فاس بمختلف شرائحهم الاجتماعية؛ سواء كانوا أفرادا أو جماعات أو قبائل أو أعراش... الخ.

1-المرحلة الأولى: 1830-1843:

من بين أهم العائلات الجزائرية الوافدة على هذه المدينة العائلات التلمسانية؛ والتي يمكن حصرها حسب عبد الرحمان ابن زيدان (ت1365هـ/ 1946م)⁴ في ما يلي: آل النميشي، ومسواك، وابن عصمان، وابن ثابت، والزغاي، والتكروفي، وبنونة، وابن يخلف، والبوزيدي، وابن مرزوق، والقيسي⁵. وإلى جانب هذه العائلات نسجل هجرة المشرفيين أو المشارف نحو فاس؛ ويمكننا أن نستدل على هجرتهم من خلال الظهير السذي أصسدره

1 - كرم البستاني وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، المرجع السابق، ص. 31.

2 - روجي، لوطونو: فاس قبل الحماية، ج. 1، ترجمة محمد حجي وعبد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1412هـ/ 1992م، ص. 293.

3 - بديعة الحسني، الجزائري: طائر في سماء المجد الشهيد الأمير عز الدين الحسني الجزائري، ط. 1، دار الفكر، دمشق، 1428هـ/ 2007م، ص. 74.

4 - ولد بمكناسة الزيتون سنة 1290هـ/ 1873م، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه، ثم شد الرحال نحو مدينة فاس لمواصلة تعليمه، ثم عاد إلى مسقط رأسه مزودا بشئ العلوم، يعد من علماء مكناس وأدبانها، ونظرا لمجهوداته الجبارة في حقل البحث التاريخي؛ يكون قد تحصل على لقب مورخ الدولة المغربية، من آثاره العلمية: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، الدرر الفاخرة بآثار الملوك العلويين بفاس الزاهرة، العز والصولة في معالم نظم الدولة... الخ. يراجع: عباس، الجراري: التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين من 1900 إلى 1972، ص-ص. 344-350.

5 - العز والصولة في معالم نظم الدولة، ج. 1، المصدر السابق، ص. 169.

السلطان عبد الرحمان ابن هشام المؤرخ في 15 شوال 1247هـ / 18 مارس 1832م؛ والذي يعفسي بمقتضاه الأسرة المنحدرة من الشيخ عبد القادر المشرفي (ت 1192هـ / 1778م)¹ من أداء الضرائب².
ويذكر "روجي لوتورنو" أنه في حوالي سنة 1835 تكون قد وصلت إلى فاس طائفة هامة من التلمسانيين، واستقروا في الأحياء غير المركزية بالمدينة القديمة، وعلى اثر الهجوم الذي شنه الجنرال "كلوزيل" على مدينة معسكر خلال هذه السنة، هاجر سكانها إلى عدة مناطق مختلفة، ولقد كان المغرب على العموم ومدينة فاس بالخصوص من بين المدن المغربية التي حظيت باستقبال المهاجرين العسكريين³. وفي ظل هجرة هذه العائلات والأسر الجزائرية تكون قد تخللتها هجرة فردية للعديد من العناصر الجزائرية التي يمكن إدراجها ضمن الفئة المثقفة. ومن بين هؤلاء نذكر ما يلي:

1- القاضي عبد العزيز:

كان يعد آنذاك من علماء الوقت بالجزائر، وهو القاضي الذي اقترحه مصطفى ابن الكسابطي بسدلا عنه للفرنسيين، فظل في هذا المنصب إلى غاية سنة 1834 حيث وقعت حادثة عائشة المرأة المسلمة التي اعتنقت المسيحية، وطلبت حماية القانون الفرنسي بعد أن طلقها زوجها؛ فتولى العسكريون ورجال الدين المسيحي تعميدها وتحويلها إلى فرنسا؛ وحينما كانت المحكمة تنظر في أمرها دخل العسكريون الفرنسيون، فاحتج القاضي والمفتي على ذلك واستقالا من مناصيهما⁴؛ وهو ما اعتبرته السلطة الفرنسية بمثابة تحدي ضار؛ وإذا كان ابن

1- هو أبو المكارم عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن أحمد أبي جلال المشرفي الغريسي ثم العسكري المعروف بابن عبد الله، ويعرف أيضا بـ: سقط، ولد ونشأ في قرية الكرط قرب معسكر، وبما نشأ وتعلم، أسس زاوية ومعهدا علميا في مسقط رأسه بالكرط، ويذكر العربي المشرفي أن زاويته كانت لا تخلو من مائتي طالب يأخذون عنه العلم ويضعهم من ماله الخاص زيادة على الوفود والضيوف التي كانت تأتي لزيارته، كما كان يعتبر عالما نحريراً ومحدثاً أميناً، وبخاتمة وله اشتغال بالتاريخ، ويعد من فقهاء المالكية، وبطلا مجاهدا من خلال مشاركته في الأعمال الجهادية ضد الإسبان بوهراڤ حيث شارك بنفسه في الهجوم عليها والتحرير الأول لها عام 1119هـ / 1708م بقيادة مصطفى بوشلاغم. توفي ضحوة يوم الخميس 10 رمضان 1192هـ / أكتوبر 1778م ودفن بمقبرة الكرط بمسقط رأسه، من أهم آثاره: هجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان من الأعراب كسبي عامر، تراجع: عبد القادر، المشرفي: هجة الناظر، ص. 6، عادل، بويهص: معجم أعلام الجزائر، ص. 303، المشرفي: الخلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها الغير المتناهية، ج. 1، دراسة وتحقيق: إدريس بوهليلة، ص. 64.

-Notice historique sur les Arabes soumis aux Espagnols pendant leur occupation leur d'Oran par Si Abdekader El Mecherfi. R. A, N° 65, Année 1924, P-P. 193-260.

2- محمد بن محمد بن مصطفى، المشرفي: الخلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها الغير المتناهية، دراسة وتحقيق بوهليلة إدريس، دبلوم الدراسات العليا في التاريخ، ج. 1، إشراف إبراهيم حركات، جامعة محمد الخامس، ك. آ. إ، شعبة التاريخ، الرباط، السنة الجامعية 1992-1993، ص. 67.

3- أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، المرجع السابق، ص. 436.

4- المرجع نفسه، ص. 425.

الكبايطي قد تراجع عن استقالته¹؛ فإن القاضي عبد العزيز قد هاجر إلى المغرب ساخطاً، واستقر به المقام في مدينة فاس، وقد عين الفرنسيون قاضياً جديداً مكانه وهو أحمد بن جعدون².

2- القاضي محمد بن سعد التلمساني:

هو قاضي حضر تلمسان، كان يعد من بين الناقمين على الأتراك الذين كانوا يتهمونه في كثير من الأحيان بالوقوف إلى جانب العصاة والمتمردين عليهم، فكانت أملاكه تحجر؛ ويتعرض للكثير من المضايقات؛ كما كان يعد أيضاً من بين القضاة الذين ناصروا وشجعوا التدخل المغربي في تلمسان على اثر الاحتلال الفرنسي للجزائر، فعينه السلطان عبد الرحمان ابن هشام في منصب القضاء³؛ ولكن بعدما تمكن الجيش الفرنسي من احتلال مدينة تلمسان خرج منها مع جمهور المهاجرين التلمسانيين نحو فاس، ولقد استقبله السلطان المغربي بحرارة شديدة⁴؛ ونال عنده مكانة معتبرة.

وبعد توقيع الأمير عبد القادر لمعاهدة التافنا مع الجنرال "بيجو" سنة 1837، التي استرجع بموجبها مدينة تلمسان رجع إليها من جديد، واستقر بها طيلة حكم الأمير لها 1837-1842. ويبدو أنه استمر في وظيفته الأول⁵. وبعدها تمكن الجيش الفرنسي من احتلالها خلال هذه السنة هاجر منها من جديد نحو مدينة فاس فارا بأهله وعياله تاركاً جميع كتبه وماله، ونظراً لضيق المعيشة بهذه المدينة انتقل منها إلى تازة وأقام بها مدة من الزمن للتدريس والإفتاء، ثم تقلد خطبتي الإمامة والخطابة بمسجدها الأعظم؛ وهذا ما سنتحدث عنه في باب الأدوار.

وبعدما تحسنت حالته المادية رجع من جديد إلى مدينة فاس في حدود سنة 1262هـ، فكانت له بها محاليس حافلة انتفع به جماعة من نجباء الوقت وعلمائه، ولقد ظل بها إلى أن وافته المنية عشية يوم الخميس 17 محرم 1264هـ، ودفن يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع الأندلس داخل قبة سيدي علي ابن حرزهم، وذلك بأمر مولوي نظراً لمكانته عند السلطان عبد الرحمان ابن هشام⁶، كما أن صاحب سلوة الأنفاس نجده يورخ لنا وفاته بسبع سنوات قضاها في فاس بعد هجرته من تلمسان 1264هـ / 1848م⁷.

3- محمد بن عبد الله الجاوي -والد الشيخ عبد القادر-، وأبو طالب المازوني الذين هاجرا برفقة القاضي محمد

بن سعد⁸.

1- أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 2، المرجع السابق، ص. 18.

2- أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، المرجع السابق، ص. 425.

R. A (Ougest, Cour : L'occupation Marocaine de Tlemcen , Septembre 1830- Janvier 1836)

N° 52. Année 1908. O.P.U. Alger . p ,32.

4 -Ibid, p, 32

5- أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، المرجع السابق، ص-ص. 503-504.

6- أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، مج.

3، المصدر السابق، ص-ص. 97-98.

7- المصدر نفسه، ص-ص. 97-98.

8- أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، المرجع السابق، ص. 504.

4- محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمان المجاوي¹:

نظراً لتدهور الأوضاع الأمنية بتلمسان هاجر نحو مدينة فاس، حيث تولى خطة التدريس بجامع القرويين، ثم خطة قضاء طنجة سنة 1262هـ، واستمر على هذا الحال إلى غاية وفاته سنة 1287هـ / 1851م².

5- العالم الشريف مولاي أحمد ابن القاضي العسكري³:

بعد هجرته نحو فاس يكون قد نال بها حظوة ومكانة معتبرة نظراً لمكانته العلمية، إلى أن وافته المنية بها في سنة 1264هـ / 1848م، وتم دفنه بفدان الغرباء قريباً من ضريح سيدي علي ابن حرزهم⁴.

6- الحاج قدور الشريف الزهار⁵:

هاجر برفقة والده أحمد الشريف نحو فاس وبها نشأ وتعلم، كما تعلم بغيرها من المدن المغربية، وهو ما أهّنه فيما بعد لتولي بعض الوظائف الدينية والقضائية بعد رجوعه إلى الجزائر، فهجرته إذن كانت مؤقتة، ولا ندري متى كان تاريخ عودته إلى مسقط رأسه.

7- الطيب بن المختار بن البشير:

نظراً للظروف الأمنية المتدهورة يكون قد هاجر مع جملة المهاجرين الجزائريين نحو فاس، واستقر به المقام بجامع القرويين، حيث تعلم من خلاله على جملة من العلماء من بينهم أبي عبد الله المجاوي الذي كان مدرسا فيه آنذاك، بعد هجرته من تلمسان مع القاضي محمد بن سعد السابق الذكر⁶.

هذا وتفيدنا التقارير الفرنسية بهجرة عدد معتبر من قبيلة السندان بالمشرية، ويأتي على رأس هؤلاء المسدعو عيسى ولد محمد، ووالده الذي هاجر نحو فاس سنة 1836 بحثاً عن الشغل، ومنذ ذلك الحين وعيسى ولد محمد

1- هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمان المجاوي الحليلي الحسني، ولد بتلمسان في سنة 1208هـ / 1793م، وبها نشأ وتعلم، ثم شد رحاله نحو مدينة فاس لمواصلة دراسته بجامع القرويين، ثم عاد إلى مسقط رأسه فتولى القضاء بتلمسان لمدة 25 سنة، وفي ظل الظروف التي شهدتها المدينة بعد الاحتلال الفرنسي فها يكون قد هاجر منها هائياً واستقر به المقام بمدينة فاس، إلى أن وافته المنية سنة 1287هـ / 1851م. يراجع كل من: الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، ص. 287، والذي يورخ لتاريخ ميلاده بـ 1108هـ، والصواب هو 1208هـ، عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 286.

2- أبو القاسم محمد، الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، المصدر السابق، ص. 287.

3- هو الفقيه الأجل والعلامة الأفاضل، أبو العباس مولاي أحمد بن أحمد المشهور بابن القاضي العسكري داراً ومنشأً، وهو من ذرية مولاي علي الشريف

4- أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقر من العلماء والصلحاء بفاس، ج. 3، المصدر السابق، ص. 103، إلا أن الحفناوي في تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، ص. 326، يذكر وفاته بمسكراً.

5- تعد عائلة الشريف الزهار من أبرز العائلات الجزائرية التي انظم جدها للمقاومة وعمل تحت راية الأمير عبد القادر، ثم توجه إلى المغرب، ولقد احتطف الفرنسيون ابنه علي الشريف الزهار في واقعة الزمالة وهربوه وهو صبي إلى فرنسا، وربوه على طريقتهم إلى أن أصبح ضابطاً في الفرسان الصبايحية، أما أخوه الشريف فقد تولى القضاء للفرنسيين سنوات طويلة. يراجع: سعد الله، أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقالي، ج. 4، ص. 39-40.

6- أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقالي، ج. 4، المرجع السابق، ص. 487.

البالغ من العمر أكثر من 50 سنة مستقر بالمغرب بعد أن توفي والده. ولم تسمح له الظروف بالعودة للجزائر، وبعد مرور فترة زمنية طويلة جدا تحدثت عنه التقارير الفرنسية بأنه تمكن من تشكيل عائلة تتكون من: زوجته فاطمة بنت عبد الرحمان وولدين: الحسن ومحمد، وتقيم بالقرب من جبل لمساح شرق مدينة فاس في المنطقة الخاضعة للباشا سي عبد الكريم ولد با محمد الشرقي¹.

2- المرحلة الثانية: 1843-1859:

إن سقوط زمالة الأمير عبد القادر وما صاحبها من ويلات ومآسي وصفها لنا علي النبيري المرالي بقصيدة شعرية في عوده²، يعتبر نقطة تحول هامة في مسار حركة المهاجرين نحو المغرب، ويبدو لنا ذلك من خلال الأعداد الهائلة للمهاجرين الذين هاجروا نحو المغرب بعد هذه الواقعة، وهذا ما يمكن الإشارة إليه على النحو الآتي:
- ينفرد محمد السليمان (ت 1344هـ / 1925)³ بدراسة قيمة للمهاجرين الجزائريين نحو فاس بعد واقعة الزمالة، دراسة حاولنا حصرها وضبطها حسب أصول المهاجرين ضمن الجداول الآتية:

1- التلمسانيون: يتشكلون من حوالي 12 بيت تعد من أشهر بيوتات أهل تلمسان وهم على النحو الموالي:

اسم البيت	أشهر ممثليه بمدينة فاس
عبد الله بن منصور بن عثمان الخوتي المغراوي	-أحمد ابن منصور -المجيد السري ابن سيدي حجي ابن منصور ⁴
المقرين القرشيين	-محمد الأكحل المقري ⁵ ، والحاج المدني المقري وأحفاده.
بني الحاج البيدرين	-محمد بن سعد وابن عمه الحاج الداودي.
المزارقة العجيسيين	
البومسعديين الأشراف الودغيريين	
بني حريبط العلميين	

1 - Le générale Boitard Commandant la Division d'Oran à Monsieur le Gouverneur générale de l'Algérie à Alger. G.G.A. Division d'Oran, Cabinet Affaire Indigènes N° 140, Oran fait le 30 Mai 1897. A.O.M. carton II 99. H101.

2 - علي النبيري المرالي، التونسي: العود الجزائري، المصدر السابق، 118-127.

3 - هو أبو عبد الله محمد بن محمد السليمان، ولد بمدينة فاس سنة 1285هـ / 1868م، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه، ثم التحق بسلك طلبة جامعة القرويين سنة 1305هـ / 1887م، أين تتلمذ على يد العديد من الشيوخ، له إنتاج علمي غزير سنطرق له في الباب الرابع. يراجع: عباس، الجراري: التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين من 1900-1972، ص. 212.

4 - ابن عبد الله، السليمان: اللسان العرب عن ثقافة الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. 29.

5 - هاجر سنة 1220هـ ثم خلف محمد المقري، وعبد السلام المقري، ومحمد المقري، والطيب المقري، يراجع: السليمان: اللسان العرب عن ثقافة الأجنبي حول المغرب، ص-ص. 30-31.

6 - ولد الحاج المدني المقري بتلمسان سنة 1221هـ / 1807م، وتوفي بفاس سنة 1297هـ / 1880م؛ ودفن بزواوية نورية. يراجع:

kitab Aâyane Al Maghrib l'Akaça, tome, 2, p, 261

الجليلين ¹ .	- أبو عبد الله محمد المجاوي
القيسيين التلمسانيين	
الغريبطيين التيجيين	- أبو محمد عبد القادر بن غريبط. ²
اهطالين ³ .	
الزغارين التلمسانيين ⁴ .	
الشرفاء النجارين.	

ويضاف إلى هؤلاء عوام أهل تلمسان الذين هم في الغالب أهل حرف ومهن كالخياطة والحرازة والاسكاف. ويرجع أغلبهم إلى بني عبد الواد من زناتة البربر، ومن بينهم: بيت أولاد بن ثابت الذي يرجع نسبهم لسدوي ثابت؛ وهي فرقة من غاسول بن مطرف بن واسين العبد وادي⁵.

2- بيوتات معسكو ونواحيها: وهم حوالي 11 بيت مرتبة علم النحو الموالي:

اسم البيت وشهرته	أشهر ممثليه بمدينة فاس
الشرفاء المهاجرين الأيوبيين: بيت علم ورياسة وأدب وكياسة.	العلامة سيدي محمد ابن الخضير، وابن أخيه أبو العباس مولاي أحمد ابن الخضير.
المشرفين العرجيين: بيت علم وسيادة وإقدام ومُجادة.	أبو عبد الله ابن الشيخ المشرفي الحسني وابن عمه الفقيه سيدي عبد القادر بن الشيخ وسيدي محمد بن مصطفى قاضي قبيلة الحياينة
آل سيدي أحمد بن علي بن عيسى الصقليين الحسينيين: بيت علم وولاية ومجد وعناية	سيدي أبو زيان، سيدي مصطفى ابن عبد القادر بن محمد، سيدي الحبيب بن مصطفى، وابن عمه الفقيه سيدي محمد بن التهامي الحسني.
الشرفاء الدحاوين الحموديين الإدريسيين: ذو نسب شريف وصحيح.	لفقيه النبيه سيدي محمد بن دح وابن عمه الفقيه الأجل سيدي الحبيب بن الصادق.
السادات المراحين: بيت علم ووقار وسؤدد وفخار	قاضي القضاة أبو العباس أحمد ابن الهاشمي ومعه أخوه الفقيه التزيه أبو عبد الله سيدي محمد بن الهاشمي
الأشراف الأطهار النقباء الأبرار المغسراويين النشأة والدار السليمانيين الأصل آل سيدي محمد فتحا ابن يحيى: بيت التقسوى والمجسد الأقوى	- سيدي محمد النجادي بن محمد الأعرج بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن محمد. - العلامة سيدي محمد بن الطيب الفليلي من آل سيدي علي بن يحيى. - أولاد سيدي محمد بن عبد الرحمان: السيد حمزة بن السيد حمادة وأخوه الفقيه النبيه الشريف التزيه سيدي محمد بن حمادة.
الشرفاء المختارين الأدارسة الحسينيين: أفخم	علي بوطالب عم الأمير عبد القادر ومن أبنائه سيدي عبد القادر

1- أبناء الشيخ الإمام سيدي عبد الجليل مؤلف تنبيه الأنام.

2- ابن عبد الله، السليمان: اللسان المعرب عن ثقافة الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. 31.

3- بيت كتابة وأدب وتؤدة وحسب، تحملوا رياسة دواوين الباشوات التركية فحازوا أعلى المراتب.

4- أهل تجارة وحسب ونباهة وأدب، اشتهروا بالفضل والعفاف والزهد والكفاف.

5- ابن عبد الله، السليمان: اللسان المعرب عن ثقافة الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. 32.

بيوتات غريس.	بو طالب وولده الشريف سيدي محمد أبو طالب الذي انتقل إلى طنجة ¹ .
الخالدين الشرفاء الحسنيين.	السيد محمد بن الخضر وقرانته والسيد الميلود الخالدي.
التمسحيين	الفقيه سيدي محمد وأخوه العالم سيدي مرزوق وسيدي أحمد.. الخ.
آل سيدي عبد الله ابن حراج	الفقيه الأجل سيدي محمد بن عبد الله بن عبد الكريم الحراجي.
الورغيين الجوطيين الشرفاء الإدريسيين: بيت علم وسيادة.	العلامة الأطهر الشريف سيدي عبد القادر بن روكش.

ويضاف إلى هذه البيوتات كثير من أعيان القبائل وصناديدها الذين هاجروا نحو فاس وهم خلق كثير. وإلى جانب هذه الدراسة السليمانية وقفنا على مجموعة أخرى من البيوتات الفاسية التي تنحدر من أصول جزائرية تلمسانية تمثل في ما يلي:

- بيت البارودي:

ينحدرون من تلمسان؛ وبيتهم بفاس بيت تجارة وثروة، ومن بين الذين اشتهروا من أولاد البارودي بهذه المدينة: الحاج بوحنان البارودي- كان على قيد الحياة سنة 1283هـ-، الذي كان ذو ثروة وكلمة مسموعة أيام السنطان عبد الرحمان ابن هشام، وبعد وفاته ترك لنا عقباً وهم زوجه خديجة بنت الحاج محمد الحقيقي التلمساني، وفاطمة بنت حمادي ابن ثابت التلمساني؛ وأولاده من الزوجة الأولى: إدريس وسيدي محمد والطام، ومن الزوجة الثانية: الحاج محمد وعائشة وخيرة وكثرة والزهاء، وعقبه الذكور كاد أن ينقرض اليوم³.

3- المستغاثيون: هاجر البعض من مشاهيرهم وهم على النحو الموالي:

1- عرب السويد وصنهاجة وهرة ومن بينهم:

- أولاد بن معزوز

- أولاد بن عيسى المغراويين.

- أولاد صابر.

- أولاد معمر آل سيدي عفيف الدين المشهور.

- أولاد الجندوزو الذين هاجر كثير من عوامهم وأشرافهم.

2- هاجر خلق كثير من عامة الحشم وبني عامر الذين يرجع نسبهم إلى زناته والبربر وبني عبد السوادي وعسب سليم وزغبة وغيرهم⁴.

1 - المصدر نفسه، ص. 34.

2 - المصدر نفسه، ص. 35.

3 - عبد الكبير بن هاشم، الكتان: زهرة الآس في بيوتات أهل فاس، ج. 1، ط. 1، منشورات مطبعة النحاس الجديدة، 1422هـ/ 2002م، ص. 110-111.

4 - المصدر نفسه، ص. 36.

كما أن الدراسة التي أعدها عبد السلام بن سوادة عن بيوتات فاس¹ والتي سبق وأن تناولنا البعض منها في الفصل التمهيدي، حيث أشرنا إلى مجمل البيوتات التي هاجرت نحو فاس واستقرت بها قبل سنة 1830، وعليه فإننا سنشير في ما تبقى من هذه الدراسة إلى بيوتات المهاجرين الذين هاجروا بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر. وذلك وفق الترتيب الموالي:

1- حرف الألف:

اسم البيت وأصوله	ملاحظة	اسم البيت وأصوله	ملاحظة
أجار: يدعون الشرف.	دخلوا قريبا ² .	أمليان	/
إغا الخوجة	دخلوا قريبا ³ .	أمغر	/
ابن الأنهب: يدعون الشرف	انتقل بعضهم إلى الدار البيضاء ⁴ .	أمقران	/
ابزار	دخلوا قريبا ⁵ .	انكروف: أشراف ⁶ .	/
أخليفة	دخلوا قريبا ⁷ .	أعمر ⁸ .	/
ابن إدريس ⁹ .	دخلوا قريبا ¹¹ .	أشرفي ¹¹ .	/

2- حرف الباء:

اسم البيت وأصوله	النسب	ملاحظة
الباشا: تلمسان		هم علي فرقتين ¹² .
الباي ¹³ .		
البيركاني	من الشرفاء	

- 1- عبد السلام، ابن سوادة: ((بيوتات مدينة فاس قديما وحديثا))، البحث العلمي، ع، 22، المرجع السابق، ص. 106.
- 2- المرجع نفسه، ص. 112.
- 3- المرجع نفسه، ص. 114.
- 4- المرجع نفسه، ص. 118.
- 5- المرجع نفسه، ص. 119.
- 6- ينطق أهل فاس اسمهم بمكروف.
- 7- المرجع نفسه، ص. 120.
- 8- المرجع نفسه، ص. 121.
- 9- هم ثلاث فرق منهم فرقة تلمسانية يطلق عليها هذا الاسم.
- 10- المرجع نفسه، ص. 120.
- 11 منهم محمد بن عبد الله الشرقي يعد من علماء القرويين، توفي 1363هـ/ 1943)، يراجع: عبد السلام، ابن سوادة: ((بيوتات مدينة فاس قديما وحديثا))، البحث العلمي، ع، 25، ص. 123.
- 12- عبد السلام، ابن سوادة: ((بيوتات مدينة فاس قديما وحديثا))، البحث العلمي، ع، 25، المرجع السابق، ص. 77.
- 13- المرجع نفسه، ص. 78.

بروكش	من الشرفاء	
البريكسي: تلمسان		ويتواجدون ببلاط بريكس بأرورات قرب الزريقة ¹ .
بنانة		
بنوي ² .		
البشري		
ابن هتان		
البيدري ³ .		

3- حرف التاء:

اسم البيت	ملاحظة	اسم البيت	ملاحظة
ابن التركي	يتواجد بفاس جدار التركي بوارورات	ابن التهامي	
التريري ⁴ .		ابن ثابت ⁵ .	

4- حرف الجيم:

اسم البيت	النسب	ملاحظة
الجباري التلمساني ⁶ .	يدعون الشرف	
الجزائري وهم على فرقتين	منهم فرقة تدعى الشرف	
- ابن جلول ⁷ .	يدعون الشرف	
- الجندوز	ينتمون إلى الشرف	توجد لهم عرصة جندوز داخل فاس وجنان الجندوز خارج باب الفتوح ⁸ .

1 - المرجع نفسه، ص. 79.

2 - المرجع نفسه، ص. 81.

3 - المرجع نفسه، ص. 82.

4 - المرجع نفسه، ص. 85.

5 - المرجع نفسه، ص. 87.

6 - المرجع نفسه، ص. 88. وهم على ثلاث فرق: فرقة من أهل فاس، وفرقة من جبل العلم، وفرقة من تلمسان.

7 - المرجع نفسه، ص. 89.

8 - المرجع نفسه، ص. 90.

5- حرف الحاء:

اسم البيت	ملاحظة	اسم البيت	ملاحظة
ابن حاب ¹ .		الحجاب/ الحجام	كان لهم مسجد الحمام في أسفل زقاق الحجر
الحاج	يدعون الشرف	ابن حريظ	ينتمون إلى الشرف ² .
حاجي	يدعون الشرف	ابن حدادة	
ابن الحبيب ³ .	شرفاء	حجيرة	
حجاج ⁴ .		الحشمي ⁵ .	

6- حرف الخاء:

اسم البيت	الأصل	اسم البيت	الأصل
بوخروية	من تلمسان وأصلهم من مستغانم	الخواجة	
ابن خليفة	تلمسان	الخوان	
ابن خليفة	من تلمسان وأصلهم من معسكر ⁶ .	ابن حولة	
الخصراوي	من الجزائر وأصلهم من الأتراك	ابن خمارة ⁷ .	
ابن الخضير			

7- حرف الدال:

اسم البيت	الأصل	النسب
دادر ⁸ .		
ابن داوود ⁹ .		
ابن دحو	معسكر	الأشراف ¹⁰ .

وإلى جانب هذه العائلات والأسر والبيوتات المهاجرة، نكون قد وقفنا أيضا على عدة عائلات وأسر أخرى؛ والتي يمكننا أن نتناولها انطلاقا من أصولها ونسبها على النحو الآتي:

- 1- المرجع نفسه، ص. 91.
- 2- المرجع نفسه، ص. 93.
- 3- منهم فرقة من تلمسان وأخرى من تافيلالت.
- 4- المرجع نفسه، ص: 92.
- 5- المرجع نفسه، ص. 96. من قبيلة الحشم.
- 6- المرجع نفسه، ص. 98.
- 7- لهم جنان الخياري خارج باب الجليد.
- 8- المرجع نفسه، ص. 99.
- 9- المرجع نفسه، ص. 100.
- 10- المرجع نفسه، ص. 101.

1-المشرفيون¹:

تعتبر هذه العائلة من أهم العائلات الجزائرية التي هاجرت نحو فاس، وبحكم مكانتها العلمية والدينية ونسبها الشريف تكون قد نالت حظوة ومكانة معتبرة لدى الحكام الأتراك حيث تمكنت من حيازة الرياسة على مسائر شرفاء منطقة غريس، وهذا ما جاء على لسان أبو حامد العربي المشرفي في قوله: «ولذلك كانت النقابة فيهم لا تتعداهم ولا تخرج منهم وحصرها فيهم ملوك الأتراك»²، كما لعبت أدوار هامة في مختلف مجالات الحياة اليومية بالمغرب، وهذا ما سنتطرق إليه في الباب الرابع من الموضوع؛ ومن بين الشخصيات المشرفية النفعالية التي هاجرت نحو فاس نذكر:

1-زين العابدين المشرفي المعروف بابن عبد الله السقاط/ سقط:

هو أحد أحفاد عبد القادر المشرفي، ويعرف بالسقاط/ سقط³، وهو عالم محدث وحافظ، كان من مسندي المغرب الأوسط في وسط القرن 13هـ، يُعد من كبار المحدثين، كما أنه مثقف متضلع في جميع فنون المعرفة كاللغة والحديث والمنطق والعروض والنحو والشعر والتاريخ، حتى أنه كان يعرف في مدينتي معسكر ووهران بشيخ الجماعة، ومن بين المناصب التي شغلها قبل هجرته نحو مدينة فاس:

-عمل كمدرس.

-قاضي للأتراك بمدينة وهران.

-تولى القضاء بمقاطعة معسكر وعضوية مجلس الشورى للأمير عبد القادر⁴.

-أوفده الأمير عبد القادر سفير إلى السلطان المغربي في 19 ذي الحجة 1252هـ/ 1837م، بعد توقيع معاهدة التافنا حاملا معه هدية وكتابا تضمن نص الأسئلة التي أرسلها الأمير إلى علماء المغرب للإجابة عنها وهي أسئلة سبقت الإشارة إليها في عامل الفتوى، ولقد نجح في وفادته هاته أحسن نجاح⁵، ويبدو ذلك من خلال المكانة التي

1-تسبب هذه العائلة إلى مشرف بن عبد الرحمان بن مسعود الذي قدم من بوسعون، تولى القضاء بغريس لبعض أمراء بني زيان، ويتصل نسبهم بالشرفاء العرصيين أهل فقيق بقصر واد غير، وجددها الأعلى مشرف ابن غريب الذي انتهى نسبه إلى إدريس الأكبر، والسيدة فاطمة الزهراء، لعبت هذه العائلة دورا هاما ورائدا في حياة المنطقة علما وثقافة وجهادا، ومن أشهر علماءها: الشيخ عبد القادر بن عبد الله المشرفي، وابنه القاضي الطاهر المشرفي، وابنه أحمد بن الطاهر، وحفيد الشيخ عبد القادر، وأبو حامد العربي المشرفي.. الخ. يراجع: المراري: طلوع سعد السعود، ج. 1، ص-ص. 99-101.

2-أبو حامد العربي، المشرفي: ياقوتة النسب الوهاجة، مخ، م. ج. ج، رقم 3326، ص. 45 وما يليها، ولهذا المحفوظ عدة نسخ بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1534.

3-من خلال ترجمتنا لحياته وقفنا على تباين واختلاف كبير بين من تعرضوا له ولجده عبد القادر المشرفي، فمحمد بن عبد الكريم الذي حقق لهجة الناظر، ص. 49 يرى أن جده هو من كان يعرف بالسقاط، بينما أبو القاسم سعد الله في: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 7، ص. 40، يرى أن حفيده زين العابدين المشرفي هو من لُقّب بالسقاط، وهو الراجح عندنا.

4-Michaux-Bellaire: Les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, p,44

5-محمد، ابن عبد القادر: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج. 1، المصدر السابق، ص. 317، ويراجع أيضا: أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 7، ص. 40.

حظي به لدى السلطان المغربي؛ الذي أكرمه وأكرم الوفد المرافق له خلال مدة إقامته بفاس، وبعد ذلك منح لسه نص الخواب عن أسئلة الأمير، وهدية ثمينة للأمير تكمن في سبع كسوات فاخرات، وسبع أفراس من عناق الخيل بسروجها، وأربعة مدافع صغار، وستين فرسا، و10000 مثقال إلى وكيل الأمير بفاس الحاج الطالب ليشتري بها من الأدوات الحربية التي يتقوى بها على الجهاد¹.

ويذكر "ميشو بيلير" أن مهمة الفقيه السقاط خلال هذه الوفادة هي إخبار السلطان بشأن الفرنسيين يريدون محاورته، ويطلب منه رأيه في هذا الموضوع؛ ولما كان السقاط يعرف خفايا الأشياء، كان يعتبر أن مقاومة قوة كقوة فرنسا هو من المستحيلات، فلم يثق في عهود السلطان مولاي عبد الرحمان، وقرر أن يتحرز على نفسه وحياته من الخطر في المغرب، وطلب من السلطان أن يكتب للحاج عبد القادر أن يتركه يعود إلى فاس، فكتب السلطان إلى الأمير بشأنه: «إلى الخليفة الذي يقود الجهاد في سبيل الله الحاج عبد القادر بن محي الدين، لقد طلب منا الفقيه سي بن عبد الله بن الشيخ المشرفي أن يقيم عندنا ويستقر هنا... نطلب منكم أيضا مساعدته كي ينقل إلى فاس كل ما يريد... كتبه، عائلته... كونه تقدم من حيث العمر... ولأنه لا يستطيع أن يتعد عن أقربائه والسلام»².

وفي البداية لم يعارض الأمير عبد القادر رحيل السقاط الذي حل بمعسكر وأرسل كتبه إلى فاس³، غير أنه سرعان ما عدل عن قراره وطلب منه البقاء في الجزائر، فمكث بها إلى غاية سقوط الزمالة في يد الجيش الفرنسي في معركة طاكين سنة 1258هـ/ 1843م⁴. وعليه فالسقاط هاجر نحو فاس بعد هذا التاريخ في حدود شهر جمادى الثانية 1260هـ/ جوان 1843م، ويكون قد رافقه في هجرته مجموعة من أفراد أسرته يتقدمهم أربعة من أبناء إخوته وهم⁵:

1- سي عبد القادر بن الشيخ المشرفي الذي كان له ولدان هما: سي محمد بن الشيخ وهو رعية فرنسية، ويعتبر المعلم الأول للسيد "Eugène Aubim" في جزء كتابه الأول: المغرب اليوم، المتعلق بفاس والمغرب، أما الولد الآخر فاكتفى "بيلير" بالإشارة إلى أنه كان موجودا على قيد الحياة آنذاك في المغرب، هذا إلى جانب أربع بنات.

2- سي الطاهر المشرفي الذي رجع للجزائر ومات بها، وبعد أن ترك ابنا له مات هو الآخر بالمغرب، وكس المنحدرين منه.

3- سي محمد المشرفي الذي مات في فاس دون أن يترك أطفال.

4- ابن عبد الله الذي رجع إلى معسكر بعد أن ترك له ابنا. ثم سي مصطفى بن عبو المشرفي أمين الأمير عبد القادر الذي توفي بفاس تاركا ابنا له هو سي محمد الذي مات أيضا بفاس تاركا ابنا وهو سيدي السعيد المشرفي

1 - المصدر نفسه، ص. 317، ويراجع أيضا: مذكرات الأمير عبد القادر، ص. 145،

2 - Michaux-Bellaire: *Les musulmans d'Algérie au Maroc*, op, cit, P. 45

3 - هناك رواية مفادها أن السقاط قد ذهب إلى فاس مرة أخرى قبل سقوط الزمالة وهي الرحلة التي حمل فيها كتبه التي تتكون من 1600 مجلد، ولكن لا نعرف ما هو تاريخ هذه الرحلة؟

4 - Michaux-Bellaire: *Les musulmans d'Algérie au Maroc*, op, cit, p, 45.

5 - Ibid, p, 47.

وهو ابنه أخ سي مصطفى بن عيو سي عبد القادر الذي كان عدلا في معسكر مات هو الآخر بفاس ولم يترك غير البنات¹. وبعد استقرار السقاط بفاس يكون قد التحق به فيما بعد أفراد آخرون من أسرته، واستقروا بجانبه وكان مثل سعيد المشرفي، والمؤرخ والأديب العربي المشرفي، محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي.

أما سيدي عيو -عبد الله- الذي كان قاضيا على الخلة لدى الأمير فقد مات في فاس دون أن يترك ذرية. أما سيدي أحمد بلقاضي العسكري فمات في فاس تاركا وراءه ابنا، أما مولاي المختار فمات بفاس تاركا ابنا اثنا. كان واحدا منهما عادل في فاس الجديد والثاني مجنون، وأخيرا سي عبد القادر بن نعم الذي مات في فاس، وابنه كان لا يزال حينها على قيد الحياة يعمل حراثا-خماسا².

وبعد أن غادر هؤلاء المهاجرون المرافقون للسقاط الجزائر قاموا بالبحث عن ملجأ لهم عند أولاد سيدي الشيخ الغرابية، لكن زعيم هذه القبيلة سيدي الشيخ ابن الطيب أراد الاستيلاء على قافلته، وهو ما تطلب عليهم دفع مبالغ مالية هامة إلى سيدي الشيخ كي يحفظ أموالهم وأملأهم من النهب والسلب³، وبعد أن نال منهم مبتغاه رافقهم لحمايتهم حتى مدينة وجدة، فراسل حينها الفقيه السقاط السنطان مولاي عبد الرحمان؛ الذي بعث له بغلا وأحصنة وحوالي 100 فارس لحماية قافلته حتى مدينة فاس، وفعلا وصلت بسلام، ووضع المخزن تحت تصرفه منزلا يسمى دار زموري في درب تادلة لكن السقاط أرسل إلى هذا المنزل عائلته فقط⁴.

وبعد أن حلّ بهذه المدينة واستقر بها بدأ في ممارسة وظيفة التدريس والفتوى بجوامعها؛ ولقد كان السلطان المغربي يحضر مجلسه حين يُدرّس صحيح البخاري، فمدحه بقصيدة نوّه من خلالها بفصاله ومدنية فاس المضيفة⁵، وهو ما استحق عليها مكافأة معتبرة؛ ويذكر "ميشو بيلير" أن السقاط أثناء قدومه إلى فاس اصطحب معه مكتبته التي كانت معه في زاوية الصقالين حيث استقر به المقام، ولقد عاش بهذه المدينة لأكثر من 10 سنوات وهو في طريقه إلى مكناس أدركته الوفاة؛ قبل مسموما وقيل مخنوقا؟! سنة 1270هـ/ 1850م⁶، ودفن بسطريح الشيخ محمد بن عيسى⁷ في مدينة مكناس.

وبعد وفاة الفقيه السقاط يكون مُضيفه حسب -ميشو بيلير- القاضي مولاي الهادي الصقالي قد احتفظ بجزء من مكتبة السقاط لشخصه أي 800 جزءا، أما 800 جزء الأخرى فقد قسمت بين الورثة⁸، ومن الجدير بالذكر أن مولاي الهادي احتفظ بالكتب الأكثر قيمة وهي توجد اليوم في الزاوية الصقلية⁹. وكان من بين السذجين

1 -Ibid, P. 48.

2 -Ibid, P. 48.

3 -Ibid, P. 45.

4 -Ibid, P.46.

5 -من بين ما جاء في مطلع هذه القصيدة:

إن المليحة فاس لا يفاس لها ❁ إيوان كسرى ولا صرح الذي سرج

6 -أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 7، المرجع السابق، ص. 40. تأكيد منه

7 -مؤسس الطريقة العيساوية.

8 -Michaux-Bellaire: Les musulmans d'Algérie au Marco, op, cit, P. 49.

9 - Ibid, P. 49.

أجازهم السقاط: أحمد الأزدي وعلي الشداوي¹، ومن بين الذين أجازوه محمد النفزي الفاسي (ت 1245هـ)، وأبو محمد عبد القادر الشهير بابن عبد الله المشرفي الراضدي المعسكري².

2- أبو حامد العربي المشرفي³:

يعد من بين العنماء الذين أُنجبتهم الجزائر في القرن 19م⁴، تولى عدة وظائف في الجزائر قبل هجرته إلى فاس، والتي من أهمها التدريس، كما كان من بين المرافقين والمناصرين للأمير عبد القادر وهذا الخصوص يحدثنا عن نفسه فيقول: «وكنا نحضر معه في الجهاد وما فارقه في ثمانين وقعة وتقهتر العدو، ومهما فارق البحر بمائة خطوة أو بأكثر إلا وتحطفته الناس وغنمت سلاحه ورجاله من سنة خمسة وأربعين سنة في الماضي إلى تسعة وخمسين سنة»⁵.

ولكن مع مرور الوقت نجد المشرفي يقف في صف المعارضين للأمير عبد القادر، وخصوصا عندما أعلن الحرب على القبائل التي لم تناصره وركنت لصالح العدو الفرنسي، فيكون المشرفي قد نصب نفسه بمثابة المدافع عن هذه القبائل، ويقول بهذا الخصوص: «وطال عليهم المم-يعني القبائل- وترددت الجفلات بالغم، فرت منه النصاري، واستحلت الجلوس تحت رايتهم، ليتوارى فلم يبق معهم إلا الحزب الملعون يدور معه للنهب ويكون له عون، فأقام معه على قتل العباد وسبي النساء والأولاد، وأباح الفروج لجيش العباد... وقال لهم: هؤلاء المنتصرة ما لهم حلال، فبذلك وقعت المعايير بالتنصر لم يهجر نحوهم ولمن لم يعمل مثله حذوه»⁶.

1 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 7، المرجع السابق، ص. 40.

2 - المرجع نفسه، ج. 2، ص. 39.

3 - ولد مع مطلع العقد الأول من القرن 19م بقرية الكرط بضواحي مدينة معسكر، ويعود نسبه إلى المشرفيين، تعلم القسراء والكتابة على يد والده، ثم زاول تعليمه في سن مبكرة براوية الكرط حيث تعلم مختلف أنواع العلوم، ومن مدينة معسكر شمس، رحاله نحو مدينة تلمسان لمواصلة دراسته وتوسيع مداركه، وفي سنة 1824 انتقل إلى وهران، التي تعتبر المحطة الأخيرة في دراسته حيث استمر بها إلى غاية سنة 1830؛ ثم رجع من جديد إلى مسقط رأسه بمعسكر فاختلط في سلك التعليم، وقام بعدة تنقلات داخل القطر الجزائري منه زيارته لزواوية مجاجة سنة 1249هـ/ 1833م، يعد من بين المناصرين لمقاومة الأمير عبد القادر من سنة 1830 إلى غاية سنة 1843، وهي السنة التي هاجر فيها نحو المغرب. يراجع: المشرفي: طرس الأخبار، مخ، الخزنة العامة بالرباط، رقم: ك 496، السليسي: اللسان العربي عن ثقافة الأجنبي حول المغرب، ص. 33، النهضة العلمية لابن زيدان، مخ، ج. ح. ر، رقم: 1265، ص. 40، المراكشي: الإعلام بن حل مراكش وأغمات من الإعلام، ج. 9، ص. 27.

4 - للمزيد من المعلومات حول هذا العالم الجليل يراجع ما كتبناه بشأنه في المقال الموسوم بـ: ((أبو حامد العربي المشرفي وتراثه المسحوظ بالمغرب))، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع، 24، ص-ص. 223-252.

5 - أبو حامد العربي، المشرفي: أقوال المطاعين في الطعن والطواعين للعربي المشرفي، تحقيق ودراسة الحسين الفرقان، د. د. ع، ك. آ. ع. إ، ، شعبة التاريخ، جامعة محمد الخامس، أكادال، إشراف محمد الأمين اليزاز، الرباط، 2003-2004، رسالة مرقونة، ص. 11.

6 - أبو حامد العربي، المشرفي: طرس الأخبار بما جرى للمسلمين مع الكفار في عنتر-عنتو- الحجاج عبد القادر وأهل دانتسه الفجار، مخ، خ. ع. ر، تحت رقم: ك 496.

وللعلم أن العربي المشرفي كان من بين المرافقين للفقير السقاط، أثناء هجرته نحو المغرب، وللعلم أن صهره رفض أن يهاجر ابنته معه فقام بتطليقها واكتفى بأخذ أبنائه معه، وفي الطريق تعرض للمضايقات السابقة الذكر من لدن زعيم أولاد سيد الشيخ الغراية الشيخ ابن الطيب، وله أبيات من الشعر قالها بهذا الشأن²:

توجهت لابن الطيب الشيخ عصبه ❁ جهابذة فسروا بدينهم أول
فمنهم أديب القوم وابن رئيسهم ❁ مولاي السعيد الأسعد المتأصل
وشيخنا عبد الله ابن عمنا ❁ قرطاس العلوم العالم المتفضل.

وبعد أن استقر به المقام بفاس يكون قد تعرض إلى كثير من الشدائد والمحن من المخزن، وهذا ما ستطرق له في الباب الثالث المتعلق بموقف المغرب من المهاجرين الجزائريين، ولنعود إلى الحديث عن عائلة وأقارب الأمير عبد القادر الذين هاجروا هم بدورهم ضمن قافلة المشرفين في العنصر الموالي:

2- أقارب الأمير عبد القادر وأهل دائرته:

شملت بدورها قافلة المشرفين المهاجرة العديد من أقارب الأمير عبد القادر³. ومن بينهم تذكر ما يلي:

1- مصطفى بن محيي الدين⁴ غير أنه لم يستقر بمدينة فاس ولا بالمدن المغربية الأخرى، كونه رجع إلى الجزائر قبل نهاية مقاومة الأمير عبد القادر، لكننا نجد فيما بعد يظهر ضمن المرافقين للأمير بعد خديعته وترحيله إلى فرنسا.

2- محمد السعيد بن محيي الدين⁵ الذي أشار إليه أبو حامد العربي المشرفي في الأبيات الشعرية السابقة، وبعد هجرته يكون قد تولى مشيخة الطريقة القادرية بالمغرب، ودوره غير بارز في المغرب، وجلي ظاهر في بلاد الشام⁶.

2 - العربي، المشرفي: أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، المصدر السابق، ص. 34.

3 - Michaux-Bellaire: Les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, P. 48.

4 - أحد أشقاء الأمير عبد القادر.

5 - الشقيق الأكبر للأمير، ولد بقرية القبطنة بمعسكر، فقيه وصوفي مشارك في بعض العلوم، عرضت عليه إمارة الجهاد قبل أن يهجره، شارك في مقاومة الجيش الفرنسي، أرسله الأمير في سفارة إلى سلطان المغرب برفقة الحاج محمد فاحه بعد توقيع معاهدة التافنا، فحملا إليه هدية وكتابا يدور حول نية الأمير في إرسال سفيرا عنه إلى باريس لمقابلة ملك فرنسا ولربط اتصالات معه، فدامت إقامته بمدينة فاس عدة أيام؛ وبعد عودتهما يكون الأمير قد أرسل الميلود بن عمراش إلى فرنسا كما هو معروف، توفي بدمشق من آثاره: إتقان الصنع في شرح رسالة الوضع، طبعت في بيروت سنة 1308هـ.، يراجع كل من: محمد ابن عبد القادر:

تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج. 1، ص. 113، عادل، نوبهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 109.

6 - عمار، هلال: ((العلماء الجزائريون في فاس))، الدراسات التاريخية، ع. 9، المرجع السابق، ص. 39.

3- أولاد سيدي بوطالب: فسيدي بوطالب هو شقيق محيي الدين والد الأمير، وسيدي بوطالب له ابنان

هاجر مع السقاط هما:

1- سيدي أحمد الذي لم يستقر به المقام في المغرب فهاجر نحو سوريا، ثم عاد إلى معسكر التي توفي بها؛

وترك لنا ثلاثة أبناء هم¹:

- سي محمد الذي مات بسوريا.

- الحاج علي بوطالب الذي لم يستقر به المقام في فاس كونه انتقل إلى طنجة وطلب الجنسية والمواطنة التركية.

- سيدي عبد القادر الذي كان في سوريا مع أبيه وإخوته ورجع إلى معسكر وأصبح قاضيا ثم توفي بعد ذلك.

2- سي عبد القادر بوطالب الذي مات بمدينة فاس وترك لنا عدة أبناء أبرزهم: سي محمد الذي استقر بطنجة

حيث مارس التجارة هناك منذ ثلاث سنوات، وبعد أن توفي ترك لنا ابنا ظل يعيش في طنجة، وعرف باسم

مولاي أحمد بوطالب. ويضيف " ميشو بيلير" شخصية أخرى من هذه العائلة غادرت مدينة فاس وهو الميلود

بوطالب، وبعد أن انتقل إلى مدينة طنجة غادرها نحو سوريا وبها توفي، ثم يعرج بالإشارة إلى أولاد بوطالب الذين

استقروا بفاس وخصوصا في حي سيدي عبد القادر الفاسي وكانوا قد استأجروا عدة منازل لهم، من دون أن

يحدد لنا عددهم ولا أسمائهم².

وفي الوقت الذي لجأ فيه الأمير عبد القادر إلى المغرب الشرقي، واستقر به المقام بعين زورة في جبال

الريف قرب سواحل البحر المتوسط كما ورد في تحفة الزائر³، بينما يرى صاحب الابتسام أنه نزل في مكان يقال

له عين القصب⁴. ونظرا للصعوبات التي واجهتها دائرته جراء الخناق الذي بدأ يستحكم حولها؛ يكون قد فارق

الأمير عبد القادر ودائرته مجموعة من الأعيان والشخصيات الفاعلة والتحقوا بمدينة فاس، ومن بين هذه

الشخصيات المقربة من الأمير نذكر:

1- أبو طالب المختار الحشمي عم الأمير الذي انتقل فيما بعد إلى طنجة وكانت لأحد أبنائه حياة سياسية

متقلبة بها⁵.

2- الطيب بن المختار الراشدي الجزائري⁶:

1 -Michaux-Bellaire: Les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, P. 48.

2 -Ibid, P. 49.

3 -تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج. 1، المصدر السابق، ص 439

4 -أبو العلا، إدريس: مجموع الابتسام عن دولة ابن هشام، مخ، خ. ع. ر، رقم 114 ج.، ص 424

5 -محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 32.

6 -ولد في منطقة الراشدية بفريس في حدود سنة 1227هـ، وبها نشأ وتعلم عن مشائخها، ثم انتقل إلى مدينة تلمسان، ومنها

هاجر نحو مدينة فاس؛ التي مكث فيها مدة من الزمن أخذ فيها عن بعض علمائها بعد من الفقهاء الذين يجمعون بالمفهوم القديم بين

الفقه والتأليف والأدب والشعر، هاجر إلى المغرب، لكنه ما لبث أن عاد إلى الجزائر. تراجع كل من: الراشدي: القول الأعم في

كان متزوجاً من عائلة بوطالب التي تعد فرعاً من فروع عائلة الأمير، وكان يسمى الأمير ابن عمنا، وقد عاتبه بقصيدة مطولة لانشغاله عنه، جاء في مطلعها¹:

أكل خلي لا يدوم له عهد ❁ أن انفردت في حل ما عقدت هند؟
فأجابه الأمير بعدة أبيات من الشعر تعبر عن الغربة وبعد الديار أقتطف منها ما يلي²:

فكم من بعيد الدار نال مراده ❁ وكم من قريب الدار ما ناله ود
ألا فلتطلب نفساً بطيب وادانا ❁ فإن رباط الود تالله مشتد

كما كان الطيب بن المختار يمثل رابطة متواصلة مع عائلة الأمير المهاجرة؛ غير أن هناك من يرى أن الطيب بن المختار من أولاد أحمد بن علي، والبعض الآخر يرى أنه قريب بالمصاهرة من أولاد سيدي فريجة بن خاطر³. وبعد هجرته استقر به المقام بجامع القرويين، وهناك واصل تعلمه فأخذ على يد أبي عبد الله المجاري الذي كان مدرسا فيها بعد هجرته من تلمسان مع القاضي محمد بن سعد السابق الذكر، لكنه لم يلبث أن رجع مسن حديد إلى الجزائر بعد فشل مقاومة الأمير عبد القادر؛ رافق الأمير أثناء نفيه من فرنسا نحو بروسة ثم بلاد الشام. ولقد كانت له مراسلات مع معاصره مفتي مدينة الجزائر العاصمة حميدة العمالي، ولما عاد إلى الجزائر ولي قضاء تغنيف عدة سنوات، إلى أن توفي في سنة 1285هـ/ 1868م⁴، من بين المناصب التي تولاها:
- قاض للفرنسيين بغريس.

- العمل في مجلس قضاء معسكر في أواخر الخمسينيات.

- قام بزيارة للأمير عبد القادر وهو في سجنه بفرنسا بموافقة السلطات الفرنسية، ويورخ أبو القاسم سعد الله هذه الزيارة بسنة 1865م⁵ مع العلم أن الأمير في هذه السنة كان موجوداً بسوريا.
3- الميلود بن عراش⁶:

بيان أنساب قبائل الحشم، مخ. خ. ع. الرباط، ك 1080، ص. 93، عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 145، عمار، هلال: ((العلماء الجزائريون في فاس))، الدراسات التاريخية، ع. 9، ص. 40.

1 - عبد القادر، ابن محي الدين: ديوان الأمير عبد القادر، تحقيق وشرح وتعليق زكريا صيام، د. م. ج، الجزائر 1988، ص. 151
2 - المصدر نفسه، ص. 151.

3 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، المرجع السابق، ص. 487.

4 - عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص. 145.

5 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، المرجع السابق، ص. 487.

6 - ولد ببني شقران بوهران في أسرة متواضعة، وما نشأ وتعلم، ولكن هذا الاعتبار لم يمنعه من الوصول إلى زعامة مجموعة مسن القبائل التي تمتد أراضيها في شرق مدينة تنس وجنوبها منذ عهد الأتراك، وهذه القبائل التي كانت تجند في وقت الحرب قوة تبلغ أكثر من 2500 فارس و 1600 جندي كانت تمثل الرصيد الأساسي لنفوذ ابن عراش، وتشكل في نفس الوقت نقطة ارتكاز في الدفاع عن الحدود الشرقية للملكة، ولقد كان ابن عراش يتمتع بثقة الأمير التامة، وكان يلجأ إليه في جميع المهام الدقيقة، كونه ذو حصال متميزة، ومن بين المناصب التي تولاها في عهد الأمير:

- عينه آغا الشرق علم، مقاطعة معسكر تحت خلافة مصطفى ابن التهامي.

انتقل إلى مدينة فاس، وتمكن في ظرف زمني قصير من ممارسة نشاط تجاري حقق بموجبه أرباحا هائلة كانت تصل إلى حدود 40 مثقال شهريا¹، كما تمكن من حيازة مسكنا لائقا به وفرض مكاتبه بهذه المدينة. ومن بين الذين أكدوا لنا وجوده هذه المدينة أبو حامد العربي المشرفي، الذي اتهم الأمير عبد القادر ووزير خارجيته الميلسود ابن عراش بالوقوف وراء كل المصائب التي لحقت به أثناء مقامه بمدينة فاس، وبهذا الصدد يقول في رسالة مطوكة إلى ولي العهد سيدي محمد يستجديه فيها²:

سُجنت بظلم وهو مطلع على	✿	سريره عبد فيما يأتي وما مضى
رماني عدوي بالذي فيه عيرة	✿	وحق بأن يرمى به فتغلظا
فإني سني الشريعة هسديني	✿	وضدي ابن ماحي الدين مبتدع محضا
وشيمتي أبغض البدائع جملة	✿	وأبغض أهلها ومن يتفضضا
أريني متى أزال العداوة بيننا	✿	أنوذى بمكسوب الفساق ونبغضا

فلقد أصر العربي المشرفي على أنه كان ضحية وشاية الميلود بن عراش، فهجاه بقصيدة سماها ذم أكبر الوشاة الغشاش الميلود بن عراش، تتكون من 23 بيت، حيث نعته فيها بأقبح الصفات ومن ما جاء فيها³:

لكن أصلك إسرائيلي تبغضنا	✿	يا ملعون الأصل من أفاك غشاش
يكفيك سجننا فأكثر شرب ماحية	✿	ويوم سبكتكم فأحسن الفسراش
فلا أساقفة الملاح تبغضنا	✿	كبغض هذا الذي يدعى ابن عراش
وما ولاك ابن ماحي الدين في ثغر	✿	حتى جفنا ربه جفنا نباش
فكنت سينة من سيناته لم	✿	تقل ملت صحيفتي وكناش
وهذه شرفاء لا تقسها على	✿	برابر العرب أو على ابن جيش

4- محمد بن عيسى البركاني⁴، ومصطفى بن عبو خوجة الأمير عبد القادر، والحاج الجيلالي خزندار الأمير،

-عينه وزيرا للخارجية، فهو الذي أشرف على توقيع معاهدي دي ميشال سنة 1834، ومعاهدة التافنا سنة 1837.
-أرسله الأمير في سفارة إلى الملك الفرنسي لويس فيليب بعد توقيع معاهدة التافنا فعادر الجزائر في 3 مارس 1838 نحو بساريس وقام بسفارته على أكمل وجه. وتعاطيه التجارة سمح له بربط علاقات وثيقة مع بعض الأوساط الرأسمالية من يهود وفرنسيين جلبت إليه الشكوك والافتقار بإثراء مصالحه الخاصة. يراجع: مذكرات الأمير عبد القادر، ص-ص. 171-172، 151.
إسماعيل، العربي: ((سفارة الميلود بن عراش لدى الملك لويس فيليب))، مجلة التاريخ، ع، 6، ص-ص. 101-129،

Mémoires de Boudarba, R. A, 1^{er}, trimestre, 1913, p. 218.

1 -محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 49.

2 -العربي، المشرفي: أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، المصدر السابق، ص-ص. 40-41.

3-المصدر نفسه، ص-ص. 40-41.

4 -ينحدر من أسرة البراكنة المشهورة بالدين والتقوى، والتي كانت لها مكانة في بني مناصر بالقرب من شرشال، أذعن في بداية الأمر لقوات الاحتلال الفرنسي، فعينه الجنرال كلوزيل سنة 1830 قائدا على مدينة شرشال، وظل في هذا المنصب إلى غاية سنة 1834، حيث التحق بالأمير الذي عينه خليفة على المدينة في سنة 1835، وفي السنة الموالية غادرها بعدما احتلها الجنرال كلوزيل،

3- السليمانيون:

يُعدون من بين الأسر الجزائرية المهاجرة نحو فاس؛ ويأتي في مقدمتهم محمد بن عبد القادر المدعو ابن الأعرج الشريف الحسيني الغريسي، الذي ينتمي إلى أسرة مشهورة اشتغل أبناؤها بالعلم في بلاد غريس بالجزائر، كما كانت لهم جولات في ميدان السياسة والرئاسة¹، وهو أيضا سليل أسرة مجاهدة استشهد حده خلال حصار مدينة وهران التي كانت محتلة من قبل الإسبان، كما استشهد عدد من أقربائه في المواجهات مع قوات الاحتلال الفرنسي، وكان الأمير عبد القادر يخاطبه بقوله: الأخ في الله، محمد بن عبد القادر ابن المجاهدين، وظلت العلاقات وطيدة بينهما وتبادلا الخطابات حول قضايا عامة وعائلية²، ويعتبر محمد ابن عبد القادر أول من لقب من هذه الأسرة بابن الأعرج، وذلك لأنه تربى في حضانة نخاله الأعرج لموت الجد وجميع القرابة في الدفاع عن الوطن، ولقد عاش لمدة طويلة بمدينة فاس فقيها ومحدثا؛ إلى أن وافته المنية في سنة 1332هـ / 1913م³.

ومدينة فاس ولد لجدله محمد بن محمد بن عبد القادر السليمان الغريسي المعسكري⁴، وبها نشأ وتعلم؛ وبعد فترة من التحصيل العلمي نزع نحو مدينة تلمسان مسقط رأس أجداده حيث نشط في مجال التجارة، ولكن هنا لم ينه عن مشاركته في تأسيس نادي الشبيبة الجزائرية بتلمسان، وكذا إطلاعه على مختلف الأوضاع التي كان يشهدها العالم آنذاك من خلال قراءته للصحف والمجلات، ومع بداية تنور الأطماع الأوربية في المغرب عاد مسن جديد إلى مدينة فاس، فقام بعدة أدوار سياسية ووطنية سنعرض لها أثناء حديثنا عن دور المهاجرين في المغرب.

- 1 - علال، الخديمي: ((محمد ابن الأعرج ومؤلفاته))، الملتقى المغاربي الأول، المصادر والمراجع العربية لتاريخ الجزائر 1830 - 1962، المنعقد بالجزائر يومي 28-29 ديسمبر 1992، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، د. م. ج، الجزائر، ص. 61.
- 2 - معلمة المغرب، ع، 15، المرجع السابق، ص. 5103.
- 3 - المرجع نفسه، ص. 5103.
- 4 - سولد بمدينة فاس في 10 ذي القعدة 1285هـ / 22 فيفري 1869م، وبها نشأ وتعلم في حضن والده الذي كان فقيها ومحدثا، فقرأ عليه الفقه والتوحيد والعربية، وقرأ القرآن بمدرسة درب السعود بخومة الحريرة بعدوة الأندلس على شيخه أحمد بن محمد الفشتالي، وبعد أن حفظ الأمهات ومختصر خليل كالعادة ولج جامعة القرويين سنة 1305هـ / 1887م، ومن حملة المصنفات التي درسها صحيح البخاري ومختصر خليل وكان من أبرز شيوخه في القرويين التهامي بن المدني كتون، وعبد الله بن التهامي الوزالي، وأحمد بن الجيلالي الأمغازي، وبعد أن أقام بفاس مدة من الزمن اضطرت الظروف إلى الهجرة نحو مدينة تلمسان موطن أجداده فعمل في التجارة، ولكن هذا لم ينه عن مواصلة المطالعة والكتابة، فلقد كان شغوفًا بالإطلاع على الصحافة الدولية ولا سيما التي لها نزعة تحريرية، وأسس في تلمسان مجعلا لأهل الثقافة والعلم عرف بنادي الشبيبة الجزائرية، ولكنه لم يلبث أن عاد إلى مسقط رأسه من جديد، ليقوم بعدة أدوار ثقافية. ولقد ظل على هذا العمل والنشاط الدؤوب حتى وفاته المنية بمدينة فاس يوم الأحد 13 ذي الحجة 1344هـ / 4 جويلية 1926م، هذا حسب ما جاء أحمد الكاوي في معلمة المغرب، بينما ناصر الدين سعيدوي في معجم مشاهير المغاربة يورخ لوفاته بـ: 23 عرم 1344هـ / 23 أوت 1925م؛ ودفن بقدان الفرياء قرب قبّة الشيخ علي ابن حرزهم خارج باب الفتوح، راجع: معلمة المغرب، مج، 15، ص. 5104، أبو عمران، الشيخ: معجم مشاهير المغاربة، ص. 52، علال، الخديمي: ((محمد ابن الأعرج ومؤلفاته)) أعمال الملتقى المغاربي الأول، ص-ص. 61-62.

وإلى جانبه نسجل بروز ونبوغ عبد المالك السليماني بن محمد الاغريسي¹ الذي كرّس حياته في نشر العلم والمعرفة أثناء فترة الحماية الفرنسية على المغرب، وبعدها حيث أركلت له مهمة مشرف على المصالح التربوية في وزارة التعليم بالمغرب، وهذه الأدوار سنعود إلى الحديث عنها في وقت لاحق.

4- قبائل الحشم² وبنو عامر³:

هما قبيلتان جزائريتان لعبتا دور كبير في مجمل الأحداث التي عرفها المغرب الجزائري بعد الاحتلال الفرنسي لمدينة وهران، كناهيك عن مناصرتهم للأمير عبد القادر، فرؤساء بنو عامر⁴ كانوا أول من اعترفوا به زعيما عليهم⁵، كما أنهم كانوا ضمن الوفد الذي يعد أول من استقبل موكله بعد مبايعته، وقد حصّتهم الأمير بالذكر في خطابه الذي تلاه مباشرة بعد مبايعته حيث كانوا من بين الذين وافقوا على تعيينه وتعهدوا بطاعته

1- ولد بفاس في 14 ربيع الثاني 1332هـ/ 12 مارس 1914م؛ تلقى تعليمه الأول بمدرسة أبناء الأعيان في الرباط، وأتم دراسته الثانوية ب ثانوية مولاي يوسف، ثم تحصل على الإجازة في الآداب، مارس العديد من النشاطات التربوية والعلمية إلى أن وافقه المنية بالرباط في 21 ذي الحجة 1397هـ/ 3 ديسمبر 1977م. يراجع: معلمة المغرب، ج. 16، ص. 5103.

2- الحشم لغة: الحياء أو الغضب، وحسب صاحب القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم أن كلا المعنيين صحيح، لأن قبائل الحشم يتميزون بالحياء والغضب أيضا، أما اصطلاحا فيعني مطلق الأنصار، وقد كان الحشم يدعون بالرواشد والراشدية، وهم إما بنحوهم أولا بجبل بني راشد الذي هو بطن من بطون زناتة ثم انتقلوا إلى غريس فأطلق عليهم اسم الأشراف، الذين من بينهم عبد القادر المشرقي صاحب زاوية الكرط الذي سبق الحديث عنه؛ ولكنهم منذ أن دخلوا في خدمة بني زيان -ق 8هـ- أصبحوا يسمون بالحشم أي الأنصار. وهناك معنى آخر لهم وهو أن الحشم سموا بذلك نسبة إلى حشم عبد المؤمن بن عيسى أي أتباعه الخادمين له المتمرجين الأحناس. فعبد المؤمن بن علي بعدما بني مدينة الفتح بجبل طارق وحصنها نقل من عرب افريقية للمغرب ألفا من كل قبيلة بأهلهم وهم الذين بالمغربيين يقال لهم الحشم. يراجع: أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 7، ص. 324، المزارقي: طلوع سعد السعود، ج. 1، ص. 146، الراشدي: القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم، ص. 93، عبد العزيز، ابن عبد الله: الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، ص. 183.

3- بنو عامر ينتسبون حسب محمد أبو راس العسكري إلى عامر بن زغبة بن ربيعة بن فيك ابن هلال بن عامر بن صعصعة، أحد بطون هوازن بن منصور بن عكرمة بن زيد بن حفصة بن قيس ابن غيلان، أصل أرضهم بجبل غزوان عند الطائف، وإخوانهم بنو سعد بن بكر بن هوازن؛ وفيهم استرضع محمد صلى الله عليه وسلم، وبنو عامر هؤلاء الذين بالمغرب الأوسط بطون ثلاثة: 1- بنو يعقوب الذين تنسب اليه يعقوبية إليهم، 2- بنو حميد؛ منهم الحجز؛ وهم بنو حاجز بن عبيد بن حميد؛ منهم ححوش وحجيش ومحمد ورباب والمجازة وغيرهم، 3- بنو شافع؛ وكانوا -أي؛ شافع- جندا لنصارى وهران وكذلك غيرهم من إخوانهم زغبة وذلك لقرب أرضهم من وهران حينئذ. يراجع: عبد القادر، المشرقي: هجرة الناظر، ص-ص. 8-9.

4- مجموعة من الأهالي تضم 26 بطن أي حوالي 7315 خيمة، موزعة على المناطق التي تشمل حاليا ولاية سيدي بلعباس، وهم من أعظم المواطنين إخلاصا للمقاومة وأكثرهم شجاعة وصلابة حيث يتوفرون على قوة عسكرية تقدر بـ 5150 فارس، و 4330 مشاة. يراجع: مذكرات الأمير عبد القادر، ص. 115.

5 -Michaux-Bellaire: Les musulmans d'Algérie au Maroc, op. cit, P. 53.

وتقدم حياتهم وحياة أبنائهم وأملاكهم فداء للقضية المقدسة¹. ولقد كانت قبائل بني عامر وبني هاشم تمثل القوة الرئيسية للأمير عبد القادر².

ومن بين صفاتهم أنهم كانوا متشوقين للقاء العدو الفرنسي، ولكن بتوقيع الأمير لمعاهدة دي ميشال سنة 1834 ترددوا في دفع الضرائب والخضوع له، وادعوا بأن التوقف عن دفع الضرائب كان نتيجة حتمية لوقف القتال، وبذلك يكون قد كلف الأمير عبد القادر الأغا مصطفى بن إسماعيل بإخضاعهم.

ولكن أثناء خطبة الجمعة التي ألقاها في مسجد معسكر لمح بعض الشيوخ من بني عامر في المسجد فقير فجأة أسلوب خطابه وخاطبهم قائلا: «ألستم أنتم يا بني عامر أول من دعاني إلى المركز الذي أتولاه الآن؟ ألستم أنتم أول من رجاني أن أؤسس حكومة منتظمة توحى إلى الخيبرين بالثقة وإلى الأشرار بالخوف؟... فهل ستكونون أول من يتخلى عن القضية المشتركة، وأول من يؤيد ويشجع بإعطاء المثال، ضد نفس الحكومة التي أقتموهها؟ كيف تستطيع أية حكومة أن تواصل عملها بدون ضرائب؟... هل تظنون أن أصغر قطعة نقدية في الضريبة التي أطلبها ستستخدم في مصاريف الشخصية أو العائلية»³.

وبالتالي فعندما استمع أعيان بنو عامر لهذه الخطبة تراجعوا عن موقفهم؛ وتعهدوا له من جديد بدفع هذه الضريبة⁴. وظلوا على إخلاصهم له حتى سقوط الزمالة في يد الجيش الفرنسي، فقسم منهم استسلم للجيش الفرنسي بينما هاجر القسم الآخر نحو المغرب ضمن دائرة الأمير.

ونظرا لتمسك الحشم وبني عامر بالأمير عبد القادر فلقد حاول الجنرال "بيجو" نفيهم عن عزمهم بعد سقوط مدينة معسكر في يد الجيش الفرنسي من خلال مراسلته لهم، غير أن حواجمهم كان صفة وصدمة قوية للجنرال "بيجو"، ومما جاء في جوابهم عن رسالته⁵: «وأي سعادة أحب إلينا من سعادة الجهاد؟ وحماية البلاد؟ وثباتنا أمام أعدائنا؟ ولو بدون محاربة ولا طعان... والذين أطاعوك من أهل وطننا فإنهم عندنا قوم لا دين لهم ولا خلاق، بل لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، فلا تغتر بكلامهم وإنما قادهم إليك الطمع فيما عندك فباعوا لك دينهم بالذهب والفضة، وأما نحن فلا نبيع ديننا، وإنما نبيع أنفسنا إلى الله تعالى الذي يشتريها منا بالجنة... ومن الواجب إليك أن تنظر إلى عظمة سيدنا الأمير»⁶.

ورغم هذا الجواب الصارم فإن "بيجو" قام بمراسلتهم مرة أخرى لمحاولة استمالتهم إليه، إلى أنهم أجابوا مرة أخرى وبلهجة قوية جاء فيها: «من الحشم وغيرهم من القبائل المتمسكين بدينهم الوثيق العرى... فتعجبنا من

1 - شارل هنري، تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، ط. 2، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1982. ص. 59.

2 - المصدر نفسه، ص. 66.

3 - المصدر نفسه، ص. 83.

4 - المصدر نفسه، ص. 83.

5 - الجواب مؤرخ في حرر في 20 ربيع الثاني 1257هـ / 11 جوان 1841م.

6 - محمد، ابن عبد القادر: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج. 1، المصدر السابق، ص. 400.

إلخاحك وإكثارك علينا في الطلب، مع أننا بذلنا وسعنا في إقناعك فلم تسمع وأوقفناك على ما انطوت عليه بواطننا من التمسك بديننا وطاعتنا لأميرنا، فلم تفهم ولو فهمت لعدلت عن إلخاحك وتتابع طلبك، وعلى كسل حال فهذا آخر جواب يأتيك من طرفنا، فليكن مكتوبك المذكور آخر مكتوب ترسله إلينا، وكيف نتسرك ديننا الذي هو أشرف الأديان!! وتتخلى عن أميرنا الذي هو عندنا أعظم أمير وأشرف من يطاع!!؟ هذا مما لا يقول به عاقل ولا يعلق بأفكاره أمل»¹.

هذه إذن بعض الملامح والصفات التي تميز بها الحشم وبنو عامر، التي تبين مدى تمسكهم بالأمير، وبالتالي فبعد سقوط الزمالة ولجوءه إلى المغرب الشرقي بدائرته هاجرت معه الكثير من عناصر هاتين القبيلتين، والذين شكلوا في مجموعهم حوالي 590 خيمة تضم أكثر من 3000 شخص². والغالبية من هؤلاء يتمون إلى مقاطعة وهران³، وقسم آخر من بني عامر التحقوا بدائرة الأمير في وادي ملوية فيما وراء جبل بني يزناسن غربا؛ بعد معركة الغزوات⁴، والتوغل الذي قام به على إثر ذلك في الغرب الجزائري.

وبعد الانتصارات التي حققها الأمير عبد القادر على القوات الفرنسية في معركة الغزوات التي تمكن خلالها من أسر حوالي 300 جندي فرنسي، ثم أرسلهم إلى دائرته بالمغرب التي عسى رأسها خليفته محمد البوحيميدي⁵؛ فلما وقعت هذه الواقعة عمل على حمل القبائل في الرجوع إلى طاعته وبذلك يكون قد سلم الأسرى إلى صهره وخليفته مصطفى بن التهامي⁶، وعهد إليه بأمر الدائرة والنيابة عنه، بل فوضه تفويضا مطلقا على ما

1 - المصدر نفسه، ص: 402.

2 - Kamel, Kateb: **EUROPEENS, «INDIGENES» ET JUIFS EN ALGERIE (1830-1962)**. Préface de benjamine STORA. Représentations et réalités des populations, EDITIONS L'INSTITUT NATIONAL D' ETUDES DEMOGRAPHIQUES, 2001. (*CAHIER N° 145*) P- P.50-51.

3 - Rapport gouvernement générale Alger à Ministre da la guerre fait le 15/01/1848. A.O.M. Carton E 12.

4 - محمد ابن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج. 1، المصدر السابق، ص. 451.

5 - هو خليفة الأمير عبد القادر بلمسان، ينتمي إلى قبيلة وفصاة القاطنة بجبال طرارة، كان معروفا بصلايته وضبطه للأمر. وهو الذي استلم مدينة تلمسان عندما أجلاها الجنرال "كافينيكا" في 25 جوان 1837، ولقد كلفه الأمير للتفاوض مع السلطان المغربي في الأيام الأخيرة من عمر مقاومته الباسلة، على إثر الخلاف الذي نشب بينه وبين السلطان المغربي بعد مقتل القائد الأحمر على يد جيش الأمير، ولقد اختلفت المصادر والمراجع التاريخية حول مصير هذا القائد، وهذا ما ستراد في موقف السلطان عبد الرحمان من المهاجرين الجزائريين في الفصل الأول من الباب الموالي.

6 - هو الحاج مصطفى بن أحمد (أو حمادي) بن التهامي، ولد في حدود سنة 1796، كان والده مفتيا في العهد العثماني، مارس مهنة التعليم أثناء العهد العثماني، له إلمام كبير بالنحويات لدرجة أن أبو حامد العربي المشرفي يشبهه بسبويه في النحويات، كما كان له فهم ثاقبا ورأي صائب، لا يجارى في علم العروض وفي المعقولات، انخرط في صفوف مقاومة الأمير عبد القادر، ونظرا لثقتة فيه ولاء عدة مناصب من أهمها: تعيينه على رأس ديوان الإنشاء، كان عضو في المجلس العالي الأميري، عينه خليفة على مقاطعة الشرق بحاضرة معسكر خلفا للخليفة ابن الفريجة الذي استشهد أثناء حصار تلمسان، كما عينه قائدا للدائرة بعد سقوط الزمالة، ويعتبر من بين المقربين والمخلصين للأمير حيث زوجه بأخته خديجة، ولقد كان الأمير يعتمد عليه بالخصوص في شئون الدولة نظرا لسداد رأيه. تراجع: أبو حامد العربي، المشرفي: **بالقوة النسب الوهاجة**، ص. 44، **مذكرات الأمير**، ص. 166.

يعود نفعه عليها، وأن يمنع من أراد الخروج منها والدخول إلى مراكش لما نالهم من المشقة والتعب، وأمره أن يبلغ البوحميدي أن يلحقه بنجدة إلى جنوب إقليم الجزائر¹.

ولما بلغ البوحميدي ظن ذلك من عدم ثقته بالأمير فأخذ يهيج بني عامر على العودة إلى أوطانهم، أو اللّحوق بسلطان المغرب الأقصى، ويمنعهم من تقديم الطاعة لابن التهامي، فحرق هذا الأخير لاسيما ممن عسدم توجهه بالنجدة للأمير، وأمر بأن الذي لا يريد أن يتوجه للنجدة يعطي فرسه إلى من قتلت دابته في الحرب، فحصل من ذلك قلق عظيم في قبيلة بني عامر، لأن العرب تعز خيولها أكثر من معزة نفوسها؛ فأخذوا في الخروج من الدائرة إلى بلاد مراكش؛ فخرج في ليلتين مقدار 200 خيمة، والتجئوا إلى القبائل المحاورة للدائرة، وتبعهم الناس إلى ذلك². وعليه فدسائس البوحميدي تعد عاملا رئيسيا في مغادرة بني عامر والحشم للدائرة والتحاقها بالسلطان المغربي³.

لقد غادرت إذن هذه القبائل وغيرها دائرة الأمير وهاجروا بخيامهم وبقطعاتهم، ليستقروا على الخافة اليسرى لواد سبو⁴، بقرب حسر المشرة الشريفة في قبيلة الشراقة، وكذلك الحال مع قبيلة الحشم التي استقرت على نفس ضفة الوادي في سافلة النهر، عند ملتقى أولاد مكاس قبالة المازرية وهي عزيب شرفة وزان⁵. وتوطنت هناك قرابة عاما كاملا وكانت على اتصال وثيق بالأمير عبد القادر⁶ كما استقر قسم آخر من هذه الخيام المهاجرة عند قبائل بني كيل وفكيك وتافيلالت⁷. ولقد منحهم السلطان المغربي أرضا للفلاحة والسكن، وبقي هؤلاء القوم يعملون لمعاشهم مترقبين سنوح الفرصة للعودة إلى أوطانهم والاتصال بأمرهم⁸. وقبل أن نختم هذه المرحلة أود الإشارة إلى بعض الشخصيات الجزائرية التي هاجرت خلال هذه المرحلة؛ ومن بين هؤلاء نذكر:

1 - محمد، ابن عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج. 1، المصدر السابق، ص. 464.

2 - المصدر نفسه، ص. 465.

3 - عبد الرحمان بن محمد، الخليلي: تاريخ الجزائر العام، ج. 4، المرجع السابق، ص. 226.

4 - Louis, Massinone: les Musulmans Algériens au Maroc et en Syrie, **Revue Du Monde Musulman**, Février, 1910, P. 501:

5 - Michaux-Bellaire: **Les musulmans d'Algérie au Maroc**, op, cit, P.54.

6 - Ibid, P. 54.

7 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 48.

8 - عبد الرحمان بن محمد، الخليلي: تاريخ الجزائر العام، ج. 4، المرجع السابق، ص. 226.

1- الحاج محمد بن محمد الأكلح المقرئ (ت 1285هـ):¹

فبعد استقراره بمدينة فاس أصبح يعرض الناس بالقرويين، ويقرأ رسالة ابن أبي زيد فيمسما بين العشائين، وكانت العامة تحضر مجالسه وتنتفع به، ومن بين الذي أخذوا عنه جماعة من الأئمة بفاس منهم: سيدي محمد بن عبد الرحمان الفيلاي، وسيدي محمد بن عبد القادر الكرودوي، الذي يعد من ذرية المقرئ صاحب نفع الطيب.²

2- الشريف سيدي محمد بن الأخضر الغريسي (ت 1292هـ):³

فبعد أن استقر به المقام هو الآخر بمدينة فاس بدأ في تقديم دروس في الفقه فكان يقرأ مع الطلبة ما تيسر ضم بجامع الرصيف وغيره، ويؤم الناس بجامع أعلا عقبة ابن صوال، رغم أنه كان مسنا أشييا ضعيف الصوت جدا؛ لا يكاد يسمعه من يليه، ولقد ظل على هذا الحال حتى وافته المنية في 18 رمضان 1292هـ، ودفن قريبا من باب قبة سيدي علي بن حرزهم (ت 559هـ/ 1139م)⁴، وبني عليه شاهد صغير وجعل بوسطه تاريخه.⁵

3- عبد الرحمان المجاحي: بعد استقراره بمدينة فاس كان له بعض النشاط الثقافي والفكري.⁶

4- الحاج الداودي (ت 1271هـ/ 1854م).

5- الكبير ولد ماحي: هاجر في حدود سنة 1846، وهو ينحدر من قبيلة أولاد عكرمة وينتمي إلى دوار أولاد بوسالم، وبعد زواجه واستقراره بالمغرب يكون قد توفي هناك تاركا ولدين هما: بوفلحة وعبد الحق، والعائلة التي يكون قد كوئها الكبير ولد ماحي باتت تتألف من 7 حيام هي على النحو الموالي: بوشسته ولسد بوفلحة، والبخاري ولد بوفلحة، وقذور ولد بوفلحة، ومحمد بن عبد الرحمان، وبين عبد الله بن عبد الرحمان، وعلي ولد بن عبد الله، ومحمد ولد بن عبد الله، وكل فرد من هؤلاء يمثل عائلة قائمة بذاتها تختلف في عدد أفرادها وممتلكاتها من عائلة لأخرى.⁷

1 - هو العلامة النحوي الوجيه المدرس الأمل، أبو عبد الله الحاج محمد بن محمد الأكلح المقرئ التلمساني القرشي، وهو يعد من الفقهاء. يراجع: الكتاني: سلوة الأنفاس، ج. 3، ص-ص. 30-39.

2 - أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، ج.

3- المصدر السابق، ص-ص. 30-39.

3 - المصدر نفسه، ص. 102.

4 - هو الشيخ علي ابن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم، ينتهي نسبه إلى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. ويقع ضريحه خارج باب الفتوح، ويعد من أشهر مزارات الحضرة الفاسية، وقد كان بعض أمراء بني مرين بني عليه قبة، فلما تلاشت أمر السلطان سيدي محمد بن عبد الله عامله على فاس؛ محمد بن محمد الصفار أن يهدمها ويبنى مكانها قبة أخرى، ففعل وهي الموجودة الآن.

5 - أبو القاسم محمد، الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، المصدر السابق، ص-ص. 204-205.

6 - عمار، هلال: ((العلماء الجزائريون في فاس))، الدراسات التاريخية، ع. 9، المرجع السابق، ص. 41.

7 - Le générale Boitard Commandant la Division d'Oran à Monsieur le Gouverneur générale de l'Algérie à Alger. G.G.A. Division d'Oran, Cabinet Affaire Indigènes, N° 107. Oran fait le 12 Décembre 1896. A.O.M. carton H 99. H101

ويذكر "روجي لوتورنو" بخصوص المهاجرين الجزائريين بفاس أنهم كانوا يتمركزون بشكل كبير في حيي رأس الجنان والقلقلين، كما يوجدون في أحياء أخرى كالبليدة وفندق اليهودي، ويترددون في غالب الأحيان على بعض الأضرحة كضريح سيدي بومدين في الرميطة الذي كان يعتبر المكان المفضل لاجتماع المهاجرين الجزائريين بين بعضهم البعض¹. هذا ويذكر لنا عمر بوزيان هجرة بعض العائلات الجزائرية نحو المغرب من دون أن يحدد لنا وجهتها، والتي من بينها: أولاد شنديد من تلمسان، وعائلة ونيش من مستغانم، وكذلك أولاد بوخروبة من نفس المدينة².

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- روجي، لوتورنو: فاس قبل الحماية، ج. 1، المصدر السابق، ص. 322.

2- عمر، بوزيان: جذور اتحاد المغرب والجزائر (1832-1845)، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1988، ص-ص.

المهاجرون الجزائريون نحو وجدة
وطنجة

جامعة الأمير عبد
السلام العلوم الإسلامية

3- المهاجرون الجزائريون نحو وجدة وطنجة:

3-1. نحو وجدة:

بحكم موقعها الجغرافي المتاحم للجزائر، باتت وجدة بمثابة بوابة المغرب الشرقي، وعليه شكلت عامل استقطاب قوي للمهاجرين الجزائريين الذين وفدوا عليها بعد الاحتلال الفرنسي؛ هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى فهي تعتبر محطة عبور رئيسية للذين لم يستقروا بها؛ وانتقلوا بعد ذلك نحو مدن مغربية أخرى، أو عادوا من جديد إلى الجزائر؛ وقصد الإلمام الجيد بالمهاجرين الجزائريين الذين هاجروا نحو وجدة خلال هذه المرحلة.

ومن بين الدراسات التي تناولت المهاجرين الجزائريين بوجدة؛ تقرير الضابط الفرنسي "لويس موجان Louis Moguin"¹ خلال شهر فيفري 1907 أي قبل الاحتلال الفرنسي لها، تقرير صنّف من خلاله المهاجرين الجزائريين إلى خمسة أصناف²:

- الصنف الأول:

يشمل المهاجرين الجزائريين الذين وفدوا على وجدة قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر، وهؤلاء أصبحوا يعتبرون في نظره مواطنين مغاربة؛ وبالرغم من شهرتهم في المغرب رفضوا جملة وتفصيلا هذه الصفة؛ وأرادوا أن يبدو للعيان أصولهم الجزائرية التي لا يمكن محوها³، وهذا الصنف سبق وأن أشرنا إليه في الفصل التمهيدي.

- الصنف الثاني:

يشمل المهاجرين الجزائريين الذين وفدوا على مدينة وجدة أثناء الاحتلال الفرنسي، وهم في نظره الأفراد الذين استقروا بوجدة، ورفضوا البقاء تحت الحكم الفرنسي خاصة بعد احتلال تلمسان من طرف الجنرال بيجو، وهم أيضا في نظره الأفراد الذين ساعدوا ودعموا قضية الأمير عبد القادر وفروا معه إلى المغرب⁴. أما الأصناف الثلاثة المتبقية فستحدث عنها في فصول لاحقة حسب إطارها الزمني الذي هاجرت فيه نحو وجدة. وبالتسالي فإننا سنقتصر في حديثنا على الصنف الثاني من المهاجرين الجزائريين حسب "موجان".

وعليه، فإذا كان "موجان" قد ركّز في تقريره عن تشكيلة الجزائريين على سبب معيار شرف النسب، وجعل الشرفاء القادريون هم في المقام الأول، فنحن سنراعي ذلك في ترتيبنا إلى جانب مراعاة معيار الزمن، وهم على النحو الموالي:

1 - من مواليد سنة 1873، تولى عدة مهام ومسئوليات عسكرية أهلته للقيام بهذا التقرير: فقي جوان 1902 ترأس مصلحة شئون الأهالي، وفي سنة 1903 أشرف على البعثة العسكرية الفرنسية بوجدة، كما تكون قد مكنته تجربته العسكرية ومعرفته باللغة العربية بفصيحتها وعاميتها من القيام بمسح عام ومتكامل لمدينة وجدة بين سنتي 1905-1906، وبعد اختلافا سنة 1907 أصبح على صلة مباشرة بالجنرال "ليوتي Lyautey"، توفي سنة 1955. (راجع: بدر، المقري: ((التشكيلة الاجتماعية في المجتمع المغربي في الربع الأخير من القرن 19 والربع الأول من القرن 20))، أصل، ع. 18، ص. 6.

2 - Louis, Mougins: *Les Algériens à Oujda*, op, cit, P. 189

3 - Ibid, P. 89.

4 - Ibid, P.189

1- التشكيلة الأولى: تضم الشرفاء القادريون الذين سبق الحديث عنهم في الفصل التمهيدي وهاجر بعض شعبهم سنة 1827، وجدنا أن هناك شعبة منهم هاجرت سنة 1837؛ وهي شعبة مولاي رشيد القادري¹.

2- التشكيلة الثانية: وهي التي يحددها معياران: المهنة والأصل، وهي على النحو الموالي:

1- الخطط العلمية (الحسبة، أمانة المستفادات، القضاء... الخ)²:

- آل مياصو/باص التلمساني:

كانوا من أوائل المهاجرين التلمسانيين الذين استقروا بوجدة في حدود سنة 1246هـ/ 1830م؛ فمنهم من استغل وجوده بامتلاك البساتين والمزروعات، ومنهم من انتظم في محافل الفقهاء وهواة التصوف³؛ ومن بين الذين هاجروا عميد الأسرة سيدي محمد بن باص⁴ الذي وسمه علماء وجدة بميسم الدين والصلاح والنباهة والعلم⁵. واشتهر من أبنائه بوجدة سيدي المصطفى بن محمد بن باص (ت 1340هـ/ 1921م)⁶، الذي سنعود للحديث عنه لاحقاً؛ وهو بدوره ترك لنا ثلاث أبناء هم علي النحو الموالي: سيدي محمد (1290-1360هـ)، وسيدي الغوثي (ت 1335هـ)، وسيدي عبد القادر (ت 1334هـ)⁷.

-آل بروكش/- ابن روكش - الإدريسي الحسني:

بيتهم بيت علم وسيادة ينحدرون من الشرفاء الإدريسيين؛ قدم سلفهم إلى منطقة غريس واستوطنوها⁸، ويصنّفهم ابن عودة المزارعي ضمن الشرفاء⁹؛ الذين من أهمهم بالجزائر آنذاك الشريف السيد عبد القادر بن بروكش الورغي المفتي بوهران، وابن عمه السيد الحبيب بن بروكش الورغي¹⁰. وبعد الاحتلال الفرنسي لمدينة معسكر هاجر

1- بدر، المقرئ: ((التشكيلة الاجتماعية في المجتمع المغربي في الربع الأخير من القرن 19 والربع الأول من القرن 20))، أمسل، ع. 18، المرجع السابق، ص. 6.

2- المرجع نفسه، ص. 6-7.

3- عبد الحميد، إسماعيلي: ((علماء المهجر بمدينة وجدة في القرن 19))، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن 19، أيام: 9-10-11 ديسمبر 1993، جامعة محمد الأول، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، رقم 8، سلسلة ندوات ومناظرات، 1994، ص. 78.

4- بعد هجرته قام بمصاهرة الفقيه سيدي أحمد بن علي العزاوي الوحدوي المولود بوجدة سنة 1321هـ، فزوجه أخته السيدة خدة. يراجع: بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، ص. 66.

5- بدر المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 86.

6- عبد الحميد، إسماعيلي: ((علماء المهجر بمدينة وجدة في القرن 19))، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن 19، المرجع السابق، ص. 78.

7- بدر المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 86-87.

8- عبد الله، السليمان: اللسان المعرب عن قائل الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. 35.

9- طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19، ج. 1، المصدر السابق، ص. 104.

10- يذكر المرحوم يحي بوغزيز نقلا عن صاحب القول الأعم في بيان أنساب الحشم ص366، وصر 388 ما يلي: «أن هذا المؤلف يسميهما بن روكش، وليس بن بروكش، وهم ينتميان إلى أولاد سيدي أحمد الورغي ويعرفون اليوم بورغبة؛ أصلهم من

البعض من أفراد هذا البيت نحو وجدة في حدود سنة 1253هـ / 1837م¹، ومن بين أعلام هذا البيت السدين استقروا بها: سيدي المختار، وسيدي أبو مدين (ت 1276هـ)، وسيدي الهاشمي، وسيدي عبد القادر بن الهاشمي. وقد تولى هؤلاء الأعلام وظائف عدة بحاضرة وجدة سنتطرق لها في وقتها المناسب.

— آل المقرري: هاجروا من تلمسان سنة 1839.

— آل سيناصر الحسني:

هاجروا من تغنيف بمعسكر سنة 1847، ومن بين الشخصيات الفاعلة والمهاجرة في هذه الأسرة سيدي المصطفى بن عبد الله بن الهاشمي بن عبد الله بن سحنون بن أحمد بن محمد بن أحمد بن علي²، وبعد هجرته نحو وجدة يكون قد اتخذ من قرية تغاسروت-قرب تافوغالت بجبل بني يزناسن-مستقرا له، ونزل بين ظهرائي بني عتيق؛ ولقصد ذاع صيته وعلا شأنه فيما بعد بواسطة عمله العلامة الأرفع والهامم الأنفع سيدي الحبيب بن المصطفى³؛ الذي نمي فرعه بوجدة وترعرع⁴، وهو ينحدر من الشرفاء الأدارسة الذين كانوا بحوض غريس ناحية معسكر؛ هاجروا في البداية

المغرب الأقصى، وهم في غاية الشهرة والهمة والترفع، تولى الكثير منهم خطة القضاء للأتراك وللأمير عبد القادر، ومنهم الحاج عبد القادر بن بروكش الصغير، والحاج عبد القادر بن بروكش الكبير، اللذان كان عضوين في مجلس الشورى العالي الأميري للأمير عبد القادر، والكبير منهما تولى القضاء للأتراك قبل ذلك، وابنه الصغير تولى القضاء للأتراك ثم للأمير عبد القادر، وهاجر إلى فاس فيما بعد وتوفي هناك، وما يزال أعقابها بما على اليوم»، ومن هذه العائلة أيضا محمد بن المختار الورغي الذي كان عضوا هو الآخر في مجلس الشورى العالي الأميري للأمير. يراجع: المزارعي: طلوع سعد السعود، ج. 1، ص. 104.

1 - بدر المقرري: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 62.

2 - ينحدر من بيت من بيوت العلم والولاية والجد والعناية. يراجع: بدر، المقرري: خطط المغرب الشرقي، ص. 34.

3 - عبد الله، السليمان: اللسان المعرب عن ثقافة الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. 33.

4 - لقد جاء في وصفه في نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار لأبي حامد العربي بن عبد القادر بن علي المشرفي؛ ونقلنا عن بدر المقرري ما يلي: «الفقيه الأرضي الوجه الأحضى الأديب الريب الحسيب النسيب السيد الحبيب بن المصطفى المعسكري... أنه أتيد في علم العربية والفقه وفي سائر الأمهات، مارس ودرس وجد واجتهد، كان من طنقة من قبله، وهو في وجدة من المهاجرين بدينه وأولاده»، نقلنا عن أبو حامد العربي المشرفي في نزهة الأبصار، كما تحدث عنه صاحب اللسان المعرب عم ثقافة الأحسني حول المغرب، وهو متزوج من السيدة حليلة بنت عمه سيدي المصطفى من ذرية سيدي علي أوسعيد اليرناسي، والسيدة الزهراء بنت الفقيه العلامة سيدي الحاج المكّي المقرري التلمساني، توفي رحمه الله في سنة 1324هـ، ومن مؤلفاته، منظومة في عقائد التوحيد، جاء في مطلعها:

- | | | |
|----------------------------|---|-------------------------------|
| الحمد لله الغني عن العبيد | ✻ | ثم صلاته على خير شهيد. |
| وآله وصحبه أولى النسي | ✻ | ومن آثار ذلك المنهاج المنتهى. |
| مخاض فكر ذي النهى في الفهم | ✻ | ونعمت عناصر بالعلم. |
| وبعد فالقصد بهذا النظام | ✻ | بث العقائد إلى الأنعام. |

نحو بني يزناسن حيث كانت طم حرمة وسابق مخالطة ومعاشرة مع أهلها، سواء في الحلقات الفقهية أو في مجال قرع النقود بمثلها، ثم جذبتهم الحاضرة الوجدية فاستطابوا بجبوحاتها وأصبحوا من أعلامها بساليراع والعمل، ثم صاروا من آرامها تاركين خلفاً نبيها وصالحاً فيها¹.

وبعد وفاة سيدي الحبيب سنة 1324هـ، يكون قد ترك لنا العديد من أبنائه الذين ذاع صيتهم وعلا شأنهم في حاضرة وجدة، وهم علي النحو الموالي²: سيدي محمد الملقب بالضرير أو لكيف (ت 1915م) دفين مقبرة سيدي المختار بوجدة³، والقاضي سيدي الحاج العربي (ت 1351هـ / 1932م)⁴، والفقير سيدي الحاج أحمد (ت 1942م)⁵، وسيدي الهاشمي بن الحبيب (ت 1324هـ / 1906م)، وسيدي المصطفى بن الحبيب (ت 1337هـ / 1918م). وسنعود إلى الحديث عن الأدوار الفعالة التي قاموا بها في المغرب في باب الأدوار.

- آل التهامي الحسيني⁶:

وهم بيت علم وولاية ومجد وعناية؛ هاجروا من نواحي تغنيف بمعسكر سنة 1847، ومن بين الذين هاجروا من هذا البيت نحو وجدة سيدي محمد ابن التهامي الحسيني⁷، وبها ترك عقبه الصالح الذي حسده نجله سيدي الحاج

يراجع: أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 7، ص. 152، بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، ص-ص. 33-34، عبد الحميد إسماعيلي: ((علماء المهجر بمدينة وجدة في القرن 19))، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن 19، ص. 73.

1 - المرجع نفسه، ص. 73.

2 - أبناؤه الثلاثة الأوائل من زوجته الأولى السيدة حليلة، أما سيدي الهاشمي، وسيدي المصطفى فهم من زوجته الثانية السيدة الزهراء. يراجع: بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، ص-ص. 34-40.

3 - لم يعقب، ولقد كان يقول لأقربائه قبيل وفاته وهو شيخ طاعن في العمر: «إني أشعر بأن جذوة الحياة خفقت بين جناحي وإني قاب قوسين أو أدنى من تبع زلال، فإذا مددت يدي لأعترف منه غاص مأوذه... وإن هناك حجاباً دونته نورانية ماهرة، وهذا الحجاب شبح، وهذا الشبح مرآة لا يرى فيها الناظر شيئاً». يراجع: عبد الحميد إسماعيلي: ((علماء المهجر بمدينة وجدة في القرن 19))، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن 19، ص. 75.

4 - كان ذو عيال كثيرة لتعدد زوجاته اللاتي أنجبن له الإخوة الأشقاء بناصر والشريفة والسيدة، والشقيقين بومدين والطيست والأشقاء بن عبد الله وسكينة وحدوجة ورقية وزبيدة، والشقيقتين حليلة ووهيبة والشقيقتين راضية وحبية. يراجع: عبد الحميد إسماعيلي: ((علماء المهجر بمدينة وجدة في القرن 19))، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن 19، ص. 78.

5 - بينما يذكر إسماعيلي عبد الحميد أنه توفي سنة 1938؛ وترك ولداً واحداً، السي سعيد، وكلاهما باللحد الذي خصص لأفراد أسرهما بوسط سيدي المختار. يراجع: عبد الحميد، إسماعيلي: ((علماء المهجر بمدينة وجدة في القرن 19))، ص. 76.

6 - يعود نسبهم إلى الإمام الحسين بن علي (ض)، اشتهروا بمنطقة غريس، ونبغ منهم النقيب العلامة سيدي الطيب بن التهامي ابن الشيخ سيدي الحاج عبد القادر بن المصطفى ابن سيدي بنفريجة (ت 1300هـ)، وشيخ الجماعة سيدي أحمد ابن التهامي وولسده العلامة سيدي الحاج مصطفى ابن التهامي خليفة الأمير عبد القادر وصهره. يراجع: بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، ص. 49.

7 - عبد الله، السليمان: اللسان العرب عن قائل الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. 33.

أحمد بن التهامي (ت 1343هـ)؛ الذي قام بأدوار جد معتبرة بوجدة بمساعدة ابن عمه سيدي الحاج العربي بن الحبيب السابق الذكر¹.

- آل ابن الطيب الغريسي الحسني:

هاجروا من تغنيف بمعسكر سنة 1847، ومن بين أعلامهم الذين كانت لهم مكانة معتبرة بوجدة²:

1- العلامة سيدي عبد القادر بن الطيب آل سيدي أحمد بن علي (ت جمادى الأولى 1307هـ).

2- الفقيه الأجل سيدي المصطفى بن عبد القادر بن الطيب، وهو صهر سيدي الحبيب بن المصطفى الحسيني الذي سبق ذكره؛ حيث تزوج ابنته السيدة فاطمة.

3- الفقيه سيدي أحمد بن عبد القادر بن الطيب (ت 1343هـ).

- آل ابن الطاهر: هاجروا من تغنيف بمعسكر سنة 1847.

2- المهن المختلفة: (التجارة، صناعة الجلود، الفلاحة، الجمارك... الخ)³: لدينا العائلات الآتية:

اسم العائلة	تاريخ ومكان هجرتها	اسم العائلة	تاريخ ومكان هجرتها
آل دندان	تلمسان سنة 1833	آل العروي	تلمسان سنة 1839
آل المرزوقي	تلمسان سنة 1834	آل العشعاشي	تلمسان سنة 1847
آل دي	تلمسان 1837	آل ابن دي	معسكر سنة 1847

ونفس المفضى في تشكيلة اليهود الذين هم من أصل جزائري، ولكن الغلبة لمعيار ممارسة التجارة ثم الخطط التلمودية وفق المنوال التالي⁴:

1- التجارة: تشمل العائلات الآتية

آل عزيزة	آل الطبول
آل دحان	آل أحمري
آل أدرعي	آل ابن سوسان
آل أزولاي	آل بوعزير
آل أمسلم	

2- الخطط التلمودية: وقفنا على هجرة العائلات الآتية:

- آل مخلوف ومردحاي عزيزة.

- آل تاهية وميمون عزيزة.

1 - بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 49.

2 - المرجع نفسه، ص. 89.

3 - بدر، المقرئ: ((التشكيلة الاجتماعية في المجتمع المغربي في الربع الأخير من القرن 19 والربع الأول من القرن 20))، أمل.

ع. 18، المرجع السابق، ص. 7.

4 - المرجع نفسه، ص-ص. 7-8.

- آل إبراهيم عزيزة، وتدخل في هذا المضمار خطة مشيخة اليهود التي استحوذ عليها آل موشي أحرقي¹. هذا إلى جانب عناصر يهودية أخرى ذكرها لنا "لويس فوانو" تكون قد هاجرت نحو وجدة مثل: عائلات أولاد حمسو، وأولاد عموريال، وأولاد شرييت وسماحون².

وإلى جانب هذا التصنيف للمهاجرين الجزائريين بوجدة، يضيف بدر المقرئ عدة أسر وعائلات جزائرية؛ وبعض الأعلام الجزائريين الذين هاجروا نحو وجدة خلال هذه المرحلة، ويمكننا ترتيب هؤلاء المهاجرين زمنياً على النحو التالي:

- 1- الفقيه سيدي محمد ابن المختار الإدريسي الغريسي³:
يكون قد هاجر آل ابن المختار من معسكر إلى وجدة في حدود سنة 1255هـ/ 1839م، ولقد كان سيدي محمد على القيد الحياة سنة 1325هـ/ 1907م⁴.
- 2- الفقيه سيدي عبد القادر بن الطاهر الحسيني الغريسي:
هاجر من منطقة تغنيف بنواحي معسكر نحو وجدة في حدود سنة 1264هـ/ 1847م، وقد اشتهر من أولاده بوجدة في بداية القرن 20م؛ سيدي أحمد⁵.
- 3- الفقيه سيدي مصطفى بن إبراهيم السليماني⁶:
هاجر نحو وجدة في حدود سنة 1848، ولعب أدوار فعالة بهذه الحاضرة، ثم بمدينة فاس التي انتقل إليها فيما بعد؛ إلا أنه لم يستقر به المقام كغيره من المهاجرين فنجدد يعود من جديد إلى وطنه، حيث توفي ببليدة مسيد سنة 1867⁷.

1 - أُرْجِعْ نَفْسَهُ، ص. 8.

2-Louis, Voinot: *Oujda et L'Amalat*, op, cit, P. 38.

3 - هو الفقيه سيدي محمد ابن المختار الإدريسي الحسيني، وهو من أولاد سيدي عبد القادر بن المختار المتصلين بالمولى إدريسي رضي الله عنه، وواسطة عقدهم سيدي أحمد المعروف بالمختار، وولده الإمام سيدي عبد القادر المعروف بمرضته حدة؛ وهو من شيوخ مفتي الجزائر سيدي سعيد قدورة، ومن ذريته الشيخ عبد القادر بن المختار، وولده الشيخ سيدي مصطفى ابن المختار وولده الإمام شائب الذراع التلمساني وطناً؛ وهم أربية الأمير عبد القادر. يراجع: بدر، المقرئ: *خطط المغرب الشرقي*، ص. 171.

4 - بدر، المقرئ: *خطط المغرب الشرقي*، المرجع السابق، ص. 171.

5 - المرجع نفسه، ص. 171.

6 - ينتمي إلى أولاد سليمان المنتمين بدورهم إلى قبيلة بني عامر، بدائرة الزفيزف بسيدي بلعباس، كان من المناهضين للاستعمار الفرنسي في الجزائر، ولذلك استقال من خطة الإفتاء في وهران؛ وانظم إلى صف الأمير عبد القادر. يراجع: بدر، المقرئ: *خطط المغرب الشرقي*، ص. 245.

7 - بدر، المقرئ: *خطط المغرب الشرقي*، المرجع السابق، ص. 245.

4- الدّحاويون الإدريسيون:

ينتمون إلى الشرفاء الدحاويين الخموديين الإدريسيين، نسبهم صحيح وانتماءؤهم للنسب الطاهر صريح¹، ومن عنماهم الذين اشتهروا في القرن 13هـ/ 19م: العلامة محمد المصطفى بن عبد الله بن زرفة بن دحو الدحاوي، الذي يعد من شرفاء وعلماء غريس²؛ كان كاتباً لدى الباي محمد بن عثمان الكبير الكردي، كما عُيّن مساعداً لرئيس رباط ايفري بوهراة خلال الحصار الثاني عليها سنة 1206هـ/ 1791-1792م، وكلفه الباي بتسجيل حوادث الفتح كلها، فسجلها وجمعها³ في كتابه الموسوم بـ: الرحلة القمرية في السيرة المحمدية⁴، وبعد هذا الفتح المبين عُيّن الدحاوي قاضياً بها، إلى أن توفي بالطاعون سنة 1215هـ/ 1800-1801م⁵.

5- سيدي عبد الله ابن عبّ الغريسي العسكري⁶:

هاجرت أسرته من معسكر نحو وجدة في حدود سنة 1274هـ، كانت له مصاهرة مع سيدي الخبيب بن المصطفى الحسيني، الذي زوجه بأخته السيدة خديجة؛ وولداها منه محمد وشقيقته فاطمة، ومن أولاده من غير السيدة خديجة المعمر سيدي أحمد بن عبّ⁷.

1- عبد الله، السليمان: اللسان المغرب عن ثقافة الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. 33.

2- ابن عودة، المزارى: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، ج. 1، المصدر السابق، ص. 99.

3- المصدر نفسه، ص. 63.

4- يعتقد المرحوم يحي بوعزيز أن هذه الرحلة هي نفسها كتاب فتح وهران للقادر الراوي الخالي من سائر المساوي؛ لأن موضوعها واحد على ما يبدو؛ ويذكر أن "هوداس" قد لخص هذه الرحلة وقدمها في بحث المستشرقين بالجزائر سنة 1905، ونشرها في وقائع المستشرقين هولاء، كما يذكر أن لابن زرقة كتابا آخر تحت عنوان: كتاب الاكتفاء في حكم جوائز الأمراء والخلفاء لخصه "ارنست ميرسي" ونشره في مجلة روكوي القسنطينية/ القسنطينية سنة 1898، كما أنه لابن زرقة هذا قصيدة قافية من بحر الطويل؛ فريدة القصائد ونفيحة الجواهر في غاية التكميل، ألفها في مدح وهران ومدح أميرها السيد محمد بن عثمان، باي بايلك الغرب وتلمسان. يراجع: المزارى: طلوع سعد السعود، ج. 1، ص. 63-64.

5- ابن عودة، المزارى: طلوع سعد السعود، ج. 1، المصدر السابق، ص. 63.

6- يذكر إسماعيلي عبد الحميد نقلا عن نزهة الأبصار، ص. 457 التعريف به: «هو أبو محمد السيد عبد الله الشهر بالسيد عبّ له اليد في علم العربية، وفي حفظ المختصر، درس ومارس، واعتكف على المطالعة، ومناظرة أقرانه، وفاقهم بمجده واجتهاده، وله ذهن وقاد وفهم ثاقب يفحص به على المعاني الدقيقة»، ينظر: ((علماء المهجر بمدينة وجدة في القرن 19))، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن 19، ص. 79.

7- بدر، المقرى: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 98.

6- آل رورو المستغاثيين:

ومن بينهم سيدي جلول بن رورو¹، الذي هاجر برفقة أبنائه نحو وجدة²، وتفيدنا أحد الرسائل السلطانية المؤرخة في 26 ربيع الأول 1310هـ، أنه كان برفقة ولدي أخيه سيدي محمد وسيدي العربي حمّالين للواء تدريس العلم في الحاضرة الوجدية³، وهذا ما يدل على أن الهجرة نحو وجدة لم تقتصر عليه وعلى أبنائه فحسب. وتشير الدراسة التي أعدها الكولونيل "لويس فوانو" Louis, Voinot⁴، حول التشكيلة الاجتماعية لمدينة وجدة، تشير إلى وجود عدة عائلات وأسر وقبائل جزائرية كانت قد ساهمت في بناء هذه التشكيلة، تشكيلة قسّمتها إلى ثلاثة مجموعات رئيسية هي: المسلمون المغاربة، والمسلمون الجزائريون، واليهود؛ وقبل الحديث عن المجموعة الثانية الخاصة بالجزائريين، سنتطرق إلى الحديث عن المجموعة الأولى التي أدرج ضمنها بعض الفرق الجزائرية المشكلة لها:

1- التشكيلة الأولى: وهي تضم الفرق الآتية:

- فرقة أولاد مولاي العباس: وهم شرفاء هاجروا من تلمسان، أو من عين الحوت، وأولاد القاضي القادمين من بني يزناسن، وأخيرا التلمسانيون⁵.
- فرقة أشقفان: تتكون من بني سنوس وتلمسان.
- فرقة بني بوسعيد بالجزائر: تتشكل من الكواردة.
- فرقة الشراردة: هاجروا من بني بوسعيد، إلى جانب أهل زاوية الميرة الذين هاجروا من الغزوات.
- أولاد بوكايس: هاجروا من الجنوب الوهراني، وأولاد الحاج المهاجرين من بني خالد (بني يزناسن)، وأولاد شامة المهاجرين من تلمسان.

1 - لقد خصّه صاحب نزّهة الأبصار بترجمة مقتضية وغنية، نقلها لنا إسماعيلي عبد الحميد في قوله: «العلامة الخير، إمام الأئمة في التحقيق، أبو عبد الله السيد جلول بن رورو براءين مهملتين، المستغاثي؛ كان عالما ينشئ الله ويتقيه، نشأ في عبادة الله، وكان ذا جد واجتهاد في تدريسه، درس في النحو ومختصر خليل، وفي كل عام يختمها من شدة حرصه وجده، تفقه بمسغافم، ودرس بوهران، وهاجر بأولاده إلى وجدة، واشتهر في ذلك القطر، وشدت إليه طلبه العلم الرحلة من قرى الريف البحري وجباله، وتخرج عليه خلق كثير، ومات بالطاعون في مدينة وجدة». يراجع: عبد الحميد، إسماعيلي: «علماء المهجر في مدينة وجدة في القرن 19»، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن 19، 79.

2 - لم أقف على تاريخ هجرته، ولكن من غير المستبعد أن يكون قد هاجر خلال هذه المرحلة.

3 - بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 59.

4 - عينه الجنرال "ليوني" سنة 1906 مستولا عن الحدود الجزائرية المغربية، ثم رئيسا للمكتب العربي بمغنية ثم وجدة بعد الحملة الفرنسية ضد المقاومة في بني يزناسن، أقام "فوانو" بوجدة لمدة تسع سنوات، أمّرت في الأخير بتأليفه لكتابه الموسوم بـ: Ouj'da et L'amalat. يراجع: بدر، المقرئ: ((التشكيلة الاجتماعية في المجتمع المغربي في الربع الأخير من القرن 19 والربع الأول من القرن 20)) أمل، ع. 18، ص. 8.

5 - بدر، المقرئ: ((التشكيلة الاجتماعية في المجتمع المغربي في الربع الأخير من القرن 19 والربع الأول من القرن 20))، أمل، ع. 18، المرجع السابق، ص. 9.

وإلى جانب هؤلاء نسجل الإشارة إلى هجرة أولاد المير الذين يعودون في أصلهم إلى بني ميمون؛ وهم فخذ من قبيلة بني منقوش ببني يزناسن، وأولاد عيسى وفي مقدمتهم الأسر التلمسانية¹.

2- التشكيلة الثانية:

وهي تشمل المسلمين الجزائريين؛ غير أن "لويس فوان" اكتفى في هذه التشكيلة بذكر خصائصها فقط، حيث ذكر أنهم المنافسون الحقيقيون لأهل فاس، وأن غالبيتهم من تلمسان ومعسكر².

3- التشكيلة الثالثة: وهي تشمل اليهود الجزائريين المرتبون على النحو الموالي:

- أولاد أحرقي.

- أولاد عزيزة الذين هاجروا من بين سنوس بالجزائر، وبني يزناسن.

- أولاد الطبول المهاجرين من القنادسة.

- أولاد بن عروس المهاجرين من القنادسة أيضا.

- أولاد بن حمو المهاجرين من بني سنوس.

- أولاد أزولاي المهاجرين من بني سنوس أيضا.

- أولاد أبادية المهاجرين هم أيضا من بني سنوس³. وفي الأخير يعود ليحدثنا عن التشكيلة الاجتماعية للمهاجرين من حيث النسب الشريف؛ فيذكر لنا ما يلي⁴:

- الشرفاء القادريون المهاجرون من تلمسان.

- أولاد سيدي أحمد بن علي المهاجرين التي هاجرت من معسكر بسهل غريس⁵؛ وهؤلاء على قرابة مسن صهر الأمير عبد القادر الحاج مصطفى بن التهامي، وانتقلهم نحو مدينة وجدة كان على فترتين قبل وبعد استسلام الأمير عبد القادر، ولقد سموا بالمهاجرين في سبيل الله، كما يوجد إلى جانبهم مهاجرون آخرون ذور أصول مستغانية⁶.

- أولاد سيدي بن يخلف المهاجرين من معسكر أيضا.

- أولاد سيدي عبد الراجي المهاجرين من قسنطينة.

- أولاد سيدي عبد الله المهاجرين من منطقة عين الحوت بالقرب من تلمسان.

- المشارفة/ المشارف المهاجرين من معسكر.

1 - المرجع نفسه، ص. 9.

2 - المرجع نفسه، ص. 9.

3 - بني سنوس/ بني سناسن: قبيلة جزائرية كانت تستقر بالجنوب الغربي لجبل تلمسان، وهي ثلاثة بطون: الخميس والكشاف، والعزابل، ولكل واحدة منها فروع كثيرة. دخل البعض منه المغرب بالأقصى واستقروا على وادي سبو شمال مدينة فاس ضمن قبائل شراكة. يراجع: مصطفى، الغديري: وجدة بعيون أجنبية أوائل القرن العشرين، ص. 65.

4 - بدر، المقرئ: ((التشكيلة الاجتماعية في المجتمع المغربي في الربع الأخير من القرن 19 والربع الأول من القرن 20))، أمل، ع. 18، المرجع السابق، ص. 10.

5 - Ismaël, Hamet: Cinq mois au Maroc, R, A, N° 44, année 1900, O, P, U, Alger, 1985, P. 107.

6 - Ibid, P. 107.

ونختم حديثنا عن مهاجري المرحلة الأولى من الجزائريين نحو وجدة بالإشارة إلى ما تطرق إليه "لويس فوانو" أثناء حديثه عن بعض العائلات والأسر التي استقرت بحاضرتها؛ وأصبحت جزءاً لا يتجزأ منها؛ وهؤلاء هم على النحو التالي:

1- بني حمدون:

هم مرابطون قدموا من سهل غريس بمعسكر في فترة يقول عنها أنها مجهولة، يقيمون شمال سهل ميسورين بين جبال بني سنوس بالجزائر وبني يعلي؛ يتكلمون اللهجة العربية وموالين للنكاريين؛ وقد قاد المهاجرين الأوائل إلى هذه المنطقة سيدي جابر الذي تشاهد قبته وسط الممر الذي يحمل اسمه، ودواويرهم هي¹:

أولاد عامر	أولاد بن عثمان	أولاد عقباي
أولاد بلقاسم	أولاد سعيد	أولاد موسى بن أحمد

2- بني مطهر:

يذكر بعضهم أن أصلهم من غنائمة وادي الساورة؛ هاجروا في فترة غير معينة، وهم بهذا من أقرباء بني مطهر بنواحي سعيدة، ويذكر آخرون بأن أصلهم من الساقية الحمراء، وهم تقريبا ضامين أموالهم إلى أموال المهاجرة ودواويرهم الرئيسية هي²:

أولاد قذور	أولاد بن عيسى
الفقرا	أولاد حمادي

3- شرفاء أولاد سيدي علي بن يحيى :

بعد هجرتهم يكونوا قد نزلوا بجوار أولاد موسى البريشي، ويدعون بأنهم شرفاء إدريسيون، ويرجع أصلهم إلى منطقة فليتة بالجزائر، ومنها نزع جددهم الأكبر منذ قرنين من الزمن ليستقر بأنكاد³.

3- شرفاء أولاد هاشم:

هاشم: هو مولاي هاشم بن عبد القادر بن ومولاي محمد بن السلطان المولى عبد المالك بن السلطان المولى إسماعيل المتوفى سنة 1853 بالعين الصفراء، وكان جده المولى محمد عاملاً لأبيه المولى عبد المالك على توات؛ لكنه نزل بواحة تيوت بوادي عسلة قرب عين الصفراء، ومولاي هاشم وابنه مولاي عبد المالك وابنه المولى عبد المالك كلهم دفنوا بنواحي عين الصفراء بولاية النعامة حالياً بالجزائر، أما المولى عبد القادر والأمير المولى محمد فهما مدفونان في قبة مرفوعة بوسط عين الصفراء، وأكثرية أولاد مولاي هاشم لا زالت متواجدة هناك، ويتوفرون على ظهائر سلطانية كأمرء على ذلك العهد⁴.

1 - لويس، فوانو: وجدة والعمالة، ج. 3، ترجمة علوي أحمد العلوي، المغرب، 1993، ص. 61.

2- المصدر نفسه، ص. 61.

3 - المصدر نفسه، ص. 63.

4 - المصدر نفسه، ص. 63-64.

هذا إلى جانب عدة عائلات جزائرية كـرغلية قدّرها "ميشو بيلير" بحوالي 300 عائلة، غير أنهم لم يستقروا بوجدة بل انتقلوا منها إلى فاس فأسكنهم السلطان المغربي في حي الدنان¹، ويمكن الإشارة في الأخير إلى بعض العائلات التي هاجرت نحو وجدة وانصهرت بها؛ مثل عائلة بوتفليقة، وبنمنصور-وادفل- وأولاد الحاج العربي².

وتفيدنا التقارير السنوية للمكاتب العربية لناحية مغنية لسنة 1954 بحجرة حوالي 14 خيمة من بوسعيد التابعين لدائرة الاختصاص بسبدو، بحجرتهم نحو المغرب بعد رفضهم لعملية دفع الزكاة المفروضة عليهم، واستقرارهم بوجدة، ورغم عمليات المطالبة لدى عامل وجدة بعودتهم إلى الجزائر، فإن ذلك لم يجد نفعاً³، كما يفيدنا التقرير الصادر عن نفس هذه المكاتب لشهر فيفري 1855 عن هجرة العديد من القبائل الجزائرية نحو الأراضي المغربية، بعد عملية حفر الآبار التي قامت بها السلطات الفرنسية في منطقة سيدي بوجنان، وإنشائها المناجم في منطقة غار دوبان؛ من دون أن يحددها لنا⁴.

3-2. نحو طنجة:

لم يكن هذا الثغر البحري المغربي معزول عن المهاجرين الجزائريين الذين هاجروا نحو المغرب بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، فطنجة كانت كغيرها من المدن المغربية التي حظيت باستقبال المهاجرين الجزائريين⁵، وهذا ما يعكس لنا تعدد وتنوع في الاتجاهات التي سلكها هؤلاء المهاجرون؛ ومن بين أهم العائلات والأسر الجزائرية التي هاجرت نحو طنجة نذكر ما يلي:

- 1- عائلة المليانيين: تنتمي هذه العائلة إلى المرابط سيدي أحمد الملياني (ت 927هـ / 1521م)⁶، هاجروا من مليانة في حدود سنة 1841، على أثر سقوط مدينتهم في يد الجيش الفرنسي، واستوطنوا في المغرب بين طنجة وفاس⁷.
- 2- عائلة الزيتوني من زمارة، وبني يوسف من نواحي وهران: استوطنوا في منطقة الفوارات في الطريق نحو طنجة⁸.
- 3- عائلة أولاد بوطالب:

1 - Michaux-Bellaire: *Les musulmans d'Algérie au Maroc*, op, cit, P. 68.

2 - عبد الرحمان، ححيرة: ((شرق المغرب ودعمه الدائم للمقاومة الجزائرية))، المقاومة وجيش التحرير، ع. 19، المرجع السابق، ص. 30.

3 - Louis, Voinot: *les actes d'hostilité des émigrés et des marocains surtout les Bèni Snassen et les opérations effectuées par les Français, notamment en 1856*, R. A., Année 1914, P. 261..

4 - Ibid. P. 264.

5 - عبد الوهاب، بنمنصور: مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب منذ نشأتها إلى مؤتمر مدريد سنة 1880، ط، 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1985، ص. 18.

6 - هو أحمد بن يوسف الملياني، متصوف وصالح، تنسب إليه الطريقة الصوفية اليوسفية، كان من أعيان مشايخ المغرب وعظماء العارفين، وهو أحد أوتاد المغرب، جمع الله له بين علم الحقيقة والشريعة، فانتهد إليه رئاسة السالكين، وتربية المريدين بالبلاد الراشدية، والمغرب بأسره، توفي بمسقط رأسه مليانة وما دفن. يراجع: عادل، نويهض: *معجم أعلام الجزائر*، ص. 316.

7 - محمد، أمطاط: *الجزائريون في المغرب*، المرجع السابق، ص. 34.

8 - المرجع نفسه، ص. 34.

هم من أبناء عمومة الأمير عبد القادر، من عمه علي بوطالب؛ الذي كان مناصراً له في مقاومته ضد الاحتلال الفرنسي، وعمه هذا كان له دور كبير في إقناع الرافضين لعقد معاهدة التافنا مع الجنرال "بيجو"، فهنساك من لم يقبل بهذا الصلح، ورأى أن استمرار الحرب أولى، وقسم آخر رأى قبوله واستحسانه؛ فقام فيهم عمه وخطب في أهل المجلس خطبة مؤثرة ومقنعة بالحجج والبراهين، فلما سمعها المخالفون رجعوا عما كانوا عليه من الخسلاف، واتفقت كلمة الجميع على إجراء الصلح وتقريره؛ وهو ما تم فعلاً.

غير أن أبناء عمه لم يكونوا كلهم على اتفاق مع الأمير عبد القادر، فكانوا يتآمرون ضده؛ ومن بينهم عبد القادر بوطالب الذي كان مترعماً للطريقة الصوفية الدرقاوية، الذي لم يعترف بابن عمه سلطاناً. ومن بين أبناء عمومة الأمير المهاجرين بالمغرب نذكر ما يلي:

أ- سيدي الحاج علي بوطالب²:

رغم الترجمة التي قدمه لنا عادل نويهض عنه، فإنها غير كافية لتوضيح علاقته بأبناء عمومته، ولا بهجرته نحو المغرب من عدمها؛ هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى فإننا نسجل هناك نوع من الالتباس بين هذا الشخص وبين الحاج علي بوطالب الذي هاجر نحو مدينة طنجة هو الآخر برفقة والده.

ب- أبو طالب أحمد بن محمد الإغريسي³:

كان من القضاة الذين عاشوا في الجزائر والمغرب الأقصى وتونس والمشرق، هاجر والده محمد أبي طالب نحو فاس التي مكث بها عدة سنوات، ثم انتقل منها إلى طنجة، وبها قرأ ابنه القرآن الكريم على سيدي سليمان السوهراوي. وأخذ مبادئ العلوم العربية عن العلامة محمد الدكالي في طنجة، ومبادئ الفقه عن عمه أحمد بن علي بن أبي طالب، وعن الفقيه محمد بن علال التلمساني صهر أبي عبد الله محمد بن محمد المجاوي الجليلي، ومن طنجة انتقل برفقة والده إلى تونس، أين أخذ هناك علوم شتى، ثم توجه إلى دمشق الشام فأخذ عن جده محمد السعيد بن محي الدين وعن الأمير عبد القادر، وعن خاله محمد المرتضى⁴.

ولكنه لم يلبث أن عاد من جديد إلى الجزائر، فحل بمدينة سطيف حيث يوجد والده؛ ليشغل مناصب عدة في الإدارة الفرنسية، نذكر من بينها منصب القضاء الذي تولاه في كل من سطيف، ولربعاء بنواحي الجزائر

1 - أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900، ج. 1، القسم الثاني، المرجع السابق، ص. 54.

2 - هو سيدي الحاج علي بوطالب بن سيدي الحاج مصطفى بن الشيخ سيدي محمد بن الشيخ سيدي المختار بن الشيخ المشهور بسيدي قادة بن المختار، ولد سنة 1198هـ بكاشر قرب معسكر، جمع بين المعقول والمنقول والشريعة والحقيقة، توفي والده فكفله أخيه سيدي الحاج بن محيي الدين، وسنه إذا ذاك نحو 12 سنة، حفظ القرآن الكريم، اشتغل بطلب العلم، فقرأ النحو والفقه والحديث ونحو ذلك على أخيه المذكور وعلى الشيخ العلامة سيدي الحاج أحمد بن المكي الخروبي قاضي معسكر، تسوي في 15 رمضان 1258هـ، بأرض أولاد ميمون قرب تلمسان، ودفن داخل مقام الشيخ أبي مدين الغوث بقربة انجاد خارج تلمسان. تراجع: الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 1، ص. 468-169.

3 - ولد برادي الحمام قرب معسكر في حدود سنة 1252هـ. تراجع: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 1، ص. 344.

4 - أبو القاسم محمد، الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 1، المصدر السابق، ص. 344-345.

العاصمة، ومستغانم¹، ومكث في هذه الوظيفة حوالي 30 سنة، له ثلاثة أبناء هم: الأديب محيي الدين قاضي بعمالة قسنطينة، والفقير أبو بكر قاضي بالبليدة، ومحمد المأمون الباش عدل في وهران².

ج- الحاج علي بوطالب³:

ولد بمدينة معسكر ما بين 1820-1825⁴، وبعد سقوط زمالة الأمير عبد القادر سنة 1843، هاجر برفقة والده⁵ والفقير السقاط نحو فاس⁶، لكنهم لم يلبثوا أن انتقلوا منها إلى طنجة، وبقي هناك مدة من الزمن إلى أن أطلسق سراح الأمير عبد القادر من سجنه بفرنسا وحلّ بدمشق، يكون قد التحق به الحاج علي بوطالب؛ وظل معه هناك إلى سنة 1877 حيث عاد إلى الجزائر⁷، ويعتبر الحاج علي أكثر تمثيلاً أو حضوراً لفرع عائلة أولاد سيدي بوطالب بطنجة⁸.

غير أن السلطات الفرنسية قد حكمت عليه بالسجن لشمته أحد رجال الشرطة، فطردته من الجزائر وحجزت أملاكه⁹؛ وعلى أثر ذلك حل بطنجة من جديد سنة 1295هـ/1878م، وقام بعدة أدوار رئيسية لصالح عمدة جهات مختلفة، جلبت له كثير من الشكوك والظنون حول نشاطه الذي سنتحدث عنه في حينه، وعاش بقية حياته في طنجة في هدوء وسكينة إلى أن وافته المنية بها في 20 ذو الحجة 1327هـ/3 ديسمبر 1909م¹⁰.

ويذكر "بيلير" أن سيدي بوطالب أثناء هجرته رافقه ولديه: سيدي أحمد وسيدي عبد القادر، الأول انتقل إلى سوريا ثم عاد إلى معسكر، وترك ثلاثة أبناء هم: سيدي محمد الذي مات في سوريا، والحاج علي بوطالب الذي أصبح حسب "بيلير" مواطناً تركيا يعيش بطنجة¹¹. وسي عبد الله الذي بعد أن كان في سوريا رفقة أبيه وإخوانه رجع إلى معسكر وأصبح قاض، والثاني هو سيدي عبد القادر بوطالب الذي مات بفاس، وترك عدة أبناء منهم: سي محمد الذي استقر بطنجة حيث مارس التجارة وظل على ذلك الحال حتى وفاته، ترك ابناً يعيش في طنجة، عرف باسم مولاي أحمد بوطالب؛ ويضيف دائماً "ميشو بيلير" إلى هؤلاء مهاجر بوطالبي آخر قدم من فاس- بعدما هاجر إليها من الجزائر- وهو سي الميلود غير أنه لم يستقر بها كونها هاجر نحو سوريا التي توفي بها¹².

1 - المصدر نفسه، ص. 345.

2 - المصدر نفسه، ص. 346.

3 - ولد بمدينة معسكر في حدود سنة 1825 حسب ما جاء في تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 5، ص. 525، غير أن معلمة المغرب في جزئها التاسع، ص. 2987، تحدد مكان ميلاده بمدينة بسكرة /مسكرة؟ من نواحي مستغانم؟، وهو خطأ رأينا التنبيه إليه.

4 - Louis, Massignon: Les Musulmans Algériens au Maroc et en Syrie, R. M. M, op, cit, P. 266.

5 - سيدي بوطالب، ابن عم الأمير عبد القادر، فمحيي الدين والد الأمير عبد القادر يكون قد ترك كل من سيدي أحمد وسيدي عبد القادر، فسيدي أحمد توفي بمعسكر، ووترك ثلاثة أبناء هم: سيدي محمد، والحاج علي، وسي عبد الله. يراجع:

-les Musulmans Algériens au Maroc et en Syrie, R. M. M, P. 266.

6 - Louis, Massignon: les Musulmans Algériens au Maroc et en Syrie, R. M. M, op, cit, P. 266

7 - Ibid, P. 266.

8 - Ibid, P. 501.

9 - معلمة المغرب، مج. 9، المرجع السابق، ص. 2987، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 5، ص. 525.

10 - Louis, Massignon: les Musulmans Algériens au Maroc et en Syrie, R. M. M, op, cit, P. 266.

11 - Michaux-Bellaire: Les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, p, 48.

12 - Ibid, P. 49.

الفصل الثاني:

مرحلة الهجرة الثانية

(1859-1894).

- المهاجرون الجزائريون نحو فاس.
- المهاجرون الجزائريون نحو وجدة ومكناس ومراكش وتطوان.

1- المهاجرون الجزائريون نحو فاس:

لقد استمرت حركة الهجرة الجزائرية نحو المغرب الأقصى خلال هذه الموجة، التي ستقف من خلالها على هجرة كثير من الجزائريين نحو فاس، سواء كانوا أفراد أو جماعات أو قبائل أو أعراش، ونظراً لتمييز طبيعة الهجرة نحو فاس خلال هذه المرحلة بهجرة القبائل بشكل كبير؛ مقابل هجرة بعض الأفراد والأعيان؛ فإننا رأينا أن تركز حديثنا عن هجرة بعض الأشخاص والعائلات ثم نتبعه بالحديث عن القبائل والأعراش؛ وعليه يمكن حصر ورصد هؤلاء الأشخاص والعائلات في ما يلي:

1- عائلة ابن ثابت¹:

تتحدّر هذه العائلة من تلمسان، وهي تعد إحدى أهم العائلات المالكة والثرية؛ هاجر ابن ثابت نحو فاس مع عائلته في حدود سنة 1865؛ ورغم كبر سنّه وإشرافه على العمى فقد كان له دور كبير ونفوذ قوي بفاس، ولكن مع مرور الزمن تكون عائلته قد عرفت نوعاً من التراجع والتدهور؛ فتبددت ثروتها وتراجعت مكائنها، الشيء الذي دفع بابنه إدريس بالرجوع إلى تلمسان، بعد أن مارس وظيفة التعليم في وجدة؛ وبعد رجوعه إلى الجزائر، يكون قد دخل سنة 1869 امتحان القضاء ونجح فيه، وبعد ثلاث سنوات من ذلك تم تعيينه قاضياً.

2- عائلة المجاجي:

من بين الذين مثلوا هذه العائلة في الهجرة نحو فاس الفقيه عبد الرحمان المجاجي²، الذي استقر به المقام بهذه المدينة؛ وكان له فيها بعض النشاط العلمي والفكري، إلى جانب تأليفه العديدة التي يشير إليها في كتابه الموسوم بالتبريح في أحكام المغارسة والتصيير والتوليج والمغفولات لابن حاجب والشيخ خليل... الخ³، ولقد ظل المجاجي مهاسجر نشيط ومعتاد بهذه المدينة حتى توفي بها.

1 - يعتبر ابن ثابت أحد شيوخ شعيب بن علي الخليلي تولى عدة وظائف في الإدارة الفرنسية: الإمامة والقضاء، مدرس في المدرسة الشرعية الفرنسية خلال الخمسينات من القرن 19، وقد حصل مهنته إلى سنة 1865، حين قارب العمى؛ فسمح له بالهجرة نحو فاس مع عائلته. يراجع: أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، ص. 509.

2 - يعد من علماء الجزائر في القرن 19م، ولد ونشأ وتعلم في مجاجة وبها تفقه على يد الشيخ سيدي محمد بن علي، ثم انتقل إلى تلمسان لمواصلة تعليمه؛ عالم بالحديث، أصولي، مشارك في بعض العلوم، من آثاره: التبريح في أحكام المغارسة والتصيير والتوليج. وحاشية على جمع النهاية لعبد الله بن سعد بن أبي حمزة الأندلسي (ت 695هـ) الذي اختصر به صحيح البخاري. يراجع كل من: الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، ص. 29، عادل، نوبهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 286،

3 - له حاشية على مختصر ابن أبي حمزة في الحديث، ذكر فيها أنه أخذ على الشيخ سيدي محمد بن علي، وحاشية على جمع النهاية لعبد الله بن سعد بن أبي حمزة الأندلسي (ت 695هـ)، التي اختصر فيها صحيح البخاري، ولقد كان هذا المختصر متداول بين الجزائريين آنذاك، فشرع عبد الرحمان بن عبد القادر المجاجي أن هذا المختصر في حاجة إلى شرح يضبط ألفاضه ويقرب معانيه فقام بشرحه وسماه فتح الباري في ضبط ألفاظ الأحاديث التي اختصرها العارف بالله من صحيح البخاري. يراجع كل من: أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 2، ص. 29، عادل، نوبهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 286، الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، ص. 29، عمار، هلال: (العلماء الجزائريون في فاس)، اللواصم التاريخية، ع. 9، ص. 41.

3- عائلة شاوش: تنحدر من الجزائر العاصمة.

4- عائلة كونكادجي: تنحدر هذه من مدينة البليدة².

5- عائلة المجاوي:

من بين الذين مثلوا هذه العائلة في الهجرة نحو فاس عبد القادر المجاوي (ت 1332هـ / 1912م)³، الذي يكون قد انتقل مع والده إلى المغرب، وواصل تعليمه الابتدائي في كل من طنجة وتطوان؛ واستوطن بمدينة فاس بجوار جامع القرويين؛ فتضلع في مختلف العلوم على عدة شيوخ من بينهم: محمد العلوي قاضي فاس، ومحمد قنون، ومحمد بن سوادة، وجعفر الكتاني، لكنه لم يستقر بهذه المدينة، فما إن بلغ سن 22 من عمره حتى عاد إلى الجزائر، وحسب بمدينة قسنطينة في حدود سنة 1288هـ / 1870م؛ وعليه يمكن القول أن هجرة المجاوي كانت هجرة مؤقتة، ولا ندري ما هو سبب عودته هل هو الخنين إلى الوطن؟ أم استمالته واستدرجته السلطات الفرنسية عن طريق عملائها بهذه المدينة؟ وهذا ما يفسر فيما بعد توليه الوظائف والمناصب في الإدارة الفرنسية.

ونسجل بنفس المدينة نبوغ محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمان المجاوي (ت 1267هـ / 1851م)⁴، الذي تولى خطة التدريس بجامع القرويين، ثم تولى خطة القضاء بمدينة طنجة سنة 1226هـ، واستمر إلى أن توفي⁵.

1 - Michaux-Bellaire: Les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, P. 6.

2 - Ibid, P. 6.

3 - هو عبد القادر بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمان المجاوي، - قيل نسبة إلى قبيلة مجاوة بالشمال الغربي للمغرب - ولد بتلمسان سنة 1264هـ / 1848م؛ وبها نشأ وتعلم في أسرة اشتهرت بالعلم والدين والذكاء، فتعلم أولويات القراءة والكتابة، وحفظ جزء من القرآن الكريم في كتاب بتلمسان. وبعد عودته من المغرب عين مدرس بجامع الكتاني بقسنطينة، ثم بالمدرسة الكتانية، و في سنة 1295هـ / 1898م ولي التدريس في القسم العالي بالمدرسة الثعالبية، توفي بقسنطينة. من آثاره: اللع في إنكار البدع، نصيحة المريدين، نزهة الطرف في المعاني والصرف.. الخ. يراجع كل من: عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص-ص. 286-287، أبو عمران الشيخ وآخرون: معجم مشاهير المغاربة، ص. 473.

4 - فاض، ومحدث، وفقهه، مشارك في كثير من العلوم، ولد ونشأ بتلمسان، وتعلم بفاس، غير أنه لم يلبث أن عاد إلى مسقط رأسه فتولى القضاء بتلمسان لمدة 25 سنة، ثم هاجر نحو فاس. يراجع: عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 287.

5 - عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص. 287.

6- عائلة ابن منصور¹ / بمنصور الحوتي التلمساني:

تنسب هذه العائلة إلى منطقة عين الحوت بتلمسان²، ويعود أصلهم إلى الجد عبد الله الشريف بن محمد بن أحمد بن سليمان بن عبد الكامل بن الحسن الثاني بن الحسن السبطي بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم³، وهم يعرفون بشرفاء أولاد منصور بتلمسان أو بشرفاء عين الحوت "Ain-El-Houts"، ومن بين الشخصيات البارزة في هذه العائلة سيدي المنصور بن محمد بن مولاي عبد الحليل⁴؛ وسيدي منصور الذي ذهب لإعلاء كلمسة الله في جزائر بني مزغنة حيث لقي السمع والطاعة ونصبت له قبة قرب باب عزون، ورغم رغبة أهل الجزائر الاحتفاظ بسيدي منصور، فقد عاد إلى تلمسان، واهتم بعلوم الدين حيث يشهد له بكرامات خارفة؛ كما قام بتربية ابنه عبد الله ولد المنصور الابن المعجزة⁵.

وبعد وفاة هذا الأخير عين عبد الله⁶ خليفة له⁷، ولقد تحلف هذا الولي الصالح سبعة أبناء هم⁸: محمد المدعو حمسو الجد المباشر لأولاد منصور الحاليين، وابن علي، والعربي، وبلعباس، وجابر، ومحمد الإمام، وابن عودة، فقام هؤلاء

1 - لقد حظيت أثناء زيارتي للمغرب في شهر جويلية 2006 باستقبال من طرف مؤرخ المملكة المغربية ومدير مديرية المؤسسات الملكية بالرباط؛ عبد الوهاب بمنصور الذي يتحدث من هذه العائلة، فلم يبخل علي بتزويدي بمعلومات قيمة عن هذه العائلة، إن جانب أنه تفضل مشكوراً بتسليمي ملف كامل عن المهاجرين الجزائريين المتواجدين بهذه المديرية، وهو ملف وثائقي مهم جداً ستطرق إليه في الباب الثالث من رسالتنا، فجزاه الله خير الجزاء على حسن جبينه وعلى الاستقبال المتميز الذي خصني به.

2 - هناك أسطورة لتسمية هذه المنطقة بعين الحوت بوردها "Govion" في ما يلي: « عندما طلب سيدي عبد الله ابنة للشريف أبو عبد الله الذي اشترط أن لا تقوم الزوجة بأعمال منزلية متعبة، باعتبار أن الأشغال المنزلية كانت تقوم بها النساء مثل جلب المياه من الدشرة، وقد تم قبول الشرط، ووضع تحت تصرف الزوجة امرأة زنجية للقيام بالأعمال المنزلية، وذات مرة طلب سيدي عبد الله من الشاغلة الزنجية أن تجلب له الماء العذب من الساقية؛ وقد كانت تشتغل بالطحنة، وعند ذهابها استمرت الزوجة بعمل المنطحنة مكانها، ولما رآها أبوها عبد الله نقل الخير إلى سيدي عبد الله الذي تحرى من زوجته وعند علمه بما حدث أخذ الخرباء وضربها الأرض بقوة حيث خرج الماء من باطن الأرض وبه حوت أحمر فأخذه الولي الصالح سيدي عبد الله في يده اليسرى ونفخ فيه فتحول إلى طائر متعدد الألوان طار إلى الأعلى وحط بأعلى نخلة ضريح سليمان، ومنذ ذلك الحين سميت عين الحوت وكذا القرية بهذا الاسم، وسيدي عبد الله هو أول حد يسمى شرفاء المنطقة بعين الحوت». -راجع:

-Govion, Marthe et Edmond: **Kitab Aàyane El-Marhariba, Alger; IMPRIMERIE ORIENTALE FONTAIE, FONTANA FRERES, 3RUE PELISSIER 1920. P. 45.**

3 - Govion, Marthe et Edmond: **Kitab Aàyane El-Marhariba, op, cit, P. 39.**

4 - Ibid, P. 41.

5 - كان يحفظ سور القرآن الكريم دون تعلمها، و يؤلف الخطب للجمعة، فأذهل أساتذته بمهارته الخارفة، مما دفع ببعض زملائه من التلاميذ بوضع الدسائس والمكائد له، وهو ما دفع معلمه الشيخ أحمد بلحسن القوراري إلى تأنيبه، فرد عليه عبد الله: «سيدي السماء الأول تارة أزرق يحجب لون السماء الثاني الأزرق الداكن»، فيقال أن هذه الجملة لم تكتمل بعد حتى تهاطلت أمطار طوفانية على الأرض، ومنذ هذه الحادثة أحيط عبد الله باحترام ومكانة مقدسة إلى غاية وفاته. -راجع:

-Govion, Marthe et Edmond: **Kitab Aàyane El-Marhariba, P. 42**

6 - توفي في 7 شوال 926هـ/ 1519م قرب حمام محماميين قرب عين الحوت.

7 - Govion, Marthe et Edmond: **Kitab Aàyane El-Marhariba, op, cit, P. 43.**

8 - Ibid, P. 45.

الأبناء بناء قبة على ضريح والدهم تبعاً للطريقة الشاذلية، واعتنقوا مبادئ مذهب الإمام زروق، وكان هؤلاء الأبناء سمعة ورخاء له دلالة الآن في كثير من مناطق المغرب وتلمسان¹.

وللعائلة اليوم فرعان هما: فرع يمثل من طرف سي مولاي إدريس ولد مولاي أحمد الذي يسير أملاك وحسوس أولاد منصور. وفرع أبناء سي محمد بن سليمان المؤثر في العائلة، ومن بين المنحدرين من هذين الفرعين بعض الشخصيات المعروفة بعلمها أكثر من كرامتها مثل²:

- سيدي جابر بن عبد الله الذي توجد قبته بعين الحوت، والذي جمع عدد كثير من الطلبة خلال حياته لتعليمهم أصول الدين.

- سيدي صافي ولد محمد بن المدني الذي بنيت له قبة من طرف التلمسانيين على طريق العباد.

- سيدي محمد بن علي ولد الصافي، وهو معاصر وصديق للشيوخ التحاني وله معجزات وكرامات عديدة.

لقد حظيت عائلة ابن منصور بمزيد من التوقير والاحترام من طرف الحكومة التركية، كونهم من الشرفاء، فقامت بإعفائهم من الضرائب وحقوق السراج. كما انتفعوا بإجراء الضمانة بمنطقة عين الحوت³. التي كانت به زاويتهم المشهورة، ومما يذكر أن الباي حسن قد أوقف -من الوقف- سنة 1174هـ وبأمر من باشا الجزائر، بناء ضريح للولي محمد بن علي حفيد الولي عبد الله بن منصور، كما أن الباي مصطفى المنزالي قد جدد سنة 1218هـ ضريح هذا الولي أي عبد الله بن منصور⁴.

أما في العهد الفرنسي فإن هذه العائلة تكون قد تقربت من الفرنسيين من خلال شخصية سي محمد بن عودة وسي الصادق بن محمد وسيدي يوسف سنة 1837⁵. وفي سنة 1871 وعقب الأحداث الثانوية التي جرت في بني سنان وفليتة قدم أولاد منصور للفرنسيين دعماً قوياً، إلى جانب إخلاصهم ووفائهم لهم، وهذا ما تعسكه عمليات التجنيد الطوعي من أبناء هذه العائلة للدفاع عن فرنسا، ويواصل "Govion" الحديث عن هذه العائلة فيقول: إن أولاد منصور هم أبناء فرنسا ويحبونها ويخدمونها بكل وفاء ومحبة⁶.

لقد كانت هذه العائلة الشريفة من بين أهم العائلات الجزائرية التي هاجرت نحو مدينة فاس خلال هذه المرحلة، فحظيت من جانب السلاطين المغاربة بالمزيد من التوقير والاحترام، ويبدو ذلك جلياً من خلال الظهار السسطنانية التي صدرت بشأهم؛ وهذا ما سنتطرق له في الباب الثالث. أما العناصر التي هاجرت من هذه العائلة نحو فاس فهي كثيرة جداً، وقد لا يسعنا المقام لذكرها، ولكن هذا لا يمنع من الإشارة إلى البعض منهم، في ما يلي⁷:

- أحمد بن عبد الله بن منصور الحوتي التلمساني (نقيب الشرفاء بفاس).

1 - Ibid, P.45.

2 - Ibid, P.45.

3 - Ibid, P.45.

4 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، المرجع السابق، ص. 265. يراجع المجلة الإفريقية لسنة 1860 بروسلا بتحدث عنها.

5 - Govion, Marthe et Edmond: Kitab Aayane El-Marhariba, op, cit, P. 45.

6 - Ibid, P. 46.

7 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص-ص. 71-73.

- مولاي محمد الوضاح (نقيب أيضا).

- سي مولاي أحمد بن منصور الحسيني الحوي التلمساني، الذي تم تعيينه من قبل السلطان المغربي مولاي الحسن في تاريخ 9 جمادى الثانية 1292هـ/ فيفري 1875 مزوار على شرفاء فاس¹.

- محمد ابن منصور شقيق أحمد بن منصور (ت ماي 1894).

- ابن مولاي أحمد (المزوار السابق للشرفاء بفاس)².

- بن سيدي محمد المدعو بن عودة بن عبد الله (المدفون بفاس بباب الفتوح)³.

7- عائلة أولاد سيدي الشيخ⁴:

قبل الحديث عن المهاجرين من أولاد سيدي الشيخ نحو فاس خلال هذه المرحلة، ونظرا للانقسام الحاصل في هذه العائلة: أولاد سيدي الشيخ الشراقة، وأولاد سيدي الشيخ الغرابة، رأيت من الضرورة بمكان الوقوف على تحقيب كرونولوجي مختصر لهذين الفرعين؛ ثم نشير بعد ذلك إلى من هاجر من هاذين الفرعين، هل هم أولاد سيدي الشيخ الشراقة؟ أم الغرابة؟ أم الاثنين معا؟.

فبعد القادر بن محمد بن سيدي الشيخ يكون قد خلف 11 طفل منهم 6 أبناء ذكور هم: الحاج أبو حفص، ومحمد عبد الله، والحاج عبد الكريم، وابن الدين، وابن الشيخ، وعبد الرحمان؛ وهؤلاء انقسموا إلى قسمين⁵:

- قسم استقر في قصر الأبيض سيدي الشيخ حول قبر أبيهم، وعاشوا حياة البداوة في خيامهم.

- قسم استقر في الناحية الغربية من القصر، وهم أكثر عددا من القسم الأول؛ وهؤلاء بدورهم انقسموا إلى قسمين⁶:

- قسم بزعامة الابن الأكبر الحاج أبي حفص. الذي استقر في شرق قصر الأبيض سيدي الشيخ، وأسسوا لأنفسهم زاوية خاصة بهم، وسموا بأولاد سيدي الشيخ الشراقة.

- قسم بزعامة الحاج عبد الكريم، الذي استقر في غرب قصر الأبيض سيدي الشيخ، وأسسوا لأنفسهم زاوية خاصة بهم، وسموا بأولاد سيدي الشيخ الغرابة.

1 - Govion, Marthe et Edmond: Kitab Aâyane El-Marhariba, op. cit, P. 47.

2 - Ibid, P. 47.

3 - Ibid, P. 47.

4 - ينحدرون من أسرة الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه، هاجر أجدادهم الأوائل من المدينة المنورة إلى الإسكندرية بمصر، ثم انتقلوا منها نحو تونس التي استقروا بها بعض الوقت؛ ثم هاجروا منها نحو تنس وتلمسان بالمغرب الأوسط، ومنه انتقلوا إلى غرناطة بالأندلس، ثم عادوا إلى منطقة فقيق بالمغرب الأقصى، واستقروا أخيرا بواحة تانكورت التي أصبحت تعرف باسم الأبيض سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني منذ مطلع القرن 16م، وذلك نسبة إلى الحد 26 الذي يسمى عبد القادر ويعرف بسيدي الشيخ (ت 1830). يرجع: يحي، بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ص-ص. 133-134.

5 - يحي، بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط، 1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1400هـ/ 1980م، ص-ص. 133-134.

6 - المرجع نفسه، ص-ص. 133-134.

ولقد كان لهذه العائلة دور كبير ووزن سياسي وديني معتبر في منطقة الجنوب الغربي الجزائري، وبالتالي كانوا محل استقطاب من طرف سلاطين المغرب قبل الاحتلال الفرنسي لمطقتهم؛ فمثلا نجد أن السلطان عبد الرحمان ابن هشام في سنة 1844؛ يكون قد وقع اختياره على السيد الياقوت شقيقة سي حمزة ولد بونكر ليتزوجها، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى تكون معاهدة لالة معينة سنة 1845 المتعلقة بترسيم الحدود بين الجزائر والمغرب قد جعلت فرع الغرابة ينحاز في التراب المغربي، أما فرع الشراقة فقد انضموا على مضض تحت السلطة الاستعمارية الفرنسية في الجزائر².

وأولا سيدي الشيخ هم من يكون قد حل بهم الأمير عبد القادر وحط رحاله عندهم لبعض الوقت أثناء مطاردته من قبل الجيوش الفرنسية سنة 1846؛ لكنهم التمسوا منه في خطاب مؤثر الارتحال عنهم جاء فيه: «أيها الأمير المعظم إنا نسألك بالله تعالى أن لا تعرضنا للنحر والبلاء مع عدو ديننا ودينانا بإقامتك عندنا في بلادنا»³. فلما سمع كلامهم رفق لحالهم وارتحل عنهم غربا إلى ناحية فقيق، التي سبق وأن راسل سكانها لنجدته ومساعدته عسكريا سنة 1251هـ/ 1835م⁴، للوقوف في وجه الجيش الفرنسي، لكنهم لم يُنجدوه؛ وكذلك الحال هذه المرة وهو بين أظهرهم، فاكتفى بالتوغل عبر أراضيهم باتجاه دائرته، التي يكون قد التحق بها في أواخر شهر جمادى الثانية 1262هـ/ 18 جويلية 1846 وهي مخيمة حول كمر ملوية وراء جبل بني يزناسن⁵.

وفي ظل المقاومة الباسلة التي خاضها أولاد سيدي الشيخ ضد الفرنسيين سنة 1864⁶، يكون قد هاجر أثناءها عدد هائل من الشخصيات والزعماء البوشيحيين نحو فاس، إلى جانب عدة نخيام وفروع لهذه العائلة تكون قد حطت رحالها بالمغرب واستوطنت به، ومن بين الزعماء المهاجرين نحو فاس نذكر ما يلي:

- في سنة 1864 نسجل هجرة عدة زعماء بوشيحيين من فرعي الشراقة والغرابة، كسليمان بن قدور، والشيخ بن الطيب، وابنه معمر والحاج العربي وغيرهما، ثم زعيم الشراقة قدور بن حمزة⁷، ونظرا لسوء التفاهم الحاصل بين سليمان بن قدور والسلطات المغربية، يكون السلطان المغربي قد رمى به في السجن، وتروى بعض الروايات أنه

1 - إبراهيم، مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)، منشورات المتحف القومي للمجاهد، مطبعة ANEP الروبية، الجزائر، 1996، ص. 29.

2 - المرجع نفسه، ص. 29.

3 - محمد، ابن عبد القادر: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج. 1، المصدر السابق، ص. 464.

4 - L. GOGNALONS: (Proclamation de l'Emir Abd El-Kader, aux habitants du Figuig en 1836). R. A. N° 57, année 1913, O. P. U. Alger, P-P. 245-264.

5 - عبد الرحمان بن محمد، الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج. 4، المرجع السابق، ص. 215.

6 - رغم التقسيم الذي تعرض له أولاد سيدي الشيخ حسب معاهدة 1845: أولاد سيدي الشيخ الشراقة يتبعون للجزائر، وأولاد سيدي الشيخ الغرابة يتبعون لمغرب، فإن هذا لم يمنع أولاد سيدي الشيخ بفرعيهما من الثورة على الفرنسيين خلال هذه السنة. يراجع بهذا الخصوص:

-Louis. Voinot: les actes d'hostilité des émigrés et des marocains surtout les Bèni Snassen et les opérations effectuées par les Français, notamment en 1856, R. A P-P. 399-431.

7 - أحمد سراج. وعكاشة برحاب: المجالات الحدودية في تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص. 65.

ذهب إلى السلطان لمقابلته قصد إطلاق سراح أخيه العربي المعتقل بوجدة منذ أكتوبر 1864، فسا كسان من السلطان إلا أن أطلق سراحهما، مقابل اعتقال أخوين آخرين حتى يضمن ولاء الحاج العربي وأبيه له ولحكومته¹.

- في سنة 1869 نسجل لجوء قدور ولد حمزة نحو عين بني مطهر بنواحي وجدة².

- على اثر معركة المنتب التي جرت وقائعها سنة 1871، نسجل هجرة عدد هائل من أولاد سيدي الشيخ نحو المغرب³. كما نسجل في هذا التاريخ وجود سليمان بن الطيب بالمغرب والذي يكون السلطان المغربي قد أطلق سراحه في هذه السنة⁴.

- بعد نهاية المرحلة الأولى من ثورة أولاد سيدي الشيخ تم تعيين سي سليمان بن قدور زعيم الغرابة أغا على البيض وحميان، بنصيحة من الجنرال "شانزي"؛ وهو ما ساهم في تحول سي معمر بن الشيخ الطيب؟ رئيس نفس الفرع إلى خصم لدود له وللفرنسيين، وقصد احتواء متاعبه ومعارضته لئلا تم إلقاء القبض عليه ووضع تحت الإقامة الجبرية في عين تموشنت لبعض الوقت، لكنه تمكن من الفرار بصحبة عائلته والالتحاق بالمغرب في 12 أبريل 1873، ومعظم أسرة أفراد أولاد سيدي الشيخ الآخرين الذين كانوا إلى جانبه⁵.

ولقد حاولت السلطات الفرنسية أن تعيده إلى الجزائر، من خلال اتصاما بالسلطان المغربي وفرض ضغوطا عليه، مما دفعه بإحالة قضيته على محكمة فاس لتدلي بدلونها في هذا الموضوع؛ ورغم حكم الإيقاف الذي أصدرته في حقه، فإن السلطان لم يتمكن من تطبيق هذا الحكم نظرا لضعف حكمه؛ غير أن وساطة عبد السلام الوزاني في هذا الشأن تكون قد أفنعت بالإقامة في ضواحي فاس بأسرته، فاكتمل بهذا الإجراء⁶.

ومع حلول صيف 1882 يكون ثوار أولاد سيدي الشيخ قد ضعف أمرهم، حيث اعتصم جزء منهم داخل التراب المغربي، والجزء الآخر توغل في أعماق الصحراء بعيدا عن المراكز العسكرية الفرنسية التي كانت منتشرة هنا وهناك، وفي هذا الشأن حاولت السلطات الفرنسية معالجة قضيتهم، وكان من بين الحلول المقترحة ما تعلق منها بزعيم الغرابة سليمان بن قدور؟، كونه كان قد وضع معسكره حول مدينة فاس⁷؛ والقاضية باستماتته واستخدامه في إعادة كل أفراد العائلة المهاجرين بالمغرب نحو الجزائر⁸.

1 - يحي، بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص. 162.

2 - المرجع نفسه، ص. 167.

3 - المرجع نفسه، ص. 170.

4 - أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 1، 1860-1900، القسم الثاني، المرجع السابق، ص. 202.

5 - يحي، بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص. 245.

6 - المرجع نفسه، ص. 246.

7 - أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900، ج. 1، القسم الثاني، المرجع السابق، ص. 206.

8 - يحي، بوعزيز: ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، المرجع السابق، ص. 255.

ونظرا للمشاكل التي أثارها سليمان بن قدور كثفت السلطات الفرنسية نشاطها في البحث عنه¹؛ لكنه فوّت عنها الفرصة بتوغله في التراب المغربي؛ غير أن الضغط الذي كان مسلطا على السلطان، واستخدام فرنسا وساطة شريف وزان تكون قد نُجحت من خلافا في إقناع السلطان بوضعه تحت الإقامة الجبرية في مكناس سنة 1874 أولًا ثم في فاس ثانيا تحت رعاية الحاج عبد السلام².

وبناء على ذلك قام الحاكم العام الفرنسي "البيير قريني" بتكليف مبعوثا عنه يتصل به بواسطة شريف وزان عبد السلام مقدم الطريقة الطيبية؛ فقبل سي سليمان الفكرة ورحب بها، فجمع أتباعه وأنصاره من العائلة واتجه بهم إلى داخل الجزائر، ولكن حاكم معسكر عين بن خليل، "نيقري" الذي لم يكن على علم بهذه المفاوضات والعروض، عزم على مواجهة سي سليمان واعترض سبيله معتقدا أنه يريد الهجوم والإغارة؛ فظن سي سليمان من جهته أن الفرنسيين ينصبون له فخا وكمينا؛ فعاد من حيث أتى حتى لا يؤخذ على غرة³.

أما بخصوص القبائل والخيام المنحدرة من هذه العائلة والمهاجرة نحو المغرب الشرقي عموما وفاس بالخصوص، فيمكننا تتبع حركة هجرتها على النحو الموالي:

1- هجرة قسم هائل من أولاد سيدي الشيخ الغرابية نحو فاس، والمقدر عددهم بحوالي 300 خيمة، واستقرارهم في ناحية فاس ومكناس، إلى جانب عدد هائلا من فرع أولاد سيدي الشيخ الشراقة الذين يقدر عددهم بحوالي 100 عائلة⁴.

2- هجرة بنو عامر (أو عمرو)، وبنو هاشم وفليته بالشمال الوهراني.

1 - يذكر "لويس فوانو" العديد من أبناء اولاد سيدي الشيخ الشراقة والغرابية الذين تم قتلهم من طرف الفرنسيين على النحو الموالي:

- الشراقة: سي العلي شقيق سيدي الزبير وسيدي حمزة، رئيس العائلة، وخليفة الأقدم هنا في الجنوب، توفي بالجزائر سنة 1861. سيدي حمزة وسي سليمان قتلا سنة 1864، سيدي احمد ابن سيدي حمزة وخليفة سي سليمان قتل على اثر الجراح التي تعرض لها سنة 1865، سي احمد ابن سيدي حمزة وخليفة سيدي محمد توفي سنة 1868.

- الغرابية: سيدي الشيخ بن الطيب رئيس الشعبة توفى سنة 1870، الحاج العربي ابن سيدي الشيخ بن الطيب قتل سنة 1871، سي سليمان ابن سيد الشيخ بن الطيب قتل في نفس الوقت الذي قتل فيه شقيقه الحاج العربي، سي معمر ابن سيدي الشيخ بن الطيب توفي، ورئيس فرع الشراقة قتل سنة 1874. الخ. يراجع بهذا الخصوص:

-Louis, Voinot: les actes d'hostilité des émigrés et des marocains surtout les Bèni Snassen et les opérations effectuées par les Français, notamment en 1856, R. A, P-P. 401-402.

2 - المرجع نفسه، ص. 173.

3 - المرجع نفسه، ص. 255.

4 - Michaux-Bellaire: Les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, P. 6.

- 3- حسب إحصاء سنة 1876 تم تسجيل هجرة حوالي 30 عائلة من فرع الغرابة، إلى جانب 30 عائلة من ضمن أقسام أخرى من القبائل الهاربة من الجزائر، استقرت كلها في نواحي منطقة سعادة¹.
- 4- عنى أثر تراجع حركة سليمان بن قدور يكون قد عبّر الكثير من عناصرها عن رغبتهم في الانتقال نحو المغرب، وهذا ما تعبر عنه أحد رسائل السلطان المولى الحسن إلى القائد عبد القادر بوترفاس، المؤرخة في (9 ذي القعدة 1300هـ/ 11 سبتمبر 1893م، بخصوص طلب دخولهم إلى المغرب الذي رفضوه إلى عبد المالك السعيد؛ ونص ما جاء في هذه الرسالة: « ثم ورد بعضهم إلى خدمنا الأرضي الطالب عبد المالك السعيد طالبين منه الدخول لتراب إيالته بقصد التزول وإنكم بصدد النهوض لملاقمتكم بالمحل الذي سميت وصرنا من ذلك على بال فأما دخول أولئك الأتجاد فلا خير في إبقائهم بين ظهرانكم بالحدادة، ولتوجههم لناحية الغرب ونسروهم إما مع الأعراب الشراكة وغيرهم قرب فاس وإما مع إخوانهم بالحوز ولا يرون إلا خيرا»².
- وبذلك تم توطين حوالي 50 خيمة من من أولاد سيدي الشيخ الغرابة في سهول الساييس بين فاس ومكناس، وحوالي 100 خيمة تابعة للأغواط المنحدرين من أولاد سيدي يحيى؛ هؤلاء الذين يتواجدون أيضا بأعداد كبيرة في بوجمانة بين نهر سيو وورغا، وبين نفس النهرين في أقصى الشرق في الصحيرات بالقرب من سيدي حاجب حيث توجد قرية تعرف باسم دوار الحاج الحايروج. تتكون من الحميان³.
- هذا إلى جانب 50 خيمة أخرى تابعة لأولاد سيدي الشيخ الشراقة تتواجد بين النهرين السابقين، والتي كانت فيما مضى تتواجد في شعبانات في منطقة الشراردة، بزعامة مولاي السعيد الذي كان قد طُلب سنة 1895 الحماية الفرنسية، من القنصل الفرنسي "م. دومونبال M. de Monbel" أثناء مروره بالمنطقة متجها نحو قنصية فاس لكنه رفض ذلك، غير أنه قبل بعودتهم إلى الجزائر، وعلى اثر ذلك عادت حوالي 18 خيمة بحرا عبر ضحة في سنة 1896، لكنها سرعان ما عادت من جديد إلى المغرب عن طريق البر⁴.
- 5- نسجل سنة 1881 هجرة عدد هائل من الخيام المعروفة بولانها للزاوية البوشيحية نحو المغرب أثناء ثورة الشيخ بوعمامة، مثل قبيلة الحميان: كالطرافي والرزائية والحرار وأولاد زياد وأولاد سرور، بالإضافة إلى قبائل الأغواط والكسل والشعانية ومثليبي والزوا وغيرها⁵.

1 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 61. ويذكر هذا الباحث أن أولاد سيدي الشيخ هؤلاء لم يتأقلموا مع القبائل الأصلية في المنطقة خاصة الرحامنة التي ظلت تشن عليها الغارات من وقت لآخر، مما كان يدفع بعض العائلات من أولاد سيدي الشيخ إلى العودة إلى مقرها الأول بنواحي وجدة عند نهاية القرن 19.

2 - المرجع نفسه، ص-ص. 61-62.

3 - Michaux-Bellaire: les musulmans d'Algérie au Maroc , op, cit, P-P. 5-6.

4 - Ibid, P. 6.

5 - أحمد سراج. وعكاشة برحاب: المجالات الحدودية في تاريخ المغرب، المرجع السابق، ص. 66.

وإلى جانب هذا نسجل وجود عدة تقارير فرنسية توضح لنا عدد الخيام المهاجرة؛ ففي تقرير الجنرال "ديتري Detrie" قائد منطقة وهران المؤرخ في 19 جويلية 1883، يتحدث فيه عن ما مجموعه 4708 خيمة غادرت الجزائر باتجاه الأراضي المغربية في الشهر الأول من هذه السنة¹.

أ-تقرير الوالي العام للجزائر إلى وزير الحربية المؤرخ في 24 ديسمبر 1884، الذي احتزل فيه عدد الخيام المهاجرة نحو المغرب مع بوعمامة في حدود 751 خيمة عقب أحداث عام 1881²

ب-التقرير المؤرخ في 13 فيفري 1890 أن حوالي 1500 خيمة من الحميان الطراني وغيرهم هاجروا مع بوعمامة نحو المغرب بعد سنة 1881³.

7- لجوء قسم كبير من قبيلة الطراني إلى نواحي فاس، واستقرارها بمنطقة القائد العربي ولد با محمد والقائد بوبكر الحباسي؛ والمقدرة بحوالي 50 خيمة، وبحكم أصولها الجزائرية وبناء على اتفاقية لالة مغنية، تكسون السلطات الفرنسية قد طالبت السلطان المغربي بعودة هذه القبيلة، وضرورة إطلاق سراح مساجينهم المسجونين بمكناس؛ والبالغ عددهم حوالي خمس مساجين يملكون الطراني المهاجرين؛ وبعد المفاوضات والرسائل التي تم تبادلها بين الصدر الأعظم ووزير خارجية فرنسا "شارل فيرو Féraud Charles" بطنجة⁴. يكون المخزن قد تجاوب مع المطالب الفرنسية القاضية بإطلاق سراح المساجين، وأنه لا يمانع في عودة الخيام المهاجرة من الطراني إلى الجزائر.

وعلى اثر هذا التفاهم الحاصل بين الطرفين قامت السلطات الفرنسية بإيفاد الشيخ أحمد ولد الشيخ السريزي الطريفي⁵ إلى ضواحي فاس حيث يقيم الطراني المهاجرين، لكنه لم يتمكن من إقناعهم بالعودة إلى الجزائر. بس اكتفى بتوصله برسالة⁶ عن جماعتهم إلى الحاكم العام لدائرة البيض مفادها عدم توصلهم لا من السلطان ولا من القنصل الفرنسي بشيء يسهل لهم العودة إلى الجزائر، متذرعين بصعوبة الطريق، وأنه لا ينقصهم شيء في مقامهم بالمغرب⁷. وبخصوص عدم رغبة هذه القبائل وامتناعها في العودة إلى الجزائر، رغم تعليمات السلطان الحسن الأول القاضية بعودتهم، فإن محمد أمطاط يبرر هذا الرفض تبرير استعماري حاطي، مفاده أن: «عناصر قبيلة الطراني المغربية عبروا بطرق مختلفة عن مغربيتهم في العيش بين إخوانهم المغاربة، مادامت مناطقهم الأصلية، اقتطعت من التراب المغربي وألحقت بالسلطة الفرنسية في الجزائر»⁸. ولم يكتف صاحبنا بذلك بل أدرج في الصفحة 66 خريطة جسد عليها المناطق المغتصبة من التراب المغربي، دون الأخذ بعين الاعتبار:

1 - المرجع نفسه، ص. 66.

2 - المرجع نفسه، ص. 66.

3 - المرجع نفسه، ص. 66.

4 - G,G,A: lettre de le Grand vizir au ministre des affaires intérieures Charles Féraud à Tanger 1880, carton 9 H série 101, A. O. M. Aix en Provence.

5 - أحد أهم أعيان قبائل الطراني التي ظلت مستقرة بالجزائر، ولم تهاجر نحو المغرب.

6 - مورخة في 15 صفر 1302هـ / 22 نوفمبر 1884م.

7 - G,G,A: carton, 9H, série 101, A. O. M. Aix en Provence.

8 - الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 65.

قبائل الطرقي هاجرت من مناطقها الأصلية بالجزائر بعدما تعرضت للاحتلال الفرنسي. الذي قضى بدوره على ظروف عيشها واستقرارها بأراضيها.

- قبائل التحوم الجزائرية والمغربية قبائل متداخلة فيما بينها، وتجمع بينها عوامل وروابط تاريخية متينة جدا. ولم تكن تعرف مصطلح الحدود التي جاء بها صاحبنا، بل الشيء المعدول به آنذاك هو مصطلح الملة الحمادية، وعليه فلا ضير أن تعيش هذه القبيلة الجزائرية مع تلك القبيلة المغربية، أو العكس.

- استقرار الطرقي بالمغرب لم يشعرهم بغربتهم بسبب المعاملة الحسنة التي لاقوها من السلطان الحسن الأول، ومن القبائل المغربية التي حلوا بها، وهي مسألة نؤمن بها ونقرها ولا يمكننا السطو والقفز على الحقائق التاريخية، ولا نحاول أن نقدم لها مبررات هشة تستقي من المصادر الكولونيالية أو من الذاكرة التي تريد أن تفهم التاريخ لوحيدها؟! وفي اعتقادي أن هذه المبررات التي رفض من خلالها الطرقي العودة إلى الجزائر.

وفي إطار عملية التواجد الجزائري بالمغرب فإنه إلى غاية نهاية سنة 1894 كان بالمغرب حوالي 400 اسم يمتسقبائل أو عائلات جزائرية مسجلة بالمغرب في دفاتر دار عدليل بفاس، وتتقاضى سنويا صلة منكية، ومن بين الجزائريين القاطنين آنذاك بالريف ونواحي فاس نذكر ما يلي¹

أ- أولاد هاشم.

ب- بنو سنوس.

ج- الجعافرة.

د- أولاد سلمان.

هـ- الحساسنة.

و- الشجع الذين انتقل كثيرا منهم إلى دائرة فاس أو حوز مراكش، ومنهم أيضا: أولاد سيدي الشيخ الذين حازوا إلى بوعمامة في الجنوب وإلى بلاد الساييس بين فاس ومكناس حيث يوجد أهل الأغواط. وكذلك بين سيو وورغة².

8- هجرة أولاد سيدي يحيى التابعين للأغواط والمقدر عددهم بحوالي 100 خيمة نحو فاس. وهم يتواجدون بأعداد كبيرة في بوجمانة بين نهر سيو ونهر ورغة³.

9- هجرة قبيلة الحميان بفرعيها حميان الغرابية وحميان الجنية، في سنة 1297هـ؛ وللمس ذلك من خلال ثلاث رسائل تم توجيهها إلى السلطان المولى الحسن، يستنجدونه فيها بعد هجرتهم ويُعلمونه فيها أنهم مهاجرون في سبيل الله، ويطلبون منه العون والمساعدة لهم من جراء ما لحقهم من الاستعمار الفرنسي الذي اغتصب أرضهم وطردهم.

1- عبد العزيز، بن عبد الله: فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، ج. 2، الطبعة الملكية، الرباط، 1422هـ / 2001. ص. 809.

2- المرجع نفسه، ص. 809.

3 - Michaux-Bellaire: Les musulmans d'Algérie au Maroc , op, cit, P. 5.

منها، كما يُنحون عليه بالوقوف إلى جانبهم في ردع بعض القبائل المغربية التي كانت تعتادي لُحم بين الحسين والآخر، ويُنفون عنهم بعض التهم التي تُلقَى ضدهم. وهذه الرسائل هي مدرجة على النحو الموالي:

- الرسالة الأولى مؤرخة في شهر محرم 1297هـ التي جاء فيها: «ونحن مهاجرين في سبيل الله العظيم هجرة تامة موافقة لوجهه الكريم، وموافقة لنبية سيدنا محمد عليه السلام، وأما بلاد المشركين الكفار هجرنا منه، وانفصلنا عنها كما انفطم الطفل عن أمه عند بلوغه تحرم عليه رضاعة أمه، فيها نحن كذلك لا تبديل ولا تغيير إلى يسوم العرض على المالك الجليل، ونحبك يا سيدنا أن تستوصي بنا خيرا ولا تشملنا بكلام الكفار وأصحابهم، لأنهم يكرهونا ويبغضون في شأن هجرتنا منهم أعداء الله ورسوله... عن إذن جماعة خدامك والمحسوسين على الله وعلبك، حميان الغرابة المهاجرين في سبيل الله كافة بعين الجمع»¹.

- الرسالة الثانية مؤرخة أيضا في شهر محرم 1297هـ، ومما جاء في مضمونها بشأن هجرتهم: «ونحن حائرين من أعداء الله الكفار، إنهم يكاتبوك بما يصلحهم ويكذبون عنا كرها على هجرتنا لله ورسوله، ولك، ولك»²، ويعاد أن يشكون أمرهم من ما تعرضوا له من بعض القبائل يقولون في نص رسالتهم: «والآن حلنا -أرجعنا- أمرنا الله رب العالمين وإليك أن تنظر حالنا وخاصتنا مع جميع القبائل... أن يستوصوا بنا خيرا، ولا عندنا من ولا رجاء فيه بخلاف مولانا الملك الحق المبين ورسوله ولك تنظر حالنا، وترد ما لنا المنهوب من آيالة الكفار»³.

ثم يواصلون الحديث عن أسباب هجرتهم فيقولون: «وما شدنا على القدوم خضرتك السعيدة ومقامك العالي بالله إلا الخوف على أولادنا ومالنا من جانب الكفار وأصحاب دولتهم، فأنظنوب من الله ثم من سعادتك العاليسة أن تُواجبنا (كذا) بطابعك العزيز ثم كذا لك، وتُواجب لنا لعامل وجدة أن يستوصي بنا خيرا ويصرف معنا المخزون خدامك أن يقدموا معنا لخضرتك العاليسة بالله، وعلبك ألف سلام، في البدء والاحتتام، من جماعة خدامك حميان الغرابة الخبية المهاجرين في سبيل الله، والسلام»⁴.

ويذكر "ميشو بيلير" بشأن تواجد الحميان بين هري سيبو وورغة، ولكن في أقصى الشرق في منطقة الصحيرات وبالقرب من سيدي حاجب توجد قرية تعرف باسم دوار الحاج اخارج مُكوّنة من حاميان⁵.

كما توجد هناك حوالي 50 خيمة تابعة لأولاد سيدي الشيخ الشراقة والتي كانت سابقا تقيم بمنطقة شعبانات بمنطقة شراردة بزعامة مولاي السعيد الذي كان قد طلب سنة 1895 من السيد "دومونبال" M. de Monbel أثناء مروره بالمنطقة متجها نحو قنصلية فاس، طلب منه الحماية الفرنسية، لكن القنصل الفرنسي رفض

1 - م. و. م. ر: ثلاث رسائل من قبائل حميان الغرابة المهاجرين في سبيل الله إلى السلطان المغربي الحسن الأول بشرحون فيها أسباب هجرتهم وتغريهم عن وطنهم، ويلتسسون فيها الرعاية والتوقير وكف ظلم بعض القبائل، دورية الوثائق الملكية، مج. 6، المطبعة الملكية، الرباط، 1408هـ/1987م، ص-ص. 62-64.

2 - المصدر نفسه، ص. 65.

3 - المصدر نفسه، ص. 66.

4 - المصدر نفسه، ص. 66.

طلبه، ورغم ذلك تمكنت حوالي 18 خيمة من استغلال التروسة ورافقت الفئصل الفرنسي باتجاه طنجة في سنة 1896، ومنها انتقلت اجرا إلى الجزائر، غير أنها سرعان ما عادت من جديد إلى المغرب عن طريق البر¹.
وتفيدنا التقارير الفرنسية بوجود كثير من الخيام الجزائرية المهاجرة بالمغرب من دون أن تحدد لنا مكان استقرارها. حيث سجل لنا التقرير الأول المؤرخ في 8 جوان 1897؛ ما مجموعه 17 خيمة و59 شخص²، بينما التقرير الثاني المؤرخ في شهر أكتوبر 1899 أشار إلى وجود حوالي خمسة عائلات تضم 22 شخص، تنحدر في مجموعها من منطقة تلاغ نظرا لتدهور حالتها المعيشية³؛ هذا إلى جانب 18 شخص هاجروا جماعيا نحو المغرب -أغلبهم من تلمسان- للإفلات من قانون الضرائب المجحف الذي بات يرهق كاهلهم، وقانون الحالة المدنية الذي صدر في سنة 1882⁴. وحوالي 6 خيم تنحدر من أولاد منصور هاجرت بدورها نحو المغرب⁵.

1 - Ibid. P. 6.

2 - Rapport de Gouverneur général Joule Cambon, G.G.A, A. O. M, Carton 9H 98.

3 - Rapport mensuel service des comunces mixtes de Télage, G.G.A, A.O.M, Carton 9H 99.

4 - G.G.A, A. O. M, Carton 9H 98.

5 - Gouvernement générale de l'Algérie au générale de la dévision d'Oran, G.G.A, A. O. M, Carton 9H 99.

المهاجرون الجزائريون نحو كل من
وجدة ومكناس و مراكش وتطوان

2- المهاجرون الجزائريون نحو كل من وجدة، ومكناس ومراكش وتطوان:

نظرا للتراجع المسجل في حركة الهجرة نحو المغرب خلال هذه المرحلة، مقارنة بالمرحلة السابقة، رأينا من الضرورة بمكان حصر بقية المدن والحواضر المغربية المستقطبة للمهاجرين ضمن هذا الفصل على النحو الآتي:

1- نحو وجدة:

لقد سبق وأن تحدثنا عن التصنيف الذي أعده الضابط "لويس موجان" للمهاجرين الجزائريين بوجدة، كما تحدثنا عن المهاجرين الذي هاجروا نحو وجدة في المرحلة السابقة، أما المهاجرين الذين هاجروا خلال هذه المرحلة ووردوا في تقرير "موجان" الذي راعى فيه تشكيلتهم الاجتماعية؛ فهم على النحو الآتي:

1- الشرفاء القادريون:

من بينهم شعبة مولاي علي القادري التي هاجرت من منطقة عين الصغراء؛ في حدود سنة 1867¹.

2- من حيث الخطط العلمية: (الحسبية، أمانة المستفادات، القضاء... الخ)².

- آل دندان: هاجروا من نواحي ندرومة في سنة 1862.

- آل ابن المكّي: هاجروا من تغنيف في سنة 1872.

- آل ابن المصطفى: هاجروا أيضا من تغنيف في سنة 1872.

- آل عبور: هاجروا من تلمسان في سنة 1889.

- آل الدحاوي³: هاجروا من معسكر في سنة 1893، ومن بين الذين هاجروا من هذا البيت العريق نحو وجدة

سيدي عبد الوهاب بن مصطفى الغريسي؛ أحد أبناء ابن زرقة الحمودي الإدريسي، الذي هاجر سنة 1264هـ- وقيل سنة 1289هـ⁴.

ومن أولاد سيدي عبد الوهاب الذين اشتهروا بمحاضرة وجدة: الفقيه الأجل سيدي المصطفى، أما من اشتهر من إخوانه فهم: الفقيه سيدي محمد بن المصطفى، والفقيه سيدي الحاج الطيب بن المصطفى⁵؛ ومن أبناء سيدي

1 - بدر، المقرئ: ((التشكيلة الاجتماعية في المجتمع المغربي في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين))، أمل، ع. 18، المرجع السابق، ص. 6.

2 - المرجع نفسه، ص. 7.

3 - للعلم أن قسم منهم قد هاجر خلال المرحلة الأولى (1830-1859).

4 - بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 64.

5 - كانت له مصاهرة مع الفقيه العلامة المدرس الحافظ سيدي محمد بن الحبيب بن المصطفى الغريسي الحسبي، فقد تزوج الطالب سيدي الطاهر بن الطيب بن المصطفى السيدة فاطمة بنت سيدي محمد بن الحبيب من زوجته السيدة خيرة بنت الفقيه سيدي الطاهر بن بوسعيد الدرقاوي. يراجع: بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، ص. 65.

الطيب المذكور: سيدي أحمد، وسيدي الطاهر، وسيدي عبد القادر، وسيدي المصطفى، وسيدي محمد، وسيدي الهاشمي¹، وهؤلاء كلهم يمارسون النشاط التجاري².

3- المهن المختلفة: (التجارة، الصناعة، الجلود، الفلاحة، الحمارك... الخ) من بينهم:

- آل السنوسي: هاجروا من بني سنوس سنة 1875.

- آل بودغن: هاجروا من تلمسان في سنة 1879.

- آل النكروف³: هاجروا من معسكر في سنة 1892، وللعلم أنه كانوا قد هاجر جزء منهم نحو وحدة ضمن المرحلة الأولى.

وإلى جانب التصنيف الذي أعده "موجان" فإن "لويس فوانو" هو الآخر يتحدثنا عن مجموعة من الأسر الجزائرية ذات أصل يهودي، هاجرت نحو وحدة خلال هذه المرحلة، والتي من بينها: طائفة اليهود الأمازيغيين، وطائفة الأمازيغيين المنتهدين، ويشير إلى بعض فرقها التي وفدت على وحدة في ما يلي⁴:

- أولاد أمولاي: هاجروا من تلمسان في سنة 1860، وفي السنة الموالية تكون قد هاجرت سبع نخيم من نواحي منطقة سيدو باتجاه المغرب، غير أن التقرير الفرنسي لم يحدد لنا وجهتهم في المغرب⁵.

- أولاد بن كيكي: هاجروا من دبدو في حدود سنة 1862.

أما الأسر المهاجرة والتي بات لها نفوذ كبير بالمدينة فهي: أسرة سي ناصر، وأسرة المقرري، وأسرة الخطيب ابن مرزوق، وأسرة الخوجة الوالي، وأسرة المير علي، وأسرة التهامي، ثم أولاد سيدي عبد القادر الجسيلي بفرعها الثلاثة: أولاد مولاي رشيد، وأولاد مولاي عبد القادر، وأولاد مولاي عني⁶.

ونسجل هجرة بعض العائلات التي لم يشر إليها كل من "موجان" و"فوانو" وهي عائلة التريكي التي هاجرت من تلمسان، وعائلة مزيان التي هاجرت من مستغانم⁷. هذا فضلا عن بعض العائلات اليهودية الجزائرية: كهائلة أولاد بن عروس المهاجرة من القنادسة، وعائلة آل بن غزي المهاجرة من نواحي ندرومة⁸.

1 - ابنته السيدة عودة زوجة الفقيه العلامة المدرس سيدي محمد بن عبد الله النجاشي. تراجع: بدر، المقرري: خطط المغرب الشرقي، ص. 65.

2 - بدر، المقرري: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 64.

3 - لقد سبق وأن هاجر قسم منهم نحو مدينة وحدة في المرحلة الأولى (1830-1859).

4 - بدر، المقرري: ((التشكيلة الاجتماعية في المجتمع المغربي في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين))، أمسل، ع. 18، المرجع السابق، ص. 10.

5 - Rapport de l'Armée d'Afrique division d'Oran au Gouvernement générale de l'Algérie. Fait le 14/08/1864. G.G.A. A. O. M. Carton 9H 98.

6 - بدر، المقرري: ((التشكيلة الاجتماعية في المجتمع المغربي في الربع الأخير من القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين))، أمسل، ع. 18، المرجع السابق، ص. 10.

7 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 97.

8 - المرجع نفسه، ص. 98.

ولم تكن هذه الهجرة تقتصر على هذه العائلات والأسر فحسب؛ بل تعدتها لتشمل هجرة قبائل بأكملها، ومن بين هذه القبائل التي هاجرت نحو مدينة وجدة وأحوازها بذكر ما يلي:

- 1- قبائل العمور:
مع نهاية ثمانينيات القرن التاسع عشر هاجرت عدة أسر من قصري تيوت والمكرار الفوقاني إلى كل من عين ببي مطهر ووجدة واستقرت هنالك¹.
- 2- قسم من فرع أولاد سيدي الشيخ الغرابية بقيادة سليمان بن قدور، توغلوا في الأراضي المغربية سنة 1876. وتم إنزالهم من طرف السلطان المغربي مؤقتا في العيون ووجدة مدة معينة من الزمن ثم نقلوا إلى حوز مسراكش². كما تفيدنا التقارير الفرنسية هجرة ما مجموعه 17 خيمة من قبائل عكرمة والطرافي نحو المغرب على اثر ثورة أولاد سيدي الشيخ سنة 1864³.
- 3- قسم من قبيلة الحميان الشراقة والغرابية بعدما هاجرت نحو المغرب؛ استقرت بمنطقة الظهرا بإقليم وجدة⁴. أما الشخصيات العلمية الجزائرية التي هاجرت نحو وجدة فيمكننا ترتيبها وفق تواريخ هجرتها على النحو الآتي:

- 1- سيدي محمد دندان الندرومي:
هاجرت أسرته من ندرومة نحو حاضرة وجدة في حدود سنة 1279هـ، ولقد ظل مقيما بربع اللجامن في حاضرة وجدة، إلى غاية وفاته بعد سنة 1340هـ⁵.
- 2- سيدي البشير المشرفي الحسني⁶:
ينحدر من أسرة المشارف⁷ التي هاجرت من معسكر نحو المغرب؛ وكان من بين المدن المغربية التي حظيت باستقبال أفراد هذه الأسرة مدينة وجدة في حدود سنة 1284هـ⁸. وإلى جانبه نسجل وجود سيدي محمد العربي

- 1 - أحمد، سراج وعكاشة، برحاب: المجالات الحدودية في تاريخ المغرب، منشورات: ل. آ. ع. إ. جامعة الحسن الثاني، محمدية، سلسلة ندوات رقم 6، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999، ص. 66.
- 2 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 60.
- 3 - rapport de la légation de République Fédration au Maroc, fait le 20/09/1884, G.G.A. A. O. M. Carton E12.

- 4 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 63.
- 5 - بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 172.
- 6 - هو أبو عبد الله البشير المشرفي الحسني العسكري، كانت له اليد الطولى في التعليم، وقد فتح الله على يده بهذه الحاضرة. يراجع: بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، ص. 57.
- 7 - تنسب إلى عبد القادر المشرفي الذي سبق وأن تحدثنا عنه في الفصول السابقة.
- 8 - بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 57.

بن عبد القادر المشرفي الحسني (ت 1313هـ)¹، الذي ساهم بشكل كبير في حركة التأليف بإحاضرة وجددة، وهذا ما سنراه في فصول لاحقة.

3- سيدي الحاج عبد القادر الغريسي:

ينحدر من أحد الأسر التي كانت تقطن بتغنيف بنواحي معسكر، هاجر والده المكي الغريسي نحو وجددة في حدود سنة 1286هـ.

4- سيدي الشيخ بن عبورة التلمساني²:

هاجرت عائلته من عبورة بتلمسان نحو مدينة في سنة 1307هـ، ومن أريته بإحاضرتها العربي بن محمد بن عبورة. وأحمد بن عبورة؛ الذي كان لا يزال على قيد الحياة في سنة 1345هـ³.

5- سيدي محمد بن محمد السليمان الحسني⁴:

فإذا كان جده قد هاجر من غريس نحو مدينة فاس، فيكون هو قد ولد بهذه المدينة في موفى 10 ذي القعدة 1285هـ، ورغم نشأته واستقراره بها وهجرته نحو تلمسان ومساهماته العلمية والفكرية التي قام بها هناك؛ فإن هذا لم يمنعه من الانتقال نحو وجددة سنة 1329هـ، للإقامة بها⁵. غير أن وفاته كانت بمدينة فاس يوم الأحد 23 ذي الحجة 1344هـ⁶.

6- أبناء عمومة السيد جلول بن رور المستغاثي الذي هاجر ضمن المرحلة الأولى، ويأتي على رأسهم الفقيه أحمد بن عيسى الذي تخرج على يده خلق كثير⁷.

7- علي سيدي حسن الملحائي المشهور بقنبور، الذي اشتهر بتدريس الفقه وسرد الحديث بإحاضرة وجددة، والسيد محمد بن الطيب، والمختار بن المير وغيرهم، ومحمد بن عبد الله العسكري⁸، وهؤلاء لم نثر على تاريخ هجرتهم نحو هذه الحاضرة، ولكنهم كانوا موجودين بها.

- 1 - من آثاره المتعلقة بوجددة: نزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار، وكتاب الرسالة في أهل الباصور الخثالة، وفتح الثمان في شرح قصيدة ابن الروان. يراجع: بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، ص-ص. 57-58.
- 2 - فقيه من الفقهاء التلمسانيين، تربطه علاقة مصاهرة مع آل العقباي التلمسانيين؛ الذين سبق الحديث عنهم. يراجع: بشار، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، ص. 182.
- 3 - بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 182.
- 4 - لقد سبق وان ترجمنا له في موجة الهجرة الأولى نحو مدينة فاس في عصر السليمانيين.
- 5 - بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 103.
- 6 - المرجع نفسه، ص. 104.
- 7 - نور الدين، المدون: ملامح من الحياة اليومية بوجددة وبواديها خلال القرن التاسع عشر، ط. 1، منشورات: ك. أ. ع. ب، جامعة محمد الأول، وجددة، مطبعة شمس، وجددة، المغرب، 2001، ص. 214.
- 8 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 88.

وفي الأخير يمكن الإشارة إلى أن عدد المهاجرين المستقرين بوحدة وحدها في نهاية القرن 19 قد قُدر بحوالي 50 دار، وبحوزتهم أنواع مختلفة من الماشية يبرزها لنا الجدول الموالي إلى جانب الساكنة الأخرى بوحدة¹:

السكان	عدد الدور	البغال	الحمير	الأغنام	الماعز	الأبقار
أولاد عمران	168	54	123	120	72	205
أولاد الكاضي	205	85	90	300	150	170
أولاد عيسى	60	25	30	50	100	70
أهل وحدة	50	10	35	30	40	20
المهاجرون	50	30	12		60	25
اليهود	115	45	32		50	30
المجموع	648	249	322	500	472	520

بينما بلغ عددهم بالبوادي حوالي 300 خيمة، وتملك جلّهم أراضي بدير بني يزناسن وبعين بني مطهر².

2- نحو مكناس:

من بين ما وقفنا عليه حول المهاجرين نحو مكناس هو اقتصار الهجرة على أولاد سيدي الشيخ، ومن بين الدراسات التي اهتمت بهذا الشأن هي دراسة "ميشو بيلير"، التي سنتمدها بشكل كبير في الحديث عن هؤلاء المهاجرين. حيث يذكر أن أولاد سيدي الشيخ القاطنين بمكناس يعترفون بسيدي الطيب بن الحاج العربي زعيمنا عليهم، وهذا الأخير سبق وأن أشرنا أنه هاجر نحو المغرب في حدود سنة 1883؛ بعد اغتيال سليمان بن قدور في منطقة بوشاون من طرف البربر بتحريض من عامل وحدة المسمى سي عبد المالك بلهاشمي السعيد الريفي³.

وفي هذه الواقعة يكون رفاقؤه قد قتلوا معه أيضا، بينما ما تبقى منهم كانوا قد تحصنوا أو بقوا في سهل الأنجاد حيث تم القبض عليهم مع حوالي 50 شخص بواسطة القايد البوزغاوي، واقتيدوا جميعا نحو مدينة مكناس؛ ومن بين هؤلاء: سي علال بن الشيخ بن الطيب -من مواليد سنة 1872-، وسيدي الطيب الحاج العربي... الخ، وفي أثناء طريقهم نحو مكناس تمكن سيدي علال من الفرار، وتوجه نحو فاس أين تحصن بمزار -مركز ديني- مولاي إدريس⁴ (ت 213هـ / 828م)⁵.

وبعد مرور مدة من الزمن قضاها بهذا الضريح لجأ إلى شريف وزان سيدي الحاج عبد السلام ورفقائه الذين كانوا في حياهم بالقرب من المصلى في أعالي منطقة السوق؛ وبسبب هؤلاء الفارين دارت هناك محادثات بين المحزن

1 - عكاشة، برحاب: شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873-1907، منشورات جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب، 1989، ص. 181.

2 - المرجع نفسه، ص. 303.

3 - Michaux-Bellaire: les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, P. 9.

4 - Ibid, P. 10.

5 - هو إدريس ابن عبد الله، ثاني ملوك الأدارسة في المغرب، توفي أبوه إدريس وهو حينئذ في بطن أمه، بإيعاز البربر بعدما بلغ الحادية عشرة من عمره، بين فاس عاصمة له. تراجع: كرم البستاني وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 31.

ممثلاً بالسيد عبد السلام، والفرنسيين ممثلين بالوزير الفرنسي "م. أورديغا M. Ordiga" في طنجة، حيث تم الاتفاق على أن يستقر سيدي علال ورجاله في عزيب سيدي الحاج عبد السلام في المازرية لدى قبيلة الحجاوة على فم سيو، وعلى أثر ذلك توجه سيدي علال نحو الصحراء دون خوف حتى وصل العريشة حيث تزوج بابنة سيدي محمد بن داود¹. ولم يبق من هؤلاء الفارين سوى 44 سجين بمدينة مكناس، من بينهم سيدي الطيب بن الحاج. وهؤلاء كلهم ماتوا في السجن عدا أربعة منهم؛ هم على النحو التالي²:

- 1- سيدي الطيب بن الحاج.
 - 2- سيدي مومن بن الشيخ.
 - 3- سيدي سلمان بن الحاج.
 - 4- محمد ولد سيدي الحاج إبراهيم. وعندما قدم السلطان مولاي عبد العزيز (1298-1363هـ/1881-1944)³؛ لأول مرة إلى مدينة مكناس قام باعتقال وزيرين كان في عهد أبيه هما: سيدي الحاج المعطي -El-Mati⁴، وسيدي محمد، وقام بتحرير سيدي الطيب وأصحابه الثلاثة حسب وساطة كل من الوزير الأكبر سسي أحمد بن موسى - با أحمد الذي كان حاجياً لمولاي الحسن - و الباشا حمو الدراوي حاكم مدينة مكناس⁵.
- ومن بين ما قام به السلطان عبد العزيز تجاههم هو أن منح لهم منازل للسكنى في مكناس، وأغدق عليهم دورو لكل واحد منهم يومياً، إلى جانب الأراضي التي منحها لهم في منطقة الخنوفة عند سفح جبل زرهون، بين منطقتي المحرومة وأولاد سيدي يحيى، غير أن المقبوض عليهم الثلاثة عدا سيدي الطيب يكونوا قد ماتوا كلهم، وبقي هو على قيد الحياة، يمثل فرع أولاد سيدي الشيخ الشراقة الذين سجنوا في مدينة مكناس سنة 1883⁶.
- ومن بين المستقرين من أولاد سيدي الشيخ هؤلاء بمنطقة الخنوفة مكناس كل من: سيدي سليمان بن الشيخ بن الطيب، وسيدي الشيخ بن الدين، وعبد الرحمان بن عطا الله، وهناك شخصية أخرى وهو سي النعيمي ولكنه كان قد مات في ذلك الحين⁷. وإلى جانب هذا نسجل استقرار بعض أولاد سيدي الشيخ الشراقة المنحدرين من جهة

1 - Michaux-Bellaire: *les musulmans d'Algérie au Maroc*, op, cit, P. 10.

2 - Ibid, P. 10.

3 - هو عبد العزيز بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمان، خلف والده في الحكم سنة 1894، ومن ملامح نظام حكمه هو سيادة الفرنسي على المغرب، تم خلعها في سنة 1907، توفي في طنجة، يراجع: خير الدين الزركلي: *الأعلام*، مج. 4، ص. 16، كرم البستاني وآخرون: *المنجد في اللغة والأعلام*، ص. 366.

4 - ينحدر من أسرة أولاد المحاطية التي كان لها دور كبير في بلاط السلطان عبد الرحمان ابن هشام، حيث نسجل وجود أحمد بن المعطي الذي خصه هذا السلطان برسالة شخصية على أثر فشل مقاومة الأمير عبد القادر، بشره فيها بالنصر والظفر الكبير الذي حققه جيش السلطان على الأمراء وهي رسالة مؤرخة في 30 ديسمبر 1847، كما كاتبه برسالته أخرى مؤرخة في 2 رمضان 1264هـ؛ بشأن مساجين الحشم وبني عامر الذين ألقى عليهم القبض بعد المعركة التي خاضها الجيش المغربي ضددهم. يراجع:

-Hamet, Ismaï: *Le gouvernement Marocain et la conquête D'Alger*, P-P. 117-121

-محمد السعيد، قاصري: *العلاقات الجزائرية المغربية 1830-1847* (المغرب الجزائري والمغرب الشرقي نموذجاً)، ص. 210.

5 - Michaux-Bellaire: *Les musulmans d'Algérie au Maroc*, op, cit, P. 10.

6 - Michaux-Bellaire: *Les musulmans d'Algérie au Maroc*, op, cit, P.10.

7 - Ibid, P. 11.

سيدي معمر بن سلمان العالية، بمعنى آخر: هم أصهار (أقارب) وليسوا منحدرين من سيدي الشيخ بسأتم معنى الكلمة¹.

وخلال الفترة الممتدة من سنة 1874-1877، يكون قد هاجر من منطقة بوسمعون التابعة لمقاطعة معسكر وعمالة وهران نحو هذه المدينة ما مجموعه خيمتان، للاستقرار بها².

3- نحو مراكش:

لم تقتصر هجرة أولاد سيدي الشيخ على المدن والخواضر المغربية السالفة الذكر فحسب؛ بل تعدتها لتشمل حتى مدينة مراكش، ففي خلال سنة 1876 تكون السلطات الفرنسية قد كثفت من ضغوطتها على السلطان الحسن الأول لاحتواء الخطر الذي بات يمثله أولاد سيدي الشيخ بعد لجوء قسم كبير منهم إلى الأراضي المغربية، وعلى اثر ذلك وتلبية للمطالب الفرنسية قام السلطان بإبعاد جزء كبير منهم عن منطقة وجدة وترحيلهم إلى حوز مراكش³. ولم تقتصر هذه الهجرة على قبائل التحوم فقد هاجرت عدة خيام جزائرية من منطقة وهران والبيض وعين الصفراء، والجدول التالي يوضح لنا ذلك⁴:

مناطق الهجرة	المقاطعة	العمالة	مجموع الخيام المهاجرة	سنوات الهجرة	مناطق الهجرة
البيض	عين الصفراء	وهران	17 خيمة	1881-1864	مراكش

ومن بين المهاجرين من هذه الأسرة قسم كبير من فرع الشراقة الذين استوطن جزء منهم بمراكش، بعد أن قسدموا إليها من غزانية والمعاذبة والبيوار، في حوالي 50 خيمة، يتزعمهم المقدم المعين من طرف المخزن سيدي العربي بن حاوس بن الشيخ بن الطيب؛ وإلى جانبهم نسجل أيضا أولاد سيدي الشيخ الحياينة الذين من بينهم القاضي سي الحاج محمد بن الشيخ المشرفي⁵. هذا الأخير الذي كان له دور كبير في كتابة تاريخ المغرب الأقصى، غير أنه لم يتمكن من إتمام أحداثه الأخيرة لأنه كما قال فضل انتظار أن تحل مسألة بوحمارة⁶. هذا إلى جانب هجرة بعض الأسر المستغاثية نحو فاس في بداية الأمر؛ حيث احترفوا النشاط الزراعي ومُنحت لهم أراضي خصبة؛ غير أنها سرعان ما انتقلت فيما بعد للاستقرار بنواحي مراكش، ومن بين هذه الأسر التي تنحدر من سويد وصنهاجة وهيرة⁷:

1 -Ibid. P. 11.

2 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 70.

3 - المرجع نفسه، ص. 61.

4 - المرجع نفسه، ص. 70.

5 - ينحدر من أصول جزائرية، ذو فقه كبير وعلم غزير، له مساهمات فعالة في كتابة تاريخ المغرب الأقصى خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين. تراجع:

-Michaux-Bellaire: - Les musulmans d'Algérie au Maroc, P. 11.

6 - Michaux-Bellaire: Les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, P. 11.

7 - إبراهيم، حركات: المغرب عبر التاريخ، ج. 3، المرجع السابق، ص. 217.

- 1- أولاد بن معروز.
 - 2- ابن صابر.
 - 3- أولاد معمر.
 - 4- أولاد الجندوز/ القندوز.
- أما بقية العائلات الجزائرية التي وجدناها تقيم حسب "ميشو بيلر" دائما في مراکش، سواء انتقلت إليها مباشرة من الجزائر، أو انتقلت إليها بعد هجرتها نحو مدن مغربية أخرى كوجدة، وطنجة، وفاس... الخ؛ ومن بين هذه العائلات نذكر ما يلي:
- بعض العائلات التي تنتمي إلى قبيلة الحشم، والتي من بينها عائلات سيدي محمد المصطفى، وأولاد سيدي محسي الدين، الذين كان يشغل والدهم منصب قاض بمراكش¹.
 - عائلة ابن عده/ ابن عودة المستغامية.
 - عائلة الكوندمقحي هاجرت من البليدة، وللعلم أن هذه العائلات الثلاث المذكورة كانت تقيم بمدينة تطوان غير أنها انتقلت منها نحو مراكش في حدود سنة 1860 على اثر الثورة التي عرفتها خلال هذه السنة².
 - عائلة أخرى من الحشم تابعة إلى الميلود بن قدور، التي تكون قد نجت من الخسارة التي تعرض لها الحشم من قبل السلطان المغربي عبد الرحمان بن هشام سنة 1847، فاستوطنت مراكش، غير أنها استقرت فيما بعد بالقصر الكبير، ولكنها لم تلبث أن عادت إلى الجزائر³، وهذا ما سنراه لاحقا.
 - أولاد خليفة الذين ينحدرون من أصول جزائرية.
 - أولاد عطا الله الذين ينحدرون هم أيضا من عائلة الحشم، وكانوا قد توطنوا في الغرب بين سيبو والقصر الكبير. ويزعم هؤلاء حسب "بيلير" دائما أنهم من أصول جزائرية مثل جيرانهم أولاد خليفة الذين هم جزء من بني مالك. غير أن هذه المزاعم ليست موثقة بوثائق كافية⁴. وبناء على عدم معرفة هويتهم بشكل صريح، فإننا ندرجهم نحن ضمن المهاجرين الجزائريين مع القليل من التحفظ.
 - عائلة أولاد بن عودة المنحدرين من سيد محمد بن عودة من فليتة، استقرت في منطقة الغرب عند قبيلة سفيان. وهي عائلة على قدر كبير من الأهمية، حيث باتت تتوفر على أملاك كبيرة، ولقد كان لهذه العائلة السبق في الهجرة نحو المغرب بحوالي 60 سنة⁵.
 - عائلة الحاج عبد القادر الحشمي - من الحشم - التي استقرت هي الأخرى - بعد مجزرة الحشم - بهذه المدينة في دوار أولاد بن صباح عند قبيلة بني مالك⁶.
 - عائلة الشرعي:

1 - Michaux-Bellaire: *Les musulmans d'Algérie au Maroc*, op, cit, P. 11.

2 - Ibid, P. 12.

3 - Ibid, P. 12.

4 - Ibid, P. 12.

5 - Ibid, P. 11.

6 - Ibid, P. 12.

تنحدر هذه الأسرة من منطقة عين الخوت بتلمسان، هاجرت نحو المغرب واستقرت في البداية بالقصر الكبير، غير أنها انتقلت إلى مدينة فاس، ومن فاس انتقل أحد أفرادها غلي مراكش وهو الشريف مولاي عبد السلام بن الغاني في سنة 1289هـ / 1872م، ومنه تكون قد تفرعت هذه الأسرة بمراكش، وحسب ما جاء به أحمد متفكر في معلمة المغرب فإنه يذكر لنا أنه وقف على رسم عدلي يتضمن لنا أبناء عمومتهم القاطنين بالقصر الكبير وهم¹:

- الحاج محمد بن إدريس بن محمد الشرعي.

- أحمد بن مولود الشرعي.

- أحمد بن ناصر الشرعي.

- محمد (فتح) بن محمد الشرعي، الذي ينتسب إلى عين الخوت بنواحي تلمسان، وهو من آل البيت². كما نسجل هجرة واستقرار بعض الأسر والعائلات الجزائرية بمنطقة القصر الكبير، ومن بين هؤلاء نذكر ما يلي:

- عائلة الشاوش: هاجرت هذه العائلة من الجزائر العاصمة، واستقر قسم منها في منطقة صفرو والقسم الآخر في القصر الكبير³.

- قربتان أو قبيلتان من عائلة أولاد سيدي الشيخ الشراقة والغراية، يقعان في الغرب - يبعدان عن القصر الكبير بحوالي 4 ساعات مشيا على الأقدام - في الجنوب الشرقي من منطقة الفوارات، وهاتان القريتان مقامتان على عزيب كان أقامه قديما الأمين سي إدريس ولد الضاوية بمعية أخيه الأمين سي محمد ولد الطلبة ولد الضاوية⁴.

- أولاد زياد:

يعتبر هؤلاء بمثابة خدما لأولاد سيدي الشيخ، وبعد هجرتهم استقروا على ضفة نهر أولاد ردار حيث توجد قريتهم المعروفة باسم قرية أولاد زياد؛ وهم ينحدرون من أولاد بن يحيى بن محمد بن زياد، وأصولهم من الشط الشرقي في سوق تدعى سوق الحد الكورت، وإلى جانب ذلك فهناك قسم آخر ينحدر من أولاد مالة بني زياد يقطنون بقرية دوار العرب⁵.

- أولاد عنان:

ينحدرون من قبيلة عامر، استقرت بمنطقة أولاد موسى التابعين لـ: بأور بالقرب من بني قوربي على الطريق من القصر الكبير إلى طنجة⁶.

- أحمد رزنة الذي وجدناه بعد هجرته يشغل منصب نائب قنصلي في هذه المدينة في شهر يناير سنة 1894⁷.

1 - معلمة المغرب، مج. 16، المرجع السابق، ص. 5335.

2 - المرجع نفسه، ص. 5335.

3 - Michaux-Bellaire: Les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, P. 12.

4 - Ibid, P. 7.

5 - Ibid, P. 7.

6 - Ibid, P. 12.

7 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 103.

4- نحو تطوان:

انسجل هجرة بعض الجزائريين والذين على رأسهم:

- محمد بن عبد اللطيف:

هاجر نحو تطوان خلال هذه المرحلة، وكان من بين المهام التي أبطت به القيام برعاية مصالح الدول الفرنسية هذه المدينة سنة 1878¹.

وإلى جانب هذه المدن المغربية فإننا نسجل هجرة كثير من الخيام الجزائرية نحو بعض الأرياف والقبائل المغربية. سواء خلال هذه المرحلة أو المرحلة التي سبقتها؛ وهذا ما يبرزه لنا الجدول الموالي²:

مناطق الهجرة	المقاطعة	العمالة	الخيام المهاجرة	سنوات الهجرة	اتجاهات الهجرة
البيضا	عين الصفراء	وهران	9	1881-1864	فقيص
غرداية	الأغواط	الجزائر	4	1889-1881	كورارة
سعيدة البيضا	معسكر عين الصفراء	وهران	11	1881-1864	ذوي منيع (جنب فتيق وشمال غرب توات)
المشرية	الصفراء عين الصفراء				
سعيدة البيضا	مسكرة عين الصفراء	وهران	14	1893-1864	أولاد جريز
سعيدة البيضا المشرية تيارت	مسكرة عين الصفراء مسكرة مسكرة	وهران	518	1894-1864	بني كيل
البيضا المشرية العريشة	عين الصفراء تلمسان	وهران	73 معظمها تابعة للغراية	1895 1865	وجدة ومنواحيها

1 - عبد العزيز، السعود: تطوان خلال القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص. 92.

2 - أحمد، أمزيان: فجيح (فكيك) مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن 19 (1845-1903)، المرجع السابق، ص. 510. كما يراجع لهذا الخصوص أيضا: محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، ص. 70.

وبخصوص أولاد سيدي الشيخ يذكر "لويس فوانو" في أحد مقالاته الرئيسية¹، هجرة عدة خيام من فرع الغرايبة في النصف الثاني من القرن 19 نحو ضواحي وأطراف وجدة؛ كما نسجل هجرة بعض الجزائريين واستقرارهم حتى بالدار البيضاء، ومن بين هؤلاء نجد الفقيه محمد بن الزيتوني الجزائري، الذي وفد على هذا الثغر واستوطنه بعياله وأولاده فارا بدينه من الجزائر، وهذا ما أشارت إليه أحد الوثائق الملكية بالرباط المؤرخة في 23 جمادى الثانية 1307هـ².

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 - Louis, Voinot: la situation sur la frontière Algéro-Marocaine du Tell Lors de l'insurrection des Ouled Sidi Cheikh dans le Sud Oranais (1864-1870), R. A. N° 60, ANNEE 1919, O. P. U. Alger; 1986. P-P. 399-465.

2 - م، و، م، ر: رسالة من عبد الرحمان بريكش إلى السلطان المغربي بخصوص الفقيه محمد بن الزيتوني الجزائري، ملف الجزائر، سجل رقم 26989.

الفصل الثالث

مرحلة الهجرة الثالثة

(1894-1930)

● نحو وجدة

● نحو فاس

● نحو طنجة

● نحو تطوان

● نحو كل من القصر الكبير وتافيلالت

ومراكش وآسفي والرباط وسلا ومكناس

لقد ظلت وحدة كعادتها تعمل على استقطاب مستمر للمهاجرين الجزائريين خلال هذه المرحلة، خاصة إذا تعلق الأمر بالقبائل التي تعيش عبر منطقة النخوم الجزائرية المغربية، وبهذا الخصوص يذكر عبد القادر خليفي علاقة قبائل النخوم ببعضها البعض: «فإنما تعيش مندجعة متحاببة، تختلط أراضي أحوال قبائلها البدوية وتتلامس أراضي فلاحيتها هنا وهناك، بل أن الفرد الجزائري قد يمتلك حقلاً من نخيل التمر في بلدة فكيك في الجنوب الشرقي المغربي، كما قد يمتلك أحد الفكيكيين أرضاً فلاحية في بني ونيف أو في مغرار بالجنوب الغربي الجزائري أو في غيرهما»¹.

ويذكر لنا إسماعيل حامد هذا التداخل والتجاذب بين قبائل النخوم في تقريره الموسوم بخمسة أشهر بالمغرب. من خلال المثال الذي ضربه لنا بزعيم قبيلة المهاية الرحل الحاج السنهلي فيقول: «ونظراً لقوة شكيمته وشدة فصنته وحنكته أصبح يتأقلم مع متغيرات الأحوال السياسية، لأن الحدود كانت قد قسّمت مصاخه إلى قسمين، فكان يعرف متى يتيم بأرض المغرب، ومتى يغادرها إلى الأراضي الجزائرية صحبة قبائله... إن الحاج السنهلي يرتادي برنوسين: أحدهما مغربي والثاني جزائري. فإذا اشتد اتساخ الأول، انتقل إلى الجزائر وإن أصبح الثاني غير صالح للارتداء استعجل العودة إلى المغرب»².

ونظراً لكثرة عدد المهاجرين الجزائريين وتعدد تركيبتهم الاجتماعية، وقصد الإمام الجيد بهم رأينا ضرورة تتبع ذلك وفق التسلسل الزمني لهجرتهم على النحو الآتي:

1- البوعماميين البوشيخين:

ليس غايتنا هنا الحديث عن ثورة الشيخ بوعمامة³؛ بقدر ما سنتحدث عن أنصاره وأتباعه الذين هاجروا معه نحو وحدة وضواحيها واستقروا بها قبل وبعد الاحتلال الفرنسي لها سنة 1907، وعليه فإن منطقة النخوم

1- عبد القادر، خليفي: ((استمرارية مقاومة الشيخ بوعمامة من المغرب الأقصى))، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع. 15، دو الحجة 1424هـ/ فيفري 2004، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، ص. 218.

2- مصطفى، الغديري: وحدة بعيون أجنبية أوائل القرن العشرين، ط. 1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، مطبعة جسر، وحدة، المغرب، 2000، ص-ص. 21-22.

3- هو محمد بن العربي-دفين فحيج بالقصر المعروف بالحمام الفوقاني- بن الشيخ بن الحرمة بن محمد بن سيدي إبراهيم بن التاج؛ الذي يعد الابن 13 للجد الأول سيدي الشيخ، وهو أحد أبناء عبد القادر بوسماحة؛ ويعرف ببوعمامة؛ ولد فيما بين سنتي 1838-1840 بقصر الحمام الفوقاني بمدينة فحيج. وبها نشأ وتعلم مبادئ اللغة العربية والقرآن الكريم على يد مقدم زاوية سيدي الشيخ المدعو محمد بن عبد الرحمان. وفي حدود سنة 1874-1875 انتقل مع أسرته إلى المقرار التحتاني بقرب ضريح جده إبراهيم بن سيدي التاج (توفي أواخر القرن 17) للإقامة به، ومن هناك بدأ في العمل على خلق الظروف الملائمة لتنفيذ وصية جده سيدي الشيخ له بإحياء تقاليد الطريقة الشيعية القائمة على الورع والتقوى، كما قام بتأسيس زاوية له ولأتباعه الذين بدأوا يتوافدون عليه، وبصفته مقدم هذه الزاوية بدأ في تسليم ورد الشيخية لمريديه، وهو ورد قال عنه أنه أعطاه إياه سيدي الشيخ بالرؤية والمكاشفة؛ وتقول بعض الروايات أن الشيخ بوعمامة قد أصيب بمرض الصرع في صباه، ولازمه حتى كبر، بحيث كانت تعتره حالات عصبية تفقده وعيه، وحالات غيبوبة يقوم أثناءها باستنطاق بطنه، وبحركات سحرية أخرى، وحسب سعد الله أبو

الجزائرية المغربية خلال ثورة الشيخ بوعمامة 1881-1908؛ قد كانت مسرحاً لتحركات قبائل التخم؛ تارة باللجوء إلى التراب المغربي، وتارة أخرى بالعودة إلى الجزائر؛ حسب ما تنتظمه ظروف الحرب، غير أن هذا اللجوء المؤقت كان بداية لحركة هجرة كبيرة جداً ستستقر فيما بعد بوجدة وضواحيها بعد فشل ثورة بوعمامة. ويمكننا تتبع عملية التداخل والتحاذب في حركة هجرة البوعماميين البوشيخيين نحو المغرب في ما يلي:

- ففي سنة 1883 ونظراً للضغط الذي شكله الجيش الفرنسي على مقاومة بوعمامة وأتباعه، يكون قد خاض نحو منطقة فتيق بمعية حوالي 213 خيمة¹؛ فقل نشاطه وتشتت أتباعه بين من انضم منهم إلى سي قدور بن حمزة زعيم الشراقة، ومن انضم منهم إلى قيادة سي سليمان زعيم الغرابية، وقسم آخر من الثوار رابط بفتيق ونواحيها. ثم انتقل إلى قورارة بعدما أخطر في صفه كثير من القبائل المغربية كبن كييل. وأولاد جرير، والذوي منيع... الخ².

غير أن السلطان عبد العزيز ونتيجة للضغط الفرنسي المسلط عليه والقاضي بطرد بوعمامة من التراب المغربي، يكون قد كاتب وراسل سكان الناحية بطرده من هناك؛ ومما جاء في بعض مراسلاته: «وإذا ورد عنكم بوعمامة البوشيخي نأمركم ألا تقبلوا استقراره ولا نزوله ببلاذكم، إذا لا خير له ولا لكم في بقائه بناحيتمكم»³.

وبناء عليه يكون بوعمامة قد توجه نحو منطقة توات للاحتماء بها من الخطر الفرنسي، ومضايقات السلطان المغربي، ومن هناك توجه نحو منطقة دلدول بواحة قورارة التي بقي فيها إلى غاية سنة 1894⁵.

ومن منطقة دلدول توغل في الأراضي المغربية مروراً بكل من بلدة بني ونيف الجزائرية وفكيك المغربية. ونظراً للمراسلات التي تمت بينه وبين بعض القبائل المغربية، يكون قد انضم إليه كل من القبائل المتواجدة بمنطقة

القاسم أن هناك وثائق تقول بمروبه مرات إلى حيث لا يعرف ملحد، وقد دام اختفاؤه مرة 6 سنوات مما أعطى للخيان إمكانية نسج قصص غريبة حوله، ولم تكاد تمض 5 سنوات على استقراره بالمقرار حتى كبر شأنه واشتهر أمره فجاءته الزيارات والوفود وأصبح في أعين الناس من أهل الكرامة والولاية، وانتشر نفوذه بالمنطقة حتى بلغ منطقة تاهيلانت بالمغرب، وساندته كثير من الأعراس والقبائل الجزائرية كانت أو مغربية، كالطرافي، والعمور، والغرابية، والأحرار، والجعافرة، وحميان... الخ. أعلن عن ثورته سنة 1881 والتي دامت حتى سنة 1908 حيث وفاته النية بسيدي ملوك بعين بني مطهر بوجدة. ويذكر لويس فوانو مسألة انتماء أولاد سيدي التاج إلى أولاد سيدي الشيخ الشراقة أو الغرابية، ويرى أن هناك افتراءات تقول بأنهم من أولاد سيدي التاج الشراقة، وهو ما يجعل في الأخير وبناء على هذا الطرح أن بوعمامة جزائري وليس مغربياً⁴. يراجع: لويس فوانو: وجدة والعمالة، ج. 3، ص. 73، أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، ص. 107، إبراهيم، مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، ص. 93، عبد الحميد، زوزو: ثورة بوعمامة 1881-1908، ص. 37-42. أحمد، أمزيان: فجيج "فكيك" مساهمة في دراسة المجتمع الواحي خلال القرن 19 (1845-1903)، ص. 493-495.

- 1- أحمد، أمزيان: فجيج "فكيك" مساهمة في دراسة المجتمع الواحي خلال القرن 19، المرجع السابق، ص. 495.
- 2- إبراهيم، مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري، المرجع السابق، ص. 102.
- 3- أحمد، أمزيان: فجيج "فكيك" مساهمة في دراسة المجتمع الواحي خلال القرن 19، المرجع السابق، ص. 104.
- 4- عبد القادر، خليف: ((موقف السلطات المغربية من حركة الشيخ بوعمامة))، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع. 12، رجب 1423هـ / سبتمبر 2002م، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، ص. 186.
- 5- أحمد، أمزيان: فجيج "فكيك" مساهمة في دراسة المجتمع الواحي خلال القرن 19، المرجع السابق، ص. 104.

أرفود، والريصاني، وبوعنان، ومنطقة الراشيدية، وزكورة، وقولمين، وبودنيب، وتانسنت؛ يطلب منها التحالف معه ودعم حركته، فجاءته منها ردود ايجابية تُثمن حركته وتؤكد على تضامنها معه¹.

وفي ظل هذه الأثناء تكون منطلقة وجدة ونواحيها قد عرفت حركة الثائر الجيلاي الزرهوني الملقب بيوحمارة، الذي كان قد راسل الشيخ بوعمامة عارضاً عليه فكرة الانضمام إلى حركته، والتي كان الهدف منها مناهضة نظام الحكم القائم في المغرب بقيادة السلطان عبد الحفيظ (ت 1356هـ/ 1937م)²، الذي راح يتهمه بالتعاون مع الفرنسيين، وفي نفس الوقت رأى بوعمامة أن هذا السلطان يقف له بالمرصاد، فالتقت مصلحة الطرفين مع بعضهما البعض، غير أن يوحماراً ولكي يعطي لحركته بعد ديني وسياسي آخر يتستر وراءه ويجمع القبائل حوله، قدّم نفسه على أساس أنه هو السلطان مولاي محمد الحقيقي الذي أُغتصب عرشه من طرف أخيه، فناصره بوعمامة وشريحة كبيرة من القبائل المغربية بناء على هذا الاعتقاد³.

ويذكر "لويس فوانو" هذا الشأن أن بوعمامة لم يتوان في الانضمام إلى هذا الثائر، وهي فرصة سانحة حسب رأيه للصيد في الماء العكر، ولا ندرى ماذا يقصد بهذا الطرح الذي لا يتناسب وأهداف مقاومة بوعمامة⁴. وبالتالي ففي سنة 1322هـ/ 1904م انتقل بوعمامة إلى مقر الثائر يوحماراً ومركز بمنطقة تكفايت برفقة زاويته وزمائه التي كانت تتكون من أتباعه وأنصاره من القبائل والمقدرة ما بين 800-1000 خيمة⁵، ومن بين المهاجرين الجزائريين الذين عينهم بوعمامة في إدارة شؤون زمالته ودائرته صالح التلمساني⁶ بمثابة الصدر الأعظم، وعبد القادر بن الحاج البارودي بمثابة وزير خارجيته⁷؛ ودخل في صراع وعداء كبير مع السلطات المغربية والفرنسية؛ فهاجمته

- 1- عبد القادر، خليفي: ((موقف السلطات المغربية من حركة الشيخ بوعمامة))، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع. 15، المرجع السابق، ص. 181.
- 2- هو عبد الحفيظ بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمان، ولد بفاس سنة 1280هـ/ 1863م، نشأ في قبيلة بني عامر؛ انتدبه السلطان عبد العزيز خليفة له على مراكش، فنادى به الجنود وأهل القبائل الخوزية سلطاناً فيها سنة 1325هـ، فانقسمت الدولة على أثر ذلك بين عبد العزيز في فاس وعبد الحفيظ في مراكش، واتخذ الأول من ممثلي الألمان أنصاراً له؛ والثاني من ممثلي الفرنسيين أنصاراً له، ولكن في النهاية آل الأمر إلى عبد الحفيظ الذي ظل في الحكم إلى سنة 1912، حيث تم توقيع عقد الحماية بينه وبين الفرنسيين؛ الذي تم بموجبه خلععه عن العرش وتعيين مولاي يوسف خلفاً له، واستقر بها المقام في الفترة الممتدة من 1914 إلى سنة 1925 بإسبانيا، توفي غرباً عن وطنه بأبحان لو بان، ثم حمل إلى المغرب ودفن بمدينة فاس. تراجع: خير الدين، الزركلي: الأعلام، مج. 3، ص. 277.
- 3- المرجع نفسه، ص. 184.
- 4- لويس، فوانو: وجدة والعمالة، ج. 3، المصدر السابق، ص. 74.
- 5- يذكر لويس فوانو حوالي 800 خيمة، ص. 74. بينما يذكر عبد القادر خليفي في مقاله: ((موقف السلطات المغربية من حركة الشيخ بوعمامة))، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع. 15، حوالي 1000 خيمة، ص. 184.
- 6- كان يعمل قهواجي واسكافي-خراز- سابقاً في تلمسان، ويلقب بصالح السفاج. تراجع: عماد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، ص. 119.
- 7- عماد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 119.

بعض القبائل المغربية كبنو مطهر وأولاد عمرو وبنو يعلي فرحل إلى الزكارة، وطوال فترة صراع المخزن مع الثائر بوحامرة فضل بوعمامة التوغل في ناحية الزكارة وبنو بوزكو ليشتد أخيراً زاوية له في نواحي عيون سيدي ملوك¹. ولم تمض مدة طويلة على تأسيسه لهذه الزاوية ومرافقتها حتى تمكن الفرنسيون من احتلال وجدة سنة 1907؛ وفي خلال شهر رمضان 1326هـ/ أكتوبر 1908 توفي بوعمامة بعيون سيدي ملوك؛ فخلفه ابنه سي الطيب على رأس الزاوية²، وكان عليه ضمان أمن أتباعه، مما دفعه إلى تغيير الأسلوب الحربي الذي اتبعه والده، فاختار أسلوب مهادنة السلطات الفرنسية التي احتلت بلدة عيون سيدي ملوك سنة 1910، التي كانت مقراً للزاوية الشيخية البوعمامية آنذاك³. غير أن ابنه سي الطيب قام بنقل مقرها إلى بلدة عين بني مطهر، وتوارث أبناؤه مشيخة الطريقة إلى اليوم⁴.

وخلال هذه المرحلة قامت بعض القبائل الجزائرية التي هاجرت نحو المغرب بالعودة إلى الجزائر، خصوصاً بعدما تمكن الفرنسيون من احتلال وجدة، وفشل مقاومة الشيخ بوعمامة، غير أن هذه النقطة لا يسعنا المقام للحديث عنها كونها تدخل ضمن حركة الهجرة العكسية نحو الجزائر سواء من الجزائريين أو من المغاربة أنفسهم، والتي تحتاج هي الأخرى إلى بحث قائم بذاته.

وإلى جانب هذا الاستقرار الفائل للبوشيين بعمالة وجدة، نسجل أن هناك قسم كبير من أتباع سي علال الابن الرابع للشيخ ابن الطيب، يكونوا قد هاجروا نحو المغرب واستقروا جنوب وجدة. ومع نهاية القرن 19 ومطلع القرن 20 هاجر بعض الجزائريين نحو وجدة للاستقرار بها، ومن بين هؤلاء بعض التجار الجزائريين الذي كان لهم دور ريادي في المدينة، وهم على النحو الموالي⁵:

أسماء التجار	مكان استقرارهم	نوع النشاط امارس
أولاد سيدي الطيب بن مصطفى	وجدة	تجارة المناشبة
سيدي الوالي	وجدة	تجارة السلع الفرنسية
الأخوين مرزوق (الطيب والعربي)	وجدة	تجارة متعددة

وإلى جانب هؤلاء التجار نسجل هجرة المعلم الجزائري أحمد بناصف الذي كان ملحق بمفوضية وجدة بصفته مترجم؛ وتمكن من تأسيس أول مدرسة بوجدة⁶.

1 - لويس، فوانو: وجدة والعمالة، ج. 3، المصدر السابق، ص. 74.

2 - المصدر نفسه، ص. 74.

3 - عبد القادر، خليفى: ((استمرارية مقاومة الشيخ بوعمامة من المغرب الأقصى))، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع. 15، المرجع السابق، ص. 235.

4 - المرجع نفسه، ص. 235.

5 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 109.

6 - المرجع نفسه، ص. 115.

2- آل البلعوشي:

هاجروا في حدود سنة 1900 نحو وجدة واستقروا بها؛ ومن بين الذين اشتهروا من هذه العائلة بحاضرتها في تحفيظ القرآن الكريم: سيدي أحمد بن البشير البلعوشي، وسيدي محمد بن الطيب البلعوشي، وولده الرحلة سيدي المختار، وأخوه سيدي بوزيان الذي كان إماما بجامع حدادة².

3- أهل تلمسان:

لم تنقطع هجرة التلمسانيين نحو المغرب خلال هذه المرحلة؛ ونلمس ذلك من خلال نص الوثيقة المؤرخة في 18 جمادى الثانية 1308هـ، الصادرة عن جماعة المهاجرين بوحدة إلى السلطان يطلبون فيها الإنعام عليهم بصفة. حيث أشارت إلى هجرة البعض من إخوانهم التلمسانيين الجدد، ويطلبون فيها من عامل وجدة أن يستوصي بهم خيرا، غير أنها لم تحدد لنا عددهم، ومما جاء في هذه الوثيقة بهذا الخصوص: «ومما يجب به علينا لسيدنا الإعلام بأن بعض من إخواننا أهل تلمسان أتوا إلينا راحلين عام التاريخ [يعني به 1308هـ] بقصد الهجرة ورجاء ثوابك وفضلك، وهم الآن معنا تحت ظل الله وظل سيدنا أعزه الله، فحسب من الله ومن فضل [كلمة غير واضحة] أن يستوصي عليهم العامل سي عبد الرحمان بالشفقة والرحمة كما نحن معه الآن في خير وعافية ونعمة من الله شامنه والحمد لله على ذلك (كذا)»³.

4- أسرة الخلاصي:

من بين أهم أفرادها بوحدة عبد القادر الخلاصي (ت 1977)⁵ الذي هاجر والده محمد عدو نحو هذه المدينة في سنة 1912 واستقر مع أسرته بها، ولقد كان لابنه هذا دور ريادي كبير في التعليم بالمغرب يقدر بحوالي 47 سنة، وهذا ما سنشير إليه في باب الأدوار الثقافية.

1- هم من أصول عرناطية هاجروا منه في سنة 886هـ؛ واستقروا في المفتوح في بلاد اللنجرة من غمارة، ثم انتقلوا إلى قلعية. ومن هناك توجهوا إلى بني يزناس حيث استقروا، ولقد ذاع صيتهم في التجارة في محيط وجدة وتلمسان وأحفير وعين الصفا. يراجع: بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، ص 176.

2- بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 176.

3- م. و. م. ر: عن جماعة المهاجرين الجزائريين بوحدة إلى السلطان المغربي، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 28270.

4- للعلم أن هناك عائلة مغربية أخرى تحمل نفس اللقب وتقيم بمدينة تطوان، أصلها من قبيلة صنهاحة، انتقلت إليها أوائل القرن 13هـ، واشتهر أفرادها بالعمل في الجيش المغربي من الفترة الممتدة من 1292هـ/ 1857م - 1295هـ/ 1878م، ومن بين

أفرادها قدور بن محمد الخلاصي، وإليه تنسب زنقة الخلاصي بحومة العيون. يراجع: معلمة المغرب، مج. 11، ص. 3801.

5- لقد تشرف الأستاذ الدكتور عمر آفا - من مواليد سنة 1943 بمدينة آغادير، تحصل على شهادة دكتوراه الدولة في التاريخ المعاصر سنة 2002- من قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة محمد الخامس، بتلبية طلبي قصد عقد لقاء علمي معه، أثناء وجودي في مدينة الرباط في شهر فيفري 2005، حيث تم ترتيب اللقاء يوم 11 فيفري 2005 في الساعة 11 صباحا بقاعة الاستقبال بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، في جامعة محمد الخامس أكدال بالرباط، حيث أفادني بمعلومات قيمة عن كل من: عبد القادر الخلاصي، وعبد الحميد بن زيان بنشهنوا، وزوادي بوثائق شخصية للخللاصي سادرجها ضمن ملاحق البحث؛ فهو مشكور على ذلك. وبناء على هذه المقابلة يكون عبد القادر الخلاصي بن محمد عدو، قد ولد بمدينة مغنية في 26 ديسمبر 1907، وبعد بلوغه

لا شك أن الاحتلال الفرنسي لمدينة وجدة سنة 1907، وفرض الحماية المزدوجة على المغرب في سنة 1912؛ يعتبر نقطة تحول هامة في مسار حركة المهاجرين نحو المغرب بصفة عامة، ونحو وجدة بصفة خاصة؛ ويبدو ذلك جليا من خلال الاهتمام الفرنسي المتزايد بهذه الجالية، وبعض الكتابات الأوربية سواء كانت مسيحية أو يهودية التي راحت تصف هؤلاء المهاجرين بأعوان الإدارة الفرنسية في المغرب؛ وليت الأمر توقف عند ذلك بل نجد بعض الكتابات المغربية الحديثة التي هي الأخرى وبالاعتماد على مصادر أجنبية سارت على نفس المنوال. وراحت تنعت الجزائريين بأهم بمثابة طابور خامس للفرنسيين في المغرب!

وحتى وإن كانت هناك عينة منهم قد غلبتها المصلحة الذاتية على المصلحة العامة؛ فإنه لا يمكننا وضع كل المهاجرين في هذه الخانة؛ وهذا ما لم يشير إليه هؤلاء الباحثين والكتاب؛ وليس غايتنا هو الدفاع عن هؤلاء المهاجرين؛ وإنما لا يجب أن نغض أعيننا عن الجانب الآخر الإيجابي الذي قام به جل المهاجرين الجزائريين في المغرب، وهذا ما اعتقد أن هناك كثير من الأطر المثقفة في الوقت الحالي لا تريد لهذه النقطة أن ترى النور بل تريد النظر في المرأة التي تظهر الصورة على غير حقيقتها.

وقد لا يسعنا المقام هنا للدخول في ثروة فكرية فالوثائق التاريخية والمصادر والمراجع التريهة كافية لتوضيح صورة المهاجر الجزائري في الذاكرة الشعبية المغربية؛ ودون إطالة في هذه المسألة التي تبدو سياسية تخدم بعض الأطراف على حساب أطراف أخرى؛ نعود إلى الحديث عن المهاجرين الجزائريين نحو وجدة بعد سنة 1907.

فبالرجوع إلى ما كتبه "ايغات كاتان Yvette Katan"¹؛ عن المهاجرين الجزائريين بوجدة سنقف على بعض الإحصائيات التي حاولت تقدير وجودهم بها؛ ففي سنة 1907 أصبح هؤلاء يمثلون خمس سكان وجدة². وإنه من الصعوبة بمكان تحديد عدد المهاجرين بهذه المدينة وضبط إحصائياتهم؛ فسـ "لويس فوانو" يذكر في إحصاء له أن عددهم هو 1500 جزائري مجتمعين في حوالي 300 عائلة³.

سن الخامسة هاجر برفقة والده نحو مدينة وجدة؛ وما تلقى تربيته الأولى، زاول تعليمه الابتدائي بمدرسة سيدي زيان بوجدة. وتعليمه الثانوي في ثانوية مولاي يوسف بالرباط ما بين سنوات 1922-1926، حيث نال شهادة الدروس الثانوية الإسلامية. ثم بدأ مسيرته في التعليم وبحثها. بمفتش للغة العربية التي ظل على رأسها حتى سنة 1972 أين أحيل على التقاعد، له مؤلفات عدة، توفي بالرباط في جوان 1977. وللعلم أنني اطلمت على معلومات تاريخية للأستاذ عمر آفا شخص الجلاددي، قد نشرها في معلمة المغرب، مج، 11، ص. 3801. ينظر الملحق رقم: 31.

1- أستاذة من أصول يهودية، قامت بإنجاز أطروحتها العلمية الموسومة بـ:

Oujda une ville frontière du Maroc 1907-1956، وهي الآن مطبوعة في شكل كتاب صغير الحجم لكنه عريض المحتوى، توجد عدة نسخ منه بالمكتبة الوطنية بجامعة محمد الخامس بالرباط، قاعة الباحثين. تمكنت من تصوير جزء مهم منه في ما تعلق بموضوع بحثنا.

2-Yvette, Katan: **Oujda une ville frontière du Maroc 1907-1956**, L'Harmattan, Paris, 1990, P. 436.

3-Ibid, P. 437.

بينما إحصاء "أوغسطين بيرنار Augustin Bernard"¹ لسنة 1911 أجدد يحصي سوى 200 جزائري كرعايا لفرنسا².

ويبدو أن هؤلاء الجزائريين لم يكونوا معروفين من قبل الإدارة الفرنسية، هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن هناك نسبة كبيرة وهي الأغلبية اندمجت في المجتمع المغربي، ولم تعد قمتها مسألة الجنسية هذه؛ لأنها مسألة سياسية في نظر كثير منهم؛ كما أن هناك العديد من العائلات كمولاي عبد الرحمان، ومنصور، وعبد الغني، وولد السوداني... الخ³، إلى جانب عائلات ذات أصول تركية -جزائرية (كراغلة) بقيت دون جنسية.

ونظرا للصلات التي كانت تغدق عليهم من طرف سلاطين المغرب فإن هناك قسم منهم بقي محافظا على أصوله الجزائرية، وكانوا يسجلون أبنائهم في الحالة المدنية بتلمسان؛ وفي الوقت نفسه هم مهاجرون بوجدة ويتحصلون على تلك الصلات السلطانية، بينما هناك شريحة أخرى اختارت أن تكون مغربية⁴.

وبعد سنة 1907 تقول "إيفيات كاتان" بتزايد عدد المهاجرين وبتضاعف عددهم، وتعدد نشاطاتهم: تجارة متنوعة، مترجمون... الخ، ويضيف "لومبارد H.J.M. Lombard"⁵ أن المهاجرين الجزائريين في هذه المرحلة شكلوا مستعمرة ملحقة بالمستعمرات الأوربية في المغرب، وهو طرح استعماري بالدرجة الأولى مفاده تشويه سمعتهم، وهؤلاء هاجروا بعائلاتهم من مناطق مختلف بالجزائر كوهراون وتلمسان وندرومة، معتقدين أن فرنسا ستبقى للأبد في المغرب، وأن المغرب الشرقي مجرد امتداد للجزائر⁶. كما وفد آخرون إلى شمال المغرب الشرقي لأغراض تجارية، فكانوا يترددون بانتظام على أسواق عمالة وجدة قصد الاتجار في السلع الأوربية⁷.

ولكن مقابل هذه الفئة التي فضلت التعاون مع الفرنسيين في نظر هؤلاء، ظل الجزائريون بوجدة متمسكون بأصولهم الجزائرية ويكونون حقا دافينا للفرنسيين الذين سبق وأن طردوهم من ديارهم، وإذا بهم في المغرب؛ وهذا ما سيجعل من المهاجرين الجزائريين محل استقطاب بين المخزن من جهة وبين السلطات الفرنسية من جهة ثانية؛ وهو وضع إداري سياسي ستحدث عنه لاحقا، من خلال القوانين والظواهر السلطانية التي تعلق بالجزائريين بالمغرب؛ وحتى وإن كان جلها يخدم الإدارة الفرنسية فحسب، فإن هذا لم يمنع من تدفق الجزائريين على مدينة

1- له مؤلف مهم جدا حول هذه المسألة تحت عنوان: Les confins Algéro-Marocains 1911

2- Yvette, Katan: Oujda une ville frontière du Maroc 1907-1956 , op, cit, P. 437.

3- Ibid, P. 438.

4- Ibid, P. 438.

5- له كتاب مهم عن وضعية ودور المهاجرين الجزائريين في وجدة غير أن الحظ لم يحالفنا في الحصول عليه، وهو تحت عنوان: Aspects de la situation et du rôle de l'immigration algérienne musulmane dans la région d'Oujda

6- Yvette, Katan: Oujda une ville frontière du Maroc 1907-1956 , op, cit, P. 439.

7- عكاشة، برحاب: شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873-1907، منشورات جامعة الحسن الثاني (سلسلة أطروحات ورسائل)، ط. 1، الدار البيضاء، المغرب، 1984، ص. 304.

وحدة، ففي سنة 1926 مثلاً كان عددهم حوالي 2471، ارتفع هذا العدد في سنة 1931 إلى حوالي 4338¹، وفي سنة 1936 إلى حوالي 4594². وبشأن التواجد الجزائري بوحدة يقدم لنا مصطفى اليزيدي جدولاً؛ ضمته التطور الحاصل للجزائريين الوافدين على المدينة، من سنة 1910 إلى سنة 1952، إلى جانب مجموع الأجانب الوافدين، وسنكتفي بتوضيح ما تعلق بالجزائريين في الفترة الممتدة من 1910 إلى 1931 فقط، كما يلي³:

السنة	العدد
1910	1.377
1926	2.471
1931	4.338
المجموع	8.186

وما يمكن ملاحظته هو ذلك التطور الحاصل في عدد المهاجرين نحو وحدة، وهو تطور له ما يبرره:
 - موقعها الجغرافي المناسب والملائم لاستقرار الجزائريين.
 - القوانين الجزيرية والردعية التي سنتها فرنسا بالجزائر، خاصة قانون التجنيد الإجباري سنة 1911.
 2- نحو فاس:

مقارنة مع المراحل السابقة نسجل نوع من التراجع في حركة الهجرة الجزائرية نحو فاس، غير أننا سحنا وجود مجموعة من المهاجرين بهذه المدينة، من غير المستبعد أن تكون قد هاجرت نحوها واستقرت بها مع نهاية القرن 19 وبداية القرن 20؛ وهم يندرجون ضمن المحميين الفرنسيين حسب محمد أمطاط في الجدول الآتي⁴:

المهاجرين	مناطق هجرتهم	المهاجرين	مناطق هجرتهم
المختار الوجدي	تلمسان	أولاد بن عثمان	مستغانم
أولاد محمد بن ثابت	تلمسان	آل فويتح	بني واسين
محمد بن عمار	تلمسان	سعيد المشرفي	مسكرة
عمي عبد القادر الجود	تلمسان	محمد الصباحي	مدينة الجزائر
الحاج الغوثي بن جبور	تلمسان	عمر القيسي	سيدي بلعباس
جلول الزراري	تلمسان	حمادي عبد القادر الوجدي	ولد بفاس من أسرة جزائرية
عودة بن جبور وأخوه الحسن	تلمسان	محمد بلبخاري الغزوي	وهران
إدريس القيسي	تلمسان	محمد بلخاتير	مقيما بفاس ⁵ .

- 1 - بدر، المقرئ: ((التشكيلة الاجتماعية في المجتمع المغربي في الربع الأخير من القرن 19 والربع الأول من القرن 20))، أمسل، ع. 18، المرجع السابق، ص. 11.
- 2 - Yvette, Katan: **Oujda une ville frontière du Maroc 1907-1956**, op, cit, P. 445.
- 3 - مصطفى، اليزيدي: ((أثر الهجرة في النمو السكاني بمدينة وحدة خلال القرن العشرين))، كنانيش، ع. 2، السنة الثانية، ط. 1، منشورات: ك. آ. ع. إ، رقم 38، جامعة محمد الأول بوحدة، Edition Universel، الرباط، 2000، ص. 92.
- 4 - محمد، أمطاط: **الجزائريون في المغرب**، المرجع السابق، ص. 98. تصرفنا في هذا الجدول من حيث ترتيب أصول المهاجرين.
- 5 - المرجع نفسه، ص. 102. وهذا التهميش يخص هذا المهاجر فقط.

أولاد محمد بن وينش	مستغاثم	محمد البركاني	المدينة
--------------------	---------	---------------	---------

كما نسجّل وجود بعض المهاجرين الذين هم من فئة كبار التجار الأثرياء المقيمين بفاس، وهم يندرجون ضمن الجدول الموالي¹:

أسماء التجار/ ألقابهم العائلية	نوع النشاط الممارس بفاس
- أولاد بن قبيل	تجارة متنوعة
- أولاد بن عياد	
- أولاد بن القيسي	هم ارتباط بشركاء بوهران

ومن خلال الدراسة التي أعدها عبد الكبير بن هاشم الكتاني حول بيوتات فاس، يمكننا إضافة عدد لا بأس به من مختلف البيوتات الجزائرية التي هاجرت نحو هذه المدينة واستقرت بها؛ غير أنه لم يوضح لنا بما فيه الكفاية تاريخ هجرتها واستقرارها بالمدينة؛ وبناء على ذلك حاولنا إدراج هذه البيوتات ضمن هذه المرحلة بحكم أنها لم تهاجر بعد سنة 1930. وهو تاريخ نهاية المرحلة الثالثة من الهجرة نحو المغرب، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإنها لم ترد مرتبة في هذا الكتاب، وبالتالي سعيينا قدر المستطاع على استخراجها ثم ترتيبها حسب المناطق التي هاجرت منها؛ مع مراعاة عدم تكرار ما تم ذكره منها في المراحل السابقة في بعض المصادر والمراجع؛ ثم أدرجناها حسب أصولها ضمن الجداول الآتية:

1- التلمسانيون:

- بيت أولاد بَخَيْش:

ومنها للبيد ومنها لرشيده، ومن قدم منهم من رشيده لفاس محمد بخيش، الذي توفي وخلف ابنه أحمد، وهذا الأخير بدوره خلف ولدين يقيمان بحومة الأقواس هما محمد وأحمد، الأول حرفته ممارسة النشاط الفلاحي؛ ولا عقب له الآن، بينما توفي الثاني من غير عقب².

- بيت أولاد ابن يامنة:

ورد ذكرهم بمدينة فاس وكانوا يمتلكون شقص من دار سيدي حمّ الرموش بحومة القفلين، الذين كانوا بدورهم يمتلكونه قبلهم³.

بيت أولاد بلّمان:

وهم عن قلة بتلمسان؛ كان من بينهم الطيب بلّمان مؤذن مسجد الأهمري، وكان لا يزال على قيد الحياة حسب مؤلف زهرة الآس⁴.

- بيت أولاد بوخروبة:

1 - المرجع نفسه، ص. 109.

2 - عبد الكبير بن هاشم، الكتاني: زهرة الآس في بيوتات أهل فاس، ج. 1، المصدر السابق، ص. 114.

3 - المصدر نفسه، ج. 1، ص. 146.

4 - المصدر نفسه، ج. 1، ص. 148.

- لقد كان من بينهم أثناء عهد المؤلف المعلم الخراز محمد بن أحمد بوخروبة، وأبناؤده: محمد الذي بدوره له ولدين عبد العزيز واهمد، وإدريس الذي كان معلم وبناء، والهادي الذي كان يشتغل خراز¹.
- بيت أولاد بوخريبة:
- بيتهم قليل ومعلوم بفاس، يحترفون الحرف؛ من بينهم: المعلم الخراز بوخريبة، كان يقطن بالقلقيين².
- بيت بومدّين التلمساني: يتواجدون بشكل كبير بمدينة فاس³.
- بيت أولاد التلمساني:
- بيتهم بيت شهير بفاس، وهم فرق كثيرة: فرقة الفقيه المدرس الحاج الداودي التلمساني، الذي يعد فقيه وعالم وعامل، له دراية بالتدريس وفهم ثاقب في العلوم النقلية، كان يقيم بدراب سيدي صافي بأعلى زقاق الحجر. ومن أبحاله بعد وفاته: الفقيه سيدي الحبيب والسيد بناصر والسيد إدريس⁴.
- بيت أولاد الصبايحي التلمسانيين: بيتهم بيت معروف بفاس⁵.
- بيت ابن عتيق: لا يزالون موجودين بمدينة فاس، وهم ليسوا ابن عتيق العبدريين⁶.
- أما البيوتات الفاسية التي تتكون منها مدينة فاس من غير التلمسانيين؛ فيذكر لنا صاحب زهرة الآس مجموعة أخرى منها يمكن حصرها في ما يلي:
- بيت البجاوي:
- ينتسبون إلى قبيلة بجاوة، ويعود أصلهم إلى مدينة بجاية، ومن بين ممثلي هذا البيت بمدينة فاس، الحاج محمد بن محمد البجاوي السوسي، غير أن هذا البيت أصبح يُعد من البيوت المنقرضة⁷.
- بيت الصوّابني المستغامي:
- كانوا يقيمون بفرن كويشة من حضرة فاس، كما كانت لهم ثروة هائلة، ومن بين ما تبقى من ممتلكاتهم: غابة بابن صلاحة خارج باب أبي جيدة تسمى بغابة الصوّابني إلى الآن؛ غير أن هذا البيت لم يعد موجودا الآن⁸.
- هذا إلى جانب وجود أحد التقارير الفرنسية التي تفيد بطلب المدعو قطاع حاج بن محمد التلمساني⁹ لجواز سفر قصد العودة من جديد إلى مدينة فاس، حيث توجد زوجته وابنه قصد الإقامة معهما بصفة دائمة، وللعلم أنه كان

1 - المصدر نفسه، ج. 1، ص. 188.

2 - المصدر نفسه، ج. 1، ص. 189.

3 - المصدر نفسه، ج. 1، ص. 201.

4 - المصدر نفسه، ج. 1، ص. 246.

5 - المصدر نفسه، ج. 1، ص. 561.

6 - المصدر نفسه، ج. 2، ص. 29.

7 - عبد الكبير بن هاشم، الكتاني: زهرة الآس في بيوتات أهل فاس، ج. 1، المصدر السابق، ص. 113.

8 - المصدر نفسه، ص. 571.

9 - عامل اسكالي بمدينة تلمسان، يتمتع بشهرة كبيرة.

قد هاجر إلى المغرب واستقر به مدة 10 سنوات، ثم عاد على الجزائر لقتضاء بعض مآربه غير أنه لم يتمكن من العودة، فرفع شكواه إلى السلطات الفرنسية التي وافقت على طلبه القاضي بالسماح له بالهجرة من جديد من تلمسان نحو مدينة فاس¹.

وبناء على الدراسة التي أعدها "Michaux-Billaire" فإن عدد المهاجرين الجزائريين بمدينة فاس في سنة 1907 يكون قد وصل إلى حدود 5000 مواطن، ومدينة موغادور Mogador يكون قد وصل عددهم في سنة 1906، ما بين 60 إلى 70 رعية جزائرية من بينهم ترجمان نائب قنصلية فرنسا وكذا المكلف بالبريد الفرنسي².

وتفقدنا التقارير الفرنسية أيضا بوجود كثير من الجزائريين الذين هاجروا نحو المغرب وعند رجوع أرباب العائلة وجدوا صعوبة في العودة من جديد إلى المغرب، فتقدموا للسلطات الفرنسية بطلبات قصد السماح لهم بالعودة إلى المغرب، ومن بين هؤلاء حناني سي حيمان بن حنان الذي تقدم بطلبه المؤرخ في 23 ديسمبر 1896 إلى وكيل الوالي "سوبريفي" "Sous-préfet" لدائرة قضاء بلعباس قصد منحه جواز السفر للعودة إلى مدينة فاس مرورا بوجدة، ويذكر في طلبه حالته العائلية: «عندي ثلاث نساء وولدين، أحد أبنائي له زوجتان صهري الحاج محمد بن عبد الله له زوجة وثلاثة أطفال، ورسالي مرفوعة-مشفوعة-بشهادة من محصل البلدية»³.

وبخصوص هذا الشخص يكون قد قام "السوبريفي" لدائرة سيدي بلعباس بالكتابة إلى والي وهران رسالة بتاريخ 8 جانفي 1897 مرفوعة بطلب حناني وبشهادة مسلمة من مصلحة جباية الضرائب لبلدية سيدي بلعباس. وبالنظر إلى الطلب الذي قدمه هذا الأخير إلى رئيس بلدية بلعباس، يفيد أن هذا الشخص كبير السن، وليس له دخل؛ بل هو يعيش على صدقات الآخرين، ويريد الاستقرار بالمغرب، وهو يزعم أن له أقارب سوف يساعدونه حتى يقيم ويمارس التجارة، خصوصا وأنه لم تقدم في شأنه أي شكوى من قبل السلطات العسكرية، وتفيد هذه الرسالة أيضا أن هذا الشخص هو مُقدم وزعيم للطريقة الدرقاوية ببلعباس، وأن زيارته للمغرب لن تكون إلا للاستقرار وممارسة التجارة، وليس له أغراض أخرى في هذه الظروف⁴.

وللعلم أنه مع نهاية القرن 19 ومطلع القرن 20 نسجل نوع من الهجرة العكسية للجزائريين الموجودين بالمغرب باتجاه الجزائر، وربما ذلك يعود إلى سياسة الاستقطاب التي كانت تقوم بها فرنسا تجاه كثير من الجزائريين المهاجرين بالمغرب، وبناء على هذا فإن هناك كثير من المراسلات والتقارير الفرنسية التي تمت بهذا الخصوص، ومن بين هؤلاء الجزائريين الذين طلبوا من السلطات الفرنسية السماح لهم بالعودة إلى الجزائر، المدعو عيسى ولد محمد

1 - le Préfet de département d' Oran à Monsieur le gouverneur général de l'Algérie. (Service des Affaires Indigènes) Oran le 11 juin 1990. G.G.A. A. O. M. carton H99-H101. بنظر الملحق رقم 2.

2- P, Decroux: **Les Algériens Musulmans Au Maroc condition juridique et sociale**, op, cit, P. 4.

3 - Hanani si Himan ben Henane à Monsieur Sous Préfet de Sidi Bel Abbès. Bel Abbès le 23 Décembre 1896 G.G.A. A.O.M. carton H99-H101.

4 - le Sous -Préfet de l'arrondissement de Sidi-Bel-Abbès à Monsieur le Préfet du département Oran. Sidi-Bel-Abbès le 8 janvier 1897. G.G.A. A. O. M. carton H99-H101

الذي وافق له القائد العام للمشرية بالعودة إلى الجزائر، بعد أن يقوم بتقييد كل ممتلكاته¹. وكذلك الحال مع السيد بن شطة ولد بوتنجة الذي ينحدر من قبيلة عكرمة من دوار أولاد بوسالم بالمشرية، والقاطن بفاس يكون قد قدم إلى القيادة العليا طالبا باسم العائلة العودة إلى الجزائر. فقبل طلبه بالسماح له بالقدوم والإقامة بقبيلة عكرمة². هذا إلى جانب حومان بن المداني الذي قدم طلبه هو الآخر للعودة إلى الجزائر برفقة عائلته التي تتكون من حوالي 17 محيطة، حيث يكون قد وافق الحاكم العام للجزائر "جول كامبو J-Gambon" على السماح له بالعودة، وإنه ليس هناك فائدة من إبعاده³.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 - Le générale Boitard Commandant la Division d'Oran à Monsieur le Gouverneur générale de l'Algérie à Alger. G.G.A. Division d'Oran, Cabinet Affaire Indigènes, A. O. M. carton H 99. H101

2 - Ibid, Oran fait le 12 Décembre 1896. A. O. M. carton H 99. H101.

3 - Ministère des Affaires étrangères, direction des Affaires Politiques, Paris le 8 juin 1897. G.G.A. A. O. M. carton H 99. H101. ينظر الملحق رقم 3.

3- نحو طنجة:

لقد ظل هذا الثغر هو الآخر في استقطاب مستمر للمهاجرين خلال هذه المرحلة، وإن كان قد تقلص عددهم بشكل كبير جدا، واقتصر الأمر على الفئة المثقفة فقط، ومن بين الذين استقروا بطنجة أثناء هذه الفترة نذكر ما يلي:

- عائلة الشاوش¹:

لقد سبق وأن تحدثنا عن هجرة هذه العائلة نحو مدينة تطوان أثناء مرحلة الهجرة الأولى 1830-1859، غير أن هناك بعض الأفراد من هذه العائلة يكونوا قد هاجروا نحو ولكن هذه المرة كانت وجهتهم مدينة طنجة. ومن بين هؤلاء نذكر كل من:

1- محمد بن يلس بن شاوش:

من مواليد مدينة تلمسان سنة 1264هـ / 1847، وظل مقيما في الجزائر إلى غاية ظهور مسألة التجنيد الإجباري؛ فكان من بين المهاجرين الجزائريين نحو مدينة طنجة²، هاجر مع عائلته وأصحابه نحو هذا الثغر، غير أنه لم يستقر به المقام هناك، وانتقل نحو مدينة دمشق بسورية. فهجرته كانت مؤقتة أو بغرض العبور منها إلى ما أراد وهو ما تم فعلا.

2- عبد السلام الشاوش³:

1 - ذكر أبو القاسم سعد الله أنه من بين أفراد هذه العائلة إبراهيم شاوش الذي كان يعمل جلادا لدى الادي حسين باشا، وهو يعد من أترياء الحضرة، كان رجل سلطة وقوة، كما كان يملك مقهى له في شارع الديوان، وفي هذه المقهى كانت الفتيات يرقصن على أنغام الموسيقى، كما كن يغنين مع مطربين آخرين، ويذكر أن هناك شخصية أخرى من هذه العائلة ظهرت في 1869/10/28 أثناء ترخيص وزير الحربية الفرنسية لثلاثة أشخاص من خريجي المعهد العربي الفرنسي لسنة 1867 بدخول مدرسة سان سير، فكان من بينهم عمرو بن محمد بن الشاوش. ومن بين أفرادها أيضا حسين بن رجب شاوش بن محمد المولود بالجزائر في حدود سنة 1072، تولى الفتوى سنة 1102هـ، يعد أول مصنف حنفي يعين من الكراغلة؛ ويذكر أيضا أن النبي حسين بن رجب باشا كان قد أرسله شعبان خوجة باشا برفقة كل من المفتي المالكي محمد بن سعيد قدورة والقاضي الحنفي محمد زيتون التونسي والقاضي المالكي محمد بن الحاج عندما أحس بثورة الانكشارية؛ إلى رؤساء الفتنة لتفادي الثورة. غير أن مهمة هؤلاء العلماء قد فشلت. وتسمية الشاوش التصقت بهم نظرا لكون جد هم رجب بن محمد الذي يتحدر من قارة حصار بالقرب من آزميز في آسيا الصغرى، يكون قد أصبح قرصان أو بحار يعمل على سفينتين تملكهما زهرة باي، إرثا عن أبيها وزوجها، ثم أصبح شاوش العسكر، وهي وظيفة سامية يقول سعد الله تسمح لصاحبها بالتعرف على أسرار الدولة والتدخل في التولية والعزل والتأثير على الولاة أنفسهم، ثم أصبح بولكباشيا أو عسكريا متقاعدا، توفي في الجزائر ودفن بباب الوادي، بعدما أنجب ابنه رجب بن محمد الذي أصبح يدعى بعد الوظيفة رجب شاوش. يراجع: أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص. 393.

ص. 417، ج. 2، ص. 368-369، ج. 3، ص. 408، ج. 5، ص. 368-369.

2 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 5، المرجع السابق، ص. 527.

3 - هناك حديث مطول عنه عند محمد أمطاط: الجزائريون في المغرب، ص. 101.

هاجر هو الآخر نحو هذا الثغر حيث يوجد كثير من أفراد العائلة الأم، غير أننا نجد فيما بعد يستقر بمدينة القصر الكبير، أين تم تعيينه من طرف السلطات الفرنسية في منصب نائبا للدولة الفرنسية بهذه المدينة¹.
- عائلة الخيزاوي²:

من بين أفراد هذه العائلة الذين هاجروا نحو طنجة إدريس الخيزاوي الذي ينحدر من مدينة تلمسان. بعد أن كان موظفا في محكمة المدينة، وفي سنة 1904 استقدمه الفرنسيون إلى طنجة وكلفوه بتحرير جريدة السعادة التي أصدرتها المفوضية الفرنسية هناك كوسيلة للدفاع عن أغراضها الاستعمارية في المغرب، وكانت مهمة الخيزاوي هي محاولة إضفاء صبغة عربية إسلامية على هذه الجريدة التي خشي أصحابها أن ينفر منها القراء المغاربة³. وهذا سنعود للحديث عنه في فصول لاحقة.

- محمد بن العربي التلمساني، ومصطفى الجزائري:

لم تتمكن من الوقوف على تاريخ هجرتهما نحو هذه المدينة، ولكن وقفنا على أهمها كانا يقيمان بها خلال العقد الأول والثاني من القرن 20، فمحمد بن العربي كان يشغل منصب أستاذ، وهو الذي ذكره سعد الله أنه كان يتغنى بالراية الفرنسية المثلثة التي يسميها البيروق، بينما صاحبه مصطفى يكون قد تبنى عليه أيضا، فهو يصف لنا الجنود الفرنسيين بالأبطال السود، وكلاهما كان يتغنى بالجيش والراية الفرنسية سنة 1916⁴.

- أبو بكر بن عبد الوهاب العلوي الطنجي الجزائري⁵:

هاجر إلى مدينة طنجة في سنة 1904 برفقة أسرته، فاستقر بها لمدة ثلاث سنوات قبل أن يتوجه إلى مدينة برلين الألمانية ليشغل منصب أستاذ اللغة العربية بإحدى كليتها، واستمر في عمله هذا لمدة عشر سنوات كاملة (1907-1916)، تزوج خلالها بامرأة ألمانية؛ كانت له عدة نشاطات بالمغرب، ستكلم عنها في حينها، ألقى عليه القبض هو وزوجته وأولاده أثناء الحرب العالمية الأولى (1914-1918) وسيقوا إلى السجن؛ نتيجة لأفكاره السياسية الوطنية التي اشتهر بها⁶.

1 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 99-100.

2 - لقد أشار أبو القاسم سعد الله في تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، ص. 448، إلى أن محمد الخيزاوي كان يعد أحد أعضاء المجلس الأعلى الفقهي الجديد، وأن هذا الشخص كان يشغل منصب قاضي في مدينة سيدي بلعباس، كما يعرفنا به في نفس الكتاب ونفس الجزء، ص. 502، ويقول عنه أنه ينحدر من قبيلة افزح بسيد بلعباس، وسؤالنا المطروح هنا هل هناك علاقة بين محمد الخيزاوي هذا ومترجمنا أعلاه إدريس الخيزاوي الذي هاجر نحو مدينة طنجة؟

3 - معلمة المغرب: مج. 11، المرجع السابق، ص. 3671.

4 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 6، المرجع السابق، ص. 254-255.

5 - ولد بمدينة قسنطينة في حدود سنة 1287هـ/ 1870م، وبها نشأ وتعلم، ثم انتقل إلى الجزائر العاصمة أين واصل تعليمه باللغتين العربية والفرنسية، وتم تعيينه بهذه المدينة في منصب باش عدل، انتقل إلى مدينة طنجة، وظل بها حتى وافته المنية يوم 22 ذي القعدة 1348هـ/ 21 أبريل 1931. تراجع: معلمة المغرب، مج. 9، ص. 2979-2980.

6 - معلمة المغرب، ج. 9، المرجع السابق، ص. 2979.

وبعد نهاية الحرب تم الإفراج عنهم؛ غير أنه وضع تحت الإقامة الجبرية بمدينة سلا بالمغرب، وظل هناك مدة من الزمن قضاها في العيش مع معارفه من السلاويين في جو من الخبة والتقدير، ويذكر أبو بكر الصبيحي¹ الذي كان أحد المقربين إليه: «وعرفت فيه الرجل المهيب العالم الأديب الغيور على بلاده وعروبته، فكانت الشخصيات المرموقة بسلا تشوف إلى الاجتماع معه والتمتع بحديثه الشيق المفيد، وهو لا يلبى إلا استدعاء من يوافقه في طبعه وميوله ومبادئه، وعلاوة على ثقافته العربية والألمانية الواسعة وحفظه لفرز الأدب والشعر النفيس فإنه كان يحسن الضرب على العود ويهوى الموسيقى العربية، ذا شتم وعلو همة تكاد تحسبه أميراً إذا أقبل في زيه العربي وهندامه الأنيق، لا يضيره شيء إلا ما كان عليه من قلة اليد مع كثرة الأولاد»². وبعد انتهاء مدة الإقامة الجبرية أذن له بالرجوع من جديد إلى مدينة طنجة³، لمواصلة مشوار حياته الذي ظل حافلاً بالمزيد من النشاطات الثقافية والفكرية.

- عائلة بنغريط:

تنحدر هذه العائلة من تلمسان، هاجر بعض أفرادها نحو المغرب في أواخر القرن 19؛ ومن بينهم أبناء أحمد بنغريط الخمسة: عبد الرحمان، والغوثي، وقدرور، ومحمد، ومصطفى؛ وكانوا جميعاً يحسنون اللغة الفرنسية، الأمر الذي أهلهم للعمل كتراجم قبل فرض الحماية على المغرب وبعدها. ولقد تفرق آل بنغريط بعد سنة 1912 في مختلف حواضر المغرب كفاس والرباط؛ وتأقلموا مع الوسط الجديد لباساً وعيشةً باستثناء الغوثي الذي ظل في وجدة محتفظاً بهندامه "الواسطي"⁴. وستحدث عن مختلف النشاطات التي قام بها أفراد هذه العائلة في المغرب في باب الأدوار.

وبخصوص هذه العائلة تطالعنا أحد التقارير الفرنسية بطلب هجرة تقدم به السيد داوزلي محمد بن حسن⁵ قصد الانتقال إلى مدينة طنجة أين يقيم صهره قدرور بن غريط السابق الذكر، الذي يعمل موظف-مترجم- في المفوضية الفرنسية بطنجة⁶. كما تفيدنا رسالة أخرى بتسليم السلطات الفرنسية جوازي سفر إلى طنجة للمدعوين: قيديرت محمد بن يوسف وقداورة محمود من بلدية البليدة، بعد أن تحققت من قدرتهما على تسديد

1 - ما نعرفه عنه هو أنه أحد المساهمين من المثقفين والباحثين المغاربة في إنجاز موسوعة معلمة المغرب.

2 - معلمة المغرب، مج. 9، المرجع السابق، ص. 2980.

3 - المرجع نفسه، ص. 2980.

4 - معلمة المغرب، ج. 5، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1413هـ/ 1992م، الرباط، ص. 1449. وللعلم أن مصطلح الواسطي الذي أنعته به محمد حجي في هذا العدد من المعلمة، هو نسبة إلى أهل الواسطة الذين ينحدرون من مدينة تلمسان.

5 - كان يعمل شرطياً بمدينة سانت أوجان.

6 - Le Préfet d'Alger à Monsieur le gouverneur général de l'Algérie. (Affaires indigènes), Alger le 4 février 1899. G.G.A. A. O. M. carton H99-H101. ينظر الملحق رقم 4.

ديوقهما¹. هذا إلى جانب تسليم جواز سفر آخر إلى المدعو حاج أخي بن سعيد²؛ قصد الانتقال إلى طنجة، كونه قادر هو الآخر على تسديد دينه³.
- عبد المالك الجزائري⁴؛

يمكن إدراجه ضمن حملة المهاجرين أو الوافدين الجزائريين على المغرب خلال هذه المرحلة؛ فبعد رحلة شاقة بدأها من دمشق يكون قد حط رحاله بمدينة فاس، التي نزل بأحد فنادقها؛ ثم قرر مقابلة السلطان بعد أن استشار في الأمر ابن عمه الأمير محي الدين الذي وافقه على ذلك في خطاب كتبه له: «إذا عزمتم فتوكل على الله، وأقدم ولا تخف»⁵. فلم يتردد السلطان عبد العزيز في استقباله بخفاوة بالغة وترحيب كبيرين؛ وعرض عليه أثناء ذلك منصب كبير في الجيش المغربي.

ولقد فتح له هذا التعيين عدة آفاق تطابقت ورغبتة في الهجر إلى المغرب؛ التي تكون قد سببت له كثير من الصعوبات والعراقيل حتى تاريخ اغتياله سنة 1924، أثناء قيادته العسكرية لجيشه العرمرم الذي شكّله لواجهة الجيوش الغازية.

1 - Le Préfet d'Alger à Monsieur le gouverneur général de l'Algérie. (Affaires indigènes), Alger le 8 juin 1899. G.G.A. A. O. M. carton H99-H101. . . بنظر الملحق رقم 5.

2 - كان يعمل تاجرا بالجملة في الجزائر العاصمة، حي القصبية رقم 22.

3 - Le Préfet d'Alger à Monsieur le gouverneur général de l'Algérie. (Affaires indigènes), Alger le 10 juin 1899. G.G.A. A. O. M. carton H99-H101. . . بنظر الملحق رقم 6.

4 - ولد بدمشق سنة 1285هـ/ 1868م، وبها نشأ وتعلم، أشرف على دراسته وقديبه جمع غفير من العلماء من بينهم: الشيخ طاهر الجزائري، والشيخ عبد الرزاق البيطار، واصل دراسته في المدرسة المالكية بالأستانة، وهو ما أهله فيما بعد للانتحاق بالمدرسة الحربية في استانبول، ونظرا لنجاحته وحيويته لفت انتباه السلطان العثماني عبد الحميد الثاني فقربه إليه في الوقت الذي كان عبد المالك يكن له احترام كبير تزوج قبل أن يتخرج من الكلية العسكرية بالسيدة كريمة الشريف عبد اللطيف العجلاني، أحب منها 4 أبناء. ثم انتقل بعد تخرجه إلى مسقط رأسه بعدما ترك زوجته وأولاده باستانبول؛ ومنذ ذلك الحين شد رحاله برا نحو المغرب مرور بمصر وليبيا، وتسكت المصادر في الحديث عنه وهذا ما بات يعرف بالحلقة المفقودة في رحلته، غير أننا نجد يظهر بعد ذلك بمدينة فاس. وهذا ما تحدثنا عنه في متن الموضوع. يراجع: أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 1، ص. 107، ج. 4، ص. 117، بديعة، الحسيني: أصحاب الميمنة إن شاء الله، ص-ص. 406-429، أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقالي، ج. 5، ص. 527، 563، عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 104، سهيل، الخالدي: الإشعاع المغربي في المشرق، ص. 261،

5 - بديعة الحسيني، الجزائري: أصحاب الميمنة إن شاء الله، دار سلام للترجمة والنشر، دمشق، مطبعة عكرمة، 1997، ص.

4- نحو تطوان: نسجل خلال هذه الفترة وجود بعض المهاجرين بتطوان، وفدوا على فترات متقطعة؛

نذكر من بينهم:

- علال العبدى¹: بعد هجرته نحو تطوان يكون قد تولى منصب نائب قنصلي². ثم تم تعيينه قنصل لصالح فرنسا بنفس المدينة، ولقد أظهر بعض النشاط لصالح الطرف الفرنسي بالمدينة سنة 1898³، غير أن إقامته بها لم تدم طويلا إذ سرعان ما عاد إلى الجزائر بطلب من السلطات الفرنسية، وبعد فترة قضاها بالجزائر عاد من جديد إلى تطوان، فتم تعيينه من جديد في منصب مستشار قنصلي ولكن بمدينة الصويرة سنة 1907، قبل أن ينتقل إلى مدينة وجدة التي توفي بها سنة 1908⁴.

- عبد القادر بن عبد اللطيف:

بعد هجرته تم تعيينه في منصب القنصل الجديد خلفا لعلال العبدى السابق الذكر الذي تم استدعاؤه إلى الجزائر⁵.

5 - نحو القصر الكبير⁶: تكون قد هاجرت بعض الأسر الجزائرية نحو القصر الكبير للاستقرار به، مع نهاية القرن 19 ومطلع القرن 20؛ والجداول التالي يوضح لنا نماذج من هذه العائلات والأسر⁷:

اسم العائلة	مناطق الزواج
الشاوش	مدينة الجزائر، وللعلم أن هذه العائلة تتواجد بتطوان.
عُدة	مستغانم
الميلود بن قدور	مسكرة
القندقي	البليدة وللعلم أن هذه العائلة تتواجد بتطوان أيضا.
أحمد التلمساني	تلمسان

1 - قام بعدة نشاطات بالجزائر قبل التحاقه بالمغرب، من بينها: العمل لمدة من الزمن في جيش الصبائية، ثم مترجما في جان البحث، commissions d'enquête بهران، ومن بين الخدمات التي عرضها على الحاكم العام بالجزائر: القيام بمهمة دراسية في المغرب تناول الجوانب التجارية والجغرافية والإثنوغرافية لتطوير العلاقات التجارية بين المغرب وفرنسا، القيام برحلة إلى السودان انطلاق من مدينة فاس... الخ، وبعدما تأكد الطرف الفرنسي من صدق نواياه لخدمة مصالح فرنسا قاموا بتعيينه في مناصب حد حساسة بالمغرب. يراجع: محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، ص-ص. 102-103.

2 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 102.

3 - عبد العزيز، السعود: تطوان خلال القرن التاسع عشر، المرجع نفسه، ص. 92.

4 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 104.

5 - المرجع نفسه، ص. 102.

6 - مدينة مغربية تقع في إقليم تطوان، أسسها العرب سنة 720هـ، ازدهرت في عهد الموحدين، اعتنى بها السلطان يعقوب المنصور فسورها وشيد بها مارستانا، أسس فيها أبو عنان المريني مدرسة استمرت في عطاها حتى القرن 16م، فشل البرتغاليون في احتلالها. يراجع: كرم البستاني، وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 439.

7 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 97.

6- نحو تافيلالت:

لقد حظيت تافيلالت هي الأخرى باستقبال المهاجرين الجزائريين الذين حلوا بها عبر تواريخ مختلفة، على غرار بني غيل وفقيق¹؛ وعلى هذا الأساس نسجل في الفترة الممتدة من سنة 1864 إلى 1889 هجرة حوالي 23 خيمة من الخيام الجزائرية من نواحي سعيدة والبيض باتجاه تافيلالت². والتي من أهمها قبائل العمور، وأولاد جريز، وذو منيع، والشعامة-الشعانية-، ومن تافيلالت كانت تهاجم القوات الفرنسية بمساعدة قبائل مغربية³.

7- نحو مراكش:

نسجل في الفترة الممتدة من سنة 1864 إلى سنة 1881 هجرة ما مجموعه 17 خيمة جزائرية من نواحي البيض بمقاطعة عين الصفراء إلى مدينة مراكش⁴. ويذكر "ميشو بيلير" أن المهاجرين الجزائريين الذين هاجروا عبر البحر ونزلوا بمدينة طنجة قد أرسلوا إلى مزغان ثم استقروا فيما بعد بمراكش⁵.

8 - نحو آسفي:

من بين المهاجرين الذين استقروا بآسفي بوجمعة العمالي⁶ في سنة 1918، بطلب قدمه مفتش الفنون الجميلة بالمغرب إلى رئيس المتحف الوطني بباريس الذي يكون قد دله على هذا الطالب الجزائري. ولقد كان له دور كبير فيما بعد في مجال الفنون الجميلة بهذه المدينة.

9 - نحو الرباط: من بين المهاجرين الجزائريين الذي هاجروا نحو هذه المدينة:

- الأديب والصحفي محمد الصالح ميسه (ت1363هـ / 1943)⁷:

هاجر بعد فرض الحماية الفرنسية على المغرب، وتذهب معلمة المغرب أنه يكون قد اشتغل في بداية مقامه بالمغرب بالترجمة في إحدى الإدارات⁸، وهجرته يكون قد لعب دور كبير في الصحافة المغربية وخصوصا الوطنية منها؛ وهذا ما سراه لاحقا. ويشير كمال كاتب إلى وجود واستقرار قسم كبير من المهاجرين الجزائريين بالرباط، غير أنه لا يذكر لنا عددهم؛ بل اكتفى بذكر أصولهم الجزائرية⁹.

1 - Michaux-Bellaire: les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, P. 5.

2 - أحمد، أمزيان: فجاج "فكيك" مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن 19، المرجع السابق، ص. 510

3 - عبد القادر، خليفي: ((موقف السلطات المغربية من حركة الشيخ بوعمامة))، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع. 12، المرجع السابق، ص. 181.

4 - أحمد، أمزيان: فجاج "فكيك" مساهمة في دراسة المجتمع الواحي المغربي خلال القرن 19، المرجع السابق، ص. 510.

5 - Michaux-Bellaire: Les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, P. 9.

6 - ولد بالجزائر العاصمة في حدود سنة 1890، تخرج من مدرسة الفنون الجميلة بالجزائر، ثم زاول تعليمه في المدرسة الوطنية في سبفر ما بين 1913-1914. يراجع: معلمة المغرب، مج. 18، المرجع السابق، ص. 6182.

7 - توني بالدار البيضاء.

8 - معلمة المغرب، مج. 9، المرجع السابق، ص. 2989.

9 - Kamel. Kateb: EUROPEENS, «INDIGENES» ET JUIFS EN ALGERIE (1830-1962), op, cit, P. 51.

- محمد المعمري الزواوي¹:

ينحدر محمد معمري من عائلة أعيان كانت لها السلطة والرياسة على المنطقة، وأفرادها أهل علم وخير، فأبوه هو أرزقي محمد أعراب الابن الأصغر لسي الحاج علي بن محمد سعيد أمين الأمناء لبني بني فترة الغزو الفرنسي حيث خلفه ابنه سي محمد أعراب سنة 1861، كما عين سي علي معمري قايد بني بني 1869 واستمرت قيادة المنطقة لهم حيث عين سنة 1892 معمري بوسعد قايد ثم عين سنة 1896 معمري قانة، ثم 1909 معمري بوسعد ثم سنة 1922 معمري أزواو وفي سنة 1927 معمري بوخالفة، وقد استطاعت العائلة من خلال قيادتها للمنطقة أن تهرب كل المشاغبين وتطمئن من جهة أخرى الضعفاء، كما كان للعائلة رجال مثقفون وحرفيين مثل الرسام معمري أزواو²، وهذا ما سنتحدث عنه في باب الأدوار.

فبعد أن تم دراسته بالجزائر العاصمة التحق محمد المعمري بن أرزقي بالمغرب، في إطار البعثات الجزائرية - الفرنسية نحو بعض الدول العربية كدصر وتونس والمغرب، وبخصوص هذا الأخير فقد تم إيفاد عدد من المثقفين لأغراض مختلفة، ولكن تحت غطاء التعليم والبحث والترجمة والدراسة والسياحة، ومن بين هؤلاء محمد معمري، وقدور بن غريبط، ومحمد لهليل، ومحمد بن شنب³. وكانت مهمة المعمري في البداية مقتصرة على إدارة إحدى المدارس الفرنسية بالمغرب، لكنه مع مرور الزمن يكون قد تقلد مناصب سامية في الدولة المغربية، وهذا ما سنشير إليه في باب الأدوار.

وإلى جانب محمد معمري نسجل هجرة مولود معمري (1917-1989)⁴ نحو المغرب حين كان عمره حوالي 11 سنة، وهناك التحق بثانوية "Gouraud" بالرباط، وأثناء مرحلة تعلمه كان يحن دائما إلى وسطه

1 - هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن معمر الذي تنسب إليه الأسرة المغربية، ينحدر من دشرة تاوريرت ميمون من قبيلة بني ياني البطرونية في جبل جرجرة من زواوة الجبلية، وها ولد ليلة الأحد 28 صفر 1303هـ/ 6 ديسمبر 1885م، ولما بلغ السادسة من عمره توفي والده فترى يتيما تحت رعاية واندته وأخيه وأعمامه. دخل المدرسة الفرنسية الموجودة بقبيلته بمحرد وفاة والده، فتلقى بها العلوم الابتدائية سنة 1318هـ/ 1899م، ثم بدأ في تعلم اللغة العربية إلى أن دخل المدرسة الثعالبية بالجزائر العاصمة سنة 1321هـ/ 1903م، وها تلقى علوم الأدب العربي عن أساتذتها السادة علي العمالي ومحمد ابن أبي شنب وعبد الحليم بن سماية، والفقه وأصوله على الأستاذ مفتي السادة المالكية بالجزائر الشيخ محمد السعيد بن زكري الزواوي، وعلمي التوحيد والتفسير عن الشيخ سيدي عبد القادر الجناوي، هذا إلى جانب تعلم الأدب الفرنسي والحقوق والاقتصاد السياسي عن أساتذة المدرسة الثعالبية الفرنسيين، بكلية الأدب والحقوق بالجزائر، إلى أن نال الشهادة العليا بالمدرسة الثعالبية سنة 1326هـ/ 1908م. يراجع: محمد معمري، الزواوي: حسن الوفاء لآل البيت النبوي في مآثر ملوك العرش العلوي،

2 - Govion, Marthe et Edmond: kitab Aáyane Al Maghrib l'Akaça, tome, 2, Op cit, P. 261.

3 - أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 3، ط. 2، المرجع السابق، ص. 56-57.

4 - ولد يوم 28 ديسمبر 1917 بقرية تاوريرت ميمون بقبيلة بني بني بأعالي جبال منطقة القبائل - من نفس قرية محمد معمري - تلقى تربيته الأولى في أحضان عائلته، دخل المدرسة في حدود سنة 1928، وفيها تعلم الحروف الأولى لمبادئ اللغة الفرنسية، ثم هاجر إلى المغرب غير أنه لم يستقر به المقام فعاد إلى الجزائر سنة 1932، أين تابع دراسته الثانوية بثانوية "Bugeaud" بالجزائر العاصمة، تحصل على شهادة البكالوريا سنة 1937، ثم انتقل إلى باريس لمواصلة دراسته، وفي سنة 1939 رجع من

العائلي وما كان يحمله من قيم لديه، ولذلك لم يستقر به المقام بالمغرب فرجع إلى الجزائر في سنة 1932م¹. وللعلم أنه عاد مرة أخرى إلى المغرب هروبا من بطش الاستعمار الفرنسي في سنة 1957، ومكث به إلى غاية نهاية سنة 1962 حيث رجع إلى الجزائر².

10- نحو مدينة سلا:

- بلقاسم بن العربي عشاش:

لقد سبق وأن أشرنا إلى هجرة آل العشاشي من تلمسان نحو وجدة في الفصل الأول من هذا الباب، ومن غير المستبعد أن يكون بلقاسم بن العربي عشاش ينتمي إلى هذه العائلة المهاجرة؛ دخل المغرب بعد توقيع معاهدة الحماية المزدوجة سنة 1912³، ويُعد بلقاسم عشاش ترجمان بارز ونشط، حيث عمل في الإدارة المغربية في عهد الحماية كترجمان للمراقب المدني الفرنسي "جون كوستي Jean Coustè" ببلدية سلا في الفترة الممتدة من 1930-1920.

11- نحو مكناس:

من خلال الاجتماع الذي ضم أعضاء لجنة بلدية مكناس⁴ المنعقد في دورته العادية يوم 15 ديسمبر 1913، برئاسة الجنرال "هنريس" الحاكم العسكري للإقليم، يكون من بين النقاط التي تم التطرق إليها مسألة

جديد إلى الجزائر أين وجد نفسه معينا في الجيش تحت القيادة الفرنسية، ثم التحق بمدرسة الضباط بشرشال، وفي شهر أكتوبر 1940 أنهى تعبته العسكرية، فالتحق بجامعة الجزائر لتحضير شهادة الليسانس في الأدب، غير أنه وجد نفسه مجنبا من جديد في صفوف الجيش الفرنسي من سنة 1942-1945، وفي سنة 1947 رجع إلى الجزائر أين عمل كأستاذ بمدينة المندية، ثم انتقل بعدها إلى ثانوية ابن عكنون بالعاصمة كأستاذ للأدب الفرنسي، ومع تطور أحداث الحركة الوطنية وتبورها فإنه كان مناضلا في حركة انتصار الحريات الديمقراطية تحت اسم مستعار وهو سي بوعكاز، وفي سنة 1957 انتقل إلى المغرب من جديد هروبا من بطش الاستعمار الفرنسي، أين مكث به إلى غاية أواخر سنة 1962، حيث عاد إلى الجزائر وشغل منصب أستاذ بجامعة الجزائر، ثم أصبح مدير مركز الأبحاث الأثروبولوجية، توفي إثر حادث مرور بالقرب من عين الدفلى يوم 26 فيفري 1989. كتب عدة روايات من بينها: العبور، الأفيون والعصا، الربوة المنسية... الخ. يراجع: جمال، شوالب: ((قراءة في ثلاثية مولود معمري)). مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع. 12، ص-ص. 188-191.

1 - جمال، شوالب: ((قراءة في ثلاثية مولود معمري))، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع. 12، رجب 1423هـ/ سبتمبر 2002م، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، ص. 189.

2 - المرجع نفسه، ص. 191.

3 - معلمة المغرب، ج. 9، المرجع السابق، ص-ص. 2980-2981.

4 - تأسست بتاريخ 17 جويلية 1913، وكان من بين المهام المنوطة بها: التكفل التام بشؤون المدينة، ولقد حدد الصدر الأعظم -محمد المقرئ- بموجب القرار المؤرخ في 20 جويلية 1913 أعمال لجنة بلدية مكناس؛ ومن بين تشكيلتها: الرئيس وهو الباشا، ونائبه الذي يشغل آنذاك رئيس مكتب الشؤون الأهلية، والحاكم العسكري الوصي على الإدارة، ومن المحتسب، وأمين المستفادات وأمين المال، ومن مراقب الأملاك المخزنية، ومدير الأشغال العمومية البلدية، ومن ثلاث أعيان من الأوربيين، وستة أعيان من المسلمين، واثنين من الإسرائيليين، ويتم تعيين أعضاء اللجنة باقتراح من الجنرال "دالبيز" قائد الإقليم لمدة سنة واحدة؛ وبموجب القرار الوزاري المؤرخ في 14 سبتمبر 1913 تم تعيين أعضاء اللجنة على النحو الموالي: الأعضاء الفرنسيون: مسيو شامو، ومسيو

الأهالي والأجانب، ونسجل من خلال الإحصائية التي تمت بهذا الشأن أن عدد المهاجرين الجزائريين المقيمين بهذه المدينة قد بلغ 40 مهاجر، من مجموع 532 رعية أجنبية مقيمة بمكناس¹.

وإذا كان "ميشو بينير" قد تطرق إلى أن المهاجرين الجزائريين بحرا نحو طنجة قد توجهوا فيما بعد للاستقرار في مراكش، فإنه يذكر لنا أيضا أن الذين هاجروا إلى المغرب برا قد توطنوا بمدينة مكناس². كما نسجل توجه عدة مهاجرين جزائريين إلى مدن أخرى كتازة وفقيه والناظور والصويرة³.

وما يمكن الإشارة إليه في الأخير أن الهجرة لم تقتصر على المدن المغربية فحسب، بل نسجل هجرة عشرات الجزائريين نحو الأرياف والبادي، ومن ما يمكن تسجيله بهذا الشأن ما يلي:

- عائلة أولاد بلحاج بأبركان، وكثيرا من العائلات بأحفير⁴.

- هجرة عدد كبير من الجزائريين الذين ينحدرون من سيدي أحمد بن يوسف الملياني، عند كل من أولاد بن عيسى، وقسم من بني مالك في الغرب بين فم سيبو وورغا، حيث يسكن عدد لا بأس به من هؤلاء الشرفاء، و يعد بن زيان بن مومن أشرفهم جميعا، الذي تكون قد أوقفته السلطات الفرنسية سنة 1905، في الوقت الذي كان فيه على رأس الوزارة الفرنسية السيد: "رينيه تايلاندي M. Saint Rene Taillandier" لكن قنصية فاس طالبت بإطلاق سراحه مع دفع تعويض مالي والحضور للاعتذار لدى الحكومة الفرنسية من قبل كبير الوزراء الذي يدعى "فدول القرنيط"⁵.

- سيدي العباس الملياني الذي استقر في شمال سيبو قبالة أولاد سيدي الشيخ الشراقة، ويكون هذا الأخير قد اكتسب في سنوات عديدة مضت على هجرته المزيد من الشهرة، لكن تصرفاته الخرقاء من جهة و المؤامرات التي كان المخزن يدبرها له من جهة ثانية؛ جعلت تلك الحظوة تتلاشى تدريجيا بمرور الوقت⁶.

ديما، ومسيو سوبا، الأعضاء المسلمون: الحاج التهامي بناني، ومولاي إدريس الكتاني، وعلال بوصفيحة، وإدريس السرعيجي، والحاج إدريس بناني، ومحمد الحنفوري، الأعضاء الإسرائيليون: حسن إبراهيم، ويوسف كويمس؛ وكان عقد أول اجتماع هذه اللجنة في 23 أكتوبر 1913. يراجع: بوشقي، بوعريسة: مكناس المدينة الجديدة (التأسيس-البنائات الإدارية-التناقضات) 1911-1939، ص-ص. 158-159.

1 - بوشقي، بوعريسة: مكناس المدينة الجديدة (التأسيس-البنائات الإدارية-التناقضات) 1911-1939، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1999، ص. 159.

2 - Michaux-Bellaire: Les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, P. 9.

3 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص-ص. 33-34.

4 - عبد الرحمان، حجرة: ((شرق المغرب ودعمه الدائم للمقاومة الجزائرية))، المقاومة وجهش التحرير، ع. 19، مطبعة الرباط، سلا، جمادى الأولى 1409هـ/ ديسمبر 1988، ص. 30. المرجع السابق، ص. 30.

5 - Michaux-Bellaire: Les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, P. 8.

6 - Ibid, P. 8.

- توجد بين بني حسن والشراقة بالقرب من سيدي غدار قرية هامة تابعة للشرفة الملاينة، والتي يعد سكانها الأساسيين تابعين لسيدي الملياني عبد الحق، الذي كان أخوه سيدي الطيب، وأبوه سيدي أحمد بن مومن حائز على بعض العلم والثقافة¹.

- بعض المنحدرين من سيدي أحمد بن يوسف الملياني وجدانهم يسكنون عند قبائل الزكارة، وهؤلاء المنحدرين كانوا على ما يبدو على رأس الشقاق أو الانشقاق الذي تعرض له بالبحث والدراسة السيد "مولييراس" M. Mouliéras².

- الشرفة الملاينة التابعين لأولاد عيسى الذين يحيط بهم أيضا خدام معروفين باسم بَدَاذُوَهْ -من بدو-، الذين اتخذوا من منزل سيدي العباس على ضفة نهر سيبو زاوية لهم لمزاولة طقوسهم الدينية³.

- كما كان البعض المنحدرين من أولاد سيدي أحمد بن يوسف يقيمون في منطقة البهاليل بين فاس وسفرو، وتحديدًا عند قبيلة غياطة شمال المغرب، ويظهر أن قبائل الملاينة والبدادوة يتكونون من نفس القبائل.

وفي نفس المنطقة توجد قبائل النواصر؛ وهما قسمان: النواصر البحارة والنواصر العرب، وقسم آخر من النواصر الشيشاوة المتواجدين بقرية زاوية بن الحاول في منطقة الحوز في قرية تدعى عزيب أولاد علي بن مسعود يسكنها منحدرون من أولاد سيد أحمد بن يوسف⁴.

أما بمنطقة الريف المغربية فنسجل بها هجرة ظرفية للكاتب والأديب والقاضي علي الحمامي (ت 1370هـ/ 1949م)⁵، وإن كنا لا تتوفر على تاريخ هجرته فإنه من غير المستبعد أن يكون حلوله بهذه المنطقة بعد نهاية

1 - Ibid, P. 8.

2 - Ibid, P. 8.

3 - Ibid, P. 8.

4 - Ibid, P. 8.

5 - ولد بمدينة تيارت في سنة 1320هـ/ 1902م؛ وهما نشأ وتعلم، وعندما بلغ من العمر 20 سنة قررت عائلته التوجه لأداء فريضة الحج فرافقها إلى ذلك، غير أنه لم يعد إلى الجزائر بعد هذا التاريخ؛ كونه كان من المعارضين للوجود الفرنسي بالجزائر. فظل يشتغل في باخرة كانت تجوب مختلف أرجاء العالم، وفي هذه الأثناء يكون قد توفرت له معلومات كافية على أحوال العالم العربي والإسلامي؛ وهو ما ولد لديه رغبة كبيرة في العمل الثوري الوطني؛ وما إن سمع باندلاع ثورة عبد المالك الجزائري في المغرب حتى بادر بالانضمام إليه فحل بالمغرب، وبعد استشهاد هذا المجاهد يكون قد انضم إلى الأمير عبد الكريم الخطاطي. ومن هناك انتقل إلى فرنسا حيث ساهم إلى جانب عدد من العاملين في تأسيس لجنة أبناء شمال إفريقيا برئاسة الأمير خالد، ومن هناك يكون قد أرسله هذا الأخير إلى موسكو على رأس وفد من الشبان الجزائريين؛ وموسكو يكون قد تعرف الحمامي على عدة شخصيات آسيوية من أبرزها هو شي مينه؛ وبعدها يكون قد زار عدة عواصم أوربية، كبرلين وجنيف؛ غير أن نشاطه التحريري قد جلب إليه أنظار الاستعمار الفرنسي فقرر اضطهاده ابتداء من سنة 1935؛ فلجأ حينها إلى المشرق العربي، واستقر به المقام في العراق بعد أن زار كل الحجاز والشام وفلسطين، واشتغل ببغداد أستاذًا للتاريخ والجغرافيا لمدة 11 سنة؛ ثم توجه بعدها نحو مصر حيث انضم إلى مكتب المغرب العربي بالقاهرة، وفي سنة 1949 تم إفاده إلى باكستان في مهمة رفقة الدكتور نامر من تونس والدكتور بن عبود من المغرب الأقصى؛ غير أن الطائفة التي كانت تقلهم تحطمت؛ وهو ما أودى بحياته وحياته رفاقه؛ ونظرًا لكانته تكون السلطات الباكستانية قد نقلت جثمانه الطاهر إلى الجزائر، وتم دفنه في مقبرة سيدي محمد الشريف بالعاصمة يوم 1 جانفي 1950. يراجع كل من: الطيب، بنونة: نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام

الحرب العالمية الأولى، فلم يتوان حينها في الانضمام إلى ثورة الأمير عبد المالك ضد الاستعمار الفرنسي بالمغرب. واستمر إلى جانبه حتى استشهاده في سنة 1926، ثم انضم بعدها إلى ثورة عبد الكريم الخطابي وظل بجانبه هو الآخر؛ غير أن فشل هذه الثورة يكون قد دفع به إلى السفر نحو فرنسا أين التقى بالأمير خالد (ت 1355هـ/ 1963م)¹، وبعد نفي هذا الأخير نحو الإسكندرية قام الحمامي برحلة طويلة في أوروبا قادته إلى مختلف عواصمها؛ وما يهمننا من وجوده بالمغرب هو مساهماته النضالية التحريرية من خلال نشاطه السياسي والفكري الذي جسده في تأليفه المشهور والموسوم بقصة إدريس، وهي قصة تعالج جزء مهم من تاريخ النضال الوطني في المغرب، سنعود للحديث عنها في الفصل الأول من الباب الرابع.

بنونة، ص-ص. 299-300. عمار، هلال: ((العلماء الجزائريون في فاس))، الدراسات التاريخية، ع. 9، ص. 43، أبو عمران الشيخ: معجم مشاهير المغاربة، ص. 167، أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 5، ص. 500، أحمد توفيق، المدني: حياة كفاف، ج. 2، ص. 130، عادل، نوبهض: معجم أعلام الجزائر، ص-ص. 167-168، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج. 3، ص-ص. 215-216، أبو عمران، الشيخ: قضايا الثقافة والتاريخ، ص-ص. 261-267، علاء، الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب، ص. 13، أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 4، ص. 133. Aly El Hammamy, Idris, P. 6.

1 هو خالد ابن الأمير الهاشمي بن الأمير عبد القادر، ولد في سنة 1292هـ/ 1875م، بدمشق وبها نشأ وتعلم. عاد طفلة والده إلى الجزائر، ونظرا للعلاقة التي جمعت بين والده وفرنسا تكون قد سمحت لفرنسا لابنه بمزاولة تعليمه بتأنيده "لوي لوجران" بباريس، ثم التحق بمدرسة سان سير العسكرية فتخرج برتبة ملازم؛ وبعد تخرجه جندته فرنسا في فرقة الصباغية بالجزائر من سنة 1897-1904؛ أدى واجب الخدمة العسكرية بالمغرب الأقصى لمدة 18 شهرا، ثم عاد على إثرها إلى الجزائر فترقى إلى رتبة نقيب سنة 1908؛ ولقد أتمته السلطات الفرنسية بالوقوف إلى جانب عمه عبد المالك في المغرب، وإلى السلطان عبد العزيز ضد السلطان عبد الحفيظ، المنافس لأخيه عبد العزيز؛ استقال من الجيش سنة 1910؛ غير أنه لم يلبث أن عاد إليه؛ شارك في الحرب العالمية الأولى ضمن الجيش الفرنسي برتبة قبطان سباحي-الصباغية-، وبعد نهاية الحرب انخرط في الحياة السياسية الوصية الجزائرية؛ فأسس جريدة الإقدام سنة 1920 التي استمرت في الصدور حتى سنة 1923، ونظرا لنشاطه المعادي لفرنسا قررت هذه الأخيرة نفيه سنة 1923 نحو فرنسا، غير أنه لم يتوقف عن مزاولة نشاطه السياسي، ومن هناك توجه نحو مصر أين ألقى عليه القبض من طرف السلطات المصرية بحجة أنه يحمل جواز سفر مزور، فحكمت عليه المحكمة الفصلية الفرنسية في الإسكندرية في شهر أوت 1925 بخمس شهور، وبعد استئناف الحكم أطلق سراحه فتوجه إلى مسقط رأسه، وظل بقية حياته هناك حتى توفي بها. يراجع: عادل، نوبهض: معجم أعلام الجزائر، ص-ص. 99-100، حميدة، عمراوي: الأمير خالد وخطاب الحركة الوطنية الجزائرية، ص-ص. 113-114،

جامعة الأميرة
علاء الدين بن علي
الاسلامية
علوم

الباب الثالث

موقف سلاطين المغرب من

المهاجرين الجزائريين.

الفصل الأول:

موقف السلطان عبد الرحمان بن هشام من

المهاجرين الجزائريين في المغرب

(1830-1859)

● موقفه من المهاجرين الجزائريين بتطوان

● موقفه من المهاجرين الجزائريين بفاس

1. قبائل الحشم وبنو عامر

2. الأشراف/الشرفاء

3. أقارب الأمير عبد القادر وأهل دائرته

1 - موقف السلطان عبد الرحمان من المهاجرين الجزائريين بتطوان:

لم يكن موقفه تجاه المهاجرين الجزائريين وليد الاحتلال الفرنسي للجزائر فقط، وإنما سبق وأن كانت له مواقف إيجابية من الجزائريين الذين حلوا بمدينة تطوان قبيل الاحتلال الفرنسي، عندما كانوا يستولون بين الحين والآخر على المراكب الفرنسية، ويقومون ببيع ما اغتتموه بالموانئ المغربية، ونلمس ذلك على سبيل المثال لا الحصر من رفضه لطلب قنصل فرنسا بتطوان؛ القاضي بطرد الجزائريين وسلب غنائمهم.

وهذا ما يتجلى لنا في الخطاب المؤرخ في 4 ربيع الأول 1244هـ، الذي أرسله السلطان إلى القائد محمد بن عبد الرحمان أشعاش، ونص ما جاء فيه بهذا الخصوص: «وبعد، فقد وافا حضرتنا العلية بالله كتابك وأحطنا علما به بما فيه، فأعلم أن أهل الجزائر إخواننا ومن أخص محبتنا فلا يحل بنا طردهم، وعليه [كلمة غير مفهومة] بطرف خفي بما يحتاجون إليه من الفرشك وغيره، وإن وجدوا سبيلا لبيع شيء من غنيمتهم... فلا تمنعهم... وهؤلاء أهل الجزائر لم يأتوا بالأسارى إلينا ولا تركهم يبيعون شيئا من غنيمتهم بإيالة أميرنا... وأما طردهم أو إزالة شيء لهم فهذا لا يقوله عاقلا»².

هذا ومنذ أن علم السلطان عبد الرحمان نبأ الاحتلال الفرنسي للجزائر العاصمة؛ عن طريق عامله بتطوان محمد أشعاش سارع إلى كتابة ظهير رحمانى إلى هذا العامل، عبّر له من خلاله عن استيائه للواقعة الأليمة التي حلت بالجزائر؛ ونص ما جاء في هذا الظهير المؤرخ في 10 صفر 1246هـ / 31 جويلية 1830: «وصلنا كتابك صحبة كتاب ابن عليل³ على شأن الواقعة التي ساءت الإسلام والمسلمين، وأقضت عيون أهل التقوى والدين، من استيلاء عدو الله الفرنضيص على ثغر الجزائر، واحتوائه على ما وجد فيها من الأموال والذخائر... إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجر المسلمين في هذه المصيبة العظيمة، وأجعل رد هذا الثغر لهم قضاء سابقا وحكما... وأجير صدع الإسلام بجاه النبي عليه السلام»⁴.

كما أنه لم يذخر جهدا في التعبير عن تضامنه مع داي الجزائر حسين باشا الذي يكون قد طلب الإذن من السلطان باللجوء إلى مدينة تطوان والاستقرار بها، فعبر له السلطان عن استعداده لاستقباله⁵؛ غير مبال بما يشكته هذا اللجوء السياسي من تهديد للسلطان والشعب المغربي؛ ونلمس ذلك من خلال الرسائل التي تم تبادلها في هذا الشأن بين السلطان وعامله محمد أشعاش⁶، ونخص هنا بالذكر الرسالة المؤرخة في 8 شعبان 1246هـ، والتي جاء

1 - قد تكون في نظرنا لاحظهم أو زودهم حسب العبارة.

2 - و. خ. ح. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى القائد محمد بن عبد الرحمان أشعاش، وثيقة رقم 25/1. ك. 3.

3 - هو أحد وجهاء يهود مدينة طنجة.

4 - و. خ. ح. ر: استياء السلطان عبد الرحمان بن هشام من الاحتلال الفرنسي للجزائر، محفظة رقم 1، وثيقة رقم 34.

5 - محمد العربي، معريش: المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول 1873-1894، د. د. ع. ماجستير، معهد

التاريخ، جامعة الجزائر، تحت إشراف الدكتور أبو القاسم سعد الله، 5 ربيع الثاني 1406هـ / 17 ديسمبر 1985، ص. 22.

6 - للإطلاع على هذه المراسلات يراجع ما كتبه هذا الخصوص في المقال الموسوم بـ: ((موقف السلطان المغربي من السداتي

حسين باشا عقب الاحتلال الفرنسي للجزائر))، منتدى الأستاذ، ع. 3، ص. 144-158.

فيها: «فقد وصلنا كتابك على شأن ما بلغنا من أن نخشن [محسن] صحب معه كتباً من باشا الجزائر، فذكره أنه لم يعطه كتباً وإنما أصحبه كلاماً لابن الطالب يستأذن في الانتقال للغرب؛ فقل له يكتب له بأنا أذنا له في ذلك. فإن سكناه ببلاد المسلمين أولى ليسمع آذانهم ويلزم جماعتهم ولا يبقى غربياً ببلاد الكفر، فإنما المؤمنون إخوة وإن ورد فلا يرى إلا ما يسره إن شاء الله»¹. ولقد قادنا البحث إلى الوقوف على أربعة وثائق تاريخية صادرة عن السلطان بشأن الداي حسين باشا².

وعلى اثر قدوم المركبين الحاملين للمهاجرين الجزائريين نحو تطوان، يكون قد كتب محمد أشعاش إلى السلطان ليخبره بشأنهم، مع تحديد زمام كل المهاجرين، وعلى اثر ذلك لم يدخر السلطان جهداً في مراسلة محمد أشعاش بشأنهم من خلال ظهيرين رحمانيين؛ يُوصيه في الظهير الأول المؤرخ في 22 ربيع الأول 1246هـ. بالإحسان إليهم وحسن معاملتهم واللطف بهم، ومن أهم ما جاء فيه: «وبعد، فقد وصلنا كتابك مُخبراً بورود المركبين الحاملين لأهل الجزائر ردها الله دار إسلام... فكل من ورد منهم قابله بالبشاشة والقبول، وأجر حواظهم بالإكرام ولين الجانب، فإن جبر القلوب واجب، وأحرى إخواننا المسلمين الذين قهرهم العدو واستولى على أملاكهم وبلادهم وفروا بدينهم، جبر الله حالهم بمنه»³.

بينما يُوصيه في الظهير الثاني المؤرخ في 23 جمادى الأولى 1246هـ/ 20 أكتوبر 1830م، بتوظيفهم في المهن والحرف التي يتقونها؛ وبضرورة الانتفاع بمواهبهم، لكي لا يبتغوا عرضة للضياع والإهمال، ومن أهم ما جاء فيه: «وبعد، فقد بلغنا أن أهل الجزائر الذين يردون منها، ردها الله دار إسلام، فيهم البحرية والطبجية⁴ والعارفون بصنع البنية⁵ والكورة⁶ والمدافع والمهارس⁷، فبوصول كتابنا هذا إليك اخترهم وأضف كل فريق إلى أهل خطته وأعلمنا بهم، فإنهم إن أهملوا بقوا عرضة للضياع»⁸.

1 - و. خ. ح. ر: موافقة السلطان عبد الرحمان بن هشام على رغبة باشا الجزائر في القدوم إلى المغرب قصد الإقامة هروباً من المعتدين الفرنسيين بالجزائر، محفظة رقم 1، وثيقة رقم 33.

2 - محمد السعيد، قاصري: ((موقف السلطان المغربي من الداي حسين عقب الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830))، منتدى الأستاذ، دورية علمية ثقافية، تصدر عن المدرسة العليا للأساتذة بقسنطينة، ع. 3، د. م. ج، قسنطينة، أبريل 2007، ص-ص. 144-158.

3 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان بشأن قدوم المركبين الحاملين لأهل الجزائر نحو تطوان وحسن استقبالهم، دورية الوثائق الملكية، مج. 1، المطبعة الملكية، الرباط. 1396هـ/ 1976م، ص-ص. 459-460. ينظر الملحق رقم 7.

4 - الطوبجية: مفرد طوبجي، وتعني الجندي المستخدم في سلاح المدفعية، وهي كلمة تركية.

5 - Bomba: وتعني اللغم، وهي قذيفة المدفع. وهي كلمة إسبانية.

6 - تعني قذيفة المدفع.

7 - تعني مدفع الهاون في الاصطلاح العسكري المغربي

8 - و. خ. ح. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان بشأن توظيف المهاجرين الجزائريين في الأعمال الحربية، محفظة رقم 1، وثيقة رقم 37. ينظر الملحق رقم 8.

ولكي لا يتحول هذا التوظيف إلى عمل إجباري في حق المهاجرين من أصحاب الحرف، فإن السلطان سرعان ما قام بمراسلة محمد أشعاش في هذا الشأن، حتى لا يكلفهم فوق طاقتهم ودون رغبتهم فهم أحرار، ونص ما جاء في هذا الخطاب المؤرخ في 19 نوفمبر 1830: «فهم أحرار، ومن أراد من الطبخية أو البحرية أن يدخل مع أهل خطته عن طيب نفس منه فأقبله، ولا تُكره أحد، ومن أراد أن يبقى عند نفسه فهو في سعة»¹.

ومن خلال الوثائق المغربية التي تم الإطلاع عليها بدور الأرشيف المغربية فإنه يمكن تتبع موقف السلطان عبد الرحمان ابن هشام من المهاجرين الجزائريين نحو تطوان، من خلال مراعاة التسلسل الزمني لصدور هذه الوثائق، التي جمعت بين توقيدهم واحترامهم، ومساعدتهم ماديا ومعنويا، وتوفير السكن والمأوى للعديد منهم، ومساعدة المتوجهين منهم نحو أداء فريضة الحج أو بالانتقال إلى كل من تونس ومصر وبلاد الشام. وعليه فإنه تم حصر حوالي 33 وثيقة بهذا الشأن؛ والتي يمكن تناولها وفق المنظور الزمني الموالي:

1- الرسائل السلطانية الصادرة في الفترة الممتدة من 19 رجب 1253هـ إلى 20 ربيع الأول 1259هـ:
- الأمر بإركاب الطالب محمد بن موسى الصنهاجي وولده وحملهما في مركب الحجاج، ويبدو ذلك من خلال الرسالة التي وجهها السلطان إلى عبد السلام السلوي، المؤرخة في 19 رجب 1253هـ، والتي جاء فيها بهذا الخصوص: «وبعد، فيرد عليك حامله الطالب محمد بن موسى الصنهاجي وولده، أحملهما في مركبنا مع الحجاج من غير كراء، وادفع له خمسة عشر ريالاً عند ركوبه»².

- السلطان يستوصي خيرا بالمهاجرين الجزائريين بتطوان، ويعفيهم من الكلف والوظائف، ونلمس ذلك من خلال الرسالة التي وجهها إلى محمد بن الرحمان أشعاش؛ والمؤرخة في 11 جمادى الأولى 1254هـ، ونص ما جاء فيها بهذا الخصوص: «وبعد، فإن أهل الجزائر ناس غرباء أخرجهم العدو الكافر من أرضهم ووطنهم، والتجئوا لآلاتنا، واستظلوا بظل عنايتنا، فينبغي أن نؤنس وحشتهم، ونعاملهم بما ينسيهم غربتهم، لأنهم إخواننا في الدين، وقد أمرنا خدمنا الطيب البياز أن يسقط عنهم الكلف والوظائف كلها قلت أو جلت رعية لذلك، وتطوان تبع لغاس، فلا تترك من يكلفهم بشيء قل أو جل، وأحسن جوارهم، وعاملهم بما يناسب حافهم، ويظهر أثر العناية بهم، والرعاية لهم، تطيباً لنفوسهم، وجيرا لخواطرهم، فإن جبر الخواطر أفضل ما تعبد الله به لعباده»³.

1 - إسماعيل مرلاي عبد الحميد، العلوي: تاريخ وجدة وأنكاد في دوحه الأجماد، ج. 1، ط. 1، مطبعة النجاح الجديدة. الدار البيضاء، 1406هـ / 1985م، ص-ص. 108-109.

2 - و. خ. ح. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى عبد السلام السلوي بشأن مساعدة محمد بن موسى الصنهاجي على أداء فريضة الحج. وثيقة رقم 39/2، ك. 1.

3 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام يستوصي خيرا بالمهاجرين الجزائريين بتطوان، دورية الوثائق الملكية، مج. 8، المطبعة الملكية، الرباط. 1398هـ / 1978م، ص. 314.

- ثناء السلطان على أحد المهاجرين الجزائريين بتطوان وعلى ولد له يحفظ الأمهات، ويتجلى ذلك من خلال الرسالة المؤرخة في متم شعبان 1254هـ، إلى القائد محمد أشعاش، ونص ما جاء فيها بهذا الخصوص: «وبعد، فقد بلغنا أن فقيها هناك جزيريا (كذا) كان قاضي المواريث بالجزائر (كذا)، وله ولد نجيب قد حفظ الأمهات كلها مع صغر سنه، وله مشاركة في العلوم وخبرة في المسائل... فبوصول كتابنا هذا إليك، رتب له سنتين أوقية في كل شهر من مستفاد الأوقاف هناك ليستعين بها على الزيادة في الطلب والنشاط فيه، ورغب والده في تدريس العلم ونشره إن قدر على شيء من غير حبر عليه»¹.

- تبرع السلطان على مهاجري الجزائر بتطوان بألف مثقال وتساوله عن عددهم، وهذا ما يتجلى في نص الخطاب الذي بعث به إلى القائد محمد أشعاش، والمؤرخ في 20 شوال 1254هـ، ونص ما جاء فيه بهذا الخصوص: «وبعد، فبوصول كتابنا هذا إليك، فرق ألف مثقال واحد على ضعفاء أهل الجزائر الذين بتطوان، وأعلمنا بعددهم، وبما وجّه لكل مسكين منهم، فقد بلغنا أن أكثرهم لا حرفة لهم، وربما يتعيش أحد بنات الأرض»².

- السلطان ينعم بدار للسكنى لأحمد الشطاب الجزائري، ويبدو ذلك من خلال الخطاب الذي بعثه السلطان إلى القائد محمد بن عبد الرحمان أشعاش، والمؤرخ في 2 ذي القعدة 1255هـ، وما جاء فيه بهذا الخصوص: «وبعد، فدار بجة الساكن بها السيد أحمد الشطاب الجزائري (كذا) قد أسقطنا عنه كراتها وأنعمنا عليه بالسكنى فيها من غير شيء يلزمه جيرا لحاله، وإظهارا لأثر إيوائه إلينا وأحيائه لجانبنا العالي بالله»³.

- تبرع السلطان بقدر من المال على ضعفاء أهل الجزائر بتطوان، ويبدو ذلك جليا من خلال الخطاب الذي بعثه إلى خادمه محمد أشعاش، والمؤرخ في 26 ذي الحجة 1255هـ، ومما جاء فيه بهذا الخصوص: «ونأمرك أن تدفع لضعفاء أهل تطوان وأهل الجزائر ألفي ريال بالتثنية يقسم عليهم بالمعروف»⁴.

- الإنعام على عبد الرحمان بن موسى الجزائري لأداء فريضة الحج، ونلمس ذلك من خلال الخطاب الذي بعث به إلى الطالب بوسلهام بن علي؛ والمؤرخ في 16 محرم 1257هـ، ومما جاء فيه بهذا الخصوص: «فحامنه

1 - المصدر نفسه، ص. 315.

2 - و. خ. ح. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام بشأن ضعفاء أهل الجزائر بتطوان، وثيقة رقم 29 / 7، ك، 2.

3 - و. خ. ح. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام بشأن الإنعام بدار للسكنى لأحمد الشطاب الجزائري، وثيقة رقم 24/8، ك، 2.

4 - م. و. م. ر: السلطان المغربي عبد الرحمان بن هشام ينعم بمال على المهاجرين الجزائريين بتطوان، دورية الوثائق الملكية، مج. 8، دورية، الطبعة الملكية، الرباط. 1398هـ / 1978م، ص. 315.

الطائب عبد الرحمان بن موسى الجزائري، أراد التوجه لأداء فريضة الحج، فأصله في مركب الحاج وأصله إلى الإسكندرية من غير شيء يلزمه، وادفع له عند ركوبه عشرين ريالاً¹.

- الإنعام بمبلغ من المال على الضعفاء والأيامى من أهل الجزائر القاطنين بتطوان، ويبدو لنا ذلك جلياً من خلال الرسالة التي بعث بها إلى خادمه محمد أشعاش، المؤرخة في 27 صفر 1258هـ، ونص ما جاء فيه بهذا الشأن: «وبعد، فبوصول كتابنا هذا إليك ادفع للمخازمية [للمخازنية] خدامنا من أهل تطوان وأيتامهم وأيمانهم ألفي مثقال بالثنائية، ومثلها للضعفاء والأيامى من أهل الجزائر، كل فريق يختص بما عينا له وأعلمنا بما وجب لهم»².

- الإنعام بقدر من المال على فقراء الجزائر المهاجرين بتطوان، والذين يكون قد بلغ عددهم حوالي 700 فقير، ويتجلى لنا ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها السلطان إلى القائد محمد أشعاش، المؤرخة في 11 ربيع الأول 1258هـ، كجواب عن رسالته التي تتعلق بشأن الفقراء من الجزائريين والتطوانيين المقيمين بالمدينة. ونص ما جاء فيها بهذا الخصوص: «فقد وصلنا وعرفنا ما فيه وعلمنا شروعتك في تفريق ما أنعمنا به على الجيش التطواني، وفقرائهم وفقراء أهل الجزائر... وما صار لكل واحد من فقراء الجزائر بعد إحصاء عددهم، وأنت اخترت التفريق على فقراء الجزائر لما أشكل عليك أمرهم لقلتهم، فتوهمت أننا ظننا كثرتهم، فالأمر كذلك، فقد كنا نظن أننا عددهم أكثر من فقراء تطوان من حيث أخرجت أنهم سبعمائة فقط، فأدفع لهم بحسب مثقال واحد لكل واحد منهم... وحاصله الذي يصرف على ضعفاء أهل تطوان أربعة آلاف مثقال، وعلى ضعفاء أهل الجزائر سبعمائة مثقال»³.

- الإنعام على الحاج محمد بن الحاج سعيد الجزائري، وابن قدور الجيجلي بـ 10000 مثقال، ويبدو ذلك من خلال ما كتبه محمد ابن إدريس -بأمر من السلطان- إلى القائد محمد أشعاش، في تاريخ 6 شعبان 1258هـ، ومما جاء في هذا الكتاب بشأنهما: «وبعد، فنأمرك أن تدفع لحامله الحاج سعيد الجزائري، وابن قدور الجيجلي النسب، عشرة مثاقيل لكل واحد منهما إعانة لهما على فقرهما، وعلى الحية»⁴.

- الإنعام على محمد بن محمد الجزائري في الوصول إلى الإسكندرية، ويبدو ذلك جلياً من خلال الرسالة التي بعث بها السلطان إلى الطالب بوسلهام بن علي والمؤرخة في 13 ربيع الثاني 1259هـ، ومما جاء فيها بهذا الخصوص: «وبعد، فإننا حامله محمد بن محمد الجزائري (كذا) رغب في التوجه بعيله للإسكندرية، فأمر الأمير

1 - و. خ. ح. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام بشأن إركاب عبد الرحمان بن موسى الجزائري نحو الإسكندرية لأداء فريضة الحج. وثيقة رقم 9/4، ك. 1.

2 - و. خ. ح. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام بشأن الإنعام على ضعفاء الجزائر وأيتامهم وإيمانهم المهاجرين بتطوان. وثيقة رقم 40.2/10.

3 - و. خ. ح. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان بشأن الإنعام على فقراء الجزائر المهاجرين بتطوان، وثيقة رقم 3/11. 2.

4 - و. خ. ح. ر: رسالة محمد ابن إدريس إلى القائد محمد أشعاش بشأن الإنعام على مهاجرين جزائريين بتطوان، وثيقة رقم 2. 21/11.

الرّزبي بحمله هو وأولاده في مركب، وأصله إليها من غير شيء، يلزمهم، ويدفع له عند الركوب عشرين مثقالاً، ويحمل لهم زادا يبلغهم الإسكندرية»¹.

- الإنعام على مصطفى بن الحاج إبراهيم الجزائري وحمته هو وأولاده السبعة إلى الحج. ونلمس ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها السلطان إلى الطالب بوسلهام بن علي، المؤرخة في 20 ربيع الثاني 1259هـ. وما جاء فيها بشأنهم: «وبعد، فحامله المصطفى بن الحاج إبراهيم الجزائري، أحمله وأولاده السبعة وزوجته في مركب الحجاج وأصله إلى الإسكندرية من غير شيء يجب عليه، والأمير يؤدي ما وجب له في الكراء، ويدفع له عند ركوبه عشرين مثقالاً، وما يكفيهم من الزاد»².

- الإنعام على أربعة مهاجرين جزائريين أرادوا الانتقال إلى المشرق العربي، ويبدو لنا ذلك من خلال الرسالة التي كتبها السلطان عبد الرحمان ابن هشام، إلى القائد محمد بن عبد الرحمان أشعاش، المؤرخة في 8 جمادى الأولى 1260هـ، وما جاء فيها بهذا الخصوص: «وبعد، فإن أربعة من أهل الجزائر سكان تطوان، وهم: الحاج أحمد ولد الرّيس، وصهره محمد بن مالك، وأحمد بن الحاج علي، ورفيقه محمد مصطفى خوجة، أرادوا التوجه للمشرق بعيالهم وأولادهم، فسرح لهم الركوب، ومن لا زاد له ولا راحلة زوّده وأكثر له ما يحمله، وأدّ عنه كراء ركوبه للإسكندرية»³.

- الإنعام بكسوة على المعلم حميدة بن جرح الجزائري، وتمتدّار من المال قدره 20 ريال، ونلمس ذلك من خلال الرسالة التي وردت على الحاج أحمد الرّزبي، والتي أعتقد أنها صادرة من ولي العهد سيدي محمد أو القائد محمد أشعاش، كوننا لم نهند إلى الجهة التي أرسلتها، وهي رسالة مؤرخة في شهر رمضان المعظم 1260هـ، ونص ما جاء فيها بخصوص هذا المعلم: «وكذلك أيضاً ورد علينا الأمر الشريف بأن نكسوا المعلم حميدة بن جراح الجزائري كسوة تناسبه ملفاً وكتاناً، وتدفع له عشرين ريالاً»⁴.

- الإنعام على قويدر بن أحمد الجزائري بالإذن له بالسفر مع عياله إلى المشرق، ونلمس ذلك من خلال الرسالة التي وجهها السلطان إلى عامله محمد أشعاش، المؤرخة في مهل ذي القعدة 1260هـ، ونص ما جاء فيها

1 - و. خ. ح. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى الطالب بوسلهام بن علي بشأن إيصال محمد بن محمد الجزائري هو وعياله إلى الإسكندرية، وثيقة رقم 16/5. ك. 1.

2 - و. خ. ح. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى الطالب بوسلهام بن علي بشأن حمل مصطفى بن الحاج إبراهيم الجزائري هو وعياله في مركب الحجاج وإيصاله إلى الإسكندرية، وثيقة رقم 18/5. ك. 1.

3 - و. خ. ح. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى محمد بن عبد الرحمان أشعاش بشأن نقل أربعة مهاجرين جزائريين بعيالهم وأولادهم إلى المشرق، وثيقة رقم 30/5. ك. 1. يراجع: محمد داوود: تاريخ تطوان، مج. 9، ص-ص. 45-46.

4 - محمد، داوود: تاريخ تطوان، مج. 9، المصدر السابق، ص-ص. 107-108. كما توجد وثيقة أخرى بخصوص هذا المعلم مؤرخة في 25 شعبان 1261هـ متقال.

بهذا الخصوص: «وبعد، فحامله قويدر بن أحمد الجزائري رغب في التوجه للمشرق بعياله، فأمر أن تسرح له الركوب من أي مرسى أراد»¹.

- الإنعام بالإذن والترخيص للعديد من العائلات الجزائرية المقيمة بتطوان في الانتقال إلى المشرق، وحسن معاملة المستقرين منهم بالمدينة؛ ونلمس ذلك من خلال الرسالة التي وجهها السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى الحاج عبد القادر أشعاش، والمؤرخة في 16 صفر 1261هـ، وذلك على اثر تتابع كتبهم ومراسلاتهم للسلطان بشأن الإذن لهم في السفر، ونص ما جاء فيها بهذا الخصوص: «وبعد، فإن أهل الجزائر القاطنين بتطوان تتابعت كتبهم لحضرتنا الشريفة على الإذن في الانتقال بعيالهم لناحية المشرق، وقد آذنا لهم في ذلك، فمن أراد البقاء هناك فاستوصي به خيرا، ولا تترك أحدا يهضم لهم جانبا، لأنهم أناس غرباء، ومن أراد السفر منهم فسرجه من غير توقف فيه على إذن خاص»².

- الإنعام على مصطفى بن الفضيل الجزائري وصهره في مساعدتهما على السفر نحو الإسكندرية، ونلمس ذلك ن خلال الخطاب الذي كتبه السلطان إلى عامله الحاج عبد القادر أشعاش، والمؤرخ في 10 ربيع الأول 1261هـ، ومما جاء فيه بهذا الخصوص: «وبعد، فحامله مصطفى بن الفضيل الجزائري رغب في التوجه للمشرق هو وصهره؛ فأمر أن تركيبهما في مركب واصل للإسكندرية من غير كراء يلزمهما، وادفع لمصطفى عشرة ريال إعانة له»³.

- الإنعام على الرايس حماني البحري الجزائري بعشرة مثاقيل، ويبدو لنا ذلك من خلال الرسالة التي كتبها السلطان إلى الحاج عبد القادر أشعاش في تاريخ 12 رجب 1261هـ، ومما جاء فيها بخصوص ذلك: «وبعد، فأمر أن تدفع لحامله رايس حماني بحري الجزائري عشرة مثاقيل»⁴.

- الإنعام على علي الحجام وبياله الأربعة عشر بتسهيل الانتقال لهم إلى تونس، من صائر بيت المال، وهذا ما كشفت عنه الرسالة التي وجهها السلطان إلى القائد الحاج عبد القادر أشعاش، والمؤرخة في 4 شعبان 1261هـ، ونص ما جاء فيها بخصوصهم: «وبعد، فحامله الحاج علي الحجام الجزائري أركبهُ هو وبياله الأربعة عشر في مركب واصل لتونس، وادفع له عند الركوب عشرين ريالا إعانة له على فقره»⁵.

- الإنعام من السلطان عبد الرحمان ابن هشام بإعانات على بعض المهاجرين الجزائريين، ومن بين هؤلاء نذكر: أحمد بن الحاج القسطيني، من خلال الرسالة التي كتبها السلطان إلى كل من الطالب بوسلهام وأحمد

1 - المصدر نفسه، مج. 9، ص. 125.

2 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى عبد القادر أشعاش، ملف الجزائر. يراجع: محمد، داود: تاريخ تطوان، مج. 9، ص. 157.

3 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى عبد القادر أشعاش، ملف المهاجرين الجزائريين،

4 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام بشأن إعانة رايس حماني الجزائري، دورية الوثائق الملكية، مسج. 2، المصدر السابق، ص. 48. ومن غير المستبعد أن يكون تاريخ هذه الرسالة هو 4 رجب، نظرا لعدم وضوح الرقم بشكل جيد.

5 - المصدر نفسه، مج. 2، ص. 53.

الرزيني، المؤرخة في 22 شعبان 1261هـ، ومما جاء فيها بخصوصه: «وبعد. فحامله أحمد بن الحاج القسطيني اركباه في مركب واصل لتونس، وأديا الكراء من صائرننا»¹. وحمودة الجزيري معلم عسكر النظام، الذي خصّه السلطان بإعانة مالية قدرها ثلاثون مثقالا، وهذا ما ورد في الرسالة التي خصّ بها السلطان الحاج عبد القادر أشعاش، والمؤرخة في 25 شعبان 1261هـ، ومما جاء فيها بخصوصه: «وبعد، فنأمرك أن تدفع لدار حمودة الجزيري معلم عسكر النظام ثلاثين مثقالا»².

- الإنعام على أحمد بن بابا الجزيري وأخوه وعيالهما التسعة في الانتقال إلى تونس، ونلمس ذلك من خلال الخطاب الذي خصّ به السلطان الحاج عبد القادر أشعاش، والمؤرخ في 28 شعبان 1261هـ، ومما جاء فيه بهذا الخصوص: «وبعد، فحامله أحمد بن بابا الجزيري أركبه هو وأخوه وعيالهما التسعة في مركب واصل لتونس وأد الكراء من صائرك»³.

وفي نفس الوقت تصادفنا رسالة أخرى صادرة عن السلطان إلى القائد عبد القادر أشعاش، بخصوص الحاج محمد بن الحواس الجزيري، ليجت له عن دار يسكنها، وأن يدفع له مبلغ من المال؛ ونص ما جاء فيها: «وبعد، فحامله الحاج محمد بن الحواس الجزيري، بوصول كتابنا هذا إليك أنظر له دوية تناسبه يسكن فيها من غير شيء يلزمه، وادفع له خمسة عشر مثقالا لإعانتة على فقره»⁴.

وسنلاحظ أن هذه الإعانات والمساعدات تبدأ في التقلص شيئا فشيئا خلال السنوات الموالية، ففي سنة 1262هـ نسجل سوى رسالتين، تعلقتا بعبد الرحمان ابن جعدون، فالرسالة الأولى صادرة حسب ما جاء في نهايتها؛ من الخدم الشريف الحسيني أحمد بضرية - ولعله أحمد بوضربة - إلى الفقيه محمد ابن إدريس يطلب منه كتابة رسالة بشأن ابن جعدون إلى الحاج عبد القادر أشعاش بتطوان، لكي يعطيه دارا يسكنها، وهي رسالة في 2 شوال 1262هـ، وبخصوص ما جاء فيها حول ابن جعدون: «سيدي عبد الرحمان ابن جعدون هاجر أرض الجزائر بأهله، وهو أبو البنات... نطلب من جودكم أن تتكرم بكتاب إلى سيدي الحاج عبد القادر أشعاش (كذا) قايد تطوان، أن يعطيه دار ليسكن فيها، ويُعيّن له مشاهر من الخبوسات لأنه راجل طالب وهذا وجهنا عندكم. وهو خير لكم دنيا وآخره»⁵.

1 - المصدر نفسه، مج. 2، ص. 62.

2 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى عبد القادر أشعاش، ملف المهاجرين الجزائريين.

3 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى عبد القادر أشعاش، ملف المهاجرين الجزائريين.

4 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى عبد القادر أشعاش، ملف المهاجرين الجزائريين.

5 - م. و. م. ر: رسالة من أحمد بوضربة إلى محمد ابن إدريس، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 17710.

وعلى اثر ذلك يكون السلطان قد وجّه رسالة -وهي الرسالة الثانية خلال هذا الشهر- إلى عامله عبد القادر أشعاش بخصوص ابن جعدون، وهي مؤرخة في 28 شوال 1262هـ، ومما جاء فيها: «وبعد، فحامله السيد عبد الرحمان ابن جعدون يبتهم بالجزائر بيت علم وصلاح، وقد قعد به الحال وأراد استيطان تطوان. فأمرك أن تنظر له دارا يسكنها من دور الأحباس، ورّتب له من مستند الأحباس ما تقوم به بنيتة على قدر عياله»¹.

وفي سنة 1263هـ نجد أنفسنا لا نكاد نعثّر إلا على رسالة واحدة صدرت عن السلطان، نحو الطالب بوسلهام بن علي، يوصيه فيها بالبحث عن سكن ملائم في مدينة طنجة لأحد المهاجرين الجزائريين المعروف بمصطفى -لعله مصطفى بوضربة- وهي مؤرخة في 2 محرم 1263هـ، أما ما جاء فيها بخصوص هذا المهاجر: «وبعد، فحامله مصطفى بوضربة (كذا) على حضرتنا العالية بالله شاكيا بأنه لم يجد محلا يسكنه، وهو من ذو البيوتات في محله، فلا بد إن كانت بطنجة دار لمخزن تناسبه فمكته منها، وأوصي به خيرا»².

وإلى جانب هؤلاء المهاجرين الجزائريين الذين شملتهم مساعدات السلطان، تُسجّل التفاتة خاصة من السلطان إلى عائلة بوضربة، التي يأتي على رأسها كل من مصطفى وأحمد بوضربة؛ الذين حظي عنده بالمزيد من التوقير والاحترام، ويبدو لنا ذلك جليا من خلال الظهائر السلطانية التي شملتهما، والتي تقدر بحوالي عشرة ظهائر، يمكن تتبعها حسب تاريخ صدورها على النحو الموالي:

ففيما يخص مصطفى بوضربة فإننا نتوفّر على ظهيرين اثنين، صدر الأول من السلطان إلى القائد محمد أشعاش، في تاريخ 9 جمادى الأولى 1258هـ، ويخص مواساته على اثر تحطم مركبه وما ترتب عنه من ضيق في تجارته بسبب ما ضاع له فيه، ونص ما جاء فيه: «وبعد، فقد ذكر حامله التاجر الأرضي الحاج مصطفى بوضربة الجزيري (كذا)، أنه تكسر له مركب وضاقت عليه تجارته بسبب ما ضاع له فيه، فأمرك أن توسع عليه فيما بذمته لجانبنا العلي بالله من الصاكة عاما واحدا من تاريخه، وقد أذناه في جلب قنطار بالثنية من الحديد من بر النصرى، على أن يؤدي ألفي ريال صاكة عنها بحسب ريال لكل قنطار، وأسقطنا عنه الباقي حبرا حاله»³.

أما الظهير الثاني الصادر هو الآخر من السلطان إلى الطالب بوسلهام بن علي، والمؤرخ في 6 رجب 1261هـ، فوجدناه يتعلق بإعانة السلطان المادية لمصطفى بوضربة، ونص ما جاء فيه بهذا الخصوص: «وبعد، فقد سرّحنا لماسكه الحاج مصطفى بوضربة وسق ألفي قنطار بالثنية من الغاسول من ثغر العرائش حرسه الله، من غير شيء يجب عليه إعانة له على شأنه»⁴. وفيما يخص أحمد بوضربة الذي شملته الظهائر الرحمانية المتبقية فإننا سنتناولها على النحو الموالي:

1 - محمد، داود: تاريخ تطوان، مج. 9، المصدر السابق، ص. 320.

2 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى بوسلهام بن علي، ملف المهاجرين الجزائريين. ينظر الملحق رقم 10

3 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى محمد أشعاش بشأن مواساة التاجر الحاج مصطفى بوضربة الجزائري. دورية الوثائق الملكية، مج. 8، المصدر السابق، 1398هـ/ 1978م، ص. 375.

4 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى بوسلهام بن علي بشأن إعانة التاجر الحاج مصطفى بوضربة الجزائري، دورية الوثائق الملكية، مج. 2، 1396هـ/ 1976م، المطبعة الملكية، الرباط. المصدر السابق، ص. 42.

- تزكية أحمد بوضربة لاستغلال معدن النحاس قرب تطوان، ويبدو لنا ذلك جليا من خلال الرسالة التي بعث بها الحاج محمد الرزيني إلى الوزير محمد ابن إدريس؛ يوصي فيها بأن يعرض على السلطان مولاي عبد الرحمان أمر استغلال معدن من النحاس من طرف أحمد بوضربة؛ على أن يصرف عليه من ماله الخاص، ويقوم بدفع ربع المبلغ من عوائد استغلاله لمنجم إلى بيت المال، نظرا للتكاليف العالية التي يتطلبها ذلك، والتي فآثرها الرزيني بمائة ألف، وبتشغيل نحو ألف رجل¹.

ومن بين ما جاء في هذه الرسالة بخصوص هذا الاستغلال: «وبعد، نعرفكم أن سيدي أحمد بوضربة قادم لعندكم ليتكلم معكم في أمري المعادل - المعادن -، لأنه تفصل مع ناس في هد لامر - هذا الأمر -؛ إذ جاء هد لامر على خطر - خاطر - مولانا نصره الله وأعطاه لادن - الإذن - يبعث على عشرة معلمين... المال لأن يحتاج لهد لامر نحوى المات ألف (نحو المائة ألف)؛ ويعط لبيت مال المسلمين الربع في الفائدة، وهد لامر فيه ربع لبيت المال عمره الله ولرعية مولانا نصره الله، لأن يحتاج تكون نحو ألف رجل تخدم في هد لامر، وهو لما يتلقا معكم يفهمكم في هد لامر، وهو رجل ذو عقل وسياسة (كذا)، وتنال منه فوائد إن شاء الله، وما تسمع منه إلا الجد، وما تتفق به معه كله يكون إن شاء الله»².

وقبل عرض هذه التزكية على السلطان ومعرفة رأيه فيها، وقفنا على رسالة أخرى صادرة هذه المرة عن السلطان إلى القائد الحاج عبد القادر أشعاش، والمؤرخة في 24 شوال 1262هـ، نجده يُنعم فيها على التاجر أحمد بوضربة بروض في تطوان، ومما جاء فيها بهذا الخصوص: «وبعد، فقد أنعمنا على التاجر الأرضي الحاج أحمد بوضربة الجزيري بالسكنى بالرياض الذي كان بيد خدمنا الحاج حد جسوس رحمه الله، فنأمرك أن تنفذه له على وجه الانتفاع»³.

وبعدما تم عرض التزكية السابقة لأحمد بوضربة على السلطان بشأن استغلال معدن النحاس، نجده قد وافق على ذلك، وهذا ما نقف عليه من خلال ما جاء في نص الرسالة التي بعثها محمد ابن إدريس إلى الحاج محمد الرزيني، والمؤرخة في 26 شوال 1262هـ، ومما جاء فيها بهذا الخصوص: «وبعد، فقد وصلنا كتابك وعرفنا مضمونه، ووصل التاجر أحمد بوضربة الجزيري، وطالعنا علم سيدنا بالغرض الذي ورد لأجله، فساعدته عليه وأذن له في الشروع فيه، وتوجه لحاله، وقد تسوقنا عقله وهو كما ذكرت من العقل والذكاء، وعلمنا ما عنده وراعينا فيه غربته ونسبته، وفي الحديث ارحموا ثلاثة، عزيز قوم ذل وغنيا افتقر وعالما بين جهال»⁴.

وفي نفس اليوم وحول نفس الموضوع بعث السلطان برسالة إلى القائد الحاج عبد القادر أشعاش مؤرخة في 26 شوال 1262هـ، ومما جاء فيها بخصوص أحمد بوضربة: «وبعد، فقد ذكر التاجر الأرضي الحاج أحمد بوضربة الجزيري، أنه ألقى (كذا) معدنا من النحاس قرب تطوان سهل العمل ببلاد الأمان، وأذن له في استخراجها.

1 - محمد، داود: تاريخ تطوان، مج. 9، ط. 1، المصدر السابق، ص. 318.

2 - المصدر نفسه، ص. 318-319.

3 - المصدر نفسه، ص. 320.

4 - المصدر نفسه، ص. 319.

والتصيير عليه من مانه الخاص، على أن يؤدي لبيت المال عمره الله الربع مما يستخرج منه، ويستبد بالثلاثة أرباع في مقابلة صائره، فأمر أن تشد عضده في ذلك وتعينه عليه»¹.

غير أن السلطان المغربي نجده في السنة الموالية يطالعنا بكتابين حول أحمد بوضربة بخصوص استغلاله لهذا المعدن، الكتاب الأول مؤرخ في فاتح ربيع الثاني 1264هـ، كتبه السلطان إلى عامله عبد القادر أشعاش قائد تطوان يطلب فيه أن يرد إليه ظهيرا كان قد كتبه لبوضربة في شأن ذلك المعدن، بعدما ظهرت بعض الأطناع الأجنبية قبل الحماية تسعى لاستغلال تلك المعادن بأحواز مدينة تطوان؛ ومما جاء فيه بهذا الشأن: «وبعد، فبوصول كتابنا إليك، وجه لحضرتنا الشريفة الظهير الذي كتبنا لبوضربة في شأن المعدن، لننظر فيه ونأمله»².

ويبدو أن معدن النحاس هذا قد وقع فعلا تحت تصرف بوضربة، لكن أمره لم يتم، وهذا مما توحى به الرسالة الآتية التي بعثها السلطان إلى عبد القادر أشعاش، يطلب فيها منه أن يسترجع ذلك المعدن من بوضربة، ويعلمه أنه عزم على عدم التعامل مع أي شخص له مخالطة مع الأجانب أو اتصال بهم³. وهي رسالة مؤرخة في 4 جمادى الأولى 1264هـ، ونص ما جاء فيها بهذا الخصوص: «وبعد، وصلنا كتابك، أحدهما جواب ما كنت التزمت به، والآخر في شأن المعدن ومعه نسخة من ظهيرنا الشريف بخط بوضربة وماله وتوجيه كتاب لير النصرى، ونحن لم نتعاقد معه، والآن ولا بد جدّ كل الجدّ في إخراج المعدن من يده وتخليه عنه، فإننا عزمنا على عدم مخالطة من له مسيس بالنصرى (كذا) ومخالطه معهم»⁴.

وفي الأخير نجد السلطان عبد الرحمان ابن هشام يهب لأحمد بوضربة قطعة أرض قرب تطوان، ولعل ذلك تسكيننا لخواطره وجبرا لحاله بعدما تراجع السلطان عن موافقته له باستغلال معدن النحاس، ومما جاء في ظهير الإنعام الذي أرسله السلطان له، والمؤرخ في 16 رمضان 1266هـ ما يلي: «يعلم من كتابنا هذا أسماء الله وأعر أمره، أننا بحول الله وقوته، أنعمنا على ماسكه الشريف أحمد بوضربة الحسيني الجزائري بالبلد التي كانت بيده نجس زلا⁵ بقبيلة بني معدان بقصد انتفاعه بما أراد ملكا يورث، فأمر من يقف عليه من عمالتنا وولات أمرنا أن يعينه ويعمل به ويجريه على مقتضاه»⁶.

وإلى جانب هذه المعاملة التي خص بها السلطان عبد الرحمان بوضربة، فإن هذا لم يمنع السلطان من إصدار أوامره بإغفاء التحار الجزائريين المهاجرين بالمغرب، من دفع الضرائب للمخزن؛ إغاثة لهم على حالهم⁷.

1 - المصدر نفسه، ص. 319.

2 - المصدر نفسه، ص. 368.

3 - المصدر نفسه، ص. 368.

4 - المصدر نفسه، ص. 368-369.

5 - أزلا: مدشر من مداشر بني معدان التي هي فرقة من قبيلة بني حزمير الجبلية العربية اللسان. يراجع: محمد، داود: تساريخ تطوان، مج. 9، ص. 441.

6 - المصدر نفسه، ص. 441.

7 - عمر، بوزيان: جنود اتحاد المغرب والجزائر (1832-1845)، المرجع السابق، ص. 139.

2- موقف السلطان عبد الرحمان ابن هشام من المهاجرين الجزائريين نحو فاس.

لقد سبق وأن وقفنا على عدة تشكيلات وأصناف للمهاجرين الذين هاجروا نحو فاس، سواء كانوا قبائل أو جماعات أو أفراد، غير أن الشيء البارز في موقف السلطان، وما تناولته الوثائق الملكية والمصادر التاريخية وجدناه يخص بالدرجة الأولى: قبائل الحشم وبني عامر، وأقارب الأمير عبد القادر، الأشراف -الشرفاء- ثم عموم المهاجرين، وهذا ما سنتحدث عنه ضمن الترتيب الموالي:

1- موقفه من قبائل الحشم وبني عامر:

لقد سبق وأن تطرقنا إلى أن السلطان عبد الرحمان، قد أنزل بنو عامر بعد مغادرتهم لدائرة الأمير على الضفة-الحافة- اليسرى لنهر سيبو بقرب جسر المشرة الشريفة في قبيلة الشراقة، وكذلك الحال مع قبيلة الحشم التي أنزلها على نفس الضفة في سافلة النهر عند ملتقى مكاس قبالة المازرية، هذا حسب ما جاء به "ميشو بيلير"¹. بينما تذكر أحد الوثائق الملكية المرسله إلى الفقيه محمد ابن إدريس المؤرخة في 13 جمادى الأولى 1262هـ؛ والتي جاء فيها بشأكم: «وبعد، فيرد عليك كُتُب أربعة...والرابع من عند كبراء بني عامر المذكورين...وقد كنا قدمنا لسيدنا أننا عينا لتزول بني عامر المذكورين ساحل بوطاهر، ثم أنكم لم يريدوا التزول به لكونه في الطرف، وأرادوا الدخول للغرب والتزول بمحل يعيشون فيه بالفلاحة، وقد عينا ضم بلاد ذو منيع من بني وردان إلى مشرع مولاي عبد الله إلى الوجلة الطويلة إلى سيدي مالك بن خده، واستحسننا عدم إرادكم ساحل بوطاهر، لأن فيه عزيز سيدنا، ومجاوركم للحاينة لا تليق بهم»².

وفعلا تم إنزالهم على الضفة اليسرى لنهر السيبو عند قبيلة الشراقة، حيث أنعم عليهم السلطان كغيرهم من المهاجرين الجزائريين بصله³ قدرها 2500 مثقال لتقسيمها على ما مجموعه 1200 خيمة تتكون من: أولاد حنفة، وأولاد زابن، وأولاد ميمون، وأولاد خالد، وأولاد إبراهيم، ولكي لا تبقى هذه القبائل عُرضة للنوضى وعدم الاستقرار عيّن لهم السلطان قيادة عليهم تتمثل في الحاج إسماعيل⁴.

أما بخصوص الحشم المهاجرين الذين كانوا يُشكلون ما مجموعه 500 خيمة، تحت إمرة الحاج سليمان ولد الحاج الجديدي، فلقد حقق لهم السلطان مطلبهم بتحديد الأرض التي رغبوا بالاستقرار فيها، الواقعة غرب قبائل

1 - Michaux-Bellaire: Les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, P-P. 54-55.

2 - م. و. م. ر: رسالة موجهة من عند أحد قادة السلطان إلى الفقيه محمد ابن إدريس، ملف المهاجرين الجزائريين. ينظر الملحق رقم 9.

3 - الصلة هي عبارة عن أموال تقدمها القبيلة للقائد، أو يقدمها القائد على الخصوص إلى أشخاص محننين أو إلى شرفاء. وعنى رأس من كان يتلقى الصلة، السلطان والمرابط المتواضع في مناسبات ولأغراض جد متنوعة، وتتميز عن الصدقة والهدية بأنها تقدم لمن يرجى نفعه أو يتقى أذاه. يراجع: الهادي، المهروي: القبيلة، الإقطاع والمخزن مقارنة سوسولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1844-1934، ص. 199.

4 - محمد، أنطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 49.

بني عامر على ضفاف نهر سبيو، كونها تتناسب وقطعان الماشية التي كانوا يمتلكونها، ولكي يسهل عليهم حرثها والاستفادة منها فيما بعد، ولم يكتف السلطان بذلك بل منح لهم صلة سلطانية تقدر بحوالي 500 مثقال¹.

ولكي لا يتعرضوا للضياع والإهمال منحهم السلطان المزيد من الأراضي قصد استغلالها في الحرث والتعمير، وهذا ما نلمسه في نص الظهير الموجه إلى ولي العهد سيدي محمد؛ المؤرخ في 27 شوال 1262هـ² : «بعد، فيرد عليك كتابا وجهه أحرار الحشم، طالعه ونفذ لهم النزول بالبلاد التي رغبوا في النزول بها إلى الغرب من فاس. نيتيسر لهم قضاء مرافقهم ومنازلهم، وأشدد يدك عليهم فإنهم الرأس والغير لهم أتباع، وقد كانوا عمدة في مخزن الترك وعليهم مدار الخدمة... والبلاد التي أرادوا نزولها إن كانت للمخزن أو لا يد عليها سلمها لهم، وإن كانت ملكا لأحد ادفع كرائها وتبقى بين أيديهم يعتمرونها بالحرثة وغيرها»³.

وتطالعنا وثيقة أخرى بشأن محاولة محمد البوحميدي الإفساد في بني عامر الذين غادروا دائرة الأمير، وذلك في نص الخطاب الذي كتبه السلطان إلى ولي عهده سيدي محمد؛ المؤرخ في مهل ذي القعدة 1262هـ، ومما جاء فيه بهذا الخصوص: «وبعد، فقد أخبرنا من يوثق به أن البوحميدي وجه علي بن القندوز واخضر بن الخالدي من بني عامر جاسوسين بقصد الإفساد في إخوانهم الداخلين لإيالتنا السعيدة، وتفريق جماعتهم ونقض عزائمهم... فبوصول كتابنا هذا إليك احتمل حتى تجعل حجة عليهما وأقبض عليهما»⁴.

وفي مهل نفس الشهر والسنة يكتب السلطان إلى ولي عهده دائما بشأن بني عامر؛ حيث يوصيه بهم خيرا، وأن يعاملهم بمزيد من البشاشة والإكرام، وعدم تكليفهم بالعسكرية والانخراط في سلك المخزنية، ومما جاء في هذا الخطاب: «وبعد، فقد وجه خدامنا بني عامر الداخلين لحضرتنا الشريفة كتابا صحبة قاضيهم الفقيه السيد محمد بن علال، وأخبر بما حصل لهم من الفرح والسرور بإيوائهم لإيالتنا السعيدة، وهجرتهم من وطن الكفر والفتنة، فاستوصي بهم خيرا وعاملهم بمزيد بشاشة وإكرام، فقد أنشأنا على إحسانك وأقروا بفضلك وامتنانك وطلبوا تأخير تكليفهم بالعسكرية والانخراط في سلك المخزنية إلى الربيع الآتي، لأنهم حديث عهد برحيل حتى يستوطنوا البلاد ويعرفوا وجوه المعاش»⁵.

وبعد استقرار بني عامر يكتفونوا قد حاولوا ترتيب زيارة للمرة الثانية إلى السلطان بمراكش كعربون وفاء لهم عنى الخدمات والتسهيلات المعتبرة التي استفادوا منها، وهذا ما نلمسه في أحد الرسائل الملكية التي كتبت إلى ولي العهد سيدي محمد - لم نهد إلى كتابتها- المؤرخة في ربيع الثاني 1263هـ، ومما جاء فيها بهذا الشأن: «وردت

1 - المرجع نفسه، ص. 49

2 - من باب التنبيه أن محمد أمطاط أرخ لهذا الظهير بسنة 1263هـ. ينظر: محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، ص. 49 هامش 4.

3 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان إلى نجله سيدي محمد، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 19098.

4 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان إلى نجله سيدي محمد، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 19104.

5 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان إلى نجله سيدي محمد، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 19103. ينظر

علينا بني عامر بأجمعهم طالبين منا انكتب إليك على زيارة سيدنا بمراكش والمرافقة معهم... وزعموا أن تخلفهم من عدم الطاقة وكثرة المطر وقلة الزاد وعدم الدواب فهذا عذرهم، وتكرر علينا قدومهم المرة بعد المرة مع عدول القبيلة وفتحهاؤها وشرقاؤها... كتبوا بطاقتهم مع بطاقتنا تصلك في شدة التسريع والمكاتبة لسيدنا»¹.

ونظرا لتخوف السلطان من أن تكون قبيلة الشراقة العربية التي تُعد جزءا من بني عامر، ونظرا لبقاء الخشم وبني عامر على اتصال مباشر ووثيق بالأمير عبد القادر، وفي ظل التوتر الحاصل بين هذا الأخير والسلطان المغربي؛ بادر مولاي عبد الرحمان بإبعادهم عن خدمة الأمير وذلك بتفريقهم، فأرسل قبائل بنو عامر إلى نواحي مراكش، وكلف القاضي الشرقي أن يقوم بهذه المهمة ويرسله مع هذه القبائل إلى مقرها الجديد مع عدد من الحيلة. وأثناء انطلاق بنو عامر وبعد عبورهم كمر سبيو، وعند وصولهم سوق الثلاثاء في شراقة، في المكان الذي يوجد به اليوم ولد با أحمد، حصلت بينهم وبين حيلة السلطان مناوشات سرعان ما تحولت إلى معركة².

وهذا الشأن يذكر "ميشو بيلر" أن بنو عامر كانوا كثيرين في الأسفل، وخلال ثلاث أيام كانوا قد انقضوا على غنائم الشراقة ثم اتجهوا إلى الحياينة، وصولا عند سوق الحد الرصيفة على حواف ورغة، وكان غرضهم تحسب الاتجاه الذي اختاره لهم السلطان لكي يتخلص منهم، واتجهوا نحو الشرق لكي يلتحقوا بالأمير الذي يكون قد أعطاهم موعدا للالتقاء بهم في القعدة الحمراء، وعندما وصلوا كما ذكرنا سوق الحد، استخدم الحياينة المكر والخديعة فأعلنوا أن بني عامر هم ضيوفهم، وقاموا على مرأى منهم بذبح الأغنام والأبقار ووضعها على النار لإضاجها، لإيهام بني عامر فعلا أنهم في ضيافتهم³.

وفي تلك الليلة أرسل الحياينة رسول إلى السلطان مولاي عبد الرحمان لإطلاعه على حقيقة الأمر. وفي صبيحة اليوم الموالي وجد بنو عامر أنفسهم محاطين بجند السلطان والحياينة والقبائل المجاورة لهم، ودخلوا في معركة حامية الوطيس استمرت مدة ثلاث أيام، وبعد أن أحس بنو عامر برجحان كفة القتال لصالح المغاربة انسحبوا ناحية أعلى ورغة، وغرضهم في ذلك إبعاد نسائهم وبناتهم عن أعين العدو، فرموا بداية بأموالهم وحليهم في النهر، كما دافع بنو عامر عن أموالهم وحرماهم دفاعا مستميتا، وصل إلى درجة أن هناك من قتل بنته وحليته مخافة أن تؤسر وهان بعده⁴، وترسوا بموتاهم واحتموا خلفهم، واستمروا في إطلاق الرصاص على جند السلطان؛ غير أن جند السلطان وأعوانه تمكنوا من القضاء عليهم ولم ينج منهم إلا القليل⁵.

أما الذين ألقى القبض عليهم فأخذوا إلى فاس، وبعد أن خيموا بعض الوقت في منطقة رأس القليعة داخل بيت الفتوح، كان قد بعث لهم أهل المدينة خبزا وصدقات قائلين لهم الله ينصركم، كونهم يعتبرونهم مهاجرين في

1 - م. و. م. ر: رسالة من أحد قادة السلطان إلى ولي العهد سيدي محمد بشأن رغبة بني عامر في ترتيب زيارته بمراكش. ملف

المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 19133.

2 - Michaux-Bellaire: *Les musulmans d'Algérie au Maroc*, op, cit, P. 55.

3 - Ibid, P. 55.

4 - أكسوس: الجمش العرموم، مخ. خ. ع. ر، رقم 965 د، ص. 220.

5 - Michaux-Bellaire: *Les musulmans d'Algérie au Maroc*, op, cit, P. 55.

سبيل الله، ثم تم وضعهم في السجن لمدة من الزمن، وبعد أن أطلق سراح من بقي منهم على قيد الحياة منهم من استقر بالمغرب، ومنهم من عاد إلى الجزائر¹.

وفي الوقت الذي كان قد قتل فيه بنو عامر من قبل الحياينة كان الحشم قد استقروا قرب واد مكناس، بالقرب من سيدي مالك بن خده؛ بعد أن كانوا تلقوا الأوامر من السلطان بالرحيل إلى مراكش عبر نهر مبيو. فلجأوا إلى المزرية وعزيب زاوية شرفة وزان حيث يتواجد سيدي عبد الكريم بن علي أخ سيدي الحاج العربي. فترجى الحشم هذا الشريف أن يتوسط لهم عند السلطان كي لا ينقلهم إلى مراكش، وأن يبقوا في المنطقة التي كانوا قد استقروا فيها من قبل، ومارسوا نشاطهم الفلاحي بها، فوعدهم الشريف بأن يكتب للسلطان وفعلا كتب له، لكن أخيره فقط بحضورهم، وكانوا قد أعطوا للشريف كل أموالهم وممتلكاتهم حتى يتقوا شر وضع رجال السلطان، وفي غد ذلك اليوم كانت الزاوية التي يقطن بها الحشم محاصرة بقوات السلطان من الجند ومن رجال القبائل ثم هاجمهم، فدافع الحشم عن أنفسهم دفاعا مستميتا²؛ غير أن جند السلطان تغلبوا عليهم في نهاية المطاف، وسبق من تبقى منهم إلى السجن بفاس ثم إلى مراكش، وبقيت أموالهم وممتلكاتهم رهينة في يد سيدي عبد الكريم³.

وخلاصة القول أن الحشم وبنو عامر كانوا قد تعرضوا في نظرنا إلى مجزرة رهينة راح ضحيتها كثير من الأبرياء من المهاجرين الجزائريين⁴، غير أننا نسجل نوع من الاختلاف بين المصادر والمراجع التي تطرقت إلى هذه المسألة، بين المؤيدين والمعارضين لما قام به السلطان وجنده؛ وهذا التباين الحاصل سنتناوله على النحو الموالي:

- الطرف المؤيد: فمن بين الذين شاطروا السلطان في هذا المسعى نذكر:

- محمد بن أحمد أكنسوس (ت1294هـ / 1877م)⁵ بقوله: «ثم دبر مكيدة-يعني الأمير- ووجه شرذمة عتيده وأمرها أن تظهر أهما عنه فارة هاربة، مع أهما مستبطنة أفاعيه وعقاربه؛ فلما تفتن مولانا لتلك الدسيسة أمر باحتياح تلك الشرذمة الحسيسة»⁶.

1 - Ibid, P. 56.

2 - عبد الرحمان، ابن زيدان: إنحاف اعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس أو عمير الآس من روضة تساريخ مكناس أو حسن الاقتباس من مفاخر الدولة العلوية وتاريخ مكناس، ج. 5، ط. 1، المطبعة الوطنية، الرباط، 1352هـ / 1933، ص. 60

3 - Michaux-Bellaire: Les musulmans d'algerie au maroc, op, cit, P. 57.

4 - لقد أشار الأستاذ إبراهيم باسين إلى هذه المسألة تحت عنوان قضية الحشم وبنو عامر في بحثه الموسوم بموقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1847، ص-ص. 404-409، لكنه لم يبد لنا رأيه بشكل صريح في هذه الحادثة التي عدها مجرد قضية سوء تفاهم وقع بين السلطان المغربي وهذه القبائل!¹.

5 - هو محمد بن أحمد كنسوس القرشي السوسي المراكشي، أبو عبد الله، ولد في سنة 1212هـ / 1796م بسوس، وبها نشأ وتعلم، تولى عدة مناصب في المخزن المغربي منها: الوزارة، وديوان الإنشاء، غير أن السلطان عبد الرحمان عزله من منصبه نتيجة للوشايات التي لحقته، يُعد من الكتاب البارعين، توفي بمراكش، من أهم آثاره: الجيش العرمم في تاريخ دولة الأشراف العلوسيين بالمغرب، حمائل الورد والتسرين في وزارة بني عشرين. الخ. يراجع: خير الدين، الزركلي: الأعلام، مج. 6، ص. 19.

6 - الجيش العرمم، مخ. خ. ع. ر، رقم 965 د.

- أحمد الناصري السلاوي بقوله: « ثم احتال-أي الأمير-بأن بعث جماعة وافرة من الحشم وبني عامر شيعته إلى السلطان، قدمهم أمامه في صورة هُرَاب مستحيرين بالسلطان، فلما اطلع السلطان على دسيسته بعث إلى أولئك الجماعة عسكر من الشراردة فاجتاحوهم بعد جهد جهيد وقتال شديد»¹.
- أبو العلا إدريس في قوله: «وسار -يعني الأمير-حتى وصل قرب تازة عازما على الدخول للمغرب، واتفق مع بني عامر والحشم على الملاقاة في وادي الخياينة؛ ودخولهم جميعا إلى الغرب بقصد التغلب»².
- ابن عودة المزارقي: «وسبب ذلك رجوعهم إلى الدائرة-يعني دائرة الأمير-في غاية الراحة والتوفير، فشرعوا في نهب الأموال وحرق الأشجار وقطع السبيل بذلك، فأمر سلطان المغرب القبائل بالتسلط عليهم»³.
- الطرف المعارض: ونذكر من بينهم:
- الأمير عبد القادر بقوله: «وكان ناسنا الذاهبون من عندنا مثل الحشم وبني عامر في تلك الأيام. قدموا وعزموا على الرجوع نحونا ففعل بهم المخلوع -يعني ولي العهد سيدي محمد- ما لم نر فعله من النصارى»⁴.
- محمد ابن عبد القادر بقوله: «فلما تمكن الأمير في أرض الريف وثبت قدمه فيها، اعتزموا على الرحلة إلى سيدهم وكتبوا إليه أن يراقبهم في بلاد مكناسة، فأجابهم إلى ذلك وارتحل بدائرته إلى كرت قريبا من جبل قلعية، ثم سار في نخبة من فرسانه إلى بلاد مكناسة، وكان بنو عامر ارتحلوا مشرقين ففطن بهم جيرانهم فطيروا الخبر إلى سلطانهم»⁵.
- العربي إسماعيل بقوله: «وعندما اتجهت القبائل الجزائرية إلى الشرق، رأى السلطان عبد الرحمان في هذا عامل من شأنه أن يعزز جانب الأمير، ولذلك وجه في أعقابهم قبيلة الشراردة تحت أوامر القائد إبراهيم بن أحمد الأكل للهجوم عليهم»⁶.
- ومن خلال هاذين الطرحين فإننا نستبعد فرضية التفاهم والاتفاق الحاصل بين الحشم وبنو عامر، والأمير عبد القادر؛ حول مسألة تهديد مدينة فاس المغربية والإطاحة بالسلطان، وذلك من خلال المراسلات الفرنسية التي دارت بين القنصل الفرنسي في طنجة والحاكم العام الفرنسي بالجزائر، التي تفيد أن تحركهم نحو الشرق كان بسبب الغلاء الفاحش في أسعار الحبوب، الشيء الذي حال دون تمكنهم من فلاحه أرضهم وتلبية حاجياتهم من الغذاء في محل نزولهم، وبالتالي فعودتهم تكون قد تحكمت فيها ظروف اقتصادية وليست سياسية⁷.

1 - الإستقصا في أخبار المغرب الأقصى، ج. 9، ص. 56.

2 - مجموع الابتسام عن دولة ابن هشام، مخ. خ. ع. ر، رقم 114 ج.

3 - طلوع سعد السعود، ج. 2، المصدر السابق، ص-ص. 241-242.

4 - مذكرات الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص. 178.

5 - تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج. 1، المصدر السابق، ص. 491. ذ

6 - المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، المرجع السابق، ص. 313.

ولكن بالرجوع إلى الوثائق الملكية نجد أن السلطان المغربي يكون قد أصدر في حق الحشم وبني عامر كثير من الظهائر الرحمانية، بعد الحزرة البشعة التي تعرضوا لها؛ ويمكن أن نوعز ذلك إلى عدة أسباب من أهمها:

- 1- فشل مقاومة الأمير عبد القادر، وبالتالي زوال الخطر الذي كان يهدده في نظره.
- 2- الضجة التي أحدثتها هذه الواقعة في صفوف نخبة العلماء والفقهاء بالمغرب خصوصا، والشعب المغربي عموما؛ وقصد تجاوز آثار هذه الحادثة بادر السلطان إلى الإلتفات بشكل كبير إلى هذه القضية التي باتت أيضا محل نقاش وحديث من طرف قناصل الدول الأجنبية؛ خاصة من طرف فرنسا؛ ويمكننا التطرق إلى هذه الظهائر حسب تاريخ صدورها على النحو الموالي:

- رسالة السلطان إلى ولي عهده سيدي محمد بشأن تعليق رؤوس الحشم التي قطعت في المعركة السالفة الذكر؛ بمدينة مراكش عبرة لغيرهم؛ وهي مؤرخة في 22 رمضان 1263هـ، ومما جاء فيها بهذا الخصوص: «وبعد، فقد وصلنا كتابك وعرفنا مضمونه، ووصل الأربعة والثلاثون رأسا التي قطعت من البعراء البغضاء الحشم، ووجهناهم لمراكش يعلقون تذكرة لمن كان على شاكلتهم، وعدمنا ما ظهر منهم من الخقد والبغض بقر بطون المخازنية والتمثيل بهم، كما وقع من بني عامر، وأن الله حكّم فيهم سيف بغيهم وأهلكهم بقيح سعيهم»¹.

- رسالة السلطان إلى ولي عهده بشأن الحشم المعتصمين والمختمين بعزيب أهل البركة الأجل سيدي الحاج العربي الوزاني، نظرا للسخرية التي باتت تلاحقهم هناك من طرف السكان: رغم قداسة المحل. طالب السلطان ولي العهد بضرورة مراعاة ظروف الحشم الذين اشتبهتهم الناس واستخفوا بهم، ونص ما جاء في هذا الظهير المؤرخ في 25 رمضان 1263هـ بهذا الخصوص: «وبعد، فقد بلغنا أن النازلين ببلاد المزرية من أهل عزيب البركة الأجل سيدي الحاج العربي الوزاني، ومن أنظاف إليهم من الملايذين بجرمه، اشتبهتهم الناس واستخفوا بهم لأجل الواقع بفساد الحشم هناك، فلا بد مُرُ بتوقيف المحل واحترامه وعدم التعرض للنازلين بإذابة أو مكروه فلا زالت حرمة كما كانت قبل أو أكثر، ولا سبيل لمن يروم النازلين به بأذى أو يقصدتهم بسوء»².

- رسالة السلطان بشأن عدم التعرض لنساء وصبيان الحشم وبني عامر الذين استرقهم الناس واستعبدوهم. وهو ما عدّه السلطان حرقا في الدين، وسبّة لا ينبغي التعامي عنها؛ فأمره باسترجاع النساء والأطفال الأرقاء من عند القبائل وجمعهم وتوجيههم للحضرة الشريفة للنظر في أمرهم، ومما جاء في هذه الرسالة المؤرخة في 12 شوال 1263هـ، بهذا الخصوص: «وبعد، فقد بلغنا أن نساء ظالمي أنفسهم الحشم وبني عامر وصبياهم تفرقوا في البلاد والقبائل وتوزّعهم الناس كالأسارى، وصار من لا يتقى الله في دينه يسترقهم ويبيعهم مثل العبيد... فلا بد حتم

1 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان إلى نجله سيدي محمد، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 20061. ينظر الملحق رقم 11.

2 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان إلى نجله سيدي محمد، ملف المهاجرين الجزائريين. سجل رقم 20067. ينظر الملحق رقم 12.

على عمال القبائل بالتقصي في جمع من عندهم من هؤلاء النساء والصبيان وتوجيههم لتنظر كيف يكون في أمرهم إن شاء الله»¹.

- رسالة محمد ابن إدريس إلى بوسلهام بن علي بخصوص الخلاف الدائر بين خليفته في طنجة و"ليون روش" حول صدور الإذن السلطاني بتسريح الحشم وبني عامر بركوهم في مراكب الفرنسيين، وعدم جواب السلطان عن ذلك، والمعاملة الحسنة التي تعرض لها مساجينهم.

ومما جاء في هذه الرسالة المؤرخة في 22 ذي القعدة 1263هـ، بهذا الشأن: «وإنما تكلم في شأن الحشم وبني عامر وطلب خروج إذن من سيدنا في ركوهم بمراكبهم، ولم يجب مولانا لذلك، فأجناه بأهم ليسوا لنا ولا لهم لكوهم حاربوهم وخرجوا عنهم، ووردوا علينا فأويناهم ظنا منا أنهم ضعفاء جاءت بهم شدة الحال، وهاجروا لإخوانهم حسبما زعموا وأحسن إليهم سيدنا حتى ظهر منهم ما ظهر من الغدر والوسوسة وخرج عليهم ما كان باطنا فيهم من الغدر والمكر، فأخذهم الله بسوء فعلهم وبما أسروه في طويتهم، ولا زال سيدنا يحسن لمساجينهم وينفق عليهم ويكرم من أتى إليه من نسائهم وضعفائهم والمسرحون يتوجهون برا حيث شاءوا من الإيالة ولا طلب عليهم ولا تباعة»².

هذا وقد قام ولي العهد سيدي محمد بتوجيه رسالة إلى والده مؤرخة في 17 محرم 1264هـ تتعلق بتوجيه ما مجموعه 60 سجين من سجناء الأمير إلى حضرة السلطان³.

- رسالة بوسلهام بن علي إلى الفقيه العربي سيدي المختار، بشأن الحشم وبني عامر المحتجزين بطنجة، والمقدر عددهم بحوالي 500 شخص، ونظرا لضيق حالهم وظروفهم القاسية التي يعيشونها، يكون قد أدى بهم ذلك إلى تشكيل نوع من الخطر على سكان الضواحي بطنجة⁴. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإنهم باتوا محل نقاش لدى قناصل الدول الأوروبية، وخصوصا فرنسا، والعار الذي لحق المسلمين من عدم الالتفات إليهم، والرسالة مؤرخة في 9 صفر 1264هـ، ونص ما جاء فيها بخصوصهم: «وقد ضاقت بهم البلاد والعباد وجنوسهم بذلك الثغر السعيد إنما هو مهانة لجميع المسلمين... وتنافسوا مع أهل البلاد في ما يأكلونه ويشربون حتى الماء قبيح، وشاع فسادهم، ووجد لهم شيطان الفرانصيص صرفة 600 ريال لكل يوم يترددون لباب ديار النصرى، وحاصسه إنما هم أهل فساد ولا مصلحة في بقائهم اللهم إن كان لمولانا غرض لا نعرفه»⁵.

1 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان إلى نجله سيدي محمد، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 19798. ينظر الملحق رقم 13.

2 - م. و. م. ر: رسالة محمد ابن إدريس إلى بوسلهام بن علي، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 19261.

3 - م. و. م. ر: رسالة ولي العهد سيدي محمد إلى السلطان عبد الرحمان ابن هشام، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 21670.

4 - Léon, Roches au G. G. A., Tanger le 25 octobre, 1848, I H 6, A. O. M. Aix en Provence

5 - م. و. م. ر: رسالة بوسلهام بن علي إلى الفقيه العربي سيدي المختار، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 21062.

وعلى اثر ذلك يكون السلطان قد أجاب في منتصف صفر 1264هـ، عن رسالة بوسلهام بن علي السالفة الذكر، بالشفاعة في تسريح الحشم وبني عامر المحتمين بشعر طنجة، ومما جاء فيها بهذا الخصوص: «فقد وصنا كتابك في شأن قونصو الفرنسيس وما طلب من كتابتك لحضرتنا الشريفة والشفاعة في تسريح بني عامر والحشم المحتمين بشعر طنجة والإذن له في حملهم فقد قبلنا شفاعتك وأذن له في حملهم فأذن له في ذلك ومُرّه بالتعجيل»¹. وفي نفس الوقت نجد هناك رسالة أخرى صادرة من السلطان إلى بوسلهام بن علي يرد فيها على اتهامات الفرنسيين بشأن منع الحشم وبني عامر من الركوب، ولو كان كذلك لمنعناهم من الوصول إلى هذا الثغر، ومما جاء فيها هذا الشأن: «وما كتب لك به القونصو المذكور من أن لو أردنا منعهم من الركوب لمنعناهم قبل الوصول إلى الثغر المذكور لكثرة القبائل التي مروا عليها في طريقهم، فأجبه عن ذلك بأنا لسنا كغيرنا ممن لا يترك أحدا يسافر من ناحية إلى ناحية إلا بكتاب، لأن الناس أحرار يتوجهون حيث شاءوا يتغنون من فضل الله لا حجر عليهم، ولو كنا أردناهم بسوء بعد ما وقع لهم ما وقع لم ينبج منهم أحد، والسلام»².

وفي الأخير نجد السلطان يصدر ظهيرا إلى الطالب أحمد بن المعطي، يتعلق بإطلاق ما تبقى من مساجين الحشم، ويأتي هذا التسريح ضمن الدفعة الثالثة من الذين تم إطلاق سراحهم؛ الشيء الذي يعكس كثرتهم. وهو ظهير مؤرخ في 2 رمضان 1264هـ، ومما جاء فيه بخصوص مساجين الحشم: «وبعد، فيرد عليك مساجين الحشم مع حشمتهم الذين قبضوا من عسكر الفتان-يعني الأمير-يوم شنت الله شملهم، أمرنا خدمنا فرّجى بتوجيههم لولدنا سيدي محمد أصلحه الله، فنأمرك أن تسلك بهم مسلك إخوانهم الذين توجهوا على يد وصيفنا الجليلي بن بوعزة من القيام بمئونتهم وإركاهم، ومن معهم من عياهم حتى يخرجوا من أياتنا ويصلوا لخدمنا الحاج موسى الغربي وعددهم ثمانون»³.

وهكذا يتم إسدال الستار عن هذه الصفحة المؤلمة من المصير الذي شنت شمل «جموع الحشم وبني عامر الذين بقوا على قيد الحياة بعد تلك الأحداث الأليمة، والمقدر عددهم حسب البعثة الفرنسية في مدينة طنجة بحوالي 1500 نسمة⁴. فأغلبهم تم ترحيلهم من المغرب عبر ميناء طنجة بواسطة مراكب فرنسية، وبعضهم الآخر سلك مسلكا برياً في العودة إلى الجزائر، ومن بقي منهم في المغرب تفرقوا شذر مذر في المدن والأرياف المغربية»⁵.

وما تبقى من الحشم منحهم السلطان عبد الرحمان أراضي عند قبائل الرحامنة، غير أن هذا الامتياز قد جردوا منه في عهد السلطان مولاي الحسن، فالبعض من الحشم استقروا فيما بعد بضواحي مراكش، وبالقدر الكبير حيث توجد عائلة الميلود بن قدور الذي سمحت له الظروف بالعودة إلى معسكر ثم الالتحاق بالمغرب مرة

1 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى بوسلهام بن علي، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 21002.

2 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان إلى بوسلهام بن علي، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 21005. ينظر الملحق رقم 14.

3 - Ismail Hamet: le gouvernement Marocain et la conquête d'Alger, op, cit, P. 121.

4 - Mission de France au Maroc, au G. G. A. Tanger le 19 Mai 1850, 1H 60, A. O. M.

5- Michaux-Bellaire: Les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, p, 58.

أخرى، ووجدت عائلة أخرى بإيزنازن حيث أستضيفت هناك لبعض الوقت ثم عادت أدراجها للاستقرار عند أولاد بن صَباح بالقرب من سوق الأربعاء وسيدي عيسى بن الحسن في الغرب حيث نجد الحاج عبد القادر الحشمي¹.

أما القاطنين منهم بحي خدّان بمدينة فاس فلقد كانوا قد أوقفوا من طرف السلطان عبد الرحمان لبعض الوقت، حيث تم إطلاق سراحهم بوساطة قام بها سي علال الشامي حاكم المدينة، وحثته في ذلك أن مدينة مولاي إدريس كانت محرمة ومقدسة -يمكن اللجوء إليها-، ومن لحاً إليها كان آمناً، فافتتح السلطان بحجة علال وأطلق سراح الحشم وبني عامر²، عدا الحاج العربي المشرفي الذي ستحدث عنه ضمن موقف السلطان من الأشراف في العنصر الموالي:

3- موقفه من المهاجرين الأشراف/الشرفاء:

لقد حظي هؤلاء الشرفاء بمكانة معتبرة عند السلطان عبد الرحمان ابن هشام، ويبدو ذلك من خلال المظاهرات العديدة التي سنّها في حقهم، والامتيازات التي خصهم بها، ومن أمثلة ذلك: «ما سنّه للمهاجرين إليه من وطن الجزائر كل سنة خمسمائة مد من القمح بالمد الفاسي لخصوص الأشراف منهم، مع خمسمائة مثقال كذلك؛ وكان بها خمسمائة ريال أو ما يقرب منها وذلك زيادة على صلته لهم في الأعياد، وكذلك عوامهم من أهل الحرف والزراعة، وقد أصدر أوامره لعماله باحترامهم وتوقيرهم وعدم تكليفهم بأي كلفة من الكلف المخزنية قلت أو جلت، وأن لا يُسامون بمغرم ولا هدية رعيًا لهجرهم وتغريمهم عن أوطانهم»³. ولقد تم توزيع هذه الصلات على الشرفاء المهاجرين بفاس على النحو الآتي⁴:

أصول الأشراف	القيمة المالية/ المثقال	كمية القمح/ المد الفاسي
الجزائر العاصمة	100	100
شرفاء مستغانم	100	100
شرفاء تلمسان	100	100
شرفاء الحشم	100	100
شرفاء بني عامر	100	100
المجموع	500	500

ويذكر "روحي لوتورنو" أن السلطان عبد الرحمان قد منح للمهاجرين الشرفاء صلة أكثر مما ذهب إليه ابن زيدان، والتي قدرها بحوالي 800 مد من القمح و800 مثقال، ويشير إلى أن هذا السخاء أصبح منقطع ابتداء من

1- Ibid, P. 58.

2 - Ibid, P. 59.

3 - عبد الرحمان، ابن زيدان: إتخاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج. 5، المصدر السابق، ص-ص. 123-124.

4 - المصدر نفسه، ص-ص. 124-123.

عهد السلطان مولاي الحسن¹. وللعلم أن هذه الصلوات كانت توزع في الوقت نفسه على الشرفاء المهاجرين بوحدة، وهي تفوق ما كان يمنح للأشراف بفاس، فهي تصل إلى حوالي 1000 مثقال و1000 مُد من القمح سنويا²؛ أما العناصر المشرفية البارزة في عهد السلطان عبد الرحمان ابن هشام؛ والمستقرة بفاس فإننا سنتنصر حديثنا على البعض منها في ما يلي:

1- الفقيه ابن عبد الله السقاط:

يبدأ موقف السلطان مع السقاط قبل هجرته إلى المغرب، ويتجلى لنا ذلك من خلال الخطاب الذي بعثه للأمير عبد القادر، يلتمس منه الموافقة على هجرة السقاط إلى المغرب بناء على طلبه، كما سبق وأن ذكرنا في الفصل الأول من الباب الأول، فيعد سقوط الزمالة هاجر السقاط نحو المغرب، وعند وصوله إلى وحدة وجدناه قد كتب إلى السلطان ملتصقا منه مساعدته في الوصول إلى فاس فلبى السلطان طلبه أيضا بما أرسله له من بغال وأحصنة وجنود لحماية قافلته من خطر الطريق، فوصلت آمنة سالمة إلى مدينة فاس، ثم أنعم عليه السلطان بمثل للسكنى بدار زموري في درب تادلة غير أن السقاط أرسل إليها عائلته فقط³، ثم تحصل على وظيفة التدريس والفتوى، ومن برور السلطان به حضوره لمجالسه والاستماع إليه في مجلس صحيح البخاري، كما كان يغدق عليه الأموال جراء القصائد والأشعار التي كان يؤلفها.

لقد استقر السقاط في بداية الأمر بزواوية الشرفة الصقاليين في طريق "صباة لويات بمحاذاة حسر بن الماضون، ثم كتب إلى السلطان الموجود آنذاك بمكناس يخبره بقدمه، مظيفا بأنه كبير السن وأن المنزل الذي منحه له بعيد عن مسجد القرويين، وأنه يريد سكنا أكثر قربا من هذا المسجد لأداء صلاته، ثم طلب منه في النهاية بأن يجعله شريف إدريسي؛ فرد مولاي عبد الرحمان بأن استضافه للحضور إلى مكناس لمشاركته في الاحتفال بالمولد النبوي، واعداد إياه بأنه يستجيب إلى كل رغبته.

ويذكر "ميشو بيلير" أن السقاط توجه فعلا نحو هذه المدينة غير أنه توفي في الخرومة في سهل الساييس في منتصف الطريق إلى مكناس، ودفن في مزار سيدي محمد بن عيسى مؤسس الطريقة العيساوية⁴. غير أن أبو القاسم سعد الله يذكر أنه استمر به الحال في الوظيفة السابق لمدة عشر سنوات حتى أدركته الوفاة وهو في طريقه إلى مكناس، قيل مسموما وقيل مخنوقا سنة 1270هـ / 1850م⁵.

وهذا الرأي نشاطه بناء على أن السلطان كان قد استجاب فعلا لطلبه وعدّه من الأشراف، ويبدو ذلك من خلال الظهير الذي استظهره له؛ وكان قد منحه للأشراف المنحدرين من عائلة سيدي عبد القادر المشرفي وأعفاهم

1 - روجي، لوتورنو: فاس قبل الحماية، ج. 1، المصدر السابق، ص. 294.

2 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 36.

3 - Michaux-Bellaire: Les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, P. 59.

4 - Les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, P. 47.

5 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 7، المرجع السابق، ص. 42.

توجه من الضرائب، كما ضمن للسقاط مكانة معتبرة ومستقلة ومحترمة¹. فعند السقاط إلى عائلته بالجزائر التي طلب منها أن تلتحق به في المغرب.

وبخصوص الظهير الذي أصدره السلطان حسب "ميشو بيلير" فإنه كان بحوزة محمد بن الشيخ المشرفي الابن الأصغر للفقير السقاط، ونص ما جاء فيه²: « يتوجب علينا إعلامكم بواسطة رسالتنا هذه أننا قررنا أن نحاط كل المنحدرين من عبد القادر المشرفي بمالة من الاحترام والشرف بسبب عراقة نسبهم، لذلك نعتبرهم أهلا للتمجيد والاعتبار والإكرام، هذا الاعتبار من طرفنا لهم راعيناه فيه أصولهم الشريفة، فلا يحق لأي كان أن يعارض ما جاء في الوثيقة ولا ينقص منها أو يزيد عنها، وعلى كل من يعلم بقرارنا هذا أن يطبقه بخدايره ولا يخالفه»³.

حرر في 15 شوال 1247هـ / 18 مارس 1832م. وللعلم أنه جرى الاعتراف بهذا الظهير والعمل به من قبل خلفاء السلطان مولاي عبد الرحمان، الذين كان أحدهم مولاي عبد العزيز في 16 شوال 1315هـ / 10 مارس 1898م⁴.

وبعدما اطلع السلطان عبد الرحمان على الظهائر التي كانت تعني الأشراف المقيمين بالجزائر من طرف الحكام والولاية الأتراك، والتي هي بحوزة سيدي محمد المشرفي نزيل مدينة فاس، حسب "ميشو بيلير"، والتي تعود إلى النصف الأول من القرن 11هـ / 17م، اتخذ قرارا يعني بتوجيه كل الأشراف المهاجرين من الضرائب، وهذا الظهير لا يوجد آنذاك مطلقا حسب "بيلير"، غير أن سيدي محمد بن الشيخ المشرفي يمتلك رسالة من حاكم مدينة فاس سيدي محمد بن طالب التستفي كتبت تحت على تنفيذ الأوامر التي احتواها ذلك الظهير من قبل سنطات فاس⁵.

ونص ما جاء في هذه الرسالة:

«نعني بحمد الله تعالى وبأمر من ولينا نصره الله كل الذين تركوا أرض الكفار - يقصد الجزائر - والتحقوا بفاس... قاصدين بلادا إسلامية بعد أن اجتاحت بلادهم الكفار، وعليه فإن المقدمين والعرفاء إذا قاموا بجمع الضرائب على هؤلاء المهاجرين مهما كان نوعها فإنهم لن يضرروا إلا أنفسهم»⁶.

1 - Michaux-Bellaire: *Les musulmans d'Algérie au Maroc*, op, cit, P. 64.

2 - يذكر "ميشو بيلير" أن هذا الظهير أصدره السلطان في حق الفقير السقاط. غير أنه يؤرخ له بتاريخ كان السقاط موجود فيه بالجزائر، وهو سنة 1832م، وما اعتقدناه هو أن السلطان يكون قد استظهر بهذا الظهير للسقاط فقط من باب التذكير بالامتيازات التي شرعها للأشراف الذين هاجروا إلى المغرب قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر وبعده مباشرة. والله أعلم.

3 - Michaux-Bellaire: *Les musulmans d'Algérie au Maroc*, op, cit, P. 64.

4 - Ibid, P. 64.

5 - Ibid, P. 67.

6 - Ibid, P. 66.

أنفسهم»¹. وللعلم أن هذه الرسالة وردت مُدَيِّلة بقائمة لأسماء المهاجرين الجزائريين الماشتمين المقيمين آنذاك بفاس، من غير الأشرف، بأسمائهم، حالتهم العائلية، وهم عدد. التوجه المذكور²:

أسماء المهاجرين	الحالة العائلية	أسماء المهاجرين	الحالة العائلية
بن يمينة	مات وترك ولدين يقيمون بفاس في حي المخفية	سحنون	مات دون أن يترك أطفال
أبو زايد	توفي دون أن يترك أطفال	الخطيب بلزاهف	مات دون أن يترك أطفال
الموسون (الموزون)	مات وترك بنت أرملة، تسكن منزل سيدي محمد بلعرج	العربي بن العوي	مات دون أن يترك أطفال
الخطيب بلبالي	مات دون أن يترك أطفال	أولاد بن بوقاش	لم يبق منهم أحد في فاس، عدا واحدا فقط كان قاضيا بمدينة وجدة
الميلود بن يحيى	مات دون أن يترك أطفال	الجمعي	توفي، وترك أحد المحدرين منه يسكن بفاس في قصبة النوار - قصبة فيلاثة - بالقرب من الباب الخروف
عبد الله الجاهري	مات دون أن يترك أطفال	عبد الله	مات دون أن يترك أطفال
بوزيان	مات دون أن يترك أطفال	أحمد الأعوج	ترك طفلا غير أنه توفي بعد ذلك
أحمد التيجاني	ترك طفلا يسكن في حي الجزيرة بفاس	داخ	خادم سيدي أحمد العواري، ترك امرأة ثكنى وطفلا
عابد	مات دون أن يترك أطفال	أحمد الشيخ الشيباني	مات دون أن يترك أطفال
أولاد المولود	مات دون أن يترك أطفال	الحاج محمد بن انعبة العمري	ترك طفلا يسكن الجزيرة بفاس
الحاج محمد البرار المعاري كان عمره 18 سنة	أحد أولاده يسكن فاس في حي العنوة، يعمل في صناعة الصابون، لكنه توفي حسب "ميشو بينير"، وله أخ يقطن في وهران في قرية ذات عالية زنجية.	الحبيب وثاء ماجحي	ترك طفلا يقطن بدارب القاضي في فاس ³ .

2- أبو حامد العربي المشرفي:

لقد استقر المشرفي بمدينة فاس ضمن قافلة ابن عبد الله السقاط، غير أن الأحداث التي تسببت في مذبحه الحشم وبني عامر السالفة الذكر، دفعت بالمشرفي إلى الظهور على مسرح الأحداث، وذلك من خلال القيام المخزن للمشرفي أنه كان على علاقة مباشرة بهذه القبائل وبالأمر عبد القادر، وهذا من خلال وقوف السلطان حسب "دي كوسي بريزاك" على رسالة كتبها المشرفي إلى الأمير قصد الالتقاء به في القعدة الحمراء بجانب الحشم وبني

1 - Ibid, P. 66.

2 - Ibid, P. 66.

3 - Ibid, P. 67.

عامر¹، وبناء على ذلك أصدر السلطان أوامره بإلقاء القبض على المشرفي مباشرة بعد تلك الواقعة، وكاد أن يقطع رأسه ضمن رؤوس الحشم وبني عامر التي قطعت، لولا التدخل والاعتراض الذي أبداه قائد مدينة فاس سي علال الشامي لصالح المشرفي، ولكن هذا لم يمنع السلطان من الإلقاء به في السجن².

وفي ظل وجوده بالسجن حاول المشرفي الدفاع عن نفسه بنفي التهمة الموجهة إليه، والتي اعتبرها مجرد تصفية حسابات لا غير، ويبدو ذلك من خلال الرسائل التي كانت تصدر منه باتجاه السلطان للصفح عنه، كما أن عائلته لم تبق مكتوفة الأيدي أمام هذا المصير الذي بات يهدد المشرفي؛ واعتبرت أن الرسالة التي كتبها المشرفي هي رسالة مُزورة ولا أساس لها من الصحة، إلا أن هذا لم يُجد نفعا لدى السلطان وحاشيته، ويذهب "ميشو بيدير" إلى أن المشرفي ظل سجينا حتى وفاة السلطان عبد الرحمان ابن هشام سنة 1859³، غير أنه وجدنا أن المشرفي قد ذهب إلى الحج وزار الجزائر في حدود سنتي 1848-1849، وهو ما ينفي بقاءه في السجن طيلة المدة السابقة. وهذا ما جاء على لسانه في مخطوطه الموسوم بأقوال المطاعين في الطوعن والطواعين.

ومن الملفت للانتباه أن المشرفي وهو بالسجن كتب العديد من القصائد الشعرية إلى ولي العهد سيدي محمد يستحديه فيها لإطلاق سراحه، من التهمة التي وجهت إليه، لأن السلطان أعرض عن المشرفي وكلف سيدي محمد متابعة ملفه، ففي هذه القصائد حاول صب جام غضبه على الأمير عبد القادر، والميلود بن عراش، ومما جاء فيها بخصوص الأمير⁴:

سُحنت بظلم وهو مطلع على سريرد عبد فيما يأتي ومسا مضى
رماني عدوي بالذي فيه عيرة وحق بأن يرمى به فتغلظا
فإني سني الشريعة تمديني وضدي ابن ماحي الدين متدع

أما بخصوص ابن عراش، الذي كتب عنه قصيدة تتكون من 23 بيت، يتهمه فيها بالوقوف وراء الإلقاء به في السجن، من خلال الوشاية به لدى المخزن، كما يصفه فيها بأقبح الصفات، ويظعن في أصله ونسبه، ويعيب منها أيضا على الأمير عبد القادر الذي عين ابن عراش وزيرا لخارجيته، ومما جاء فيها⁵:

لكن أصلك إسرائيلي تبغضنا يا ملعون الأصل من أفاك غشاش
يكفيك سجننا فأكثر شرب ماحية ويوم سيكتم فأحسن الفراش
فسلا أساقفة الملاح تبغضنا كبغض هذا الذي يدعى ابن عراش
وما ولاك ابن ماحي الدين في ثغر حتى جفأ ربه جفأ نباش
فكنت سيئة من سيئاته لم تقل ملئت صحيفتي وكناش

1 - Ph. De Cossé Brissac: **la France et le Maroc pendent la conquête d'Algérie**, Hespéris, Tom. XIII, 1931, fasc. 1, P. 209.

2 - Michaux-Bellaire: **Les musulmans d'Algérie au Maroc**, op, cit, P. 59.

3 -Ibid, P. 59.

4 - أبو حامد العربي، المشرفي: **أقوال المطاعين في الطوعن والطواعين**، المصدر السابق، ص. 40.

5 - المصدر نفسه، ص-ص. 40-41.

ومن خلال ما كتبه المشرفي إلى ولي العهد سيدي محمد يمكننا الوقوف على ظروف السجن القاسية التي كان يعاني منها رغم مكانته العلمية وأصوله المشرفية، ومما جاء فيها بهذا الخصوص¹:

- | | | |
|----------------------------|---|--------------------------------|
| فساقية تجري من البول وحده | ✿ | وسائلة بين المساجين في الفضاء |
| ورائحة الأقدار منها تشمها | ✿ | وقد أحرقنا منا الحياشيم ثمضا |
| وزد هيج الأمراض ووطأ مزابل | ✿ | ومنها تولد الوباء وتغرضنا |
| فهذا مطعون في الفؤاد وحصره | ✿ | بسيف القضا ومقادير الله ما مضى |

وعلى إثر فشل مقاومة الأمير عبد القادر، والاحتفالات التي قام بها المخزن على أثر ذلك في العديد من المدن المغربية²، تكون هذه المظاهر قد دفعت بالسلطان إلى إطلاق سراح كثير من المساجين الجزائريين الذين أُلقي عليهم القبض أثناء معركة الحشم وبني عامر، ومن غير المستبعد أن يكون المشرفي من بين المعتقلين المفرج عنهم.

وبعد أن أطلق سراحه تكون قد شملته الظواهر الرحمانية والصلوات التي كان يمنحها السلطان لصاح المهاجرين الجزائريين، وعلى أثر الوساطة التي قام بها قاضي مدينة مكناس السيد العباس بن كيران لدى السنطان قصد إعانة المشرفي على أداء فريضة الحج، قام السلطان بمنحه قدرا كافيا من المال؛ وسمح له بالإبحار بحانا مع جملة الحجاج المغاربة الذين سيؤدون هذه الفريضة في سنة 1849؛ وبعد أدائه مناسك الحج رجع المشرفي من حديد إلى المغرب، إلا أنه لم يحظ كغيره من الأشراف بمزيد من التوقير والاحترام، ربما بسبب الخلفية التاريخية السالفة الذكر. حيث تم تعيينه في منصب من الدرجة الثانية لتدريس الصبيان، وهو منصب أقل من شأنه؛ عكس أقرانه الجزائريين الذين عُيّنوا في مناصب من الدرجة الأولى في جامع القرويين.

ونظرا لعدم توافق هذا المنصب مع مكانته العلمية، والظروف الاجتماعية القاسية التي بات يعانيها، يكون قد عبّر عن سخطه وتدمره من خلال ما بات يكتبه من شعر، ومن بين ما قاله في هذا الشأن على سبيل المثال³:

- | | | |
|----------------------------|---|-------------------------------|
| وكنا أهل ثروة في القوم | ✿ | ولنا ثأنا عاليا في السوم |
| لنا أصول وعقار | ✿ | ولنا جاهد زانه وقسار |
| وهجرنا العقار والوقسارا | ✿ | وتركنا الخائط والجسدارا |
| وفررنا بالدين نحو المسلمين | ✿ | ونبذنا السبكني من بر المحرمين |
| وجئنا واستوطننا أرض فاس | ✿ | حمدنا الله بلا قياس |
| فمرحبا بالفقر فخر الأنبيسا | ✿ | ولكن ضرنا لسان الأغيبا |

ولم يكتف المشرفي بما كان يكتبه من قصائد شعرية تعبر عن حاله، بل خرج من مدينة فاس باتجاه القبائل المتواجدة بضواحيها، كقبائل سلاس، وأولاد جامع، والشراكة طلبا للحصول على ما يسد به رمق عائلته من حالة

1 - المصدر نفسه، ص. 42.

2- Hamet, Ismaïl : *Le gouvernement Marocaine et la conquête d'Alger*, présentée, Ali Tablit, Thala éditions, les éditions Chihab, Alger, 1998, P-P. 117-119.

3 - أبو حامد العربي، المشرفي: *أقوال المطاعين في الطعن والطواعين*، المصدر السابق، ص. 49.

الفقر التي باتت تهددها، غير أن هذه القبائل تنكرت له ولم تسعفه في مصابه، وذلك ما نلمسه من قصيدته الشعرية التي قالها بهذا الخصوص¹. ولعل إحجام هذه القبائل عن مساعدته له ما يبرره؛ فهل هو الخوف من عيون السلطان التي كانت تراقب تحركات المشرفي؟ أم أن هذه القبائل كانت تعاني من نفس المعاناة التي يعانيها المشرفي؟ وخلاصة الأمر أن المشرفي رجع خائبا ولم يحصل على مبتغاه من هذه القبائل، وعندما حلّ بأسرته وحدها تعالي من ضيق شديد، وأنها رهنّت كثير من كتبه في سبيل الحصول على القوت، ومما قاله في هذا الشأن:

رجعت خائبا صفر اليدين لأهلي صرت مملوءا بالدين
أفئتهم قد رهنوا التصريحا وديوان الصفر والتوضيحا
وفي الدقيق رهنوا الموطى لما رأوا نخسلي قد توطى
بالجوع لأنه صغير السن وجساع كل قسوي مسن
وأم عيالي تقول للحميع سيأتي رب البيت بالقوت المريع

وبعد وفاة السلطان عبد الرحمان، وتولي نجله سيدي محمد الحكم من بعده، بدأت تلوح في الأفق بعض التطورات الإيجابية لصالح المشرفي، ويبدو ذلك من خلال ظواهر الإعفاء والتوفير والاحترام التي تحصل عليها من لدن هذا السلطان، وهذا ما سنعرفه في المرحلة الموالية مع موقف السلطان سيدي محمد من المهاجرين الجزائريين².

4- موقفه من أقارب الأمير عبد القادر وأهل داترتسه:

قد لا يسعنا المقام في تتبع موقف السلطان عبد الرحمان ابن هشام من كل هؤلاء؛ ولكن سنقدم بعض العيّنات التي تسنى لنا الوقوف عليها وتتبعها بشكل جيد، ومن بين هؤلاء نذكر:

1- محمد البوحيميدي سفير الأمير لدى السلطان المغربي:

على اثر تصاعد حدة الخلاف الذي نشأ بين الأمير عبد القادر والسلطان عبد الرحمان ابن هشام، وأملا في فتح باب الحوار والتفاوض مع السلطان قام الأمير بإيفاد محمد البوحيميدي سفيرا عنه إلى السلطان، بعدما أخذ الشيخ محمد بن عبد الرحمان الكرومي الأمان له³؛ فقام الأمير بتوجيه سفارة إلى السلطان وضع على رأسها محمد البوحيميدي، وهي سفارة ضمنها الأمير رسالة خطية وبعض الهدايا الثمينة، فكان وصولها مدينة فاس يوم 27 نوفمبر 1847، وفي يوم 3 ديسمبر تم استقبالها من طرف السلطان⁴، وهنا تختلف الروايات التاريخية في النصير الذي آلت إليه هذه السفارة. وهذا ما سنشير إليه في الروايات الموالية:

- 1 - للمزيد من المعلومات حول حياة المشرفي بالمغرب، بطالع ما كتبناه بهذا الشأن في المقال الموسوم بـ: ((أبو حامد العربي المشرفي وتراثه المخطوط بالمغرب الأقصى))، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع. 24، ص-ص. 223-252.
- 2 - محمد السعيد، قاصري: ((أبو حامد العربي المشرفي وتراثه المخطوط بالمغرب الأقصى))، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع. 24، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع. عين مليلة، ذي الحجة 1428هـ / ديسمبر 2007م، ص. 240
- 3 - مذكرات الأمير عبد القادر، المصدر السابق، ص. 123.
- 4 - إبراهيم، ياسين: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1847، د. د. ع. إشراف أحمد بوطالب، ك. آ. ع. إ، جامعة محمد الخامس، الرباط. المغرب، 1407هـ / 1987، ص. 417.

تذهب الرواية الأولى إلى القول أن السلطان لما دخل عليه البوحميدي وجلس بين يديه قال له أبو زيد-يعني السلطاني-: «ماذا تريدون؟ فقال له البوحميدي: نريد مخاطرك ورضاك عنا والعفو عما سلف من الذنب، فقال له أبو زيد: اسمع أقول لك: إن أحب الحديث إلى الله أصدق، وإنني لا أقبل منكم إلا إحدى الخطتين: إما الدخول لداخل الإيالة فتنزلون عندنا في عز وإكرام، وإما تخرجوا من الإيالة، وتتوجهوا حيث شئتم ولا أقبل منكم غيرها»¹. بينما تذهب الرواية الثانية إلى القول أن البوحميدي وحده السلطان في منتهى الغضب والاحتداد، فأقدمه بقتل القائد الأحمر، ثم منعه من الكلام، وذكر له أنه لن يعطي الأمان للأُمير إلا إذا حضر بنفسه إلى مدينة فاس.

وقد ذكر بعض الذين حضروا هذا اللقاء إلى "دي شاستو" أن السلطان كان يزيد كحامل هاجح². ونظرا لهذا الموقف الصعب تم إلقاء القبض على البوحميدي ثم رمي به في السجن؛ حيث أجز من طرف أعوان السجن على تناول السم وهو ما أدى إلى وفاته³. ونظرا لهذه الواقعة الأليمة تتحدث أحد التقارير الفرنسية على تطلع كثير من المهاجرين الجزائريين بالمغرب إلى رغبتهم في العودة إلى الجزائر وعددهم 1500 شخص⁴.

بينما يذهب ابن زيدان في إتحافه إلى القول أن السلطان: «أكرم وفادته واقتبله بجمان أبي الجنود، ولما مثل بين يديه وبلغه ما أتى لأجله... فطلب البوحميدي الإمهال فأمهله صاحب الترجمة وأمنه وأبقاه في ضيافته»⁵. ولم يكتف بذلك بل أورد رسالة كتبها الأمير عبد القادر وهو بالسجن في فرنسا إلى البوحميدي في المغرب، يسأل فيها عن أحواله، وهي مؤرخة في 10 ذو القعدة 1264هـ، ونص ما جاء فيها بهذا الخصوص: «من عبد القادر بن محيي الدين... إلى أخي سيدي محمد بن أحمد البوحميدي الوطاسي... فإني نسأل عن أحوالك ونرجو أن تكون في نعمة مثلنا... وقد بلغنا أن لك وجها عند السلطان وقد الله للخير وأمانه، ولا ننسانا عند ضريح الترياق الدرياق-المغرب مولانا إدريس، وعند غيره من أهل الله أحياء أو أمواتا»⁶.

- 1 - محمد، المهناوي: ((مقاومة المولى عبد الرحمان لفرنسي الجزائر من خلال مخطوط الابتسام عن دولة ابن هشام أبي نعل - إدريس))، مركز البحوث والدراسات العلوية، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، أعمال الدورة الخامسة، ديسمبر 1993. ص. 79.
- 2 - يحي جلال، وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، دار المعارف، القاهرة، 1982. ص. 311.
- المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، ص. 317.
- 3 - محمد السعيد، فاصري: العلاقات الجزائرية المغربية (العرب الجزائري والمغرب الشرقي نموذجاً)، المرجع السابق، ص-ص. 206-207. ولقد تكاد تجمع كل المصادر والمراجع الجزائرية بالخصوص على هذا المعبر المؤلم الذي انتهى إليه البوحميدي، والتي من بينها: مذكرات الأمير عبد القادر، ص. 123، محمد ابن عبد القادر: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج. 1، ص. 493، محمد السعيد ابن محيي الدين: نبذة عن حياة الأمير عبد القادر وأسرته، م. م. ج. ج. ص. 13، عبد الرحمان الجليلي: تاريخ الجزائر العام، ج. 4، ص. 227، أديب، حرب: التاريخ العسكري والإداري ج. 2، ص. 571.
- 4 - Rapport Consulat de France à Tanger au ministère des Affaires étrangères, fait le 19/05/1850, A. O. M. G.G.A. Carton E 12.
- 5 - عبد الرحمان، ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج. 5، طبعة حجرية، المغرب، 1937، ص. 62. وهو يعد في نظرنا المصدر الوحيد الذي يتطرق إلى هذه الرسالة.
- 6 - المصدر نفسه، ص-ص. 65-67.

أما رواية "ميشو بيلير" التي تجاري ما جاء في رواية ابن زيدان؛ فهو يذكر بخصوص البوحميدي، أنه عندما أحس بأن ثروة الأمير بدأت في النفوذ توجه إلى فاس بذريعة محادثة السلطان المغربي بطريقة مباشرة، فما كان من السلطان إلا أن استقبله باحتفاء كبير، ومنح له معونة يومية معتبرة، وأسكنه في منزل درب الدروج في العندوة، وحينها يكون البوحميدي قد تزوج من ابنة الفقيه سي بن عبد الله السقاط؛ وبعد مرور حوالي شهر على قدومه أوقفه السلطان وحجسه في دار بوتلاعة بفاس الحديد؛ وهو نفس السجن الذي كان يتبع فيه مولاي الطيب ابن بوعمامة، ثم يذكر أن البوحميدي قد مات مسموما بعد ذلك بوقت قصير؛ ولم يترك أبناء من المرأة التي تزوجها في فاس، والتي ماتت هي الأخرى بعده بقليل، أما بقية أطفاله الآخرين فقد ظلوا في تلمسان¹.

وإلى جانب هذا الموقف الذي تبناه السلطان من هذه النخبة المهاجرة، نلمس في كثير من الوثائق الملكية المغربية الأخرى بعض المواقف السلبية للمخزن من بعض المهاجرين الجزائريين الذين كانوا ضمن دائرة الأمير، ومن بين هؤلاء نذكر:

- بشأن أسرى الأمير الذين ألقى عليه القبض في المعركة الأخيرة التي دارت بين جيش السلطان بقيادة سيدي محمد والأمير عبد القادر²: وهنا نجد كل من شقيق الأمير سيدي بوبكر الذي ألقى القبض أثناءها، وتم أسره وتقييده بالسلاسل كغيره من الأسرى الجزائريين، غير أنه بوصول قافلة الأسرى قرب جسر سيبو رفض سيدي بوبكر إكمال السير ودخول مدينة فاس على هذه الوضعية المذلة والمخزية، وهو ما جعل الجنود الشريفين يقومون بقتله، ثم قاموا بقطع رأسه، بحسب العادة المتفق عليها آنذاك، وهي أنه على قائد مجموعة السجناء أن يوصل العدد الكامل للمساجين المدون في الورقة التي يجوزته، وإن مات أحد المساجين أو قتل؛ فعلى القائد أن يقوم بقطع رأسه حتى يخاسب به عند وصوله إلى مكان نقل أولئك المساجين³.

وفي الوقت الذي ذهب فيه هذا الأسير ضحية لهذه الممجية، يكون سيدي أحمد ابن محمد السعيد شقيق الأمير قد تمكن من الفرار من السجن بعدما فك وثاقه أحد خدام عائلته، الذي تخفى في لباس امرأة ودخل السجن الذي يقبع فيه سيدي أحمد، حيث كان مسموح للنساء بالدخول؛ ثم بقي هذا الخادم في السجن؛ بينما هرب سيدي أحمد بعدما تخفى في تلك الملابس التي منحها له خادمه⁴.

وبذلك تمكن سيدي أحمد من الفرار من سجنه برفقة زاوي الذي ساعده هو أيضا على فراره، وتمكنا من الوصول إلى موغادور، أين لجأ إلى منزل القنصل الفرنسي هناك، ثم أوصله هذا الأخير إلى الشقة التي جهزت له، وللعلم أن سيدي أحمد كان يحمل على ظهره خيمة متنقلا بها في حياة حمال أو عتال. وإلى جانب هذا يذكر لنا "ميشو بيلير" كل من سي الطيب وسي محمد الصغير الذين بقي من عائلة الأمير في المغرب، لأن معظم أفراد عائلته

1 - Michaux-Bellaire: Les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, P. 60.

2 - جرت وقائعها يوم 11 ديسمبر 1847، وهي المعركة التي تم من خلالها تصفية حركة المقاومة الجزائرية بالمغرب الشرقي، يراجع بشأنها ما كتبناه في أطروحتنا الموسومة بـ: العلاقات الجزائرية المغربية 1830-1847 (المغرب الجزائري والمغرب الشرقي نموذجاً)، ص-ص. 203-208.

3 - Ibid, P. 62.

4 - Ibid, P. 62.

توجهوا نحو سوريا عبر ميناء طنجة، فسي الطيب الذي رأى أن وضعه في المغرب يزداد سوءا يوما بعد يوم يكون قد التحق بمدينة طنجة للتوجه نحو المشرق¹.

وكذلك الحال مع سي محمد الصغير الذي سمع بأن المخزن يريد إلقاء القبض عليه واعتقاله، ففر هو الآخر نحو طنجة بمساعدة أحد سكان منطقة الريف، وذلك بالتحفي وراء لباس بدوي، وبعد وصولهما إلى بريان. وفي منتصف الطريق بين القصر الكبير وطنجة وجدا خمس جنود من المخزن يريدون إلقاء القبض عليه. غير أنه تمكن من التخلص منهم بحيلة ذلك المغربي الريفي، وتمكن من الوصول إلى طنجة ومن هناك توجه نحو سوريا، ثم عاد إلى الجزائر بعد ذلك حيث عمل كقاض في معسكر، وظل في ذلك المنصب حتى وفاته².

هذا إلى جانب إقدام السلطان على قطع الفتوى عن أحمد التلمساني ومجموعة من أقرانه بسبب التخليط والتلبس على الناس، ونلمس ذلك من خلال الخطاب الذي أرسله إلى عبد السلام السلوي؛ المؤرخ في 8 رجب 1253هـ، ومما جاء فيه بهذا الخصوص: «وبعد، فقد قطعنا الفتوى عن السيد محمد العشاب بالقصر... وعن السيد أحمد التلمساني... فلا يفتي أحد من هؤلاء الأربعة بعد، ومن ظهرت فتواه فإنه يعاقب بحول الله، فإننا لم نأذن لهم في ذلك، وإنما احترفوها من عند أنفسهم وأكثروا التخليط والتلبس على الناس بما لا طائل تحته»³.

- الإنعام على خليفة الحاج عبد القادر محمد البركاني وقاضيه الفقيه عبد القادر بالحصول على السكن. وتموين عيالهما بوساق القمح، ويبدو ذلك من خلال نص الظهير الذي أصدره السلطان عبد الرحمان إلى ولي عهده سيدي محمد، والمؤرخ في 12 رمضان 1262هـ؛ ومما جاء بهذا الخصوص: «وبعد، فقد وصلنا كتابك وعرفنا مضمونه، ووصل الطالب محمد البركاني الذي كان خليفة الحاج عبد القادر مع قاضيه الفقيه السيد عبد القادر، وأكرمنا مثواهما... وها نحن وجهناهما فبوصولهما مُرُ خديمتنا الطالب علال الشامي أن ينظر للمبركاني دارا تناسبه للسكن وتسع لعياله، وقد ذكر دار بوادي الرشاشة كانت بيد عبد الله بن القرشي. فإن كانت للمخزن ينجزها له، ويدفع له وسقا واحدا من القمح ولصهرية عشرين مُد لكل واحد منهما، ولكاتبه عشرين مُدا أيضا»⁴.

- الإنعام على الفقيه عبد القادر بن محمد قاضي الأمير عبد القادر، بدار للسكنى مناسبة لحاله، وبتحصيل مبلغ مالي له على تدرسه المختصر، ونلمس ذلك من خلال الخطاب الذي وجهه السلطان عبد الرحمان إلى ولي عهده سيدي محمد في تاريخ 11 رمضان 1262هـ، ومما جاء فيه بهذا الخصوص: «وبعد. فبوصوله إليك من الطالب علال الشامي يدفع لحامله اليد عبد القادر بن محمد قاضي الحاج عبد القادر بن محيي الدين ثلاثين مد من القمح إعانة له على متونته، وينظر له دارا يسكنها مناسبة لحاله، وإن كان أهلا للتدريس يجعل له ما يستحقه من

1 - Ibid, P. 63.

2 - Ibid, P. 63.

3 - و. خ. ح. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى عبد السلام السلوي، وثيقة رقم 35/2. ك. 1.

4 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى ولي عهده سيدي محمد، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 18954. بنظر الملحق رقم 15.

المشاهدة على أن يقوم على تدريس مختصر خليل، فقد بلغنا أنه بحسبه، قد كتبنا لولد عمنا مولاي عبد الهادي بذلك بأن يجعل له ما يستحقه»¹.

أما بخصوص نص الكتاب الذي بعثه لابن عمه مولاي عبد الهادي بشأن قاضي الأمير عبد القادر؛ فقد عثرنا عليه برائد الوثائق الملكية بالرباط؛ وهو مؤرخ في 12 رمضان 1262هـ، ومما جاء فيه: «وبعد، فإن الفقيه السيد عبد القادر بن محمد الذي كان قاضيا عند الحاج عبد القادر وهاجر، ذكر أن له ملكة على تدريس المختصر، فإن قام بذلك فاجعل له ما لأمثاله فإن قيمة الإنسان ما يحسنه»².

- لقد ذكر عمر بوزيان مراسلة من الأمير عبد القادر إلى السلطان سنة 1261هـ / 1845م³، يستفاد منها استقبال السلطان لأفراد من عائلة الأمير عبد القادر هاجروا نحو المغرب⁴.

- الإنعام على أحد أقارب الأمير عبد القادر بالسفر في مركب الحجاج نحو الإسكندرية من صائر السلطان الموفور، ويبدو ذلك من خلال الخطاب الذي أرسله السلطان عبد الرحمن ابن هشام، إلى بوسلهام بن علي، المؤرخ في مهل ذي القعدة 1263هـ، ومما جاء فيه بهذا الشأن: «وبعد فحامنه الطالب أحمد [كلمة غير واضحة] طالب الحشمي قريب عبد القادر طلب الانتقال بعياله للمشرق والخروج بكليته من المغرب... فإذا ورد عليه عياله لطحة فاكتريا لهم بمركب الحجاج واصلين للإسكندرية وأديا الكراء من صائرنا الموفور بالله»⁵.

وهذا الإنعام المتوالي على المهاجرين الجزائريين لم يمنع من وجود بعض المواقف السلبية للسلطان تجاه البعض منهم، وهذا ما نلمسه من خلال امتناعه عن طلب القنصل الفرنسي بشأن تسريح الصادق ولد محمد السعيد بن محيي الدين الوارد على بوسلهام بن علي، والمؤرخ في 8 شوال 1266هـ؛ ومما جاء في جواب السلطان بشأن ذلك: «وقد طولعنا (كذا) بكتاب قونصو جنس الفرنسيص الذي وحثت من أوله، وما طلب من تسريح الصادق ولد السعيد بن محيي الدين، وإنما طلب الحال القطعي فإن عبد القادر بن محيي الدين عدونا، قاتل محلتنا التي كنا وجهنا لقتاله... وهذا ولد أخيه قبض في المعركة فكيف يطلبون تسريحه بحيث لم نطالبهم بعبد القادر الذي من حقنا أن نطالبهم به، جعلوا يطلبون هذا فأيسهم من هذا»⁶.

أما عموم المهاجرين الجزائريين فإننا سنتتبع موقف السلطان عبد الرحمان ابن هشام منهم وفق التسلسل الزمني لصدور الظواهر الرحمانية في حقهم، ويمكن التطرق إلى ذلك على النحو التالي:

- 1 - عبد الرحمان، ابن زيدان: بحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج. 5، المصدر السابق، ص. 124.
- 2 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى ابن عمه الفقيه مولاي عبد الهادي، ملف الجزائر، سجل رقم 18872.
- 3 - لم يشر المؤلف إلى مضمون هذه الرسالة ولا إلى مصدرها.
- 4 - عمر، بوزيان: جذور اتحاد المغرب والجزائر (1832-1845)، المرجع السابق، ص. 139.
- 5 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى بوسلهام بن علي، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 20586.
- 6 - و. خ. ح. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى بوسلهام بن علي. وثيقة رقم 36/23. ك. 3.

- الانتصار للحاج حمود الجزائري ورفع قضيته إلى الشريعة، وتمكين زوجته مما كانت قد أدت لخصمها علال بن قراسن، ونلمس ذلك من خلال الخطاب الذي بعته السلطان إلى القائد محمد بن عبد الرحمان أشعاش، المؤرخ في 24 ربيع الثاني 1250هـ. ومما جاء فيه هذا الخصوص: «وبعد فحامله الحاج حمود الجزائري ادعى أنه كان عاملا بالفرائض لعالل بن قراسن... فمسجن إلى أن أدت عنه زوجته ثم وقع الحساب بينهما ثانيا فأبرز أنه لا شيء على العامل، وما أدته عنه زوجته باطل، أفنى العنماء برده عليها، فلم يمكنه القاضي من ذلك، وغنيه فأرغمه مع خصمه بلمس الشريعة، وتمكين زوجته مما أدت عنه لأن الحساب أبرز أن لا شيء عليه»¹.

- الإنعام على الفقيه بومدين بروكش بعدما توفي ولده بكسوة تناسبه والإحسان إليه، ويبدو ذلك من خلال نص الخطاب الذي وجهه السلطان إلى ولي عهده سيدي محمد، في تاريخ 25 شوال 1262هـ، ومما جاء فيه بخصوص هذا الفقيه: «وبعد، فإن الفقيه السيد بومدين بروكش طال مقامه بفاس، وقد بلغه أن ولد له كثيرا قائما بداره توفي بوحدة، وبقي أولاده للضياع فبوصول كتابنا هذا إليك ادفع له كسوة تناسبه و أحسن إليه وزوده ووجهه لخله»².

- الإحسان إلى محيي الدين بن الروايل، الذي ينحدر من الأعراب القادمين من الجزائر، وهذا ما يبدو لنا من خلال الخطاب الذي كتبه السلطان إلى ولي عهده سيدي محمد، في تاريخ 27 ربيع الأول 1263هـ، ومما جاء فيه بهذا الشأن: «وبعد، فيصلك كتاب داخل هذا وجهه الشيخ محي الدين بن الروايل من الأعراب القادمين من الواسطة، أنظر ما كتب فيه وعامله بما يستحقه»³.

- جواز اكتيال الجزائريين القمح لأنفسهم من المغرب ومنعهم إن أرادوه لغيرهم، ويبدو ذلك من خلال ما جاء في الظهير الذي وجهه السلطان إلى ولي عهده سيدي محمد، والمؤرخ في 14 جمادى الثانية 1263هـ؛ ونص ما جاء فيه بهذا الخصوص: «فقد بلغنا أن عرب الصحراء من الواسطة وغيرهم يدخلون أفواجا بعدد كثير لكين الزرع من قبائل الإيالة... فإن كانوا يتوجهون به للتصاري كما بلغ عنهم فقد آذناك في منع القبائل من بيعه ضم، ومن ظهر عليه ذلك يعاقب ويجزر، وإن كانوا يأخذون ذلك لأنفسهم ويحملونه لإقامة بيتهم فأتروك سيبتهم، فإنهم إخواننا ولا سبيل لمنعهم»⁴.

- 1 - و. خ. ح. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى القائد محمد بن عبد الرحمان أشعاش، وثيقة رقم 34/1. ك. 1.
- 2 - م، و م، ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى ولي عهده سيدي محمد، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 19073.
- 3 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى ولي عهده سيدي محمد، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 18985.
- 4 - عبد الرحمان، ابن زهدان: إنحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج. 5، المصدر السابق، ص. 125-126.

الفصل الثاني

موقف السلطانين سيدي محمد وابنه الحسن
الأول من المهاجرين الجزائريين في المغرب
(1859 – 1894)

- موقفهما من المهاجرين الجزائريين بفاس
- موقفهما من المهاجرين الجزائريين بوجدة

1- موقفهما من المهاجرين الجزائريين بفاس.

يمكن تتبع موقف كل من السلطان سيدي محمد وابنه الحسن الأول من المهاجرين الجزائريين؛ من خلال عدة شخصيات جزائرية مهاجرة نالت جانب كبير من التوقير والاحترام، وهذا ما سنلمسه من الظواهر السلطانية التي صدرت بهذا الخصوص؛ ومن بين هذه المواقف نسجل ما يلي:

- أبو حامد العربي المشرفي:

إذا كان المشرفي لم يحظ بمظاهر التوقير والاحترام في عهد السلطان عبد الرحمان؛ فلا شك أن ولي عهده سيدي محمد يكون قد أعاد الاعتبار إلى هذا العالم الحليل، ونلمس ذلك من خلال الظهير السني أصدره في حقّه، بشأن نقله إلى التدريس في مدينة القصر الكبير التي قضى بها مدة سنتين، إلا أنه لم يتحصل على المنصب الذي طلبه وهو مدرس نظارة مكناس. ونظرا لملكة الخطابة والكتابة التي كان يتميز بها المشرفي عن غيره من الأدباء والشعراء، واهتمامه المتزايد بالتطورات الحاصلة في المغرب على المستويين الداخلي والخارجي، وكتابته لشعر البلاط، بات المشرفي من المقربين إلى السلطان وحاشيته، وعلى رأس هؤلاء الوزير عبد الله بن أحمد الذي نسخ له المشرفي كُناش موسوم بقصة اليهود المهاجرين المعروفين بالبلديين بفاس¹.

ومن بين دلائل الحظوة والتقدير مرافقة المشرفي للسلطان سيدي محمد في رحلته من فاس إلى مراكش سنة 1289هـ/ 1873م؛ وحصوله من السلطان على كثير من المحبات جراء شعر المدح الذي قد قاله في شأنه؛ هذا إلى جانب تبوأه مكانة معتبرة وسط زمرة الكتاب والشعراء في عهد السلطان الحسن الأول؛ ومن بين ما كتبه في ذلك فنتته هذا السلطان ببيعته، وبخروجه لتأديب حركة قبائل حوض إيناون الشائرة عليه في سنة 1293هـ/ 1876م؛ وقضائه على تمرد غيابة، ثم حركته إلى وحدة سنة 1294هـ/ 1877م، لتهدئة الفوضى التي انتشرت بالمنطقة الشرقية تحت إشراف محمد بن البشير بن مسعود الزيناسي².

ونظرا لأراء المشرفي التي تبدو من خلال كتاباته مُمَجِّد وتساند السلطان في سياسته؛ يكون المخزن قد اطمأن إليه فكلّفه ببعض المهام الرسمية للتعبير عن مواقف المخزن والدفاع عنها؛ وشرح قراراته لبعض المعارضين له من المغاربة أنفسهم، وكان مما كتبه في هذا الشأن مشموم عرار نُجِد سنة 1292هـ/ 1875م حيث شرح فيه مضمون الرسالة التي كتبها السلطان الحسن الأول إلى أعيان وشرفاء زرهون ووتبخهم فيها على شكواهم من باشا مدينة فاس، ونظرا لهذا الدور الذي لعبه المشرفي لصالح المخزن خصّه السلطان بعدة صلوات متنوعة، والتي من بينها تكفّله بتزويج ابنه الأوسط وكسوة عياله مكافأة له على قصيدة مطولة تتكون من 125 بيت.

1 - محمد السعيد، قاصري: ((أبو حامد العربي المشرفي وتراثه المخطوط بالمغرب الأقصى))، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع. 24، المرجع السابق، ص. 240.

2- أبو حامد العربي، المشرفي: أحوال المطاعين في الطعن والطواعين، المصدر السابق، ص-ص. 56-57.

كما كافأه على إحدى القصائد الأخرى المؤرخة في سنة 1883 بمقدار 30 ريال. ولم يكتف السلطان بذلك بل نوّه به وبإبداعاته في الخطاب الذي أرسله السلطان سنة 1887 إلى المهاجرين التلمسانيين بفاس.¹ وقد ارتفعت مكانة المشرفي بالمغرب لدرجة أن أصبح من مرافقي السلطان الحسن الأول في العديد من جولاته داخل البلاد عندما كان السلطان يطلب من العلماء السير في موكبه، وعليه فالمشرفي كان من فئة العلماء المقربين، ولعل ما يركّبه بالإضافة إلى الولاء السياسي والتأليف أنه كان من الأشراف، ومن مبادئ الأسرة العلوية إحاطة الأشراف بعطفها.²

- قبيلة الحشم:

لقد وقفنا على ظهور سلطاني تديرية الوثائق الملكية مؤرخ في 6 صفر 1280هـ؛ صادر من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان، يأذن فيه لقبيلة الحشم بصرف زكاة حبوبهم على فقرائهم، وإعفائهم من الالتزام بإرسالها إلى بيت المال، وذلك نظراً لضعفها وجبراً لحالها، ونص ما جاء في هذا الظهير: «يعلم من كتابنا هذا أسماء الله وأعز أمره... أننا أذنا لقبيلة الحشم في رد واجب زكاة حبوبهم على فقرائهم يستعينون بها لضعفهم، فتأمر الواقف عليه ممن وليناه أمرهم أن يجريهم على ذلك، والسلام».³

- بعض الأفراد المنحدرين من أولاد سيدي الشيخ:

ومن مظاهر برور سيدي محمد وابنه الحسن بالمهاجرين بفاس هو تلك المكانة التي تبأوها بعض الأفراد من أولاد سيدي الشيخ عندهما، وهذا ما تؤكدُه الظواهر السلطانية التي صدرت في حقهم، والتي كلتها تصب في إطار الإنعام عليهم بكثير من الامتيازات والمساعدات المادية والمعنوية، ويبدو ذلك من خلال تراجع السلطان سيدي محمد عن اعتقال بعض الأفراد من هذه العائلة، ونخص بالذكر هنا أبناء سيدي الشيخ بن الطيب، ممن خلال الرسالة التي بعث بها السلطان إلى محمد بركاش والمؤرخة في 7 رجب 1285هـ/ 1868م، يخنه فيها على إطلاق سراح أولاد سيدي الشيخ المسجونين بفاس، ومما جاء فيها بهذا الشأن: «وبعد، فإن أولاد سيدي الشيخ المسجونين بفاس لم نقبضهم إلا لمساعدتهم للفرنسيين من غير أن يرتكبوا ما يستوجب القبض عليهم، وقد عزمنا على تسريحهم إن شاء الله، فعليه فاعلم الباشدور الفرنسيين بطنجة بذلك ليكون على بال».⁴

وإلى جانب هذا نجد أن السلطان الحسن الأول قد استقطب بدوره وبالتفاهم مع الفرنسيين سليمان بن قدور وبالتعاون مع عبد السلام الوزاني، الذي خصص له مدينة مكناس ليقيم بها مع عائلته تحت المراقبة المخزنية، ثم سمح له بعد ذلك بالتنقل ما بين فاس ومكناس، واستمر على هذا الحال حتى قيام ثورة الشيخ بوعمامة سنة 1881، وأثنائها تمكن من الهروب وظهر ثانية في منطقة الحدود.

1 - المصدر نفسه، ص-ص. 57-58.

2 - أبو القاسم، سعد الله: ((مؤلفات المشرفي المعاصر للأمير عبد القادر))، الثقافة، ع. 75، المرجع السابق، ص. 76.

3 - م. و. م. ر: ظهور السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بخصوص إعفاء قبيلة الحشم من دفع زكاة الحبوب لبيت المال، دورية الوثائق الملكية، مج. 2، المصدر السابق، المطبعة الملكية الرباط، 1396هـ/ 1976م، ص. 405.

4 - أحمد، مزبان: فحجج "لكيك" مساهمة في دراسة المجتمع الواسي المغربي خلال القرن 19، المرجع السابق، ص. 490.

ولقد ورد في رسالة كبير الوزراء المغربي محمد بن العربي الجامعي إلى السفير الفرنسي في طنجة عندما استفسره عن هروب سليمان بن قدور موضحا له الامتيازات التي حظي بها سليمان من جانب السلطان: «وقد زوجه سلطان المغرب بنت من الأسر النبيلة التي تربت في بلاطه، ومنحه مع إخوانه أراضي واسعة للزراعة... وكذلك ما يقرب من 10,000 بسيطة، نصفها حبوب خلال سنوات المجاعة... كل هذا الجميل لا فائدة منه وسي سليمان بن قدور أذاها بالعقوق ونكران الجميل واغتتم فرصة غياب السلطان عن فاس للفرار إلى الصحراء»¹.

- المهاجرين من الأشراف التلمسانيين:

لم يكن العربي المشرفي فحسب قد حظي بالتوقير والاحترام، بل جل المهاجرين وخصوصا التلمسانيين منهم، وهذا ما نلنسه من نص الظهير الذي أصدره السلطان سيدي محمد، قصد توقيهم واحترامهم، وهو ظهير مؤرخ في 16 شعبان 1285هـ؛ ومما جاء فيه بهذا الخصوص: «إن المهاجرين من تلمسان ونواحيه (كذا) لهذه المدينة السعيدة معظمون موقرون عندنا، محترمون لا يقرهم أحد بسوء ولا مكروه، ولا يعاملون إلا بالعناية وجميل الرعاية في كل الوجوه رعيًا لحرمتهم وانحياشهم لإخوانهم المؤمنين... وقطعهم النظر عن غيرهم، فأمر الواقف على هذا من عمالتنا وولاية أمرنا أن يعمل بمقتضاه»².

ومع بداية عهد السلطان سيدي محمد، يكون جل المهاجرين بفاس قد اقتنعوا أن الاحتلال الفرنسي للجزائر لم يصبح مؤقت، وأن فرنسا قد تمكنت فعلا من احتلال الجزائر، وبالتالي تضائل أمل العودة أو الرجوع إلى الجزائر، وقصد منع ذوبانهم في المجتمع المغربي أسوا لأنفسهم نقابة خاصة بهم، تحفظ أنسابهم، والنقابة تعد تنظيم إداري معمول به لدى كل أشراف الجزائر الذين هاجروا سواء نحو المغرب أو المشرق العربي، ففي سوريا مثلا كان لأشراف الجزائر نقيب يشرف عليهم ويراعي مصالحهم ويدافع عنهم³.

ومن دلائل الخطوة والمكانة لهذه النقابة عند سلاطين المغرب، نجد أن نقيب الشرفاء بتلمسان يسأني في الترتيب البروتوكولي بعد نقيب الشرفاء العلويين؛ ونقيب الشرفاء الإدارية مباشرة، ولقد تولى النقابة بشكرك كبير بمدينة فاس الشرفاء المنصوريين المنحدرون من آل سيدي عبد الله ابن منصور دفين عين الحوت قرب تلمسان، في الفترة الممتدة من عهد السلطان مولاي سليمان إلى غاية الملك الحسن الثاني، عدا في فترتين

1 - المرجع نفسه، ص. 491.

2 - م، و، م، ر: ظهير السلطان سيدي محمد في حق المهاجرين الجزائريين التلمسانيين، ملف الجزائر، سجل رقم 33403. ينظر الملحق رقم 16.

3 - محمد غسان، عبيد: تاريخ دمشق 1137-1170هـ / 1724-1756م، دراسة اجتماعية فكرية عمرانية مسن خلال وثائق المحاكم الشرعية، د. د. ع، دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف الأستاذ الدكتور محمود علي عامر، قسم التاريخ، ك. آ. ع. إ، جامعة دمشق، السنة الجامعية 2003-2004، رسالة مرقونة توجد بدار الوثائق السورية بدمشق، ص-ص. 66-70.

قصيرتين تولى النقابة في إحداهما شريف من آل ابن وضاح، وتولاها في فترة أخرى شريف من آل ابن حريظاً¹.

وعلى هذا الأساس تكون هذه النقابة التي المهاجرين، حلقة وصل بينهم وبين السلطان المغربي، السذي كان في كثير من الأحيان يُعين النقيب بعد تركيته من طرف خصوص الأشراف، ونلمس ذلك على سبيل المثال ما جاء في نص الكتاب الذي رفعه شرفاء تلمسان ونواحيها إلى السلطان الحسن الأول بعد وفاة النقيب مولاي محمد الوضاح التلمساني، والقبول بتعيين نقيب جديد عليهم، هو أحمد بن منصور، وما يمكن ملاحظته في هذا الخطاب هو تعدد المناطق التي هاجر منها الجزائريون نحو فاس، كمنطقة السزاب، وبسكرة والمسبنة وعنابة.. الخ، غير أننا لم نعثر على أسماء لهؤلاء المهاجرين.

وتذكر الرسالة المؤرخة في 6 جمادى الثانية 1292هـ، بخصوص هذه المناطق ما يلي: «لما قضى الله بوفاة السيد النقيب المسن النقيب مولاي محمد الوضاح التلمساني، انعقد إجماع أهل الواسطة من تلمسان إلى تونس القيروان... ووجود أعيانها وأشرافها الذين هاجروا بدينهم إلى حاضرة فاس المحروسة... مولاي أحمد بن منصور؛ فحظنا هذا يشهد أننا ارتضينا نقيبا علينا وعلى أسرنا في الخواضر والبوادي... من أم العساكر حاضرة غريس وسائر المدائن التي هي بعد هذه كمستغانم ووهران وتنس وشرشال ومليانة والمدينة والبلبيدة والجزائر وبجاية وعنابة وقسنطينة، ومدائن الزاب وقواعده وبسكرة ومسيلة، إلى هذه الحضرة السعيدة حضرة مولانا إدريس بن إدريس ومن استوطن المغرب»².

وبناء على هذا الرسم الذي تم رفعه لجلالة السلطان يكون هذا الأخير قد أصدر ظهير مؤرخ في 9 جمادى الثانية 1292هـ؛ جاء فيه بخصوص هذه التزكية: «إننا جعلنا ماسكه الشريف السيد أحمد بن منصور الخوي التلمساني، نقيبا على السادة الشرفاء أهل الواسطة³، القاطنين بحضرة فاس المحروسة بالله، وأسندنا إليه أمورهم الخاصة والعامة، حيث تراضوا على ولايته، وتوافقوا على نقابته، حسبما بالرسم الذي رفعوه لحضرتنا العالية بالله، فأنمره أن يستوصي بهم خيرا، ويسير فيهم السيرة المرضية، ويراعي فيهم نسبتهم العالية، ويرزهم عما يدنس عرضهم الظاهر»⁴.

- 1 - م. و. م. ر: دورية الوثائق الملكية، مج. 3، المصدر السابق، ص. 438. صادرة في 1396هـ/ 1976م.
- 2 - م، و، م، ر: رسالة من شرفاء تلمسان ونواحيها بخط العربي بن علي المشرفي إلى السلطان الحسن الأول بشأن تعيين أحمد بن منصور نقيبا عليهم، ملف الجزائر.
- 3 - تعني في الاصطلاح المغربي المغرب الأوسط، وأهلها هم سكانه، استعمالها بهذا المعنى ابن خلدون وغيره، ثم ظلت هذا المصطلح معمولا به في المغرب، وصار له في العصر الحديث مدلول وضيق ومنحط، بدأت كلمة أهل الواسطة تعني أحلاف الجنود والجواسيس وباعة الخمر الذين جاء بهم الفرنسيون من الجزائر لاحتلال المغرب واستعماره في بداية القرن 20. تراجع: دورية الوثائق الملكية، مج. 3، ص. 438.
- 4 - م. و. م. ر: دورية الوثائق الملكية، مج. 3، المصدر السابق، ص. 440. صادرة في 1396هـ/ 1976م.

هذا ونظرا لكثرة تردد المهاجرين الشرفاء على النقيب أحمد بن منصور في شأن الصلة المعهودة لهم، يكون قد حور رسالة إلى السلطان مؤرخة في 20 ذو القعدة 1302هـ - يلتمس فيها من بركته منح الصلة لهؤلاء المهاجرين، ومما جاء فيها: «أما بعد، فننتهي لعلم مولانا الشريف أن الشرفاء المهاجرين بهذه الحضرة كثر ترددهم علينا يطلبون بركة سيدنا وصنته لهم على العادة، وخير سيدي موجود كثير والحمد لله، أدام الله لنا وجوده ومجده وأيد نصره وسروره»¹.

وبناء على هذه المراسلة يكون السلطان بدوره قد كتب إلى هذا النقيب الذي أصبح يحضى بمكانة معتبرة عند السلطان، ويبدو ذلك من خلال عبارات التعظيم والإجلال التي افتتح به خطابه. المؤرخ في 1 ذو الحجة 1302هـ، ومما جاء فيه بشأن تنفيذ الصلة للمهاجرين من الأشراف: «ابن عمنا الأرضي نقيب أشرف أهل تلمسان بفاس... وبعد، وصل كتابك بأن الشرفاء استكتبوك لجانبنا العالي بتنفيذ عادتهم من الصنة... ففقد أمرنا أمناء دار عدليل بأن يدفعوها لهم على ما يرد على العادة»².

وطريقة اختيار النقيب كانت تتم أثناء الاجتماع الذي ينعقد بمسجد سيدي بومدين في الرميطة في حي خدان، وهذا الاجتماع يتشكل من العدول الذين يقررون بدورهم اختيار النقيب، ثم ترفع وثيقة العدول إلى المخزن بواسطة وفد من الجزائريين قصد المصادقة عليها، حيث يتم تسليمهم ظهير يحمل اسم النقيب الذي تم اختياره³، وبهذا التنظيم الدقيق للجزائريين باتوا يدافعون عن مصالحهم لدى المخزن، ونظرا للتشكيلة المختلفة للمهاجرين الجزائريين بفاس، فلقد ظهر هناك نوع من التنافس في اختيار النقيب بين التلمسانيين والشرفاء، هؤلاء الذين اعتبروا التلمسانيين أقل منهم شأنًا، إلا أن النفوذ الذي كان يتمتع به الأمين الحاج عبد السلام المقرري التلمساني، يكون قد منع ذلك الانشقاق بينهما⁴.

ويذكر "ميشو بيلر" بشأن الحاج عبد السلام المقرري، أنه صنع لنفسه مكانة رفيعة. فكان يسالغ في التعريف بنفسه، وبأن نفوذه كبير وخطير بغية مضاعفة ثروته، وجعل من نفسه المدافع عن المهاجرين، وبصفته مقدم من أهل تلمسان وجد هذا وسيلة للإطاحة والخط من كبرياء الشرفاء الذين يزعمونه بنفوذهم أيضا⁵.

وللنقيب سلطة على المهاجرين تشبه تلك التي هي للقياد، فالنقيب يستطيع أن يسجن أو يطلق سراح من يشاء دون أن يضع اعتبارا لأحد، وكونه منتخب كان يتصرف ويقوم بتجاوزات، وهو ما يدفع بالمهاجرين إلى أن يتكثروا ضده ويقومون بتعيين نقيب آخر، ويبرز دوره بشكل كبير في حل النزاعات بين الجزائريين بالتراضي، ويكون واسطة بين المخزن والمهاجرين، ويدافع عن المهاجرين في حال بروز مشاكل مع المغاربة.

1 - م، و، م، ر: رسالة نقيب الشرفاء بفاس أحمد بن منصور إلى السلطان بشأن الصلة التي كانت تمنح لهم، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 23235.

2 - م، و، م، ر: رسالة السلطان المولى الحسن إلى أحمد بن منصور نقيب الشرفاء المهاجرين بفاس، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 21338.

3 - Michaux-Bellaire: *Les musulmans d'Algérie au Maroc*, op, cit, P. 69.

4 - Ibid, P. 70.

5 - Ibid, P. 70.

ففي هذه الحالة يسعى لحل المشاكل باسم المهاجرين وبالتعاون مع المخزن، فهو يشتكى أحد الجزائريين بوجهه التقيب إلى القايد مصحوبا بالشكوى وبأحد الخدام. حيث يمثل أمام المحكمة مع من يوجه له الدعوة¹. ولو كان العكس؛ أي لو كان المغربي هو الذي يشتكي ضد جزائري مهاجر، فيرسس المغربي من قبس القايد إلى التقيب مرفوق بالشكوى والمخازني، فيقوم التقيب بعرض المهاجر على المحكمة ويستمع إلى الطرفين ثم يوكل المخزني بنقل حيثيات القضية إلى القايد، وفي الحالات الخطيرة يسارع التقيب هو بنفسه إلى ملاقاتة القايد، وعموما يمكن القول أن التقيب يعتبر بمثابة قنصل يمثل المهاجرين ويحاول حل مشاكلهم². وفي حالة ما إذا أجل أحد حكام أو ولاة المغرب بعدم تطبيق الأحكام الصادرة عن التقيب -خلل كما تحيزا مع أحد مواطنيه- فإن التقيب يقوم بالشكوى إلى السلطان مباشرة، الذي يبحث الأمر. ويأمر السوالي المغربي بتطبيق ما جاء في تقرير التقيب، أي بمعنى إنصاف المهاجر الجزائري ولا ينحاز للمغربي³. وفي الواقع فإن مهمة التقيب صعبة لمن يقوم بها، فحتى الموظفون -الخدم- التابعين للتقيب لا تظهر عليهم علامات الأبهة، فالتقيب بمثابة تاجر، لكن جلساته تكون داخل دكانه، ومن بين مهام التقيب أيضا تقسيم الكيلة بين الشرفة المهاجرين سنويا، وهي مجموعة دراهم وقمح يمنحها السلطان عبد الرحمان ثم من جاء بعده للشرفاء، وبخصوص هذه الكيلة فالسلطان لم يمنح ظهير على ذلك بل يكفي المهاجر أن يسجل اسمه في سجلات دار عدلين في فاس حتى يستفيد من تلك النفقات السلطانية⁴. إن هذه الكيلة تحتوي على 800 مُد من القمح-المد في فاس يساوي 25 كغ و800 مثقال⁵، كما يمنح السلطان أيضا هدايا للشرفة بمناسبة الأعياد الإسلامية الثلاث⁶. وتقسم هذه الكيلة على النحو الموالي⁷:

أصول المهاجرين	كمية القمح / المد	القيمة بالثقال
الجزائر العاصمة	100	100
مستغانم	100	100
تلمسان	300	300
بني هاشم	150	150

1 - Ibid, P. 71.

2 - Ibid, P. 70.

3 - Ibid, P. 71.

4 - Ibid, P. 72.

5 - عندما كانت هذه الكلية تمنح للمهاجرين الجزائريين، كان الدورو Douro متداول في البلاد، بمعنى أن الدورو الإسباني يساوي 16 أوقية، والدورو الفرنسي كان يعرف بإسم ريال السرير rial eqçrir، والدورو الصغير لا يساوي سوى 15 أوقية، أي أن الأوقية أقل من الدورو الإسباني، هذا الأخير هو الأكثر استعمالا في الحسابات، فالدورو الإسباني قيمته 16 أوقية: 800 مثقال تمثل 500 دورو، أو 2500 بيزيطاس، في حين أن الدورو بـ14 مثقال، ونفس القيمة من مثقال لا تقدر سوى بـ35 دورو و10 مثقال، أو بـ178.50 بيزيتاس. وهذه الكيلة تقسم كما هو موضح في الجدول أعلاه.

يراجع: -Michaux-Bellaire: les musulmans d'Algérie au Maroc, P. 73

6 - Michaux-Bellaire: Les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, P. 72.

7 - Ibid, P. 73.

150	150	بن عامر
800	800	المجموع

ويتم تقسيم هذه الكميات والمقادير المذكورة على فرع من هذه الفروع، مع مراعاة المساواة في التقسيم بين أعضاء كل فرع؛ كعدد القبائل والأشخاص¹. وبحكم الانخفاض التدريجي في قيمة المثلقال بالنسبة للدور، فإن قيمة النقود التي عينها السلطان للمهاجرين أصبحت تتناقص مع مرور السنين، وأصبحت ضئيلة حسب "بيلير"، ثم باتت الكيلة لا توزع بالطلق منذ وفاة مولاي الحسن إلى غاية عودة مولاي عبد العزيز إلى فاس لم توزع الكيلة مطلقاً². والجدول التالي يوضح لنا هذا التدهور الحاصل في الصلات المخزنية، من خلال ارتفاع صرف الريال وانخفاض صرف المثلقال خلال النصف الثاني من القرن 19م³:

السنوات	تطور قيمة صرف 1 ريال فرنسي في فاس		تطور قيمة سعر صرف 500 مثقال (صلة الشرفاء الجزائريين بفاس) بالريال الفرنسي
	بالمثلقال	بالأوقية	
1853	1.7	17	294.10
ماي 1860	2.7	27	185.10
جويلية 1860	3	30	166.60
1862	3.25	32.5	156
1868	4	40	125
1877	6.3	63	79.36
1888	12.5	125	40
1890	14	140	35.71

ويعود هذا التذبذب في قيمة صرف العملات، إلى التنافس الأوربي الذي بات يهدد المغرب، والظروف الاقتصادية والاجتماعية التي تعرض لها؛ بسبب الأزمات الدورية التي كانت تعصف به بين الحسين والأحرار. حيث ارتفع سعر القمح مثلا في سنة 1866 من 20 إلى 64 مثقال، وسعر الشعير من 10 إلى 40 مثقال، وسعر الحطب من 6 أواق للحمل إلى 12 أوقية⁴. بينما في سنة 1878 تكون أسعار الحبوب قد ارتفعت بنسبة 300%، فقد بلغ القمح في الدار البيضاء 35 فرنك للهيكتولتر؛ ثم سرعان ما ارتفع إلى 50 فرنك، مع العلم أن سعره في الأوقات العادية يساوي 7.50 فرنك للهيكتولتر⁵.

هذا إلى جانب الآفات الاجتماعية المتنوعة التي عصفت بالمغرب ما بين سنوات 1890-1894، فكان أؤها الجفاف الذي ساد خلال فصل الشتاء، ثم الفيضانات التي أعقبته خلال شهر مارس من سنة 1890.

1 - Ibid, p. 73.
2 - Ibid, p. 73.

3 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 87.

4 - محمد الأمين، الزاز: تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1992، ص. 194.

5 - المرجع نفسه، ص. 242.

فانخفض إنتاج القمح في الحماية مثلا من 121.220 مد عام 1889 إلى 48.780 مد عام 1890، أي بنسبة 60%¹. ولقد تميزت سنة 1891 بالجفاف الحاد الذي ضرب بالخصوص المناطق الجنوبية، مما أدى إلى ضياع المحصول ونضوب المراعي وهلاك عدد كبير من الدواب، وبجانب الجفاف تميزت السنة بغزو مخيف للحشرات، الذي اكتسح فتيق وتافيلالت والسوس، ومراكش وفاس ووعدة.. الخ، وخلف وراءه دمار هائل للمنتجات الفلاحية وللبساتين والمراعي وغيرها²، ولقد أعقبت سنين المسغبة هذه انتشار مرض الكوليرا في الفترة المتسدة من 1896-1595³.

- عموم المهاجرين:

لم يكن الأشراف وحدهم قد نالوا مكانة معتبرة فحسب بل حتى عموم المهاجرين، الذين باتوا يشكلون في الغالب فئة تتجاوز حدود 5000 نسمة⁴، ولقد كان كل واحد منهم بإمكانه الكتابة إلى السلطان، سواء تعلق الأمر بطلب المساعدة المادية أو المعنوية، ومن بين الأمثلة الواردة بهذا الخصوص:

- قضية المهاجر الجزائري المهدي عبد الرحمان المدعو التلمساني نزيل فاس.

إن هذا الشيخ الطاعن في السن والفقير الحال يكون قد بعث برسالة إلى السلطان عبد العزيز يشكو فيها حالته الاجتماعية، عن طريق حاجبه أحمد بن موسى، وهي مؤرخة في 18 محرم 1312هـ / 22 جويلية 1894م، ومما جاء فيها بهذا الشأن: «فإني من آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، وذو عيال ولا أملك عشاء ليلة، وقد بلغت من العمر ثمانين، فالمرجو منك أن تطالع العلم الشريف بعالي ينعم علي بتنفيذ من أحباس سيدي فرج بفاس»⁵.

-- النظر في بعض المسائل المتعلقة بالمهاجرين الجزائريين وحلها.

وهذا ما وقفنا عليه من خلال الرسالة السلطانية التي كتبها السلطان المولى الحسن إلى السيد محمد بركاش، المؤرخة في 12 محرم 1300هـ، وهي تتحدث عن مسألة جد عالقة بين كل من السيد محمد الموفق على والحسين بنونة التلمساني، ولقد حاول السلطان حل هذه المسألة غير أن الحالة الصحية التي كان يمر بها بنونة التلمساني دفعت بالسلطان إلى التأجيل النظر في قضيته ريثما يتمثل للشفاء.

ومما جاء فيها بهذا الخصوص: «وبعد، إنه وصلني كتابك الأعز في شأن ما للسيد محمد الموفق على الحسين بنونة التلمساني لتتكلم معه في أداء ما عليه للموفق المذكور، وإلا نوجهه لمقابلة صاحب دعوته لطنجة أو لفاس، فتعلم رعاك الله أن ساعة وصول كتابك صادف الحال الحسين بنونة المذكور مريض... فانتظرت حتى يتمثل للراحة وكلفته بالقدوم لطنجة فذكر أنه لا يقدر على الركوب في البحر، وأنه توجه أمس تاريخه لفاس

1 - المرجع نفسه، 318.

2 - المرجع نفسه، ص. 319.

3 - المرجع نفسه، ص-ص. 323-340.

4 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 83.

5 - المرجع نفسه، ص. 89.

على طريق البر، وضممناه رجالان من أبناء عمه على الوصول لفاس وملاقاته مع صاحب دعوته المذكور، وأعلمت سيادتك لتكون على بال»¹.

- بخصوص أولاد مولاي أحمد بن الطالب المهاجرين الذين منحت لهم أراضي للحرث، من بلاد السديهلة، حيث يجرث الجانب الشريف، فزولوا بها واستوطنوها، وإنه لما قدم عليهم الحاج الشيخ البوشيخي، بأمر من السلطان، ونزل بالقرب منهم طلب منهم بقعة موالية إليه من بلادهم يتزل بها، واشترط معهم أنهم مهما طالبوه بالرحيل منها فعل، غير أنه تجرأ عليهم وخالفهم على ما تم الاتفاق عليه، فرفعوا شكواهم إلى الحضرة الشريفة للنظر في شأنه. ملتسبين منها توجيه أرباب المعرفة لتقوم ما حدث، وهذا ما نلمسه في الوثيقة الملكية المؤرخة في 16 محرم 1310هـ².

2- موقفهما من المهاجرين الجزائريين نحو وجدة.

لقد واصلنا كل من السلطان سيدي محمد ونحله الحسن الأول برورهما بالمهاجرين بوجدة، على غرار السلطان عبد الرحمان ابن هشام، وقبل الحديث عن مظاهر هذا التوقير والاحترام أود الإشارة إلى أن المهاجرين بوجدة، قد شكّلوا تنظيم خاص بهم؛ على غرار إخوانهم المهاجرين بمدينة فاس، غير أنه ليس في شكل النقيب وإنما في ما عرف بهيئة الشيوخ أو هيئة الجماعة فيما بعد، ويكمن دور هذه الهيئة في تسيير مختلف شؤون المهاجرين، كما تمثل واسطة بينهم وبين الإدارة المخزنية في وجدة، ويتم انتقاء أعضائها من العناصر الفاعلة والمتقفة من جموع المهاجرين.

ومن بين العناصر التي ترأست هذه الهيئة حسب ما ذهب إليه "لويس موجان" كل من: محمد المسيرالي الكورالي، ومحمد بن العربي، ومحمد التهامي، هذا مع نهاية القرن 19م، أما مع مطلع القرن 20م فلقد ترأسها محمد الميرالي، وعضوية كل من: علي بن عبو، وعبد القادر بن الكندوز، ومحمد بن العربي، ومحمد التهامي، ومحمد بن أحمد الهاشمي³.

أما بالنسبة لموقف السلطان سيدي محمد، والحسن الأول من المهاجرين بوجدة، فيمكن حصره في تلك الظواهر التي كانت تصدر بين الحين والآخر في حقهم؛ وهي ظواهر جمعت بين منح المساعدات المادية والمعنوية، وتعيين البعض منهم في الوظائف الحكومية، إلى جانب فض بعض النزاعات والقضايا العالقة التي ترفع للحضرة السلطان؛ ويمكننا التطرق إلى ذلك بمراعاة العامل الزمني في صدور وتتابع هذه الظواهر التي هي مرتبة على النحو الآتي:

1 - م، و، م، ر: رسالة السلطان المولى الحسن إلى محمد بركاش في شأن ما للسيد الموفق على الحسين بنونة التلمساني، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 33860.

2 - م، و، م، ر: عريضة الشكوى التي رفعها أولاد أحمد بن طالب إلى السلطان بشأن الحاج الشيخ البوشيخي، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 23993.

3 - Louis, Mougine: Les Algériens à Oujda, op, cit, P. 190.

1- توصل الفقيه سيدي محمد بن عيسى المستغامي¹ في جمادى الأولى 1298هـ، بصلة ملكية تشتمل على: قفطان ملف، وسلهام ملف، وكساء بالحاشية، وكسوة من كتان، وشاشية، وبلغة منديل، ونصف شقة حياتي، وهبة نقدية²، هذا زيادة على راتبه الذي كان يتقاضاه والمقدر في حدود سنة 1291هـ بحوالي تسع مثاقيل³.

2- قيام الفقيه والعدل والقاضي سيدي الهاشمي بن أبي مدين بن روكش الوجدي ناظر أحباس مدينته وجدة⁴ بأمر من السلطان بدفع الكسوة والصلة الملكية للعلامة سيدي محمد بن عيسى وولدي أخيه⁵، كونهما من الجادين في درس العلم، وذلك في 24 شوال 1300هـ، ودفع الكسوة والصلة الملكية للعالم سيدي العربي. والعالم التحرير سيدي محمد الضير ولدي سيدي الحبيب؛ في 2 ذو القعدة 1301هـ⁶.

3- التوقير والاحترام الذي خص به السلطان الحسن الأول المهاجرين التلمسانيين بوجدة، من خلال الظهير الذي أصدره إلى الأمين الحاج عبد السلام المقرّي، والمؤرخ في 18 ربيع الثاني 1305هـ، ومما جاء فيه بهذا الخصوص: «سَدَلْنَا عَلَى حَمَلْتِهِ الْمُهَاجِرِينَ مِنْ تَلْمَسَانَ... الْقِسَاطِينَ بِوَجْدَةَ رِءَاءِ التَّوْقِيرِ وَالتَّعْظِيمِ وَالتَّحْرَامِ... وَجَمِيلِ الرِّعَايَةِ وَالتَّوْقِيرِ، وَأَقْرَبَاتِهِمْ عَلَى عَادَتِهِمُ الْمَأْلُوفَةِ وَطَرِيقَتِهِمُ الْمَعْرُوفَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْتَرِقَهَا عَلَيْهِمْ أَحَدٌ بِسُوءٍ وَلَا يَسَاوِمَهُمْ بِمَكْرُوهٍ، وَلَا يَنْتَهِكَ لَهْمُ حَرَمَةٍ بِوَجْهِهِ مِنَ الوجودِ، وَالتَّوَقُّفِ عَلَيْهِ مِنْ عَمَالِنَا وَوَلَاةِ أَمْرِنَا الشَّرِيفِ؛ يَعْلَمُهُ وَيَعْمَلُ بِمَقْتَضَاهُ»⁷.

4- الإنعام على مصطفى بن باص التلمساني بـ 60 أوقية في كل شهر، وهذا ما جاء في الظهير السلطاني الذي أصدره السلطان الحسن الأول إلى أمين المستفادات، والمؤرخ في 6 ربيع الثاني 1304هـ، الذي جاء فيه بهذا الخصوص: «تَأْمُرُ أَمِينَ الْمُسْتَفَادَاتِ بِوَجْدَةَ حَرَسَهُ اللهُ، أَنْ يَنْعَمَ لِمَاسِكِهِ مُصْطَفَى بْنِ بَاصِ التَّلْمَسَانِيِّ لِقَاطِنِ بُوَجْدَةَ سِتِينَ أَوْقِيَةً فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ وَفْرِ الْمُسْتَفَادَاتِ كِبَاعَانَةً لَهُ عَلَى حَالِهِ، وَالسَّلَامِ»⁸.

1 - ينحدر من عائلة آل رورو المستغامي الذين سبق الحديث عنهم في موجات الفجرة نحو مدينة وجدة.

2 - بدر، المقرّي: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 59.

3 - المرجع نفسه، ص. 59.

4 - تم تعيينه ناظر أحباس حاضرة وجدة في مستهل شهر رجب سنة 1291هـ، على عهد العالم القاضي سيدي محمد بن الهاشمي المبري الحسني، ولقد كان موسوما بالعدالة وقبول الشهادة في محرم فاتح عام 1302هـ، و 16 ذي القعدة 1332هـ، و 7 جمادى الأولى 1338هـ، و 16 رجب 1340هـ، و 3 ذو الحجة 1342هـ، ولا زال على حطة العدالة في 4 شعبان عام 1344هـ، إلى أن توفي. يراجع: بدر، المقرّي: خطط المغرب الشرقي، ص. 62.

5 - ينحدر هذا العلامة من آل ابن روكش الإدريسي الحسني، الذين سبق وأن هاجروا نحو حاضرة وجدة من مدينة معسكر في حدود سنة 1253هـ.

6 - بدر، المقرّي: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 62.

7 - م، و، م، ر: رسالة السلطان المولى الحسن إلى الأمين الحاج عبد السلام المقرّي، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 17499.

8 - و، خ، ح، ر: رسالة السلطان الحسن الأول إلى أمين المستفادات بوجدة، كناش غير مرقم.

5- رسالة السلطان الحسن الأول المؤرخة في 15 شوال 1304هـ إلى أمين المستفادات بوجدة يستفسره فيها بشأن عدم تنفيذ 60 أوقية إلى الطالب مصطفى بن محمد بن باص التلمساني، ومما جاء فيها: «وبعد، فقد أخير المهاجر الطالب مصطفى بن محمد بن باص بعدم تسديده له الستين أوقية التي أمرناك بإعطائها له... وعليه فنقدتها له أو بين السبب في عدم تنفيذها»¹. وتطالعنا أحد الوثائق التاريخية أن هذا الفقيه توصل في شهر رجب 1316هـ/ ديسمبر 1896م بصلة نقدية قدرها 335 بسيطة، وبصلة قدرها 50 بسيطة².

ونظرا للظروف الاقتصادية التي كانت تمر بها الدولة المغربية مع مطلع الثمانينيات، وما ترتب عن ذلك من تراجع ملحوظ في خزينة الدولة، تكون الصلات السلطانية الممنوحة لصالح المهاجرين قد بدأت في التراجع شيئا فشيئا، حيث تضاربت أسعار الصرف، من خلال ارتفاع صرف الريال وانخفاض صرف المثقال، وهذا ما يبرزه لنا الجدول الموالي³:

السنوات	تطور قيمة سعر صرف 1000 مثقال (صلة مهاجري وحدة) بالريال.
1853	588.2
ماي 1860	370.2
جويلية 1860	333.2
1862	312
1868	250
1878	158.72
1888	80
1890	71.42

وهو ما دفع بكثير من المهاجرين إلى مراسلة السلطان شاكين له حالهم مما أصابهم من حيف وظلم، من طرف الأعوان والعمال المكلفون بمنح هذه الصلات، ويستدلون في ذلك بما يتوفرون عليه من ظهائر سلطانية كان قد منحها لهم السلطان عبد الرحمان ابن هشام؛ وجملة الرسائل والشكاوى التي تم رفعها للسلطان تعبر عن الفاقة والعوز الذي يعاني منه عموم المهاجرين بوجدة؛ ومن بين هذه الرسائل التي وردت على الحضرة السلطانية في هذا الشأن نذكر ما يلي:

- 1- و، خ، ح، ر: رسالة السلطان الحسن الأول إلى أمين المستفادات بوجدة، كناش غير مرقم. ولقد أشار إلى هذه الوثيقة عبد الحميد إسماعيلي في مقاله الموسوم ب: علماء المهجر بمدينة وجدة في القرن 19، ص. 78.
- 2- و، خ، ح، ر: بشأن توصل مصطفى بن محمد بن باص التلمساني بصلة سلطانية، كناش رقم 440.
- 3- محمد، أسطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 87.

أ- رسالة الفقيه مصطفى ابن عبد القادر بن الطيب بن عبد الرحمان من شرفاء غريس، المهاجر بوجدة، وذلك على اثر وفاة والده؛ وتركه ذو عيال واحتياج ولا معين له؛ عدا أحد الأمناء العامين بتلك الناحية، فيطلب من السلطان الإنعام عليه كونه من ذوي التعلق بالجانب الأسمى.

ومما جاء في هذه الرسالة المؤرخة في 3 جمادى الثانية 1307هـ: «وبعد، قد أعز الله مولانا ونصرد وقطع بسيفه دابر الكفرة الفجرة... والدنا المرحوم السيد عبد القادر بن الطيب الغريسي إمام مسجد القصبية، تركني وأنا ذو عيال ولا صناعة ولا زراعة سوى ما يفعله معنا الأمين السيد محمد بن أحمد زبير من الإحسان لإعانتنا له على تقييد الداخل برحبة الحبوب... فنطلب من سيدنا أعزه الله أن يأمر الأمين المذكور وغيره أن يعين لنا ما نستعين به على عيالتنا، فنحن من جملة المتعلقين بالجانب الرفيع والطارئين داخل الحصن المنيع»¹.

ولقد كتب على ظهر رسالته عبارة نعم سيدي أعزكم الله، فهو ولد المدرس المسن الذي كان إماما بمسجد دار المخزن، وكان ينعم مولانا عليه بصلة قدرها 500 مثقال عند رأس كل سنة، هذا مع ما كان يمنحه له ناظر الأحباس مع الكسوة².

وفي خلال سنة 1307هـ، نقف على الإنعام السلطاني الذي حظي به الفقراء المهاجرين بوجدة؛ المقدر بمائة ريال، يكون قد وزّعها عليهم سيدي الهاشمي بن أبي مدين بن روكش، حسب الأمر الملكي المؤرخ في 14 رمضان 1307هـ³.

ب- رسالة من كافة مهاجري وجدة إلى السلطان الحسن الأول مؤرخة في 15 شعبان 1307هـ/ 6 أبريل 1890م، ومما جاء فيها: «فليكن في علم مولانا أعزه الله أننا في غاية الضرر الفادح لغلاء القوت بهذه الحضرة الوجدية ونواحيها... فنطلب من سيادة مولانا أن يمدنا بما أنعم عليه نظرا لمجرتنا وضعف حالتنا، كما كانت العادة من مولانا ومن الطاهرين أسلافه»⁴.

ب- رسالة من جماعة المهاجرين بوجدة موجهة إلى السلطان الحسن الأول؛ ومؤرخة في 18 جمادى الثانية 1308هـ⁵، يطلبون منه الصلة المعهودة لهم والمقدرة بألف مثقال، والتي لم توزع عليهم منذ ثلاث سنوات، كما يُنوهون فيها بالشفقة والرحمة التي ينعمون بها تحت رعاية عامل وجدة عبد الرحمان، ويخسرون

1 - م، و، م، ر: رسالة المهاجر مصطفى ابن عبد القادر بن الطيب بن عبد الرحمان من شرفاء غريس إلى السلطان الحسن الأول، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26502.

2 - م، و، م، ر: رسالة المهاجر مصطفى ابن عبد القادر بن الطيب بن عبد الرحمان من شرفاء غريس إلى السلطان الحسن الأول، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26502. وردت هذه المعلومات على ظهر الرسالة.

3 - بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 62.

4 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 85.

5 - يورد محمد أمطاط هذه الرسالة في أطروحته، ص. 86، مؤرخة في 18 جمادى الثانية 1302هـ، والصواب هو ما قيده أعلاه.

فيها السلطان بقدم جماعة جديدة من المهاجرين التلمسانيين نحو وجدة، ويلتمسون من السلطان أن يعينهم فضله وعطاءه كما شملهم هم من قبل.

ومما جاء فيها بهذا الشأن: «فليكن في كريم علمك... أن جل المهاجرين بوجدة يطلبون من فضل الله وفضل سيدنا وجوده، الإنعام عليهم بألف مثقال صلة على عادتهم السالفة منذ ثلاث سنين لم تخرج لهم مسن الحضرة العالية بالله... أن يتكرم علينا سيدنا بإخراجها لهم من أمليلية، فخير سيدنا كثير وعطاءه غير عسير... وتقبل الله لك منا صالح الأدعية ومن أراملنا وفقرائنا... ومما يجب علينا لسيدنا الإعلام بأن بعض مسن إخواننا أهل تلمسان أتوا إلينا راحلين عام التاريخ بقصد الهجرة ورجاء ثوابك وفضلك، وهم الآن معنا تحت ظل الله وظل سيدنا أعزه الله، فنحسب من الله... أن يستوصي عليهم العامل سي عبد الرحمان بالشفقة والرحمة كما نحن معه الآن في خير وعافية ونعمة من الله شامله والحمد لله على ذلك»¹.

ج- رسالة من جماعة المهاجرين بوجدة إلى الحضرة السلطانية، مؤرخة في 2 ذو القعدة 1308هـ، يطلبون فيها أيضا الصلة المعهودة لهم، ويثنون فيها على ولاية أمور السلطان وعماله جراء المعاملة الطيبة والحسنة التي تلقوها منهم، وهذا كله تقول الرسالة ببركة السلطان وفضله عليهم.

ومما جاء فيها بهذا الخصوص: «فليكن في كريم علم مولانا أيده الله أن جماعة المهاجرين بوجدة أهل تلمسان ونواحيها يطلبون من فضل الله وفضل سيدنا أعزه الله الإنعام عليهم بالصلة المعهودة لنا سابقا سنوية من أمين المستفادات بامليلية، كما خرجت لنا هناك مرة من غير تطويل ولا تسويق... ومما يجب بسه علينا لسيدنا أعز الله ملكه... بأن ظاهر سيدنا الشريف... المستوصي علينا فيه عامل البلد بالإحسان والبرور وعدم الخفاء، وسيد الثغور وافانا وقبلناه ظاهرا، وفرحنا به جميعا... فبشرنا فيه من حسن الإصغاء لنا وكشف يد الأعداء عنا، وجعل أولنا وآخرنا في ذلك سواء... وتلقانا بالفرح والسرور لا بالفضاضة والبثور»².

د- رسالة مصطفى بن باص التلمساني المهاجر بوجدة إلى السلطان، يطلب فيها صلة يستعين بها على حاله، ومما جاء في هذه الرسالة المؤرخة في 15 رمضان 1309هـ، بهذا الشأن ما يلي: «ومهاجر في سبيل الله وذو عيال وأولاد صغار مع قلة اليد يا سيدي، وكثرة العيال وعجزت عن القيام بأمرهم لغلاء الوقت (كذا) وارتفاع الأسعار، فالمطلوب من سيادة سيدنا الشريفة أن يتفضل علينا بصلة نستعين بها عليهم كما هي عادة سيدنا أعطاه الله كل الخير ونفعه بالأجر»³.

هـ- رسالة من الخدم ابن محمد التلمساني إلى السلطان بشأن مساعدته على إعالة عائلته، وهي رسالة مؤرخة في 16 ذو القعدة 1309هـ، ومما جاء فيها بهذا الخصوص: «وبعد، فليكن في كريم علم مولانا أيده

1 - م، و، م، ر: رسالة من جماعة المهاجرين بوجدة إلى السلطان المغربي، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 28270.

2 - م، و، م، ر: رسالة من جماعة المهاجرين بوجدة إلى السلطان يطلبون الإنعام عليه بالصلة، ويثنون على عماله، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 28454.

3 - م، و، م، ر: رسالة مصطفى بن محمد بن باص المهاجر بمدينة وجدة إلى السلطان يطلب فيها الإنعام عليه بالصلة، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 23532.

الله أن العبد الضعيف شريف ومهاجر في سبيل الله بهذه البلدة الوجدية... والعبد ذو عيال وأولاد صغار وقد ضاقت المعيشة لاسيما في هذه الساعة، فالمطلوب من سيادة سيدنا الكريمة أن يتفضل علينا بتصيب نستعين بسمه على معيشة أولادنا»¹.

و- رسالة محمد بن محمد المدجل التلمساني² يلتمس فيها من السلطان ضرورة تدارك المهاجرين بوجدة، قبل أن تنأزم حالتهم الاجتماعية أكثر، وهي رسالة مؤرخة في 27 ذو القعدة 1309هـ، كما يشكو فيها أيضا التطاول الذي لحق بعض المهاجرين من طرف بعض العمال والقواد الذي لم يلتزموا بما سنه السلطان في حقهم، ولم يراعوا حرمتهم ولا شرفهم ولا مشروفهم.

ومما جاء فيها هذا الخصوص: «ولا يخصنا بفضل الله وفضل نبينا إلا التوقير والاحترام مع آل وجدة، فقد بالغوا في اذابتنا وخرق العادة علينا... ولم يوقروا فينا لا شريف ولا مشروف، ولم يرقبوا فينا إلا ولا ذمة، ولم يمهلنا العامل ولا نظر معسرنا فشكونا لسيدنا نصره الله أن يمن علينا بالتوقير والاحترام فبعض منا في السجن وبعض فرّ لضريح الأولياء والمدافع محترم... وإن لم يدركنا سيدنا بفضل عاجلا هلكتنا جميعا»³.

ز- رسالة من جماعة المهاجرين بوجدة إلى السلطان يشكون فيها حالهم مما لحقهم من اذابة أحمد ولسد بعيز الحجاج، وعامل وجدة، والفتنة التي أوقد نارها بين صفوف المهاجرين، وهي رسالة مؤرخة في 27 ذو القعدة 1309هـ. ومما جاء فيها هذا الشأن: «وبعد، فليكن في كرم علم مولانا أيده الله أن أحمد ولد بعيز الحجاج الذي أتى مع العامل ودخل في خليج المخزن هو الذي أوقد نار الفتنة للمهاجرين، وبصر العامل بأمورنا وقال فينا ما لا يقال للعامل وغض بصره علينا من شدة ما قيل له ولا رحمة لنا إلا من الله... فشكونا له ولأمير المؤمنين بهذا الرجل المذكور خاصة وبإخوانه عامة... وكل فتنة تقع في البلاد إلا وهو أصلها ومقدم فيها»⁴.

ح- رسالة مصطفى بن عبد القادر بن الطيب من شرفاء غريس المهاجر بوجدة، إلى السلطان الحسن الأول، الذي كان قد أنعم عليه بخمسة مثاقيل إعانة له على المواظبة على التدريس، وملازمته له، غير أنه تفرغ بعد ذلك لأموار معاشه، خاصة بعد وفاة والده الذي كان يتقاضى 50 أوقية من الجناح الشريف كل شهر وهو هنا يطلب بتنفيذ الصلة له، كونه طال تردده بالكتابة للحضرة الشريفة، ومما جاء في هذه الرسالة المؤرخة

1 - م، و، من ر: رسالة من ابن محمد التلمساني إلى السلطان يطلب فيها مساعدته على معيشة عياله، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 23400.

2 - كان يعمل مساعدا لامين المستفادات بوجدة.

3 - م، و، م، ر: رسالة شكوى من جماعة الشرفاء والضعفاء المهاجرين بوجدة إلى السلطان المغربي، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 23842.

4 - م، و، م، ر: رسالة من جماعة المهاجرين بوجدة يشكون فيها ما لحقهم من حيف وظلم من طرف أحد العمال بوجدة، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 23839.

في 12 ربيع الأول 1310هـ هذا الشأن: «فقد كنت ملازماً للقراءة في حياة والدنا المرحوم، ولما مات تركني لا صناعة ولا زراعة سوى ما نستمدّه من حيث جودكم»¹.

6- الإنعام على سيدي الحاج أحمد بصلة سلطانية قدرها 25 أوقية في 17 شعبان 1312هـ².

ولقد كانت مساعدات السلطان تُلتبس حتى من المهاجرين الجزائريين المقيمين بالدار البيضاء، وتلمس ذلك من خلال الرسالة التي رفعها العامل عبد الرحمان بريكش إلى الحضرة الشريفة بخصوص الفقيه محمد بن الزيتوني الجزائري؛ المورحة في 23 جمادى الثانية 1307هـ، يلمس فيها من السلطان مساعدته على إعالة عياله وأولاده.

ومما جاء في مضمون هذه الوثيقة بهذا الخصوص: «فليكن في كريم علم مولانا أعزه الله أن الفقيه السيد محمد بن الزيتوني الجزائري (كذا) قدم إلى هذا الثغر واستوطنه بعياله وأولاده فاراً بدينه من ذلك الوطن أعاده الله مقراً للإسلام، ثم اتخذ بيتاً بالمسجد الأعظم فلأزمه النهار كله لنشر العلم وإقراء مختصر خليل، وهو ضعيف الحال... وقد وجّه إلى بطاقة تصل حضرة مولانا العالية بالله طالباً أن ينعم عليه مولانا أعزه الله من تحيره الجسيم ويره العميم بمشاهدة من وفر الأحباس يستعين بها على عياله وأولاده، رعاية لوصف العلم واغترابه»³.

القادر للطب
الإسلامية

1 - م، و، م، ر: رسالة مصطفى بن عبد القادر بن الطيب من شرفاء غريس المهاجرين بوجدة إلى السلطان الحسن الأول، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 28137.

2 - بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي: المرجع السابق، ص. 37.

3 - م، و، م، ر: رسالة العامل عبد الرحمان بريكش على الحضرة الشريفة بشأن الفقيه محمد بن الزيتوني الجزائري المهاجر بالدار البيضاء، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26989.

الفصل الثالث.

موقف السلاطين أبناء الحسن الأول والسلطان

محمد الخامس من المهاجرين الجزائريين

(1894-1930).

- موقفهم من المهاجرين الجزائريين بفاس
- موقفهم من المهاجرين الجزائريين بوجدة
- موقفهم من المهاجرين الجزائريين بمدن أخرى
ومناطق متفرقة
- موقفهم من حركة الشيخ بوعمامة وأنصاره
بعد لجوئهم إلى المغرب
- موقفهم من الأمير عبد المالك الجزائري

1 - موقفهم من المهاجرين الجزائريين بفاس:

لم تكد تمر فترة وجيزة على وفاة السلطان الحسن الأول سنة 1894، وتسلم الحاجب أحمد بن موسى مقاليد السلطة في بداية عهد السلطان عبد العزيز، حتى بدأت الضغوطات الأوروبية عموماً والفرنسية خصوصاً تُنح على المخزن بضرورة فتح قنصليات لها بفاس، ورغم محاولة الحاجب المغربي التهرب من اقتراح الفرنسيين القاضي بتعيين "دي مارسيلي De Marcilly" نائب قنصلي لهم، إلا أنه لم يفلح في منع تعيين الجزائري عمال العبادي نائب قنصلي لفرنسا بالعاصمة المغربية ما بين شهر نوفمبر 1894 و شهر فيفري 1895؛ ونظراً لسلوكاته التي لا تتوافق مع منصبه اقترح وزير فرنسا على "الكي دورساي" نقله إلى طنجة وتعويضه بجزائري آخر هو قدور بن غريبط بشكل مؤقت قبل تعيين "دي مارسيلي"¹.

وبالتالي أصبح الجزائريون بفاس محل استقطاب من طرف الفرنسيين؛ ويبدو ذلك من خلال الامتيازات والإغراءات التي أصبحت تراهن عليها فرنسا لصالح هؤلاء المهاجرين، ومن بين ذلك الحصول على الجنسية الفرنسية بالمغرب، واعتبارهم بمثابة رعايا لها، وتقديم مساعدات مادية ومعنوية لصالحهم مستغلين في ذلك الظروف التي كان يمر بها المغرب على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي، ومن مظاهر عدم الاستقرار التي تميز بها عهد السلطان عبد العزيز، انتشار وباء الكوليرا الذي أدى إلى فرار كثير من الأغنياء والتجار إلى جبل طارق أو الجزائر، هذا فضلاً عن الحظر الذي فرض على المغرب في الموانئ المتوسطية، مما أضر كثيراً بالتجارة الخارجية وبمداخيل المخزن الجمركية².

إلى جانب هذا ثارت عدة قبائل مغربية وتمردت على السلطان، مثل الشاوية التي هددت الدار البيضاء خلال شهر سبتمبر 1894، ودكالة التي هددت الجديدة، والرحامنة وأحمر رمسيوفة وعدة قبائل أخرى من الحوز وسوس، وفي جويلية 1896 شقت قبيلة مزاب عصا الطاعة من جديد، وهاجمت ونهبت قصبه بني أحمد، ومما نتج عن ذلك أزمة الحبز التي أرغمت الفقراء على ممارسة عمليات السلب والنهب³، فأزداد الوضع تدهوراً؛ وغاب الأمن والاستقرار، ولم تكد تمر أزمة حتى تتبعها أخرى، حيث توالى هجمات الجراد وموجات الجفاف في سنوات 1896-1898، وبلغ الجوع بالناس مبلغه، مما اضطر كثير من الناس إلى الهجرة بحثاً عن لقمة العيش. ومنهم من باع أولاده وأهله في سبيل الحصول عليها⁴. فهل نجحت فرنسا في ظل هذه الظروف القاسية من تحقيق مشروعها القاضي باستقطاب المهاجرين الجزائريين؟ وما هو موقف المخزن من المهاجرين الجزائريين في ظل هذه الظروف؟.

لقد أصبح المهاجرون الجزائريون بالمغرب منذ عهد السلطان عبد العزيز محل تنافس كبير بين فرنسا والمخزن، ففرنسا كانت تسعى جاهدة لكسبهم واحتوائهم، والمخزن من جهته يسعى هو الآخر للحفاظ على ولائهم

1 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 85.

2 - محمد الأمين، البزاز: تاريخ الأوبئة والجماعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، المرجع السابق، ص. 341.

3 - المرجع نفسه، ص. 341.

4 - المرجع نفسه، ص-ص. 341-343.

وطاعتهم للسلطان المغربي، وبين هذا وذاك يبدأ موضوع المهاجرين الجزائريين في المغرب تتجاذبه الأهواء السياسية والدوافع المصلحية؛ عكس ما كان عليه الحال في عهد السلطان عبد الرحمان ابن هشام وولي عهده سيدي محمد ونجده المولى الحسن الأول.

لقد جاء موقف المهاجرين الجزائريين من الطرح الفرنسي حاسم وقوي، ويبدو ذلك من خلال مباحثتهم للسلطان عبد العزيز، وهذا ما نلمسه من خلال تحريرهم لوثيقة البيعة التي أشرف عليها الأمين عبد السلام بن محمد المقرّي، وهي مذيلة بشكلي عدلين من المهاجرين، وهما محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، ومحمد ابن محمد النسب، وموقعة من طرف 546 مهاجر جزائري وضعت أسماؤهم كلها على يمين الوثيقة¹، ونظرا للأهمية التاريخية التي تكنسها هذه الوثيقة رأيت من الضرورة بمكان التوقف عندها وتوظيفها بشكل جيد في موضوع بحثنا، ومن بين النقاط الرئيسية التي تضمنتها الوثيقة نذكر:

- رفض عملية الاستقطاب والاحتواء الفرنسية لجمهور المهاجرين الجزائريين المقيمين بمدينة فاس؛ ومما جاء في هذه الوثيقة هذا الخصوص: «وبعد، فلما قدم لهاذه الحاضرة الإدريسية الخفوفة السنية بعض النصارى من إيالة الفرانسييس، وصار يلتمس دخول المهاجرين بها من الجزائر وتلمسان وعمالتها في حمايته ونفوذ حكمه فيهم بمقتضى سيرته، فرع من ذلك أهل المروءة والعهد، والعلماء وذوا الرأي والدين، والفضلاء واحتجوا على أنفسهم وإخوانهم بنصوص الشريعة المطهرة أنه لا يسوغ لمومن رفض بيعة الإسلام والدخول في ولاية الكفر، فيعد من الناكثين والمارقين بعد أن كان في سواد المهاجرين»².

- التنويه بقدر الدولة المغربية، وبصفات الكمال ومكارم الأخلاق للسلاطين المغاربة الذين سبقوا السلطان عبد العزيز، ومما جاء فيها هذا الخصوص: «وكيف يسوغ الخروج عن هذه الدولة الفائزة على من عداها بمكارم الأخلاق المتحلية بصفات الكمال في جميع الأفاق، التي زادها الله شرفا وجاها، ورفع منصبها على سائر المناصب وأعلاها على من عالاها، ومد يدها بالنصر والعدل فزكت وقد أفلح من زكاها، واختار منها أقوم قوم ملاؤا (كذا) بالثناء سيرتهم الحميدة مسامع وأفواها، وتمسكوا للديانة من أسباب تقواها بأقواها، ونزهوا نفوسهم عن نقائص كالليل إذا يغشاها، فظفروا بمناقب فاحرة فإذا هي لطالبا كالنهار إذا جلاها»³.

1 - لقد أطلعنا مورخ المملكة المغربية ومدير الوثائق الملكية السيد عبد الوهاب بنمتصور على هذه الوثيقة في صورتها الأصلية، بمقر المديرية بالضريح الملكي بالرباط في شهر جويلية 2006م، ومنحنا نسخة مصورة عنها، إلى جانب عدد معتبر من الوثائق التي تتعلق بالمهاجرين الجزائريين في المغرب، فله منا جزيل الشكر والتقدير على خدماته ومساعدته. وللعلم أن هذه الوثيقة قد تطرق لها بالدراسة المرحوم الأستاذ محمد المتوني في مجلة دعوة الحق، وهذه الدراسة هي التي قادتني إلى البحث عنها عند مسورخ المملكة المغربية كونه أشار إلى أنه يملك أصل هذه الوثيقة.

2 - م، و، م، ر: رسالة جمهور المهاجرين الجزائريين بغاس إلى السلطان عبد العزيز بشأن مباحثته ورفض الدخول تحت الحماية الفرنسية، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 14252، ينظر الملحق رقم 17.

3 - المصدر نفسه.

- التنويه بالموقف الإيجابي الذي قبلوا به من طرف السلاطين، بعدما هاجروا من الجزائر نحو المغرب فارين بدينهم؛ ومما جاء في ذلك بهذا الخصوص: «وقد هجروا إليها وتركوا من عداها، فأووا برأيهم السديد إلى ركس رشيد، وزهدوا في أموالهم وأهاليهم في سبيل الله، وقطعوا النظر عما ألفوه بأرضهم من نفاذ الأمر وعظيم الجساد، فأبدلهم الله خيرا مما ألفوه، وما أمروا قط من جانب هاذة الدولة الفخيمة أدام الله نصرها بأمر تكلفوه ووجدوا في الأرض مراغما كثيرا وسعة حسبا وعدهم مولاهم مع نعيم الجنة، ومن مات منهم فقد وقع أجره على الله»¹.

-التأكيد على براءتهم من الدخول تحت ذمة الكفار ومبايعتهم للسلطان المغربي عبد العزيز، ومما جاء فيها بهذا الخصوص: «وأشهدوا على أنفسهم أنهم براء ممن دخل في حماية العدو براءة تامة وقطعوا عنه الوصال والوفاق لما رأوه من مخالفتهم وعدم استقامتهم فضلا عن أن يوافقوا على رأيهم الفاسد بالاتفاق، وأنهم منذ قدموا هاذة الحضرة بقصد الهجرة قطعوا التشوق عن وطنهم وعمن استولى عليه، وهاجروا ديارهم وأموالهم وقرابنتهم كما أمر الله، ابتغاء لمرضاته وإتباعا لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يبق لهم تعلق بالعدو والمنتولي على الوطن، وتقلدوا بيعة ملوك الدولة العلوية في عنقهم كما يجب عليهم»².

ثم تنتقل الوثيقة لتحديث عن مبايعة السلطان: «وقد بايعوا مولانا عبد العزيز كما بايعوا آباءه قبل من لدن هجرهم أيام السلطان مولانا عبد الرحمان أسكنه الله فسيح الجنان إلى وقته، ودخلوا فيما دخل فيه المسلمون وصاروا رعيته من جملة رعيته، وقد عمهم فضله وإحسانه كما فعل آباؤه الكرام...واقطفى أثرهم نصره الله في الأمر بتوقيرهم واحترامهم والإحسان إليهم وصلتهم، وزجر من اعتدى عليهم وعدم تكليفهم بأمر يشفق على سيهم والالتفات لبعض ما يصدر من بعض ولائهم لتدارك الأمراء بما يرضيهم من ذلك»³.

- العدد الهائل لجموع المهاجرين الجزائريين الذين وقّعوا على هذه الوثيقة، والمقدر عددهم بحوالي 546 مهاجر، دون ذكر من لم يسعهم حجم الوثيقة، ولقد حاولنا جاهدين تخرّيج أسماء المهاجرين الموقعين على نص الوثيقة بعد جهد كبير، ونظرا لأهميتهم رأيت من الضرورة بمكان إدراجهم مرتبين حسب ورودهم في نص الوثيقة في قائمة الملاحق.

ومن خلال عديد الوثائق الملكية التي توصلنا إلى جمعها بخصوص موقف سلاطين المغرب من المهاجرين الجزائريين بفاس خلال هذه المرحلة؛ وهي وثائق جمعت في عمومها على تمسك الجزائريين بحقوقهم الشرعية التي منحها لهم السلاطين الأوائل، والتي تخص التوقير والاحترام والإعفاء من الكلف والضرائب وغيرها، وهي تعكس في بعض جوانبها حالة الفاقة والعوز الذي يعاني منه العديد من المهاجرين؛ في ظل التطورات الحاصلة في المغرب على مختلف الأصعدة، وبناء على تاريخ صدور هذه الوثائق فإنه يمكننا توظيفها على النحو الآتي:

- رسالة من عبد السلام بن محمد إلى الحاجب سيدي أحمد بشأن محمد ابن منصور التلمساني الذي كان يسعى لتولي نقابة الشرفاء التلمسانيين بفاس على أثر وفاة أخيه، المؤرخة في 3 محرم 1312هـ، حيث يخبره فيها

1 - المصدر نفسه.

2 - المصدر نفسه.

3 - المصدر نفسه.

يرفض الشرفاء لتعيينه نقيبا عليهم؛ نظرا لميله الواضح للنصارى؛ ولم يتبعه من الشرفاء إلا من هو علسي شاكلته؛ ولقد توجه إلى حضرة السلطان في هذا المسعى، وهو أمر بات يخشاه الشرفاء؛ فوردوا عليه متنصليين من نقابته ومترئين مما عساه قد يصل إليه، ويوصيه في الأخير أن يكون على بال من أمره حتى لا ينفعه تدليسه ويبقى كتابه إلى السلطان في طي الإهمال.

ومما جاء في هذه الوثيقة المؤرخة في 3 محرم 1312هـ، بهذا الشأن ما يلي: «وبعد، فليكن في علمك أن السيد محمد ابن منصور التلمساني قد كان يحاول النقابة على الشرفاء التلمسانيين الذي بفاس مكان أخيه المتوفى... ولم يرتضه أعيان الشرفاء وأتقياؤهم لما تصف به من الميل إلى النصارى والتمويه بهم جهارا... ولم يجب إلى ظهير النقابة المعهودة عند النقباء وقد توجه الآن لحضرة مولانا أيده الله، فخشي الشرفاء من تدليسه فوردوا عليه متنصليين من نقابته ومترئين مما عسى أن يصل منه إن سوعد على مطنبه، وإلهم ينتظرون قدوم سيدنا وبشتون لديه قبائح أفعاله وشنيع أقواله... فحجب من سيادتك أن تكون من أمره على بال حتى لا ينفعه تدليسه... بحيث لا يجاب إلى ملاقات أو غيرها إذ لا حاجة للمخزن في نقابته ولا إلى مخالطته، والمصلحة في إبعاده»¹.

- رسالة من محمد بوسلخن التلمساني إلى الوزير سي أحمد، يطلب منه إعانته على ختان أولاده الثلاث، وكسوة له ولزوجه، ومما جاء في هذه الوثيقة المؤرخة في 18 محرم 1312هـ، بهذا الشأن ما يلي: «وبعد، فالمطلوب من سيادتك تباشر أمرنا مع مولانا اعزه الله في إعانة تطهير (ختان) أبنائي الثلاث وكسوتي نحن وأهلي على عادة أسلافنا»².

- رسالة محمد بن حريبط الحسني نقيب شرفاء تلمسان إلى الوزير سيد أحمد بن سيد موسى، المؤرخة في 29 ربيع الأول 1312هـ؛ والتي ذكره فيها برور وإحسان ملوك دولته بالمهاجرين؛ وبالإنعام الذي تلقوه من السلطان أثناء زيارته لمدينة فاس وعددهم أربعون، ويذكره ببراءتهم بموجب شرعي من الدخول في حماية العدو. ويلتمس منه الوفاء بالوعد الذي ضربه على نفسه بعدما اطلع السلطان على موجههم المذكور، وأن لا يتغافل عنهم كون ذلك ليس من الشيم المعهودة، خاصة بعدما امتنع الوزير عن إبلاغ النقيب وبعض الشرفاء من حضور مناسبة إحياء المولد النبوي الشريف في حضرة السلطان.

ومما جاء في هذه الوثيقة بهذا الخصوص: «وبعد، فغير خاف عنك ما عوده ملك هاذه الدولة أدام الله وجودها للمهاجرين من البرور والإحسان، وكنا أحصينا لك الوافدين على سيدنا نصره الله يوم قدومه فهاذه الحضرة وهم أربعون من شرفاء المهاجرين وأعيانهم وقد حصل الإنعام من سيدنا على سائر الوافدين دوننا، ولا زالوا في انتظار إنعام مولانا عليهم كغيرهم، كما أنهم ينتظرون إنجاز وعدك الوفي بجواهرهم على ما أتيتهم بموجب شرعي من أنهم براء من الدخول في حماية العدو... فليس التغافل عنا من شيمكم المعهودة وإنما ذكرناك بماذا كما

1 - م. و. م. ر: رسالة عبد السلام بن محمد المغربي إلى الحاجب سيدي أحمد بشأن محمد ابن منصور التلمساني، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26363.

2 - م. و. م. ر: رسالة محمد بوسلخن التلمساني إلى الوزير سيدي أحمد، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26262.

اعتدنا عنك أيضا في حرق عادة عدم الإرسال للتقييد وبعض الأشراف معه ليلة المولد النبوي لحاضرة سبينا العالية بالله كغيرهم من سائر الشرفاء، وهذا لا ينقص برورك وإحسانكم إلينا»¹.

- رسالة من جماعة المهاجرين بتلمسان ونواحيها إلى الوزير أحمد بن موسى بن أحمد، قصد تذكيره بأنه منذ حلولهم بهذه الحاضرة وهو موقرون محترمون، ولم يطالبوا هدية ولا بكلف مخزنية، مُعظمون لا يسامون بمكروه منذ عهد السلطان عبد الرحمان ابن هشام؛ إلى عهد المولى الحسن؛ ويعلمونه فيها بأن عامل فاس قد طالبهم بأداء الهدية، وأنه رام حرق العادة عليهم رغم ضعف حالهم، ويتمسسون منه في الأخير أن يرفع انشغافهم إلى السسنتان ويسعى في عدم حرق العادة عليهم.

ومما جاء في هذه الوثيقة المؤرخة في 8 شوال 1312هـ، بهذا الخصوص ما يلي: «فتحن جماعة المهاجرين عال تلمسان ونواحيها...حللنا فسيح هذه الحاضرة الإدريسية صانها الله ونحن في توقير واحترام لم يطالنا أحد هدية ولا كلف مخزنية معظمون لا نساموا بمكروه...وقد رامنا اليوم عامل فاس بأداء الهدية...ورام حرق العادة علينا...وعليه فالمطلوب من سيادتك أن تنهي لأمرنا مولانا أيده الله وتسعى في ضيافة هجرتنا بحيث لا نخرق علينا عادة»².

- رسالة من إدريس بن الحاج محمد الشريف التلمساني إلى الوزير والحاجب الأسعد سيدي أحمد محمد، المؤرخة في 25 شوال 1312هـ؛ التي يلتمس فيها أن ينهي إلى علم السلطان لكي ينعم عليه بكسوة وصلة كونه من طلبه العلم الشريف ومن الفقراء، ومما جاء فيها بهذا الخصوص: «وبعد، فنطلب من الله ومك أن تنهي مولانا أيده الله أن ينعم علينا بكسوة وصلة...وليس عندنا بما تعامل به لأننا من طلبه العلم الشريف ومن الفقراء»³.

- رسالة من جماعة المهاجرين الرزنة/الرزامة إلى السلطان عبد العزيز، يتمسسون منه إسقاط الكلف المخزنية والوظائف السلطانية كونهم من الضعفاء، وأن يوصي أولاد جرير بهم خيرا ويكتب إليهم كونهم هربوا إلى الله ورسوله وإلى الجانب العالي بالله، ومما جاء في هذه الرسالة المؤرخة في 8 ذو الحجة 1312هـ، بهذا الشأن ما يلي: «وبعد، فالمطلوب من كمال مولانا وإحسانه أن يجود على خدامه المهاجرين في سبيل الله الرزنة، وهما الطالب الشيخ ومحمد بن لحسن وإخواننا ونحن عشرة حيام...ونحن ضعفاء ونزلنا قرب أولاد جرير وتكتب ضم وتوصيهم علينا لأننا هربنا إلى الله ورسوله وإلى الجانب العالي بالله»⁴.

1 - م. و. م. ر: رسالة نقيب شرفاء تلمسان محمد بن حريبط إلى الوزير سيدي أحمد بن سيدي موسى، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26404.

2 - م. و. م. ر: رسالة من جماعة المهاجرين بتلمسان إلى الوزير سيدي أحمد بن موسى بشأن حرق العادة عليهم، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 29301.

3 - م. و. م. ر: رسالة من إدريس بن الحاج محمد الشريف التلمساني إلى الوزير سيدي أحمد، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26283.

4 - م، و، م، ر: رسالة من جماعة المهاجرين الرزنة إلى السلطان عبد العزيز، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26285.

- رسالة من نقيب شرفاء تلمسان محمد بن حربيط إلى الوزير سيدي أحمد، يلمس فيها الإنعام على أحمد المهاجرين بإعانة مالية قصد تزويج ولديه، وما جاء في هذه الرسالة المؤرخة في 4 ذو الحجة 1313هـ، هذا الشأن ما يلي: «وبعد، فإن الشريف سيد عمر بن أحمد التلمساني عزم على زواج ولديه فنطلب من كرم سيدنا أيده الله أن يجود عليهما بالكسوة والإعانة»¹.

- رسالتان كتبنا من طرف نقيب شرفاء تلمسان محمد بن الحاج ابن حربيط الأولى موجهة إلى الوزير سيدي أحمد، في تاريخ 10 شعبان 1314هـ، والثانية موجهة إلى السلطان، تعلقنا بطلب الصلة والإعانة لنفقراء والضعفاء المهاجرين، وما جاء في الرسالة الأولى بهذا الخصوص: «أما بعد، فإن شرفاء المهاجرين من تلمسان ونواحيها مع عامة ضعفائهم يطلبون من سيدنا أيده الله الإنعام عليهم بما عودوه آباؤهم الكرام من الصلة للشرفاء والصدقة على سائر ضعفائهم كل عام... وقد أيقنوا بمطلبهم وتحققوا بنجاح سعيهم، حيث كان الأمر في ذلك إليك لما يعلمونه من حسن خلقك المقتضي فيه اثر والدك، والمرجو منك كما هو الظن بك أن تكون حسيب معين على إدخال السرور على هؤلاء (كذا) المهاجرين عند إطلاعك علم مولانا الشريف على هذا»².

وما جاء في الرسالة الثانية الصادرة في نفس التاريخ؛ والموجهة إلى السلطان: «إن شرفاء المهاجرين من تلمسان ونواحيها يطلبون من إحسان سيدنا أيده الله... من صلتهم كسائر الأشراف كل عام وهي سنة حسنة فازوا باكتسابها ونالوا أجرها وأجر العامل بها قدس الله أرواحهم... على أنه منذ نحو العشر سنين قد تعطلت لعدم الطالب لها... وكذلك سائر ضعفائهم ينتظرون ما تعودوه من إحسان موالينا وبرهم وإنعامهم كل سنة بصدقة من الزرع عليهم يرحمون بها ضعفهم ويصلون بها غربتهم، ولا زالوا يرتقبون من مولانا أيده الله سلوك أئسدهم في محبتهم لمن هاجر إليهم وإيثارهم... والمؤمل من سيدنا متعنا الله بوجوده تنفيذ القدر المعتاد من صلة الشرفاء وصدقة سائر الضعفاء وإحياء هذه السنة على حسب المراد»³.

ولقد جاء جواب السلطان أو وزيره على ظهر هذه الرسالة عبارة مفادها: «أمناء دار عدل يدفعون العساة على يد نقيهم»⁴، وخلال السنة الموالية 1315هـ، نسجل ورود حوالي ستة وثائق تاريخية تعلق بعضها بتنفيذ السلطان عبد العزيز للصلة والإنعام على المهاجرين استجابة لطلبات نقيهم، وبعضها الآخر تعلق بتحديد سقوف المساعدات للفقراء نظرا للمسغبة التي كان يمر بها المغرب، وهي مرتبة على النحو الموالي:

1 - م. و. م. ر: رسالة من نقيب شرفاء تلمسان بفاس محمد بن حربيط إلى الوزير سيدي أحمد، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26412.

2 - م. و. م. ر: رسالة نقيب شرفاء تلمسان بفاس إلى الوزير سيد احمد بن الحاجب، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26424.

3 - م. و. م. ر: رسالة نقيب شرفاء تلمسان محمد بن حربيط على السلطان عبد العزيز، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26423.

4 - المصدر نفسه.

- رسالة عبد السلام بن محمد إلى الوزير سيدي أحمد، بشأن توصل أهل تلمسان بالإنعام عليهم بوسقين من القمح، إلا أنهم طلبوا المزيد من الإنعام لكي ينال كل ضعيف منهم حظه، ومما جاء في هذه الرسالة المؤرخة في 5 صفر 1315هـ، بهذا الشأن: «فقد وصلنا كتابك الأعز وطيه كتاب شريف بالإنعام على ضعفاء أهل تلمسان بوسقين من القمح عند أمناء المرسى السعيد... إلا أنهم ذكروا أنهم لما استوعبوا عدد المحتاجين منهم ألفسود ثمان عشرة مائة، وطلبوا مزيد الإنعام... لينال كل ضعيف منهم حظا يقوم بقوت عياله»¹. ولقد كتب على ظهر هذه الرسالة: «نعم سيدي أيديك الله، إنما نفذت ضم الوسقان قياسا على ما كان نفذ لهم في المسغبة المتقدمة، لأنها هي عادتهم في مثل ذلك، كما نفذت العادة 15 لضعفاء أهل فاس إلا أنهم الآن تشوفوا للزيادة، حيث زيد لأهل فاس ما أكملت لهم به خمسون وسقًا، ولمولانا النظر»².

- رسالة من عبد السلام بن محمد إلى الوزير سيدي أحمد، يخبره فيها بما أنعم به السلطان على ضعفاء أهل تلمسان بالوسقين إلحاقا لهم بضعفاء أهل فاس، ويخبره بزيادة الوسقين الاثنى عشرة لهما على ما مُنح لهم. ليصيروا أربعة أوساق، غير أن أمناء المرسى السعيد اعتذروا بعدم تيسير ما يدفعونه لهم لا من الوسقين الأولى ولا من الثانية، وأنهم ما زالوا لم يحوزوا شيئا من ذلك الإنعام الشريف.

ومما جاء في هذه الوثيقة المؤرخة في 9 ربيع الثاني 1315هـ، بهذا الخصوص: «فقد وصلنا جوابك الأعز عما أنعم به سيدنا على ضعفاء أهل تلمسان بالوسقين من القمح إلحاقا لهم بضعفاء أهل فاس في الإنعام الشريف، وطلبهم زيادة الإنعام... لينال كل فقير منهم إحسانه الكثير لكثرة عددهم، بأنك رعاك الله أهيت ذلك لنجالسة الشريفة فأنعم عليهم دان علاه بوسقين أخرى زيادة على الأولى ليصير المنعم به أربعة أوسق... وقد دفعنا كتابه الشريف لأمناء المرسى السعيد اعتذروا بعدم تيسير ما يدفعونه لهم لا من الوسقين الأولى ولا من الثانية ولا زالوا لم يحوزوا شيئا من هذا الإنعام الشريف، فنحب من تلك السيادة أن تطلع العلم السامي بالله على ذلك ليصدر أمره الشريف بتنفيذ الأربعة أوسق التي أنعم بها على أولئك الضعفاء عند أمناء صائره السعيد بدار عدل لأهم في غاية الحاجة والاضطرار»³، ولقد ورد على ظهر الرسالة عبارة أطلع عليه فننذ⁴؛ أي بمعنى تنفيذ المطالب المرفوعة لجلالة السلطان.

- رسالة من العربي بن أبي بكر من أولاد سيدي الشيخ وإخوانه المهاجرين بفاس، إلى الوزير سيدي أحمد. يطلبون من السلطان أن يعاملهم بكرم إحسانه ويوسع عليهم بما يناسب كرمه الجزيل لكونهم مهاجرين ومن ذرية خاصة سيد المرسلين؛ يلتسمون فيها الإنعام عليهم نظرا لما هم عليه من العوز والفاقة، ومما جاء في مضمون هذه الرسالة المؤرخة في 13 رمضان 1315هـ، بهذا الخصوص: «من عبید مستهم الضرورة وشملتهم الفاقة وكلب

1 - م. و. م. ر: رسالة عبد السلام بن محمد إلى الوزير سيدي أحمد، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26425.

2 - المصدر نفسه.

3 - م. و. م. ر: رسالة من عبد السلام بن محمد إلى الوزير سيدي أحمد بشأن الإنعام العريزي على ضعفاء أهل تلمسان بفاس، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26426.

4 - المصدر نفسه.

عليهم الزمان وانقطع رجاءهم إلا منك، أعني جماعة المهاجرين الفارين بدينهم إلى كهفكم الحصين المتعربين عن أوطانهم أولاد سيدي الشيخ القاطنين بالحوز بقية النسل الطيب سلالة أبي بكر الصديق، أما بعد فلا زايد أيدك الله على ما نحن فيه من الضيق والخرج»¹.

- وفي نفس التاريخ واليوم وردت رسالة أخرى من عبد السلام بن محمد إلى الوزير سيدي أحمد بستان جماعة تلمسان المغريين، كون صنعتهم باءت بالفشل لعجزهم بضعف الكبر، وهم يلتمسون من الوزير أن يطلع جناب السلطان على حالهم ويأخذ بأيديهم وينعم عليهم، ومما جاء في هذه الوثيقة: «وبعد، فإن جماعة المغريين من أهل تلمسان قد باءت صنعتهم بالفشل لعجزهم عنها بضعف الكبر، حتى بلغت فيهم الفاقة الغاية، وكان سيدنا المقدس بالله يعاملهم بالكسوة عن أمين العتبة الشريفة، وعشرة أفراد من القمح لكل واحد... فنحسب من سيادتك أن تطلع شريف علم مولانا بحالهم وتستمطر لهم سحائب كرمه وتأخذ بيدهم لدى جلالتهم حتى ينعم أعزاه الله عليهم بذلك»².

- ظهر عزيزي بشأن تولية محمد بن منصور نقيب على شرفاء أهل تلمسان القاطنين بفاس، ومما جاء في هذا الظهير المؤرخ في 1 صفر 1319هـ، بخصوص هذا التعيين: «إننا بحول الله وقوته وشامل بمنه ومنته جعلنا السيد محمد بن منصور التلمساني نقيب على الشرفاء أهل تلمسان القاطنين بالخضرة الإدريسية بفاس فأسندنا إليه النظر في أمورهم وكلفناه بشئونهم ومصالحهم لما بلغنا عنه من المروءة وجميل الأوصاف والأهلية لقيام بحق الأشراف، وأن يسير فيهم بسيرة حسنة وارتكاب الأمور المستحسنة»³.

- رسالة من عند المهدي ابن عبد الرحمان السلماني المدعو التلمساني إلى الوزير سيدي محمد، يلتمس منه أن يطالع جناب السلطان على حاله البئيس وينعم عليه بتنفيذة من أحباس المارستان بفاس، ومما جاء في هذه الوثيقة المؤرخة في 15 شوال 1315هـ، بهذا الشأن ما يلي: «وبعد، فإني من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ذو عيال ولا أملك عشاء ليلة، وقد بلغت من العمر ثمانين سنة، فالمرجو... أن تطالع العلم الشريف بحالي ينعم علي بتنفيذ من أحباس سيدي فرج من فاس»⁴، ولقد كتب على ظهر الرسالة عبارة نفذ⁵.

1 - م. و. م. ر: رسالة من العربي بن أبي بكر وإخوانه أولاد سيدي الشيخ إلى الوزير سيدي أحمد، ملف المهاجرين الجزائريين. سجل رقم 26428.

2 - م. و. م. ر: رسالة من عبد السلام بن محمد إلى الوزير سيدي محمد بشأن المغريين من أهل تلمسان، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26429.

3 - م. و. م. ر: ظهر عزيزي بشأن تولية محمد بن منصور التلمساني نقيباً على الشرفاء أهل تلمسان، ملف المهاجرين الجزائريين، ينظر الملحق رقم 18.

4 - م. و. م. ر: رسالة من المهدي بن عبد الرحمان السلماني المدعو التلمساني إلى الوزير سيدي أحمد، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26430.

5 - المصدر نفسه.

- ظهر عزيزي بشأن تولية النقيب محمد حجي على شرفاء أولاد ماجوا القاطنين ببني مرعاز من مداشر الزراهنة، استجابة لطلبهم ورضاهم عنه، وهو مؤرخ في 7 رجب 1322 هـ، ومما جاء فيه بهذا الخصوص: «إننا بحول الله وقوته وشامل يمنه ومنته أسندنا أمر النقابة على الشرفاء أولاد ماجوا القاطنين ببني مرعاز من مداشر الزراهنة إلى النقيب الأرضى السيد محمد حجي لتراضيتهم على ولايته عليهم»¹.

- ظهر عزيزي بشأن تولية محمد بن منصور التلمساني ناظر ثاني بأحباس فاس العليا، ومما جاء في هذا الظهور المؤرخ في 1 شعبان 1327 هـ بهذا الخصوص: «رشدنا ماسكه السيد محمد بن منصور التلمساني للتكليف ناظرا ثانيا بأحباس فاس العليا، وعليه في ذلك بتقوى الله ومراقبته في سره وعلايته، فنأمر الناظر الحسالي بقبولته لذلك وتمكينه من المتصرف معه يدا واحدة فيما هناك، كما نأمر الواقف عليه من خدامنا وولاة أمرنا أن يعينه ويعمل بمقتضاه ولا يحيد عن كرم مذهبه ولا يتعداه»².

- رسالة من محمد المقرئ إلى سي الطيب المقرئ؛ بشأن أربع مهاجرين جزائريين من نواحي تلمسان، خرق عليهم عامل فاس العادة وأدخل بعضهم السجن، ويلتمس منه أن يطلع جلاله السلطان على أمرهم كونهم يمتلكون ظواهر التوقير والاحترام منذ عهد السلطان عبد الرحمان ابن هشام.

ومما جاء في هذه الوثيقة المؤرخة في 6 رمضان 1328 هـ؛ بشأنهم: «وبعد، فلتعلم حفظك الله أن الأناس الأربعة المقيدون بالطرة³ هم من شرفاء تلمسان... ويدهم ظواهر شريفة من لدن سيدنا المقدس مولاي عبد الرحمان، وأن القايد سعيد بن البغدادي أراد خرق العادة عليهم ورام تكليفهم... وأفضى به الأمر أن قبض على أوليها وأودعهما السجن طالبين تسريح مسجونيهما ورفع يد التعدي عليهم من قبل العامل المذكور، ونحن شرحنا لك قضيتهم لتباشر أمرهم مع الجلالة الشريفة»⁴.

2- موقفهم من المهاجرين الجزائريين بوجدة.

لقد دأب المهاجرون الجزائريون بوجدة كغيرهم من المهاجرين بفاس على رفع العديد من الرسائل إلى بلاط السلطان مولاي عبد العزيز، ملتجئين منه بالإعانة عليهم على غرار ما كان معمولا به على عهد من سبقه من السلاطين، ونلمس ذلك من خلال بعض الوثائق الملكية التي نستشف من خلالها أيضا الحالة الاجتماعية لعموم هؤلاء المهاجرين، وكيف كانت ردود فعل المخزن تجاه مطالبهم، إلى جانب أننا سنسجل تجاوب السلطان عبد

1 - م. و. م. ر: ظهر عزيزي بشأن تولية محمد حجي نقيبا على الشرفاء أولاد ماجوا القاطنين ببني مرعاز من مداشر الزراهنة، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26570. ينظر الملحق رقم 19.

2 - م. و. م. ر: ظهر عزيزي بشأن تولية محمد بن منصور التلمساني ناظرا ثانيا بأحباس فاس، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 14298.

3 - تم إدراج أسمائهم على يمين الوثيقة وهم: عبد المالك العامري التلمساني (بالسجن)، وعلال (بالسجن)، و كل من السمام، وعبد السلام.

4 - م. و. م. ر: رسالة من محمد المقرئ إلى الفقيه سعيد المقرئ بشأن خرق العادة على بعض المهاجرين من طرف سعيد البغدادي والتعدي عليهم، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 31046.

العزیز فی شأن تنظیم وھیكلة المهاجرين الجزائريين عن طریق النقیب الذی تتم الموافقة علیه بظہیر سلطانی؛ حتی یتمكن من السهر علی شؤونهم ومراعاة أحوالهم ورفع قضایاهم و طرحها علی الحضرة الشریفة؛ وبناء علی ذلك یتمكن التطرق إلی هذه الوثائق حسب تاریخ صدورھا علی النحو الآتی:

- رسالة من جماعة المهاجرين بوجدة، الذین ینحدرون من مدينة تلمسان ونواحيها، یظنون فیها من السلطان الإنعام علیهم بالصلة السنویة المعهودة لهم من أمین المستفادات بإملینیة. وهی مؤرخة فی 2 ذی القعدة 1308هـ، حیث تبرز لنا المعاملة الحسنة والطیبة الّتی تلقاها عموم هؤلاء المهاجرين ومما جاء فیها بهذا الخصوص: «ومما یجب به علینا لسیدنا أعز الله ملكه وأطع فی سماء السعادة شمسه وبدره، الإعلام بأن ظاهر سیدنا الشریف المعتر بالله المستوصی علینا فیہ عاملنا بالإحسان والبرور وعدم الجفاء»¹. ثم تنتقل الوثیقة للحدیث عن کاتب الوزير الأعظم سی محمد بن أحمد الصنهاجی والفقیه عبد الرحمان ابن الصادق، وحسن المعاملة الّتی حظوا بها، ومما جاء فی ذلك «فبشرنا بما فیہ من حسن... وكف يد الأعداء عنا وجعل أولنا وآخرنا فی ذلك سواء... وتلقانا بالفرح والسرور لا بالفضاضة والثبور»².

- تفید بعض الوثائق الملكية أن المهاجرين تعرضوا فی بعض الحالات إلی كثير من المواقف السلیبة من طرف أهالی وجدة وعمال الأقالیم وبعض الأمناء، وهذا ما تبوح به الشکوی الّتی رفعها عنهم السید محمد بن محمد المدجل التلمسانی؛ إلی السلطان المغربي. ومما جاء فی هذه الوثیقة المؤرخة فی 27 ذی القعدة 1309هـ بهذا الخصوص: «ولا یخصنا بفضل الله وفضل سیدنا إلا التوقیر والاحترام مع ءال وجدة فقد بالغوا فی إذابتنا وخرق العادة علینا... ولم یوقروا فینا أحدا شریفا ولا مشروفا ولم یرقبوا فینا إلا ولا ذمة، ولم یبهلنا التعامل ولا نظیر معسرنا»³، ثم تنتقل الوثیقة إلی الحدیث عن الحالة الّتی علیها بعض المهاجرين: «فمنهم من یقبع فی السجن، ومنهم من هو محترم بضریح الأولیاء وبعضهم بالمدافع حتی یقضي الله أمرا كان مفعولا»، ویطلب المدجل التلمسانی فی الأخير التعجیل بتدارك أمرهم قبل هلاکهم.

- رسالة من أولاد مولای بن علی من أولاد سیدی عبد الله ابن منصور دفین عین الحوت سكان وجدة؛ إلی السلطان عبد العزیز، یلتمسون فیها أن ینظر إلیهم بعین الرضاء والصواب ویعفیهم من الكلفة المخزنیة والوظائف السلطانیة کغیرهم من الشرفاء القاطنین بوجدة. ومما جاء فی هذه الوثیقة المؤرخة فی 27 جمادی الأولى 1312هـ بهذا الخصوص: «أن یمن علی عبیده الشرفاء أولاد مولای بن علی أبناء مولای العربی من نحل السوی الصالح والقطب الواضح غوث زمانه السید عبد الله بن منصور دفین عین الحوت سكان وجدة وهم المهاجر الشریف مولای بومدین بن محمد بن علی وابن عمه مولای عبد الرحمان بن مولای المختار ابن علی، فسالمطلوب

1 - م. و. م. ر: رسالة من جماعة المهاجرين الجزائريين بوجدة بعد توصلهم بظہیر سلطانی یتوصی بهم خیرا. ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 28454.

2 - المصدر نفسه.

3 - م. و. م. ر: رسالة من السید محمد بن محمد المدجل التلمسانی مساعد أمین المستفادات بوجدة إلی السلطان المغربي، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 23842.

من الله ثم من سيدنا اعزه الله أن ينظر فينا بعين الرضاء والصواب من الكلفة المخزنية ومن الوظائف السلطانية؛ كما هما الشرفاء القاطنين بوحدة، فنحن من جملة المتعلقين بالجانب الرفيع والمبارين داخل الحصن المنيع¹. ولقد كتب على ظهر الوثيقة أحيب².

- رسالة من محمد بن عبد الله الدحاوي العسكري المهاجر بوحدة؛ إلى السلطان عبد العزيز، يلتمس فيها الإنعام عليه بصلة تجمع شتاته وتقوي ساعده كونه فقير فرّ بدينه ولا حرفة لديه، ومما جاء في هذه الوثيقة المؤرخة في 27 جمادى الأولى 1312هـ، بهذا الخصوص: «والمأمول من جنابكم الرفيع الإنعام علي بما يسد الخلة من صلة تلم شعبي وتجبر شتاتي فإني فقي ليس لي فتيل ولا نفيير لأنني حديث عهد بالمجرة فارا بسديني من الإبالسة الشرقية، ولا حرفة لي أقدر بها على تحصيل ما يجب علي عدا تلاوة القرآن العظيم والتشبيث بجنابكم... والمرجو من سيدنا أن لا يدعنا في زوايا الإهمال³. ولقد جاء في ظهر الوثيقة عبارة نفذ⁴.

- رسالة من كافة المهاجرين بوحدة إلى السلطان عبد العزيز بخصوص ورود كتابه الشريف لأمين حاضرة وحدة بتنفيذ الصلة لهم، غير أنه امتنع عن تنفيذها لهم رغم محاولاتهم المتكررة بالتراجع عن عصيانه هذا. ولذلك بادروا بالكتابة للسلطان ليطلع على حقيقة الأمر.

ومما جاء في هذه الرسالة المؤرخة في 15 شوال 1313هـ، بهذا الشأن: «ينهي لكريم عنم مولانا أيده الله أنه لما ورد كتابه الشريف لأمين هاذة الحضرة الوجدية بتنفيذ صلتنا المعتادة، دخلنا عليه بالأمر الشريف ومكناه من يده فبعد فتحه وقراءته أجاب أن بيده ما طلب عليه من الإذن بعدم دفع الصلات لكائين من كان ودفع لنا الكتاب الشريف... ولا زلنا نتردد عليه ونراوده لكي يرحم ضعفنا ويمكثنا من ما أنعم به مولانا المنصور بالله علينا، فسم يزد ذلك إلا نفورا وأخيرنا وصيف مولانا الباشا السيد إدريس بن يعيش بما صدر منه إلينا بأمرنا يرفع الإعلام لمقام سيده العالي بالله كما أمر غيرنا من أهل الصلات بتطير الإعلام لحضرة مولانا أيده الله، فامتثلنا أمره، ونرجو من فضل الله ومنته وفضل سيدنا نصره الله عود جوابه الشريف⁵.

ولقد كُتب على ظهر هذه الرسالة توضيحا بخصوص هذه الشكوى مفاده: «نعم سيدي، عندهم في العادة كما بحسابات وحدة ألف مثقال، وربما يكون غير معين في الإذن الذي صدر له فيبين له أنه ألف مثقال، وأما كونه يمتنع... فلا وجه له لأن ما يزيده في الصائر على ما حصر معه في الداخل... ولمولانا النظر⁶.

1 - م. و. م. ر: رسالة من أولاد مولاي بن علي من أولاد سيدي عبد الله ابن منصور إلى السلطان عبد العزيز، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26312.

2 - المصدر نفسه.

3 - م. و. م. ر: رسالة من محمد بن عبد الله الدحاوي العسكري المهاجر بوحدة إلى السلطان عبد العزيز، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26313.

4 - المصدر نفسه.

5 - م. و. م. ر: رسالة من كافة المهاجرين بوحدة إلى السلطان عبد العزيز، ملف المهاجرين الجزائريين. سجل رقم 26417.

6 - المصدر نفسه.

- رسالة من كافة المهاجرين بوجدة إلى السلطان عبد العزيز بشأن ما لحقهم من ظلم وحرور؛ من ناظر أحباس وجدة وعاملها، والتضييق عليهم وإكراههم على تنفيذ ما أسقط عنهم من كلف مخزنية ووظائف سلطانية؛ ومما جاء في هذه الوثيقة المؤرخة في 3 ذو الحجة 1313 هـ بهذا الشأن: «وبعد، فليكن في كريم علم مولانا أيده الله أن الكتابات الشريفة بتنفيذ العادتين، عند ناظر أحباس وجدة وأمينها الخدام المذكورين بإنعام سيدنا أعزده الله... فادعى كل منهما عدم الوفر غير ما يكفيهم... مع أن ما هم داخل عليهم يكفي الكل ويبقى السوفر الكثير... اجتمعت رؤساء هاذه (كذا) الحضرة واتفق رأيهم على إبطال ما بأيدينا من ظهائر مولانا الشريفة، ودخولنا معشر المهاجرين والشرفاء وغيرهم من رفعت عليهم التكالف المخزنية والوظائف السلطانية بأداء ما هم عليه من أكل ما لا يحل لهم أكله... والتجاسر على أهل الزوايا... وقد اطلعنا علم مولانا بماذا كله ونظره أوسع وإن سادنا سيدنا نصره الله بخروج العادتين من مدينة أمليلية حسبما قدمنا لحضرتة الشريفة فذاك المطلوب»¹.

- رسالة من محمد بن هطال إلى الحاجب سيدي أحمد بشأن تنفيذ الصلة التي كانت معهودة للمهاجرين، والمقدرة بألف متقال؛ وكثرة التنافيذ التي أصبحوا يطالبون بها من ناظر الأحباس وأمين المستفادات بوجدة، غير مبالين بشريفهم ولا مشروفهم، ومما جاء في هذه الوثيقة المؤرخة في 5 ذو القعدة 1315 هـ: «وقد أكثروا علينا والمستفاد قليل لا يقوم بذلك مع ما عندنا من الأوامر الشريفة ومثونة السكن والمخزن والتنافيذ اليومية والشهرية، وقبل كان جميع التنافيذ على ناظر الأحباس لأنها كانت ضعيفة عدى صلة الشرفاء أولاد مولاي عبد المالك بن إسماعيل كان سيدنا المقدس لما هاجروا ينعم عليهم بألف متقال لما يكون سيدنا بالمغرب، ولما حل بالجوس... صارت جميع التنافيذ على أمين المستفاد، فالمطلوب من سيادتك تطلع العلم الشريف بذلك وتأمري بما عليه لعمل في ذلك»².

- رسالة من الشرفاء المهاجرين بوجدة أولاد سيدي بودخيل، والشرفاء أهل المكرار الفوقاني، والشرفاء أهل الصنيفة، إلى السلطان عبد العزيز، يشكون فيها حالهم من الضيق والفاقة التي أصبحوا يعيشون عليها، بعدما هاجروا نحو المغرب، ويلتمسون منه النظر إلى حالهم والإنعام عليهم بالصلة إعانة لهم على حير حاضهم، وبأن السلطان المقدس قبله كان أنعم عليهم بصلة قدرها 100 ريال عند أمين المستفادات، فإذا به لم ينفذها ضم ولم يقبضوا الصلة منذ ثلاث سنوات مضت.

ومما جاء في هذه الوثيقة التي توضح الحالة الاجتماعية المزرية التي بات يعني منها عموم المهاجرين الجزائريين بوجدة وخصوصهم، والمؤرخة في أواخر شعبان 1315 هـ: «ليكون في كريم علمك أننا شرفاء يضعه لا طاقة لنا ولا قوة مهاجرين لله... وطلبنا من مولانا المقدس بالإنعام علينا بصيلة إعانة لنا لوجه الله العظيم وأسلافك الطاهرة، وساعدنا فيها قدرها مائة ريال دورو فُذت لنا على يد أمين المستفاد... أحمد الركنه وانقطعت لنا في أمانة الحاج محمد بن هطال، وكتبنا لك على تنفيذها، وكتب لنا سيدنا وامتنع وتمادى إلى الآن، وعدد ثلاثة سنين لم قبضناها ونحن ضائعين محتاجين غاية بأولادنا مع هذا الوقت الشديد... أولادنا يسعاو في السوق من الاحتياج ونحن ما

1 - م. و. م. ر: رسالة من كافة المهاجرين بوجدة إلى السلطان عبد العزيز، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26418.

2 - م. و. م. ر: رسالة من محمد بن هطال إلى الفقيه الأجل سيدي أحمد، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26284.

عندنا استناد إلا الله سبحانه وتعالى وأنت... ونحب من جود مولانا أن ينظر فينا نظرة صالحة ويتكرم علينا بكتاب لأمين الوقت أن ينفذ لنا ما هو معلوم لنا من كتابكم الشريف وكتاب لعامل وجده بشد العضود لنا بدفعها فوراً لأننا في حالة لغلبة من قلة الزاد... ونحن قاصدين الله ورسوله وأسلافك وأولادك أن تكون معنا ببال بالتأكيد على هذه الصلة المباركة»¹.

- رسالة من جماعة المهاجرين بوجدة إلى السلطان عبد العزيز يشكون فيها حالهم لما أصابهم من خاصة سكان أهل وجدة، وهو موقف يمكن أن ندرجه ضمن الموقف الشعبي، ومما جاء في هذه الشكوى المورخسة في 8 ذو القعدة 1315هـ بهذا الشأن: «وبعد، فليكن في كريم علم مولانا المؤيد، إننا معشر المهاجرين سكان وجدة رفعنا الشكاية إلى الله وسيدنا دام علاه، بالخاصة من أهل الوجدة ما لحقنا بهم من الضرر الفادح... وكلفونا بسأداء ما رفعتم عنا ودخلنا بظهايركم على عاملنا وعاملهم القايد السيد بوبكر ليشد عضدنا ويكفهم عنا، ولما مثلنا بين يديه سمعنا من التوبيخ والشتم وبعض أعيانهم... وما لنا كما في علم مولانا من الضعف وضيق الوقت وجلب العيش من مراعي المواشي بقولا وغيره، فمنا من باع ما كان يقيه برودة... ومن باع ما فوق ظهره إلى غسر ما شرحناه وقد أكل القوي الضعيف، ولا زالوا يطالبوننا بأكثر من ذلك... فنطلب من كمال محبة سيدنا... تعجيل ما يكفهم عنا ويسمعه الصادر والوارد»²، ولقد جاء في ظهر الوثيقة عبارة نفذ³.

- ظهير يوسف بشأن تولية أحمد بن منصور للنظر في أمور وشؤون سكان حاضرة وجدة، ومما جاء في هذا الظهير المؤرخ في 20 رجب 1340هـ، بهذا الشأن ما يلي: «وبعد، فقد ولينا عليكم خدمتنا الأرضى الباشا السيد أحمد بن منصور وأسندنا إليه النظر في أموركم، فأنمركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما أوليناه من الأمر والنسهي من أمور خدمتنا الشريفة»⁴، وللعلم أن الظهير ورد مرفوق بعبارة محمد المقرئ لطف الله به، وهو ما يؤكد مرتبة الصدارة العظمى التي بات يتولاها في بلاط السلطان، وهذا ما سنتكلم عنه في باب الأدوار.

- رسالة من نقيب شرفاء تلمسان ونواحيها عبد الرحمن ابن منصور، إلى الفقيه الأجل الصدر الأعظم محمد المقرئ، بشأن توليته نقيباً عليهم مكان شقيقه المتوفي حفاظاً على نسبهم الشريف، ويلتمس منه النظر في هذا الانشغال المرفوع لحضرته ليبيدي فيه رأيه السديد، ومما جاء في هذه الوثيقة المورخسة في 23 ربيع الأول 1362هـ بهذا الخصوص ما يلي: «وبعد، فحملته الشرفاء أولاد ماجوا القاطنين ببني مرعاز من مداشر الزراهنة كان أمر النقابة عليهم مسندا لسيدنا الأخ رحمه الله، إذ كان متولياً عليهم بأمر السلطان مولانا عبد العزيز، فأرادوا الآن أن

1 - م. و. م. ر: رسالة من الشرفاء المهاجرين أولاد سيدي بودخيل وغيرهم إلى السلطان عبد العزيز، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26427.

2 - م. و. م. ر: رسالة من كافة المهاجرين من غير تخصيص إلى السلطان عبد العزيز، ملف الهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26431.

3 - المصدر نفسه.

4 - م. و. م. ر: ظهير عزيزي بشأن تولية السيد أحمد بن منصور للنظر في شؤون سكان حاضرة وجدة، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 10850.

يحوي ما اندثر من ذلك وطلبوني في ذلك حفظا لنسلهم، فأسندت الأمر الشريف رأيكم وأذنتهم بقصد حماكم والتعلق بأذيالكم، وهابيدهم (كذا) نسخة من ظهير تولية الأخ عليهم؛ ولسيادتكم واسع النظر»¹.

3- موقفهم من المهاجرين الجزائريين بمدن أخرى ومناطق متفرقة:

لقد تكاد تعدم الوثائق الملكية التي تتحدث عن موقف المخزن من المهاجرين نحو مدن أخرى غير مدينتي فاس ووجدة، ويعود هذا في نظرنا إلى نسبة التواجد الكثيفة للمهاجرين بالمدن الرئيسية، والوزن الاجتماعي الذي كانوا يتمتعون به هناك، ولكن رغم ذلك فإنه لا يمكننا الجزم في هذه المسألة لصعوبة البحث عن كسبل الوثائق التاريخية الموجودة برباد الجزائر المغربية، أو بدور الأرشيف الفرنسية، وعليه سنكتفي بالإشارة إلى وثيقتين: الأولى تعلقت بأحد المهاجرين في مدينة الدار البيضاء، والثانية تعلقت بأحد المهاجرين في مدينة الرباط، ثم نتحدث في الأخير عن موقف المخزن من الشيخ بوعمامة وأنصاره المهاجرين في المغرب الشرقي، وموقفه أيضا من الأمير عبد المالك الذي قاد الثورة ضد الفرنسيين في منطقة الريف المغربي، وستتم هذه المعالجة على النحو الآتي:

1- رسالة من عبد الرحمان الطريس إلى السلطان عبد العزيز بشأن أحد المهاجرين الجزائريين المقيمين بمدينة الدار البيضاء، وهو الفقيه محمد بن الزيتون، يلتمس فيها من السلطان الإنعام على هذا المهاجر كونه عرض عليه حاله من خلال ما كتبه له، ومما جاء في هذه الرسالة المؤرخة في 23 جمادى الثانية 1307 هـ بهذا الشأن: «فليكن في كريم علم مولانا أعزه الله أن الفقيه السيد محمد بن الزيتون الجزائري قدم إلى هذا الثغر واستوطنه بعياله وأولاده فإرا بدينه من ذلك الوطن أعاده الله مقرا للإسلام، ثم اتخذ بيتا بالمسجد الأعظم يلزمه النهار كله لنشر العلم وإقراء مختصر خليل، وهو ضعيف الحال بادي الإقلال، وقد وجه إلي بطاقة تصل حضرة مولانا العالية بالله طالبا إفاء طلبته لشريف علم سيدنا لينعم عليه مولانا أعزه الله من خيره الجسيم وبره العليم بمشاهدة من وفر الأحساس يستعين بها على عياله وأولاده، رعاية لوصف العلم واغترابه شحا بدينه وتخوفا عليه... وهذا وجب إعلام سيدنا سايلين مولانا رضاه»².

2- رسالة من الحاج عمر بومدين التلمساني المقيم بمدينة الرباط قرب مسجد مولاي سليمان إلى الوزير سيدي أحمد بن سيدي موسى، مؤرخة في 17 جمادى الأولى 1316 هـ، يلتمس فيها من السلطان أن ينعم عليه بظهير التوقير والاحترام له ولأولاده بعد وفاة والده الذي كان بموزته ظهير التوقير والاحترام، لكنه ضاع منهم ولم يعثروا عليه، كونه قد تلف لهم، ومما جاء في هذه الوثيقة بهذا الخصوص: «و نحن قد هجر أينا من الهجرة الماضية وتوجه إلى بلاد المغرب وقطنا برباط الفتح وتوطن بها... وانتقل الوالد إلى رحمة الله وعقوده؛ ولم نجدوا له بطاقة لوصوله، فنحن نحب من الله ثم من سيدي أن يجد علينا بالتحريم والتوقير لأولادنا ويرتفع قدرنا... كان بيده الظهير متاع المرحوم سيدي ومولانا عبد الرحمان ومولانا سليمان، وقد توفي الوالدين وفتشنا فيه فوجدناه قد

1 - م. و. م. ر: رسالة من نقيب شرفاء تلمسان ونواحيها عبد الرحمان ابن منصور إلى الصد الأعظم محمد المقرري، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 29428.

2 - م. و. م. ر: رسالة من عبد الرحمان بريكس إلى السلطان عبد العزيز بشأن أحد المهاجرين الجزائريين المقيمين بمدينة الدار البيضاء، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26989.

مضى... ونحن لا نخفاك حال الغريب ببلاد الناس فنحن نطلب التوقير من فضلكم»¹، ولقد كتب على ظهر الوثيقة عبارة نفذ².

4- موقفهم من حركة الشيخ بوعمامة وأنصاره بعد لجونهم إلى المغرب:

لقد بدأ موقف السلطان الحسن الأول متناقض من الشيخ بوعمامة فنجده يكتب في حدود سنة 1883، إلى سكان فتيق عندما نزل عندهم بوعمامة بطرده والتضييق عليه، وهو ما دفع بسكان المنطقة إلى مخاطبة بوعمامة بمقولة مشهورة مفادها: «الْحَيْطُ حَيْطٌ وَالْحَيْطُ حَيْطٌ»، خوفا من تعقب الفرنسيين له واحتلال بلدهم³، وعلى أثر تحركات بوعمامة عبر منطقة التخموم المغربية الجزائرية تكون الدبلوماسية الفرنسية قد تسدخت بالضغط على السلطان الحسن الأول فصد طرد بوعمامة والتضييق عليه، فسعى المخزن بمحاولة جريئة قصد إلقاء القبض على الشيخ بوعمامة، غير أن محاولته باءت بالفشل، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى نجد أن السلطان حاول استدراج بوعمامة وتدعيمه خاصة أثناء تواجده بمنطقة دلدول سنة 1892، فسعى هذا الأخير إلى كسب وده ليجعل منه سدا منيعا أمام التقدم الفرنسي باتجاه المغرب، حيث طلب منه الاستقرار بمنطقة فتيق والرجوع نحو زاويته بمغرار، غير أن الفرنسيين سيسعون للحيلولة دون ظهور تقارب مغربي جزائري في هذه الظروف التي يمر بها المغرب.

وفي سنة 1896 راسل السلطان المغربي مولاي عبد العزيز الشيخ بوعمامة عندما كان مستقرا بقصر الأعوج التحتاني على واد زوزفانة في اتجاه فتيق، يشير عليه فيها بإنشاء مركز في نخيلة عند مدخل العرق وفي الحقائق وعند مدخل العقلات، وهو ما يعني خضوعه للسلطان، ويبدو أن بوعمامة وافق ميدنيا على هذا الطرح المغربي، وكتب إلى الحاكم العام في الجزائر يخبره أنه في طاعة السلطان عبد العزيز، ويطلب منه التدخل لدى رؤوسه لكف الأذى عنه وعن أصحابه⁴.

وبخصوص التعامل المخزني مع بوعمامة يقدم لنا عبد الوهاب بن منصور رسالة موجهة من السلطان عبد العزيز إلى الشيخ بوعمامة يعده ويمنيه فيها، ويُغريه بتولي المناصب الرفيعة والتمتع بالامتيازات السنخية، محاولا بذلك إبعاده عن منطقة الحدود واستقدامه إلى شريف حضرته؛ ومن أهم ما جاء في هذه الرسالة المؤرخة في 1 محرم 1320هـ: «تمن معه في أمان الله ورسوله وأمان جدنا مولاي علي الشريف رضي الله عنه، ليقابل إن شاء الله بمزيد الاعتناء في إعطائه ما يسعه ومن معه من المزارع والمراعي وغير ذلك، ويعامل في نفسه وزاويته بما يعامل به أهل الزوايا من التوقير والاحترام؛ وليريح ويستريح»⁵.

1 - م. و. م. ر: رسالة من عمر بومدين التلمساني إلى الوزير سيدي أحمد، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26432.

2 - المصدر نفسه.

3 - عبد القادر، خليفتي: ((موقف السلطات المغربية من حركة الشيخ بوعمامة))، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع. 12، المرجع السابق، ص. 179.

4 - المرجع نفسه، ص. 186.

5 - أعلام المغرب العربي، ج. 2، المطبعة الملكية للرباط، الرباط، المغرب، 1399هـ/ 1979م، ص. 82.

ونظرا لهذا التقارب تحركت الدبلوماسية الفرنسية في اتجاه معاكس، مستغلة في ذلك الظروف التي كان يمر بها المخزن على المستوى الداخلي والخارجي، ونظرا لذلك يكون السلطان قد تحرك وفق ما أملت عليه السلطات الفرنسية، فكتب إلى قبائل فتيق وواحة ايش وغيرها بينهاها عن التعامل معه، ومن اتبعه من أولاد جريس وذي منيع، ويأمرها بطرده من بلادها وعدم السماح له بالتزول في أرضها.

ومن بين الرسائل التي كتبها السلطان عبد العزيز إلى أهل فكيك بشأن التضييق على بوعمامة وطرده من أراضيهم، ما جاء في الرسالة المؤرخة في 26 رمضان 1319هـ / 6 جانفي 1902م بعدما وصف بوعمامة وأنصاره بالصعاليك الذين يعيشون في الخوض كالسلحفاة: «والذي بلغنا علمنا الشريف أن أشد الساعين في هذا الخوض على التحقيق هو الفتان بوعمامة ومن أنضاف إليه، الذي تأوونه بين ظهرانكم، وهو خائض فيما يجسر البوال إليكم حيث لا تشعرون وتفترون بظواهر تنسكه»¹.

أما الرسالة المؤرخة في 1 محرم 1320هـ، والموجهة إلى سكان قرية عين الشعير فلقد جاء فيها بخصوص بوعمامة: «وعليه فإن كنتم تومنون (كذا) بالله واليوم الآخر فلتبادروا بالخروج من زمرة الخائضين المذكورين، ولتطردوا كل من ورد عليكم منهم، يريد إدراجكم في حزمهم والدخول في زمركم، ولتقتصروا نظركم على عمارة أرضكم والمحافظة على دينكم ومحارمكم، والوقوف عند حدودكم حسبما بينها لكم خديمتنا محمد الجباص المذكور، وإن ورد عليكم أبو عمامة الشيخي فنأمركم أن لا تقبلوا استقراره ولا نزوله ببلادكم، إذ لا خير له ولا لكم في بقائه بناحيتمكم»².

ولم يكتف السلطان بذلك بل ختم رسالته بالوعيد والعقاب في ما يلي: «ونأمركم أن تطلقوا النداء في أسواقكم كلها. يمنع جميع من ورد من قبله لاكتيال أو نحوه، والتضييق به وبسائر من معه؛ وكل من آواد أو أعانته على البقاء بناحية الصحراء أو خرج على ما أمرنا بع على يد خديمتنا الطالب محمد الجباص في تمهيد الصلاح والهاء، أو مدّ يده بنهب قافلة أو هجوم على أحد من المسلمين أو الجوار الجزائريين فقد تعرض لسخط الله ومقتته، وتسبب في خلع ربة الإيمان من عنقه»³.

كما تلقى الشيخ بوعمامة رسالة من محمد الجباص (ت 1934) وزير الدفاع المغربي⁴؛ يطلب منه اختيار إحدى الجنسيتين الجزائرية أو المغربية والخروج من فتيق فورا، وقد ردّ بوعمامة على ذلك بمراسلة قاضي وجدة،

1 - عكاشة، برحاب: المجال الحدودي بين المغرب والجزائر في مطلع القرن العشرين (1900-1912)، ط. 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص. 109.

2 - المرجع نفسه، ص. 83.

3 - المرجع نفسه، ص. 83.

4 - هو محمد بن محمد الجباص، تلقى تعليمه الأول بالقرويين، ثم تم إيفاده سنة 1877 نحو لندن من طرف المخزن في إطار البعثات الطلابية خارج الوطن، وبعد تحصيله العلمي رجع إلى المغرب سنة 1880، ونظرا لمعارفه المحصلة يكون قد تولى مناصب عدة: كاتب بالصدارة العظمى، خليفة لوزي الحربية مع مطلع سنة 1895، تولى وزارة الحربية في أواخر سنة 1903، أسندت

يخبره بسياسة الجباية المعادية للإسلام والمسلمين، حيث يتعاون مع السلطات الفرنسية لإجباره على مغادرة المكان¹. وفي هذه الأثناء ترد رسالة من الثائر المغربي الجيلالي الزرهوني إلى بوعمامة، يعرض عليه الانضمام إلى حركته وتأييده لإنقاذ المغرب من أيدي الخونة والمفسدين². فكيف كان موقف بوعمامة من هذا الطرح؟.

لقد انظم الشيخ بوعمامة إلى الثائر المغربي بناء على أن هذا الأخير هو السلطان الشرعي مولاي أحمد الذي اغتصب منه العرش، كون بوحمارة تَقَمَّص شخصيته، ولذلك فانضمام بوعمامة له كان يهدف من ورائه إلى إعادة الحكم إلى صاحبه الشرعي، هذا من جهة. ومن جهة أخرى يكون انضمامه لبوحمارة بناء على أن السلطان عبد العزيز قد تعامل مع الفرنسيين على حسابه، وفتح الباب على مصراعيه أمام الأطماع الأجنبية، وكان ذلك مظهرا من مظاهر الفساد الإداري في المخزن آنذاك³، وعلى هذا الأساس وقف بوعمامة إلى جانب بوحمارة.

وهكذا انتقل الشيخ بوعمامة في حدود سنة 1322هـ/ 1904م نحو مقر هذا الثائر بشمال المغرب ومعه زاويته وزمالاته التي تتكون من عدة قبائل مختلفة تضم حوالي 1000 خيمة، ودخل في حرب مباشرة ضد السلطات المغربية، حرب اشتدت بشكل كبير خلال سنتي 1904-1905؛ وهي الفترة التي قويت فيها ثورة الروكسي بوحمارة بمنطقة وجدة⁴.

إليه الوزارة الكبرى سنة 1913 - خلفا للحاج محمد المقرئ، غير أنه استعفى منها سنة 1917، توفي بالمدينة المنورة في 7 أفريل 1934. يراجع: عكاشة، برحاب: المجال الحدودي بين المغرب والجزائر في مطلع القرن العشرين، ص. 44.

1 - عبد القادر، خليفي: ((موقف السلطات المغربية من حركة الشيخ بوعمامة))، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع. 12، المرجع السابق، ص. 187.

2 - محمد بن الحسن، الحجوي: انتحار المغرب بيد ثواره، مخ، بخ، ع، ر، مصور على الميكروفيلم، رقم 123ح.

3 - للعلم أن السلطان عبد العزيز كان ما يزال في سن 14 من العمر، وكان الوزير الأول أبا أحمد (أحمد بن موسى) ولألة رقية أرملة مولاي الحسن بمسكان بزمام السلطة الفعلية، ولقد جعل الوزير من سيده ستارا يتخفى وراءه في حكم البلاد، وفي سنة 1900 توفي الوزير فوجد السلطان مولاي عبد العزيز نفسه أمام سلطة لم يتعلم كيف يديرها، لأن وزيره لم يكن يطلعه على شيء. يراجع: عبد القادر، خليفي: "موقف السلطات المغربية من حركة الشيخ بوعمامة"، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع. 12، ص. 183.

4 - المرجع نفسه، ص. 184.

5- موقفهم من الأمير عبد المالك الجزائري:

يُعد الأمير عبد المالك (ت 1343هـ/ 1924م)¹ من بين المهاجرين الجزائريين الذين حطوا رحالهم بالمغرب قادما من المشرق العربي، ولقد تباينت ردود الفعل حول التحاقه بالمغرب من لدن العديد من المغاربة سواء الذين عاصروا عبد المالك؛ أو الباحثين الذين حاولوا تسليط الضوء على شخصيته والقليل منهم من أنصفه، بينما البعض الآخر درسوه من زاوية ضيقة أرادوا من خلالها تشويه صورته وسمعته وهذا ليس بجديد، لأن الأمير عبد القادر هو الآخر كان قد نال جظه من التجريح والتفريع والظعن لدرجة لا يمكننا تصورهما إطلاقاً²، وبعيدا عن هذا وذاك سنحاول تسليط الضوء قدر المستطاع على هذه الشخصية ودورها النضالي والبطولي في المغرب ضمن الباب الرابع من البحث، لنعود إلى الحديث عن موقف السلطانيين عبد العزيز وعبد الحفيظ من الأمير عبد المالك قبل الإعلان عن ثورته في سنة 1914.

فبعد أن حط رحاله بالمغرب يكون قد كتب رسالة حسب ما جاءت به بديعة الحسني؛ إلى ابن عمه محي الدين بن مصطفى³، كجواب له عن رسالته التي وصلته عن طريق علي أبو طالب؛ رسالة ضمنتها وصوله إلى المغرب وتواجده بمدينة فاس سنة 1903¹، والمكانة المعترية التي لقيها من طرف السلطان عبد العزيز.

1 - هو عبد المالك بن عبد القادر بن محي الدين، ولد بدمشق سنة 1285هـ/ 1868م من أم أذربيجانية الأصل من مدينة دربند؛ تلقى تعليمه الأول في مسقط رأسه، أشرف على دراسته وتهذيبه الشيخ طاهر الجزائري، والشيخ عبد السزاق البيطار، والشيخ مصطفى التهامي إمام المالكية في الجامع الأموي الكبير بدمشق، انكب على دراسة القرآن الكريم وقراءة وتفسيره، عاش مكانة خاصة بين والديه وإخوته؛ وكان يحسن إلى جانب اللغة العربية اللغة التركية والفرنسية؛ كما كان خطيبا وشاعرا؛ تلقى تدريبه العسكري في الآستانة؛ حيث حصل على رتبة عقيد في الجيش العثماني، نال حظوة ومكانة مرموقة عند السلطان العثماني عبد الحميد الثاني، تزوج من السيدة كريمة الشريف عبد اللطيف العجلاني، قبل أن يتخرج من الكلية العسكرية، وله منها أربعة أبناء؛ تأثر بحركة الجامعة الإسلامية، وللعلم أن عبد المالك غادر أسرته وبيته باسطنبول فجأة؛ ففكرت في مقابلة السلطان؛ لكنها سرعان ما تسلمت رسالة منه طمأنتها على حياته ويطلب منها تسليم الدار والعودة إلى دمشق؛ وأنه سيطلبها بعد أن يستقر به الحال في مكان ما؛ وتذكر بديعة الحسني أنه توجه إلى مصر على متن باخرة تجارية، وبعد وصوله تخفى في لباس تاجر حبوب، وسلك طريق ابر باتجاه المغرب، ولم يسلك طريق البحر كونه كان لا يحمل معه أي شيء من الوثائق اللازمة، ثم واصل رحلته عبر الصحراء باتجاه ليبيا، بعد أن تحصل على جواد وجمل لحمل أمتعته، ومرّ بمنطقة فازان وحط رحاله بأحد العائلات الليبية التي تنتمي إلى القبيلة الذهبية، وتنقطع الأخبار عنه خلال هذه المرحلة حتى وصوله مدينة فاس، أين استقر في أحد فنادقها. يراجع: بديعة الحسني: أصحاب الميمنة إن شاء الله، ص-ص. 407-421، عادل، نوبهض: معجم أعلام الجزائر، ص-ص. 104-105، أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج. 1، ص. 107، عثمان بناني: عبد المالك الجزائري، معلمة المغرب، ج. 9، ص-ص. 2985-2987، خير الدين، الزركلي: الأعلام، مج. 4، ص. 148.

2 - يمكن مراجعة هذه القضية في مقالنا الموسوم بـ "وقع الأمير عبد القادر الجزائري في الكتابات المغربي الحديثة والمعاصرة"، ندوة علمية: الأمير عبد القادر وتيارات فكرية غير عربية إسلامية في الجزائر، ص-ص. 169-201.

3 - من أبناء عمومته وفي نفس الوقت زوج أخته الأميرة زينب. يراجع: بديعة، الحسني: أصحاب الميمنة إن شاء الله، ص. 421.

ومما جاء في هذه الرسالة المؤرخة في 17 رمضان 1323هـ، بهذا الخصوص: «وأعلم سيدي أنسي الآن في فاس والمخزن يظهر لنا الالتفاف والإكرام، والسلطان التقيته فأظهر لي الاعتناء وكذلك وزراؤه، وقد أسكنني في دار وعين لي في كل يوم مقدار ليرتين، وقد سمعت من بعض حاشيته أن مراده تسليمي مركز عنده في الجيش. ولا أعلم ما ذا أصنع؟ وأنا في حيرة من أمري، ونسأل الله أن يوفقنا لما فيه رضاه»².

وسيتبلور لنا الموقف المغربي الرسمي من الأمير عبد المالك أثناء الحديث عن انضمامه إلى ثورة الشيخ بوعمامة، وحركة الجيلالي الزرهوني في المغرب، وكذلك موقفه من مختلف التقلبات السياسية التي عرفها المغرب قبل وبعد فرض نظام الحماية المزدوجة في سنة 1912؛ وللعلم أن الفترة التي تولى فيها الحكم السلطان مسولاي يوسف (ت1346هـ/1927)³ لم نكد نعثر على وثائق سلطانية سواء تعلق الأمر بالأمير عبد المالك، أو بقية المهاجرين الجزائريين الذين وفدوا على المغرب خلال هذه الفترة، وكذلك الحال بالنسبة للسلطان محمد الخامس (ت1380هـ/1961م)⁴ في السنوات الثلاث الأولى من حكمه الممتدة من 1927-1930، ومرد ذلك في نظرنا جملة من المعطيات:

1 - لقد وقفنا على كثير من الاختلافات حول تاريخ وصوله إلى المغرب، وكذلك الحال مع الجهة التي دخل عبرها إلى المغرب، فبالنسبة لتاريخ وصوله نجد أن: هذه الرسالة تؤرخ له بسنة 1323هـ، بينما ما جاء في المراسلات الفرنسية - G.G.A, carton 7H 22, A,O, M - التي دارت بين الحاكم العام في الجزائر والقنصل الفرنسي في دمشق ووزير الخارجية الفرنسية تؤرخ لتاريخ وصوله بسنة 1902، بينما محمد الحجوي في مؤلفه اتحار المغرب على يد ثوراه، يؤرخ له سنة 1321هـ، ويحدد لنا نزوله بمنطقة مليلية، بينما سعد الله أبو القاسم في كتابه أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر الجزء الأول، ص. 107؛ يرى أنه غادر دمشق سنة 1903، في حين تذكر معلمة المغرب أن تاريخ وصوله المغرب كان سنة 1320هـ/1902م، مج. 9، ص. 2985، غير أن محمد الصغير الحلوي في مؤلفه بوحمارة من الجهاد إلى التآمر يحدد لنا منطقة دخوله إلى المغرب عن طريق مدينة وجدة، ثم التحق ببوعمامة في منطقة فكيك، ص. 52، في حين عثمان بناني في مقاله الموسوم بعبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين، ص. 78 يذكر دخوله إلى المغرب عبر منطقة فكيك.

2 - بديعة، الحسني: أصحاب الميمنة إن شاء الله، دار سلام للترجمة والنشر، دمشق، مطبعة عكرمة، دمشق، 1997، ص. 423.

3 - هو يوسف بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمان، ولد بمكناس سنة 1297هـ/1880م، بويع له بالسلطنة وهو برياط الفتح، بعد نزول أخيه السلطان عبد الحفيظ عن العرش سنة 1330هـ/1912م؛ ثار في عهده أحمد الحبيبة ابن الشيخ ماء العينين، وادعى لنفسه الحكم، فبايعه الناس بعد أن دخل مدينة مراكش عنوة؛ غير أن السلطات الفرنسية كانت لسه بالمرصاد فأفشلت حركته، ومقابل ذلك قامت بإلغاء وزارة البحر والخارجية والحربية للسلطان، وتولى إدارة المالية موظفون فرنسيون، قام بعدة إصلاحات في المغرب، لكن في ظل السياسية التي اتبعها الجنرال "ليوتي" لم تجد نفعاً، كونها كانت موجهة من جهاز الحماية، وفي سنة 1926 زار مدينة باريس ودفن مسجدها الأعظم، وظل في الحكم إلى غاية وفاته سنة 1927، فخلفه ابنه محمد الخامس. يراجع: خير الدين، الزركلي: الأعلام، مج. 8، ص. 226-227.

4 - هو محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمان، ولد بمدينة فاس سنة 1329هـ/1911م، وزاول تعليمه بكل من مدينتي فاس والرباط؛ تولى الحكم بعد وفاة والده سنة 1346هـ/1927م، شهد المغرب في عهده تطورات ونشاطات سياسية، أثمرت في الأخير بتقديم عريضة الاستقلال سنة 1944، وإحجام السلطان في التعامل مع الوثائق والعرائض الفرنسية،

- سيطرة نظام الحماية على دواليب الحكم بالمغرب، وبالتالي فالسلطان كان يملك ولا يحكم.
- الظروف والتقلبات السياسية الداخلية التي كان يشهدها المغرب آنذاك؛ تكون قد شجعت جهاز الحماية على تحييد دور السلطان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ووقوفه إلى جانب الوطنيين الذين باتوا عرضة للاعتقال والمطاردة، الشيء الذي دفع بالفرنسيين إلى نخلعه عن العرش ونفيه يوم 20 أوت 1953، إلى جزيرة اجاكسيو كورسيكا، ثم إلى مدغشقر، ونصبوا مكانه ابن عرفة، ونظرا للتطورات السياسية الخطيرة التي بات يشهدها المغرب من جراء نفي الملك محمد الخامس، لم يكن هناك بُدًا أمام الفرنسيين سوى عودة الخامس إلى العرش يوم 16 نوفمبر 1956، ولقد انتهت هذه العودة بحصول المغرب على استقلاله في سنة 1956. يراجع: خير الدين، الزركلي: الأعلام، مج. 7، ص-ص. 158-159.

الباب الرابع

دور المهاجرين الجزائريين في المغرب

الفصل الأول.

الدور السياسي

● النشاط السياسي

● النشاط العسكري

● النشاط الإداري

1- الدور السياسي: بناء على المادة الخيرية التي توصلنا إليها أثناء عملية البحث، توصلنا إلى فرز وإبراز

ثلاثة أدوار سياسية قام بها المهاجرون في المغرب، وهي مدرجة على النحو الآتي:

1-1 النشاط السياسي:

لقد شهد المغرب منذ النصف الثاني من القرن 19 وطيلة الربع الأول من القرن 20 نشاط سياسي كبير؛ في خضم الأحداث الدولية والتطورات السياسية التي كان يشهدها المغرب، وفي ظل هذه الظروف لم يبق المهاجرون الجزائريون مكتوفي الأيدي أمام ما يتعرض له المغرب من تهديدات أجنبية؛ بل هبوا للدفاع عن الوطن الذي احتضنهم بكل جد وتفان وإخلاص، وقد لا يسعنا المجال هنا لتتبع مختلف أنشطتهم السياسية نظراً لكثرتها وتشعبها؛ وبالتالي سنقتصر في هذا الجانب على بعض النماذج التي كان له دور الريادة، في الحياة السياسية بالمغرب؛ من خلال مظاهر النشاط السياسي ضمن العناصر الآتية:

-التصدي لنظام الحماية الفرنسية وسياسة التجنيس:

مع مطلع النصف الثاني من القرن 19 يكون المغرب الأقصى قد شهد مرحلة جديدة من التنافس الأوروبي، تنافس انتهى بفرض الحماية المزدوجة سنة 1912، ولقد كانت فرنسا في طليعة الدول المتنافسة على المغرب. ومن بين مظاهر التصدي والمقاومة السياسية التي أبدتها الجزائريون تجاه الأطماع الأجنبية بالمغرب نسجل ما يلي:

-مساهمة أبو حامد العربي المشرفي في الحركة الإصلاحية المغربية¹، من خلال تصديه لنظام الحماية الفرنسية خصوصاً ونظام المحميات الأوربية عموماً؛ نظام حاولت بعض الدول الأوربية فرضه على المغرب، وتبدو مساهمته في هذا الشأن من خلال إدلائه في الاستشارة السلطانية حول الحماية القنصلية التي طرحها السلطان سيدي محمد علي الفقهاء والعلماء سنة 1864²، استشارة جاء فيها: «إن السؤال موجه إلى أهل العلم...في حادثة دخول المسلمين تحت الكفر، ويعبرون عنه بالحماية...فهل يكون المحتشمي عاصياً؟ أو خرج عن دينه بالكلمة؟ ولإمام أن يحكم فيه باجتهاده»³.

لقد تجلّت مساهمة المشرفي في جوابه عن هذه الاستشارة ضمن رسالته الموسومة بس: الرسالة في أهل الباصبور الخثالة⁴. ومن بين ما أفاد به المشرفي حول هذه المسألة: «بأن أهل السنة لا يكفر الفاسق، ولكن ينفعه يعتبر مرتداً...وردته واستنصاره بالنصارى خروج عن الجماعة، وخروج عن طاعة السلطان...وصار جاسوساً

1 - حميدة، عمراوي: الأمير خالد وخطاب الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1930)، المرجع السابق، ص. 85.

2 - عمر، آفا: تاريخ المغرب المعاصر، دراسات في المصادر والمجتمع والاقتصاد، ط. 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001-2002م، ص. 362.

3 - المرجع نفسه، ص. 363.

4 - يذكر أبو القاسم سعد الله في كتابه: تاريخ الجزائر الثقافي، ج.7، ص. 466، أن هذا المؤلف كتبه المشرفي في سنة 1873، وهو تاريخ يحتاج إلى إعادة نظر، لأن ما قام به المشرفي كان بمثابة إجابة عن استشارة فقهية طرحها السلطان في سنة 1864، وعليه فإننا نسجل وجود فترة زمنية طويلة جدا بين الاستشارة السلطانية والإجابة عنها والمقدرة بحوالي 10 سنوات؟ وهو شيء مستبعد تماماً.

للكفار... فواجب على كل مؤمن أن لا يجالس أهل الحماية، ولا يصادقهم ولا يعاشرهم»¹. ويوصي عموماً بمقاطعتهم. وأما إن كان الخمي - يقول المشرفي -: «قد ولّاه الكفار الحكم على الخميين»². فهو: «زنديق يحكم بقتله؛ ودمه مباح»³. وإلى جانب المشرفي يكون قد أجاب علماء المغرب وفقهاؤه بعدة تأليف في هذا الموضوع وأدلوا بدلوهم في هذه المسألة الفقهية الشائكة والمعقدة⁴.

- الوقوف إلى جانب السلاطين وأولياء عهدهم، والإعلان عن ولائهم المطلق لهم في السراء والضراء، وهذا ما يمكن إدراجه ضمن الولاء السياسي للحاكم المسلم؛ ونلمس ذلك من خلال إحدى الوثائق التاريخية الهامة التي وردت في شكل عريضة تم رفعها للسلطان مولاي الحسن الأول بمناسبة شفاؤه من مرض كان قد ألم به⁵. وهذه المناسبة قام جمع غفير من المهاجرين الجزائريين من أهل تلمسان بترهة بنواحي فاس احتفالاً بهذه المناسبة السعيدة.

ومن أهم ما تضمنته هذه الوثيقة المؤرخة في 16 صفر 1305هـ؛ بعد الثناء والتعظيم: «فلينه للعلم المولوي أنه انعقد إجماع المهاجرين المستوطنين بفاس الإدريسية من آل تلمسان ومن أنصاف إليهم، ونقيب السادة الأشراف منهم، مولاي أحمد بن منصور على أهم يتزهون فرحا براحة مولانا المولى الهمام... هذا وإنه لما زار مولانا ورضي عنه الله الذي ولاه بمرض، لقد تألمت نفوس المؤمنين لألمه، ووجع الإسلام لتوقع إسلامه، وتأخر الإسلام لتأخر أطرافه بمصالح الملك وأعلامه، فإنما أنامل الدين والدنيا متشعبة بأذيال أيامه، ورحال الأمل مخيمة بين حلله وخيامه، ومولانا في هذه المدة كان راضياً بقضاء ربه، مستمطراً لحكمه وعدله... وقد وقعت نزاهتنا الميمونة من صباح يومها وثانيه إلى القيلولة بوجود مولانا يارك الله لنا وللمسلمين في عمره... وحضرها الخم الغفير، وطفحت أفئدة الجميع بشراء، وارتاحت أسرار الكل سرا وجهراً، وأفعمت من المسرة صدور الصدور، وطارقت الفضائل بأحنة السرور، فهنيئاً مولانا زاده الله عافية وهناء وسرورا وجلالة، ومن سيادة سيدنا الشريفة يطلب الجميع الرضا وصالح الدعاء»⁶.

ولقد وردت هذه الوثيقة مذيبة بقصيدة شعرية⁷ ذات بعد سياسي وديني؛ نظمها ابن محمد العربي بن علي المشرفي العسكري الحسني؛ حيث عبّر عن خلالها هؤلاء المهاجرون عن فرحتهم بشفاء السلطان، كما ضمّنها

1 - عمر، آفا: تاريخ المغرب المعاصر دراسات في المصادر والمجتمع والاقتصاد، المرجع السابق، ص. 363.

2 - المرجع نفسه، ص. 363.

3 - المرجع نفسه، ص. 363.

4 - من بين تلك التأليف:

- محمد المامون الكتاني: هداية الضال المشتغل بالقبيل والقال.

- علال بن عبد الله الفاسي: أيقاض السكاري الخميين بالنصاري.

- جعفر بن إدريس الكتاني: الدواهي المذهبية للفرق الخمية.

- محمد السباعي: كشف النور عن حقيقة أهل الباصور، مع. ج. ع. بالرباط، د 1326 يراجع: تاريخ المغرب المعاصر، ص. 363.

5 - عبد الرحمان، ابن زيدان: العز والصولة في معالم نظم الدولة، ج. 1، المصدر السابق، ص. 384.

6 - المصدر نفسه، ص. 384-385.

7 - تتألف من حوالي 18 بيت.

شكرهم وثنائهم عليه؛ وختموها بالدعاء له بصالح الأعمال؛ ومن أهم ما ورد فيها بهذا الخصوص ¹ :	
لله من نزهة سر الفواد بما	✽ وكادت أنفسنا تطسفو بما فرحا
عمت بما البشرى في بدو وفي حضر	✽ وانزاح عنا الردى والهم والترحا
عمت مشارق أرض بعد مغربها	✽ جنا وإنسا، وطير الإيك قد صدحا
وقد شفى الله سلطان الورى فلما	✽ كل الهنا وكمسال الرأي قد صلحا
علينا قد وجب الشكر الجزيل فلقد	✽ أولانسا والسده وجدده المنحا
بنا تكفلوا في أيام هجرتنا	✽ وواسوا أسرتنا مواساة السمحا
لا أعدم الله تسلا من سلاتهم	✽ ولا فقدنا لهم من يعلو أو صفحا
فإنه يكأنا بحفظ صورته	✽ ويعمل الملك في أولاده صلحا
بجاه من كملت في الله نشأته	✽ محمد سيد الأبرار والنصحنا

وفي نفس هذا السياق كتبوا إلى قائد المشور السعيد السيد إدريس بن العلام، برسالة حرّرها نقيب أشرف آل تلمسان وغيرهم أحمد بن منصور؛ ضمّنها بعد الثناء والتعظيم والسؤال عن أحواله؛ بحر هذه الزهة السعيدة؛ التي ثمنوها لو طالت أكثر، والتمسوا منه في آخرها التوسط لهم بالدخول إلى حضرة السلطان. ومما جاء فيها: «وبعد، فموجه السؤال عنك وعن أحوالك الصالحة، أبقاك الله بخير وعافية، هذا وإن إخواننا المهاجرين آل تلمسان، ومن أنضاف إليهم قد فرحوا لراحة سيدنا وعافيته، وجعلوا نزهة عظيمة حضرها جم غفير من صلحاء فاس وشرفائه وعلمائه، ودعا الجميع لسيدنا وحواشيه تقبل الله منهم، وبارك لنا ولكم وللمسلمين في عمره، ووالله لو وجدنا السبل لكانت نزاهتنا دائمة أكثر من كل أحد، فالله يجازينا بمقصودنا، وأعلمنا سيدنا بذلك في كتاب يصل سيادتك صحبة هذا، فقد أراد جميعنا منك أن يدخل لمولانا أعزه الله على يديك»².

ومن حسن تواضع جلالة السلطان للمهاجرين الجزائريين يكون قد أحاب عن رسالتهم برسالة خطية ضمّنها أيضا الثناء عليهم، والإعلام بوصول مکتوبهم إليه، مظهرًا الخبة والإعجاب بحسن صنيعهم، ومشيدا في الأخير بالقصيدة والمدح والثناء التي تضمنتها رسالتهم، وختم رسالته بالدعاء لهم بدوام الأفراح والسرور والعافية. ومما جاء في نص هذا الظهير الحسيني المؤرخ في 14 ربيع الأول 1305هـ بهذا الخصوص: «خدانا الأرضين المحيين آل تلمسان المهاجرين المستوطنين بفاس المحروسة، خصوصا النقيب والأشراف والفقهاء، وعموما من أنضاف إليهم، وفقكم الله وأعانكم، وأمدنا وإياكم بنطاقف الإمداد، التي لا تزال على توالي الحديد في ازدياد... فقد وصل مسطوركم معلما بما جعلتموه من الزهة فرحا براحتنا وعافيتنا، وعقبه قصيدة المدح والثناء الخ، فأما فرحكم فهو فرحنا على الحقيقة لا الحجاز؛ وبإظهار سرور المحيين تتعرف الأحبة والمودة تمتاز، فهنينا لكم بكمال السرور، ومريفا بجمعكم المبارك برياض هاتيك الحبور، فنحن على يقين في إخلاص محبتكم، وكمال

1- عبد الرحمان، ابن زهدان: العز والصولة في معالم نظم الدولة، ج. 1، المصدر السابق، ص. 385.

2- المصدر نفسه، ص. 386.

مودتكم، وصلاح نيتكم، وتطهير سريرتكم جعل الله ذلك من السعي المشكور، والعمل المتقبل المبرور»¹.
ثم ينتقل إلى الحديث عن منظم هذه القصيدة: «وأما ناظم القصيدة فقد أتى بما لا يسع الأديب جهده ولا ينحط عن ذروة الإعجاز محله، فله دره حيث جادت قريحته بفرض الأديب المؤدي، وبما يستحسنه حبيب النفس المفدى، أتم الله علينا وعليكم وعلى المسلمين تلكم الأفراح، وأدام لنا ولكم سرور العافية وعافية السرور والنجاح»².

- معارضة غالبية المهاجرين الجزائريين بالمغرب عموماً، وبمدينة فاس خصوصاً لنظام الحماية الفرنسية التي حاولت نيابة القنصلية الفرنسية بفاس فرضه عليهم واعتبارهم رعايا فرنسيين، وهو ما أحدث ردة فعل قوية لدى المخزن الذي بات يتخوف من استقطاب فرنسا لهؤلاء المهاجرين بالإغراءات المادية والمعنوية، في ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي كان يعاني منها. غير أن النتيجة كانت عكس ما توقعته فرنسا؛ إذ عبر معظم المهاجرين عن رفضهم القاطع لسياسة الحماية الفرنسية وإغراءاتها، وهذا ما نلمسه من خلال تحريرهم لوثيقة - عريضة- تاريخية أعلنوا فيها عن بيعتهم للسلطان المغربي عبد العزيز وأهم يُعدُّون من رعاياه.

لقد تم تحرير هذه الوثيقة المؤرخة في مهل ربيع الأول 1312هـ/1894م³، تحت إشراف الأمين عبد السلام بن محمد المقرئ، وهي مذيبة بشكلي عدلين من نفس المهاجرين الجزائريين؛ وهما محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، ومحمد ابن محمد النسب، وفيها يشهد بمضمونها - زيادة على العدلين - 546 مهاجر رُقمت أسماء جميعهم بمئة هذه الوثيقة، حسب العناوين التالية⁴:

1. - شرفاء تلمسان وعددهم 195.
2. - عوام المهاجرين من تلمسان وعددهم 252.
3. - شرفاء المهاجرين من بني عامر وعددهم 17.
4. - عوامهم وعددهم 14.
5. - من شرفاء غريس وأم عسكر وعددهم 20.
6. - من عوامهم وعددهم 17.
7. - شرفاء مستغانم وعددهم 25.
8. - عوام نستغانم وعددهم 08.

1 - المصدر نفسه، ص. 386.

2 - المصدر نفسه، ص-ص. 386-387.

3 - لقد حافظنا الحظ في الحصول على النسخة الأصلية لهذه الوثيقة التي أمدنا بها مؤرخ المملكة المغربية عبد الوهاب بن منصور في شهر جويلية 2006، بمديرية الوثائق الملكية بالرباط. وللعلم أن هناك من يورخ هذه الوثيقة بسنة 1895م، ومثال ذلك ما ذهب إليه عبد العزيز بن عبد الله في كتابه: فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، ج. 2، ص. 809.

4 - م. و. م. ر: رسالة من المهاجرين الجزائريين بفاس إلى السلطان المغربي يعارضون فيها سياسة الحماية الفرنسية وإغراءاتها. ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 14252، ينظر الملحق رقم 17

والوثيقة محررة بلهجة وطنية إسلامية، في أسلوب يغلب عليه السجع، وتتكون من 28 سطر عدا أسماء المهاجرين المرقومة بمئة الوثيقة، وخطها مدموج لا بأس به تميل للمغربي، وهو فيما يبدو خط نفس العدل الأول محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي، العالم المعروف (ت 1324هـ/ 1906-1907م)¹.

ومن أهم ما تضمنته هذه الوثيقة بخصوص نظام الحماية الفرنسية: «وبعد فلما قدم فناده (كذا) الحاضرة الإدريسية المحفوفة السنية بعض النصارى من إيالة الفرانسييس، وصار يلتمس دخول المهاجرين بها من الجزائر وتلمسان وعمالتها في حمايته ونفوذ حكمه فيهم بمقتضى سيرته، فزع من ذلك أهل المرؤة والعهد، والعلماء وذوا الرأي والدين والفضلاء واحتجوا على أنفسهم وإخوانهم بنصوص الشريعة المطهرة أنه لا يسوغ لمومن رفض بيعة الإسلام والدخول في ولاية الكفر، فيعد من الناكثين والمارقين بعد أن كان في سواد المهاجرين»².

ثم تنتقل الوثيقة إلى تربة هؤلاء المهاجرين من بعض المهاجرين الذين دخلوا في حماية العدو ومما جاء في هذا الشأن: «أراد الأعيان والأشراف وأهل الفضل من خلاصة المهاجرين أن يمتازوا عنهم بما احتصوا به وسنود لذريتهم إلى يوم الدين فأقبلوا أفواجا يتسارعون وبكلمة الحق يتشافهون وأشهدوا على أنفسهم أنهم برءاء ممن دخل في حماية العدو براءة تامة وقطعوا عنه الوصال والوفاق لما رأود من مخالفتهم وعدم استقامتهم فضلا عن أن يوافقوا على رأيهم الفاسد بالاتفاق»³. وفي الأخير تنتقل الوثيقة إلى الإعلان عن مبايعتهم للسلطان المغربي؛ والتأكيد على أنهم أصبحوا من ضمن رعيته.

ومما جاء فيها بهذا الخصوص: «وتقلدوا بيعة ملوك بيعة ملوك الدولة العلوية في عنقهم كما يجب عليهم لقوله صلى الله عليه وسلم: (من مات وليست في رقبته بيعة لأحد مات ميتة جاهلية)، وقد بايعوا مولانا عبد العزيز كما بايعوا أباءه قبل من لدن هجرتهم أيام السلطان مولانا عبد الرحمان... ودخلوا فيما دخل فيه المسلمون وصاروا رعيته من جملة رعيته، وقد عمهم فضله وإحسانه كما فعل آباؤه الكرام رحمهم الله جميعهم واقتضى أثرهم، نصره الله في الأمر بتوقيعهم واحترامهم والإحسان إليهم وصلتهم وزجر من اعتدى عليهم وعدم تكليفهم بأمر يشق عليهم والالتفات لبعض ما يصدر من بعض ولائهم لتدارك الأمراء بما يرضيهم من ذلك، خلّد خلّد الله ملكهم وأعلا في سماء السعادة كمحدهم وأدام عزهم ونصرهم إنه على ما يشاء قدير وبالإحابة حدير»⁴.

وبخصوص موضوع الحماية تفيدنا وثيقة تاريخية أخرى مؤرخة في 29 ربيع الأول 1312هـ، وهي صادرة عن نقيب شرفاء تلمسان محمد بن حربي الحسني، وموجهة إلى الوزير الأعظم سيدي أحمد بن الوزير المرحوم

1 - محمد، المتوني: ((وثيقة عن المهاجرين التلمسانين بفاس))، دعوة الحق، ع. 2، السنة العاشرة، تصدر عن وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، شعبان 1380هـ/ ديسمبر 1966م، المملكة المغربية، الرباط، ص. 104.

2 - م. و. م. ر: رسالة من المهاجرين الجزائريين بفاس إلى السلطان المغربي يعارضون فيها سياسة الحماية الفرنسية وإغرائها. ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 14252.

3 - المصدر نفسه.

4 - المصدر نفسه.

سيدي موسى جاء فيها: «وكنا أحصينا لك الوافدين على سيدنا نصره الله يوم قدومه لهاذه (كذا) الحضرة وهم أربعون من شرفاء المهاجرين وأعيانهم، وقد حصل الإنعام من سيدنا على ساير الوافدين دوننا؛ ولا زالوا في انتظار إنعام مولانا عليهم كغيرهم، كم أنهم ينتظرون الحجاز وعدك الوفي بجواهرهم على ما أثبتوه بموجب شرعي، وأنهم برءاء من الدخول في حماية العدو»¹.

-مساهمة محمد بن محمد بن عبد القادر الغريسي المعسكري المعروف بابن الأعرج؛ في مناوئته للسياسة الفرنسية بالمغرب، وهذا ما نلمسه من خلال قصيدته البائية² التي نظمها وهو في وجدة سنة 1329هـ/ 1911م، عندما حوصرت فاس، حيث استنهض فيها الهمم لمقاومة المدّين الفرنسي والإسباني. وبعد ما أشاد بمدينة فاس ومدحها انتقل لتحفيز النفوس والهمم لإنقاذها من الردى؛ ومن بين ما جاء فيها بهذا الخصوص³:

فهل من ذوي الرأي السديد عصابة	من العنصر الشامي السراة بني العرب
وهل من بقايا الفاتحين ذوي السنا	هم تسعد الأوطان في زمن الجذب
وهل من بني الأنصار فضل بقية	تنازل بالأقلام طورا وبالغضب
وهل من بني غسان والأرد فتية	وفهر وعيس مدحج وبني كلب
بني الخلفاء الراشدين هيؤوا	فأنتم أساة الضيم في زمن الخطب
وهل لبني بر بن قيس حماسة	فحفظ ذرا استقلالكم غاية الحب

ثم سرعان ما ينتقل إلى مخاطبة أهل فاس بضرورة نصره السلطان وحمايته من الخطر الذي بات يتهدده، فيقول⁴:

بني الفخر من صنهاجة وبرانس	مصامدة الأبطال شعلسة الحرب
نصرتم بني المختار قدما فأنقدوا	أميركم المحبوب من وهدة الكرب
ومدوا إلى فاس الأصيلة صفقة	تظهرها مما عراها من النكب
وفكروا حصارا هالها بسياسة	وإلا فحد السيف أصدق من كتب
أقيموا بني الأجداد شأو بلادكم	فإن شعوب (الغال) منكم على قرب
وصونوا حماة الدين آل نبيكم	كما صانهم أسلافكم من بني الضرب
خلافتمكم فيكم موثقة العرى	إذا ما رماها الشامتون إلى جنب
وأنتم بني الأقلام خصوا جماعة	تذود عن الحوض الطهور من الصخب
إليكم بني الأفضال زفت مطالي	ففاصكم البيضساء أضت بلا حجب

1- م. و. م. ر: رسالة من نقيب شرفاء تلمسان محمد بن حريبط الحسني إلى الوزير سيدي أحمد بن سيدي موسى، 29 ربيع الأول 1312هـ، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26404.

2- تألف من حوالي 55 بيت؛ تراجع: السليماني: اللسان المغرب عن قائلات الأجنبي حول المغرب، ص-ص. 151-153.

3- ابن عبد الله، السليماني: اللسان المغرب عن قائلات الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. 152.

4- المصدر نفسه، ص-ص. 152-153.

- تكانفها الأشرار من كل وجهة ❁ وحملها الثوار وقسرا من الذنوب
وساقوا على فاس التعيسة شومهم ❁ فعادوا لها أنكى من الأجنب الحربي
وحق بنو (الإصيان) تركض محوكم ❁ لما أنست من لين نبلكم الرطب

ونظرا لهذا النشاط السياسي التحرري الذي أبداه السليمان، يكون قد تعرض للمضايقة من لدن سلطات الحماية الفرنسية؛ بسبب قصائده الوطنية وتعاطفه مع العالم الإسلامي¹؛ ولعل من أبرز إسهاماته في العمل الوطني؛ مشاركته الفعالة في إنشاء مدرسة حرة في حومة رأس الجنان بفاس سنة 1340هـ، ولقد ازدادت مضايقات السلطات الاحتلال الفرنسي له إبان حرب الريف، التي حرص على تتبع مجرياتها وأحداثها بشكل كبير جدا، فكان يتأثر بالأخبار التي تفيد حصول الوهن أو التصدع في صفوف المجاهدين².

كما كان له تعاطف مع قضايا العالم العربي والإسلامي، من ذلك نشوته بانتصار الأتراك على اليونانيين في موقعة أزمير، فنظم بهذه المناسبة قصيدة دالية عنونها بتركيا الجديدة. كما ارتبط بالكتابة في بعض الصحف مثل جريدة السعادة التي نشرت له عدة مقالات في قضايا مختلفة³، كما نشرت له بعض الصحف التونسية قصائد منها قصيدة عن الحرب العالمية الأولى⁴. هذا إلى جانب إشادته بطولة إخوانه الريفيين ضد الإسبان وتغنيه بانتصارهم⁵. ولقد تأثر كثيرا ببداية نراجع ثورة الريف وكان لقصيدته التي نشرتها بعض الصحف وقع مؤثر في النفوس، جاء في مطلعها⁶:

دع الفتيان تمرح في القصور ❁ ويصم (كذا)⁷ مسعدا وادي النكور.

-مساهمة الجزائري أبو بكر بن عبد الوهاب العلوي الطنجي في مناهضة ومناوئة سياسة الحماية الفرنسية بالمغرب، وهو ما جعله عرضة للمضايقات الفرنسية، حيث ألقى عليه القبض أثناء الحرب العالمية الأولى هو وزوجته الألمانية وأولاده وسبقوا إلى السجن وصودرت ممتلكاته؛ نتيجة لأفكاره السياسية والوطنية التي اشتهر بها؛ ثم أفرج عنه فيما بعد، غير أنه ظل تحت الإقامة الجبرية بمدينة سلا بالرباط لمدة ثلاث سنوات⁸.

- 1- ناصر الدين، سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999، ص. 611.
- 2- معلمة المغرب، مج. 16، المرجع السابق، ص. 5104.
- 3- علال، الخديمي: ((محمد بن الأعرج ومؤلفاته))، أعمال الملتقى المغاربي الأول، المرجع السابق، ص. 62.
- 4- معلمة المغرب، مج. 16، المرجع السابق، ص. 5103.
- 5- علال، الخديمي: ((محمد بن الأعرج ومؤلفاته))، أعمال الملتقى المغاربي الأول، المرجع السابق، ص. 62.
- 6- ناصر الدين، سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين، المرجع السابق، ص. 611.
- 7- الصواب هو: ويمم مسعدا وادي النكور. تراجع: السليمان: اللسان المغرب عن قنالت الأجنبي حول المغرب، ص. د.
- 8- معلمة المغرب، مج. 9، المرجع السابق، ص. 2979.

- دور الحاج هلي أبو طالب في الدعاية الألمانية ضد فرنسا بالمغرب.

قبل الحديث عن دوره بالمغرب، يجب الإشارة إلى أن هناك تعامل كبير على هذه الشخصية من طرف بعض الباحثين المغاربة، لدرجة اتهامه بالعمالة والدساسة للعديد من الدول الأجنبية؛ وبناء على هذا الطرح فنحن لن نسعى إلى مشاطرتهم الرأي، كما لا نركبه في كل نشاطاته بالمغرب، وغايتنا هي إجلاء الحقيقة التاريخية لا غير. فبعد أن طردته السلطات الفرنسية من الجزائر وحجزت أملاكه في سنة 1295هـ / 1878م، يكون قد توجه نحو طنجة للمرة الثانية؛ حيث يوجد أبناء عمومته، وأثناء حلوله بهذه المدينة ترى أحد الروايات الفرنسية أنه وقع سوء تفاهم جعله يُستقبل في المفوضية الفرنسية بطنجة على نحو غير لائق، مما دفعه إلى مكاتبة مفوضية ألمانيا التي كان على رأسها الوزير السيد "Weber"؛ الذي وطّد علاقاته مع الحاج علي بوطالب لأنه رأى فيه شخصا هام¹. بينما يذكر أبو القاسم سعد الله أن بوطالب قد تقدم بطلب معونة من البعثة الفرنسية بطنجة فوقع سوء تفاهم معه، أدى إلى لجوئه إلى البعثة الألمانية².

ونحن لا نعتقد أن إحجام الفرنسيين عن التعامل معه وما ترتب عن ذلك من سوء المعاملة، كان كافيا ليتعامل مع البعثة الألمانية؛ لأن الفرنسيين هم أعداؤه بالدرجة الأولى وهم من طردوه ونفوه من الجزائر وحجزوا ممتلكاته؛ خاصة إذا كنا نعلم أن المغرب كان يشهد حينها تنافسا قويا بين الدول الأوروبية: بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، وإيطاليا... الخ، فلا شك أن بوطالب يكون قد استعان بخصوم أعدائه الحقيقيين فرنسا، هذا من جهة. ومن جهة أخرى نجد أن المغرب كان محالا خصبا للدعاية، خاصة العثمانية والألمانية؛ وعليه فتقاربه مع ألمانيا رأى فيه في نظرنا بمثابة انتصار للدولة العثمانية، وأفكار الجامعة الإسلامية التي كانت تُروّج بالمغرب. هذا إلى جانب كونه حديث عهد بتواجده بالشرق العربي؛ وكان على صلة كبيرة بـ "تيودور فيبر T. Weber" عندما كان قنصلا لألمانيا بدمشق؛ حيث تعرف على الأمير عبد القادر، وبحكم أن الحاج علي بوطالب من أقارب الأمير يكون قد استخدمه "ويبر" لديه عندما عين وزيراً لألمانيا بطنجة³.

في حين يذكر سعد الله أبو القاسم، أن "ويبر" كان يعرف الحاج علي منذ كان في بيروت، فكانت بينهما معرفة شخصية وظل معه على علاقات ودية⁴. هذا إلى جانب اطلاعه الواسع على مسألة التقارب الألماني العثماني؛ وبالتالي فلجأه إلى المفوضية الألمانية بطنجة له ما يبرره. ومن أهم النشاطات التي قام بها في المغرب؛ والتي تتماشى مع طبيعة موضوعنا نذكر ما يلي:

1- دعمه للمخزن المغربي: يمكن إبراز نشاطاته في النقاط الآتية:

- مساهمته في دعم جريدة المغرب⁵ التي كان مراسلا لها؛ إلى جانب عدة مراسلين مغاربة في بعض المدن

1 - Michaux-Bellaire: Les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, P. 13.

2 - تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 5، المرجع السابق، ص. 525.

3 - معلمة المغرب، مج. 9، المرجع السابق، ص. 2987.

4 - تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 5، المرجع السابق، ص. 525.

5 - تعتبر أول جريدة عربية ظهرت بالمغرب، وهي جريدة أسبوعية إخبارية علمية أدبية؛ أسسها المحامي الفرنسي دانيال سوران D.

كعمر برادة بناس، وعهد السلام برادة بتطوان، والطيب بن عبد الله بالجديدة، ويوسف أهدي ممرو بالرباط.¹ وتكمن مساهمته في عديد المقالات التي كان يرسل بها إلى المجلة؛ ومن بين أهم ما كتبه فيها:

أ- قصيدة في مدح السلطان المغربي جاء في مطلعها²:

هبوا بنا نحو أرض الغرب وافقدوا ❁ من طار صيتهم في الكون وانفردوا.
إلى أن يقول في نهايتها:

هو المليك العزيز السيد الحكيم ❁ العدل الفريد الهمام الفاتك الأسد.

ب- كتب في سنة 1889 مقال موسوم بـ: الدلالة بطنجة؛ ردّ فيه على مقال صدر ضده من قبل أحد الأشخاص، وهو جورج المتقلب بين النصرانية والإسلام؛ ومما جاء فيه بخصوصه: «القنصل المدعي بالباشادورية... الذي اختاره تاجر الحمایات موضعاً لحفظ سره... وتظاهر بالنصرانية، ودعي نفسه جورج، ولم يلبث حتى عاد فادعى بالإسلامية، وكان يتزيا بزى علماء اسطنبول، فلبس تلك البذلة الخضراء، واعتم بالعمامة البيضاء، لكي يخيل للبسطاء أنه شريف مكاي»³.

- إخطار السلطان المغربي بالمنحططات والمؤامرات الفرنسية التي كانت تُحاك ضد المغرب، ويبدو ذلك من خلال رسائله كثيرة اللحن التي كان يُخبر من خلالها السلطان بما كانت تكتبه الصحف الأجنبية حول المغرب سنة 1888؛ وبما كانت تحاول فرنسا القيام به من الهجوم على واحة فجيج⁴.

- مساهمته في تشجيع الشيخ بوعمامة على الصمود وعدم التفاوض مع الفرنسيين؛ وذلك عندما طلبت منه مفوضية فرنسا بطنجة - رغم علمها بتعامله مع ألمانيا- القيام بوساطة لدى الشيخ بوعمامة لاستماتته إليها⁵.

- حسب أحد الراويات الفرنسية يكون علي بوطالب قد أُبعد مجدداً من المغرب في سنة 1884 وأُعيد إلى الجزائر حيث لم يتم استقباله بها مرة أخرى؛ فرجع إلى المغرب مجدداً؛ حيث تم إيقافه واعادته للجزائر؛ وظل هكذا ينتقل بين المغرب والجزائر؛ لذلك اتخذ قرارا بالتخلي عن الجنسية الفرنسية⁶. بينما تذهب رواية مغربية إلى القول: إن علي بوطالب وبعد وساطته لدى بوعمامة يكون قد غادر المغرب باتجاه الجزائر للتشويش على فرنسا؛ فجمع من ذلك أموال طائلة واتصل بالألمانيين المقيمين بالجزائر، وكان غرضه العاجل هو الحصول على تأييد

Saurin، وكان محرراها الرئيسيان هما اللبانيين عيسى فرج وسليم كسباني؛ صدر العدد الأول منها يوم: 14 رمضان 1306هـ: 15 ماي 1889، وكانت تصدر في شكل أربع صفحات، صدر منها حوالي 30 عدداً ثم سرعان ما اختفت من الساحة في نفس سنة صدورها. تراجع: مصطفى، بوشعراء: الاستيطان والحماية بالمغرب، ج. 4، ص. 1478.

1- مصطفى، بوشعراء: الاستيطان والحماية بالمغرب (1280-1311هـ / 1863-1894م)، ج. 4، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط. 1410هـ / 1989م، ص. 1478.

2 - المرجع نفسه، ج. 4، ص-ص. 1480-1481.

3 - المرجع نفسه، ص. 1481.

4 - المرجع نفسه، 1480.

5 - المرجع نفسه، ص. 1479.

6 - Michaux-Bellaire, Edouard: Les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, P. 13.

العديد من الطوائف الدينية السرية في العالم الإفريقي¹.

- في سنة 1890 ذهب برفلة رجل الأعمال الألماني "ده كيرديك شين" إلى مدينة فاس، ليترشح عنى المعلن شراء مدافع كروب²، قصد مواجهة الأخطار المحتملة التي تهدد المغرب.

- القيام بمساعي كبيرة لربط وتأمين علاقة المغرب بالدولة العثمانية؛ خاصة وأنه كان هو المرشح لنيل منصب قنصلي أو دبلوماسي للدولة العثمانية بطنججة؛ وبناء على هذا يكون قد سافر خلال شهر أفريل 1885 نحو اسطنبول لتحقيق هذا الغرض، وعلى اثر ذلك يكون السلطان عبد الحميد الثاني قد أرسل علي باي الجزائري مبعوثا عنه إلى المغرب ليختبر نية السلطان مولاي الحسن في توطيد هذه العلاقات. فتوصل إلى أن السلطان المغربي لا يريد ربط علاقات مع العثمانيين اقترحتها ألمانيا وعارضتها فرنسا³. وأثناء العهد العزيري قام برحلة ثانية إلى اسطنبول قصد الفوز بتمثيلها في المغرب؛ عندما اتضح لديه أن السلطان ينوي توثيق علاقاته مع الدولة العثمانية؛ غير أن رحلته هذه باءت بالفشل كون الدولة العثمانية عرضت عنه ورفضت الدخول في مفاوضات معه⁴.

ورغم فشل هذه الوساطة فمن غير المستبعد أن يكون علي بوطالب قد مهد لوضع أسس علاقات مغربية عثمانية تكون قد نمت وتطورت مع مرور الوقت؛ ولعل تعامل الأمير عبد المالك فيما بعد مع الألمان والعثمانيين بالمغرب ضد الفرنسيين يعود إلى هذه الأرضية. وما يمكن قوله في الأخير أن تعامل الحاج علي بوطالب مع الألمان كان لصالح الأمة الإسلامية، ولصالح الجزائر ضد فرنسا، بعدما نفته إلى المغرب الأقصى، وأن بوطالب وغيره من العناصر الجزائرية كانت تناضل خارج الجزائر في إطار إسلامي واسع، أكثر مما كانت تناضل من أجل وطنية إقليمية ضيقة⁵. وبالتالي فإن ما يروج من أفكار وكتابات مغربية حول إقامته بالعمالة والجوسسة يتدرج ضمن سياسة الإقصاء والتهميش لكثير من الوطنيين الجزائريين الذين كان لهم دور كبير في الحركة الوطنية المغربية.

- دور علي الحمامي في النضال السياسي التحرري بالمغرب:

لقد ساهم الحمامي بشكل كبير في الحركة الوطنية المغربية، رغم المدة الزمنية القصيرة والظروف الصعبة التي أحاطت به أثناء تواجده بالمغرب، ويبرز لنا دوره من خلال النقاط الآتية:

أ- مشاركته الفعالة إلى جانب الأمير عبد المالك الجزائري⁶؛ أثناء مقاومته للاستعمار الفرنسي بالمغرب؛ حيث ظل مساندا له إلى غاية استشهاده في سنة 1924.

1 - مصطفى، بوشعراء: الاستيطان والحماية بالمغرب (1280-1311هـ / 1863-1894م)، ج. 4، المرجع السابق، ص. 1479.

2 - المرجع نفسه، ص. 1479.

3 - المرجع نفسه، ص. 1479.

4 - المرجع نفسه، ص. 1479.

5 - حميدة، عمراوي: الأمير خالد وخطاب الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1930، المرجع السابق، ص. 75.

6 - الطيب، بنونة: نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السام بنونة، ط. 1، مطبعة دار أمل، طنجة، 1400هـ / 1980م، ص. 300.

ب- مشاركته إلى جانب الأمير عبد الكريم الخطابي (ت1382هـ/1963م)¹، الذي يكون قد التحق به بعد استشهاد الأمير عبد المالك مباشرة²؛ غير أنه لم يمكث عنده مدة طويلة، كونه انتقل إلى فرنسا في نفس السنة؛ حيث ساهم إلى جانب كل من: مصالي الحاج وعبد القادر بن الحاج علي وعبد العزيز المنور في تأسيس لجنة الشمال الإفريقي برئاسة الأمير خالد في سنة 1924³.

ج- نضاله التحرري الذي يبرز من خلال المقالات والمواضيع التي كتبها ونشرها في الصحف والمجلات، ولعل من أبرز ما تركه لنا في هذا المجال قصته التاريخية الموسومة باسم إدريس⁴؛ وهي قصة تكتسي طابع تاريخي وسياسي تحرري. وللعلم أن هذه القصة قد استوحاها من روح المقاومة المغربية أثناء تواجده في خضم أحداثها، وهي قصة كانت قد نشرت في سنة 1942 باللغة الفرنسية بالقاهرة في شكل كتاب؛ مع تقديم للأمير عبد الكريم الخطابي باللغة العربية، مؤرخ في 23 جمادى الأولى 1367هـ/ 3 أبريل 1948م⁵.

ومن أهم ما جاء فيه بخصوص هذا الكتاب: «وكتاب الأخ المجاهد الأستاذ علي الحمامي المغربي يكشف عن الكثير من أباطيل فرنسا الطائشة في المغرب... كما أن الكتاب لا يخفي بعض الأخطاء التي كانت سائدة في المغرب قبل الاحتلال، والتي كانت من البواعث الأكيدة على سقوطه في قبضة الاستعمار»⁶. وتكمن أهمية هذه

1- هو محمد بن عبد الكريم الخطابي، ولد في بلدة أجدير قرب الحسيمة من الريف سنة 1299هـ/ 1882م، ينحدر من قبيلة ورباغل؛ حفظ القرآن الكريم بمسقط رأسه، زاول تعليمه بالقرويين، ثم عاد إلى مسقط رأسه، وأقام بمدينة مليلة، التي تولى بها منصب القضاء، وعندما زحف الإسبان على مدينة شفشاون أظهر والده معارضة لهم، فقاموا بعزل ابنه من منصب القضاء واعتقاله، وبعد محاولته الفاشلة في الهروب من السجن، تكون السلطات الإسبانية قد أطلقت سراحه بعد ذلك، لكنه سرعان ما أصبح من المقاومين لهم، حيث قاد ضدهم عدة معارك بمنطقة الريف، لكنه استسلم في نهاية المطاف للفرنسيين في 12 ذي القعدة 1344هـ/ 25 ماي 1926م، الذين قاموا بنفيه إلى جزيرة رينون بالجزر الهندية، التي مكث بها حوالي 20 سنة، وعندما أرادت السلطات الفرنسية نقلهم إلى باريس سنة 1366هـ/ 1947م، عبر قناة السويس، يكون قد استقر به المقام بالقاهرة، ترأس مكتب المغرب العربي بالقاهرة سنة 1948، وظل بمصر إلى أن وافته المنية بها سنة 1382هـ/ 1963م. يراجع: خير الدين، الزركني: الإعلام، مج. 6، ص-ص. 216-217.

-Centre d'études Arabes: le Maroc sous domination coloniale 1912-1945, P. 23.

2- حميدة، عميراي: الأمير خالد وخطاب الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1930)، المرجع السابق، ص. 85.

3- علال، الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط. 5، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1993، ص. 13.

4- أبو عمران، الشيخ: ((علي الحمامي وقصة إدريس))، الثقافة، ع، 42، السنة السابعة، ش. و. ن. ت، دو الخجة- محرم 1398هـ/ ديسمبر- جانفي 1978، الجزائر، ص-ص. 76-78.

5- يستفاد من الانتهاء من تأليف الكتاب المؤرخ بمدينة بغداد في ديسمبر 1941- جويلية 1942، وصدور هذا الكتاب بمصر سنة 1942، كما أشار إلى ذلك أبو عمران الشيخ، من أن هناك تناقض كبير بين تاريخ صدور الكتاب والتقديم الذي وضعه له عبد الكريم الخطابي المؤرخ في القاهرة في 23 جمادى الأولى 1367هـ/ 3 أبريل 1948.

6- Aly, El Hammamy: Idris, entreprise nationale du livre, 2em édition, Alger, 1988, P. 6.

وللعلم أن هذه القصة تم نشرها في الجزائر باللغة الفرنسية في سنة 1976، في شكل كتاب يتكون من 396 ص، ضمن إصدارات المؤسسة الوطنية للكتاب، كتابا تضمن تقديماً لأبي عمران الشيخ باللغة الفرنسية هو الآخر، وأعدت المؤسسة طبعه للمرة الثانية في

القصة في المواضيع التي تطرق إليها الحمامي؛ والتي يمكن حصرها في النقاط الآتية:

- 1- انتقد في العنصر الأول السياسة الاستعمارية القائمة على الاستغلال والسلب والنهب للأراضي والممتلكات، وطمس معالم الثقافة والهوية الوطنية للشعوب؛ كما استنكر سياسة الاندماج والإستيلاب الثقافي الذي كانت ترمي من ورائه فرنسا إلى جعل المغاربة أحفادا للغال. هذا إلى جانب اضطهاد الصحافة الوطنية، ومحاربة اللغة العربية، وتنمية الخلافات الإقليمية والعرقية بين السكان؛ خصوصا العرب والبربر¹.
- 2- دراسة وتحليل المجتمع المغربي والوقوف على أسباب انحطاطه وتخلفه، ويشير هنا بالخصوص إلى واقع التعليم الأهلي المتدهور في جميع مراحل، ناهيك عن عدة عوامل أخرى سياسية واقتصادية واجتماعية؛ كما وجّه انتقاداته للطرق الصوفية التي رأها قد مهدت بطريقة غير مباشرة لسياسة الاحتلال ودعمته².
- 3- قدّم مجموعة من الشروط التي يراها كفيلة بنهضة الشعوب العربية والإسلامية؛ والتي من أهمها نشر العلم وتعميق الفكر الإسلامي والمؤسسات السياسية، مستشهدا بآراء كبار المصلحين كجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده، والإمام عبد الحميد بن باديس. وبناء على ذلك يمكن اعتبار الحمامي كغيره من المصلحين الذين عرفهم العالم العربي والإسلامي آنذاك، ونلمس ذلك من خلال الوَقْع الذي أحدثه في نفوس معاصريه بعد حادث سقوط الطائرة التي تعرض لها سنة 1949، أثناء توجهه إلى باكستان لحضور فعاليات المؤتمر الاقتصادي الكبير؛ وما الكلمات التأبينية التي خصّه بها زعماء الحركة الوطنية المغربية³ عموما وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين خصوصا إلا دليلا على ذلك⁴.
- 4- وفي الأخير يدعو إلى ضرورة تحقيق وحدة المغرب العربي، والحركات التحررية في سبيل الحصول على استقلالها؛ كما نبّذ بشيد بالحركة الوطنية في المغرب العربي وبالمقاومة المسلحة، ويطرح عدة شروط يراها كفيلة بتحقيق النصر على الأعداء، وهي الأخذ بالعلوم والتكنولوجيا الأوربية الحديثة، مستشهدا في ذلك بنهضة مصر الحديثة⁵.

- دور الزّجالون الجزائريون بتطوان في مناهضة الاستعمار الفرنسي:

لقد لعب الزجل دور كبير في تفعيل الوعي القومي المغاربي والشعور الوطني، لمناهضة الاستعمار الفرنسي بالمغرب العربي، بعد احتلال كل من الجزائر، وتونس؛ ونلمس ذلك من خلال مقطوعة من الأناشيد الزجالية

سنة 1988، بنفس التقسيم الأول المؤرخ في شهر سبتمبر 1976.

1 - أبو عمران، الشيخ: قضايا في الثقافة والتاريخ -علي الحمامي وقصة إدريس التاريخية-، منشورات تالة بالأبيار، الجزائر، 2003، ص-ص. 263-264.

2 - المرجع نفسه، ص. 264.

3 - مثل الزعيم التونسي محيي الدين القليبي، وعلال الفاسي من المغرب، وفرحات عباس، والبشير الإبراهيمي وغيرهم من الجزائر.

4 - مجموعة من المؤلفين: آثار محمد البشير الإبراهيمي - الأستاذ علي الحمامي -، ط. 1، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1402هـ/ 1981م، ص-ص. 215-216.

5 - أبو عمران، الشيخ: قضايا في الثقافة والتاريخ، المرجع السابق، ص. 265.

الحماسية -تونس الأصل- التي كان يتغنى بها جموع التونسيين والمغاربة والجزائريين على حد سواء بمدينة تطوان، لإثارة الرأي العام ضد فرنسا، وهذا ما أشار إليه القنصل الفرنسي بتطوان في رسالة وجهها يوم 10 جويلية 1895¹ إلى القائم بالأعمال الفرنسية بطنجة². مفادها أن الشارع التطواني يردد نشيدا أثار حفيظته، واعتبره تعبئة سياسية ضد دولته، ومن بين ما جاء في هذا النشيد³:

- يا لفرنسيس أحي أنقول لك ❁ أخرج من تونس خير لك
 هذا تركي متحزم لك ❁ ويضربك بالدفونة
 ياسلام سلام على الباداوية ❁ يا رياس عشقُ البلد بلية
 سيدي الباي قاعد متكي ❁ ويهدر بالفرانساوية
 يا يحي عطيني نتعشى ❁ ما بين المغرب والعشة
 الفرنسيس دخل بالعسة ❁ ويهدر بالعجمية
 ...
 يا لالة أعطيني خروبة ❁ نشري حبة نشوبة
 الفرنسيس دخل بالنوبسة ❁ بالعسكر والجادمية
 يا سلام سلام على الباداوية ❁ يا رياس عشقُ البلد بلية
 يا يحي أعطيني أممين ❁ باش نشري طرف جبن
 الفرنسيس طلع للجبل ❁ بالمسدع والطيحيسة

ويذكر عبد العزيز السعود بخصوص دور المهاجرين الجزائريين القاطنين بتطوان، في مناهضة فرنسا بقوله: «فإن الشعور العام لدى سكان المدينة الذين هم من أصل جزائري كان يميزه كراهية فرنسا، والتنديد بسياساتها الاستعمارية وفضحها، ففي سنة 1895 كان الناس في تطوان يرددون قصيدة زجلية باللهجة الجزائرية تسخر من الاستعمار الفرنسي الذي كان قد احتل تونس»⁴، والتي اعتبرها القنصل الفرنسي بالمدينة بمثابة تعبئة سياسية ضد دولته⁵.

- 1- لقد ورد هذا التاريخ في مقال الباحث عبد العزيز التسماني خلوq الموسوم ب: العمل الوطني بشمال المغرب الشرقي من خلال الوثائق الدبلوماسية الفرنسية، ص. 26؛ كما يلي: 10 يوليوز 1985، وهو في اعتقادنا خطأ مطبعي صوّناه على النحو الموالي: 1895، وذلك بناء على ما ورد عند عبد العزيز السعود: تطوان خلال القرن التاسع عشر، ص. 92.
- 2- عبد العزيز التسماني، خلوq: ((العمل الوطني بشمال المغرب من خلال الوثائق الدبلوماسية الفرنسية))، سلسلة ندوات. (محمد داود: الحركة الوطنية في الشمال والمسألة الثقافية)، أيام، 24-25-26 نوفمبر 1989، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط. 1، بمساهمة المجلس البلدي لبلدية تطوان، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط. 1990، ص. 26.
- 3- المرجع نفسه، ص. 26.
- 4- عبد العزيز، السعود: تطوان خلال القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص. 92.
- 5- المرجع نفسه، ص. 92.

1-2. النشاط العسكري:

لم يتوان كثير من المهاجرين الجزائريين نحو المغرب في القيام بأدوار عسكرية رائدة في الجيش المغربي؛ وسيبدو لنا ذلك جلياً من خلال عمليات الانخراط في الجيش. سواء كانوا جنوداً أو مدربين أو صناع مهرة للأسلحة والذخيرة الحربية بمختلف أنواعها، أو بالإشراف على ماكينات الأسلحة، أو بالشاركة إلى جانب إخوانهم المغاربة في صد الاعتداءات الأجنبية التي كان يتعرض لها المغرب بين الحين والآخر، وتستتبع أدوارهم العسكرية هاته بالوقوف على عدة نماذج وعينات منهم؛ وهذا ما يمكن الإشارة إليه في ما يلي:

- من خلال نص الظهير الرحامي المورخ في 23 جمادى الأولى 1246هـ / 20 أكتوبر 1830م، الذي كتبه السلطان إلى عامله بتطوان محمد أشعاش؛ بشأن المهاجرين الجزائريين الواردين على هذا الثغر؛ بعدما بلغه نبأ وصولهم إلى ميناء مارتيل يكون قد حثه فيه على أن يبعث إليه بأسمائهم وحرفهم وصناعتهم ويُميز منهم الجنود والضباط لينخرط هؤلاء في الجيش المغربي إذا اختاروا ذلك¹، ونص ما جاء في هذا الظهير بهذا الخصوص: «وبعد فقد بلغنا أن أهل الجزائر الذين يردون منها... فيهم البحرية والطبجية والعارفون بصنع البنية والكورة والمدافع... فيوصول كتابنا هذا إليك اخترهم وأضف كل فريق إلى أهل خطته وأعلمنا بهم»².

وعلى اثر هذا الظهير يكون محمد أشعاش قد بعث إلى السلطان بتقرير مفصل في الموضوع اشتمل على زمام الواردين من المهاجرين، ومن بين العسكريين الذين ورد ذكرهم ضمن هذا الزمام³:

1- رؤساء البحر: وعددهم أربعة وهم على النحو الآتي: أحمد بلجي، ومحمد بن سلوطي، وعبد القادر بن الرئيس، وحسن تلو.

2- الطبجية: وعددهم 20 وهم مرتبون على النحو الآتي: علي بن أحمد، ومصطفى بن عبد الله، مصطفى بن علي، مصطفى بن محمد، وسليمان، ومصطفى، وحسن، ومصطفى، وإبراهيم، وأحمد، وإبراهيم، وأيوب، ومحمد بن أيوب، وعبد الرحمان بن عمر، وحسن بن أيوب، ويوسف بن مصطفى، وعلي بن أحمد، وأحمد بن محمد، ومحمد بن إسماعيل، ومحمد بن المصطفى.

3- البحرية: وعددهم خمسة وهم على النحو الآتي: مصطفى، وفرجي، وحمادي، ومولود بن قارده، وعسي بن الحاج محمد.

وبناء على هذا يكون السلطان قد وظّف هؤلاء المهاجرين ولم يتركهم عرضة للإهمال والضياع، وفي الوقت نفسه سيستفيد من خبرتهم القتالية وخدماتهم الحربية في صفوف الجيش المغربي ضمن سلاح البحرية والمدفعية. وفي مواجهة المخططات الاستعمارية الأوربية.

1 - إدريس، خليفة: الحركة العلمية الثقافية بتطوان منذ الحماية إلى الاستقلال 1331-1376هـ / 1912-1956م، ج 1، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1414هـ / 1994م، ص 63.

2 - و. خ. ح. ر: رسالة من السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى عامله بتطوان محمد أشعاش بشأن توظيف المهاجرين الجزائريين في الخدمات الحربية، محفظة رقم 1، وثيقة رقم 37.

3 - دورية الوثائق الملكية، مج 8، المطبعة الملكية، الرباط، 1398هـ / 1978م، ص-ص. 202-203.

ولم يقتصر الأمر على هؤلاء المهاجرين بل تعداه إلى أبناء كثير من القبائل الجزائرية المهاجرة التي أعلنت عن نيتها في انضمام أبنائها إلى صفوف الجيش المغربي، ومن بين هؤلاء أحمد بن عامر الذين انخرط جزء كبير منهم في سلك المخزنية والخدمات الحربية؛ ونلمس ذلك من خلال نص الخطاب الذي بعته السلطان عبد الرحمان إلى ولي عهده سيدي محمد، والمؤرخ في مهل ذي القعدة 1262هـ؛ ومما جاء فيه بهذا الخصوص: «فقد أتوا على إحسانك وأقروا بفضلك وامتنانك وطلبوا تأخير تكليفهم بالعسكرية والانخراط في سلك المخزنية إلى الربيع الآتي. لأنهم حديث عهد برحيل حتى يستوطنوا البلاد ويعرفوا وجوه المعاش... فقد أتوا بقصد الخدمة والقيام بالمخزنية فساعدتهم على ذلك أصلحك الله»¹.

ومن بين الجزائريين الذين أشرفوا على تدريب الجيش المغربي حمودة الذي شغل منصب معلم عسكر النظام؛ وورد ذكره في الرسالة التي كتبها ولي العهد سيدي محمد إلى الأمين الحاج أحمد الرزبي، والمؤرخة في شهر رمضان 1260هـ؛ على اثر الظهير الذي يكون قد اطلع عليه بشأن هذا المعلم؛ حيث يأمره فيه بتدبير كسوة تناسبه ملفا وكتانا مقابل شجاعته في الرمي على مراكب العدو.

ومما جاء في هذا الظهير بهذا الخصوص: «وكذلك أيضا ورد علينا الأمر الشريف بأن نكسو المعلم حميدة بن جراح الجزيري (كذا) كسوة تناسبه ملفا وكتانا، وتدفع له عشرين ريالاً، لما بلغ مولانا عنه، وأنه ظهرت منه النجدة في الرمي على مراكب العدو، وعليه فلا بد نفاذ ذلك لما أمر به مولانا»². وفي وثيقة أخرى مؤرخة في 25 شعبان 1261هـ، يأمر السلطان خديمه الحاج عبد القادر أشعاش بدفع مبلغ مالي معتبر لهذا المعلم، ومما جاء فيها بهذا الشأن: «وبعد، فنأمرك أن تدفع لدار حمودة الجزيري معلم عسكر النظام ثلاثين مثقالاً»³.

وإلى جانب حمودة الجزائري نسجل أحد الجزائريين الذين أبلوا بلاء حسنا في البحرية المغربية، ألا وهو الرئيس حماني، الذي شمله السلطان برعاية وإعانة خاصة، وهذا ما تضمنته الظهير السلطاني المؤرخ في 21 رجب 1261هـ / 26 جويلية 1845م؛ الذي كتبه إلى الحاج عبد القادر أشعاش، ومما جاء فيه بهذا الخصوص: «وبعد، فنأمرك أن تدفع لحامله الرئيس حماني بحري عشرة مثاقيل»⁵. هذا إلى جانب دور أحد أبناء أحمد بوضرية الجزائري الذي يكون قد كلفه السلطان عبد الرحمان ابن هشام بتكوين جيش نظامي له في سنة 1846⁶.

- 1 - م. و. م. ر: رسالة من السلطان عبد الرحمان إلى ولي عهده سيدي محمد بشأن الثناء الذي تلقاه من بي عامر، والفرح والسرور الذي شملهم؛ ورغبتهم في الالتحاق بالخدمة العسكرية المخزنية، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 19103.
- 2 - محمد، داود: تاريخ تطوان، مج. 9، المصدر السابق، ص-ص. 107-108.
- 3 - رسالة من السلطان عبد الرحمان إلى الحاج عبد القادر أشعاش بشأن كسوة المعلم حمودة الجزيري، دورية الوثائق الملكية، مج. 2، 1396هـ / 1976م، المطبعة الملكية، الرباط، ص. 63.
- 4 - يُحتمل أن يكون التاريخ المحري 4 رجب، لأن الرقم الوارد في الوثيقة جرّنا بالإشارة إلى ذلك.
- 5 - رسالة من السلطان عبد الرحمان إلى الحاج عبد القادر أشعاش بخصوص كسوة الرئيس حماني بحري الجزائري، دورية الوثائق الملكية، مج. 2، المصدر السابق، ص. 48.
- 6 - عبد العزيز، السمود: تطوان خلال القرن 19، المرجع السابق، ص. 43.

ومع النصف الثاني من القرن 19 يكون المغرب قد عرف حركة إصلاحية في مختلف الميادين، ومن بين هذه الميادين الميدان العسكري؛ وبناء على ذلك يكون المخزن قد لجأ في بداية الأمر إلى مدربين تونسيين وجزائريين كعلي وحمودة الجزائري ومحمد خوجة التونسي، ولقد كان هناك عدد هائل من الجزائريين منخرطين في الجيش المخزني منذ استيلاء الفرنسيين على الجزائر؛ حيث كانوا على دراية كبيرة بالطبعية وصنع البونب والمدافع والمهاريس¹.

ومن بين الجزائريين الذين تولوا مهام عسكرية في الجيش المخزني بعد وفاة السلطان عبد الرحمان ابن هشام، نجد الفارس الأبعد السيد أبو بكر الناصري المازوني الذي تولى رئاسة عساكر تازة لأمر المؤمنين سيدي محمد بن عبد الرحمان².

وإلى جانب هذا يكون المخزن قد أسند مهمة الإشراف على ماكينات السلاح بفاس³ إلى الحاج محمد المقرري الجزائري، الذي لعب دور كبير في تزويدها بالمواد الأولية اللازمة لها؛ كما كان حريصا على مراقبة العاملين بها؛ وبالخصوص "بريكولي Brigoli" الذي كان يسعى لعرقلة نشاطه بحجة أنه كان يضارب في المواد الأولية للبناء؛ ورغم التأخر الذي عرفته ماكينات السلاح في ابتازها فإنه تم الانتهاء منها في سنة 1893، بعد أربع سنوات من بداية الأشغال⁴. كما أسند المخزن للحاج محمد المقرري بعد ذلك مهمة الإشراف على البعثات الأوربية التي كانت تحل بالمغرب بخصوص متابعة تطور هذه الماكينات؛ ومن بين هذه البعثات البعثة الإيطالية، التي شرعت في العمل بالماكينات في 1896/02/13⁵، ولقد أوردت بمحة سيمو في أحد مؤلفاتها صورة فوتوغرافية لبعض عناصر فابريكة السلاح كان من بين عناصرها الحاج محمد المقرري⁶.

وإلى جانب هذا يكون المخزن قد كلف المقرري بمهمة عسكرية تتمثل في السفر إلى القسطنطينية في جويلية 1909؛ لبحث إمكانية إرسال الدولة العثمانية لمدرين عسكريين أتراك بدلا من المدربين الأوربيين، ولقد استقبل الطلب المغربي بحفاوة كبيرة لأن الحكومة التركية الجديدة عادت إلى السير في نهج السياسة الإسلامية العثمانية القديمة، مبدية كامل استعدادها لمساعدة المسلمين في جميع أنحاء العالم⁷.

- 1 - ثريا، برادة: الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997، ص. 242.
- 2 - أبو عبد الله، السليمان: اللسان المغرب عن ثقافت الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. 35.
- 3 - الماكينات هي عبارة عن دار صناعة حديثة، شيدت وسط وحدة تقليدية عتيقة البنية، وتعتبر صناعة الأسلحة من أهم الصناعات التي بنيت من أجلها هذه الماكينات. يراجع: بمحة، سيمو: الإصلاحات العسكرية بالمغرب 1844-1912، ص. 268.
- 4 - بمحة، سيمو: الإصلاحات العسكرية في المغرب 1844-1912، تأليف وتعريب المؤلف نفسه، المطبعة الملكية، الرباط. 1421هـ/ 2000م. ص. 294.
- 5 - المرجع نفسه، ص. 294.
- 6 - العلاقات المغربية الإيطالية 1869-1912، ط. 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2003، ص. 567.
- 7 - المرجع نفسه، ص. 412.

لقد تكلفت هذه الوفادة بالتوصل إلى توقيع عقد تام بين الحكومتين التركية والمغربية في هذا الشأن، تضمن موافقة السلطان العثماني على إرسال بعثة عسكرية تشمل مجموعة من المدربين العسكريين؛ ويتعلق الأمر هنا بكن من أحرىف باي¹، والتلمساني²، وغنّان³، ورافق هؤلاء الضباط ثمانية عرفاء⁴، واستقبلوا من طرف عني رحي الذي وجههم نحو فاس، وكان من المفروض أن يلتحق بهم آخرون من بينهم ضابط من أصل بوسني هو الرائد صالح بن محمد السّرّحي⁵.

وبوصول أحرىف باي ورفاقه إلى المغرب خلال شهر نوفمبر 1909 بدأ في التطلع إلى تسريح كل الأجنات العاملين في القطاع العسكري، فكان من بين هؤلاء بعض الجزائريين الذين فروا من الخدمة في الجيش الفرنسي والتحقوا بصفوف المخزن؛ مثل المدعو محمد بن سعيد الحامل لرقم 6437 الرتبة الثانية، الفرقة الأولى من الفيقة الثالث للمدفعين الجزائريين؛ والذي صرح بأنه قضى 8 سنوات في الخدمة وفر بعد ذلك حاملا معه بندقية ذات حراب في شهر أوت 1908⁶. كما كان إلى جانبه بعض المدفعين الآخرين مثل آيت بن محمد، والدليايوي خضر، وعني أحمد بن علي، وعلي بو طرفة... الخ⁷. وللحيلولة دون نجاح البعثة التركية تعرض المغرب لتهديدات ربيعة أنسنوي من الكي دورساي بقطع علاقاته الدبلوماسية مع المغرب وإيقاف المفاوضات المتعلقة بمنح قرض جديد، وبناء على ذلك قام المخزن بطرد البعثة التركية في حدود شهر مارس 1910م⁸.

ومن بين الجزائريين الذين قدّموا خدمات معتبرة في هذا الميدان الملازم عبد الرحمان بن سديرة؛ عندما استعان المخزن بالجيش الفرنسي المرابط على منطقة التخوم الجزائرية المغربية؛ حيث كان له دور كبير في صد حركة بوحمارة الذي ألقى عليه القبض في 8 شعبان 1327هـ/ 16 أوت 1909م⁹، وثورات القبائل التي حاصرت مدينة فاس¹⁰.

- 1- هو بوزباشي أي قبطان في فرقة المشاة، وأصله من أناويي Anaouiti باليابا؛ يتكلم اللغتين الفرنسية والألمانية ويجهل اللغة العربية. تراجع: ميج، سيمو: الإصلاحات العسكرية في المغرب 1844-1912، ص. 413.
- 2- ضابط صف في الخيالة، أصله من بيروت؛ يتكلم اللغة العربية والفرنسية والإنجليزية. تراجع: ميج، سيمو: الإصلاحات العسكرية في المغرب 1844-1912، ص. 413.
- 3- ضابط صف في المدفعية من أصل دمشقي. ميج، سيمو: الإصلاحات العسكرية في المغرب 1844-1912، ص. 413.
- 4- هم على النحو الموالي: نوري، وفايق، وسامي، وعصمت، ورمزي (ابن أحرىف)، وسليمان صوفي، وأحمد بدير، وهم من قداماء تلاميذ المدرسة العسكرية العثمانية. تراجع: ميج، سيمو: الإصلاحات العسكرية بالمغرب 1844-1912، ص. 413.
- 5- ميج، سيمو: الإصلاحات العسكرية في المغرب 1844-1912، المرجع السابق، ص. 413.
- 6- المرجع نفسه، ص. 417.
- 7- المرجع نفسه، ص. 417.
- 8- المرجع نفسه، ص. 446.
- 9- محمد الصغير، الخلوي: بوحمارة من الجهاد إلى التآمر، المغرب الشرقي والريف من 1900-1909، المرجع السابق، ص. 34.
- 10- ميج، سيمو: الإصلاحات العسكرية في المغرب 1844-1912، المرجع السابق، ص. 322.

كما أن محمد الريسوني (ت 1343هـ/1925م)¹ لمدينة طنجة كان فرصة لتعيين ضابطين فرنسيين هما القبطان فوري Fournié والملازم عبد الرحمان بنسديرا لتسيير حامية طنجة معززين بأطر فرنسية وجزائرية². وفي عهد السلطان عبد الحفيظ يكون قد ساهم ووافق هذا الأخير في إخماد ثورة بني مطير من خلال مشاركته في الحملة العسكرية الثانية عليها، إلى جانب عدة ضباط فرنسيين³.

ونسجل في هذا الشأن أيضا وقوف بعض العناصر الجزائرية في وجه الجيلاي الزرهوني بوجمارة ومناصرة لهم للمخزن الشرعي، ومن بين هؤلاء علال بن الطيب البوشيخي؛ الذي ينحدر من فرع أولاد سيدي الشيخ الغرابية. فبعد فشل السياسة الفرنسية في استقطابه، يكون قد تحصل من السلطان عبد العزيز سنة 1899 على ظهير التوقيع والاحترام؛ وعليه فلما وقعت فتنة بوجمارة وقف إلى جانب المخزن الشرعي، الأمر الذي دفع بالسلطان إلى تعيينه قائدا على إخوانه البوشيخين في شهر أبريل 1903، ولقد حارب فعلا القبائل الموالية لبوجمارة بأمر من الركينة⁴. حتى رجعت لطاعة السلطان⁵. ولقد تطرق عكاشة برحاب إلى دور علال البوشيخي وعلاقته بالمخزن من خلال عدة وثائق أدرجها في إحدى دراساته⁶.

1 - هو أحمد بن محمد بن عبد الله الريسوني/ الريسوني، ولد في حدود سنة 1270هـ/ 1854م؛ ثار ضد السلطان الحسن، غير أنه ألقى عليه القبض وسجنه لمدة ثلاث سنوات، وبعد ما تولى السلطان عبد العزيز الحكم عفا عنه، ونظرا لصغر سن السلطان آنذاق أصبح لعبة في يد الفرنسيين وغيرهم من الانتهازين، ثار الريسوني من جديد على هذا السلطان، وهدد بقواته مدينة طنجة سنة 1904، ونظرا لقوة شكيمته سعى السلطان إلى مصالحته، وانتهى الأمر بتعيينه معتمدا له في طنجة، وبات يتمتع باستقلال كامل عن السلطان، الأمر الذي دفع بالسلطان إلى عزله من منصبه، وهو ما دفعه إلى تجديد ثورته، وعندما اندلع النزاع على العرض بين عبد العزيز وعبد الحفيظ، وتغلب هذا الأخير على أخيه، سارع الريسوني إلى فتنته، وأصبح من رجاله، وعندما احتل الإسبان مدينة تطوان سنة 1331هـ وتوسعوا على حساب العرائش ففض الريسوني محاربتهم، غير أنهم سرعان ما تعاضخوا في شهر سبتمبر 1915م، لكن هذا الصلح لم يدم، فتجددت المعارك بين الطرفين وامتدت حتى سنة 1921، وعندما اندلعت ثورة الريف بقيادة عبد الكريم الخطابي امتنع في الانضمام إليه، بل قام بتشجيع القبائل على مولاة الإسبان الأمر الذي دفع بالخطابي إلى إلغاء القبض عليه في أحد المعارك الدائرة بين الطرفين، ونظرا لشدة مرضه حُمل مع أهله إلى بلدة تمانست في الريف التي وافته السنية هذا. تراجع: خير الدين، الزركني: الأعلام، مج. 1، ص-ص. 250-251.

2 - مهيحة، سيمو: الإصلاحات العسكرية في المغرب 1844-1912، المرجع السابق، ص. 370.

3 - هم على النحو الموالي: الضابط غانشو Ranchou وكيماز Guemaz وبيزاني Pisani ولوكلي Glay ويولدينك Bolding. تراجع: ثريا، برادة: الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر، ص. 383.

4 - يعد من رجال المخزن الذين اشتهروا بإبان ثورة بوجمارة، ومن المهام المسندة إليه في هذه الفترة تعيينه من طرف السلطان عبد العزيز على رأس البعثة المخزنية التي أوفدها إلى وجدة في منتصف سنة 1903 بغرض القضاء على هذا الثائر. تراجع: عكاشة، برحاب: من أسواق الحدود المغربية الجزائرية، ص. 95.

5 - عكاشة، برحاب: من أسواق الحدود المغربية - الجزائرية عين بني مطهر 1845-1912، ط. 1، الرباط نيت، المغرب، 2004، ص. 27.

6 - المرجع نفسه، ص-ص. 85-99، حيث أدرج حوالي 13 وثيقة تتعلق بهذه الشخصية.

-ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب: 1914-1924.

ومن بين أهم النشاطات السياسية والعسكرية الجزائرية الحافلة بالمغرب نجد نشاط الأمير عبد المالك الذي قام بدور سياسي ثم عسكري للتصدي للمخططات الاستعمارية الفرنسية بالمغرب، ويتجلى لنا هذا الدور من خلال ثورته التي أعلنها ضد الفرنسيين بالمغرب من سنة 1914 إلى 1924، وهي ثورة صفتناها ضمن النضال التحرري المغاربي الذي كان يسعى من أجله الأمير عبد المالك، وكثير من الأحرار في العالم، ويمكننا تتبع هذا النضال السياسي التحرري ثم العسكري في المغرب عبر المحطات الرئيسية الآتية:

1- انضمام الأمير عبد المالك إلى مقاومة الشيخ بوعمامة¹ وحركة الجيلاي الزرهوني.

فعلى اثر وصوله إلى المغرب لم يتردد الأمير عبد المالك في الانضمام إلى ثورة الشيخ بوعمامة الذي كان متواجدا آنذاك بمنطقة فتيق؛ وهذا ما أشار إليه الحجوي عندما قال: «فظهر له أن يذهب عند أبي عمامة الذي كان إذاك قرب فجيح لعله يمدد بجيش يعمل به عملا يكون له به ذكر تاريخي، فذهب إليه وأقام عنده»². غير أن أبو القاسم سعد الله لا يزال غير مطمئن لقضية انضمام الأمير عبد المالك إلى الشيخ بوعمامة؛ رغم تأكيد الأمير حسن³ له بانضمام والده إلى الشيخ بوعمامة، من خلال المقابلة التي أجراها معه شخصيا بدمشق في صيف 1968⁴.

ويوعز مؤرخ المملكة المغربية عبد الوهاب بن منصور، أسباب التحاق الأمير عبد المالك بالمغرب عموما وبالشيخ بوعمامة خصوصا بقوله: «فأوعزت فرنسا في هذا الوقت بالذات إلى عميلها عبد الملك ابن محي الدين... وأحد المغامرين الكبار، والجواسيس الدوليين المشهورين، بالدخول إلى المغرب لينفخ في نار الفتنة ويزيدها اتقادا، فحاء إلى مليية... ومنها دخل إلى ناحية وجدة، فبقي يتجول فيها باحثا عن الأرض الصالحة ليدبر بذور فتنة وفساده... إلى أن اهتدى إلى المنطقة التي يصول فيها بوعمامة ويجول، وهي منطقة الظهراء، فالتحق به فيها، وحاول أن ينشئ من أنصاره ومريدي زاويته جيشا نظاميا يتولى هو قيادته ويقتطع به الأراضي الواقعة بين الحدود الجزائرية المفروضة وبين نهر ملوية من مملكة المغرب منشئا فيها إمارة مستقلة في الظاهر موالية لفرنسا في الباطن»⁵.

1 -احميده، عمراوي: الأمير خالد وخطاب الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1930)، المرجع السابق، ص. 73، حيث ورد في هذا المرجع أن الأمير عبد المالك شارك في ثورة الشيخ بوعمامة إلى غاية سنة 1904.

2 -محمد، الحجوي: انتحار المغرب على يد ثواره، المصدر السابق، ص. 41. يراجع أيضا بشأن انضمام الأمير عبد المالك إلى الشيخ بوعمامة ما يلي: عبد الوهاب، بمنصور: أعلام المغرب العربي، ج. 2، ص-ص. 84-85، ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، ج. 1، ص. 407، محمد الصغير، الخلوفي: بوحارة من الجهاد إلى التأمير، ص. 52، مبارك، زكي: ((المجاهد بوعمامة من خلال بعض المصادر التاريخية المغربية المعاصرة))، المجلة التاريخية المغاربية، العددان، 29-30، ص. 430.

3 -هو ابن الأمير عبد المالك.

4 -أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، الجزء الأول، المرجع السابق، ص. 105.

5 -عبد الوهاب، بمنصور: أعلام المغرب العربي، ج. 2، المطبعة الملكية، الرباط. 1399هـ/ 1979م، ص. 84.

وليت صاحبنا هذا توقف عند هذا الحد بل واصل حديثه لئطعن حتى في والده الأمير عبد القادر قائلا: «وهو مشروع قديم حاول والده الأمير عبد القادر في القرن الماضي [القرن 19] أن يحققه، بعدما تغلب الفرنسيون على مقاومته وألقوا به وتمن معه من الأنصار إلى التراب المغربي»¹، وهذا الطرح المغربي غير السليم سنجد له ما يفنده فيما بعد من خلال تصريحات الأمير عبد المالك نفسه، حول أسباب وجوده في المغرب.

لم يمكث الأمير عبد المالك عند الشيخ بوعمامة وقتا طويلا، ويفسر لنا الحجوي سبب ذلك بقوله: «فذهب إليه وأقام عنده ما كان يؤمل إذ بوعمامة كدار تجارة ليس لها رأس مال وإنما هي دار سمسة وتوسط ليس لها إلا فخامة الإعلانات»². ويعقب عبد الوهاب بمنصور عن هذا القول بأن عبد المالك قرر أن يتخلى عنه ويتحقق بالفتان أبي حمارة، لأنه أكثر منه مالا وأعز نفرا، فرما يتحقق على يده أو بواسطته ما لا يمكن تحقيقه على يد أي عمارة³. ومن غير المستبعد أن يكون سبب تخلي الأمير عبد المالك عن بوعمامة إلى ذلك الاختلاف الجوهرى الحاصل في المستوى العسكري للأمير عبد المالك، الذي تلقاه بالكلية العسكرية باسطنبول، عكس الشيخ بوعمامة الذي لم يكن له أي تدريب أو تكوين عسكري، وبالتالي لا يمكن لهما أن يلتقيا أو يتفاهما معا؛ على الخطط الحربية لمواجهة الجيش الفرنسي⁴. وفي ظل هذا الإضطراب الحاصل في العلاقات بين الطرفين تكون قد وردت على الشيخ بوعمامة رُسل تحمل معها رسائل من الثائر المغربي الجليلي الزرهوني الملقب ببوحامرة⁵، يدعوه فيها إلى الانضمام إليه وتأييده

1- المرجع نفسه، ص. 85.

2- انتحار المغرب الأقصى على يد ثواره، المصدر السابق، ص. 41.

3- أعلام المغرب العربي، ج. 2، المرجع السابق، ص. 85.

4- ينظر صورة الأمير عبد المالك بلباسه العسكري بالملحق رقم 20.

5- هو الجليلي بن عبد السلام بن إدريس اليوسفي الزرهوني، ينحدر من قبيلة زرهون بالمغرب، أبوه معلم من أصل بربري، من مواليد سنة 1862 [هناك اختلاف في تاريخ ميلاده فعبد الوهاب بمنصور يؤرخ له بسنة 1865، بينما شارل أندري جوليان يؤرخ له بسنة 1868]، تعلم القرآن الكريم وغيره من العلوم الدينية على يد والده، ثم انتقل إلى مدينة فاس لمواصلة دراسته، انتقل إلى مدينة مستغانم بالجزائر ودرس هناك وتعلم على يد بعض الشيوخ، كالشيخ سيدي محمد بن عبد القادر بن عدة، والشيخ البوعبدني صاحب زاوية بطبوة، ثم رجع إلى منطقة المغرب الشرقي، ونظرا لدراسته في فاس يكون قد أظهر من الذكاء وحسن المعاشرة ومجالسة الفقهاء ما أهله فيما بعد ليشغل بدار المخزن، ثم ينخرط في سلك الطلبة المهندسين، كان آخر منصب شغله قبل مغادرته فاس منصب الكتابة بديوان مولاي عمر بن الحسن الذي كان خليفة، ونظرا لمحاولته الاستيلاء على الحكم ووقوف بوحماره إلى صفه ألقى عليه القبض وتم سجنه، وبعد إطلاق سراحه غادر فاس نحو المغرب الشرقي مع مطلع سنة 1900، ونظرا للصبغة الدينية والإصلاحية التي ظهر بها أمام الناس، يكون قد جمع حوله كثير من الأنصار وأقتنعهم بمظهره الإصلاحي وأنه رجل له كرامات الأولياء، خصوصا وأنه قد اشتهر بالسحر وباستخدام الجن؛ كل هذا مهد له في الأخير بتأسيس زاوية على الطريقة الصوفية الشاذلية عرفت باسم الطريقة النورانية، وأصبح له أتباع ومریدين، وقصد طرح مشروعه السياسي استغل فرصة الفساد الإداري الحاصل في بلاط السلطان عبد العزيز، وتقمص شخصية السلطان مولاي احمد شقيق عبد العزيز، الشيء الذي جعله يستقطب مئات الناس من المعارضين للسلطان عبد العزيز والناقمين عليه، وقاد ثورته بتلك الناحية حتى تمكن من إلقاء القبض عليه في أحد المعارك التي دارت بينه وبين عملة السلطان، في 8 شعبان 1327هـ / 16 أوت 1909م، وتم وضعه في قفص. وكان يعرض للعموم في الساحة الكبرى بفاس، وقد أقيمت الحفلات وتغن الجميع بهذا الانتصار، أما بقية المقربين له فقد قطعت أيديهم

لإنقاذ المغرب من أيدي الخونة والمفسدين¹، ويقصد بذلك السلطان عبد العزيز وحاشيته؛ الذي فتح المغرب على مصراعيه أمام الأطماع الأجنبية، غير مدرك للعواقب الوخيمة التي ستترتب عن ذلك، فبات المغرب يتخبط في دوامة من الفساد في مختلف الميادين؛ هذا إلى جانب وجود نوع من التآمر والسخط في الأوساط الشعبية المغربية، فكان الشعب المغربي يقول إطلاقاً: «إن السلطان يبيع بلاده إلى الكفرة»². وما حركة الجيلالي الزرهوني إلا دليلاً على ذلك، فسعى إلى استقطاب الشيخ بوعمامة إلى جانبه والتعاون معه، فكيف كان موقف الشيخ بوعمامة من هذا الطرح المغربي؟.

يذكر عبد الوهاب بنمنصور وكعادته أن بوعمامة كان ميالاً بطبعه إلى الفتنة والنوضى! فرحّب بهذه الدعوة وسارع إلى قبولها، بالإضافة إلى أن عبد المالك وحسب قوله دائماً يكون قد حَبَّيها إليه وزينها في قلبه، وأشار عليه أن يبعثه هو وولده الطيب في لمة من الخيل إلى أبي حمارة يحملون إليه البيعة وقبول الدعوة؛ فازداد بوعمامة بتغريز عبد المالك غروراً، وأرسل معه ولده ووفده حسب اقتراحه!. ونحن نعتقد أن قبول الشيخ بوعمامة لدعوة هذا الثائر المغربي مردها عدة أسباب:

1-التقاء مصلحة الشيخ بوعمامة مع الجيلالي الزرهوني، وهي التصدي أولاً للجيش الفرنسي؛ ومحاربة الفساد الذي بات يتخبط فيه المخزن.

2-الثائر الجيلالي الزرهوني قدّم نفسه إلى بوعمامة وأنصاره، على أساس أنه هو السلطان الشرعي مولاي أمحمد الذي اغتصب منه العرش من طرف شقيقه السلطان عبد العزيز³، بعدما قرّ من السجن الذي كان موجوداً به، وبالتالي فبوعمامة كان يسعى من دون شك إلى الوقوف إلى جانب السلطان الشرعي مولاي أمحمد الذي تَمَّصّ الجيلالي الزرهوني شخصيته، وقد انطلت هذه الحيلة على الشيخ بوعمامة وعلى جل القبائل المغربية التي ناصرته على هذا الاعتقاد الخاطي.

3-التشجيع الحاصل بين الشيخ بوعمامة والسلطان المغربي عبد العزيز، لأن هذا الأخير قام بتحريض القبائل المغربية ضده، استحابة للمطالب الفرنسية في هذا الشأن. وعلى أثر دعوة الجيلالي الزرهوني لبوعمامة يكون هذا الأخير قد قام بإبعاد كل من الأمير عبد المالك وولده الطيب بوعمامة كمبروثين عنه، فاستقبلهما بحفاوة كبيرة وهو ما بين وجدة ومسون، وأكرمهما وفرح بمقدمهما⁴. وعليه فما هو موقع الأمير عبد المالك في مخزن الجيلالي الزرهوني بعد انضمامه إليه؟. وقبل أن نجيّب

وعلقت رؤوسهم على أهم مداخل مدينة فاس. توفي بوحمارة في حدود يوم الاثنين 13 سبتمبر 1909م، وذلك ربما بالرصاص بواسطة القائد منو؛ ثم تم دفنه ولم يعلم بموته إلا الخواص. يراجع: محمد الصغير، الخلوي: بوحمارة من الجهاد إلى التآمر، ص-ص. 23-63، مبارك، زكي: ((المجاهد بوعمامة من خلال بعض المصادر التاريخية المغربية المعاصرة))، المجلة التاريخية المغربية، العددان، 29-30، ص. 427.

1 - محمد بن الحسن، الحجوي: انتحار المغرب بيد ثواره، المصدر السابق، ص. 111.

2 - عبد القادر، حليفي: ((موقف السلطات المغربية من حركة الشيخ بوعمامة))، مجلة جامعة الأمير عبد القادر، ع. 12، ذو الحجة 1423هـ/ سبتمبر 2002م، دار الهدى، عين مليلة، ص. 183.

3 - المرجع نفسه، ص. 183.

4 - مبارك، زكي: ((المجاهد بوعمامة من خلال بعض المصادر التاريخية المغربية المعاصرة))، المجلة التاريخية المغربية، العددان،

عن هذا السؤال أود الإشارة إلى أن سمو الأمير بديعة الحسيني الجزائري¹ ترفض رفضا قاطعا وبشدة انضمام الأمير عبد المالك إلى الجيلالي الزرهوني الملقب ببوحمارة، وترى أن بوحمارة هو الذي عارض الأمير عبد القادر في المراحل الأولى من مقاومته².

ونرجو سمو الأميرة أن تتأكد من الأمر بالتمييز بين موسى الدرقاوي الملقب بأبي حمارة المصري الأصل الذي استشهد في معركة الزعاطشة سنة 1849³، وبين الجيلالي الزرهوني الملقب أيضا ببوحمارة الذي ينحدر من قبيلة زرهون بالمغرب، والذي يكون قد ولد في حدود سنة 1862. وكنت أعتقد أن هذا مجرد خطأ وقع في هذا الكتاب، غير أنها أكدت لي بنفسها هذا الطرح في المقابلة العلمية التي جرت فيما بيننا في بيتها بدمشق صبيحة يوم الخميس 10 جويلية 2008م⁴. وعندما ذكرتها بأن هناك مصادر ومراجع أجنبية¹ وجزائرية² ومغربية³ تؤكد هذه

29-30، السنة 10، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل، تونس، جويلية 1983، ص. 431.

1- من أحفاد الأمير عبد القادر، وهي ابنة الأمير مصطفى، ووالدهما ابنة عمه الأميرة شفيقة ابنة الأمير عبد المالك ابن الأمير عبد القادر، ولدت في الثلاثينات من القرن الماضي. 20م بمدينة تطوان بالمغرب، ثم انتقلت عائلتها إلى دمشق واستقرت بها، درست في معهد دوحة الأدب في دمشق ودار اللغات بدمشق، ساهمت في تأسيس الكثير من الجمعيات النسائية، الميرة، والرعاية، وجمعية مكافحة الأمية للسيدات، شاركت عضوا فعالا في ندوة الحوار الإسلامي المسيحي التي انعقدت في طرابلس الغرب، وفي أثناء العدوان الثلاثي على مصر سنة 1956 تطوعت في المقاومة الشعبية، وكانت قائدة لوحدة فدائية، رشحت من قبل أنصار الوحدة عام 1959 لمجلس الأمة (الإتحاد القومي)، نشرت العديد من المقالات والأبحاث في صحف ومجلات سورية وعربية وأجنبية، في محاولة لتصويب معلومات تاريخية تتناول مراحل هامة من تاريخ الأمة العربية وشخصياتها، ألقت العديد من الكتب نوه إليها عدد كبير من الباحثين في حقبة من تاريخ الأمة العربية وشخصياتها، كما ألقت عددا من الكتب نوه إليها عددا كبير من الباحثين والكتاب العرب، من بينها: ناصر الدين الأمير عبد القادر بن محي الدين في حقبة من تاريخ الجزائر، الجذور الخضراء، الأسس الاقتصادية في الإسلام، ردود على مغالطات تاريخية، أصحاب الميمنة، فكر الأمير عبد القادر، وما بدلوا تبديلا، طائر في سماء الجند الأمير عز الدين الحسيني الجزائري، وهي لا تزال على قيد الحياة.

2- أصحاب الميمنة إن شاء الله، المرجع السابق، ص. 432.

3- هو الحاج موسى بن علي بن الحسين الدرقاوي الملقب بأبي حمار، نظرا لإدمان علي ركوب الحمار، ينحدر من أصول مصرية. كان أحد الجندين في جيش محمد علي باشا، فتخلى عن منصبه وتوجه نحو طرابلس، ومنه توجه نحو الجزائر لإعلان الجهاد ضد الغزاة المستعمرين، واستقر به المقام في نواحي المدينة، اهتم في البداية بمهادنته للفرنسيين، غير أن توقيع الأمير عبد القادر على معاهد دي ميشال سنة 1834، ومحاولته التسع على حساب الشرق، تكون قد دفعته إلى اتمام الأمير بالتخلي عن باب الجهاد ومهادنة الفرنسيين، فوقف في وجهه ومنعه من دخول المدينة، لكن قوات الأمير عبد القادر تمكنت من الانتصار عليه، فانسحب نحو منطقة الأغواط ثم توجه نحو وادي ميزاب، ليظهر في سنة 1849 كمناصر للشيخ بوزيان في ثورة الزعاطشة، ولقد استشهد في هذه الثورة وحزت رأسه عن جسده وعلقت إلى جانب رأس كل من بوزيان وابنه على أحد أسوار مدينة بسكرة. يراجع: مذكرات الأمير عبد القادر، ص. 103، محمد ابن عبد القادر: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج. 1، ص. 227.

-EL-Hadj-Moussa, ou L'Homme a L'Ane et l'emire abd-el-Kader, en 1835, R. A, N° 1, Années 1856-1857, P-P, 41-49.

4- للعلم أن هذه المقابلة جرت بحضور الأستاذ والزميل الفاضل لعبد العزيز، أثناء الرحلة العلمية التي قمنا بها نحو سوريا في شهر جويلية 2008، وهو يشغل حاليا منصب أستاذ مساعد مكلف بالدروس في المركز الجامعي بخنشلة.

المشاركة، ظلت مُصرة على فكرها التي تقول إنها استقتها من جدتها. وهو رأي يحترمه ونأخذ به مبدئياً ما لم يتضح العكس بطبيعة الحال.

لقد لعب الأمير عبد المالك دور كبير في مخزن بوحمارة؛ وذلك من خلال مساعدته في محاربة السلطان مولاي عبد العزيز⁴ وأعوانه من الفرنسيين. فحارب معه فترة⁵؛ حاض خلالها حوالي 26 معركة كانت الدائرة فيها دائما على خصومه، ونظرا للجروح الخطيرة التي تعرض لها بوحمارة؛ يكون قد كلف وزير حربه الأمير عبد المالك بقيادة الحركة بالنيابة عنه، فواصل احتلال قصبتي مكناسة الفوقية والتحتية الموجودتان بمسجون⁶، وأظهر من الشجاعة والكفاءة ما لم يكن في الحسبان أمام أنصار بوحمارة، وبعد أن ثمائل هذا الأخير للشفاء عاد من جديد، لتولي القيادة، ونظرا للمكانة التي حظي بها عبد المالك عند أنصار بوحمارة، والنفوذ الذي بات يتمتع به⁷؛ يكون قد دبّ الحقد والحسد في نفسه وبات يرى في عبد المالك منافسا قويا له، فأقلب له ظهر المجن⁸، وعليه يمكننا أن نتساءل عن موقف الأمير عبد المالك من هذا التصرف والسنوك غير السوي؟.

2-التحاق الأمير عبد المالك بالمخزن بقيادة السلطان عبد العزيز⁹.

لقد جاء موقف الأمير عبد المالك صارم وسريع؛ إذ سرعان ما تخلى عنه والتحق مباشرة بالمخزن بقيادة السلطان عبد العزيز؛ ويرر أحد الباحثين المغاربة هذا التغير الحاصل في موقف الأمير عبد المالك إضافة إلى ما ذكره مؤرخ المملكة المغربية سابقا؛ بما يلي: «فمن المرجح أن عبد المالك، وبعد فشله مع بوعمامة في اقتطاع أجزاء من الأراضي المغربية الواقعة بين ملوية والحدود الجزائرية المفروضة، لإقامة إمارة مستقلة تكون تابعة بشكل غير مباشر لفرنسا [إلى هنا ينتهي كلام مؤرخ المملكة المغربية]، وجد كذلك أن أماله لن تتحقق مع بوحمارة، الذي أبعدته بعدما أحس أن وجود منافس له نفس الطموح بجانبه أخطر من عدمه»¹⁰.

- 1- لويس، أرنو: زمن "مخلات" السلطانية الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب ما بين 1860-1912، ترجمة محمود ناجي بن عمر، مطابع أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص. 157.
- 2- أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 1، المرجع السابق، ص. 107.
- 3- يذكر عكاشة برحاب من جهته أن الأمير عبد المالك قد التحق بالروكي سنة 1903، قادما من اسطانبول ووظف خبرته العسكرية لنصرته، وتخلّى عنه في بداية سنة 1905. يراجع: عكاشة، برحاب: المجال الحدودي بين المغرب والجزائر، ص. 113.
- 4- عياش، جرمان: أصول حرب الريف، ترجمة محمد الأمين البزاز، وعبد العزيز التسماني خلّوف، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1992، ص. 211.
- 5- أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 1، المرجع السابق، ص. 107.
- 6- محمد الصغير، الخلوي: بوحمارة من الجهاد إلى التآمر المغرب الشرقي والريف 1900-1909، المرجع السابق، ص. 43.
- 7- مبارك، زكي: ((المجاهد بوعمامة من خلال بعض المصادر التاريخية المغربية المعاصرة))، المجلة التاريخية المغاربية، العددان، 29-30، المرجع السابق، ص. 434.
- 8- محمد بن الحسن، الحجوي: انتحار المغرب بيد ثواره، المصدر السابق، ص. 41.
- 9- عكاشة، برحاب: المجال الحدودي بين المغرب والجزائر، المرجع السابق، ص. 113.
- 10- محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 121.

ويحاول صاحبنا هذا أن ينفي التبرير الذي ذكره مؤرخ الحركة الوطنية الجزائرية أبو القاسم سعد الله في ما يلي: «وعندما ألقى بوعمامة السلاح سنة 1904 انظم الأمير إلى الثائر المغربي بوحمارة وحارب معه أيضا فترة. ولكنه اكتشف أن حركة هذين الثائرين كانت فردية فانظم إلى السلطان مولاي عبد العزيز»¹، وتبرر بديعة الحسني انضمام الأمير عبد المالك إلى المخزن العزيمي، بهدف الوصول إلى زعماء القبائل في الريف المختل من طرف فرنسا وتعبئتهم للثورة ضدها²؛ هذا إلى جانب ما ذكره محمد الصغير الخلوفي وبكل موضوعية عن مسألة وجود بعض العناصر الجزائرية في صف بوحمارة، وأنه لا ضير في ذلك، بل وجودهما يفسر استمرارية الجهاد في سبيل الله لأجل إنقاذ دار الإسلام المهددة؛ خصوصا وأن فكرة الحدود الترابية لم تكن واضحة في ذهن مجتمع إسلامي بين دولته على الدين³.

لقد ساهم محمد بن الحسن الحجوي كما جاء على لسانه في استقطاب الأمير عبد المالك إلى صف المخزن، حيث يذكر لنا: «ولما سمعنا بمغاضبته لأبي حمارة كتبت إليه أن يأتي عندنا في أمان، ويكون له ما يريد ويكرم فوق ما يظن، فاستشار أبا عمامة في ذلك، بل أشار على بوعمامة أن يصطلح مع المخزن وأنه خير له من الثائر؛ وبين له أحوال الثائر وما شهده منه من المكر والخدع وقلة المرونة وضعف الديانة... فأبى عليه ذلك لأن أبا عمامة كان شيخا كبيرا واعتقد سوءا في مولاي عبد العزيز وفي والده قبله»⁴، فكانت النتيجة أن تمكن فعلا من ضم الأمير عبد المالك إلى صف المخزن.

ولم يكتف الحجوي بذلك بل أشار على الأمير عبد المالك بمراسلة الطيب بوعمامة وإقناعه بضرورة التحلي عن بوحمارة والإقضاء به في الانضمام إلى السلطان عبد العزيز؛ وهو ما تم فعلا حيث قدم الطيب بوعمامة إلى وجدة. إلا أن عامل وجدة عبد الرحمان بن عبد الصادق ألقى عليه القبض يوم 6 جويلية 1905⁵؛ ووضعه في السجن بوجدة⁶، وهو ما أثار غضب الأمير عبد المالك من هذه الخديعة، وخاف على نفسه من أن يتعرض لمكروه، وعليه طلب من الحجوي⁷ ترتيب أمر نقل الطيب بوعمامة إلى مدينة فاس، ولقد صحبه في هذه الرحلة

1- أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج. 1، المرجع السابق، ص. 107

2- بديعة، الحسني الجزائري: رواية شفوية حول مقاومة الأمير عبد المالك في المغرب، الحلقة الأولى، يوم الخميس 10/07/2008، صباحا، بمزلها، في دمشق. تحدثت فيها الأميرة بإسهاب كبير عن مقاومة جدتها بالمغرب.

3- بوحمارة من الجهاد إلى التأمير، المرجع السابق، ص. 53.

4- محمد بن الحسن، الحجوي: انتحار المغرب بيد ثواره، المصدر السابق، ص. 42.

5- يذكر عكاشة برحاب أن إلقاء القبض على الطيب بوعمامة مرده عندما هم بمحاولة ملاقة والده، فلم يأذن له، فأبى أن يلتقي بالده فقبض عليه إذ ذاك، كما يذكر لنا رواية أخرى حاولت السلطات الفرنسية ترويضها بشأن إلقاء القبض عليه، مفادها: إن المخزن تمكن من احتجاز رسائل للطيب بوعمامة كانت في طريقها إلى والده بهدف دعوته إلى الرحيل عن أحواز وجدة وإشعاره بمحوم وشيك على محلته. تراجع: المجال الحدودي بين المغرب والجزائر، ص. 113-114.

6- يذكر محمد الصغير الخلوفي في كتابه: بوحمارة من الجهاد إلى التأمير: إن الطيب بوعمامة يكون قد التحق بمدينة فاس بتدخل من الوفد الذي كان يرأسه أحمد الركينة، ص. 43.

7- محمد بن الحسن الحجوي الثعالي الذي كان إذ ذاك أمينا لديوانة وجدة من طرف السلطان عبد العزيز.

القائد إدريس منو¹ بتدخل من الوفد الذي كان يرأسه أحمد الركينة²، بينما يذكر عكاشة برحاب أنه تم نقل الطيب بوعمامة على عجل إلى سجن طنجة أولاً، ثم تم نقله إلى السجن بفاس في منتصف شهر أوت 1905، ويذكر "لويس أرنو" أن السلطان سجن الطيب بوعمامة بموكادور وكان يريد الاحتفاظ به كرهينة لإبعاد والد بوعمامة عن الروكي بوجمارة، ثم يذكر بشأنه: إنه وصل إلى طنجة ليركب سفينة "Galilée" وذهب إلى الجزائر حيث بقي بها إلى حدود 32 جوان 1906³، هذا بخصوص الطيب بوعمامة.

أما الأمير عبد المالك فإنه مباشرة بعد التحاقه بصف المخزن يكون قد تولى منصب عسكري في محنة السلطان، التي كان يشارك في حروبها ويحضر القتال معها⁴، وخصوصا المحلات العسكرية التي وجهت إلى مدينة الشاون ونواحي كتامة⁵، وحسب الحجوي يكون المخزن قد جعل له مئونة أحسن مما كان عليه في وحدة، كما تعرف على رجال المخزن ولا سيما القائد إدريس بن يعيش، وبقي بفاس يخدم المولى عبد العزيز.

ويذكر سعد الله أبو القاسم أن السلطان عبد العزيز قام بتعيينه قائدا لجيوشه في منطقة القصر الكبير⁶، ولا شك أن الرسالة التي كتبها الأمير عبد المالك إلى أفراد عائلته بدمشق والتي أشرنا إليها في الفصل الأخير من الباب الثالث قد كتبت لهم على اثر هذا التعيين والمكانة التي تلقاها من السلطان عبد العزيز. وهناك بعض الكتابات ترى أن الأمير عبد المالك قد طرحت قضيةه في مؤتمر الجزيرة الخضراء من طرف فرنسا سنة 1906، التي عينته قائد لقوات الشرطة الشريفة في طنجة⁷، لأن هذه المدينة غير خاضعة لنظام الحماية⁸.

وعند اندلاع الصراع بين السلطان عبد العزيز وشقيقه عبد الحفيظ، عهد له المخزن لعبد المالك بقيادة جيش السلطان لمواجهة أخيه عبد الحفيظ⁹. فتمكن من خوض عدة مواجهات عسكرية ضد جيش عبد الحفيظ، غير أن الدعم الفرنسي الذي تلقاه هذا الأخير، وتراجع كثير من الأنصار والموالين عن السلطان عبد العزيز، والتحاقهم بصف عبد الحفيظ، ساعدت الجيش الحفيظي على إلقاء القبض غدرا على الأمير عبد المالك، وهو ما سيعد نقطة تحول هامة جدا في مسار علاقة الأمير عبد المالك بالمخزن الحفيظي، وهذا ما سنراه في العنصر الموالي.

1 - محمد الصغير، الخلوئي: بوجمارة من الجهاد إلى التآمر، المرجع السابق، 52.

2 - المرجع نفسه، ص. 43.

3 - لويس، أرنو: زمن "مخلات" السلطانية الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب ما بين 1860-1912، المصدر السابق، ص-ص. 157-158.

4 - محمد بن الحسن، الحجوي: انتحار المغرب بيد ثواره، المصدر السابق، ص. 42.

5 - محمد الصغير، الخلوئي: بوجمارة من الجهاد إلى التآمر، ص. 52.

6 - أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 1، المرجع السابق، ص. 107.

7 - أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 2، المرجع السابق، ص. 238.

8 - عياش، جرمان: أصول حرب الريف، المرجع السابق، ص. 211.

9 - مبارك، زكي: ((المجاهد بوعمامة من خلال بعض المصادر التاريخية المغربية المعاصرة))، المجلة التاريخية المغربية، العددان،

29-30، المرجع السابق، ص. 432.

3- اعتقاله ومحاولة الأمير خالد إطلاق سراحه.

لا شك أن ثبات الأمير عبد المالك على وفائه وإخلاصه للسلطان عبد العزيز، والدفاع عنه دفاعا مستميتا وعدم انخيازه إلى صف عبد الحفيظ، في الوقت الذي تحلى عنه المغاربة أنفسهم، كل هذه العوامل كانت كافية لإلقاء القبض عليه واعتقاله في سجن الدكاكين بفاس¹، وهذا الموقف من السلطان عبد الحفيظ ليس بجديد، عن الجزائريين الذين ضحوا بالغالي والنقيس في سبيل خدمة المغرب في وقت لم تكن فيه للحدود الجغرافية الضيقة أدنى اعتبارات؛ وما تعرض له محمد البوحيمدي سفير الأمير عبد القادر إلى السلطان عبد الرحمان ابن هشام، والعلامة أبو حامد العربي المشرقي وبعض زعماء أولاد سيدي الشيخ وغيرهم من الذين ذاقوا مرارة السجن في المغرب إلا دليلا على ذلك.

لقد عاش الأمير عبد المالك حياته في السجن بصورة عادية، ويذكر محمد بن الحسن الحجوي أنه كان يقوم بمواصلته سرا للتخفيف عنه²، وتذكر بديعة الحسني: «أن السجن كان بالنسبة إليه ميدانا من ميادين الجهاد والنضال، وإنه عندما علم الأمير خالد بمكان اعتقاله، اكرتري دارا قريبة منه، وأخذ يخفر نفقا حتى وصل إليه. وطلب منه الخروج معه بسرعة، غير أن الأمير عبد المالك رفض الخروج بهذه الكيفية، وقال له: دخلت الغرفة من هذا الباب وسأخرج منه أيضا، إن وجودك هنا وبهذه الوسيلة لا يمكن أن يحصل بمجهود فردي؛ انه يحتاج إمكانيات دولة، بالإضافة إلى تعاون إدارة السجن، فأخرج من حيث أتيت، وطلب منه تظمين عائلته وزوجته أنه بخير»³. غير أن الحجوي يورد قصة أخرى مفادها أن الأمير خالد قام بتدبير حيلة تخدير السجانين؛ غير أنه لم يفتح في ذلك⁴.

وفي ظل غياب التفات المخزن إلى عبد المالك، يكون قد حرر رسالة إلى وزير الخارجية الفرنسي، يلتمس فيها دعم فرنسا لإطلاق سراحه، ومما جاء في هذه الرسالة بهذا الخصوص: «وبعدما قطعت البلاد طولا وعرضا أصبحت في صف المولى عبد العزيز؛ ووضعت على رأس مخلة بالقصر، لكن المخلة خائنتني وسجنت بفاس، وبدون دعم فرنسا سأستمر في السجن، أتمنى أن تعتبرني الحكومة الفرنسية من رعاياها كما كانت تمنني في السابق»⁵. ونظرا لهذه المراسلة ورغبة فرنسا في الاستفادة من خدمات الأمير عبد المالك تكون قد عدته من رعاياها،

1 - تذكر بديعة الحسني أن الغرفة التي كان يقبع فيها جدهما بالسجن كانت رطبة ومظلمة، بحيث لا يعرف ليله من نهاره، ورغم ذلك لم ينقطع عن الصلاة فكان يتيمم بالتراب من حوله ويصلي. رواية شفوية، الحلقة الأولى، 2008/07/10م، دمشق.

2 - انتحار المغرب بيد لواره، المصدر السابق، ص. 43.

3 - أصحاب المهمة إن شاء الله، المرجع السابق، ص. 427.

4 - انتحار المغرب بيد لواره، المصدر السابق، ص. 44.

وقامت بالضغط على السلطان عبد الحفيظ لإطلاق سراحه، مقابل اعتراف فرنسا به كسلطان شرعي على المغرب¹. وبناء على هذا يدخل الأمير عبد المالك في خدمة السلطان عبد الحفيظ الذي عينه نائب لوزير الخربة المغربي² ثم مفتش لقوات البوليس بطنجة بعد معاهدة الحماية، ويذكر السليمانى بشأن تعيين الأمير عبد المالك في هذا المنصب ما يلي: «وقد ظهر من بسالته في تلك الحوادث العظيمة والأحوال المقيمة ما خضعت له الأبطال واستكانت لشجاعته الثوار وكل من استعصى، لذلك خطبته دولتنا الشريفة لرياسة عساكر الثغور، فلم يبق أحسن إدارته في تلك السوخل [كذا] خلاف ولا نفور صان الله ساحته وأدام حراسته أمين»³، ولقد ظل في منصبه هذا حتى اختفائه فجأة في 25 ربيع الثاني 1333هـ / 13 مارس 1915م⁴.

غير أن بديعة الحسني تنفي أن يكون عبد المالك أصبح رعية فرنسية كما تزعم هذه الروايات بل هو رعية من رعايا الدولة العثمانية، وبالتالي فالسلطات العثمانية هي التي توسطت له لدى المخزن لإطلاق سراحه، وهذا ما تم فعلا. وعندما خرج من السجن وجد أمامه مبلغ من المال في انتظاره، وفرته له عائلته من ريع أملاكه في بلاد الشام، فاستأجر دارا وكاتب زوجته يدعوها للالتحاق به برفقة أبنائه في سنة 1911، فاجتمع شمل الأسرة، واشترى قطعة أرض صغيرة واستصلحها⁵.

وخلال الفترة الممتدة من سنة 1912-1915 تسكت المصادر والمراجع التاريخية في الحديث عن الأمير عبد المالك باستثناء ما ذكره جرمان عياش من أن الأمير عبد المالك ظل متقلداً لوظيفة المفوض لقوات الأمن بطنجة إلى غاية اختفائه فجأة في مارس 1915 لمدة ثلاث أشهر، وشوهد فيما بعد في المنطقة الآيلة لإسبانيا، ويوعز جرمان عياش سبب وجوده بهذه الناحية ليتزعم الكفاح المسلح ضد الفرنسيين الذي كان بدور القاضي عبد الكريم يحاول من جهته إقحام الريفيين في غماره⁶.

ومن دون شك أن الأمير عبد المالك خلال هذه الفترة كان موجودا بمدينة طنجة في خدمة المخزن في المنصب العسكري السالف الذكر، حتى قيام الحرب العالمية الأولى سنة 1914⁷. لكن أبو القاسم سعد الله يذكر

1 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 139.

2 - محمد الصغير، الخلوئي: بوحارة من الجهاد إلى التأمر، المرجع السابق، ص. 52.

3 - اللسان المغرب عن ثقافة الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. 132.

4 - معلمة المغرب، المرجع السابق، ج. 9، ص. 2985.

5 - أصحاب الميمنة إن شاء الله، المرجع السابق، ص. 427. غير أن أبو القاسم سعد الله يذكر في كتابه: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج. 1، ص. 107: إن الأمير عبد المالك اجتمع بأسرته في مدينة طنجة سنة 1912، وهي تتكون من زوجته وبنين وابنيه الأميرين محي الدين وحسن

6 - عياش، جرمان: أصول حرب الريف، المرجع السابق، ص. 211.

7 - ابن عبد الله، السليمانى: اللسان المغرب عن ثقافة الأجنبي حول المغرب، ص. 132، الحجوي: انتحار المغرب بيد نواره، ص. 45، أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 2، ص. 238، عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، ص. 104، محمد الصغير، الخلوئي: بوحارة من الجهاد إلى التأمر، المرجع السابق، ص. 52، معلمة المغرب، ج. 9، ص. 2985.

عثمان، بناني: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين))، سلسلة ندوات ومناظرات، ص. 79.

لنا في موقف آخر أن الأمير عبد المالك كان موجودا سنة 1914 بمدينة فيشي الفرنسية يتداوى من مرض الربو، كما يكون قد زار إسبانيا خلال هذه السنة!¹

لقد رأى الأمير عبد المالك أن تعيينه في منصب قائد الشرطة الشريفة بطنجة لا يليق بمقامه، بل اعتبره إهانة له، وهذا ما صرح به للسيد "هاريس"²: إن الفرنسيين كانوا يضعون باستمرار العراقيل في وجه مطامحه³، وبالتالي رأى في أن هذا المنصب فرصة سانحة لتحقيق بعض مطامحه، التي جاء من أجلها من إسطنبول وهي إعلان الجهاد المقدس ضد الغزاة الفرنسيين انطلاقا من المغرب، فبدأ في تنظيم اتصالاته السرية مع زعماء القبائل المغربية، قصد إقناعهم بالثورة ضد الفرنسيين الذين كان يعتبرهم أسوأ أعدائه⁴.

وانطلاقا من موقعه العسكري ظل يتربص الفرصة السانحة للانقضاض على العدو، بعدما تفقد أحوال البلاد والعباد، وجمع من الأسلحة ما يكفي لتحقيق غايته، خاصة وأن مرفأ طنجة كان ميدانا خصبا لحركة السلاح الذي يدخل إلى المغرب، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإن الفترة الممتدة من سنة 1906-1914 كان المغرب عامة، وطنجة خاصة مجال خصب لنسج المؤامرات والدعاية والتجسس من طرف كل من فرنسا وألمانيا، والدولة العثمانية، حيث سعى كل طرف إلى استقطاب الرموز والشخصيات والعائلات التي لها سمعة ونفوذ قوي في المجتمع المغربي، وخصوصا عائلة الأمير عبد القادر، ويبدو ذلك جليا من خلال ترقية الدولة العثمانية للأمير علي⁵؛ من نائب دمشق إلى نائب رئيس المجلس الوطني العثماني، واستدعاء فرنسا للأمير عمر⁶؛ إلى باريس وإكرامه بالأوسمة والاحتفالات، وعليه فألمانيا لم تكن بمعزل عما يجري فأظهرت هي الأخرى اهتمامها بالموضوع، واتصلت بالأمير عبد المالك بالمغرب لعله يكن من نصيبها، وهو ما تم فعلا.

وعندما سنحت هذه الفرصة للأمير عبد المالك الذي كان طموحا وساخطا وفخورا أن يستفيد من الوضع، وفي هذا الجو الخطير يقول سعد الله إنه قد تحالف مع أسوأ أعداء أعدائه: ألمانيا والدولة العثمانية⁷. حيث اتفقتا

1- أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج. 1، المرجع السابق، ص. 107.

2- لا تعرف عنه سوى ما أشار إليه أبو القاسم سعد الله بأنه كان مراسلا لجريدة التمايز في طنجة، وله مقال بعنوان حياة قائد من المغرب العربي، منشور في مجلة التمايز اللندنية، صدر في 11 أوت 1924، يراجع: أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 2، ص. 242.

3- أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 2، المرجع السابق، ص. 239.

4- المرجع نفسه، ص. 239.

5- أحد أبناء الأمير عبد القادر.

6- أحد أبناء الأمير عبد القادر.

7- أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 2، المرجع السابق، ص. 239. ويذكر هذا المؤلف العبارة المقتبسة كما يلي: يبدو أنه قد تحالف مع أعداء أسوأ أعدائه ألمانيا والدولة العثمانية، وهي عبارة عقبها بدعوة الحسيني بشكل صريح، وصوابها في نظرها أدرجنه في المعن، بناء على المقولة التالية: عدو العدو صديق. وعليه فألمانيا والدولة العثمانية هما أعداء لفرنسا عدوته، وبالتالي فهما أصدقاء له.

على مساعدته بكل ما يحتاج إليه سواء ماديا أو عسكريا، وظل يترقب الفرصة السانحة لإعلان الجهاد ضد فرنسا، بعدما وضع كل الترتيبات اللازمة لذلك، وهذا ما ستراه في العنصر الموالي.

4-إعلانه الثورة ضد الفرنسيين بالمغرب 1914-1924.

يبدو تحالف الأمير عبد المالك مع ألمانيا والدولة العثمانية على اثر التعاون الذي أبداه لهما من خلال إعلام القائم بالأعمال الألماني؛ بمعلومات سرية مفادها أن فرنسا ستقوم بطرد ممثلي القوات المركزية في طنجة بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى، وبفضل هذه الإفادة تمكن الدبلوماسي الألماني من حرق الأوراق التي كانت تجلب الإدارة له ولبلاده¹، ويحاول أحد الباحثين المغاربة تبرير انضمام الأمير عبد المالك إلى الألمان بعدما ضبظت فرنسا مكائنته مع الألمان، عندما أصبحت حياته في خطر، وبالتالي فالمنخرج الوحيد له من هذا المأزق هو العمل بجانب ألمانيا². ونحن نستبعد هذا التصور لأن الأمير عبد المالك لا يمكنه أن يعلن الحرب على الفرنسيين جراء هذه الحادثة العابرة، وبكل هذه السهولة؛ بل إعلانه للحرب هو مشروع قديم خطط له عندما كان في اسطنبول وقبل التحاقه بالمغرب، ولم يكتف صاحبنا بذلك بل ذهب إلى الحكم على أن حركة الأمير عبد المالك حركة ثمرية تبحث لصاحبها عن الجاه والسلطة وبعيدة عن أي اتجاه وطني أو تحرري³. وبعيدا عن هذه التصورات غير الموضوعية والأحكام التاريخية المسبقة التي لها ما يفندها؛ نعود إلى الحديث عن الترتيبات التي قام بها الأمير عبد المالك قبل انطلاق ثورته التحريرية بالمغرب؟.

بعدما تأكد لدى ألمانيا موقف الأمير عبد المالك الذي بات معادي لفرنسي، اتصل به السفير الألماني بمدريد "الكونت دي رابنور" ملتصبا منه إيفاد مبعوثا عنه إلى مدريد للاتفاق على خطة عمل مشتركة، فأرسل الأمير عبد المالك ابنه محي الدين لهذا الغرض، ووقع الاتفاق على فتح جبهة ضد الفرنسيين في المغرب، ومحتوى هذا الاتفاق أن تعهد كل من ألمانيا والدولة العثمانية بمساعدته إذا نجحت هذه الخطة، التي مفادها إقامة مملكة واحدة تضم المغرب والجزائر⁴، وتعود المراجع التاريخية مرة أخرى إلى التباين فيما بينها حول الخطوة التي أقدم عليها الأمير عبد المالك بعد هذا الاتفاق، وهو ما تعلق الأمر بعائلته: فعثمان بناني يذكر: إنه على اثر الاتفاق السالف الذكر، غادر الأمير عبد المالك مدينة طنجة بعد أن رهن بعض ممتلكاته، وأرسل عائلته إلى إسبانيا⁵.

وعلى اثر توجهه أولا إلى جباله حيث كاد أن يلقى عليه القبض من طرف الفرنسيين لولا تدخل قائد بني منصور العياشي قللال⁶، لكن محمد أمطاط⁷ يرى أن عبد المالك قد غادر طنجة في اتجاه تطوان برفقة الإحوة

1 - المرجع نفسه، ص. 239.

2 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 178.

3 - المرجع نفسه، ص. 178.

4 - أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص. 108.

5 - معلمة المغرب، ج. 9، المرجع السابق، ص. 2985.

6 - أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 2، المرجع السابق، ص. 240.

7 - الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 178.

البلغيثي¹، وعندما تأكدت فرنسا من نواياه العدائية ومن تخليه عن منصبه السالف الذكر، اعتبرته متمرداً وظالمت إسبانيا بتسليمه لها، غير أن هذه الأخيرة رفضت ذلك، وعليه أقدمت الإقامة العامة الفرنسية على تقديم رشوة للقبائل المغربية التي لجأ إليها قصد إلقاء القبض عليه وأسرره، غير أن تراجع هيبة ومكانة فرنسا في أعين المعاربة، وارتفاع شعبية وسمعة الأمير عبد المالك حال دون ذلك². وللعلم أن الأمير عبد المالك قد راهن في الإعلان عن ثورته على معطيات عدة منها:

1- كسب ولاء القبائل المغربية والعديد من الشخصيات الوطنية المغربية، ومن بين هؤلاء عبد الكريم الخطابي، والإخوة البلغيثي، إلى جانب من كان يراهم أهلاً لإعلان الثورة ضد فرنسا، كأحمد أضية (ت1337هـ/ 1919م)³، الذي وجه نداء للجهاد بعد مبايعته كسلطان في شهر أوت 1912م⁴، وأحمد الريسوني، والشنقيطي... الخ.

2- الضمانات والمساعدات التي تعهدت كل من الدولة العثمانية وألمانيا⁵ بتقديمها له في حال نجاح مشروعه، ويبدو ذلك جلياً من خلال عديد الضباط والجنود العثمانيين الذين كانوا مجندين في صفوف مقاومته.

1- هما محمد وعبد الرحمان البلغيثي، حلا بالدار البيضاء في 29 مارس 1921، عائدتين من مرسيليا بفرنسا؛ بعد حصولهما على الأمان من السلطات الفرنسية، على اثر مشاركتهما إلى جانب الأمير عبد المالك، وقد قدم محمد البلغيثي أمام المراقب العام بالدار البيضاء "شارير Charrir" اعترافاً تضمن معلومات مهمة عن حركة عبد المالك ودور ألمانيا والدولة العثمانية، وأحساراً عن السلطان عبد الحفيظ في مدريد، ويذكر محمد البلغيثي بشأن مسألة انسحابه من صف عبد المالك بعد تعدد الاتصالات الألمانية عند المالك: «أحسست بأن الأمور تسير في اتجاه خطير وغير منتظر، فطلبت من عبد المالك إعفائي، لكنه رفض رغم أنني كنت أعمل لديه كاتباً وليس جندياً، لكن بمساعدة تدخل ضابط الاتصال التركي في مدريد تمكنت من الإبحار نحو فرنسا». وهناك يكون قد اطلع بفرنسا على طبيعة العلاقات بين السفارة الألمانية والبعثة التركية، التي ظلت تمنح له أحراراً شهرياً منتظماً إلى حين حصول الهدنة مع تركيا. يراجع: محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، ص-ص. 179-180.

2- أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 2، المرجع السابق، ص. 240.

3- هو أحمد الهيبة بن مصطفى بن ماء العينين القلقمي الصحراوي، ولد سنة 1294هـ/ 1877م في الصمارة وبها نشأ وتعلم، كان فقيهاً ومتصوفاً، في سنة 1910 أصبح على رأس الزاوية التي أسسها أبوه الشيخ ماء العينين، ثار ضد السلطان عبد الحفيظ، فبايعه الناس، وتمكن من دخول مدينة مراكش في جيش ضخم في رمضان 1330هـ، فتحالف السلطان مع الفرنسيين لوضع حد لحركته، فتمت مطاردته أينما حل وارتحل: الدار البيضاء، نارودانت، هشتوكه، بعقيلة، كردوس... الخ، الهزم في شهر سبتمبر أمام القوات الفرنسية في معركة سيدي بوعثمان، لكنه ظل مقاوماً صامداً إلى أن تمكن منه المرض فخارت قوته، فتوفي على أثر ذلك، ولم ينفاد إلى الفرنسيين وأعرافهم رغم كل محاولات الإغراء التي قدمت له. يراجع: خير الدين، الزركلي: الأعلام، مج. 1، ص-ص. 265-266.

-Centre d'études Arabes: le Maroc sous domination coloniale 1912-1945, P. 22..

4-Centre d'études Arabes: le Maroc sous domination coloniale 1912-1945, Ambassade de France, Rabat, sans date. P. 20.

5- فالمساعدات الألمانية التي يكون قد حصل عليها عبد المالك إلى حدود نهاية سنة 1914 بلغت حوالي 170 ألف فرنك. يراجع: محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، ص. 180.

وبعض الشخصيات الألمانية العاملة عنده مثل الجاسوس "هيرمان".

- 3- التشجيع والدعم الذي تلقاه من عموم المهاجرين الجزائريين بالشرق العربي، ومن خصوصتهم؛ وعلى رأس هؤلاء شقيقه الأمير علي¹، وابن عمه الأمير مصطفى الذي التحق به للغاية نفسها وهي الجهاد ضد فرنسا، حيث عمل عنده كمراسل حربي طيلة مدة كفاحه².
- 4- المراهنة على تكوينه العسكري باستانبول وخبرته الميدانية التي قضاهها في الجهاد بالمغرب إلى جانب كل من الشيخ بوعمامة والثائر الجيلالي الزهروني، والسلطانين عبد العزيز وعبد الحفيظ.
- 5- استقطابه واحتوائه للجنود المغاربة الفارين من الجيش الفرنسي على اثر انتفاضة أبريل 1912، ولعشرات الجنود الألمان الذين فروا هم أيضا من سجون معسكرات دبدو في شهر أوت 1914³.
- 6- المراهنة على العامل الجغرافي، فالأمير عبد المالك يكون قد استقر في قلب المغرب في منطقة فاس-تازا، وهي منطقة ذات موقع استراتيجي في منتهى الأهمية، حيث تربط بين شرق المغرب وغربه، وبين شماله وجنوبه، وهو ما يشكل تهديد مباشر لخط المواصلات الفرنسية بين الجزائر والمحيط الأطلسي من ناحية، ومن ناحية أخرى كان يهدف إلى توحيد فصائل المقاومة جنوب الريف مع تلك المنتشرة في جبال الأطلس جنوب تازا⁴.
- وبناء على هذه المعطيات وغيرها أعلن الأمير عبد المالك عن ثورته ضد الفرنسيين بالمغرب سنة 1914، والتي امتدت إلى حدود سنة 1924، ثورة اتخذ لها راية خضراء طرزتها أنامل الأميرة شفيقة⁵، وكتب عليها شعار يتكون من ثلاثة أسطر: كتب في السطر الأول: بسم الله الرحمن الرحيم، وفي السطر الثاني: الله أكبر، وفي السطر الثالث: اللجنة تحت ظلال السيوف⁶. وقصد تتبع مسار أحداث هذه الثورة رأيت من الضرورة بمكان تقسيمها إلى مرحلتين رئيسيتين على النحو الآتي:

1- المرحلة الأولى: 1914-1918.

ليس هناك اتفاق بين من تطرقوا إلى هذا الموضوع حول تاريخ انطلاق الثورة، غير أنه من خلال الرسالة التي بعث بها إلى أخيه وممثله الأمير علي باسطنبول؛ المؤرخة في 14/11/1914، أشارت إلى نقطة مفادها أنه قد

1- لعب دور كبير في حركته، يراجع: أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 2، ص. 242.

2- بديعة، الحسيني: أصحاب الميمنة إن شاء الله، المرجع السابق، ص. 425. وتذكر أن الأمير مصطفى هو ابن أخته وابن عمه في نفس الوقت، ويكون قد تزوج من ابنة عبد المالك الكبرى الأميرة شفيقة والدة بديعة.

3- محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 180.

4- عثمان، بناني: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين))، سلسلة ندوات ومناظرات، المرجع السابق، ص. ص. 80-81.

5- تم صنعها من قماش الحرير الأخضر، بلغ طولها أربع أمتار وعرضها متران، وكانت لا تجلس أمام النوال دون وضوء؛ وكان أول جملة طرزتها الله أكبر واللجنة تحت ظلال السيوف، بالحرير الأصفر، واستمرت في عملها هذا مدة سبعة أشهر. رواية شفوية مع بديعة الحسيني الجزائري، الحلقة الأولى، يوم الخميس 10/07/2008 صباحا، بمقرها بدمشق.

6- بديعة، الحسيني: أصحاب الميمنة إن شاء الله، المرجع السابق، ص. 449.

حقق بعض الانتصارات على الفرنسيين بعد مرور شهرين، وعليه يمكن القول إن تاريخ 16/09/1914 كانت الثورة حينه قد انطلقت، وبناء على هذه الرسالة يمكننا اعتمادها كتاريخ معلمي في انطلاق ثورته، غير آخذين بعين الاعتبار ما ذكره سعد الله أن الأمير عبد المالك كان موجودا أثناء اندلاع الحرب العالمية الأولى بفرنسا ثم إسبانيا¹، وما أشار إليه عثمان بناني أيضا عندما ذكر أيضا أن عبد المالك ظل في منصبه بطنجة حتى منتصف شهر مارس 1915²؟. وعليه يمكننا أن نتساءل عن أهم النقاط التي استهدفها خلال هذه المرحلة؟ وما هي أهم المعارك التي خاضها ضد الجيش الفرنسي؟. هذا ما سنعرفه في المعارك الآتية:

1- معركة الدار البيضاء:

بدأ الأمير عبد المالك ثورته أولا في إقليم تازة شمال شرقي فاس، وبناء على قول أحد الكتاب فإن هدف الأمير عبد المالك كان إعلان نفسه سلطانا على المغرب وجعل فاس عاصمة له³، حيث قام بشن هجمات عسكرية على الفرنسيين في هذه الناحية، هجمات امتدت حتى منطقة الدار البيضاء التي دارت فيها معركة شرسة تكبد فيها الجيش الفرنسي خسائر فادحة في المعدات والأرواح، ناهيك عن الغنائم التي تحصل عليها الثوار، ونلمس ذلك من خلال نص الرسالة التي بعث بها الأمير عبد المالك إلى الأمير علي باسطنبول، والمؤرخة في 14 نوفمبر 1914.

ومما جاء في هذه الرسالة بهذا الخصوص: «إن أول فوز أدركناه كان منذ شهرين عندما تمكنا من الاستيلاء على بطارية من العدو على اثر معركة شديدة دارت بيننا وبينه وكتب الله لنا الفوز عليه...هاجمنا بنفوس تستحق الموت مراكز العدو وتمكنا من احتلال (كازبلانكا) ذلك المركز الحربي الخطير الذي يحرص عليه العدو شديد الحرص حيث استولينا فيه على عشرات الرشاشات المدفعية ومئات البنادق والعتاد الحربية...والمعارك الأخيرة التي نشبت بيننا وبين الفرنسيين أسقطنا منهم 700 قتيل وجريح»⁴.

وعلى اثر هذه الانتصارات وغيرها بدأت وسائل الإعلام العالمية تهتم بقضيته وتداول أخباره؛ فالجريدة الإيطالية "La Tribuna de Roma" تكون قد نقلت في عددها الصادر في 12 ديسمبر 1914 برفقة من "غازيت دي فوس" البرلينية مفادها: إن الأمير مالك قد احتل مدينة تازة بجيش قدره 15.000 جندي وأنه قد هاجم الدار البيضاء، حيث حسم الفرنسيون 700 رجل، كما حاصر مدينتي فاس ومراكش، وما نشرته كذلك الجريدة السويسرية "le le journal de Genève" من أخبار في عددها الصادر في 26 جانفي 1915⁵. و نشرت جريدة "تصفيير أفكار" في اسطنبول في عددها الصادر في 25 جانفي 1915 بدورها رسالة من الأمير عبد المالك قال فيها: بأنه كان أمير المغرب، وأن الأهالي قد استقبلوا المجاهدين بحماس كبير، وأن الجهاد كان قد أعيد.

1- أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 1، المرجع السابق، ص. 107.

2- معلمة المغرب، ج. 9، المرجع السابق، ص. 2985.

3- أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 2، المرجع السابق، ص. 240.

4- أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 1، المرجع السابق، ص. 116-117.

5- عثمان، بناني: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين))، سلسلة ندوات ومناظرات، المرجع السابق، ص. 78.

وأن الفرنسيين كانوا يتراجعون¹.

لم تقف فرنسا مكتوفة الأيدي أمام ما تشهده وسائل الإعلام العالمية بل سارعت إلى تكذيبه، واعتبرته مجرد دعاية عارية من الصحة؛ فحاولت التقليل من حجم تلك الانتصارات، وردت عليها بأن الأمير عبد المالك ما يزال على وفائه للإدارة الفرنسية، بدليل التهنة التي وجهها من طنجة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية بمناسبة رأس السنة الميلادية 1914-1915، والتي ضمنها تمنياته له بالنصر في الحرب²، والتي تكون قد دلت بذلك على الأكاذيب الألمانية وعلى براءة عبد المالك الموظف المخزي في طنجة³.

ومع مطلع سنة 1915 يكون الأمير عبد المالك قد وضع معسكره أولا عند غياته قبل الانتقال إلى سوق الأحد في بلاد كزناية، ثم إلى دائرة آكنول شمال تازة⁴، مراهنًا في ذلك على المساعدات العثمانية والألمانية التي تكون قد قدمت له، وحسب محمد أمطاط يكون الأمير عبد المالك قد عقد أول لقاء رسمي له مع الألمان في شخص العميل "فار Farre" في قبيلة غياته، والذي طلب منه الانتقال إلى قرية بني سعيد قرب ملبلية للبحث عن نقطة آمنة بالساحل المتوسطي لإنزال حمولة عسكرية لسفينة ألمانية، غير أن هذا الدعم لم يتم؛ وهو ما دفع بعبد المالك إلى العودة نحو سوق كزناية رفقة محمد البلغيني؛ حيث بدأ في نصب الخيام التي اشتراها من ملبلية وشرع في وضع نواة للعمل المسلح بقوة عسكرية قدرها 1000 جندي⁵. وهذه القوة العسكرية الهائلة واصل الأمير عبد المالك نضاله التحرري ضد الغزاة الفرنسيين الجائعين على أرض المغرب.

وحسب ما صرح به الجنرال "ليوتي Lyautey"⁶ فإنه بفضل مجهودات عبد المالك ونشاطاته، تعرض المغرب في الفترة من منتصف سنة 1333هـ/ 1915م إلى منتصف سنة 1334هـ/ 1916م إلى هزات شديدة عرّضت الوجود الفرنسي للخطر، خاصة وأن الأمير عبد المالك قد نجح خلال هذه الفترة في استقطاب بعض الشخصيات المؤثرة من قبيلة بني ورياغل، وهي أقوى قبائل الريف على الإطلاق، كما زار عائلة الخطابي في

1- أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 2، المرجع السابق، ص. 241.

2- المرجع نفسه، ص. 241، يراجع أيضا: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فاسين))، سلسلة ندوات ومناظرات، ص. 79.

3- عثمان، بناني: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فاسين))، سلسلة ندوات ومناظرات، المرجع السابق، ص. 78.

4- محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 179.

5- الجزائريون في المغرب، المرجع نفسه، ص. 179.

6- ولد "LOVIS HUBERT GONZALVE LYATEY" بمدينة بنانسي سنة 1854، أطلق عليه اسم "ليوتي المغربي" بفضل الأعمال التي قام بها والتي اعتبرت أعمالا مثالية، وفي سنة 1873 تخرج من سان سير، وفي الفترة الممتدة من 1894-1910 عمل في طونكان ومدغشقر والجزائر، تم تعيينه سنة 1917 وزير الحربية لكنه فشل في مهمته، وفي سنة 1925 استقال من منصبه المقيم العام في المغرب، وفي الفترة الممتدة من سنة 1925-1934 أقام في منطقة اللورين قبل وفاته في جويلية 1934، دفن في الرباط سنة 1935. يراجع:

-Centre d'études Arabes: le Maroc sous domination coloniale 1912-1945, Ambassade de France, Rabat, sans date. P-P 16-17..

أغادير، وحصل على دعم ومساندة رب العائلة الفقيه عبد الكريم الخطابي، كما زار أيضا قبيلة بني توزين في شوال-ذي القعدة 1333هـ/ سبتمبر 1915م، هذا إلى جانب مناطق أخرى ليدعو الريفيين لخاربة فرنسا.¹

2- معركة سوق الحد.

تبدأ تفاصيل هذه المعركة على اثر الخطر الذي بات يهدد الوجود الفرنسي في المغرب، ويندو ذلك من خلال توصل الأمير عبد المالك إلى امتلاك قوة عسكرية هائلة قادرة على القيام بحرب عصرية²، ويتحلى هذا الخطر من خلال سيطرة الأمير عبد المالك على منطقة جغرافية شاسعة يصل طولها حوالي 200 كم شمال منطقة تازا³. ولاحقاً هذا الخطر قامت السلطات الفرنسية بإرسال الجنرال "هنريس Henrys" نحو هذه المنطقة لإدارة العمليات العسكرية بنفسه ضد الأمير عبد المالك؛ ونظراً للتفوق العسكري الفرنسي الحاصل تكون قد تمكنت سرية عسكرية فرنسية من محاصرة معسكرات عبد المالك بسوق الأحد كزناية وإحراق 150 خيمة من خيامه، وقتل العديد من جنوده⁴. وأمام هذه المعطيات الجديدة لم يكن هناك بُدأ أمام الأمير عبد المالك سوى مغادرة جنوب تازا، والانتقال نحو شمالها ليستقر في الأخير على خط الحدود مع منطقة النفوذ الإسباني في شهر جويلية 1916⁵.

ونظراً لهذا التراجع الذي أبداه الأمير عبد المالك، تكون الدعاية الفرنسية قد نشطت بشكل كبير جداً، حيث اعتبرت ذلك بداية النهاية لعبد المالك، وفشل ذريع للخطة المشتركة العثمانية-الألمانية، خاصة في ظل الانسحاب الحاصل في الضباط العثمانيين العاملين إلى جانبه في المغرب، وقصد رفع معنويات الأمير عبد المالك تكون قد وردت على الأمير عبد المالك رسالة من سفير ألمانيا ونائب الدولة العثمانية بمدريد تؤكد التزامهما باستمرارية الدعم الثنائي والمشارك له، وتحذره من خطر الانصياع إلى الدعاية الفرنسية الكاذبة.

ومما جاء في هذه الرسالة المؤرخة في 25 ماي 1916 بهذا الخصوص: «قد وصل لعلنا أن في المغرب صار الخبر أن خروج الضباط العثمانيون من خدمتهم في المغرب قد سببه تيريد المعاهدة والصحة بين الدولتين الألمانية والعثمانية، والآن نعلمكم أن كل ذلك هو أكاذيب وإن الدولتين المذكورتين يجتهدون الآن كما فعلوا في الماضي جميع جهدهما لينصروا (كذا) على أعداء الإسلام... أما سبب خروج الضباط العثمانيون من المغرب هو أمر نفسي ولم هو (كذا) شهادة أن خليفة المعظم يسمح في إعانته لاستقلال المغرب، ولنظهر لسادتكم أن المخزن العثماني لا زال على فكره في استقلال المغرب... ولا يخفى على سيداتكم (كذا) أن كل ذلك يصدر من أعداء المسلمين ليردوا نفوس المغربيون (كذا) الذين يجاهدون لاستقلال وطنهم ولشرف دينهم»⁶.

1 - عثمان، بناني: معلمة المغرب، ج. 9، المرجع السابق، ص-ص. 2985-2986.

2 - المرجع نفسه، ص. 180.

3 - عثمان، بناني: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين))، سلسلة ندوات ومناظرات، المرجع السابق، ص. 82.

4 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 180.

5 - عثمان، بناني: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين))، سلسلة ندوات ومناظرات، المرجع السابق، ص. 82.

6 - أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج. 1، المرجع السابق، ص-ص. 121-122.

ومما زاد الوضع تدهورا بالنسبة للفرنسيين هو ذلك التضامن الذي تلقاه الأمير عبد المالك من الفقيه عبد الكريم وابنه القاضي ممليلية محمد بن عبد الكريم الخطابي، فقد كان الفقيه عبد الكريم يقوم بنفسه بتزويد عبد المالك بما يحتاج إليه من مال، بل أنه قام برفقة عدة مئات من الريفيين بزيارته في مقر إقامته في نهاية شهر أوت 1916¹. هذا إلى جانب تمكنه من ربط علاقات وثيقة جدا مع أحمد الرّيسوني؛ مما زاد تأثيره في منطقة فاس-تازا التي كان قد انسحب منها.

4- معركة تازة.

رغم انسحاب الأمير عبد المالك من منطقة فاس-تازا، فإن هذه المنطقة ظلت مجال خصب لنشر أفكار التحررية وتأثيره الكبير على سكانها، لأن عبد المالك ظل على اتصال مستمر بهم، من خلال الوفود التي كان يعث بها إليهم قصد تعبئتهم الجهادية ضد الفرنسيين، وهذا الجو سهّل عليه العودة إلى تلك المنطقة مع مطلع سنة 1917، الشيء الذي دفع بالجنرال "ليوتي" نفسه إلى زيارة المنطقة في حدود شهر جويلية، ووصف الأمير عبد المالك برجل الساعة. ومرد ذلك جملة من المعطيات²:

- بناء على رأي "هاريس" فإن عبد المالك كان يتلقى كمية ضخمة من المال والسلاح والمعدات من طرف ألمانيا.

- ارتفاع سمعته وشعبيته بين الأهالي، الشيء الذي ساعده على أن يجند ويحتفظ بجيش هام، رغم الهزائم التي لحقت بحلفائه الألمان والعثمانيين.

ونظرا لإشراف "ليوتي" بنفسه على عمليات الدعم والمساندة لقواته العسكرية، ومباشرة العمل بنفسه في ميدان القتال، فضلا عن القوات العسكرية الهائلة التي بات يتوفر عليها، كل هذا ساهم في إلحاق كثير من الخسائر في صفوف عبد المالك، وهو ما دفع به إلى التراجع التكتيكي واستدراج العدو برفقة الجاسوس الألماني "هيرمان" إلى القسم الشمالي من جبال تازا، في الوقت الذي تكون فيه قد انفصلت عنه جموع كبيرة من أنصاره³. لكن هذا لم يمنع من ربط اتصالاته مع أحد زعماء المقاومة في تافيلالت في موفى شهر أفريل 1917، بمعية بعض الشرفاء رغبة منه في الحصول على الأموال والأسلحة من الثائر لكنه لم يتحصل على أي شيء⁴.

ومع مطلع سنة 1918 تكون الدعاية الفرنسية قد تحركت في اتجاه تضخيم الموقف، حيث اعتبرت هذه السنة سنة الهجوم الألماني الكبير في المغرب، وأن عبد المالك بات له دور كبير وفعال في هذه العملية، وفعلا فاندغم العسكري الهائل الذي يكون قد تلقاه سابقا؛ مكّنه من شن هجوم عسكري قوي على القوات الفرنسية المتمركزة بجنوب تازا في شهر أفريل 1918، هجوم تكبدت فيه القوات الفرنسية خسائر بشرية فادحة، وبالخصوص في

1 - عثمان، بناني: معلمة المغرب، ج. 9، المرجع السابق، ص. 2986.

2 - أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 2، المرجع السابق، ص. 243.

3 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 181.

4 - المرجع نفسه، ص. 182.

جيش الصبايحية الجزائريين كونهم كانوا في الواجهة الأمامية للمعركة¹.

وبعد نهاية هذه المعركة تكون التقارير الفرنسية قد تحدثت عن الدعاية السياسية الكثيفة التي كان يقوم بها عبد المالك جنوب كل من منطقة الريف وتازا وخاصة عند غياته وبني وراين، كما تحدثت التقارير الفرنسية عن دعمه المادي لكل من أحمد الهيبة، وموحا وسعيد، وموحا وأحمو الزباني، إلى جانب حديثها عن العلاقة القوية التي كانت تربط بينه وبين الألمان؛ والتي جاء فيها بهذا الخصوص: «إن العلاقة ليست سهلة، وعلى الرغم من أنهم يزودونه بما يحتاج إليه من مال وسلاح ورجال، فإنهم لا يتحكمون فيه كما يريدون، فهم لا يقودونه إلا بصعوبة. وغالبا ما تكون علاقته بهم متوترة، وهو كثيرا ما يطلب تغيير المندوبين الألمان وينجح في ذلك»².

ثم تحدثت أحد التقارير الصادرة عن الجنرال "ليوتي" في 28 جمادى الثانية 1336هـ/ 10 أبريل 1918. عن وصول الأمير عبد المالك إلى قبيلة تمسمان للتفاوض في شراء شاطئ سيدي إدريس من أجل استخدامه في عمليات إنزال السلاح الألماني، وتحدث بعضها الآخر عن اتصالاته ببعض القبائل قصد توفير مهابط للطائرات عن أراضيها³، ويعلق الجنرال "ليوتي" عن هذه التقارير بالقول: «إذا كان صحيحا ما أشيع عن توفير مهابط طائرات في أراضي بعض القبائل الريفية، فإن الطائرات الألمانية تستطيع عندئذ المرور خلال أجواء الريف الأوسط. وأن تهاجم التجمعات العسكرية الفرنسية، بل وبعض المدن في منطقتنا ثم تعود من حيث أنت»⁴.

وفي 20 أكتوبر 1918 يتوصل المقيم العام الجنرال "ليوتي" بتقرير من إدارة الشؤون الأهلية، بخصوص العلاقات المتشابكة التي تمكن عبد المالك من إقامتها في منطقة النفوذ الإسباني، إلى جانب إشارته إلى قائمة تضم حوالي 200 شخص بين أجنبي ومغربي لهم علاقات متينة بعبد المالك، وفي تقرير آخر صادر في 25 نوفمبر 1918 عن الجنرال "ليوتي" نفسه إلى وزير الخارجية الفرنسي "بيشون Pichon" يشير إلى التحركات التي باشرها عبد المالك بالانسحاب من منطقة الحدود والتوجه نحو الشمال، ومما جاء في هذا التقرير: «عبد المالك انسحب من منطقة الحدود في اتجاه الشمال، وإنه ربما يكون قد توجه إلى تطوان أو إلى معسكر الريسولي، وأن العناصر التي كانت معه انسحبت بدورها إلى نواحي مليلية»⁵. وفي هذا التقرير أيضا يلع "ليوتي" على وزير الخارجية من أجل مطالبة إسبانيا بتسليم هؤلاء جميعا إلى فرنسا وهو ما تم فعلا؛ حيث رضخت إسبانيا للمطلب الفرنسي، وسُمت ما مجموعه ستون رجلا من أتباع عبد المالك المتجنين بمنطقتها⁶.

1 - المرجع نفسه، ص. 182.

2 - عثمان، بناني: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين))، سلسلة ندوات ومناظرات، المرجع السابق، ص. 83.

3 - عثمان، بناني: معلمة المغرب، مج. 9، المرجع السابق، ص. 2986.

4 - عثمان، بناني: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين))، سلسلة ندوات ومناظرات، المرجع السابق، ص. 84.

5 - المرجع نفسه، ص. 84.

6 - عياش، جرمان: أصول حرب الريف، المرجع السابق، ص. 249.

2- المرحلة الثانية: 1919-1924.

لا تكاد المصادر والمراجع التي عدنا إليه تتحدث عن الأمير عبد المالك خلال الفترة الممتدة من 1919-1920، الشيء الذي دفع بأحد الباحثين المغاربة إلى اعتبارها فترة سبات بالنسبة للأمير عبد المالك¹، غير أن الشيء الملفت للانتباه خلال هذه الفترة، هو وجود ثلاث وثائق تاريخية سبق لأبي القاسم سعد الله أن أشار إليها، وثائق سنستطوع من خلالها معرفة موقع الأمير عبد المالك من الأحداث التي جرت خلال هذه الفترة². وهذا ما سيجعلنا نقوم بتقسيم المرحلة الثانية من ثورة الأمير عبد المالك في المغرب إلى مرحلتين:

2-1. المرحلة الأولى: 1919-1920. مرحلة المفاوضات والاتصالات:

بناء على الوثائق المشار إليها سابقا يمكن أن نسمي هذه المرحلة بمرحلة المفاوضات والاتصالات التي يكون قد أجراها الأمير عبد المالك مع الفرنسيين في سبيل الحصول على الأمان لنفسه، وتوقيف القتال بين الطرفين. مفاوضات ساهم في ادراكها بعض الضباط الفرنسيين وعلى رأسهم كل من الضابط "دي تيسة"³، والضابط "كانوت" ونلمس هذا التوجه من خلال الوثائق التاريخية الآتية:

- الوثيقة الأولى: هي عبارة عن رسالة مجهولة الهوية، موجهة إلى الأمير عبد المالك، مؤرخة في 16 سبتمبر 1920، والتي نستشف منها عدة معطيات³:

- تواجد الأمير عبد المالك بالقرب من فاس.

- سريان المفاوضات بينه وبين الفرنسيين.

- حرص الأمير على حضور موظف كواسطة بينهما، وتشير الرسالة إلى أن هذا الأخير هو في طريقه إلى الحضور، بعد أن يمر بالرباط لأخذ تعليمات المخزن في ذلك.

- وجود اختلاف في الطريق الذي سيسلكه الأمير عبد المالك بعد انتهاء العمليات العسكرية، وهو من سيتوجه مباشرة إلى تطوان لزيارة أهله ورؤيتهم قبل التوجه إلى مقابلة الجنرال "ليوتي" في الرباط، أو يؤدي الزيارة إلى "ليوتي" ثم يقوم بزيارة أهله فيما بعد؟.

- الوثيقة الثانية: قبل الحديث عن هذه الوثيقة لا بد من الإشارة إلى أن الأمير عبد المالك كان قد بعث برسالة إلى قائد ملحقة الحيانية، ضمنها جس نبض الفرنسيين في حالة ما إذا توقف عن الكفاح المسلح، وهو بإمكان الجنرال "ليوتي" منحه الأمان؟. فنقل قائد الحيانية بدوره هذا الانشغال إلى الجنرال "موريل" Maurial الذي نقله هو الآخر إلى الجنرال "ليوتي"، فأكد هذا الأخير على قبوله منح الأمان للأمير عبد المالك. ونكس بشروط من بينها⁴:

- الاستقرار في مدينة محددة بمنطقة الحماية الفرنسية مع الترخيص له بإحضار عائلته.

1 - عثمان، بناني: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين))، سلسلة ندوات ومناظرات، المرجع السابق، ص. 85.

2 - أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 1، المرجع السابق، ص-ص. 124.

3 - المرجع نفسه، ص-ص. 123-125.

4 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 183.

- ضرورة الحصول على ترخيص خاص من المقيم العام لنسفر أو مغادرة هذه المدينة.

- ضمان وسائل العيش الكريمة له ولعائلته عبر منحة مالية شهرية.

- السماح له باسترجاع كل أملاكه في طنجة.

- الاتفاق مع قائد ملحقة الحيانية حول اللقاء به في أقرب نقطة تابعة لمنطقة النفوذ الفرنسي.

لقد قام بتبليغ هذه الشروط إلى الأمير عبد المالك، الضابط الفرنسي "كانوت" الذي كان يتولى بالنيابة ملحقة الحيانية في غياب الضابط المسئول¹، ضمن رسالة رسمية مكتوبة باللغتين العربية والفرنسية، وتسلمها الأمير عبد المالك منه شخصياً؛ وعليه فكيف كان موقف الأمير عبد المالك من الشروط الفرنسية التي تضمنتها هذه الرسالة؟. يمكننا الوقوف على موقفه من خلال نص الرسالة التي بعث بها إلى الجنرال "موريال"، وهذا ما جاء في الوثيقة الموالية:

3- الوثيقة الثالثة:

هي عبارة عن رسالة بعث بها الأمير عبد المالك إلى الجنرال "موريال"، مؤرخة في 7 أكتوبر 1920، والتي ضمنها جوابه عن الشروط الفرنسية السالفة الذكر، ومن بين النقاط الرئيسية التي تضمنتها:

- رفض الأمير عبد المالك اعتبار حركته تمرداً مع تأكيده على أنه لن يتأسف أو يعتذر عما قام به مدة خمس سنوات من عمل بطولي، ومن أجل قضية عزيزة على نفس متحمسة ومصممة ومتلهفة للحرية والعظمة².

- رفض تسمية طلب حصوله على الأمان من الفرنسيين بالاستسلام، ويطرح في ذلك بديلاً مفاده «ولكن إذا شئتم من الناحية اللغوية التوقف النهائي للوضع الحالي الموجود بيننا»³.

- الحصول على ترخيص من المقيم العام بمغادرة التراب المغربي والإقامة في اسطنبول.

- العفو التام.

- استرجاع ممتلكاته التي تمت مصادرتها في مدينة طنجة.

- رفض تحديد إقامته في أحد المدن التابعة لمنطقة الحماية الفرنسية، ورفض مسألة المرور والتنقل داخل

التراب المغربي برخصة من السلطات الفرنسية. ويختم رسالته في الأخير بتحديد مسار سفره الذي عاجلته الوثيقة

الأولى، حيث يشترط أن يكون عن طريق تطوان لكي يتمكن من رؤية أهله هناك، ثم يقوم بزيارة إلى مدينة

الرباط، ويلح على إحالة هذه الشروط على الجنرال "ليوني" في أقرب وقت ممكن، وبما سيجيب به بواسطة قائد

دائرة الحيانية⁴. وعليه كيف كان موقف الفرنسيين بدورهم من هذه الشروط التي فرضها عليهم الأمير عبد

المالك؟.

بعدما أحاط الجنرال "ليوني" الخارجية الفرنسية بمضمون اتصالاته مع الأمير عبد المالك، في 24 أكتوبر

1- أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج. 1، المرجع السابق، ص-ص. 124.

2- المرجع نفسه، ص-ص. 125.

3- المرجع نفسه، ص. 124.

4- أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج. 1، المرجع السابق، ص-ص. 126.

1920، يكون قد اعتبر أن الشروط المقدمة له هي أقصى ما تستطيع إدارته تقديمه له، وأكد قائلاً: «لا يمكن لنا نسيان ماضي عبد المالك، نحان فرنسا في المغرب... رغم أنه من رعاياها، ففضلنا منح له منصب رسمي في طنجة؛ لكن ظل طيلة خمس سنوات يقود حملات ضدنا على رأس المتمردين في شمال منطقتنا»¹، مما جعل في الأخير الخارجية الفرنسية تتبنى اقتراحات "ليوتي"².

وعليه فلم يكن هناك بُدا أمام الأمير عبد المالك سوى مواصلة نضاله التحرري في المغرب، ونحن يوسفنا بحارة محمد أمطاط للفرنسيين عندما ذكر بالقول على لساهم: «مما جعل عبد المالك يعلن عدم رغبته في الاستسلام، ويتحرك من جديد نحو الضفة اليمنى لنهر ورغة في بداية سنة 1921 لبداية فصل جديد من التمرد؟»³. وللعلم أن هذا التصريح والوصف هو لس: "دانيال ريفي".

ورغم الوضع العسكري الصعب الذي آل إليه الأمير عبد المالك؛ فإن هذا لم يمنع كثير من القبائل المغربية على نصرته واستنصاره رغم الوضعية المزرية والصعبة التي كانت تعيشها؛ ونلمس ذلك من خلال الرسالة التي بعث بها أحد زعماء قبيلة مزيلات إلى الأمير عبد المالك يشكو له فيها متاعبه مع المستعمرين؛ ويصف ما يتعرض له قومه من ذل واضطهاد، ويطلب منه العون⁴.

ومما جاء في هذه الرسالة المؤرخة في 21 جمادى الآخر 1338هـ، بهذا الخصوص والتي تبرز لنا أيضا مكاتته بين المغاربة: «حفظ الله بمنه وكرمه وعم بجميل ستره مقام الأسد الهمام والبطل المقدم الشريف الجليل والحب الأصيل سيدي عبد المالك بن سيدي الحاج عبد القادر محي الدين... اعلم سيدي نخيرك أن محلة الفساد أولاد حمليس فرّت وتفرقت من محل الرباط من قبيلة مزيلات ورجعت بالقهقري إلى بني سبت، ونزل عمر بن أحمد المنيسي بمزلات وصاحبك الحاج بقيش نزل بأولاد أزم بصنهاجة مصباح، ونعلمك بأن أولاد حميس لما هربوا أخذوا بيدهم زكروم متاع المدفع وخلوا حوايجهم من كثرة الخوف الذي وقع بهم في حملتهم»⁵.

2-2. المرحلة الثانية: 1921-1924. مرحلة تجديد العمل المسلح ونهاية الثورة.

مع مطلع شهر مارس 1921، تبدأ الوثائق الفرنسية في الحديث عن عبد المالك عندما وصفته بأنه أصبح مرة أخرى أخطر العناصر المناهضة لفرنسا في المغرب، ونلمس ذلك من خلال التقرير الذي قدمه الجنرال "ليوتي" إلى وزير الحرب الفرنسي "بيرثو Berthou" المؤرخ في 25 جويلية 1921، حيث أشار فيه إلى ما يلي:

- «إن كل القبائل المجاورة للورغة والتي كان البعض منها يدور في الفلك الفرنسي انضمت لعبد المالك. وأن هذا الأخير يدير المنطقة التي يسيطر عليها بعدل ونظام وبحكمة وريانة، مع محافظة على التقاليد والأعراف.

1 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 184.

2 - المرجع نفسه، ص. 184.

3 - المرجع نفسه، ص. 184.

4 - بديعة، الحسن: أصحاب الميمنة إن شاء الله، المرجع السابق، ص. 434.

5 - المرجع نفسه، ص. 434.

وأنة يتمتع بنفوذ قوي ككشريف أولا وكأمير له ثقافة واسعة»¹.

- موقف عبد المالك غير المعادي للفرنسيين، ومما جاء فيه بهذا الخصوص: «إن عبد المالك لا يعادي الآن الفرنسيين، وهو لا يتحدث أبدا عن الاستسلام لهم، وإنما عن هدنة معهم ويرغب في الاتفاق مع فرنسا من أجل استقلاله بالمنطقة التي يحتلها»².

- توفر الأمير عبد المالك على قوات عسكرية هائلة تقدر بـ 6000 بندقية، ومسلحة تسليح جيد.

- عدم تدخل فرنسا عسكريا ضد عبد المالك، كون ذلك سيثير رد فعل عكسي لدى بعض القبائل التي لا تزال مترددة في الانضمام إلى فرنسا.

- تقدم الدعم العسكري والمادي لكل من عبد الرحمان الدرقاوي الذي تخضع له قبيلة بني زروال القوية [4000 بندقية]، وعمر بن حميدو زعيم قبيلة مريسة، كونهما من العناصر المتعاونة مع فرنسا، ويعملان على الحد من نفوذ عبد المالك في المنطقة³. ويحاول في الأخير عثمان بناني بناء على قراءته لأحد الجرائد الإسبانية "El Eco de Tetouan" الصادرة بتطوان في تاريخ 23 جوان 1921، إلى تحديد المساحة التي يحكمها عبد المالك في هذه الأثناء بحوالي 160 كلم مربع، وهو ما لم يشير إليه تقرير "ليوني"⁴.

ونظرا للضغط الذي بات مسلط على الأمير عبد المالك في منطقة النفوذ الفرنسي، وظهور محمد بن عبد الكريم الخطابي بها، يكون عبد المالك قد انتقل نحو منطقة النفوذ الإسباني، وانطلاقا من هذه الفترة تبدأ بعض الكتابات توقد نار الفتنة في العلاقة التي ستربط عبد المالك بعبد الكريم الخطابي، رغم التأكيد على أن هذا الأخير يكون قد زار عبد المالك في منطقة الورغة في موفى سنة 1921، ولكنه لم يستطع التفاهم معه واستماتته⁵. هذا من جهة، ومن جهة أخرى نسجل تراجع بعض أبناء قبيلتي بني عمر وكزناية عن عبد المالك والتحافهم بعبد الكريم الخطابي مع مطلع شهر مارس 1923، وإعلان زعماء بني زروال عن قأيدهم له.

وفي هذه الأثناء تكون قد دارت معارك ضارية بين أنصار محمد بن عبد الكريم وقوات عبد المالك، انهزم فيها هذا الأخير حسب ما ذهب إليه عثمان بناني⁶؛ غير أن سعد الله أبو القاسم يرى أن الدائرة فيها كانت على محمد بن عبد الكريم⁷، الشيء الذي دفع بعبد المالك في نهاية المطاف إلى الانسحاب من ورغة نهائيا والدخول إلى منطقة تطوان، التي يكون قد حط رحاله بها في 18 جوان 1923⁸. حيث عرض تقديم خدماته لصالح اسبانيا

1 - عثمان، بناني: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين))، سلسلة ندوات ومناظرات، المرجع السابق، ص. 85.

2 - المرجع نفسه، ص. 85.

3 - المرجع نفسه، ص. 86.

4 - المرجع نفسه، ص. 86.

5 - المرجع نفسه، ص. 86.

6 - معلمة المغرب، ج. 9، المرجع السابق، ص. 2987.

7 - الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 2، المرجع السابق، ص. 243.

8 - عثمان، بناني: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين))، سلسلة ندوات ومناظرات، المرجع السابق، ص. 87.

بتعيينه قائدا على إحدى الفرق الوطنية بالقوات الإسبانية، لكن سعد الله يرى أن عرضه هذا كان قد تقدم به سنة 1921، وهو قيادة الجنود المغاربة في جيشها، ويرى أن إسبانيا قد رضيت بذلك¹.

وبالفعل تم الاتفاق بين الطرفين حيث تعهدت إسبانيا بتقديم المساعدة المادية للأمير عبد المالك، على أن يكون من حق الأمير تجنيد الجنود ليحررهم ما يشاء من البلاد، فإذا احتل أي جزء منها فإنه يصبح مستقل ولا يدخله إسبانيا². وعندما تدخلت فرنسا لدى إسبانيا في شأن تسليمه لها، ردت إسبانيا بعدم قدرتها على تنفيذ ذلك، غير أنها طلبت منه التخلي عن مكان القيادة³. ومن هناك راح الأمير عبد المالك يجند الجنود ويعد العدة للمعركة الفاصلة بينه وبين العدو الفرنسي الذي كانت تتواجد في صفوفه الأمامية قوات الأمير الخطابي.

ونظرا لهذه التطورات الحاصلة وبعيدا عن كل مزایدات من هنا أو هناك، يمكن القول أن كل من الأميرين عبد الكريم وعبد المالك قد أصبح محل استقطاب واحتواء من طرف ألد أعدائهم، فالأول استقطبته فرنسا ضد إسبانيا وحليفها عبد المالك على أثر إعلانه استقلال منطقة الريف في جانفي 1923، ونظرا لحربه التي كانت موجهة ضد الإسبان يكون قد تعاون مع الفرنسيين في سبيل نجاح ذلك، ومن دلائل هذا التعاون الثنائي هو إرسال الأمير الخطابي لأخيه نحو فرنسا يطلب مساعدتها، غير أن هذه اشترطت عليه لكي تساعد أن يجابه قوات الأمير عبد المالك⁴.

والثاني استقطبته إسبانيا ضد فرنسا وحليفها الأمير عبد الكريم الخطابي، ولا يمكن القول مطلقا والحكم جازفا على أن الأمير عبد المالك الجزائري قد حارب أو وقف ضد الأمير عبد الكريم الخطابي. ومجمل تحركاته يمكن اعتبارها موجهة ضد الفرنسيين وحلفائهم في المغرب. وهذا التحرك أسفر لنا في الأخير عن معركة عزيز ميسار⁵.

- معركة عزيز ميسار واستشهاد الأمير عبد المالك:

تعود وقائع هذه المعركة على أثر التحرك الذي باشرته القيادة العسكرية في مليلية في موفى ذي الحجة 1342هـ / جويلية 1924م، للتوغل في غرب منطقة عزيز ميسار في أراضي بني توزين؛ وكلفت الأمير عبد المالك للقيام بهذه المهمة نظرا لما لديه من قوات وطنية، كما دعمته بمدفعية قوية، وهيأت ميدان عملياته العسكرية بقذف جوي كثيف، في حين يرى أحد الباحثين أن الأمير عبد المالك هو من طلب من الإسبانين تكليفه بهذه

1 - الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 2، المرجع السابق، ص. 243.

2 - أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج. 1، المرجع السابق، ص. 109.

3 - المرجع نفسه، ص. 243.

4 - المرجع نفسه، ص. 109.

5 - هناك قريتان في شرقي بني توزين احدهما تسمى ميسار، والأخرى عزيز ميسار، وهذه الأخيرة تعتبر امتدادا للأولى من الناحية الفلاحية، ولذا سميت العزيز، أي الموضع الذي تكون فيها عزبات سكان الأولى، وهي أرض سقوية يملكها سكان ميسار، أما الآن فقد غلب اسم ميسار على القرية الأخيرة وهي تعتب القاعدة الإدارية لقبيلة بني توزين، ويمر وسطها الطريق الرابط بين الحسيمة والناظور.

المهمة ووضعه على رأسه قيادتها، وأن تترك له حرية تدبير الهجوم من دون أن تتدخل القيادة الإسبانية. ومقابل ذلك يكون الأمير عبد الكريم الخطاطي قد أعد خطة لمواجهة مختلف هذه التطورات بناء على المخبرين المنبئين في كل جهة، ووضع على رأس مقدمة جيشه القائد موح أرذاذ، الذي يكون قد وضع تحت تصرفه حوالي 50 رجل من صفوف المقاتلين¹، ويذكر سعد الله أن الأمير حسن كان شاهد عيان في هذه المعركة الفاصلة والأخيرة لوالده ضد الفرنسيين، معركة بدأت مع الساعات الأولى من صباح يوم التاسع من شهر أوت 1924 وانتهت في الساعة العاشرة من صباح نفس اليوم، باستشهاد الأمير عبد المالك، بعدما أصابته رصاصة في صدره من أحد القناصة المرتزقة، ولقد ذهب الريفيون أن الإسبان هم الذين قتلوه، بينما ادعى هؤلاء أن الريفيين هم الذين فعلوا به ذلك².

وبخصوص هذه النقطة تذكر بديعة الحسني نقلا عن جدتها أن الأمير عبد المالك أقام احتفال كبير بالنصر. وكان على ظهر حصانه يجوب صفوف المجاهدين، ويتابع أفراحهم وإذ برصاصة تطلق من جهة الأشجار فتصيب قلبه؛ فسقط شهيدا أمام أعين ابنه حسن، الذي اعتقد أن قناصا من رجال الخطاطي يكون قد قتله، بينما الأمير مصطفى استبعد الفكرة، مبررا ذلك بكون الأمير عبد الكريم الخطاطي رجل مسلم ومومن لا يمكنه القيام بهذا العمل الجبان، وكان يؤكد أن القناص كان إسبانيا، ومرد ذلك المخاوف التي باتت تتأكد لها، من أن عبد المالك سينقلب عليها بعد انتصاره على فرنسا³.

وبعد هذا الحادث الأليم تم نقل جثمان الأمير عبد المالك إلى تطوان ليوارى الثرى هناك، وكان ذلك في 8 محرم 1343هـ/ 9 أوت 1924م⁴، ومن بين أهم النتائج التي يمكن أن نخلص إليها من هذه الثورة:

-التأكيد على الدعم الذي قدمه الأمير خالد للحركة الوطنية المغربية، ويبدو ذلك من خلال وقوفه إلى جانب ابن أخيه عبد المالك بالمغرب، ومشاركته من منفاه بباريس سنة 1924 في حملة دعائية لصالح ثورة الريف بالمغرب⁵.

-المساهمة الفعالة للأمير عبد المالك في الحركة الوطنية المغربية⁶.

1 - مصدر مجهول، ص. 321.

2 - أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج. 1، المرجع السابق، ص. 110.

3-بديعة الحسني، الجزائري: رواية شفوية حول مقاومة الأمير عبد المالك بالمغرب، الحلقة الأولى، يوم الخميس 2008/07/10، دمشق. وتذكر لنا أن أحد أبناء الأمير عبد الكريم الخطاطي-رشيد- بعدما التحق بالكلية الحربية بمصر. وسمع بوجود عائلة الأمير عبد المالك بدمشق تقرب منها، من خلال طلب يد ابنة الأمير حسن للزواج. فرفض والدها ذلك بناء على اعتقاده الخطاطي، ثم بعد فترة تعرف على الأمير سعيد الذي كان على رأي الأمير مصطفى من كون الخطاطي لا علاقة له بالعدو، وأن الأمير عبد المالك استشهد برصاص الأعداء سواء كانوا إسبانيا أو فرنسيين، فوافق الأمير سعيد على تزويج ابنته صافية عندما تقدم لخطبتها الخطاطي.

4 -عثمان، بناني: معلمة المغرب، ج. 9، المرجع السابق، ص. 2987.

5 -احميدة، عمراوي: الأمير خالد وخطاب الحركة الوطنية الجزائرية، المرجع السابق، ص. 85.

6 -أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 2، المرجع السابق، ص. 249.

-التأكيد على البعد الجزائري -المغربي والعربي -الإسلامي الذي اكتسبه ثورة الأمير عبد المالك بالمغرب.
-الأمير عبد المالك يعتبر بطل وليس مغامر كما يصفه الفرنسيون وبعض الباحثين المغاربة، وليس جاسوس دولي، وليس عسيل لا لهذا ولا لذلك، بل ثورته كانت تعبر بكل صدق وإخلاص عن تحرير المغرب من نير الاستعمار العاشم الذي تسلط عليه، ونلمس ذلك من خلال تصريحاته التي كان يؤكد فيها على هذا المسعى النبيل، وسأكتفي بذكر البعض منها:

-لقد جاء في افتتاحية الصحيفة العثمانية "تصغير أفكار"¹ في عددها الصادر في 17 كانون الأول 1914م، ما يلي: «لقد أعلن صاحب الشأن أمير فاس الأمير عبد المالك استقلال المدينة وتطهيرها من رجس الفرنسيين المحتلين بالهمة والعزيمة، وهو يعلن الجهاد المقدس من مدينة فاس مباشرة، وحتى تطهير كامل التراب الجزائري من المحتلين»². ونشرت نفس الجريدة مقال للأمير عبد المالك في عددها الصادر في 1330هـ، جاء فيه: «فأجاهدون أصبحوا بحمد الله أكثر عدداً وأكبر شأناً وأوفر قدرة، ومدينة فاس في طريقها إلى التحرر من الفرنسيين»³.
ثم يواصل الحديث عن نفسه قائلاً: «إنني أجاهد لا من أجل بلدي فاس فقط، بل من أجل وطني الجزائر بأكملها، والقرار الذي اتخذته هو الجهاد الذي فرضته الشريعة الإسلامية إلى أن أصل إلى هدي وهو تحرير الوطن. وبعد ذلك سأترك السلاح ولا أريد شيئاً آخر سوى الاستقلال الكامل لبلادي»⁴. ويختم مقاله بما يلي: «وبالنسبة لي كمجاهد فإن كل غايي هي إرضاء رب العالمين عز وجل وعلاء ورفع راية الإسلام في ربوع بلادنا، فأعدوا الذين اغتصبوا الوطن الإسلامي علينا أن نظردهم منه، وليس غير ذلك، وهذا هو واجبي لهم»⁵.

-التحامل الكبير وغير التزيه من لدن بعض الباحثين المغاربة على شخصية الأمير عبد المالك، وعائيتهم النيل منه ومن نضاله الوطني، ومن بين ما جاء في أحد هذه الكتابات: « يبدو أن حركة عبد المالك لم يكن لها أي مشروع وطني لتحرير المغرب أو شمال إفريقيا، بل هي حركة تمردية وعمل جهادي مزيف من طرف مسلم غير مغربي عرض خدماته على القوات المسيحية الباحثة عن تصفية حساباتها فيما بينها على أرض المغرب»⁶. ويقول صاحبنا في موضع آخر: «لكن تتبع مسار حركة عبد المالك بين سنتي 1912-1924، يدفع إلى إثبات أنها ليست إلا حركة تمردية تبحث لصاحبها عن الجاه والسلطة وبعيدة عن أي اتجاه وطني أو تحرري»⁷.

1- تم ترجمة هذا المقتطف من طرف السيدة سهيلة إسماعيل فريد بملخيا، رئيسة قسم الترجمة من العنسايسة إلى العربية، ووزارة الثقافة، المديرية العامة للآثار والمتاحف، بدمشق يوم: 24 / 10 / 1992م. يراجع: بديعة، الحسني: أصحاب الميمنة إن شاء الله. ص. 436.

2- بديعة، الحسني: أصحاب الميمنة إن شاء الله، المرجع السابق، ص. 437.

3- المرجع نفسه، ص. 438.

4- المرجع نفسه، ص. 438.

5- المرجع نفسه، ص. 438.

6- محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 186.

7- المرجع نفسه، ص. 178.

لا شك أن تصريحات الأمير عبد المالك السالفة الذكر، واعتراف الأعداء قبل الأصدقاء ببطولته وبشجاعته وبدهائه السياسي والعسكري، وبإيمانه العميق بقضيته الوطنية، تجعلنا نستبعد كل البعد هذه الاتهامات الجذافية التي حاولت وستحاول استهداف شخصيته وعظمته، والتي كان من المفروض أن لا تخرج بحكم قاس حولها، كون الوثائق التاريخية المتعلقة بهذه المسألة قد تظالعنا بحقائق تقلب الأمور رأساً على عقب؛ ومن بين ما يمكن أن نستدل به في هذه المسألة، ما تضمنته الرسالة التي بعث بها خليل حقي من مدريد، إلى الأمير عبد المالك، يهنئه فيها على بعض انتصاراته.

ومما جاء فيها: «وقد اقتنعت عند قراءة رسائلكم بالعظمة والنبل والتجرد، هذه الصفات التي حاجتكم بها لهيب المعركة خلال سنوات الجهاد»¹. ويقول في موضع آخر: «واسمحوا لي أن أهنئكم بدوري من أعماق قلبي على المواقف الشجاعة التي وقفتموها كقائد مسلم وجندي عظيم من جنود الرسول (صلى الله عليه وسلم)»². ولقد جاء في إحدى المجلات الفرنسية المحافظة سنة 1917 حول الأمير عبد المالك: «هو صخرة سيزيف بالنسبة إلينا، فكل مرة نرغمه على التقهقر يعود فيسقط على أقدامنا»³.

3-1. النشاط الإداري:

لقد تعددت وتباينت النشاطات الإدارية للمهاجرين الجزائريين في المغرب، وذلك من خلال مساهمتهم الفعالة في تنشيط وتأمين القطاع الإداري؛ ويمكننا تتبع هذه النشاطات عبر مختلف المدن المغربية على النحو الآتي:

-مدينة وجدة:

من خلال اطلاعنا على بعض المصادر والمراجع يكون قد قادنا البحث إلى الوقوف على عدة أنشطة إدارية للمهاجرين الجزائريين بهذه الحاضرة، والتي يمكن حصرها في العناصر الآتية:

-سيدي الهاشمي بن أبي مدين بن روكش:

تولى نظارة الأحباس بوجدة في مفتح شهر رجب 1291هـ في عهد القاضي سيدي محمد بن الهاشمي الميري الحسني؛ الذي وجدناه متولي لهذه الخطة بتاريخ 6 ربيع الثاني 1310هـ؛ ومن بين الأمور التي أنيطت به: دفع الكسوة والصلوة الملكية لكل من: العلامة سيدي محمد بن عيسى وولدي أخيه، وللعلامة سيدي العربي، وسيدي محمد الضيرير ولدي سيدي الحبيب في 2 ذي القعدة 1301هـ، هذا إلى جانب تكليفه بمهمة توزيع 100 ريال على الفقراء من المهاجرين الجزائريين حسب الأمر الملكي المؤرخ في 14 رمضان 1307هـ⁴.

-سيدي المصطفى بن محمد بن باص:

تولى النيابة: نائب عن المهاجرين الجزائريين لدى كل من السلطانين: الحسن الأول، وعبد العزيز. كما تولى الأمانة: أميناً في توزيع صلوات السلطان عبد العزيز سنة 1313هـ والمقدرة بحوالي 1000 مثقال سنوياً؛

1- أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 1، المرجع السابق، ص. 127.

2- المرجع نفسه، ص. 127.

3- أبو القاسم، سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 2، المرجع السابق، ص. 236.

4- بدر، المقرئ: مخطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص-ص. 61-62.

وفي مقدمتهم آل باص وآل المير علي، وآل ولد يوسف¹.

- سيدي المصطفى بن عبد القادر بن الطيب:

تولى حطة الكتابة سنة 1307هـ لدى أمين الحاضرة الوجدية الفقيه الحاج محمد بن أحمد زنيير السلاوي، حيث كان مكلف بتقييد الداخل لرحبة الحبوب².

- الحاج حماد بن محمد المقرئ:

تولى وظيفة النيابة: نائب عن الحدود في شهر رجب 1307هـ، كما تم تعيينه بعد ذلك باشا مدينة فاس³.

- مولاي أحمد بن أحمد بن عبد الله ابن منصور الحوتي⁴:

تولى عدة مهام ومناصب إدارية من بينها: كاتب لدى الوزير عبد الكريم بن سليمان، خليفة لباشا الدار البيضاء، عُين يوم 6 ماي 1921 في منصب باشا الدار البيضاء، كما تولى باشوية الحاضرة الوجدية في 20 رجب 1340هـ/ 22 فيفري 1922م، وكان لا يزال على خطته في 10 شوال 1350هـ/ 22 فيفري 1932م⁵.

- الحاج المكّي بن سيدي حجّي المقرئ (ت 1335هـ/ 1916م)⁶:

تولى أمانة المستفادات، حيث يذكر بدر المقرئ أنه وقف له على كناش بالخرانة الحسنية بالرباط⁷، يتضمن تقييد مستفاد وجدة على يد هذا الأمين في رمضان 1293هـ، ثم وُلّي بعد ذلك حطة الحسية، التي كان لا يزال عليها أثناء الاحتلال الفرنسي للمدينة سنة 1325هـ/ 1907م، إلى جانب اهتمامه بصفة خاصة بالمعاملات التجارية مثل الصوائر والنفقات ومعشرات السلع، كما كان شديد الحرص على محاربة غش المبيعات وتدليس الأثمان، وكذلك مراقبة المكاييل والموازن.

وفي آخر أيامه يكون قد اقتصر نفوذه على المحاور الآتية: سوق الغزل، وسوق الخميس، وسوق الخضب، وسوق الخبز، ورحبة الزرع، هذا إلى جانب الفنادق التالية: فندق بوليوز قرب باب سيدي عبد الوهاب، وفندق أولاد سيدي رمضان قرب سوق الخبز، وفندق أولاد سيدي محمد قرب باب الزاوية، وفندق أولاد سيدي محمد قرب قبة سيدي عبد الوهاب، وفندق السيد مولاي منصور برحبة الزرع، وأخيرا فندق السيد دحو برحبة الغزل⁸. ونظرا لدوره الفعال في هذا المجال يكون قد ورد ذكره في إحدى الوثائق الحسنية التي أوردها محمد داود.

1- المرجع نفسه، ص. 86.

2- المرجع نفسه، ص. 89.

3- المرجع نفسه، ص. 323.

4- ولد بفاس في حدود سنة 1292هـ، تولى عدة مهام ومناصب إدارية وعسكرية، توفي سنة 1355هـ/ 1936م، ودفن عمقرة سيدي المختار بوجدة. تراجع: بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، ص. 325.

5- المرجع نفسه، ص. 325.

6- توفي بسكنة قلبية وهو يتوضأ في الحمام البالي قرب الجامع الأعظم. تراجع: بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، ص. 34.

7- لم تسمح لنا ظروف الإقامة بالرباط بالوقوف على هذا الكناش بهذه الخزانة رغم عملية البحث والتقصي التي قمنا بها.

8- بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص-ص. 340-341.

والتي هي عبارة عن رسالة من السلطان مولاي الحسن للأمين أحمد الفقاي¹، يُنبهه فيها إلى الاستمرار بالعمل على ما كان معمولاً به بالنسبة لبعض مداخيل بيت المال، وذلك على أثر الشكوى التي رفعها أهل وجدة وأنجاد إلى السلطان بشأن تطبيق الكيل عليهم التي يقوم بها هذا الأمين، ومما جاء فيها بخصوص المكّي المقرّي: «وبعد وافانا كتابك جواباً عما أسلفناه لك في شأن ما كتب به أهل وجدة وأهل أنجاد من كونك طفقت قبض منهم الرائد على ما كان يقبضه من تقدمك من الأمانة في المستفادات، ذاكراً أنك لم تزد شيئاً على القدر الذي كانوا يؤدونه لمن قبلك، وأنت أخذت نسخة من الأمين الحاج المكّي المقرّي، وعرفك فيها بالقدر الذي كان يقبضه من المستفاد كله»².

-الحاج عبد السلام المقرّي (ت 1322هـ)³:

لقد وسمه أبو عبد الله السليمانى بزبدة الأيام الرئيس الأحمّد السيد عبد السلام⁴، تم تعيينه أميناً على جمعة المهاجرين الجزائريين من تلمسان، وهذا ما أشار إليه الظهير السلطاني المؤرخ في 18 ربيع الثاني 1305هـ، ومما جاء فيه بهذا الخصوص: «سدلنا على حملته المهاجرين من تلمسان... خديمتنا الأرضي الأمين الحاج عبد السلام المقرّي القاطنين بوجدة رداء التوقير والتعظيم والاحترام»⁵.

-محمد بن هطال:

تولى أمانة المستفادات بوجدة ونواحيها، كما كان مكلفاً بقبض ما يدفعه أمناء مليلية من ميزانية خاصة بمنونة العسكر المرابط بوجدة. كما عيّن سنة 1316هـ أميناً على ديوانة مليلية؛ ويذكر بدر المقرّي أن الأمين ابن هطال هو الذي بنى سور القصبة، القيسارية الكبيرة، والقيسارية الصغيرة، ولا تزال تعرفان بقيسارية ابن هطال إلى يومنا هذا⁶. كما يذكر أن الصدر الأعظم محمد المقرّي يكون قد كلف المحتسب سيدي محمد ابن الضياف الفاسي في 21 شوال 1338هـ بإدخال حساب مستفاد ورثة الأمين المرحوم سيدي الحاج محمد ابن هطال بوجدة⁷.

-سيدي محمد بن محمد المدجل التلمساني الحسني (ت قبل 1333هـ)⁸:

- 1- نستشف منها أن أحمد الفقاي يكون قد تولى هذا المنصب بعد الأمين الحاج المكّي المقرّي.
- 2- تاريخ تطوان، ج. 9، المصدر السابق، ص. 511. (منشورات الخزنة الداودية، تطوان، 1419هـ / 1998م، ط. 1).
- 3- بدر، المقرّي: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 338.
- 4- اللسان المغرب عن ثقافت الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. 30.
- 5- م. و. م. ر: ظهير التوقير والاحترام الذي أصدره السلطان المولى الحسن بخصوص المهاجرين الجزائريين التلمسانيين القاطنين بوجدة، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 17499.
- 6- خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 344.
- 7- المرجع نفسه، ص. 351.
- 8- ينحدر من الشرفاء آل المدجل الذين هاجروا من تلمسان نحو مدينة وجدة في حدود سنة 1274هـ. يراجع: بدر، المقرّي: خطط المغرب بالشرقي، ص. 352.

تولى الكتابة مع الحاجب أحمد الركينة التطواني، ثم مع الأمين الحاج ابن هطال، ثم مع الأمين التهامي برادة الفاسي في محرم 1314هـ¹.

-مدينة طنجة:

--قدور بن غريبط:

تولى بما مترجم بالقنصلية الفرنسية منذ شهر سبتمبر سنة 1892²، إلى غاية فرض الحماية الفرنسية على المغرب سنة 1912، ويكون هو من تولى ترجمة مواد عقد الحماية للسلطان عبد الحفيظ، ومن بين المهام التي شغلها هذه المدينة أو غيرها من المدن المغربية الأخرى:

أ- نظرا لحنكته السياسية وتفوقه في المهام الدبلوماسية يكون قد تم تعيينه من قبل المخزن على رأس عدة سفارات في باريس، وسان بتراسبورغ، وكان يغادرها دائما وهو في حالة رضى الحكومات التام³.

ب- تم تعيينه عضو في اللجنة التي حططت الحدود بين الجزائر والمغرب بين سنتي 1902 1903⁴، هذا إلى جانب مساهمته في تأسيس المدرسة العربية الفرنسية بطنجة التي كان يتمدرس بها في سنة 1905 ما يقارب 85 تلميذ نصفهم من الجزائريين⁵.

-تم إيفاده ضمن الوفد المغربي برئاسة الصدر العظم الحاج محمد المقرئ، نحو فرنسا في سنة 1910 بصفته مترجم، قصد التفاوض مع الفرنسيين في شأن المسألة المالية⁶، كما تم إيفاده مرة ثانية إلى باريس ضمن البعثة المغربية في شهر أوت 1911⁷. هذا إلى جانب قيامه بالعديد من المهام الدبلوماسية داخل المغرب، خصوصا فيما تعلق باستقبال الوفود الأجنبية، أو تكليفه من طرف السلطان في عدة مهام بالمدن والحواضر المغربية⁸.

ج- تم تعيينه سنة 1916 على رأس البعثة الفرنسية إلى الحجاز في سبتمبر 1916⁹، لأداء فريضة الحج.

1 - المرجع نفسه، ص. 352.

2- Jalila, SBAI: Trajectoire d'un homme et d'une idée: SI Kaddour Ben Ghabrit et L'islam de France 1892-1926, Hespéris-Tamuda, vol. XXXIX, OP. Cit. P. 52. بينما عكاشة برحاب في كتابه الموسوم بـ: المجال الحدودي بين المغرب والجزائر، ص. 48؛ يورج لتولي قدور بن غريبط هذا المنصب سنة 1893.

3- M.et Ed, Govion :Kitab Ayane al-Magrib l' Akça, op, cit, p,

4 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، المرجع السابق، ص. 411، كما تراجع أيضا: عكاشة، برحاب: المجال الحدودي بين المغرب والجزائر، ص. 48.

5- P. Decroux: Les Algériens Musulmans Au Maroc condition juridique et sociale, op,cit, P.4.

6- Jalila. SBAI: Trajectoire d'un homme et d'une idée: SI Kaddour Ben Ghabrit et L'islam de France 1892-1926, Hespéris-Tamuda, vol. XXXIX, OP. Cit. P. 53.

7 -Ibid, P. 53.

8 - Ibid, P. 53.

9 - يوسف، مناصري: ((تقرير السيد مصطفى الشرشالي عن البعثة الفرنسية إلى الحجاز في سبتمبر 1916))، الثقافة، ع. 89، السنة 15، ذو الحجة-محرم 1405هـ/ سبتمبر- أكتوبر 1985، موفم، الجزائر، 1985، ص-ص. 119-125. ويذكر صاحب المقال أن اسم بن غريبط ورد ضمن أعضاء القسم الدبلوماسي وعلى النحو الموالي: بن غريبت عبد القادر، ص. 123. كما أن

وللقاء شريف مكة¹ -الشريف حسين-. والتي ساهم من خلالها في تسهيل عملية الحج لأفرادها والإقامة المريحة لهذه البعثة خلال وجودها بالشرق العربي².

د- قام بعد ذلك بإعداد وتوزيع قضائي لأحكام الجبوس الإسلامية، وسنة 1917 عُيّن كرئيس لجمعية جبوس الأماكن المقدسة، ولقد استطاع بفضل تسييره الحصول على رضى الجميع³.

هـ- أوكلت له مهمة الإشراف على بناء المعهد الإسلامي ومسجد باريس، الذي تكون قد انتهت منه الأشغال في صيف سنة 1926، بفعل التبرعات والمساهمات التي جمعها بن غريبط من مسلمي شمال إفريقيا، ولتعلم أنه كان من بين المرافقين للسلطان مولاي يوسف أثناء تدشينه لهذا المسجد، بصفته رئيس التشريفات الملكية. إن جانب كل من الصدر الأعظم الحاج محمد المقرئ، والسيد محمد معمري أستاذ أنجاله الشريف⁴. ولتعلم أن بن غريبط له نص شعري مرقون باللغة الفرنسية كتبه بخصوص مسجد باريس⁵. كما قام بتأليف مسرحية باللغة الفرنسية بهذه المناسبة تحت عنوان حيلة الرجل⁶.

و- تم تعيينه سنة 1925 كوزير كامل الصلاحيات بعد أن تقلد منصب القنصل الأكبر للموسام العلوي والرئيس الأول للبروتوكول الخاص بالسلطان يوسف، وصاحب المهام الكبرى⁷.

ز- استمر في إدارة وتسيير المعهد الإسلامي بباريس من سنة 1925 إلى غاية وفاته سنة 1954⁸.

-مدينة فاس:

-سيدي حجي المقرئ: تولى وظيفة الخسبة⁹.

-الحاج عبد السلام بن الحاج المدني المقرئ (1245-1320هـ / 1830-1903م)¹⁰:

عكاشة برحاب قد أشار إلى هذا الاسم في كتابه الموسوم بالجمال الحدودي بين المغرب والجزائر: ص. 48 ورد باسم فدور بن غريبط، وفي ص. 60 ورد ذكره باسم عبد القادر بن غريبط. وعليه فالسؤال المطروح: هل بن غريبط هو شخص واحد له اسمان؟ أم هما شخصان مختلفان؟

1 -Jalila, SBAI: Trajectoire d'un homme et d'une idée: SI Kaddour Ben Ghabrit et L'Islam de France 1892-1926, Hespéris-Tamuda, vol. XXXIX, OP. Cit. P. 53

2 -M.et Ed, Govion :Kitab Ayane al-Magrib l' Akça, op, cit, p,

3 -Ibid, p.

4 -مصطفى، العلوي: المناورات الأجنبية ضد السيادة المغربية، المرجع السابق، ص. 32. ويذكر لنا بدوره نقلا عن محمد سعيد الله لائحة لأسماء الشخصيات المغربية التي رافقت السلطان مولاي يوسف وأجانه لتدشين مسجد باريس، ص-ص. 32-33.

5 -المرجع نفسه، ص. 31.

6 -محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 155.

7 - M.et Ed, Govion :Kitab Ayane al-Magrib l' Akça, op, cit, p

8 -محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 156.

9 -المرجع نفسه، ص. 338.

10 -ولد بفاس بوقت قليل بعد انتصاب عائلته المهاجرة من تلمسان بالجزائر، تعلم بجامع القرويين، تولى عدة مهام مخزنية في عهد السلطانيين الحسن وعبد العزيز، وظل على الخدمة إلى أن أُحيل على التقاعد، توفي بفاس ودفن إلى جانب أبيه -الحاج المدني-

كان في بداية الأمر بعيدا عن السياسة ولم ينظم إلى عائلة المحزون وإدارتها إلا مع بداية حكم السلطان مولاي الحسن، حيث تم تعيينه من جانب هذا السلطان بإدارة الأملاك العمومية، وكان يعتبر أول من ستر الماكنة -دار السلاح- بفاس، واستمر في هذه الوظيفة خلال حكم مولاي عبد العزيز حيث أحيل على التقاعد بسبب تدهور صحته وتراجع سنة¹.

-سيدي إدريس ابن الأمين عبد السلام المقرئ (توفي يوم 11 صفر 1375هـ): تولى خطة الخسبة بين 1330هـ و1370هـ².

-الحاج محمد المقرئ (توفي يوم الاثنين 13 صفر 1377هـ)³:

ساهم في تسيير دواليب شؤون الحكم بالدولة المغربية لعدة عقود من الزمن، تحت إشراف ملوك وسلطين المغرب وبارادتهم، وهذا ما سنتبعه في المحطات الآتية⁴:

أ- بعد عودته من المشرق العربي وأدائه لفريضة الحج؛ رجع إلى فاس وظل إلى جانب والده بدار الماكنة إلى غاية وفاة السلطان مولاي الحسن⁵.

ب- تم تعيينه أثناء فترة حكم السلطان مولاي عبد العزيز كأمين أكبر للخزينة سنة 1904، ثم وزيرا للمالية بعد ذلك بستين 1906⁶. وقد مدحه المؤرخ السليمان بقوله: «وقد حل منهم [يقصد بيت المقرئين القرشيين] في سماء الوزارة من أذخره الله لوقت صادف فترة من الأحرار ونجباء النظار أبو الطيب الأبيجد الوزير الخطير السيد

المقرئ -بزواية نورية يراجع:

Kitab Ayane al-Magrib l' Akça, op, cit, P. 258.

1 -M,et Ed, Govion :Kitab Ayane al-Magrib l' Akça, op, cit, P. 258.

2 - خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 340.

3 - وند ونشأ بربع آل المقرئ من حي أولاد سيدي عيسى بوجدة حسب بدر المقرئ في خطته، غير أن "فوفيون Govion" يرى في كتابه أعيان المغرب الأقصى ص 258: أنه ولد بفاس سنة 1277هـ / 1860م، ويذكر بشأنه أنه كان طالبا بجامعة القرويين حيث تحصل على جميع الشهادات بها، ثم انتقل نحو المشرق إلى مكة والمدينة والجامعات الكبرى، ومنذ شبابه سحره جمال المشرق واستوحى منه علوم الإسلام من مصادرها، وكان شغله الشاغل هو خدمة بلاده وضمان ازدهارها بالحصول على جميع المعارف، ثم يذكر بدر المقرئ بشأن محمد المقرئ أنه انتقل إلى فاس قبل حجة 1325هـ. وتولى بها عدة وظائف. وبقي وفيها لخدمة الإدارة المغربية حتى وافته المنية في شهر صفر 1377هـ. وإلى غاية هذه الفترة يكون قد أدى فريضة الحج ثلاث مرات، يراجع: -بدر.

المقرئ: خطط المغرب الشرقي، ص. 354. صورته سنة 1927-سنة 1937. ينظر صورته بالملحق رقم 21

M,et Ed, Govion: Kitab Ayane al-Magrib l' Akça, Tom 2, p, 258.

4 -سنعتمد أثناء حديثنا حول هذه الشخصية على الملف التاريخي الثري الذي وجدناه بـ:

-Centre des Archives Nationale au Maroc: dossier el Hadj Mohamed el Mokri.

5 -M,et Ed, Govion :Kitab Ayane al-Magrib l' Akça, op, cit, P. 258.

6-Ibid, P. 258.

ويراجع أيضا بشأن هذا التعيين لويس، فوانو: زمن "مخلات السلطانية" ص. 192.

محمد محلل الشبهات بالفكر الثاقب ومذلل الصعاب بالرأي الصائب فقام بأعبائها»¹.

ج- تم تعيينه سنة 1906 مندوب ثاني للسلطان عبد العزيز إلى جانب محمد بن العربي الطريس في مؤتمر الجزيرة المنعقد سنة 1903م. وقد تلا محمد المقرري تصريحاً للسلطان أكد فيه: «إن الجلالة الشريفة قررت بناء على رأي مستشاريها وأعيان البلاد، أن تطرح قضية الإصلاح بالمغرب وتمويله وكيفية إخضاعه لشروط لا تتناقى مع ما تنص عليه الديانة الإسلامية وتحترم التقاليد والأعراف الموروثة»².

د- تم إيفاده من طرف السلطان إلى إيطاليا للتفاوض في شأن إيجاد سبيل آخر غير فرنسا في مشاريع التسليح، وذلك نظراً للضغوطات التي مارستها فرنسا على السلطان في هذا الشأن، ويبدو ذلك من خلال سعي سفيرها بروما "بارير Barrère" لدى حكومة إيطاليا محاولاً إقناعها بالتخلي عن مشاريع التسليح التي كان "كَمبيني Campini" يتكفل بها، ولقد بعث هذا الأخير برسالة إلى الصدر الأعظم بهذا الخصوص؛ مؤرخة في شهر سبتمبر 1909م³؛ وذلك بطلب من المقرري الذي التقى به في مدينة "فيشي Vichy"، ونتيجة لطلبات الأسلحة التي قدمها المقرري نفسه بعد وصوله إلى ميلانو -مرورا بمرسيليا- حيث التقى هناك بمبعوث مخزني هو محمد بن غريبط⁴.

هـ- تم إيفاده من طرف السلطان عبد الحفيظ في سفارة إلى فرنسا في الفترة ما بين 1909-1910، وذلك على اثر انتقال الوزير الفرنسي بطنجة "أوجين رينيول" في شهر جانفي 1909 إلى مدينة فاس ليتحدث مع المخزن حول الوضع المادي بالمغرب، ولقد أشعره السلطان برغبته في إرسال وزير ماليته الحاج محمد المقرري سفيراً إلى باريس ليتباحث في هذه القضية ولتفاوض مستخدماً قرضاً⁵، وهو ما تم فعلاً حيث أرسل السلطان وفد رفيع المستوى إلى فرنسا يترأسه محمد المقرري⁶؛ الذي يكون قد أجرى سلسلة من المفاوضات مع الساسة الفرنسيين.

1 - اللسان المغرب عن ثقافت الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. 30.

2 - بمحة، سيمو: الإصلاحات العسكرية المغربية 1844-1912، المرجع السابق، ص. 168.

3-C. A, N. M: MISSION MILITAIRE ITALIANA AL MAROCCO: letter de Gavalier Campini a le grand vizir El Hadj Mohamed El Mokri . ينظر الملحق رقم 22.

4 - بمحة، سيمو: الإصلاحات العسكرية المغربية 1844-1912، المرجع السابق، ص. 238.

5 - جاك، كييلي: ((السفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا))، ترجمة عبد الطيف الخطيب، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية، ع. 6، دار كرماديس للطباعة والنشر، تطوان، 1961، ص. 183.

6 - غادرت البعثة المغربية مدينة طنجة يوم 19 ماي 1909، وكانت تتكون من: الوزير محمد المقرري، قدور بن غريبط ترجمان المفاوضات الفرنسية، وبعده من مواطنيه، وخاصة بأحد أبنائه وبكاتب، بالإضافة إلى السيد عبد الله الفاسي نائب وزير الشؤون الخارجية، وكان وصولها يوم 23 ماي فاستقبلهم "أوجين رينيول" وفي يوم 27 ماي استقبلهم رئيس الجمهورية الفرنسية "فالير" بقصر الإليزي، ولقد استغرقت المفاوضات بين الطرفين حوالي 7 أشهر، انتهت بتوقيع الوزير الفرنسي "ستيفان بيشون" والوزير المغربي على اتفاق مبدئي يوم 25 ديسمبر 1909، ثم أمضيا تعديلاً يوم 14 جانفي 1910، على شرط أن يصادق السلطان عليه، ولم يصل التصديق يوم 21 فيفري إلا بعد مشقة، وخلص المقرري في الأخير إلى إبرام عقد بقرض مع البنك المخزني المغربي يوم 13 ماي 1910. ثم استمر وجود المقرري بباريس إلى ما بعد دخول السنة التالية، ولقد كانت مهمته أهم المهمات المسندة إلى جميع

الذين من بينهم رئيس مجلس الوزراء "بول دلكاسي"¹، وبعد مرور عدة أشهر كلفه السلطان بمهمة في مدريد لدى مجلس الملك الإسباني حيث تناقش مع رئيس الحكومة "كاناليحاس"².

و- في سنة 1911 تم تعيينه رسميا بمثابة الصدر الأعظم "le Grand- vizir EL Mokri"³، ولقد استمر في هذا المنصب إلى غاية سنة 1913 حيث قام الجنرال "ليوتي Lyautey" بعزله وتعيين محمد الكياص/الخيلاس خلفا له. وفي ظل هذه الفترة يكون المقرري قد قام بنشاط إداري كبير جدا على الصعيدين الداخلي والخارجي⁴.

ز- في سنة 1917 تم تعيين المقرري من جديد في منصب الصدر الأعظم، واستمر في هذا المنصب حتى فجر الاستقلال⁵، ليصبح مجموع ما تولاه من سنوات في هذا المنصب يقارب مدة 40 سنة⁶. ولقد ساهم إلى حد ما في ربط علاقات تجارية للمغرب مع تونس⁷، علاقات توجت بتوصل الصدر الأعظم من باي تونس محمد الناصر باشا على نيشان الافتخار سنة 1918⁸ ومع مصر⁹، كما ربط اتصالات للمغرب بالعديد من الدول الأوروبية كسويسرا وبلجيكا وإيطاليا، التي يكون قد زارها خلال الأشهر الآتية: ماي، وجويلية، وسبتمبر 1921، ويبدو ذلك من خلال جواز السفر الدبلوماسي الذي كان بحوزته¹⁰، ويذكر "قوفيون" بخصوص هذه العائلة أنها ظلت متحالفة مع أهم عائلات المخزن وأما كانت المرشد لها، ولأبناء السلطان مولاي عبد الحفيظ الذي يكون قد تزوج من أحد بنات هذه العائلة¹¹.

- الحاج حماد ابن الحاج محمد المقرري (توفي يوم السبت فاتح رجب 1394م): تولى وظيفة باشا مدينة فاس بين 1910-1912¹².

السفارات المغربية التي قدمت إلى فرنسا منذ القرن 17م. يراجع: جاك، كيلي: ((السفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا))، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية، ع. 6، ص-ص. 190-194 والمغرب في مواجهة التحديات الخارجية، ص-ص. 115-116، مهيحة، سيمو: الإصلاحات العسكرية في المغرب 1844-1912، ص-ص. 243-245.

1 -Govion, Marthe et Edmond: Kitab Ayane al-Magrib l' Akça, op, cit, P. 258.

2 -Ibid, P. 258.

3 -Ibid, P. 258.

4-Abdallah, Laroui: Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830-1912), op-cit, P. 406.

5 - محمد، مونيبي: الظهير البربري "أكبر أكذوبة سياسية في المغرب المعاصر"، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط. 2002. ص. 67.

6 - بدر، المقرري: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 340.

7 -C. A. N. M: Mohamed El -Béji El- Mebazaa Tunis, ينظر الملحق رقم 23.

8 -C. A. N. M: 24 ينظر الملحق رقم 24. ينظر الصدر الأعظم من باي تونس.

9-C. A. N. M: letter El-HAGI-ABD-EL SALAM BEN MOHAMED BEN CHAGROUN. EGYPTE. ينظر الملحق رقم 25.

10 -C. A. N. M: 26 ينظر الملحق رقم 26.

11 -Kitab Ayane al-Magrib l' Akça, op, cit, P. 258.

12 -Abdallah, Laroui: Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830-1912),

-الطيب المقرئ: تولى منصب وزير المالية سنة 1911 مكان شقيقه محمد المقرئ الذي أصبح صدرا أعظما.
-محمد بن منصور التلمساني:

تولى نظارة الأحباس بفاس العليا، وهذا ما يشير إليه الظهير السلطاني المؤرخ في فاتح شعبان 1329هـ: «وما جاء فيه بهذا الخصوص: «يعلم من كتابنا هذا أسماء الله وأعز أمره أننا بحول الله وقوته وشامل بمنه ومته رشحنا ماسكه السيد محمد بن منصور التلمساني للتكليف ناظرا ثانيا بأحباس فاس العليا، وعندي في ذلك (كذا) بتقوى الله ومراقبته في سره وعلايته، فنامر الناظر الحالي بقبوله لذلك (كذا) وتمكينه من المتصرف معه يد واحدة»¹.

-مدينة الدار البيضاء:

1-الطيب المقرئ ابن الحاج محمد المقرئ (توفي يوم الأربعاء 17 محرم 1369هـ): تولى عدة مناصب في الدولة المغربية من بينها:

أ-منصب وزارة المالية في عهد السلطان عبد الحفيظ، وقد ذكره أبو عبد الله السليماني في قوله: «أما أبحال هذا الوزير [يقصد محمد المقرئ] والشهم الذي ليس له نظير فالنجوم الزواهر والسيوف البواتر، منهم الخمام الأجنب ناظر المالية السيد الطيب أيد الله مجدهم وأعلى كفتهم»².
ب-منصب باشا بالدار البيضاء³.

2-عبد الواحد بن محمد المقرئ: تولى منصب باشا علي مدينة الدار البيضاء بعد عودة أبيه إلى الصدرة العظمى سنة 1917⁴.

3-الحاج الطاهر ابن محمد المقرئ: تولى منصب أمين الجمارك بالدار البيضاء⁵.

4-الحاج المختار ابن محمد المقرئ: تولى منصب باشا سابق في مدينة طنجة، ثم تولى منصب أمين الديوانة⁶.

5-سي التهامي ابن محمد المقرئ:

مهندس ومفتش زراعي مكلف بالتوجيه والإرشاد في هذا القطاع الحيوي، كان طالبا بجامعة آسان جوزيف" بيروت، وطالب سابق بثانوية مرسيليا والمدرسة الوطنية للزراعة بمونبيليه⁷.

op-cit. P. 406. Govion, Marthe et Edmond: Kitab Ayane al-Magrib l' Akça, P. 259.

1 - م. و. م. ر: ظهير سلطاني بشأن تعيين السيد محمد بن منصور التلمساني ناظرا ثانيا بأحباس فاس العليا، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 14298.

2 - اللسان المغرب عن مقالات الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. 31.

3 - بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 340.

4 - محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 153.

5 -M,et Ed, Govion :Kitab Ayane al-Magrib l' Akça, op, cit, P. 259.

6 -Ibid, P. 259.

7 -Ibid, P. 259.

-مدينة الرباط:

-محمد معمري الزواوي:

بعد التحاقه بالمغرب سنة 1908 في إطار البعثة الفرنسية لتدريس اللغة الفرنسية، يكون قد قام في نفس السنة بتأسيس المدرسة الفرنسية العربية، كما قام بإدارتها حتى فاتح ذي القعدة 1330هـ/ 12 أكتوبر 1912م¹. ومن بين المهام التي أسندت إليه بعد ذلك:

أ-كُلف بعد المهمة السالفة الذكر بمهمة أمين مترجم بالإقامة العامة، كما كلف بالتنسيق الإداري بين المخزن والحماية الفرنسية².

ب-عُين في 7 محرم 1334هـ/ 15 نوفمبر 1915م زيادة على وظيفة الترجمة بتعليم اللغة الفرنسية لأجنال السلطان مولاي يوسف، ومن بين هؤلاء نجله محمد الخامس³.

ج-نائب مدير للبروتوكول والقنصلية للإمبراطورية الشريفة⁴.

د-بعدما تربع السلطان محمد الخامس على العرش العلوي يوم 23 جمادى الأولى 1346هـ/ 18 نوفمبر 1927، عينه رئيس ديوانه الخاص ومكلف بشؤون قائمته المدنية وعائلته الملكية ومصالح القصور المولوية مع النيابة عن مدير التشريعات والأوسمة⁵.

هـ-على اثر التغيير الذي حدث في ديوان الملك محمد الخامس سنة 1370هـ/ 1950م، يكون قد تم تعيينه وزير لمصالح القصور والتشريعات مع النيابة عن وزير الأوسمة. وعندما أُبعد السلطان محمد الخامس عن العرش في 9 ذي الحجة 1372هـ/ 20 أوت 1953م استعفى محمد معمري الزواوي من الوظيفة ولحق بالجزائر حيث مكث محالا على المعاش عامين كاملين⁶. وطيلة مدة نفي الملك كان المعمري شديد النقد والمعارضة لسياسة النفي التي تعرض لها الملك.

و-بعد عودة الملك محمد الخامس إلى العرش المغربي في 30 ربيع الأول 1374هـ/ 16 أكتوبر 1955م، استصحبه معه إلى المغرب وعينه في وظيفته القديم وزير لمصالح القصور والتشريعات والأوسمة⁷.

1 -محمد معمري، الزواوي: حسن الوفاء لآل البيت النبوي، في مآثر ملوك العرش العلوي، المصدر السابق، ص. يد.

2 -M,et Ed, Govion : Kitab Ayane al-Magrib l' Akça, op, cit, P. 258. ينظر صورته بالملحق رقم 27.

3 -أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 3، المرجع السابق، ص. 57.

4 -M,et Ed, Govion :Kitab Ayane al-Magrib l' Akça, op, cit, P. 258.

5 -محمد معمري، الزواوي: حسن الوفاء لآل البيت النبوي، في مآثر ملوك العرش العلوي، المصدر السابق، ص. به. يراجع

أيضا: - Kitab Ayane al-Magrib l' Akça, Tom, 2, P. 258

6 -المصدر نفسه، ص. به.

7 -المصدر نفسه، ص. به.

وبخصوص هذا الفقيه فلقد حدثني عنه مورخ المملكة المغربية عبد الوهاب بن منصور¹ أثناء اللقاء الذي جمعي معه يوم 10 جويلية 2006 بمكتبه بمقر مديرية الوثائق الملكية بالرباط في الساعة 11 صباحا؛ فبعد أن أشاد بدوره الفعال في تسيير دواليب الإدارة المغربية، إلى جانب ثلة من إخوانه الجزائريين كعبد القادر الخلافي مثلا الذي قال عنه أنه رجل فاضل وطيب.. الخ، ذكر لي أنه في أواخر أيام حياته طلب المعمرى من الملك الحسن الثاني السماح له بالعودة إلى الجزائر مسقط رأسه- تيزي وزو حاليا- فرفض الملك طلبه.

وعلى اثر ذلك مباشرة قال له قولة مشهورة: «أنا مثلي مثل الفيلة إذا دنا أجلها راحت وحدها إلى الخارة وألقت بنفسها وماتت»². ويذكر بن منصور أن الملك طلب منه البقاء بل الخ عليه كثيرا، غير أن الفقيه المعمرى غادر المغرب باتجاه الجزائر واستقر به المقام في الجزائر العاصمة. ويذكر محدثي دائما أنه جاء إلى الجزائر ضمن وفد مغربي لزيارة هذا الفقيه في بيته، وتناولوا وجبة الغذاء عنده³.

وبعد وفاة المعمرى بالجزائر أرسل الملك الحسن وفد رفيع المستوى لحضور مراسم الجنازة، وتقديم التعازي لأسرته، وكان على رأس هذا الوفد أحمد بركاش/ بركاش، وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية⁴.

ولا ننسى أن نذكر في الأخير دور عائلة أولاد بوعلو في هذا القطاع، ومن أمثلة ذلك نجد أن السيد عبد الرحمان بوعلو الذي كان أمين الخرص⁵ المخزني أيام مولاي عبد الرحمان، وأن والده الحاج محمد كان كذلك أيام سيدي محمد ومولاي الحسن، وأن السيد بوعلو كان أبا المواريث⁶ بسلا إلى عهد قريب من فترة تأليف المحفظة لحياة

1- يحدر عبد الوهاب بن منصور من عائلة ذات أصول جزائرية، وهو يعد من علماء المغرب ومتفقيه، تلقى تعليمه الأول بمدينة فاس، وبها نشأ وتعلم؛ انتقل في فترة من فترات الاستعمار الفرنسي إلى الجزائر، وكان له شرف اللقاء مع الشيخ السنيير الإبراهيمي، الذي تلقى عنه ما أكمل به ثقافته؛ ويكون قد ساهم بقلمه في الموضوعات التي كانت تنشر على أعمدة جريدة الصائر، وبعد عودته إلى المغرب اشتغل بالكتابة والتحرير، خاصة بعد عمله بالديوان الملكي وإحرازه على لقب مؤرخ المنكة، له مؤلفات عديدة من بينها: قبائل المغرب، كما حقق ودرس العديد من الكتب والمخطوطات، مثل: جني زهرة الأس في بناء مدينة فاس لأبي الحسن الخرنائي، وتقديمه للرسائل الخمس الموجهة إلى السلطان المولى إسماعيل بن الشريف إلى ابنه وخليفته الأمير المولى المؤمن، وتخليقه لكتاب اختصار الأخبار عما كان يتفر ستة من سني الآثار.. الخ، وهو لا يزال على قيد الحياة ويشغل منصب مدير مديرية الوثائق الملكية بالمغرب، هذا إلى جانب مرافقته للملك في جمل رحلاته خاصة الخارجية منها. يراجع: عبد الله ابن عباس، الجزائري: التأليف والمصنعة بالمغرب، ص-ص. 417-419.

2- عبد الوهاب بن منصور: الفقيه محمد معمرى الزواوي، رواية شفوية، مقر مديرية الوثائق الملكية، الرباط. يوم 10 جويلية 2006، من الساعة 11 صباحا على منتصف النهار.

3- المصدر نفسه.

4- المصدر نفسه.

5- حاب من أهل الخيرة الفلاحية، كان المخزن يستعين به في تقدير الزكوات والأعشار الواجبة على الفلاحين.

6- أبو المواريث: هو الذي يتولى استيفاء نصيب المخزن من تركات من مات وليس له ورثة، فيضم أبو المواريث عقارات الميت إلى أملاك المخزن ويبيع غيرها من المتاع.

المريحي لكتابها.

-مدينة تطوان:

-الحاج محمد التلمساني:

تولى وظيفة مقدم المخازنية، ونلمس ذلك من خلال مضمون الرسالة التي بعث بها النائب محمد بركاش بطنجة إلى القائد محمد بن أحمد الحضرة السلاوي -قائد تطوان- بشأن مشاكل بعض الجناليات الأجنبية بالمغرب، حول خلاف وقع بين الحرس المغربي بشاطئ مرتيل وبعض الإنجليز الواردين من جبل طارق، والمؤرخة في 20 شوال 1299هـ، ومما جاء فيها بخصوص هذا المقدم: «فلما وصلوا لدار مرتيل حصرهم الحاج محمد التلمساني مقدم المخازنية، وبعد المشقة والرغبة سرحهم وبعث لعسة الدويسات وأمرها بتثقيفهم...وحين تكلم الخليفة المذكور مع أمين دار مرتيل في ذلك، قدم عليه التلمساني المذكور، وقال له: إنه مأمور من عندك بما فعل، وتجاوز عليه بكلام غير لائق...ولم تتعرض له في شأن ما صدر من التلمساني من الجسارة عليه...وبأنه حيث صدر من التلمساني المذكور ما صدر من الجسارة فأنت لم تقبل ذلك ولم ترضه، وبأنك بصدد التوجيه عليه وتوبيخه وعتابه ونوجيهه لطلب المسامحة منه».

الفصل الثاني

دورهم الثقافي

- التعليم والتدريس
- حركة التأليف
- حركة الترجمة
- الصحافة
- الإمامة والخطابة
- الفنون التشكيلية والمسرح والموسيقى

2- الدور الثقافي:

لقد ساهم المهاجرون الجزائريون بمختلف شرائحهم في تنشيط الحركة الثقافية بالمغرب، حركة شملت مختلف جوانب الحياة الثقافية، وتخلت بالخصوص في حركة التعليم والتدريس، والتأليف، والترجمة، والإمامة، والخطابة، والإفتاء... الخ. وهذه الأدوار التي ستقف عليها تُفند بعض المزاعم التي يرى بعض أصحابها - قدور الورطاسي مثلاً¹ - في أن: «فرنسا هي من كانت وراء بث المثقفين الجزائريين بالمغرب لتنفيذ الخطة الاستعمارية التحضيرية أينما وطأت قدمها، وترسيمهم في القطاعات المهمة غير التعليم كقطاع الصحافة»²، وهذه النظرة غير العقلانية والضيقة سينكشف عنها الغطاء ويسقط عنها القناع من خلال إبرازنا لمختلف جوانب النشاطات الثقافية هؤلاء المهاجرين على النحو الآتي:

أ- التعليم والتدريس:

لقد شملت حركة التعليم والتدريس عدة مستويات بالمغرب، كما جمعت بين التدريس والتعليم في المدارس والجموع والمساجد والزوايا، وفي مختلف المدن المغربية كالرباط، وفاس، وتطوان، ومراكش، ومكناس، وطنجة... الخ. وسنحاول في هذا العنصر تتبع نشاط المعلمين والمدرسين من العلماء والفقهاء الأجلاء حسب تاريخ تنصيبهم أو ممارستهم لمهامهم وفق التسلسل الزمني الآتي:

1- محمد بن سعد التلمساني:

بعد هجرته نحو المغرب في حدود سنة 1843 نحو فاس؛ وبعد فترة من الزمن قضاها بهذه المدينة، ونظراً لضيق المعيشة بما يكون قد انتقل إلى مدينة تازة حيث استقر بها مدة قام خلالها بالتدريس والإفتاء³.

2- عبد الله السقاط:

على اثر هجرته نحو المغرب بعد سقوط زمالة الأمير عبد القادر سنة 1843؛ يكون قد تولى تدريس صحيح البخاري، ولقد كان السلطان عبد الرحمان ابن هشام يحضر مجلسه في ذلك، ومن بين الذين أجازهم: أحمد الأزدي، وعلي الشنّادي⁴.

1 - من مواليد زاوية ورطاس قرب أبركان سنة 1912، حفظ القرآن الكريم دون العقد الأول، تلقى تعليمه بمعهد وحدة وجامعة القرويين، ناضل في صفوف الحركة الوطنية المغربية، سجن ونفي لمدة سبع سنوات، قام بعدة نشاطات منها: كاتب فرخ حرب الاستقلال بأبركان، كاتب عام لشرق المغرب، كاتب عام للجنة الإدارية المركزية للحزب، مفتش للحزب بمراكش... الخ، له مؤلفات عدة من بينها: بنو يزناسن عبر الكفاح الوطني، حياة مصطفى المشرفي، حياة محمد بن منصور، معالم من تاريخ وحدة... الخ. يراجع: قدور، الورطاسي: معالم من تاريخ وحدة، صفحة الغلاف الخارجي، التأليف وقضته بالمغرب في القرن العشرين، ص-ص. 437-438.

2 - قدور، الورطاسي: المطرب في تاريخ شرق المغرب من عهد الكاهنة "داها" الجراوية الزناتية إلى سنة 1956، ج. 2، ط.

1، مطبعة الرسالة، الرباط، 1985، ص.7.

3 - أبي عبد الله جعفر ابن إدريس، الكتاني: سلوة الأنفاس، ج. 1، المصدر السابق، ص-ص. 97-98.

4 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 7، المرجع السابق، ص. 42.

3- محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمان الجحاوي: تولى خطة التدريس بجامعة القرويين بفاس¹.

4- قاضي المواريث بالجزائر:

لم يوضح لنا الظهير السلطاني الذي اطلعنا عليه، لا عن اسم هذا القاضي ولا عن اسم ولده النجيب الذي كان يرفقته؛ ولقد تضمن هذا الظهير التشجيع على الطلب والزيادة في العلم، وترغيب ابنه عنى تدريس العلم ونشره بالمغرب، ومما جاء في هذا الظهير المؤرخ في متم شعبان 1254هـ، إلى القائد محمد أشعاش، هذا الخصوص: «وبعد، فقد بلغنا أن فقيها هناك جزيريا (كذا) كان قاضي المواريث بالجزائر (كذا) وله ولد نجيب قد حفظ الأمهات كلها مع صغر سنه، وله مشاركة في العلوم وخبرة في المسائل... فبوصول كتابنا هذا إليك، رتب له ستين أوقية في كل شهر من مستفاد الأوقاف هناك ليستعين بها على الزيادة في الطلب والنشاط فيه، ورغب والده في تدريس العلم ونشره إن قدر على شيء من غير جبر عليه»².

5- الفقيه عبد القادر بن محيي الدين³:

تولى تدريس المختصر للناشئة المغربية، ونلمس ذلك من خلال نص الظهير الذي كتبه السلطان عبد الرحمان إلى الفقيه القاضي مولاي عبد الهادي، والمؤرخ في شهر رمضان 1262هـ، ومما جاء فيه بخصوص هذا العام: «وبعد فإن الفقيه عبد القادر بن محمد الذي كان قاضيا عند الحاج عبد القادر وهاجر، ذكر أن له ملكة عنى تدريس المختصر، فإن قام بذلك فأجعل له ما لأمثاله فإن قيمة الإنسان ما يحسنه»⁴.

6- أبو حامد العربي المشرفي: لم يخض العربي المشرفي كغيره من المهاجرين الجزائريين الأشراف بمزيد من الاهتمام والتوقير والاحترام لدى المخزن، ولذلك وبعد عودته من الحج سنة 1849 يكون قد تم تعيينه في منصب من الدرجة الثانية أقل من شأنه، وهو منصب تدريس الصبيان؛ عكس أقرانه الذين عينوا كمدرسين في مناصب من الدرجة الأولى في جامع القرويين وغيره، وعليه فإن هذا المنصب لم يكن يتماشى مع مستواه العلمي وطموحاته، وهذا ما عبر عنه بامتعاض في الأبيات الشعرية الآتية⁵:

وكنا أهل ثروة في القوم ولنا شأننا عاليا في السوم
لنا أصول وعقار ولنا جاه زانه وقار
وهجرنا العقار والوقارا وتركنا الحائط والجدارا
وفررنا بالدين نحو المسلمين ونبذنا السكنى من بر الحرمين

1 - أبو القاسم محمد، الجحاوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، المصدر السابق، ص. 287.

2 - م. و. م. ر: رسالة من السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى محمد أشعاش بشأن قاضي المواريث الجزائري، دورية الوثائق الملكية، مج. 8، المصدر السابق، ص. 315.

3 - كان قاضيا عند الأمير عبد القادر قبل هجرته نحو المغرب.

4 - م. و. م. ر: رسالة من السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى القاضي مولاي عبد الهادي بشأن الفقيه عبد القادر بن محمد الجزائري، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 18872.

5 - العربي، المشرفي: أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، تحقيق، الحسين الفرقان، المصدر السابق، ص. 49.

- وجئنا واستوطنا أرض فاس ❁ حمدنا الله بلا قياس
فمرحبا بالفقر فخر الأنبيسا ❁ ولكن ضربنا لسان الأغبيسا
لمضنا نسعوا في جماع القوت ❁ وربما نكسوا أهل البيت
فيرز الأمر السذي أقول ❁ بعد التحريب يحسن المقول.

ومع مرور فترة من الزمن قضاها في مهنته هذه، يكون المشرفي قد نجح في الحصول على ظهير سلطاني أصدره السلطان سيدي محمد بشأنه، ويتعلق بنقل المشرفي إلى التدريس في مدينة القصر الكبير التي قضى بها مدة سنتين، غير أنه لم يتحصل على المنصب الذي كان قد طلبه؛ وهو بمدرس نظارة مكناس¹.

7- عبد القادر بن محمد الراشدي:

بعد أن استقر به المقام في مدينة مراكش، أسندت له خطة القضاء؛ غير أن هذا المنصب لم يمنعه من تولي وظيفة التدريس بجامع القرويين بفاس².

8- سيدي محمد بن الهاشمي المقرئ (ت 1399هـ)³:

كان له في سنة 1330هـ مكتبا خاصا لتعليم مبادئ الكتابة والقراءة وتحفيظ القرآن الكريم؛ في جامع المخزن بربع أهل اللحام من مدينة وجدة، وكانت مجالس التعليم عنده تتكون في حدها الأدنى من 50 طالب متعلم⁴.

9- الحاج محمد بن محمد الأكلح المقرئ (ت 1285هـ):

إلى جانب توليه منصب الإفتاء، فإنه كان يقوم بإلقاء المواعظ بمسجد القرويين، ويقرأ رسالة ابن أبي زيد فيما بين العشاين، وكانت العامة تحضر مجالسه وتنتفع به⁵.

10- سيدي المصطفى بن عبد القادر بن الطيب العريسي:

رغم وظيفة الكتابة التي أسندت له سنة 1307هـ؛ فإن هذا لم يمنعه من حمل لواء التدريس والقراءة بمدينة وجدة، ولقد كان راتبه الشهري الذي يتقاضاه عن هذه الوظيفة يقدر سنة 1310هـ بـ 50 أوقية⁶.

11- السيد محمد بن الحبيب الملقب بالضرير أو لكيف:

1 - محمد السعيد، فاصري: « أبو حامد العربي المشرفي وتراثه المخطوط بالمغرب »، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، ع. 23، المرجع السابق، ص. 240.

2 - الزباني: الترجمة الكبرى، المصدر السابق، ص-ص. 153-159.

3 - هو الفقيه سيدي محمد بن الهاشمي بن الهاشمي بن أحمد المقرئ، التلمساني أصلا والوجداني دارا، ولد في سنة 1293هـ. تراجع: بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، ص. 176.

4 - بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 176.

5 - أبي عبد الله جعفر بن إدريس الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقر من العلماء والصلحاء بفاس، ج. 3، المصدر السابق، ص-ص. 30-39.

6- بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 89.

تولى إلقاء بعض الدروس برحاب المسجد الكبير بوجدة لشرح الأحاديث النبوية الشريفة، إلى جانب إلقاء بعض الدروس في الوعظ والإرشاد، وقد وقعت له حادثة غريبة مع طلبته عندما فاجأهم بتناوله لأحد المؤلفات في علم الفلك للعالم "لابلاص" في جزئه المترجم من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية، فبعد أن فرغ أحد تلامذته من تلاوة النص المترجم خاطبه أحد تلامذته بالقول: يا شرير، هذا علم الشيطان لا علم الرحمان!!!، ولقد كان لهذا الحادثة أثر عميق في نفسه، وهو ما دفع به إلى الانسحاب من التدريس نهائياً، رغم أن السلطان مولاي عبد الحفيظ ثبته في منصبه وأثنى عليه في رسالة بقيت عند السيد بن عبد الله، ابن أخيه القاضي الحاج العربي¹.

12- الحاج أحمد بن الحبيب:

هو شقيق محمد بن الحبيب، كان يلقي الدروس بجامعة عقبة بوجدة، ولقد اكتسب شهرة كبيرة في تلقين المواد الأساسية من فقه الشيخ خليل والألفية والأجرومية، وهناك رسالة ملكية لناضر الأحباس بوجدة مؤرخة في 17 شعبان 1312هـ / 13 فيفري 1895م، مفادها أن أحمد بن الحبيب طلب تنفيذ مشاهرة له على تدرسه العلم الشريف بالحاضرة الوجدية، ولقد تم فعلاً تنفيذ هذه المشاهرة لإعانتته على المواضبة في عمله²، وبوفاته في سنة 1938 يكون قد ترك ولداً له، وهو السي سعيد الذي اندرج هو الآخر في سلك المعلمين³.

13- الحاج العربي بن الحبيب: كان مرجعاً حياً وزائراً في تدريس صحيح البخاري ومدن الألفية⁴.

14- سيدي عبد الله بن عبد الغريسي:

كان له باعاً كبيراً في علوم اللغة العربية وفي حفظ المختصر، درس ومارس واعتكف على المطالعة، فكان له ذهن وقاد وفهم ثاقب يغوص به على المعاني الدقيقة⁵.

15- سيدي محمد بن عيسى المستغامي:

لقد حلته بعض تقاييد علماء حاضرة وجدة بالشيخ الفقيه العلامة المدرس، وتدل رسالة وجهها إلى السلطان -حسب بدر المقرئ- في 26 ربيع الأول 1310هـ؛ إنه كان مع ولدي أخيه: سيدي محمد وسيدي العربي حمالين للواء تدريس العلم في الحاضرة الوجدية⁶.

16- سيدي الحاج محمد بن الحسين المعسكري الضريز:

هو أخو العلامة سيدي محمد بن عيسى لأمه، كان رحمه الله الأخرى في ميدان تدريس الفقه وعلوم العربية في أواخر القرن 13هـ / 19م، وابتدأ القرن 14هـ / 20م⁷.

1 - عبد الحميد، إسماعيلي: «علماء المهجر بمدينة وجدة في القرن 19»، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن 19، المرجع السابق، ص. 74.

2 - المرجع نفسه، ص. 75.

3 - المرجع نفسه، ص. 76.

4 - المرجع نفسه، ص. 76.

5 - بدر، المقرئ: حطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 98.

6 - المرجع نفسه، ص. 59.

7 - المرجع نفسه، ص. 60.

17- سيدي محمد بن باص التلمساني:

كان له قسطا كبيرا في علوم اللغة العربية وآدابها، وحسب تعبير بدر المقرئ فإنه سُومَ سيما الباع الممدود في اللغة والنحو والأدب، ولقد ذاع صيته وعلا شأنه عندما دخل غمار تدريس الأدب وعلوم الآلة في الجامع الأعظم منذ سنة 1340هـ، هذا إلى جانب تدريسه ألفية ابن مالك مع بداية سنة 1348هـ بشرح المكودي في المعهد الملحق بالجامع الأعظم بوحدة¹.

19- سيدي الحبيب المهاجي²:

تولى عدة مناصب في التعليم والتدريس يمكن تتبعها على النحو الآتي³:

- تم تعيينه أستاذا لتدريس اللغة العربية بمدرسة أبناء الأعيان بدرب بني عدس من حومة رأس الجنان بفاس في سنة 1348هـ.

- تم تعيينه أستاذا بنظام كلية القرويين العامرة من الدرجة الثالثة، حيث أسندت إليه دراسة فن التصريف بالقسم الابتدائي في شهر ذي الحجة 1354هـ.

- تم ترقيته إلى الدرجة الثانية، ثم سمي مراقبا للحضور بنفس الكلية، ثم أستاذا بها بالقسم النهائي الأدبي لدراسة الفقه والتفسير.

- تم تعيينه عضوا بالمجلس العلمي لجامعة القرويين في 18 جمادى الثانية 1373هـ، ثم رُدَّ للتدريس بالنهائي الأدبي في يوم الخميس 21 جمادى الأولى 1375هـ.

- تم تعيينه بعد هذا أستاذا للحديث بكلية الشريعة تابعة لجامعة القرويين، ثم وُلِّي الإفتاء بها فيما بعد. ونقد ظل قائم برسالاته العلمية إلى أن وافته المنية يوم الأربعاء 26 ربيع الأول 1384هـ؛ على اثر مرض عضال. وتم دفنه بالروضة المعدة لدفن الحالية الجزائرية والمقابلة لضريح سيدي علي بن حرزهم خارج باب الفتوح⁴.

1 - بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 86.

2 - هو الشريف سيدي الحبيب بن أحمد ابن العلامة الصالح المدرس سيدي محمد بن الخطير الإداريسي المهاجي، نسيه إلى مهاجرة من أعمال معسكر بالجزائر؛ هاجر جده المذكور من معسكر نحو المغرب، واستقر به انقام بمدينة فاس بدرب تريبال بعقبة ابن صوال، وبمدينة فاس ولد سيدي الحبيب في سنة 1318هـ، وعندما وصل سن التمييز التحق بالكتاب لتعلم مبادئ الكتابة وحفظ القرآن، وذلك بالسيد المزوق المقابل لمسجد ابن الباص برحلة الزيب حي رأس الجنان، فتتمذ أثناءها على شيخه الفقيه الأستاذ الحمزاوي سيدي أحمد بن عامر البرنوسي الزروقي، ثم بعد نجاحه في هذه المرحلة من التعليم التحق بمسجد القرويين في حدود سنة 1333هـ، حيث قرأ به على عدة شيوخ، وكان انتهائه من التلقي والدراسة في حدود سنة 1347هـ، فأصبح يقوم بدروس تطوعية بجامع القرويين. يراجع: محمد ابن الفاطمي، السلمي: إتحاف ذوي العلم والرسوخ بتراجم من أخذت عنه من الشيوخ، ص-ص. 61-63،

3 - محمد ابن الفاطمي ابن الحاج، السلمي: إتحاف ذوي العلم والرسوخ بتراجم من أخذت عنه من الشيوخ، دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1398هـ/ 1978م، ص-ص. 63-64.

4 - المرجع نفسه، ص. 64.

20- عبد القادر الخلاّدي:

بعدها تحصل الخلاّدي على شهادة الدروس الثانوية الإسلامية من معهد إدارة العلوم والمعارف والفنون الجميلة والآثار القديمة بالرباط في شهر فيفري 1926¹؛ كان أول منصب شغله هو معلم بمدينة طنجة في شهر أكتوبر 1926، ثم نُقل بنفس الصفة إلى مدينة تازة في شهر أكتوبر 1928، حيث استقر بها حتى شهر جوان 1930، وفي أكتوبر من نفس السنة عُيّن معلم بالأقسام الابتدائية التابعة لثانوية مولاي يوسف بالرباط². وأثناء مسيرته التعليمية لم يتوقف عن دراسته فتابع تكوينه العلمي والتربوي؛ وحصل على عدة شهادات علمية وتقديرية من بينها:

- دبلوم اللغة العربية (D.A.C) من معهد الدراسات المغربية العليا بالرباط سنة 1931.

- الإجازة في الأدب العربي من كلية الآداب بهران بالجزائر في ما بين سنتي 1934-1936.

وبعد ذلك عُيّن أستاذ للتعليم الثانوي في ثانوية مولاي يوسف لتدريس الأدب العربي والترجمة حيث درس على يده كثير من الأجيال ممن اشتهر اليوم في مجال الثقافة المغربية، وكان في الوقت نفسه يدرس اللغة العربية والترجمة في معهد الدراسات المغربية العليا ومركز تكوين المعلمين بالرباط؛ واستمر في هذا المنصب إلى سنة 1956 حيث عين مفتش للغة العربية حتى شهر جوان 1972 فأحيل على المعاش، بعد أن قضى في مهنة التعليم والتأطير التربوي زهاء 47 سنة³. وبعد تقاعده كُلف بمهمة إلى جوار السيد عبد الوهاب بنمنصور مورخ المملكة ومحافظ الضريح الملكي بالرباط، واستمر في هذه المهمة إلى أن وافته المنية يوم 17 جمادى الأولى 1397هـ/ 5 جوان 1977⁴.

21- محمد معمري الزواوي:

بمجرد وصوله إلى مدينة الرباط يوم الجمعة 6 ربيع الثاني 1326هـ/ 8 ماي 1908م، لم يتوان في تأسيس المدرسة العربية الفرنسية بالرباط؛ وعمل على ادراجها إلى غاية 1 ذي القعدة 1330هـ/ 12 أكتوبر 1912م؛ حيث عُيّن ترجمان مكلف بوظائف الكتابة المنوط بها حفظ الأوراق بالصدارة العظمى بالمخزن الشريف، ومكلف بالوساطة الإدارية بين السفارة الفرنسية والصدارة العظمى⁵.

1 - ينظر الشهادة المتحصل عليها بالملحق رقم 28.

2 - عمر، أفا: عبد القادر الخلاّدي الجزائري، مقابلة، 11/02/2005، قاعة الاستقبال، بجامعة محمد الخامس بالرباط.

3 - عمر، أفا: معلمة المغرب، المرجع السابق، مج. 11، ص. 3801.

4 - عمر، أفا: عبد القادر الخلاّدي، مقابلة، في 11/02/2005، قاعة الاستقبال، جامعة محمد الخامس بالرباط.

5- محمد معمري، الزواوي: حسن الوفاء لآل البيت النبوي في مآثر ملوك العرض العلوي، المطبعة الملكية، الرباط، 1384هـ/ 1964م، ص-ص. يد-4.

وفي 7 محرم 1334هـ / 15 نوفمبر 1915، وزيادة على وظيفته تم تكليفه بتعليم اللغة الفرنسية لأبنائ السلطان مولاي يوسف، والذين كان من بينهم نجله محمد الخامس¹. وبعد اعتلاء هذا الأخير العرش العلوي يكون المعمري قد تقلد عدة مناصب في البلاط الملكي، وهذا ما سنتحدث عنه في الجانب الإداري.

22- محمد بن العربي الشرقي (ت 1363هـ / 1943م): ينحدر هذا العلامة من عائلة آشرقي، ولقد كان يُعد من بين علماء جامع القرويين².

23- السيد خليل ابن صالح المريراني:

ينحدر من بيت الخالدين الشرفاء الحسينيين المعسكريين، كان له مجلس درس بجامع القرويين، كما كان له اهتمام بعلم العربية خصوصاً ألفية ابن مالك؛ مع فصاحة لسان وجودة عبارة³. هذا إلى جانب الفقيه والمدرس والشاعر والكاتب السيد محمد فتح النميثي، الذي ينحدر من بيت النميثيين المعسكريين⁴. ولا ننسى في الأخير عبد الرحمان المجاهي الفقيه الأصولي الذي هاجر نحو المغرب، واستقر به المقام بمدينة فاس، وكان له بعض النشاط العلمي والفكري⁵.

ب- حركة التأليف:

لقد ساهمت النخبة الجزائرية التي هاجرت نحو المغرب في تفعيل هذه الحركة، ونلمس ذلك من خلال الكم الهائل من المؤلفات التي ألفوها في مختلف التخصصات العنمية والإنسانية: الطب، الفلك، الرياضيات، التاريخ. الأدب العربي، الفلسفة، الفقه... الخ، والتي ساهمت من دون شك في تميم النهضة العلمية والفكرية التي عرفها المغرب مع نهاية القرن 19، وطيلة القرن 20م؛ وغايتها في هذا العنصر هو تقديم صورة تقريبية عن جل المؤلفات الجزائرية بالمغرب، التي سمحت لنا ظروف البحث برصدها وحصرها حسب مؤلفيها على النحو الآتي:

1- محمد بن عبد الله المشرقي المعروف بالسقاط:

قبل الحديث عن حركة التأليف، يجدر بنا الإشارة إلى أن السقاط يعتبر من طلائع المهاجرين الجزائريين الذين ساهموا في تميم المكتبات المغربية بأمهات المصادر والمراجع، ويبدو لنا ذلك من خلال مكتبته التي اصطحبها معه أثناء هجرته إلى المغرب. مكتبة تضم حوالي 1600 مجلد في مختلف العلوم والمعارف⁶. وبعد وفاة الفقيه السقاط يكون القاضي مولاي الهادي الصقالي قد احتفظ بجزء من مكتبة السقاط الشخصية أي بحوالي 800 جزء.

1 - المصدر نفسه، ص. به.

2 - عبد السلام، ابن سودة: «بيوتات مدينة فاس قديماً وحديثاً»، أمل، ع. 22، المرجع السابق، ص. 123.

3 - أبو عبد الله، السليمان: اللسان المغرب عن ثقافة الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. 35.

4 - المصدر نفسه، ص. 35.

5 - عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص. 286.

6 - Michaux-Bellaire: Les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, P. 49.

أما 800 جزء الأخرى فقد قسمت بين الورثة¹، ومن الجدير بالذكر أن مولاي الهادي احتفظ بالكثير الأكثر قيمة وهي توجد اليوم في الزاوية الصقلية².

2- الطيب بن المختار الراشدي الجزائري:

لقد سبق وأن أشرنا إليه أنه كان من حملة المهاجرين الجزائريين نحو المغرب، ومن أهم مؤلفاته:

- القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم³.

- ألف عدة نظم⁴.

3- مؤلفات العلامة أبو حامد العربي المشرفي:

إن حياة العربي المشرفي كما مرّ بنا تبدو حياة صعبة جدا، سواء في الجزائر أو في المغرب، ولكننا قد نكاد نندesh لما تركه لنا هذا العالم الجليل من مؤلفات هائلة في مختلف المجالات، ما تزال جلها مخطوطة في الخزائن المغربية، وفي حدود علمنا أن ما تم تحقيقه منها لحد الآن مخطوطتان⁵، وسبب هذا الإنتاج الغزير مرده الخط الحسن الذي تميز به وسرعة الكتابة، حيث كان يكتب الكراس بين العشائين⁶، ويمكننا رصد هذه المؤلفات على سبيل المثال لا الحصر حسب مواضيعها الرئيسية في ما يلي:

1- التاريخ:

- تقايد على بثمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم وموضوعه يدور حول السيرة النبوية⁷.

- تاريخ الدولة العلوية.

- تاريخ علماء فاس⁸.

- الحسام المشرفي لقطع لسان الشاب الجعفري الناطق بحرفات الجعسوس سيء الظن أكنسوس⁹، حيث رد

فيه على محمد أكنسوس مؤلف الجيش العرمم، الذي لم يتفق معه حول كثير من القضايا التي تخص الدولة العلوية.

1 -Ibid, P. 49.

2 -Ibid, P. 49.

3 - توجد نسخة من هذا المؤلف مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط، تحت رقم 1080 ك.

4 - عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص. 145.

5 - هاطرس الأحبار و أقوال المطاعين في الطعن والطواعين.

6 - المراكشي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج. 9، المطبعة الملكية، الرباط، 1980، ص. 27.

7 - أبو القاسم، سعد الله: « مؤلفات المشرفي المعاصر للأمير عبد القادر »، الثقافة، ع، 75، عدد خاص بالذكرى الثوبية لوفاة الأمير عبد القادر، السنة، 13، تصدر عن وزارة الثقافة، ش، و، ن، ت، الجزائر، رجب-شعبان 1403هـ/ ماي-جوان 1983، ص. 78.

8 - المراكشي: الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، ج. 9، المصدر السابق، ص. 27، عبد العزيز، بنعيد الله: فاس

منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، ج. 2، المرجع السابق، ص. 814.

9 - عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص. 304.

- ذخيرة الأواخر والأول فيما ينتظم من أخبار الدول¹: ألفه سنة 1299هـ / 1881م²، ومن بين ما اشتمل عليه ترجمة للكثير من علماء الجزائر الذين عاصروا المشرقي، ويتحدث فيها أيضا عن الجزائر والمغرب خلال هذه الفترة... الخ³.

- طُرس الأخبار بما جرى آخر الأربعين من القرن الثالث عشر للمسلمين مع الكفار في عتو الحاج عبد القادر وأهل دائرته الفجار، لقد تضمن هذا المخطوط كما هو واضح موقفه من الأمير عبد القادر ومن بعض حاشيته، ويذكر أبو القاسم سعد الله⁴: إن محمد بن شنب يكون قد حقق هذا المخطوط غير أنه لم يطلع عليه ككتاب مطبوع، ولقد قمت بالبحث عنه شخصيا فلم يسعني الحظ في العثور عليه. وما تجدر الإشارة إليه أن هذا المخطوط تم تحقيقه في المغرب كدراسة أكاديمية من طرف الباحث يوسف أخليص، بكلية الآداب ابن مسنيك، الدار البيضاء، في سنة 2000م.

- عجيب الذاهب والجائي في فضيحة الغالي المجائي⁵، وهو مخطوط رد فيه علي الغالي بن محمد العمراني الحسيني اللجائي الذي كان ينتطع علي الأمير عبد القادر الجزائري بينما كان المشرقي ينتصر له⁶.

- ياقوتة النسب الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولاي مجاجة، وتعرف أيضا بالواقيت الثمينة الوهاجة في التعريف بسيدي محمد بن علي مولاي مجاجة⁷. ألفها سنة 1300هـ / 1882م⁸، ويتحدث المشرقي في هذا المخطوط عن علي المجاجي والأدارسة، كما ضمته أخبارا هامة عن الغرب الجزائري وعلمائه⁹.

- تاريخ علماء فاس في سفرين، ودرأ الشقاوة عن السادات درقاوة، وتأليف في الأتاي في مجلد¹⁰.

2- الأدب العربي والشعر:

- تقايد علي شرح المكودي، وموضوع هذا العمل هو في علم النحو¹¹.

- 1- أبو حامد العربي، المشرقي: ذخيرة الأواخر والأول فيما يتضمن مراحل الدول، مخ، خ، ع، الرباط، 2659ك.
- 2- محمد بن محمد بن مصطفى، المشرقي: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها الغير المتناهية، دراسة وتحقيق: إدريس بوهليلة، د، د، ع، التاريخ، جامعة محمد الخامس، الرباط، إشراف إبراهيم حركات، الجزء الأول، ص. 70.
- 3- أبو القاسم، سعد الله: «مؤلفات المشرقي المعاصر للأمير عبد القادر»، الثقافة، ع. 75، المرجع السابق، ص. 80.
- 4- المرجع نفسه، ص. 83.
- 5- عادل، نوبهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص. 304.
- 6- أبو القاسم، سعد الله: «مؤلفات المشرقي المعاصر للأمير عبد القادر»، الثقافة، ع. 75، المرجع السابق، ص. 83.
- 7- أبو حامد العربي، المشرقي: ياقوتة النسب الوهاجة، مخ، خ، ع، الرباط، 1534، د، كما يوجد ضمن مخطوطات مكتبة الحامة بالجزائر، تحت رقم 3326.
- 8- محمد بن محمد بن مصطفى، المشرقي: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها الغير المتناهية، المصدر السابق، ص. 71.
- 9- أبو القاسم، سعد الله: «مؤلفات المشرقي المعاصر للأمير عبد القادر»، الثقافة، ع. 75، المرجع السابق، ص. 85-86.
- 10- المراكشي: الإعلام بمن حل مراكش وأحمت من الأعلام، ج. 9، المصدر السابق، ص. 27.
- 11- المرجع نفسه، ص. 78

- مشموم عرار النجد والغيطان المعد لاستنشاق.. الملوي السلطان،¹ ويعرف أيضا بمشموم عذارى النجد والقيطان،² وهو ديوان شعر تطرق فيه إلى ظروف هجرته بالمغرب، كما تضمن أيضا الكثير من المدح للسلطان.

- فتح المنان في شرح قصيدة ابن الونان، أو المواهب السنية في شرح الشمشقية/الشمقمقية الذي أتمه في حدود سنة 1295هـ / 1877م،³ وهي قصيدة من نظم أحمد بن محمد الونان التوائي، تحتوي على حوالي 200 بيت، وهي التي مدح بها الشاعر السلطان محمد بن عبد الله في القرن 12هـ / 18م؛ وهو مخطوط بالخرزانة الزيدانية بالمغرب تحت رقم 1041.⁴

- ديوان نظم في من أيقض للدين حفن الوسن.⁵

- ديوان المشرفي، وهو عبارة عن ديوان ضخيم تناول فيه عدة جوانب من الشعر، كما ضمنه الحديث عن جوانب من تاريخ المغرب، وتوجد نسخة منه بالخرزانة العامة بالرباط تحت رقم 204 ك.⁶

- الفتح واليسير في شرح قصيدة حوت من هم على قدم البشير النذير، وتوجد نسخة من هذا المخطوط بالخرزانة الملكية بالرباط تحت رقم 5271.

3- الرحلات:

- الرحلة الحسنية إلى شمال المغرب، وهي الرحلة التي رافق فيها السلطان المغربي الحسن الأول سنة 1306هـ إلى نواحي طنجة،⁷ والتي نلمس من خلالها المرتبة التي أصبح يحتلها المشرفي عند السلطان، الذي كان يطلب من العلماء والطلبة والشعراء الخروج معه؛ توجد نسخة منها بالمكتبة الملكية بالرباط تحت رقم 2420.

- رحلته إلى بلاد الجزائر التي قام بها في حدود سنة 1877. حيث كتب وصف دقيق لأوضاع الجزائر المستعمرة في مختلف الميادين، إلا أنه تأثر من خلالها بما شاهد من تطور حاصل لها من طرف الفرنسيين حسب رأيه طبعاً، ويذكر أبو القاسم سعد الله أن هذه الرحلة فريدة من نوعها ولم يسبقه غيره إليها ولم تكن معروفة عند الرحالين. وأن المستشرق الفرنسي "رينيه باصيه" هو من اقترح على المشرفي كتابة رحلته من المغرب إلى الجزائر.⁸ ويذكر عمار هلال أن هذه الرحلة منشورة بالخط الإفریقیة لمن أراد الرجوع إليها.⁹

1- المرجع نفسه، ص. 84.

2- عادل، نوبهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، المرجع السابق، ص. 304.

3- المرجع نفسه، ص. 304.

4- أبو القاسم، سعد الله: «مؤلفات المشرفي المعاصر للأمير عبد القادر»، الثقافة، ع. 75، المرجع السابق، ص. 83.

5- أبو حامد العربي المشرفي: أحوال المطاعين في الطعن والطواعين، تحقيق ودراسة الحسين الفرقان، المصدر السابق، ص. 16.

6- أبو القاسم، سعد الله: «مؤلفات المشرفي المعاصر للأمير عبد القادر»، الثقافة، ع. 75، المرجع السابق، ص. 80.

7- أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 7، المرجع السابق، ص. 465.

8- المرجع نفسه، ص. 466.

9- «العلماء الجزائريون في فاس»، الدراسات التاريخية، ع. 9، معهد التاريخ، الجزائر، 1415هـ / 1995م، ص. 41.

- الرحلة العربية في أداء الفريضة¹، وتسمى أيضا الرحلة العربية لأداء حج الفريضة سنة 1265هـ/1849م². والتي تناول فيها معاناة الحجيج والظروف القاسية والمزرية التي يعيشونها والأهوال التي يتعرضون لها. ومما جاء فيها بهذا الخصوص: «وسبب ركوب في البابور حين سافرت لأداء الفريضة أنني دخلت محروسة طنجة، وجلست فيها آخر شعبان وخمسة عشر من رمضان [20 جويلية- 4 أوت 1849] ووجدت السفن بما مشحونة بالحجاج، فأقمت في نفر أنتظر سفينة من جبل طارق، على يد أمين سيدنا نصره الله مصطفى الدكالي، فمما جاءت ونظرنا إليها من بعيد رأيناها كالعز الجرباء، علمنا أنها عتيقة لكونها خالية من القار، وعرفنا أنها لا تقاوم تلاطم الأمواج، فرجعت في دهش إذ لا سفينة غيرها مع كثرة الحاج وزاده وقلة السلامة من العطب لمن ركب فيها»³.

وبعد هذا الوصف ينتقل للحديث عن الأخطار التي ستواجه الحجاج: «قلنا مرید الركوب بها ألقى بنفسه للتهلكة، وكان الأمر كما ظن، إذ بنفس ما جاوز الحاج جبل طارق انكسرت بهم السفينة من القدم فخرج الرئيس لمالطا... وحل بهم ما لا يوصف من هوان النصارى لهم، حتى أنهم أقاموا بها شهرا كاملا، وبذلوا لعامنها مالا له ليأذن لهم الركوب في سفينة أخرى لمالطة ولم يخرجوا للإسكندرية إلا بعد استهلال الحرم، وفاتهم الوقوف في تلك السنة»⁴.

- رحلة القبائل الجبلية وهي منظومة في حوالي 100 بيت.⁵

- رحلته إلى نواحي فاس، وهي الرحلة التي انتقل فيها إلى كل من أشراكة-الشرافة- وأولاد جامع وسلاس والحاية وسفيان، كما سبق وأن ذكرنا طلبا للرزق وقوت العيال ولكنه لم يتحصل منهم على طائل، فألف فيهم قصيدة قد تبدو هجائية تتكون من حوالي 168 بيت، حكم فيها بأحكام قاسية على هذه القبائل.⁶

- الرحلة السوسية المعروفة بزهة الأبصار لذوي المعرفة والاستبصار تنفي عن المتكاسل الوسن في مناقب سيدي أحمد بن محمد ووالده السيد الحسن.⁷ رحلة قصيد من خلالها مراكش و السوس حيث زاوية تكدشت⁸. وترجم لصاحبها أحمد بن محمد التمكدشتي وابنه الحسن سنة 1877، كما سجل مشاهداته في الطريق.¹

- 1 - يوجد طرف من هذه الرحلة في الخزانة الأحمديّة السوديّة بفاس. يراجع: عبد العزيز، بن عبد الله: فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، ج. 2، ص. 814.
- 2- عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص. 304.
- 3 - محمد الأمين، البزاز: «ظروف النقل البحري والحجر الصحي في أدب الحج المغربي خلال القرن التاسع عشر»، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع. 25، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط، 1، 1426هـ/ 2005م، ص-ص. 85-86.
- 4 - المرجع نفسه، ص-ص. 85-86.
- 5- المرجع نفسه، ص. 304.
- 6- أبو حامد العربي المشرقي: أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، تحقيق ودراسة الحسين الفرقان، المرجع السابق، ص. 50.
- 7- عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص-ص. 303-304.
- 8 - توجد نسخة من هذه الرحلة بخزانة هذه الزاوية. يراجع: عبد العزيز، بن عبد الله: فاس منبع الإشعاع في القارة الإفريقية، ج. 2، ص. 814.

4- الردود والمهاترات:

- المشرفي الحمزاوي لقطع فؤاد الحيزاوي، وهي عبارة عن رسالة رد فيه المشرفي على أحد معاصريه.
- الرسالة في أهل الباصبور الحثالة، وهي التي عارض فيها الاحتماء بالكفار وقضية الامتيازات الأجنبية فنادا عن الحماية بألها دخول المسلمين تحت كلمة الكفر، ويعود تأليفها في حدود سنة 1873.²
- الدر المكنون في الرد على العلامة جنون، حيث انتصر فيه لأصحاب الطرق ورد فيه على المخالف ردا شنيعا خرج فيه على الحد الشرعي.³
- الحسام المشرفي للمهاجر المقتني.
- تقييد في ذم أهل فاس،⁴ لأن المشرفي عندما هاجر نحو هذه المدينة وجد نوعا من التبرم والتنكر من سكانها لشخصه، وخص فيه بالذكر بعض البيوتات الغنية التي شحت عليه في التخفيف من أزمته ومحنته.

5- الطب والحكمة:

- أقوال المطاعين في الطعن والطواعين، وهو مخطوط تناول فيه الحديث عن الوباء والطاعون.⁵

6- الاقتصاد:

- ورقات في رواج السكة بالزيادة.⁶

8- الكنائش: لقد ألفت المشرفي مجموعة من الكنائش والكراسات والتي من أهمها:

- كناش المشرفي، يوجد بالخرانة العامة بالرباط تحت رقم 204 ك، وهو يضم كثير من الأخبار في الأدب والتاريخ والشعر، ويبدو أن تاريخ الانتهاء منه كان في حوالي سنة 1261هـ.⁷

4- مذكرات جزائرية عن مدينة تطوان:

يذكر محمد ابن تاويت⁸ في مقاله الموسوم بـ: وثيقة تاريخية عن تطوان: «إن هناك مذكورة لرجل يظهر أنه جزائري ظل في تطوان بعدما احتلها الإسبان في حرب الستين [1860]، فوصف الحالة التي كانت عيها تطوان خلال الاحتلال وصفا دقيقا؛ ومزج ذلك ببعض التعليقات عليها»⁹، ثم يواصل الحديث فيقول: أنه عسى

1 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 7، ص. 466.

2 - أبو القاسم، سعد الله: «مؤلفات المشرفي المعاصر للأمير عبد القادر»، الثقافة، ع. 75، المرجع السابق، ص. 82.

3 - عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص. 304.

4 - أبو القاسم، سعد الله: «مؤلفات المشرفي المعاصر للأمير عبد القادر»، الثقافة، ع. 75، المرجع السابق، ص. 78.

5 - توجد نسخة منه في شكل مخطوط بالخرانة العامة بالرباط مخ. خ، ع. الرباط. تحت رقم 2054.

6 - المرجع نفسه، ص. 85.

7 - المرجع نفسه، ص. 84.

8 - لم نغف على ترجمته.

9 - محمد، تاويت: «وثيقة تاريخية عن تطوان»، تطوان، مجلة للأبحاث المغربية الأندلسية، ع. 1، مطبعة كرماديس، تطوان،

أثر دخول الإسبان مدينة تطوان هاجر منها معظم سكانها، وبقي منهم بعض المستضعفين؛ وبعد مدة رجع إليها بعض من كان قد هاجر منها، ومن بين هؤلاء صاحب هذه المذكرات¹.

وللعلم أن هذه المذكرة قد كتبها صاحبها باللغة العربية ثم ترجمت إلى اللغة الإسبانية ما عدا النصوص الشعرية التي حافظ فيها صاحب الترجمة على نصها العربي، ومن الترجمة الإسبانية نقلها إلى اللغة العربية الشريف سيدي التهامي الوزاني؛ وللمذكرة قيمة تاريخية تبدو لنا من خلال العناصر الآتية²:

- سجل حوادثه الشخصية.

- انتقد الإسبان نقد قوي وصریح، هذا إلى جانب محاولة مقارنتهم بالفرنسيين والإنجليز. ويبدو أنه كان يميل نوعاً ما للفرنسيين.

- مضمون المذكرات يُقوّي جزائرية كاتبها، ويبدو ذلك من خلال استخدامه للكثير من الكلمات التي كانت متداولة في الجزائر، ولم تكن معروفة حينها في المغرب؛ إلى جانب ذكره لأبيات شعرية منسوبة لجزائري كان مقيماً بتطوان، وربما كان هذا الجزائري هو نفسه صاحب هذه المذكرات؛ وهي الأبيات الشعرية الوحيدة التي نسبها لجزائري، بينما بقية الأبيات الشعرية الأخرى غير منسوبة لأصحابها، رغم معاصرتهم له وشهرتهم بتطوان مثل: مفضل أفيلال، وأحمد الجندي، ومحمد السلاسي، ومحمد القيسي، الذي لم يزد عند ذكره قصيدته الطويلة بالقول: تمت القصيدة القيسية.

ومما يزيد في جزائرية صاحب المذكرات هو عدم ذكره لشخصيات تطوانية، وهذا ما يخالف طبيعة التطوانيين الذين يحرصون دائماً على تغليد أسماء رجالهم، وفي الأخير نجد يتحسر لتطوان ويدافع عنها بعض الشيء، ولكن كل ذلك في فتور لم يعهد من تطواني على الأقل³.

- صاحب المذكرات حرص كل الحرص على تسجيل وتدوين كثير من الأشعار التي كانت تحوزته. في شكل قصائد متعددة ومختلفة؛ تضم حوالي 14 قصيدة مدرجة على النحو الموالي:

1- القصيدة 01: تتكون من 15 بيت من البحر البسيط، وهي للفقير السيد أحمد الجنادي⁴، حيث وصف فيها الحالة المأساوية لمدينة تطوان بعد الاحتلال.

2- القصيدة 02: تتكون من خمسة أبيات من البحر البسيط أيضاً، تضمنت تسلياً لأهل تطوان عن ما لحقهم من الإسبان، ومصدرها مجهول.

1 - المرجع نفسه، ص. 16.

2 - المرجع نفسه، ص. 17.

3 - المرجع نفسه، ص. 17.

4 - ولد في حدود سنة 1770 كان عمره آنذاك حوالي 90 سنة، وهو من عدول مدينة تطوان. يراجع: محمد، تاوبت: « وثيقة تاريخية عن تطوان »، تطوان، ع. 1، ص. 18 ورقة 6.

3- القصيدة 03: تتكون من 42 بيت من البحر الجثث، قيلت بعد مرور سنة من احتلال المدينة سنة 1861، وهي من البحر الجثث، ويذكر صاحب المذكرات أنها لسيد منفضل أفيال، غير أن محمد تاويت صاحب هذه الدراسة ينكر عنه ذلك¹.

4- القصيدة 04: تتكون من 37 بيت من البحر الجثث، ومصدرها مجهول، وهي قصيدة يتأسف فيها صاحبها على تطوان ويذكر بعض ما أصابها².

5- القصيدة 05: قصيدة مجهولة المصدر، ويذكر بشأنها بيتا واحدا، ومطلعها:

يا عيني حودي بدمع ❁ على تفرق جمع

5- القصيدة 06: ذكر أن صاحبها من أهل الجزائر المقيمين بمدينة تطوان؛ وهي قصيدة من بحر بياض؛ وهي كلها لوعة وحسرة على ما خلفه المحتل للمدينة، ومما جاء فيها بهذا الخصوص³:

أروم سلوا والزمان يعوقني ❁	وأظب قريبا والمصائب تقصيني
وأسكب دمعي فوق خدي تأسفا ❁	على ما قضى القهار من قبل تكويني
مصيبتنا هالت فيا عظم رزءنا ❁	أمن بعد رفع الدين عاد لتوهيستي
فجائع في الإسلام قل نظيرها ❁	وكيف وقد غارت شمس المحاسيني
أمن بعد عمران المساجد بالتقى ❁	وأهل النهي قد صفت بالبراذيني
فليك على تطوان حي وميت ❁	ولا غرو أن كان الجمساد يعزيني
شعائر الإسلام اضمحلت وكيف لا ❁	ومكتب صيسان بينت الدنانيني
فيا حزن تطوان وواحزن أهلها ❁	فيا ليتني أقيرت تحت الرياحيني
محا الكفر منها رونق الدين والدنا ❁	وحل بها قوم كمثل الثعابيني
وقد هدمت أسواقها ورباعها ❁	وناحت غرايب لقطع بساتيبي
تفطرت الأكباد وانقد نجمها ❁	على نثلنا حق البكاء بتحنيبي
ولا كن لرب العرش نفحة رحمة ❁	تنب لنصر الدين في الوقت والخيبي
ويعلوا لها نور الرسول محمد ❁	ويحمد سيف الكفر والله يشفيبي

6- القصيدة 07: تتكون من 13 بيت من بحر بياض، مصدرها مجهول، معظمها حسرة وتأسف على ما لحق مدينة تطوان من خراب ودمار.

7- القصيدة 08: تتكون من 31 بيت من البحر الطويل، من تنظيم محمد السلالي، من عدول تطوان ومن المتخلفين بها أثناء الاحتلال⁴.

1 - ((وثيقة تاريخية عن تطوان))، تطوان، ع. 1، ص. 20 ورقة 8.

2 - المرجع نفسه، ص-ص. 21-22.

3 - المرجع نفسه، ص. 23.

4 - المرجع نفسه، ص-ص. 24-25، ورقة 12-13.

- 8- القصيدة 09: تتكون من 108 بيت، غير أن محمد تاريت يذكر أن وقف على 107 بيت فقط، وهي من تنظيم الفقيه محمد القيسي من عدول تطوان¹.
- 9- القصيدة 10: تتكون من 35 بيت من البحر البسيط، صاحبها غير معروف.
- 10- القصيدة 11: تتكون من 16 بيت، وقد قيلت في مدح زليخة نابليون سلطان العبايونى الباشدور (كذا) حين توجه إلى باريس.
- 11- القصيدة 12: تتكون من 25 بيت، وهي قصيدة رد من خلالها صاحبها على معارضة محمد السنوسي، بعد قصيدة المدح التي قيلت في زليخة نابليون السابقة الذكر².
- 12- القصيدة 13: تتكون من 4 أبيات، قيلت في مدح أحد الوجهاء من أهل إسبانيا الذي يدين بالنصرانية، ويعرف باسم أحلف.
- 13- القصيدة 14: تتكون من 40 بيت، من تنظيم صالح بن شريف الرندي، تضمنت الأعمال الشنيعة التي ارتكبتها الإسبان في حق السكان³. وبعد

5 - سيدي محمد بن محمد المشرفي (ت 1334هـ)⁴:

لقد ترك لنا مؤلفات عدة يمكن حصرها في ما يلي:

- 1- السهام الصائبة: ألفه سنة 1301هـ / 1883م، وتناول فيه ثلاث قضايا رئيسية⁵:
 - الرد على أحمد المجاهد الراشدي الفريسي الذي طعن في إحدى فتاوى المشرفي.
 - الحديث عن صحة نسبه الشريف، والافتخار بأجداده وتمجيدهم.
 - موافقه من زيارة القبور والغناء وبعض البدع التي انتشرت في فاس.
- 2- مناهج البشرى وسعادة الدنيا والأخرى:

ألفه سنة 1305هـ / 1887م، وهو عبارة عن نصيحة أسداها المشرفي للسلطان المغربي الحسن الأول. كما ضمّنه الحديث عن زيارته إلى كل من مصر والجزائر وجبل طارق، وإقامته في قبيلة الحياينة وما رآه فيها من فساد والخلل الاجتماعي، وتقصير المخزن في ردعهم، ولم يفوته في الأخير أن أدلى بنصيحته للخروج من هذه الأوضاع⁶.

1 - المرجع نفسه، ص-ص. 25-26، ورقة 13-16.

2 - المرجع نفسه، ص. 31، ورقة 19.

3 - المرجع نفسه، ص-ص. 32-33، ورقة 20-21.

4 - هو محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي الحسني الإغريسي. ولد في إغريس في حدود سنة 1255 هـ / 1839م، ثم انتقل طفلا مع أبيه أثناء هجرته إلى مدينة فاس، تولى نيابة قضاء الحياينة، كما احترف التجارة، توفي بفاس في حدود سنة 1324هـ / 1906م، بينما إدريس بوهليلة يورخ لوفاته بسنة 1334هـ / 1916م)، يراجع: الرزكلي: الأعلام، مج. 7، ص. 76. عماد بن

محمد بن مصطفى، المشرفي: الحلال البهية في ملوك الدولة العلوية، دراسة وتحقيق، إدريس بوهليلة، ج. 1، ص. 28.

5 - محمد بن محمد بن مصطفى، المشرفي: الحلال البهية في ملوك الدولة العلوية، المصدر السابق، ص. 69.

6 - المصدر نفسه، ص. 70.

- 3- الدر المكنون في التعريف بشيخنا سيدي محمد جنون/ أو كنون عند بدر المقرئ¹ :
ألفه سنة 1314هـ/ 1896م، وتناول فيه نبذة عن حياة شيخه محمد المدني جنون، وأسماء بعض تلاميذه الآخرين².
- 4- الخلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية³ :
ألفه سنة 1310هـ/ 1893م، ثم أدخل عليه بعض التعديلات في سنة 1321هـ/ 1903م، وتناول فيه بالتفصيل تاريخ الدولة العلوية وملوكها بالمغرب، إلى جانب الحديث عن تكوينه الفكري ورصيده العلمي، وبعض مواقفه من الأحداث التي عاصرها⁴.
- 5- العمدة في ذكر من اشتهر نسبه الشريف بعمالة وجدة: وهو عبارة عن تأليف خاص بعمالة وجدة، يحتوي على أربع أبواب وخاتمة، ويشتمل على حوالي 444 صفحة⁵.
- 6- أرجوزة تحت عنوان: إيقاظ أهل الغفلة والمنام، التي يكون قد نشرها محمد المنوني رحمه الله في كتابه الموسوم بمظاهر يقظة المغرب الحديث، في جزئه الثاني⁶.
- 7- إظهار العقوق في التوسل بالأنبياء والأولياء⁷.
- 6- العلامة أبي عبد الله السليمان الملقب بأبي الأعرج التلمساني (ت1344هـ/ 1925م)⁸ :
إذا انطلقنا من باب أن السليمان يمكن عدّه ضمن فئة المغاربة الذين هم من أصل جزائري⁹، فإنه يكون قد لعب دور كبير في مجال التأليف، ويبدو ذلك من خلال تراثه الضخم الذي خلفه، تراث جمع فيه بين مختلف التخصصات العلمية على غرار أبي حامد العربي المشرقي، ويمكننا رصد وتبويب مؤلفاته على النحو الآتي:

- 1 - خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 58.
- 2 - محمد بن محمد بن مصطفى، المشرقي: الخلل البهية في ملوك الدولة العلوية، المصدر السابق ص. 70.
- 3 - توجد نسخة من هذا المخطوط بالحزارة العامة بالرباط، تحت رقم 1463د، ولقد سمحت لنا ظروف البحث بالإطلاع على بعض ورقاتها.
- 4 - المصدر نفسه، ص. 70.
- 5 - بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 58.
- 6 - المرجع نفسه، ص. 58.
- 7 - خير الدين، الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، مج. 7، ط. 5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1980، ص. 76.
- 8 - أبو عمران، الشيخ وآخرون: معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995، ص. 51-52.
- 9 - هو محمد بن محمد بن عبد القادر ابن الأعرج السليمان المعسكري الحسني، تلمساني الأصل؛ ولد بفاس في مطلع ذي القعدة 1285هـ/ 22 فيفري 1869م/ بينما عند خير الدين الزركلي -الأعلام- ولد في سنة 1280هـ/ 1863م؟، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه، ثم واصل دراسته بجامع القرويين بفاس (1305هـ/ 1888م). ثم تخرج منه ملما بعدة علوم ومعارف. توفي بفاس. يراجع: «محمد بن الأعرج التلمساني (1344هـ/ 1925م)»، أبو عمران، الشيخ وآخرون: معجم مشاهير المغاربة، ص. 51. الزركلي: الأعلام، مج. 7، ص. 79.

1- اللسان المغرب عن ثقافت الأجنبي حول المغرب:

ألفه في سنة 1330هـ / 1911م¹، وهو يعتبر من أهم المؤلفات التاريخية للسليمانى الأكثر تداولاً²، تطرق في القسم الأول منه إلى تلخيص أخبار المغرب الأقصى وأعمال أمراءه الأجانب مع الأندلس؛ وفي القسم الثاني تعرض إلى أخبار المغرب الأوسط-الجزائر- وأعمال أمرائها مع الأجانب، وفي القسم الثالث انعطفت للحديث عن أخبار المغرب الأقصى وتلخيص شؤونه وملتقاته مع الأجانب، أما القسم الرابع والأخير فقد خصصه للحديث عن ما يتعين تعاطيه في المعارف العصرية وشرح الحرية والمدنية³.

2- زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ⁴:

وهو مؤلف في التاريخ أيضاً، ورد هذا المخطوط في أربعة أقسام هو الآخر: تعرض في القسم الأول إلى تاريخ الدول التي تعاقبت على شمال إفريقيا، وعن تاريخ العرب وأخبارهم؛ من الجاهلية إلى غاية الفتح الإسلامى لشمال إفريقيا، كما يتحدث فيه أيضاً عن أخبار ملوك الطوائف بالأندلس وعن العهد المرابطى والموحدي. وتعرض في القسم الثاني إلى تاريخ المغرب الأقصى منذ عهد الأدارسة إلى غاية العهد العلوي، الذي يصل بالحديث عنه حتى مبتدأ القرن 20م. بينما القسم الثالث قد خصصه للحديث عن تاريخ المغرب الأوسط، مبتدأ بموقعه الجغرافى وحدوده ومنتها باستيلاء الفرنسيين عليه، والذي يكون قد أشار فيه إلى مقاومة الأمير عبد القادر ودولته التي أنشأها. في حين خصص القسم الرابع والأخير للحديث عن العلوم والمعارف الفكرية والفلسفية⁵.

3- تسهيل المطالب لبغية الطالب:

ألفه في سنة 1330هـ / 1911م⁶، وهو شرح لمنظومة الإمام أبي مهدي عيسى ابن موسى التجيني المسماة: بغية الطالب في ذكر الكواكب، ويشتمل هذا الشرح على تراجم الأعيان من أشراف غريس وعلمائه وأوليائه في القرن 10هـ / 16م، انتهى من تأليفه في 23 ربيع الثاني سنة 1330هـ / 11 أفريل 1912م⁷.

1 - محمد بن محمد بن مصطفى، المشرقي: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية، المصدر السابق، ص. 71.

2 - توجد نسخة منه مخطوطة بالخزانة الحسنية بالرباط تحمل رقم 279. وهو حالياً عبارة عن كتاب مطبوع تقدر عدد صفحاته بحوالي 108ص. بما فيها المقدمة والخاتمة؛ تم نشره بعناية من المؤلف في طبعته الأولى سنة 1391هـ / 1971م. مطبعة الامنية في الرباط؛ وتوجد بحوزتنا نسخة منه.

3 - اللسان المغرب عن ثقافت الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص-ص. ي-ل.

4 - توجد نسخة من المخطوط بالخزانة العامة بالرباط، مصورة عن الأصل في أربعة أجزاء، وتحمل رقم د 3657، ونسخة أخرى بالخزانة الحسنية بالرباط أيضاً تحمل رقم 170؛ وتقدر عدد صفحاته بحوالي 1847 صفحة.

5 - علال، الخديمي: «محمد ابن الأعرج ومولفاته»، أعمال الملتقى المغاربي الأول، المرجع السابق، ص-ص. 64-65.

6 - محمد بن محمد بن مصطفى، المشرقي: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية، المصدر السابق، ص. 71.

7 - ابن عبد الله، السليمانى، اللسان المغرب عن ثقافت الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. و.

4- ديوان شعر:

تبلغ عدد قصائده حوالي مائة¹، وقد نشر بعضها في ديوان القصائد المولوية الموسوم باليمن الوافر في امتداح الجناب المولوي اليوسفي، للمؤرخ عبد الرحمان ابن زيدان، ومما جاء في مطلع أحد هذه القصائد²:

فهم الحماة هم الأمان من الردى	✽	أكرم بهم بيت السناء اللامع
وكفى افتخارا ما أتاه سليلهم	✽	شمس الخلافة ذو الصلاح الشائع
فرع البتول أبو المحاسن يوسف	✽	رب الصيانة والبهاء الرائع
أعلى ملوك الغرب قدرا خيرهم	✽	أحيا البلاد حياة غيث هامع

إلى أن يقول في خاتمتها³:

يا إمام الهدى وسلطان مجد	✽	يا أمير العلى أبا الضعفاء
دمت فخرا لعصرنا وملاذا	✽	للجميع في شدة ورخصاء
متع الله مغربا بعلاكم	✽	وحبانا فيكم بطول البقاء
وأمدّ المنى لكم بقبول	✽	وتزكي بنيكم النجباء

وإلى جانب هذا يكون قد نُشر لسليمان عدة قصائد في كتاب الأدب العربي في المغرب الأقصى؛ مؤلفه

محمد بن العباس القباج، وفي كتاب العلامة عبد الله كنون الموسوم بـ: أحاديث في أدب المغرب الحديث⁴.

5- مقالات في شتى المجالات المختلفة كان قد نشرها في جريدة السعادة في الأعداد الصادرة سنة 1920⁵.

أ- في الميدان الاجتماعي:

- الشعور الوجدان السعادة 1914.
- الكتاتيب والمعلمين.
- إصلاح التعليم.
- حول جيل الأطلس.
- حول الاحتكار 1920.

ب- في ميدان التجارة: يتحدث في هذه المقالات عن كيفية مساهمة التجارة في تقدم المجتمع:

- أزمة تتلوها أخرى: يركز المؤلف على دور الزراعة في تنمية الصناعة والتجارة.
- العلم والعلماء: يتناول دور العلماء في التطور الاقتصادي.

1 - عبد الله ابن عباس، الجراري: التأليف ونهضته بالمغرب في القرن العشرين من 1900-1972، جزآن، ط1، 1، مطبعة

النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ربيع الثاني 1406هـ/ ديسمبر 1985، ص. 212.

2 - عبد الرحمان، ابن زيدان: اليمن الوافر في امتداح الجناب المولوي اليوسفي، المصدر السابق، ص. 126.

3 - المصدر نفسه، ص. 17.

4 - علال، الخديمي: «محمد ابن الأعرج ومولفاته»، أعمال الملتقى المغاربي الأول، المرجع السابق، ص. 62.

5 - المرجع نفسه، ص. 63.

- 6- إلقاء مجموعة من المحاضرات في التاريخ وعلم الاجتماع بنادي الطلبة بفاس¹.
- 7- وفي التربية والتعليم ألف دليل لأساتذة المدرسة الحرة التي أسست بعمومة رأس الجنان بفاس سنة 1340هـ، وهو يشتمل على توجيهات وإرشادات وبرامج المواد الدراسية وخصصها اليومية، ونماذج من دروس القراءة والكتابة، ودروس القرآن والدين والتربية الخلقية ومبادئ العلوم العصرية².
- 7- سيدي الحبيب ابن المصطفى (ت 1324هـ): من بين مؤلفاته منظومة في عقائد التوحيد التي مطلعها³:

الحمد لله الغني عن العبيد ❁ ثم صلاته على خير شهيد
 وآله وصحبه أولي النهى ❁ ومن أثار ذا المنهاج المنهى
 مخاض فكر ذي النهى في الفهم ❁ ونبتت عناصر بالعلم
 وبعد فالقصد بذا النظام ❁ بث العقائد إلى الأنام

- ويذكر أبو القاسم سعد الله أن حياة هذا الناظم مجهولة لديه، ويرى أنه من غير المستبعد أن يكون من بين المهاجرين نحو المغرب، وقد يكون أصلا من جهة معسكر⁴.
- 8- سيدي الحبيب المهاجني: له تعليق مخطوط على شرح بحرق الكبير للامية الأفعال⁵.
- 9- عبد القادر الخلادي: من بين أهم مؤلفاته⁶:
- كتاب صور ومشاهد من الحضارة الإسلامية في جزأين والذي عرضه في شكل نصوص وثائقية، صدر له سنة 1961، بدار الكتاب بالمغرب.
- ألف وشارك وأشرف على تأليف كثير من الكتب المدرسية في التاريخ واللغة العربية وآدابها.
- كتب عدة مقالات عن شخصيات عدة مثل: دو كاستري، وميشوبيلير، وعبد الرحمان الخندوب، وعني باي؛ نشرت بمجلة دعوة الحق بين سنة 1965-1974.
- له مذكرات مخطوطة باللغة الفرنسية.

1 - ابن عبد الله، السليمان: اللسان العرب عن ثقافت الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. و.

2 - المصدر نفسه، ص. و.

3 - عبد الحميد، إسماعيلي: « علماء المهجر بمدينة وجدة»، أعمال الملتقى المغاربي الأول، المرجع السابق، ص. 73.

4 - تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 7، المرجع السابق، ص. 152.

5 - محمد بن الفاطمي ابن الحاج، السلمي: إتخاف ذوي العلم والرسوخ بتراجم ممن أخذت عنه من الشيوخ، المرجع السابق، ص. 64.

6 - عمر، أفا: معلمة المغرب، مج. 11، المرجع السابق، ص. 3801.

10- عبد الحميد بن أبي زيان بنشنتهو¹:

من بين مؤلفاته كتابه المشهور والموسوم بـ: البيان المطرب لنظام حكومة المغرب، الذي انتهى من تأليفه في تم سنة 1353هـ/ 1934م، وهو عبارة عن كتاب صغير الحجم في حدود 177 صفحة، تحدث فيه عن الحكم وتنظيماته وقوانينه بالمغرب، ومما جاء فيه هذا الخصوص: «وبعد، فكثيرا ما توقفنا أثناء خدمتنا المخزنية على مسائل شتى متعلقة بنظام حكومة المغرب باللغة العربية، ولم نجد لها إلا بشق الأنفس؛ حيث لم نعر بعد على مؤلف ملخص يشمل تلك المادة... ونظن أننا لسنا وحدنا في هذا الاحتياج بل على الأخص الموظفين الذين يفتقرون إلى معرفة نظام المغرب أثناء اشتغالهم، وبصفة خاصة المغاربة المشتاقين إلى الإطلاع على قوانين بلادهم. وقد رأينا أن نسد ذلك الخلل على قدر مجهودنا فألفنا هذا الكتيب الملخص؛ أتينا فيه ببيان قواعد البلاغة المغربية، ونظام حكومتها... وسمينا هذا الكتاب بالبيان المطرب لنظام حكومة المغرب»².

11- محمد معمري الزواوي: له عدة تأليف من بينها³:

- كتاب في علم الصِّرف سماه التصنيف في مبادئ التصريف.

- تحفة الخذاق في تهذيب الأخلاق.

- بيان الحقيقة في المسألة المغربية.

- قصيدة سماها: نبراس الإسلام في غضون التاريخ العام في نحو 365 بيت من الخفيف، وترجمها بنفسه إلى

اللغة الفرنسية شعرا.

- ديوان شعر سماه: حُسن الوفاء لآل البيت النبوي في مآثر ملوك العرش العلوي، وهو يحتوي على ما

يقرب من 5000 بيت من الشعر، كلها اعتراف وشهادة بما تجلّى من مظاهر الملوك العلويين في خدمة وطنهم

وشعبهم، وعندما ألقه المعمري أهدها إلى الملك الحسن الثاني⁴.

12- محمد بن عبد السلام الشرعي (1302-1380هـ/ 1885-1960م)⁵:

فإلى جانب تقلده خطة الإمامة والخطابة، فإن له كناشة متنوعة جمعت بين الأدب، واللغة، والتاريخ،

والدين، وتلخيص لمؤلفات عدة؛ ويرجع إليه الفضل في الحفاظ على ديوان شاعر الحمراء محمد بن إبراهيم

المخطوط إلى أن سلمه إلى ابن أخته الشاعر مولاي الطيب المريني؛ وعليه تكون قد اعتمدت اللجنة الملكية التي

سهرت على جمع وتدوين شعر شاعر الحمراء⁶.

1 - هو ترجمان مدي جزائري الأصل، شغل منصب موظف في الإدارة المغربية في عهد الحماية، ولم نقف على ترجمته.

2 - عبد الحميد بن أبي زيان، بنشنتهو: البيان المطرب لنظام حكومة المغرب، المطبعة الوطنية، درب الفاسي، الرباط، 1935.

ص-ص. 2-3. وللعلم أنه تم طبع هذا الكتاب للمرة الثانية سنة 1370هـ/ 1951، بمطبعة الأمانة بالرباط.

3 - محمد معمري، الزواوي: حُسن الوفاء لآل البيت النبوي في مآثر ملوك العرش العلوي، المصدر السابق، ص. 16.

4 - المصدر نفسه، ص. 10.

5 - معلمة المغرب، مج. 16، المرجع السابق، ص-ص. 5335-5336.

6 - المرجع نفسه، ص. 5336.

ج- حركة الترجمة:

نظرا للموقع الجغرافي والسياسي للمغرب، يكون قد اهتم سلاطينه عبر مختلف العصور بالترجمة والمترجمين؛ غير أنه ومع بداية النصف الثاني من القرن 19 ومطلع القرن 20 بدأت الترجمة تفرض نفسها بشكل كبير على المخزن، نظرا لتوسع سياسة الاحتكاك الخارجي الذي يستوجب التعامل مع لغات أجنبية عديدة، وهو ما دفع بالسلطان الحسن الأول إلى تأسيس مدرسة الألسن بطنجة، والتي تعد بمثابة النواة الأولى لتعلم اللغات الأجنبية، ومع مطلع القرن 20 تكون قد بدأت تتشكل في المغرب البنيات التحتية والمؤسسات التي جعلت الترجمة من بين اهتماماتها¹.

ولقد كان للمثقفين المشاركة (سوريين، ولبنانيين على الخصوص)، وكذلك للتونسيين والجزائريين والمسيحيين دور كبير في ظهور الوعي بترجمة النصوص، كما نشطت كذلك عملية ترجمة المؤلفات العربية والمخطوطات وأعراف المجتمع وتقاليد². وليس غايتنا هنا تتبع تطور الترجمة في المغرب، بقدر ما نريد إبراز دور المهاجرين الجزائريين في هذا الميدان إلى جانب إخوانهم المغاربة؛ ولقد قادتنا عملية البحث إلى الوقوف على عدة عيّنات يمكن تتبعها على النحو الآتي:

1- عبد القادر الخلاّدي:

قام بترجمة كتاب مؤرخو الشرفاء للمؤرخ "ليفي بروفينسال" من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية. وفي الوقت نفسه عثرنا له على مقال في مجلة البحث العلمي كتبه "ليفي بروفنصال" باللغة الفرنسية، فقام بتعريبه ونشره في هذه المجلة³.

2- عبد الحميد بن أبي زيّان بنشّنهو:

نلمس مساهمته في هذا الميدان من خلال العبارة التي وردت على غلاف كتابه الموسوم بالبيان المطرب لنظام حكومة المغرب، وهي عبارة ترجمان ممتاز⁴.

3- محمد الصالح ميسه:

رغم أن اهتمامه كان منصبا على النشاط الصحفي، غير أن هذا لم يمنعه من المساهمة في حركة الترجمة. وذلك من خلال الدور الذي قامت به مجلة المغرب -التي كان يرأسها- في ترجمة كثير من الأعمال. كما قامت إلى جانب جرائد أخرى بالاهتمام بإعادة نشر الأعمال المترجمة من المشرق⁵.

1 - معلمة المغرب، مج. 7، المرجع السابق، ص. 2319.

2 - المرجع نفسه، ص. 2319.

3 - ليفي، بروفنصال: «مؤرخوا الشرفاء»، البحث العلمي، تعريب عبد القادر الخلاّدي، ع. 26، السنة 13، رجب- ذو الحجة 1396هـ/ جويلية-ديسمبر 1976م، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط، ص. 79-91.

4 - عبد الحميد بن أبي زيّان، بنشّنهو: البيان المطرب لنظام حكومة المغرب، المصدر السابق، ورقة الغلاف الخارجي.

5 - معلمة المغرب، مج. 7، المرجع السابق، ص. 2319.

4- الجزائري أبو بكر بن عبد الوهاب:

من بين النشاطات التي قام بها في هذا الميدان، هو حضوره جلسات مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 بصفته ترجمان الوفد المغربي¹.

5- علي بن محمد رحال الندرومي: تولى منصب ترجمانا مدنيا بمدينة وجدة².

6- مولاي أحمد بن أحمد بن عبد الله ابن منصور الحوي: كان قد عينه السلطان مولاي عبد العزيز بمثابة ترجمان في مؤتمر الجزيرة الخضراء المنعقد سنة 1906؛ نظرا لإتقانه المزدوج للغة الفرنسية واللغة الإسبانية³.

7- الجزائري بلقاسم بن العربي عشاش:

يعتبر أحد الترجمة الجزائريين الذين انتقلوا إلى المغرب بعد توقيع معاهدة الحماية سنة 1912، ومن بين المهام التي أسندت إليه من طرف المخزن: ترجمان بلدية سلا بالرباط إلى جانب المراقب المدني "جان كوستي" مؤلف كتاب: "les grandes familles indigènes de Salé"⁴. الذي انتهى من تحريره في حدود 3 جانفي 1925؛ وأثناء مقامه إلى جانب "دي كوستي" قام عشاش بترجمة هذا الكتاب إلى اللغة العربية، ويكون قد انتهى من عمله هذا مع مطلع شهر شعبان 1344هـ/ 14 فيفري 1926م⁵. ثم صدر عن المطبعة الرسمية بالرباط سنة 1931.

وللعلم أن بلقاسم عشاش لم يكتف بترجمته فحسب؛ بل أضاف له باب رابع سماه الخاتمة، وهو باب جاء في شكل نصيحة قدمها للشبيبة السلاوية للإقبال على العلم، واتخاذ السلف الصالح قدوة، وعدم الإغترار بمظاهر الحضارة الغربية وتقليدها تقليدا أعمى⁶. وبعد أن أنهى من عمله هذا كنه قدم الكتاب في شكل هدية باسمه إلى باشا مدينة سلا الحاج محمد الصبيحي (1881-1967)⁷.

1 - معلمة المغرب، مج. 9، المرجع السابق، ص. 2979.

2 - بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص.

3 - المرجع نفسه، ص. 325.

4 - هذا الكتاب هو عبارة عن تقرير سياسي واجتماعي وأدى عن حياة أبناء مدينة سلا، أنجزه صاحبه لصالح الإدارة الفرنسية فترة مزاولته لنشاطه بالمدينة، ولعل ملازمة بلقاسم عشاش لهذا المراقب هي من دفعته إلى نقله إلى اللغة العربية، دون أن يضع له عنوانا، وقد عرّب الدكتور محمد حجيّ عنوانه بعائلات أهل سلا دون تحقيق أو تعليق، ثم قامت بعد الدكتوراة نجاة المريني بتحقيقه والتعليق عليه، تحت عنوان جديد وهو بيوتات مدينة سلا، وتم طبعه ضمن منشورات الخزانة العلمية الصبيحية بالمغرب سنة 1989؛ وهي النسخة التي اعتمدنا عليها في بحثنا هذا. يراجع: معلمة المغرب، مج. 18، ص. 6080.

5 - معلمة المغرب، مج. 9، المرجع السابق، ص. 2980.

6 - معلمة المغرب، مج. 9، المرجع السابق، ص. 2980.

7 - ولد محمد الصبيحي في حدود سنة 1881 بمدينة سلا، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه على يد مجموعة من شيوخ المدينة الأحرار؛ ثم انتقل بعد ذلك إلى مدينة فاس لمزاولة دراسته بجامع القرويين، وبعد تخرجه عاد إلى مسقط رأسه سنة 1324هـ/ 1906م، وكانت أول وظيفة مارسها هي التعليم، تارة في المسجد القريب من بيته بباب أحساين، وتارة أخرى في بيته. ومن بين المناصب التي شغلها بعد ذلك:

ومما جاء في كلمة الإهداء التي لها عدة دلالات تخص كل من: المترجم، والباشا، ومدينة سلا في حد ذاتها: «يا سعادة الباشا. لما كانت العادة لدى الكتاب والمؤلفين العصريين والأقدمين تقتضي إهداء الكتاب لأحد العظماء المعاصرين لهم، رأيت من الواجب عليّ أن أسلك هذا المنهاج الحسن، وها أنا أتشرف بتقديم هذا الكتاب لمجادتكم العالية، لأنكم تعلمون كثيرا ما تحتوي عليه مدينة سلا السعيدة التي أتم من أعظم رجالها ورؤسائها من العلم والصلاح، والرؤية والفلاح... على أي ما قصدت إلى خدمة أهل العلم والأدب من رجال سلا... وإحياء ما سلف لهذا الثغر السعيد من الكلمة النافذة والعز الشامخ، لعل الشبيبة السلاوية تقندي بما كان لسلفها الصالح من العظمة والفخار، ومؤملا منكم أن تنازلوا لقبول هديتي حتى لا يخيب الرجاء... وأعلموا أي لا أزل (كما) من خدمة هذا الوطن السعيد، طوع أوامركم الكريمة»¹.

8- عائلة بنغريط:

لقد لعب أفراد هذه العائلة التلمسانية دور كبير في حقل الترجمة بالمغرب، كوالدهم كانوا يتقنون في عمومهم اللغة الفرنسية، ومن بين هؤلاء أبناء أحمد بن غريط الذين سبق ذكرهم في المرحلة الثالثة للهجرة²، ومن بين الغريطيين الذين ذاع صيتهم في هذا الحقل:

أ- قدور بن غريط (1872-1954)³:

- تم تعيينه سنة 1908 خليفة لأبيه باشا مدينة سلا الحاج الطيب الصيحي.

- بعد وفاة أبيه في سنة 1914 أصبح رسميا باشا مدينة سلا، ولقد ظل في هذا المنصب إلى غاية سنة 1955.

- في سنة 1955 عين عضوا بمجلس حفظة العرش. ورغم نشاطه الإداري فإن هذا لم يبعد من تأليف بعض الكتب، والتي من بينها: انبلاج الفجر عن المسائل العشر؛ وهو عبارة عن كتاب طبع في سنة 1941؛ ولعل آخر عمل قام به هو تجميعه لخزائنه العلمية التي تضم حوالي 4000 كتاب مطبوع ومخطوط لصالح الخزنة العلمية الصيحية بسلا، التي تأسست في 3 جويلية 1967. يراجع: جان، كوسني، وأبو القاسم عشاش: بيوتات مدينة سلا، ص. 19. كما ينظر صورة الباشا الحاج محمد الصيحي بالملحق رقم: 37.

1 - جان، كوسني، وأبو القاسم عشاش: بيوتات مدينة سلا، تحقيق وتعليق نجاة المريني، منشورات الخزنة العلمية الصيحية، سلا، المغرب، 1989، ص-ص. 19-20.

2 - معلمة المغرب، ج. 5، المرجع السابق، ص. 1449.

3 - ولد في نواحي مدينة سيدي بلعباس، وبها نشأ وتعلم، ينحدر من أسرة نبيلة ومتقنة من أصول أندلسية، كان والده ابن عودد بن غريط إمام الجامع الكبير بتلمسان في أواخر سبعينات القرن 19م، ثم واصل تعليمه بتلمسان في المدرسة الشرعية الفرنسية. كان تلميذا متفوقا في التعليم الثانوي، وهو ما أهله أن يكون من الأوائل الذين نجحوا في مسابقة القضاء الإسلامي بالجزائر، وأدى سطوع نجمه إلى قيادة المفوضية الفرنسية في طنجة كمترجم لها ابتداء من سنة 1893، تاريخ انتقاله إلى المغرب؛ وهناك تم استدعائه لأداء عدة مهام لدى المخزن، ولقد ظل وفيًا ومخلصا لخدمة المغرب وسلاطينه حتى وافته المنية سنة 1954. يراجع: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، ص. 411، يوسف، مناصري: «تقرير السيد مصطفى الشرشالي عن البعثة الفرنسية إلى الحجاز في سبتمبر 1916»، الطالعة، ع. 89، ص. 123، أبو القاسم، سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 4، ص-ص. 133-134، المناورات الأجنبية ضد السيادة المغربية/ الجيولوجيا، ص. 32. وينظر أيضا بخصوص هذه الشخصية:

-Kitab Ayane Al Maghrib L'Akça, Tom, 2,

اشتغل في حقل الترجمة منذ أواخر القرن 19، وارتبطت شهرته في المغرب بالأدوار التي قام بها كمتترجم للمفوضية الفرنسية بطنججة منذ التحاقه بالمغرب سنة 1893، وللبعثات الفرنسية الموجهة إلى العاصمة المغربية في بداية القرن 20، ومنذ ذلك الحين أصبح -حسب معلمة المغرب- من الصناع المهرة والمدبرين النشيطين للمحادثات الدبلوماسية التي كانت المفوضية الفرنسية تجريها مع موظفي المحزن بدار النيابة بطنججة من جهة ومع المحزن بناس من جهة أخرى¹.

ب- أبو محمد عبد القادر بن غريبط:

ينحدر من بيت القيسيين التلمسانيين الذين هاجروا نحو المغرب، واستقر جزء كبير منهم بمدينة طنجة، ومن بين هؤلاء القيسيين العالم السياسي الشهير الحرر التحرير المنتخب لتحرير اللغات وتفهمها أبو محمد عبد القادر بن غريبط². ويذكر السليمان أني أنه كان معاصرا له، وهو الذي يقول عنه: وهو الآن بطنججة في رياسة وحنلال وأدب واعتدال³.

د- الصحافة:

لم يخل هذا الميدان هو الآخر من وجود عدة نماذج من الجزائريين بالمغرب، الذين كان لهم دور كبير في تثمينه وتنشيطه، سواء تعلق الأمر بالجراند الناطقة باسم المفوضية الفرنسية كجريدة السعادة، أو بالجراند المستقلة؛ ومن بين هؤلاء نذكر ما يلي:

1- إدريس الحيزاوي:

من بين النشاطات الصحفية التي قام بها في المغرب هو تعيينه سنة 1904 رئيس تحرير جريدة السعادة الناطقة باسم المفوضية الفرنسية بطنججة؛ غير أنه لم يستمر في عمله هذا كونه عاد إلى الجزائر في سنة 1906؛ وحل مكانه الصحافي الشامي الماروني المسيحي وديع كرم⁴.

2- الجزائري أبو بكر بن عبد الوهاب العلوي الطنججي:

بعدما أنهى مدة إقامته الحزيرة بمدينة سلا بالرباط، عاد من جديد إلى مدينة طنجة، ويذكر أبو بكر الصبيحي -أحد المعاصرين والمقربين له- أنه بلغه عن طريق صهره⁵ بطنججة فيما بعد أنه بعد رجوعه لطنجة فتح بها مكتب مدافع، ثم أسس صحيفة عربية أسبوعية سماها إظهار الحق وكان هو محررها. ولقد ظل على هذا العمل إلى غاية وفاته بطنججة يوم الاثنين 22 ذي القعدة 1348هـ / 21 أبريل 1930م⁶.

-Jatila. SBAI: Trajectoire d'un homme et d'une idée: Si Kaddour Ben Ghabrit et L'islam de France 1892-1926, Hespéris-Tamuda, vol. XXXI, P-P.51-57.

1 - معلمة المغرب، ج. 5، المرجع السابق، ص. 1450.

2 - أبو عبد الله، السليمان: اللسان المغرب عن ثقافت الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص-ص. 32-33.

3 - المصدر نفسه، ص. 32.

4 - معلمة المغرب، مج. 11، المرجع السابق، ص. 3671.

5 - الفاضل صاحب الطابع التونسي.

6 - معلمة المغرب، مج. 9، المرجع السابق، ص. 2980.

3- محمد الصالح ميسه:

رغم أن تاريخ مساهمته في النشاط الصحفي تخرج عن الإطار الزمني لبحثنا؛ إلا أننا فظ ضمن هذا العنصر نظراً لدوره المتميز؛ ومن بين الأعمال التي قام بها في هذا الميدان هو تأسيسه مجلة المغرب سنة 1932م¹، وتولى هو إدارتها ورئاسة تحريرها؛ وهي جريدة كانت تصدر بانتظام وتعالج عدة مواضيع تمم ماضي المغرب وحاضره؛ ويعلب عليها طابع التجديد والإصلاح والحيوية، ونظراً لمكانتها يكون قد شارك في تحريرها نخبة من شيوخ المغرب وشبابه²، وكان محمد الصالح ميسه في كل افتتاحية يحررها أو مقالة ينشرها يرمز إلى نفسه بحرف (م). ويذكر محمد الصبيحي أن آخر مقال وقف عليه من هذه المجلة صدر في السنة الخامسة، في رجب شعبان 1355هـ/ سبتمبر-أكتوبر 1936، ثم يوعز توقف صدورها فيما بعد إلى أحداث أزمة 1937 وما أعقبها من اعتقال للوطنيين وتضييق على الحريات العامة³.

4- أحمد بنغريط التلمساني⁴:

ساهم إلى جانب سعيد حجي في إرساء قواعد جريدة المغرب، التي تعد أول جريدة وطنية يومية صدرت بالمغرب وملاحقها الثقافية التي تطورت إلى مجلة الثقافة المغربية. وبعد وفاة سعيد حجي تولى أحمد بنغريط إدارتها. فكبر حجمها وأطال عناونها؛ الثقافة المغربية للأدب والعلوم والفنون، وجعل سنة إصدارها بهذا الشكل سنة ثانية اعتباراً للأعداد السابقة التي أصدرها مؤسس المجلة سعيد حجي سنة أولى⁵.

لقد صدر العدد الأول من السلسلة الجديدة يوم الثلاثاء 19 شعبان 1361هـ/ 1 سبتمبر 1942م، واستمرت في الصدور وبانتظام بمقدار 10 أعداد كل سنة، إلى أن توقفت عن الصدور نهائياً بالعدد المزدوج من السنة الرابعة، عدد 9، 10، بتاريخ رجب-شعبان 1364هـ/ جوان-حويية 1945، نظراً لامتناع صاحب المطبعة الوطنية بالرباط عن الاستمرار في طبعها⁶، ورغم هذه الصعوبات فإنها لم تكن عزمه عن تأسيس جريدة

1 - كانت الأعداد التي صدرت في السنة الأولى من المجلة تنعت بألها مجلة شهرية، وفي السنة الثانية أصبحت تنعت بألها أول نشرة عربية حرة صدرت بالمغرب، وفي السنة الثالثة أصبح شعار المجلة تثقيفية عمرانية أدبية. يراجع: معلمة المغرب، مج. 9، ص. 2989.

2 - كمفتي سلا أبي بكر زبير، وندوب المعارف محمد الحجوي، والشاعر الفاسي محمد غريط، ومحمد الفاسي، ومحمد حصار، وسعيد حجي، وأحمد بلافريج. وعبد الكبير الفاسي... الخ. يراجع: معلمة المغرب، مج. 9، ص. 2989.

3 - معلمة المغرب، مج. 9، المرجع السابق، ص. 2989.

4- هو شقيق قدور بنغريط، لعب دوراً كبيراً في النشاط الاجتماعي والثقافي بالمغرب في ظل الحماية الفرنسية، إلى غاية الاستقلال سنة 1956، حيث انعزل عن الحياة العامة، واستقر به المقام في ضيعة له بضاحية سلا؛ إلى أن أدركته الوفاة يوم الأربعاء 25 جمادى الثانية 1412هـ/ 1 جانفي 1992م، عن عمر تجاوز 82 سنة. يراجع: معلمة المغرب، ج. 5، ص. 1450.

5 - معلمة المغرب، ج. 5، المرجع السابق، ص. 1450.

6 - المرجع نفسه، ص. 1450.

أسبوعية أخرى بوقت قصير سماها المرشد، غير أنها توقفت هي الأخرى عن الصدور في نفس السنة لنفسه¹.

هـ - الإمامة والخطابة:

لم تكن هذه الخطط العلمية بمعزل عن مساهمة المهاجرين الجزائريين؛ حيث كان منهم الأئمة والخطباء في المساجد، والفقهاء والعلماء في الحلقات العلمية التي كانت تُعقد بين الحين والآخر عبر مختلف المدن المغربية. وسنحاول الوقوف على مساهمتهم في هذا المجال من خلال العيّات والنماذج الموالية، دون مراعاة تاريخ توليهم لهذه الخطط العلمية، كوننا لم نقف على ذلك لدى أغلبهم. ومن بين هؤلاء نذكر:

1- سيدي الحاج أحمد بن التهامي (ت 1343هـ):

أسندت له الإمامة في الجامع الأعظم بمدينة وحدة في الربع الأول من القرن 14هـ/20م، وقد كان لا يزال إماما راتبا إلى غاية سنة 1330هـ؛ براتب شهري قدره 6 درور².

2- سيدي الحاج محمد بن الحسين العسكري (ت بُعيد 1346هـ/1928م): تولى الإمامة بجامع الأشهب في ربيع أولاد الكاضي بوحدة³.

3- سيدي أحمد بن عبد القادر بن المكي الغريسي: كان هذا الفقيه إماما بمسجد عيسر بوحدة، في حي أولاد عمران حوالي سنة 1886م⁴.

4- سيدي الحاج عبد القادر المستغامي (ت حوالي سنة 1359هـ):

كان قائما على الإمامة في الجامع الأعظم، وإلى جانب ذلك كان يقوم بقراءة كتب الصحاح من الحديث النبوي الشريف في حلقات خاصة كل يوم تقريبا⁵.

5- سيدي محمد بن باص (1290هـ-1359هـ):

تولى الإمامة في الجامع الأعظم مع سيدي الحاج عبد القادر ابن الكندوز، وسيدي الحاج أحمد بن التهامي؛ كما أنيطت به مهمة الإمامة في صلاة التراويح كذلك⁶.

6- عبد القادر بن الطيب الغريسي العسكري (ت جمادى الأولى 1307هـ):

تولى الإمامة بمسجد القصبة، كما كان قائما على أمر التدريس به، وقد بلغ راتبه الشهري في شهر شعبان 1291هـ أربعة مثاقيل⁷. وهذا الإمام تكون قد أشارت إليه إحدى الوثائق التاريخية، المؤرخة في 3 جمادى الثانية

1 - المرجع نفسه، ص. 1450.

2 - بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 49.

3 - المرجع نفسه، ص. 60.

4 - المرجع نفسه، ص. 65.

5 - المرجع نفسه، ص. 80.

6 - المرجع نفسه، ص. 86.

7 - المرجع نفسه، ص. 89.

1307هـ؛ والتي هي عبارة عن رسالة وجهها نجله مصطفى إلى السلطان الحسن الأول، يشتكي فيها حاله بعد وفاة والده الإمام؛ ومما جاء فيها بهذا الخصوص: «والدنا المرحوم بكرم الله الحى القيوم، الفقيه السيد عبد القادر بن الطيب الغريسي إمام مسجد القصبة، تركني وأنا ذو عيال؛ ولا صناعة ولا زراعة»¹.

7- سيدي أحمد بن عبد القادر الغريسي (ت 1343هـ): تولى الإمامة بجامع الباشا الذي بُني حوالي سنة 1256هـ².

8- سيدي أحمد بن عبد القادر بن الطاهر الحسني الغريسي: تولى الإمامة في جامع الدالية بوجدة في بداية القرن 14هـ/20م³.

9- سيدي الحاج أحمد دندان الندرومي (ت 1908م)⁴: كان إماماً راتبياً في جامع البلدية⁵.

10- سيدي الطيب بن زاوية العسكري (كان على قيد الحياة سنة 1347هـ): تولى الإمامة بجامع البرغوث الذي جُدد بناؤه في سنة 1279هـ⁶.

11- سيدي محمد بن الهاشمي المقرئ (ت 1399هـ): كان إماماً راتبياً في جامع المخزن بربع أهل اللّحامن⁷.

12- سيدي محمد بن سعد التلمساني:

فإلى جانب وظيفة التدريس والفتوى التي قام بها، يكون قد تقنّد خطة الإمامة والخطابة بالمسجد الأعظم بتازة⁸.

13- مصطفى بن يوسف:

من غير المستبعد أن يكون قد تولى وظيفة حرّاب في أحد المساجد المغربية، كونه كان حرّاباً في جامع سيدي رمضان بالجزائر⁹، هذا من جهة؛ ومن جهة أخرى فإنّ جلّ المهاجرين الجزائريين الذين يتوفرون على هذه القدرات والمواهب الفكرية قد تمّ توظيفهم بالمغرب.

1 - م. و. م. ر: رسالة من مصطفى بن عبد القادر بن الطيب الغريسي المهاجر بوجدة إلى السلطان المغربي الحسن الأول يظنّ

فيها الإنعام عليه وعلى عياله، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 26502.

2 - بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 89.

3 - المرجع نفسه، ص. 171.

4 - لقد ورد تاريخ وفاته عند بدر المقرئ في كتابه: خطط المغرب الشرقي ص. 171، أنه توفي سنة 1988، ومن غير المستبعد

أن يكون هذا خطأ مطبعي. ولذلك حاولنا تصويبه بسنة 1908م.

5 - المرجع نفسه، ص. 171.

6 - المرجع نفسه، ص. 172.

7 - المرجع نفسه، ص. 176.

8 - أبي عبد الله جعفر بن إدريس الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقر من العلماء والصلحاء بفاس، ج. 3،

المصدر السابق، ص-ص. 97-98.

9 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، المرجع السابق، ص. 367.

14- الحاج أحمد بن الحبيب (ت حوالي سنة 1938م):

فإلى جانب شهرته في تلقين المواد الأساسية من فقه الشيخ خليل والألفية والأجرومية، يكون قد تولى الخطابة بجامع عُقبة بحاضرة وجدة¹.

وإلى جانب خطبتي الإمامة والخطابة نجد خطة الفتوى التي تصدى لها كثير من الفقهاء الجزائريين المهاجرين بالمغرب، وهي خطة أولى لها سلاطين المغرب أهمية كبيرة، نظراً لمكانتها في المجتمع؛ وبالتالي فالفقهاء في المغرب كانوا يخضعون لشروط معينة، كالكفاءة، والتزاهة، والعلم، .. الخ، ومن لا تتوفر فيه هذه الشروط فهو غير جدير بتولي منصب الفقيه والمفتي، وتلمس هذا الحرص من خلال الرسالة التي بعثها السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى الطالب عبد السلام السلوي، بشأن قطع الفتوى عن مجموعة من الأشخاص، والذين كان من بينهم أحد المهاجرين الجزائريين وهو أحمد التلمساني، نظراً لعدم كفاءتهم.

ومما جاء في هذه الوثيقة المؤرخة في 8 رجب 1253هـ، بهذا الخصوص: «وبعد، فقد قطعنا الفتوى عن... وعن السيد أحمد التلمساني قرب مولاي عبد السلام نفع الله به... فلا يفتي أحد من هؤلاء الأربعة² بعد، ومن ظهرت فتواه بعد؛ فإنه يعاقب بحول الله، فإننا لم نأذن لهم في ذلك، وإنما احترفوها من عند أنفسهم وأكثروا التخليط والتلبيس على الناس بما لا طائل تحته»³.

15- عبد السلام الشرعي:

بعد أدائه لمناسك الحج سنة 1294هـ / 1877م، وعودته إلى مراکش، يكون قد نَقَدَ له قاضيتها عبد الواحد بن المواز سنة 1298هـ / 1881م خطبة جامع سيدي أبي العباس السبتي، وجعله قيماً على خزينة كتبه⁴. وفي سنة 1318هـ / 1900م تولى الخطابة بجامع مقصورة ابن يوسف، وكان يخطب يخطب يُمليها من حفظه. كما درس همزية البويصري، وكان يقرأ المواهب سرداً من حفظه أيضاً⁵. وفي أخريات حياته كفّ بصره، ورغم ذلك أسندت إليه الإمامة بقبة ضريح أبي العباس السبتي في أواخر حكم السلطان عبد العزيز⁶.

16- محمد بن عبد السلام الشرعي:

1 - عبد الحميد، إسماعيلي: «علماء المهر بمدينة وجدة في القرن 19»، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن 19، المرجع السابق، ص-ص. 75-76.

2 - وهم على النحو الموالي: محمد العشاب بالقصر الكبير، ومحمد الهاشمي بن عت|كلمة غير مفهومة|. وأحمد التلمساني قرب مولاي عبد السلام، ومحمد غيلان بأصيلة. يراجع: وثائق الخزينة الحسنية بالرباط: الأمر بقطع الفتوى عن محمد العشاب وآخرون. محفظة رقم 2/35. ك/1.

3 - و، خ، ح، ر: رسالة من السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى عبد السلام السلوي بشأن قطع الفتوى عن محمد العشاب وآخرون، محفظة رقم 2/35. ك/1.

4 - معلمة المغرب، مج. 16، المرجع السابق، ص. 5335.

5 - المرجع نفسه، ص. 5335.

6 - المرجع نفسه، ص. 5335.

إلى جانب تقلده لعدة مناصب ووظائف إدارية، يكون قد تولى الإمامة والخطبة بمسجد الشيخ أبي العباس السبتي بمدينة مراكش¹.

إن هذه المراقبة المخزنية للفقهاء والمفتين لم تمنع من وجود كثير من الجزائريين الذين تصدوا هذه الخطة؛ نظراً كفاءتهم وقدرتهم. وسنحاول في هذه النقطة الإشارة إلى البعض منهم على النحو الموالي:

1- الفقيه بومدين بروكش:

تولى منصب الفقه والإفتاء بمدينة فاس؛ وهذا ما أشارت إليه إحدى الوثائق التاريخية الصادرة عن السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى ولي عهده سيدي محمد، والمؤرخة في 25 شوال 1262هـ؛ ومما جاء فيها بشأنه: «وبعد، فإن الفقيه السيد بومدين بروكش طال مقامه بفاس، وقد بلغه أن ولدا له كبيراً قائماً بداره توفي بوجدة، وبقي أولاده للضياغ. فبوصول كتابنا هذا إليك ادفع له كسوة تناسبه وأحسن إليه»².

2- الفقيه عبد العزيز الجزائري:

تولى خطة الإفتاء بمدينة تطوان، وهذا ما أشار إليه محمد داود عندما ذكر أن هذا الفقيه يعد من جملة المتخلفين عن الهجرة من مدينة تطوان بعدما احتلها الإسبان سنة 1860م؛ ورضي بالقبول تحت حكم الكفار³.

3- الفقيه مولاي أحمد ابن القاضي العسكري (ت 1264هـ)⁴.

4- الفقيه سيدي الحبيب بن المصطفى:

تولى خطة الإفتاء بمدينة وجدة؛ وكان في تنافس مستمر مع ذوي الصدارة في الفقه والإفتاء والتربية، حتى حظي بشهرة واسعة، ولذلك نجده في طليعة الفقهاء الخمسة⁵ الذين توصلوا بصلة ملكية تشتمل على ملابس مختلفة في جمادى الأولى 1298هـ/ أفريل 1881م⁶. وإلى جانب ذلك يكون قد مارس وظيفة التدريس، فقد تكون على يديه أعداد من نبغاء الطلبة، ومن حملتهم أولاده الثلاثة: سيدي محمد المنقب بالضرير أو الكفيف، والقاضي الحاج العربي، والفقيه الحاج أحمد⁷.

5- الفقيه مصطفى بن محمد بن باص (ت محرم 1340هـ/ سبتمبر 1921م):

1 - المرجع نفسه، ص. 5336.

2 - م. و. م. ر: رسالة من السلطان عبد الرحمان ابن هشام إلى ولي عهده سيدي محمد بشأن الفقيه بومدين بروكش، ملف المهاجرين الجزائريين، سجل رقم 19073.

3 - تاريخ تطوان، مج. 5، القسم الثاني، ص. 231 [طبعة قديمة بقسنطينة].

4 - ولد ونشأ بمدينة معسكر، ولقد كان من جملة المهاجرين الجزائريين نحو المغرب، استقر بمدينة فاس، وبها توفي، دفن بفدان الغرباء قريبا من ضريح سيدي علي بن حرزهم. يراجع: الكتاني: سلوة الأنفاس، ج. 3، ص. 103.

5 - لم تتمكن من التعرف عليهم.

6 - عبد الحميد، إسماعيلي: «علماء المهجر بمدينة وجدة في القرن 19»، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن 19، المرجع السابق، ص. 73.

7 - المرجع نفسه، ص. 73.

- بعد هجرته من تلمسان نحو وجدة، واستقراره بها يكون قد انتظم في محافل الفقهاء وهوأة التصوف¹.
- 6- الفقيه أحمد بن عيسى الذي كانت له حلقات فقهية متواصلة بالجامع الكبير بوجدة، وإلى جانب هذا نجد كل من الفقيه عبد الله الملقب بالسيد عبّ المعسكري، والفقيه البشير المشرفي المعسكري وغيرهم كثير².
- 7- الفقيه سيدي محمد بن الخضر الإغريسي (توفي في 18 رمضان 1292هـ):
- لقد نعتة الحفناوي بالعالم الفقيه المهاجر في سبيل الله، فقيها مدرسا يقرأ مع بعض الطلبة ما تيسر بجامع الرصيف وغيره، ويومئ الناس بجامع أعلا عقبة ابن صوّال، ولقد كان مسنا أشيب ضعيف الصوت جدا، لا يكاد يسمعه من يليه³.
- 8- الفقيه مولاي أحمد ابن القاضي المعسكري (ت 1264هـ):
- لقد نعتة الكتاني في السلوة بالفقيه الأجل العلامة الأفضل، تولى تدريس الفقه والإفتاء بحاضرة فاس، بعد هجرته إليها من مدينة من معسكر⁴.
- 9- الفقيه أبو عبد الله سيدي محمد بن الهاشمي:
- لقد كانت مواعظه الفقهية ودروسه الرعظية في المساجد تليّن الصخور وتفصم من ذوي الزبغ والعتاد والظهور، فأصلح الله على يده طائفة من عوام أهل فاس، وأفرغ رحمه الله جهده في تعليم ضروريات الدين لهم، فكان يزل لهم على حسب مداركهم فتهذب به خلق كثير وتآدب بسببه جم غفير⁵.
- 10- الفقيه النبيه الشريف التريه سيدي محمد بن حماده⁶.
- 11- الفقيه سيدي عبد القادر بن الشيخ، وهو يعد من المشرفين العرجيين⁷.
- 12- الفقيه الحاج العربي بن الحبيب⁸.
- و- الفنون التشكيلية والمسرح والموسيقى:
- لم يغلو هذا المجال من مساهمة بعض المهاجرين الجزائريين؛ ولنلمس هذه المساهمة من خلال النماذج الآتية:
- 1- محمد بنغريبط (ت 1359هـ/ 1940م)¹:

1 - المرجع نفسه، ص. 78.

2 - المرجع نفسه، ص. 79.

3 - أبو القاسم عماد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، المصدر السابق، ص-ص. 204-205. يراجع بشأنه: الكتاني: سلوة الأنفاس ج. 3، ص. 102.

4 - أبي عبد الله جعفر بن إدريس الكتاني: سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقيروا من العلماء والصلحاء بفاس، ج. 3، المصدر السابق، ص. 103. يراجع بشأنه أيضا: الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 1، ص. 326.

5 - أبي عبد الله، السليمان: اللسان العرب عن ثقافت الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. 33.

6 - المصدر نفسه، ص. 34.

7 - المصدر نفسه، ص. 33.

8 - عبد الحميد، إسماعيلي: « دور علماء المهجر بمدينة وجدة في القرن 19 »، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن 19، المرجع السابق، ص. 77.

فإلى جانب وظيفته كمتروجم بالمحكمة الباشوية بالرباط؛ فإنه كان ولوعا بالطرب، ويتقن العزف على الكمان، الشيء الذي أهله لحضور مؤتمر الموسيقى العربية المنعقد بالقاهرة سنة 1932؛ وأثناء مقامه في الرباط كان يصحبه جماعة من الهواة خاصة الشباب، يأخذون عنه الموسيقى صناعة وتدريرا على آلاتها المختلفة. تمضي مجاور لزنقة العريفة المسماة زنقة الأوراوي في طريق الجزائر، شارع محمد الخامس اليوم، وحسب معلمة المغرب فإن محمد بنغريط يُعد في طبيعة من أدخلوا الطرب الغرناطي إلى الرباط، ومن أشهر المتخرجين على يده في هذا الفن الحسين بن المكي وابن عمر وأحمد بناني رئيس جوق الطرب الغرناطي الرباطي².

2- سي زواوي معمري³:

يعتبر أول دهان ومزخرف في شمال إفريقيا الذي ظهر في الأوساط الأوربية، وفرض نفسه كفنان عظيم، لا يمكن مقارنته بغيره؛ فرغم ما كتبه عديد المؤرخين في شمال إفريقيا عن الزخرفة العربية أو البربرية من قبل حيث لم يكن هناك من يماثله، ولم يقفوا على وجود أستاذ أو معلم لهذه الزخرفة. وبانتقاله إلى المغرب يكون قد حصل على عمل له في مدينة فاس، ثم في مدينة الرباط كمعلم للرسم، وهناك ذاعت شهرة ولوحات وتحف معمري⁴. ويتساءل "ميشال" إن كان هذا الفن والرسم الذي يقوم به معمري لا يتناقض ما تعاليم الدين الإسلامي الذي يحرم تجسيم الصور والتماثيل؟ فيقول أن معمري كان وفيا للآيات القرآنية ولتعاليم الدين الإسلامي، كونه سيأخذ موافقة علماء الدين بالمغرب حيث أقام هناك مدة طويلة من الزمن⁵.

1 - معلمة المغرب، ج. 5، المرجع السابق، ص. 1451.

2 - المرجع نفسه، ص. 1451.

3 - ولد الزواوي معمري سنة 1891 في منطقة القبائل الكبرى، وهو ينحدر من عائلة تشتهر بأعيانها، ومحبوبة من جبل إلى آخر بجبال حرجرة بالجزائر، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه، وكان من بين ما تعلمه اللغة الفرنسية، ونظرا للصفات التي تميز بها كالحفة والنقاء وسرعة الفهم، يكون قد تخرج لمزاولة دراسته ما بين 1906-1909 في المدرسة العادية ببوزريعة، وبعد مرحلة التحصيل العلمي وتخرجه، أصبح معلما. فقام بالتعليم في "Châteaudun-du-Rhumel شاطودان دي ريمال" في معهد قسنطينة، ثم في توجة، ثم في قورايا؛ وعلى الساحل المتوسطي هناك ظهرت علامات نبوغه كرسام في قورايا عام 1915، حيث التقى حينها بالأستاذ "Léon Carré ليون كاري" الذي اطلع على رسوماته ونصحها، بعد أن قدم له تشكرات قيمة جدا. ويذكر "غوفيون Govion" بخصوص معمري أزواو أنه كان يعتبر أحد أهم المستشرقين بباريس. يراجع:

notre rive, P. 14, Govion: kitab Ayanne Al-Magreb-Al-Akça, p, 261.

4 - M, MICHEL: SID AZOUAOU MAMMERI, notre rive, P. 14.

5 - Ibid, P.14.

الفصل الثالث

دورهم الاجتماعي

- سلك القضاء
- الإصلاح التربوي والاجتماعي
- الإصلاح الطبي
- تأثير المهاجرين الجزائريين في المجتمع المغربي

3. الدور الاجتماعي:

لم يكن الجانب الاجتماعي هو الآخر بمعزل عن مساهمة المهاجرين الجزائريين في المغرب، وتبدو لنا مساهماتهم الفعالة في هذا الميدان من خلال تسييرهم لعدة جوانب وقطاعات اجتماعية، كقطاع العدالة، والإصلاح بشقيه التربوي والاجتماعي، ومحاربة الفساد الإداري؛ وتحديث الجيش وإصلاحه.. الخ. ويمكننا تتبع هذه الأدوار حسب طبيعتها في ما يلي:

1- سلك القضاء:

رغم الصعوبة التي كانت تكتنف جهاز القضاء في المغرب، وشروط الالتحاق به كالتزاهة، والكفاءة العلمية، والحلم والقدرة.. الخ، فإن هذا لم يمنع كثير من المهاجرين الجزائريين بالمغرب من مساهماتهم الفعالة في ترشيح هذا القطاع وإرساء أسس وقواعد العدالة الاجتماعية بين أفراد المجتمع. ويبدو لنا ذلك من خلال التحاق كثير منهم بمناصب عدلية وقضائية راقية عبر مختلف المدن المغربية، ولقد قادتنا عملية البحث التي قمنا بها في هذا المجال إلى الوقوف على عدد هائل من القضاة الجزائريين الذين يمكن الإشارة إلى البعض منهم كما يلي:

- محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمان المحاوي:

إلى جانب مهمة التدريس التي أنيطت به في جامع القرويين بفاس، فإن هذا لم يمنعه من ممارسة حطة القضاء بطنجة منذ سنة 1262هـ؛ حطة استمر في أدائها إلى غاية وفاته في حدود سنة 1267هـ/ 1851م¹. وللعلم أن محمد بن عبد الكريم كان قد تولى سلك القضاء بتلمسان قبل هجرته نحو المغرب لمدة تزيد عن 25 سنة.

- أبو عبد الله محمد المحاوي:

يذكر محمد السليماني أن هذا العالم ينحدر من بيت الجليلين أبناء الشيخ الإمام سيدي عبد الجليل مؤلف كتاب تنبيه الأنام، الذي استقر به المقام بمدينة فاس، وتولى حطة القضاء بمدينة طنجة إلى أن توفي وخلف عتسب صالح انتقل فيما بعد إلى مدينة الجزائر².

- عبد العزيز بن سعد:

لقد سبق له وأن ولّاه السلطان المغربي عبد الرحمان ابن هشام حطة القضاء بمدينة تلمسان؛ أثناء فترة التدخل المغربي التي امتدت من 1830-1832³، وبعد عملية الانسحاب المغربي، يكون قد نصّب الأمير عبد القادر قاضيا بالمدينة بعدما استرجعها من الجيش الفرنسي سنة 1836؛ غير أنه وبعد احتلالها فيما بعد من طرف الجيش

1 - أبو القاسم محمد، الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج. 2، المصدر السابق، ص. 287.

2 - اللسان المغرب عن قافت الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. 31.

3 - Ougest, Cour : (L'occupation Marocaine de Tlemcen , Septembre 1830- Janvier 1836 (R. A, op, cit, P-P. 32-56.

وللعلم أن "كور أو غوست" يذكر هذا القاضي باسم محمد بن سعد، ولم يتمكن من تحديد هل محمد بن سعد هو نفسه القاضي عبد العزيز بن سعد؟

الفرنسي سنة 1842، يكون قد هاجر منها مع جملة المهاجرين الجزائريين نحو المغرب¹. ونظرا لمكانته وعلاقته بالسلطان المغربي فإنه من غير المستبعد أن يكون قد عيّنه في سلك القضاء بمدينة فاس.

- مولاي المختار:

يُعد من جملة المهاجرين الجزائريين الذين رافقوا الفقيه عبد الله السقاط في هجرته نحو المغرب، كما يعد من أفراد عائلته وأبناء عمومته؛ استقر به المقام بمدينة فاس لمدة من الزمن إلى غاية وفاته، ولقد ترك ولدين شغل أحدهما منصب قضائي في فاس الجديدة.

- الحاج العربي بن الحبيب (ت 1351هـ/1932م):

تولى خطة القضاء في فاتح محرم 1310هـ/ 26 جويلية 1892م، وكان ممارسا لها عام 1321هـ/ 1903م، وعام 1324هـ/ 1906م، وفي شوال 1326هـ، وفي صفر 1329هـ، وكان الحاج العربي قاضيا على الحاضرة الوجدية في ذي الحجة 1330هـ/ 1922م. وإن كان شائعا أنه أعفى نفسه من هذه الخطة عام 1328هـ/ 1910م².

وقد تميّز أثناء عمله بالزاهة والاستقامة والصدق والصراحة، كما كانت له صلوات قوية مع علماء المغرب. ونظرا لقوة شكيمته وصرامة أحكامه يكون قد ذهب ضحية مؤامرة ووشاية بإيعاز من عامل الحاضرة الوجدية أحمد بن كروم الجبوري البخاري المكناسي من أجل عزله عن خطة القضاء³؛ تمعاضة عبد الصادق رئيس الحامية العسكرية، وهو ما أدى في الأخير إلى إقصائه من وظيفته بمنشور ملكي مؤرخ في 6 جسانفي 1906⁴. وتعيين سيدي الهاشمي بن روكش الذي كان إماما بجامع حدادة خلفا له⁵.

وبعد مرور سنتين على إقصائه من منصبه، يكون المخزن قد ردّ له الاعتبار، ونوّه بخصاله الحميدة، ونلمس ذلك من خلال الظهير الحفيظي المؤرخ في 7 شوال 1317هـ/ 22 أكتوبر 1909م، ومما جاء فيه بهذا الخصوص: «الفقيه الأرضي القاضي بوحدة السيد العرابي (كذا) بن الحبيب وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله وبعد، وحصل كتابك مهتئا بعيد الفطر السعيد بكل فضل وخير مزيد، وصار بالبال هناك الله برضاد وأعانك على القيام بشريعتك وسددك والسلام»⁶.

1 - أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 4، المرجع السابق، ص. 425.

2 - بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 35.

3 - المرجع نفسه، ص. 34.

4 - عبد الحميد، إسماعيلي: "علماء المهجر بمدينة وجدة في القرن 19"، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن 19، المرجع السابق، ص. 76.

5 - بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 34.

6 - عبد الحميد، إسماعيلي: "علماء المهجر بمدينة وجدة في القرن 19"، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن 19، المرجع السابق، ص. 76-77.

ورغم هذا الظهير السلطاني فإن الحاج العربي بن الحبيب أبي في أواخر سنة 1328هـ / 1910م؛ إلا أن يتفرغ لشؤونه الخاصة، ويرعى أمواله وأرزاقه التي كانت في ثناء مطرد¹.

- عبد القادر الراشدي الملقب بالشركاوي (ت 1272هـ / 1855م):

إلى جانب مهمة التدريس والوعظ والإرشاد التي أبطت به هو الآخر بجامع القرويين، فإن هذا لم يمنعه من تولي خطة القضاء بمدينة مراكش².

- عبد الله المشرفي (السقاط/سقط):

ذكر "ميشو بيلير" في دراسته أن الحاج محمد المشرفي حينها لم يكن مجرد رعية من رعايا السلطان المغربي فحسب، بل كان قاضيا بقبيلة الحياينة، وموظف بالمخزن، ويقول أن احتفاظ المخزن به وتعيينه في هذه المناصب الحساسة هو لضمان الاستقرار في المملكة المعرضة لكافة الأخطار والاحتمالات السيئة آنذاك³.

- مجموعة من القضاة المشرفيين العرجيين:

يذكر السليماني مجموعة من القضاة الذين ينحدرون من هذا البيت، وهم على النحو الآتي⁴:

أ- قاضي القضاة أبو عبد الله ابن الشيخ المشرفي الحسني.

ب- ابن عمه الفقيه سيدي عبد القادر بن الشيخ.

ج- سيدي محمد بن مصطفى قاضي قبيلة الحياينة.

- قاضي القضاة السيد أبو العباس أحمد بن الهاشمي المراهي العسكري.

- سيدي محمد بن حماده:

ينحدر من بيت المراهين العسكريين، تولى القضاء بنواحي قبيلة أولاد عمرو⁵.

- محمد بن العربي المشرفي المشرفي⁶: فإلى جانب ممارسته لخطة الفتوى، تولى منصب القضاء أيضا⁷.

- الشرعي عبد السلام بن الغالي (ت 1334هـ / 1916م)⁸:

1 - المرجع نفسه، ص. 77.

2 - إبراهيم، حركات: التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية، ط. 2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1994، ص. 23.

3 - Michaux-Bellaire: Les musulmans d'Algérie au Maroc, op, cit, P. 35.

4 - اللسان المغرب عن قوافل الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. 33.

5 - أبي عبد الله، السليماني: اللسان المغرب عن قوافل الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. 34.

6 - عكاشة، برحاب: من قضايا الحدود بين المغرب والجزائر، المرجع السابق، ص. 99.

7 - محمد بن محمد بن مصطفى، المشرفي: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية، ج. 1، تحقيق ودراسة إدريس بوهليلة، المصدر السابق، ص. 67.

8 - ولد ليلة 27 رمضان 1267هـ / 26 جويلية 1851، وهو من أصول جزائرية؛ حيث تنحدر عائلته من منطقة عين الخوت بحوز مدينة تلمسان، درس بمدينة فاس على يد مجموعة من الشيوخ الأجلاء مثل: محمد كنون، والتهامي كنون، والهادي الصقلي. ثم انتقل إلى مدينة مراكش في سنة 1289هـ / 1872م، ومنها سافر نحو تونس لتابعته تحصيله العلمي، ثم توجه إلى الإسكندرية،

تولى في سنة 1303هـ/ 1885م خطة القضاء بالنيابة بمدينة أسفي حسب وثيقة بخطه -حسب أحمد متفكر¹ - يقول فيها: «حللت ثغر أسفي عشية الأربعاء العاشر من ربيع الثاني عام 1303 هـ»². فأُسند إليه نيابة القضاء بصفة رسمية عام 1308هـ/ 1809م، وفي سنة 1317هـ/ 1899م رجع إلى مدينة مراكش حيث تولى منصب نائب عن قاضيه المنيعي الذي يكون قد غادرها في مهمة محزنية، وبوفاة هذا الأخير في السنة الموالية 1318هـ/ 1900م، عُيِّن عبد السلام الشرعي خلفاً له، وكان يُحكم بمقصورة ابن يوسف³.

- محمد بن عبد السلام الشرعي (ت 1380هـ/ 1960م)⁴: بعد تخرجه من القرويين يكون قد تولى عدة وظائف محزنية، من بينها⁵:

- مساعدة والده الذي كان قاضياً بمدينة مراكش.

- اشتغل عدلاً بنظارة الأحباس الصغرى بمراكش.

- كاتب خاص للخليفة السلطاني مولاي عبد الحفيظ سنة 1321هـ/ 1902م.

- عُيِّن في سنة 1325هـ/ 1906م كاتب ببنيقة الصدر الأعظم محمد بن كبور في البدايات الأولى مسن

حكم السلطان عبد الحفيظ، وظل في عمله بدار المخزن بكل من فاس والرباط، أيام الصدر المدني الكسلاوي، ثم الصدر الحاج محمد الجباص، وفترة أخرى قضاها مع الصدر الحاج محمد المقرئ. ونظراً لإخلاصه وتفانيه في العمل يكون قد منحه الصدر الأعظم الجباص شهادة حسن السيرة، كما أنعم عليه وزير العدلية أبو شعيب الدكالي بوسامين الأول بتاريخ 10 أكتوبر 1916م، والثاني في 17 جوان 1937.

وإلى جانب هؤلاء القضاة والعدول؛ فإن الدراسة التي أعدها بدر المقرئ جاءت غنية بالعديد من القضاة الذين تولوا مهامهم بمدينة وجدة، قضاة لعبوا أدوار كبيرة في سبيل إرساء قواعد العدالة الاجتماعية، وإنصاف المظلومين، خاصة في ظل الموقع الجغرافي لهذه المدينة التي تعتبر بوابة المغرب الشرقي؛ وبجاراتها للجزائر، وتعداد

ثم إلى الخجاز لأداء فريضة الحج في سنة 1294هـ/ 1877م، ثم عاد على اثر ذلك إلى مراكش أين تولى عدة مناصب ومهام إدارية. يراجع: معلمة المغرب، مج. 16، ص. 5335.

1 - باحث معري، له مساهمات علمية في معلمة المغرب، من بينها ما كتبه عن أسرة الشرعي؛ والتي استقينا منه هذه المعلومات.

2 - معلمة المغرب، مج. 16، المرجع السابق، ص. 5335.

3 - المرجع نفسه، ص. 5335.

4 - ولد بمدينة مراكش - وهو ينحدر من أصول جزائرية- في سنة 1302هـ/ 1885م؛ تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه، على يد والده وبمجموعة من الشيوخ مثل: أبو شعيب الدكالي، وأحمد ولد الحاج المحجوب، والحسن الرحمان؛ ثم انتقل بعد ذلك إلى مدينة فاس حيث واصل تعليمه في جامع القرويين على يد مجموعة من العلماء. وبعد هذه المرحلة عاد من جديد إلى مسقط رأسه ليتولى بعدها عدة وظائف محزنية، توفي يوم الخميس 23 ربيع الأول 13870هـ/ 15 سبتمبر 1960م. يراجع: معلمة المغرب، مج. 16، ص-ص. 5335-5336.

5 - معلمة المغرب، مج. 16، المرجع السابق، ص. 5335-5336.

ساكنتها وتشعبها؛ حيث يصعب على القاضي أداء دوره بكل نزاهة؛ غير أن هذا الوضع لم يش مسن عزيمتهم؛ ومارسوا مهامهم بكل جدارة. ومن بين هؤلاء القضاة:

- سيدي الحاج أحمد بن التهامي (ت 1343هـ)¹؛

رغم اشتغاله بالتدريس والخطبة والإمامة بالجامع الأعظم بوجدة، فإن هذا لم يشنه عن تولى حطة العدالة وقبول الشهادة، فقد كان موسوما بوسم العدالة في صفر 1337هـ، وفي جمادى الثانية 1338هـ، وفي شعبان 1338هـ، ورمضان 1340هـ².

- سيدي المختار بن روكش³؛

كان قاضيا بمدينة وجدة إلى أن توفي بها، ومما ورد عنه في نزهة الأبصار- نقلا عن بدر المقرئ-: «العلامة الأديب، قاضي وجدة الأريب، أبو الفخار، السيد المختار بن روكش كان عاملا حبيبا، ذا سخاء ومروءة، وله سياسة انفرد بها في الفصل بين العامة، وبها أحبتة الدولة وأعجبتها سيرته، فكان قاضيا بها، إلى أن مات رحمه الله»⁴.

- سيدي الهاشمي بن أبي مدين بن روكش: تولى ثلاثة حطط شرعية هي على النحو الموالي:

أ- ناظر للأحباس بوجدة في مستهل رجب 1291هـ؛ ولقد استمر في منصبه هذا إلى غاية 6 ربيع الثاني 1310هـ. ومن بين الأمور التي أنيطت به بشأن المهاجرين الجزائريين بوجدة هو توزيع 100 ريال على الفقراء منهم حسب الأمر الملكي المؤرخ في 14 رمضان 1307هـ⁵.

ب- كان موسوما بالعدالة وقبول الشهادة في 28 محرم 1302هـ، و16 ذي القعدة 1332هـ، و3 جمادى الثانية 1336هـ، و7 جمادى الأولى 1338هـ، و16 رجب 1340هـ، و3 ذو الحجة 1342هـ، ولا كان لا يزال على حطة العدالة في شهر شعبان 1344هـ؛ إلى أن توفي⁶.

ج- توليه حطة القضاء بوجدة، في 10 رمضان 1323هـ، وفي 16 ذو القعدة 1324هـ، وفي 2 ربيع الثاني 1325هـ⁷.

1 - هو سيدي الحاج أحمد بن التهامي، ابن سيدي محمد بن التهامي الذي هاجر نحو مدينة وجدة في حدود سنة 1264هـ، يراجع: حطط المغرب الشرقي، ص. 49.

2 - بدر، المقرئ: حطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 49.

3 - للعلم أن هجرة آل ابن روكش من معسكر إلى وجدة كانت في حدود سنة 1253هـ.

4 - بدر، المقرئ: حطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 61.

5 - المرجع نفسه، ص. 62.

6 - المرجع نفسه، ص. 62.

7 - المرجع نفسه، ص. 62.

- سيدي الغوثي بن محمد بن باص (ت 1335هـ)¹:

تولى رسم العبدالة وقبول الشهادة في الحاضرة الوجدية، وكان من جملة الفقهاء التلمسانيين المهاجرين بوجدة الذين توصلوا بصللة سلطانية سنتي 1309هـ، و1312هـ².

- سيدي عبد القادر ابن الفقيه سيدي محمد بن باص (ت 1334هـ): تولى هو الآخر خطة العبدالة بمدينة وجدة³.

- سيدي بوغزة بن الحاج محمد البوشيخي: تولى خطة القضاء ببركنت، وكان لا يزال عليها في جمادى الثانية 1344هـ⁴.

- مولاي أحمد بن أحمد بن عبد الله ابن منصور الحوتي: بعد أن تم تعيينه باشا لمدينة الدار البيضاء، تولى رئيس المحكمة لمدة تسع سنوات⁵.

2- الإصلاح التربوي والاجتماعي:

لقد ساهم في هذه الحركة ثلة من نخبة المهاجرين الجزائريين، وبذلوا في ذلك كل ما في وسعهم لخدمة الوطن الذي احتضنهم؛ وغايتنا هنا هو إبراز ما لهؤلاء من أدوار في الحركة الإصلاحية التي عرفها المجتمع المغربي في مختلف المجالات خلال النصف الثاني من القرن 19، والربع الأول من القرن 20. ومن مظاهر هذا الإصلاح ورواده نذكر:

1- موقف أبو حامد العربي المشرفي من حركة الإصلاح التي كان يشهدها المغرب: يمكننا تتبع مواقفه

فيما يلي:

- الإمارة والسلطان:

يرى المشرفي أن طاعة ولي الأمر واجبة وجوب كفاية، ومن بين الصفات التي رآها كفيلة بنجاح الأمير أو السلطان في تدبير شؤون دولته: الشجاعة والإقدام والعفة والحلم وكظم الغيظ، والعفو والرفق، والوفاء بالوعود والعهد والصدق، والحزم في تسيير أمور الرعية، والدهاء والتواضع وسلامة الصدر من الحقد والحسد، والصبر أمام الشدائد، والسخاء والعدل، والاستعانة في الملك بالأعوان من وزراء وولاة وعُمال من ذوي الخبرة والنجاة للرأي والمشورة ومباشرة الحرب... الخ⁶.

1- ينحدر من أسرة آل باص التلمساني التي هاجر عميدها من مدينة تلمسان نحو مدينة وجدة في حدود سنة 1246هـ، يراجع: خطط المغرب الشرقي، ص-ص. 86-87.

2- المرجع نفسه، ص. 87.

3- المرجع نفسه، ص. 87.

4- المرجع نفسه، ص. 201.

5- المرجع نفسه، ص. 325.

6- أبو حامد العربي، المشرفي: أحوال المطاعين في الطعن والطواعين للعربي المشرفي، تحقيق ودراسة الحسين الفرقان، المصدر السابق، ص. 109.

- الوزارة:

يتم اختيارهم كما هو معروف وفق نظر الملوك والأمراء، ولقد اعتبر المشرفي أن صلاحهم يرتكز على النصيحة الحسنة للملك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والاعتدال والشجاعة، لأن صلاح السلطان وفساده لازم عن صلاح الوزير وفساده، وكما أن السلطان إذا صلح صلحت الرعية وإذا فسد فسدت الرعية، فكذلك الوزير إذا صلح صلح الملك وإذا فسد فسد الملك. ولم يكتف بذلك بل اشترط في ضرورة تعيين الكتاب من نخبة أبناء المجتمع، وأن يكونوا من أرفع الطبقات، وأهل المروءة والحشمة، وزيادة العلم وعارضة البلاغة، كما نبتد إلى وظيفة رآها ضرورية للملك وهي ديوان العمل والجبليات.¹

- الجهاد:

لقد دافع العربي المشرفي عن رأيه في الجهاد بضرورة أخذ الأهبة والاستعداد الجيد له، مع ضرورة الوقوف إلى جانب السلطان في مثل هذه الظروف ومعاضدته، ولقد عبّر عن رأيه هذا بشكل كبير أثناء وجوده في الجزائر، ثم أثناء انتقاله إلى المغرب؛ خصوصا عقب هزيمة المغرب أمام الفرنسيين في معركة ايسسلي سنة 1844، وأمام الاسبان في معركة تطوان سنة 1859، حيث نجده يعيب على العلماء الذين عارضوا الصلح مع الاسبان على غرار السلطان، وأنه ليس من واجبه الخروج عن طاعته، لأنه نائب عن الشريعة، فله أن يجتهد وعلى العلماء الامتثال وعدم التعرض لما حكم به الأمير لأنه أدري بمصالح المسلمين.²

- إصلاح الجيش:

من المعروف أن المغرب عقب هزيمته في معركة ايسسلي سنة 1844، بدأت كثير من الأصوات تنادي بضرورة إصلاح الجيش، وهو ما يُسميه المرحوم الأستاذ محمد المنوي³ بمظاهر يقظة المغرب الحديث⁴. فلم يبت المشرفي مكتوف الأيدي أمام هذه المسألة بل أدلى بدلوه فيها، ومن بين آرائه في هذا الشأن رأيه في الإصلاح العسكري الذي قام به ولي العهد سيدي محمد بإنشائه لجيش نظامي ومما جاء في رأيه هذا: «وأما عساكره التي اخترعها هو ومولانا والده وتحلى بها طوقه وساعده فهي من سائر القبائل، وإحسان سيدنا إلى إدخالهم في الخدمة آيل، ومن مرن منهم بالخدمة وجرّب استعمل وزيد له في المرتب وقرب، ومن تكاسل عنها يطرده ويبعد، ولا فائدة في العاجز والأشل الأقطع»⁵

1- المصدر نفسه، ص.110.

2- المصدر نفسه، ص.111.

3- لقد كان لي شرف زيارة هذا المورخ الجليل في بيته المتواضع بمدينة أكدال بالرباط في شهر جوان 1999، أثناء تحضيرتي لأطروحة الماجستير، فلم يحل عليّ بتوجيهاته ونصائحه القيمة، ولقد وفقت منه على تواضع كبير ومعاملة جد حسنة.

4- مظاهر يقظة المغرب الحديث، ج. 1، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.

5- العربي، المشرفي: الحسام المشرفي لقطع لسان الشاب الجعفري الناطق بحرفات الجعسوس سيء الظن الكنسوس، مخ. ح.

ع. ر. رقم 2276 ك، ص.294.

- ضبط الأمن العام:

لقد تميز مغرب القرن 19 بانتشار عدة ظواهر كاللصوصية والفضوى وتدهور الأوضاع الأمنية، ولقد استفحلت هذه الظاهرة بشكل كبير، وإن كان لهذه الظواهر ما يبررها كالفساد الإداري وانتشار القحط والمجاعة والأوبئة،¹ والتدخل الأوربي والثورات والفتن الداخلية، وانتشار ظاهرة تهريب الأسلحة وغيرها؛ فإن المشرفي يكون قد عايش هذه الظروف، وكعادته حاول أن يكون له رأي في مسألة استتباب الأمن، ميرزا أن سبب ذلك يعود إلى حاشية وبطانة الملوك، وأن هؤلاء لا يصدر منهم ما يُشِين وإنما سببه يعود إلى تدليس الحكام عليهم². ويُحسّون أن يُشيد بالتطور الأوربي وخاصة الفرنسي الحاصل في هذا المجال، ويدعو إلى ضرورة الأخذ بمبادئ النهضة الأوربية، ويركز بالخصوص على نظام العدالة والقضاء. ولذلك يمكن إدراج المشرفي ضمن العلماء المصلحين المحددين.

2- مشروع السليمانى للإصلاح التربوي:

نظرا للصبغة الإصلاحية التي يكتسيها هذا المشروع فضّلنا إدراجه ضمن الدور الاجتماعي، وغايتنا في ذلك الوقوف على أحد النماذج الإصلاحية في الميدان التربوي التي تنبأها هذا المصلح الاجتماعي. ويمكننا الوقوف على هذا المشروع الذي عرضه في مؤلفه الموسوم باللسان المغرب عن ثقافت الأجنبي حول المغرب³؛ في ما يلي:

- التعريف بالمشروع:

هو مشروع إصلاحي تربوي، سعى من خلاله إلى تقديم تصور شامل عن طريقة التعليم وأطواره التي ينبغي أن تسود في المغرب، وقد صاغه في حدود سنة 1911⁴، أي قبيل فرض نظام الحماية المزدوجة على المغرب.

- مضمونه: لقد طرح السليمانى مشروعه في الفصل الأول من القسم الرابع من اللسان المغرب في فصلين

رئيسيين على النحو الموالي:

الفصل الأول: وهو في كيفية ترتيب المدارس وبرنامج القراءة والفنون.

لقد تناول في مقدمة هذا الفصل العلاقة المتينة التي تجمع بين الدين والعلم، وأنه ليس هناك دين بلا علم، ولا علم بلا دين، وربط هذه العلاقة بحب الوطن الذي منبعه الإيمان الخالص⁵. ويشترط في طلب العلم أن تكون الغاية منه هي سعادة البلاد وصلاح العامة، لا أن تكون الغاية منه أداء الامتحانات وأخذ الشهادة والحصول على وظيفة، كما يشترط أن يكون التعليم عاما وإجباريا على ثلاث مستويات: ابتدائي، وثانوي، وعالي، وأن تكون

1- يراجع هذا الخصوص ما جاء في أطروحة محمد الأمين البزاز: تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، ك. آ. ع.، في سلسلة رسائل وأطروحات، الرباط، 1992.

2- أبو حامد العربي، المشرفي: أقوال المطاعين في الطمن والطواعين للعرابي المشرفي، تحقيق ودراسة الحسين الفرقان، المصدر السابق، ص. 114.

3- أبو عبد الله، السليمانى: اللسان المغرب عن ثقافت الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. 162-167.

4- عبد الإله، بلعزير: الخطاب الإصلاحي في المغرب التكوين والمصادر، ط. 2، دار المنتخب العربي، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1997م، ص. 133.

5- أبو عبد الله، السليمانى: اللسان المغرب عن ثقافت الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. 162.

نسبة التلاميذ تمثل على الأقل نسبة 20% من عدد السكان، وأن تكون المدارس الابتدائية منتشرة في كل حارة وقرية، والمدارس الثانوية في كل عمالة، والمدارس العليا في كل أمهات المدن¹.

- ترتيب القراءة وبيان الفنون المدرسية:

بعد أن يبلغ الصبي سن الخامسة يجب عليه أن يلتحق بالمكتب القرآني، أين يتعلم أثنائها الحروف ومبادئ الكتابة وآداب العبادة: من تعلم وضوء وحركات واعتدال، وطمأنينة في الصلاة، وكالاقتصاد في المشي وتناسب الخطوات، وحسن المخاطبة.. الخ. وبعد مرور سنتين من هذه المرحلة يُمتحن التلميذ فيما حصّنه، فإذا حصل له النجاح يوهل للدخول إلى المدرسة الابتدائية².

- المدرسة الابتدائية:

يلتحق بها التلميذ في سن السابعة، ويتلقى أثناءها من العلوم العربية: المفردات اللغوية، وحفظ بعض المقامات، ومبادئ النحو والصرف، ومبادئ العقائد والفقه، ومبادئ الحساب.. الخ ثم ينتقل السلیمان للحديث عن صفة الدرس وفصل راحة التلميذ، وفترة التدريس التي تتم بين الصباح والمساء طيلة أيام الأسبوع عدا الخميس والجمعة، والأعياد والمواسم. ويمكث التلميذ مدة أربع سنوات بهذه المدرسة، وعلى رأس كل سنة يُمتحن، وفي حالة نجاحه في المرحلة الأخيرة يوهل للدخول إلى المدرسة الثانوية³.

- المدرسة الثانوية:

فإلى جانب ما يتلقاه التلميذ في المراحل السابقة، يضيف إلى رصيده العلم في هذه المرحلة علم التحويس، والرسم، وعلم المعاني، والبيان، والمنطق، والأصول، والحديث النبوي الشريف.. الخ، ومدتها أربع سنوات، وإذا نجح التلميذ في المرحلة الأخيرة يوهل للدخول إلى المدرسة العليا الجامعة⁴.

- المدرسة العليا الجامعة:

في هذه المرحلة ينفرد التلميذ بالتخصص في فن من الفنون العلمية الذي يختاره لنفسه، وهذه المدرسة تنقسم إلى فروع حسب أشغال الأمة وضخامتها، ومن بين هذه الفروع: الفرع العسكري الذي تنفرع عنه عدة اختصاصات، والقسم الملكي الذي تنفرع عنه هو الآخر عدة تخصصات.. الخ⁵.

1 - المصدر نفسه، ص. 162.

2 - المصدر نفسه، ص. 163.

3 - المصدر نفسه، ص. 163-164.

4 - المصدر نفسه، ص. 164.

5 - المصدر نفسه، ص. 164.

الفصل الثاني: وهو في كيفية جمع المال لإقامة المدارس ونقل العلوم العصرية من لغاتها إلى العربية. ويتعرض السليمان في هذه النقطة إلى ضرورة جمع المال لبناء المدارس وحلب الأدوات المدرسية: من آلات كيمياوية، ومراقب فلكية، وآلات صناعية، ولوازم طبية وجراحية.. الخ¹. ويتم جمع المال في نظره إما عن طريق الدولة: وذلك بأن تُوظف على الأهالي قدر زهيد من المال زيادة في الجبايات السنوية.

ويضرب لذلك مثالا: لدينا 10 ملايين نسمة، فإذا أخذنا عن كل فرد فرنك واحد في كل سنة، فإننا ستتحصل على 10 ملايين فرنك، وهو قدر يراه كافيا لإقامة شؤون المدارس، ولا يضر بالأهالي بل يعود عليهم بالنفع العام. أو عن طريق الأمة والجمعيات الخيرية، وعن طريق جمع التبرعات من المساحد والزوايا والمزارع.. الخ، ويتم ذلك تحت رقابة أمناء أتقياء؛ غير أنه سرعان ما يستبعد هذه الطريقة كون الأمة عاجزة عن إدراك فوائد المشروع². ويختتم مشروعه بالإشارة إلى طريقة نقل العلم التي يراها تتم بطريقتين: عن طريق ترجمته من لغته الأم إلى اللغة العربية، ويستشهد في ذلك بما قام به أسلافنا عندما ترجموا التراث الإغريقي إلى اللغة العربية، وما قام به الأوربيين عندما ترجموا التراث العربي والإسلامي إلى لغاتهم، وإما عن طريق تعلم اللغات الأجنبية³.

- **مصير المشروع:** نظرا للفترة الحرجة التي صاغ فيها السليمان مشروعه الإصلاحية، تكون قد واجهته العديد من الصعوبات والعراقيل؛ خاصة في ظل فرض الحماية الفرنسية على المغرب، وهو ما سيؤول أمر تنفيذ هذا المشروع إلى الدولة الحامية بواسطة توظيف رموز إصلاحية مغربية⁴.

3- تعليم المرأة: عندما طرحت هذه المسألة في المغرب اختلفت حولها الآراء والاتجاهات، بين أن تبقى المرأة ماكنة في البيت تدير شؤون أبنائها وزوجها، وبين أن تخرج من بيتها لتتعالق مع المجتمع، وهو ما تستعين به على إدارة شؤون بيتها.. الخ. ومن بين الفقهاء والعلماء الذين أولوا أهمية بالغة لتعليم البنات العلماء الجزائري عبد الحفيظ الجنان⁵ الذي كان له رأي في هذه المسألة⁶. ومن بين ما أدلى به في هذه المسألة: «لا رقي لمجتمعنا البشري وتقدمه إلى أوج الكمال، إلا بسببين رئيسيين: تعليم المرأة الإفريقية المسلمة قواعد دينها وتسيير منزلها وهيئتها لتربية أبنائها، وفتح المدارس الحرة للولدان لتغذيتهم بلبان العلوم ثم يخرجوا بعدها رجالا أحرارا مفكرين»⁷.

1- المصدر نفسه، ص. 165.

2- المصدر نفسه، ص. 165.

3- المصدر نفسه، ص. 166.

4- عبد الإله، بلعزير: الخطاب الإصلاحية في المغرب التكوين والمصادر، المرجع السابق، ص. 133.

5- لم أقف على ترجمته.

6- العربي، واحي: (مجلة السلام والمشروع الإصلاحية للحركة الوطنية في المنطقة الخليفية)، لدوة علمية حول موضوع

المنطقة الشمالية والكفاح الوطني 1909-1956، تطوان أيام: 5-6-7 شعبان 1417هـ / 16-17-18 ديسمبر 1996م.

بجامعة عبد الملك السعدي، ك، آ، ع، إ، تطوان، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1998، ص. 105.

7- المرجع نفسه، ص. 105.

4- محاربة البدع والخرافات في أوساط المجتمع المغربي:

في ظل انتشار الجهل والامية في أوساط المجتمعات العربية، يكون قد صاحبها انتشار للعديد من البدع والخرافات والشعوذة، والعديد من مظاهر الشرك، ومما ساعد هذه الظواهر الخطيرة على الانتشار أكثر الطرقية البدعية والسياسة الاستعمارية، وفي ظل هذه الأوضاع ظهرت العديد من الحركات الإصلاحية، كحركة محمد بن عبد الوهاب (ت1206هـ / 1792م)¹، وحركة جمال الدين الأفغاني (1838-1897)² ومحمد عبده (1849-1905)³، وحركة محمد المهدي (1843-1885)⁴ في السودان، وجمعية العلماء المسلمين في الجزائر بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس (1889-1940)⁵، وعليه فالمغرب هو الآخر لم يكن بمنأى عن هذه الظواهر الاجتماعية. ومن بين المصلحين الجزائريين الذين تصدوا لمحاربة البدع والخرافات التي كانت تنخر جسم المجتمع المغربي والجزائري نجد محمد بن الأعرج السليماني، الذي تصدى لها من انطلاقا من نادي الشبيبة الذي أسسه بتلمسان،

- 1- مصلح ديني، ولد في منطقة العيينة بنجد سنة 1115هـ / 1703م، دعا إلى تنقية الإسلام من الأخرافات عن طريق الكتاب والسنة، في إطار حركة إصلاحية عرفت بالحركة الوهابية، التي لاقت دعم وتأيد من محمد بن سعد، له مؤلفات عدة من بينها: كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، وتفسير الفاتحة.. الخ. يراجع: كرم البستاني، وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 369.
- 2- ولد في كابل بأفغانستان، تلقى تعليمه الأول في مسقط رأسه، تحول في الشرق والغرب، ويعرف بفيلسوف الإسلام في عصره، له مؤلفات عدة من بينها: إبطال مذهب الدهريين، كما أصدر مع الشيخ محمد عبده مجلة العروة الوثقى بباريس سنة 1884. يراجع: كرم البستاني، وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 57.
- 3- مصلح اجتماعي، وسياسي، يعد من العلماء المسلمين الداعين إلى التجديد والإصلاح، تلقى تعليمه الأول في جامع الأزهر الشريف، حرر جريدة الوقائع المصري، وأصدر في باريس رفقة جمال الدين الأفغاني ما يسمى بالعروة الوثقى، وعند عودته إلى بيروت اشتغل بالتدريس والتأليف، تم تعيينه سنة 1899 مفتي الديار المصرية، من مؤلفاته: رسالة التوحيد، شرح مقامات بديع الحمذاني، شرح فتح البلاغة، تفسير القرآن.. الخ. يراجع: كرم البستاني، وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 369.
- 4- رجل ديني صوفي، أعلن نفسه المهدي المنتظر، قاد حركة الإصلاح المهدوية في السودان، حارب الإنجليز وتمكن من فتح مدينة الخرطوم، توفي في أم درمان. يراجع: كرم البستاني، وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 552.
- 5- ولد بمدينة قسنطينة في 5 ديسمبر 1889، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه، ثم انتقل إلى تونس في سنة 1908 لمواصلة دراسته بجامع الزيتونة، وتخرج بشهادة التطويح سنة 1911-1912، ثم عاد إلى بلده، ومن النشاطات التي قام بها: تولى وظيفة التدريس بالجمع الكبير، إلا أن السلطات الفرنسية لم تسمح له بممارسة نشاطه بشكل حسن، فضيقت عليه الخناق، مما دفعه إلى التوجه نحو المشرق العربي حيث أدى فريضة الحج، والتقى بالعديد من العلماء والمفكرين، ثم سرعان ما رجع من جديد إلى مسقط رأسه سنة 1913، فتولى حينها التدريس في الفترة الممتدة من 1913-1925، كما قام بتأسيس العديد من الصحف والجرائد، كجريدة المنتقد، ومجلة الشهاب، ويعود له الفضل في تأسيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر، وبعض النوادي كنادي الترقى، حارب الطرقية البدعية التي ظلمت الشعب الجزائري بخرافاتهما وشعوذتهما، وظل وفيما لوطنه مناضلا بلسانه وقله إلى أن وافته المنية سنة 1940، ومن أهم مؤلفاته: مجالس التذكار، تفسير القرآن الكريم، العقائد الإسلامية.. الخ. يراجع كل من: المنجد في اللغة والأعلام، ص-ص. 28-29، كرم البستاني، وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 5، أبو عمران الشيخ، وآخرون: معجم مشاهير المغاربة، ص-ص. 64-68.

فإلى جانب دوره الثقافي يكون النادي قد تبني أيضا مهمة إصلاح أمور الجزائريين بل المغاربة كافة، وذلك بوضع النواة الأولى لحركة كعضوية وفكرية بإعلانه الحرب ضد التخلف الثقافي والحضاري والجمود الفكري¹.
ومما قاله عمار هلال بشأن هذا المؤرخ المغربي-الجزائري والمصلح السنفي: «وتبدو واضحة الأفكار الإصلاحية والوطنية، والترعة الوحشية المغاربية والإسلامية من خلال ما كتبه ابن الأعرج ما بين سنتي 1911-1926 بحيث فعلت في نفسه الأوضاع المغاربية المتدهورة فعلها فحمل على التفهقر والضعف، والجهل، والكسل، والجهل، والجمود الفكري والحضاري، والخرافات التي سادت المجتمعات المغاربية، والسبعوذة التي انتشرت بشكل مخيف، وحلت محل العلم والمعرفة، بحيث جعلت العامة تنساق ورائها لتصبح أداة طيعة في يدها تعمل بما تشاء وتحب»².

5- تأسيس النوادي العلمية والجمعيات الخيرية والثقافية:

لقد اكتست هذه النوادي والجمعيات طابع ثقافي واجتماعي في آن واحد، ويبدو ذلك من خلال مختلف النشاطات التي كانت تقوم بها لصالح المجتمع المغربي؛ ومن بين هذه المؤسسات:
- مدرسة محمد جوسوس بالرباط:

لقد قام السيد أحمد بنغريط التلمساني بدور فعال في تأسيس هذه المدرسة في مرحلتها الأولى، إلى جانب الحاج أحمد بلافريج، وللعلم أن هذه المدرسة تعد أول مؤسسة تربوية حديثة بالمغرب³، وبالرغم من سياسة الحماية الفرنسية بالمغرب الرامية إلى كبح جماح الحركة التعليمية، فإن هذا لم يمنع من مراعاة كثير من السوطين المغاربة وتجندهم لإبطال هذا المسعى، ويبرز لنا ذلك من خلال حرصهم على بناء المدارس الحرة في أغلب مناطق المغرب، خصوصا في كبريات المدن كالبيضاء، والرباط، ويلا، ومراكش ومكناس⁴.

-المعهد العلمي الإسلامي الملحق بالجامع الأعظم بوجدة:

يبرز لنا دور هذا المعهد من خلال تميم الحركة الإصلاحية التي عرفتها بلدان المغرب العربي مع مطلع القرن 20م، ومن بين العناصر الفاعلة في هذا النشاط الإصلاحي نجد الحاج العربي (ت جوان 1932م) الذي بذل كل ما في وسعه لتنشيط الحركة الإصلاحية، ويبدو ذلك من خلال تأثره واقتباسه من أنوار الفكر الإصلاحي الذي كانت تنشره جريدة المنار للإمام محمد رشيد رضا (ت 1353هـ / 1935م)⁵، وتآليف الشيخ محمد عبيد.

1- عمار، هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، د، م، ج، الجزائر، 1995، ص. 300.

2- المرجع نفسه، ص-ص، 301-302.

3- معلمة المغرب، ج. 5، المرجع السابق، ص. 1450.

4- محمد، الحوي/ الحوي: (مساهمة المدارس الحرة في مقاومة المشروع الثقافي الاستعماري مدارس المنطقة الشرقية نموذجاً)، ندوة المقاومة المغربية في الجنوب الشرقي، بوعرفة- فكيك، أيام: 15-16-17 أكتوبر 1998، ك. أ. ع. إ، وجدة، وبمساهمة الندوية السامية لقدماء المجاهدين وأعضاء جيش لتحرير، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 2000، ص. 127.

5- ولد محمد رشيد رضا بقرية القلمون سنة 1282هـ / 1865م، جنوب طرابلس الشام، تلقى تعليمه الأول بحسقط رأسه على يد الشيخ العلامة حسين الجسر، وفي سنة 1315هـ / 1897م انتقل إلى مصر أين التقى بالشيخ محمد عبيد وتلمذ عليه، وهو أول

وجريدة البصائر التي كانت تصدرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، هذا فضلا عن احتكاكه الكبير والعميق بدار الحديث بتلمسان التي كان يديرها الشيخ البشير الإبراهيمي (ت 1358هـ / 1965م)¹؛ وهو ما ساعد في الأخير على تسمين وتعزيز دعائم الفكر الإصلاحية بين البلدين الشقيقين الجزائر والمغرب.

– نادي الشبيبة الجزائرية:

يعود الفضل في تأسيسه إلى سيدي محمد بن محمد السليماني الحسني (ت 23 ذو الحجة 1344هـ / 1926م)، بمدينة تلمسان بالجزائر أثناء استقراره بها في مستهل القرن 20م²؛ ولقد ضم هذا النادي مجموعة من المثقفين والعلماء الذين حملوا على عاتقهم نشر الوعي القومي والفكر الإصلاحية الاجتماعي لمقاومة الأطماع الفرنسية الاستعمارية في كل من الجزائر والمغرب³.

وبخصوص هذه المؤسسة يقول علال الخديمي: «أخذ السليماني على عاتقه الدعوة إلى حركة فكرية تحريرية لتنوير العقول ومحاربة الجهل والكنس، فكان يشرح لأصدقائه وزملائه حالة المسلمين في الماضي، كيف سادوا الدنيا وكيف انتصروا في فتوحاتهم، وماذا حققوا من تقدم في العلوم والمعارف، ثم يقارن ذلك بالوضع التي آلت إليها البلاد المغربي»⁴.

وفي سنة 1329هـ انتقل السليماني إلى مدينة وجدة للإقامة بها، ولمواصلة نشاطه الإصلاحية الذي بدأه بتلمسان، فوقف بوجدة على واقع اجتماعي مزرى للغاية، يكون قد وصفه لنا في ما يلي: «ولمسا دخلت سنة 1329هـ... قام أهل البغي والفساد، والشقاق والعناد وتناولت قبائل جالوت، أهل الخبث والطاغوت، ومنشأ ذلك ظلم بعض العمال، وما أبدوه من سوء الأعمال، وكثرت الدسائس في القبائل، واحتلظ الخابيل بالنابيل،

من أطلق اسم الإمام الأستاذ علي شيخه محمد عبده؛ أسس جريدة المنار في سنة 1315هـ وطلت تصدير حتى بعد وفاته، له مؤلفات عدة من أهمها: تفسير القرآن الكريم. يراجع: شكيب أرسلان: لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟، ص. 89.

1- ولد في قصر الطير بقبيلة ريفية بأولاد إبراهيم بسطيف سنة 1306هـ / 1889م، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه عن والده وعمه، ثم انتقل إلى زاوية شلاطة بجمال القبائل لمواصلة تعليمه، وفي سنة 1911 هاجر إلى المدينة المنورة فأتم دراسته العليا بها، ثم انتقل إلى دمشق في سنة 1917، حيث عمل أستاذ للأدب العربي بالمدرسة السلطانية، شارك في تأسيس المجلس العلمي العربي في سنة 1921، ثم عاد إلى الجزائر في نفس السنة ليتحقق بركب رواد النهضة الجزائرية الحديثة، فساهم إلى جانب ابن باديس في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931، ونظرا لنشاطه الإصلاحية المعادي لفرنسا تم نفيه أثناء الح.ع.2، إلى أفلو؛ وبعد وفاة ابن باديس سنة 1940 استخلفه الإبراهيمي في إدارة الجمعية وهو بمنفاه بالأغواط، وبعد إطلاق سراحه يكون قد تعرض للتعذيب والتضييق عليه في سنة 1945؛ أسس عدة مدارس ومعاهد من بينها: معهد ابن باديس الثانوي بقسنطينة، كما تولى رئاسة وإدارة جريدة البصائر، ومع مطلع سنة 1952 انتقل على القاهرة؛ وأثناء اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954 انتدب من طرف قيادتها للقيام بعدة مهام لدى الدول العربية والإسلامية، وبعد الاستقلال رجع على الجزائر من جديد، واستقر بها على أن وافته المنية سنة 1965، ومن أهم آثاره: عيون البصائر. يراجع: عادل، نوبهض: معجم أعلام الجزائر، ص-ص. 13-14.

2- عمار، هلال: أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة، المرجع السابق، ص. 300.

3- بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، ص. 113. أبو عمران، الشيخ وآخرون: معجم مشاهير المغاربة، ص. 51.

4- (محمد ابن الأعرج ومولفاته)، أعمال الملتقى المغاربي الأول، المرجع السابق، ص. 61.

وتأخر الوفاق وضاق النطاق، وساءت الظنون... وبالتالي حاصروا الحاضرة الفاسية، وكنت إذ ذاك مقيما بمدينة وجدة، والأنباء ترد علينا صباحا وعشية تخبر أن العاصمة في تعديد البلية¹. وفي هذا الموضوع يكون قد كتب قصيدة أملاها عليه الشوق والتأثر والتحسر، ووجهها إلى بعض أصدقائه بمدينة فاس، وهي قصيدة ذات بعد فكري وإصلاح، ومما جاء في مطلعها²:

سلا هل إلى وادي الجواهر من قرب ❁ وهل أنبتت حافاته عاطر العشب
وهل عادت الأرجا كما عهدتها ❁ مخظلة الأغصان طيبة الترب

وبانتقال السليماني من وجدة نحو فاس، يكون قد ساهم في تأسيس أول مدرسة حرة بفاس سنة 1340هـ/ 1922م³، وفي هذه المدرسة قام بتوجيهات وإرشادات تربوية، كما وضع برامج للتدريس في مختلف المسواد الدراسية، ودليلا لمعلمي المدارس الحرة بحومة رأس الجنان بفاس، في سنة 1340هـ⁴. وظل في تجاوب كبير مع مختلف القضايا التي عرفها العالم العربي والإسلامي، مما جعله عرضة للمضايقات الفرنسية. - الجمعية الخيرية الإسلامية⁵:

من بين العناصر الفاعلة في رئاسة هذه الجمعية نجد علي بن محمد رحال الندرومي، الذي يكون قد ساهم في تأسيسها مع ثلة من الرجال المخلصين، وظل عنصر نشيط في الجمعية إلى أن آل إليه أمر رئاستها وإدارتها في 25 جانفي 1936م⁶، ومنذ ذلك الحين لم يأل جهدا في رعاية الفقراء والمساكين، والسهر على رعاية ذوي الحاجات، هذا إلى جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومعالجة مختلف القضايا الاجتماعية العالقة كإصلاح ذات البين، وحل النزاعات الأسرية.. الخ. ونلمس بهذا الخصوص توصل الجمعية الخيرية الإسلامية بالمشور السعيد من الصدر الأعظم الحاج محمد المقرري في وقت لاحق بما مقداره ثلاثة آلاف فرنك فرنسي كإعانة لها عن سنة 1952م⁷.

1- أبو عبد الله، السليماني: اللسان المغرب عن ثقافة الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. 151.

2- المصدر نفسه، ص. 151.

3- غلال، الخديمي: (محمد ابن الأعرج السليماني ومؤلفاته)، أعمال الملتقى المغاربي الأول، المرجع السابق، ص. 62، معجم مشاهير المغاربة، ص. 51.

4- أبو عمران الشيخ، وآخرون: معجم مشاهير المغاربة، المرجع السابق، ص. 53.

5- كان يتواجد مقرها في دار اكثريت من السيد البشر بن عبد القادر بالقتير الكيطوني أصلا الوجدي دارا الملاك بوجدة، بنى أولاد الكاضي بدر الشيخ علي رقم 3، والمتكونة من حوش وخمس بيوت تامة البناء في الطابق السفلي وبيت في الطابق الأول. يراجع: بدر، المقرري: خطط المغرب الشرقي، ص. 275.

6- بدر، المقرري: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 275.

7 - C. A. N. M: dossier el Mokri. BON DE LIVRAISON N° 00212. RABBAT FAIT Février 1952.

- الحركة الكشفية بالمغرب:

يعد بنغبريط أحمد بن محمد بن أحمد التلمساني¹، من بين الناشطين والمساهمين إلى جانب ثلة من المغاربة في تأسيس الحركة الكشفية بالمغرب.

- جمعية الاتحاد الرياضي الرباطي السلوي:

فإلى جانب مساهمته في تأسيس الحركة الكشفية في المغرب، يكون أحمد بنغبريط من بين المساهمين أيضا في تأسيس هذه الجمعية الرياضية، ونلمس ذلك من خلال سعيه الدؤوب لدى السلطات للاعتراف بها، وهو ما تم فعلا في 7 أكتوبر 1932، فتولى رئاسة مجلسها الإداري الذي كان يضم مجموعة من الشباب، أمثال السيتل العيساوي، ومسعود الشيكرك، وعبد الجليل القباج، ومحمد الرشيد ملين، ولقد كان هذا الاتحاد يتكون من خمس فرق رياضية: كرة القدم، وكرة السلة، والسباحة، والرياضة البدنية، والكشفية².

وبخصوص فرقة الكشفية فإنها تكون قد نمت وتطورت بانضمام كثير من الشباب المغاربة الذين كانوا يدرسون في ثانوية "كورو" إليها، وبمرور الوقت أصبحت تحمل اسم الكشافة الحسينية، وذلك بعد أن قبل السلطان محمد الخامس تعيين ولده الحسن الثاني رئيسا شرفيا لها. فقام هؤلاء الكشافة بأدوار طلائعية في الحركة الوطنية الأولى ابتداء من صيف 1933، وأصبح لها فروع عدة بكل من فاس، والدار البيضاء، والجديدة... الخ، ولقد كانت هذه الحركة بمثابة مدرسة للتربية والتوعية والتنشيط³.

1- كان من بين المهاجرين التلمسانيين الذين ينحدرون من عائلة بنغبريط، تلقى تعليمه بالمغرب وعرف بنشاطه الاجتماعي والرياضي. تراجع: معلمة المغرب، ج. 5، ص. 1449.

2- معلمة المغرب، ج. 5، الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، 1413هـ/ 1992م، الرباط، ص-ص. 1450-1449.

3- معلمة المغرب، ج. 5، المرجع السابق، ص. 1450.

- لجنة الحسين لبناء ثانوية الوحدة بمدينة وجدة¹:

تشكلت هذه اللجنة وبمساعدة الملك محمد الخامس (1909-1961)² من عدة عناصر مغربية وجزائرية وفرنسية، ومن بين المغاربة الذين هم من أصول جزائرية نجد عبد القادر المقرري الذي شغل منصب أمين المال في الجمعية، وكل من المستشارين عبد القادر مباحو، ومحمد المير³.

5- الإصلاح الطبي:

نظرا للتوازل التي كانت تستهدف بلدان المغرب العربي بين الحين والآخر، كالتلذزل، والقيظانات، وهجمات الجراد، وموجات الجفاف؛ وما يترتب عنها من انتشار للأمراض الفتاكة كالطاعون، والكوليرا، والجدري.. الخ، فإن العلماء والفقهاء لم يبقوا مكتوفي الأيدي أمام هذه النكبات والمصائب، بل يدلون بدلوههم من خلال تقديم النصائح والإرشادات والطرق الكفيلة لمواجهتها والتخفيف من حادتها. ولعل أهم علاج كان قائما في تلك الفترة للتصدي لتلك الأمراض الفتاكة، هو الحجر الصحي "la quarantaine"⁴.

وقبل الحديث عن مساهمة بعض المهاجرين الجزائريين في حركة الإصلاح الطبي التي عرفها المغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، رأيت من الضرورة بمكان الإشادة بمساهمة العالم والمصلح الجزائري حمدان بن

1- تأسست هذه اللجنة وبمساعدة من الملك محمد الخامس في 8 رمضان 1377هـ، وتكونت من العناصر الآتية:

- الرئيس: أحمد براج

- النائب: أحمد أمزيان

- الكاتب العام: محمد بن الطاهر الراشدي

- أمين المال: عبد القادر المقرري

- نائب أمين المال: حميدة بن علي

- المستشارون: مصطفى الصغصاوي، عبد الله الوزاني، محمد دنان، بنونس جداني، مصطفى سكيكر، محمد السويسي، محمد

بلعري، عبد القادر مباحو، محمد المير، مبارك بن الحنيري، أحمد بوشطاط

- المهندس الفرنسي: باطرويو

- المشرف العام: أحمد بن الهاشمي. براجع: بدر، المقرري: خطط المغرب الشرقي، ص. 298.

2- تولى شؤون الحكم بالمغرب في سنة 1927، نقاه الفرنسيون نحو جزيرة مدغشقر في الفترة ما بين سنة 1953-1955، أعلن الاستقلال سنة 1956، وأعلن ملكا في سنة 1957. براجع: كرم البستاني، وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 523.

3- بدر، المقرري: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 298.

4- الحجر الصحي أو ما يسمى بالكرنيتا: هو مكان يخصص للمصابين بالأمراض الوبائية كالطاعون والجدري والكوليرا، تحت مراقبة مشددة، منعا لانتشار العدوى، وقد جاء تعريف الكرنيتا عند السفير المغربي ابن عثمان أثناء رحلته إلى إسبانيا سنة 1799.

والمسماة "الاكسير": (ومعناها أن يقيم الذي يرد عليهم في موضع معروف عندهم معد لذلك أربعين يوما لا يخرج منه ولا يدخل إليه أحد...ولهم في ذلك تشديد كثير حتى أن الذي يأتي إلى صاحب الكرنيتة بالطعام يطرحه له من بعد ويحمله الآخر ولا

يتماسان. وإن ورد عليهم يكتبوا أنهم يغمسونه في الخل بعد أن يقضوه منه بقصبة)، محمد الأمين، البزاز: تاريخ الأوبئة والجماعات بالمغرب في القرنين 18 و19، ص. 404، كرم البستاني، وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 119.

عثمان خوجة (ت1255هـ/ 1840م)¹ في هذه المسألة، حتى نبين ما للجزائريين من مواقف مشرفة وإسهامات حضارية قاموا بها سواء في الجزائر أو في ديار المهجر، ونلمس ذلك من خلال مؤلفه الموسوم بإنحاف الأدباء عس الاحتراس من الوباء الذي ألفه سنة 1936، باللغة العربية ثم ترجمه على اللغة التركية وأهداه إلى السلطان العثماني محمود الثاني (1784-1839)².

ويعود سبب تأليفه لهذا الكتاب -حسب محمد الأمين اليزاز- «من خلال ما رآه من نبذ بعض الفقهاء لجميع ما جاء من أوروبا ولو كان فيه رقي أمتهم، ومن ذلك رفضهم للنحج الصحي، ويرجع خواجه (كذا) هذا الموقف إلى الجهل والتزمت، ويبين كيف أدى هذا الموقف إلى انتشار جيوش الوباء في العالم الإسلامي وفتكها بمعظم شعوبه»³. وخلاصة رأي حمدان خوجة في هذه المسألة هو ضرورة الأخذ بما جاءت به المدنية الأوربية، ومثل ذلك تطبيق الحجر الصحي الذي كان معمولاً به في الدول الأوربية⁴.

1- ولد في حدود سنة 1177هـ/ 1773م بمدينة الجزائر العاصمة، من أب تركي وأم جزائرية؛ فهو كرغلي. وبما نشأ وتعلم، حيث تلقى تعليمه الأول على يد والده، فحفظ القرآن الكريم ودرس الفقه ومبادئه، ثم درس القانون، واضطلع على الكثير من علوم عصره من منطق وطب وفلسفة وتاريخ، ولقد كان يتقن إلى جانب اللغة العربية عدة لغات: اللغة التركية، واللغة الفرنسية، واللغة الإنجليزية، زار عدة مدن في البلقان والقسطنطينية سنة 1784م، وفرنسا سنة 1820؛ ومن بين المناصب التي شغلها بعد وفاة أبيه: أستاذا في الحقوق المدنية والقوانين الإسلامية. وأثناء الاحتلال الفرنسي لجزائر تجده من بين الأوائل الذين تزعموا المقاومة السياسية للاحتلال الفرنسي، حيث نجده تزعم أول حزب وطني سياسي عرف بلجنة المغاربة، ولكن هذا لم يمنعه من تولي منصب مستشار في المجلس البلدي، إلا أنه سرعان ما ينقلب على الفرنسيين عندما رأهم لم يلتزموا بعهودهم ووعودهم للشعب الجزائري، فأصبح من المعصوب عليهم من طرف الاستعمار الفرنسي، فتم نفيه إلى فرنسا طيلة الفترة الممتدة من سنة 1833-1836، ونظره لنشاطاته بفرنسا تم نفيه إلى القسطنطينية، ولقد ظل متمسكا بالدفاع عن القضية الجزائرية حتى وافته المنية سنة 1840 باستانبول. ومن أهم آثاره: المرأة الذي تم تأليفه سنة 1833 بفرنسا باللغة الفرنسية، وإنحاف المنصفين والأدباء في الاحتراس من الوباء الذي ألفه سنة 1836، وحكمة العارف التي فرغ من تأليفها سنة 1252هـ/ 1837م. الخ: تراجع: حميدة، عميراي: دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية، ص-ص. 59-86، عادل، نوبهض: معجم أعلام الجزائر، ص-ص. 136-137، أبو عمران الشيخ وآخرون: معجم مشاهير المغاربة، ص-ص. 169-170.

2- حكم في الفترة الممتدة من سنة 1808-1839، ومن بين أهم الأعمال التي قام بها هو القضاء على الجيش الإنكشاري في الواقعة الخيرية سنة 1826، ولقد عرفت الدولة العثمانية في عهده تراجعا كبيرا، وظهور العديد من الاقتطاعات في جسم الدولة العثمانية، كاستقلال اليونان؛ وتوقيع معاهدة أدنة سنة 1828، واحتلال الجزائر سنة 1830، ومرد محمد علي باشا، هذا الأخير الذي هزم أمام الجيش العثماني في معركة نصيبين سنة 1839، التي أعقبها توقيع معاهدة لندن سنة 1840، التي أقرت بمنح ولاية مصر لمحمد علي باشا وفق الحكم الوراثي. تراجع: كرم البستاني وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 524.

3- محمد الأمين، اليزاز: (الإصلاحات والمشكل الصحي في مغرب القرن التاسع عشر)، ندوة الإصلاح والجمع المغربي في القرن التاسع عشر، أيام: 6-7-8-9 رجب 1404هـ/ 20-21-22-23 أبريل 1983م، ك. آ. غ. إ. جامعة محمد الخامس، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، صفر 1407هـ/ أكتوبر 1986م، ص. 247.

4- للمزيد من المعلومات حول هذه المسألة تراجع بحث الدكتور حميدة عميراي الموسوم بـ: حمدان بن عثمان خوجة ودوره في تطور القضية الجزائرية 1827-1840، ص-ص. 81-83.

وبعد هذه الالتفاتة السريعة لنشاط أحد المصلحين الجزائريين في مجال حركة الإصلاح الطبي بالجزائر، نعود إلى الحديث عن هذه الحركة في المغرب الذي شهد هو الآخر عدة موجات من الأمراض الدورية، وخصوصا مرض الكوليرا والطاعون؛ وهي حركة تعرض لها كثير من العلماء والفقهاء المغاربة، وألفت حولها العديد من الرسائل؛ التي من بينها:

1- رسالة أحمد بن عجيبة (ت 1224هـ)¹ الموسومة بسنك الدرر في ذكر القضاء والقدر، التي ألفتها على اثر وباء الطاعون الذي حدث في عهد المولى سليمان بين سنتي 1799-1808م². وخلاصة ما جاء في رسالته أنه لا تأثير لشيء من الأسباب في الموت كالوباء وغيرها بل الأمر كله لله، ويستشهد بأنه رأى الكثير ممن أصحابه شاركوا في تغسيل وتكفين الموتى بهذا الطاعون، ودفنهم، ومنهم من ليس ثيابهم من بعدهم فلم تصبه العدوى بهذا المرض³، ويخلص في الأخير إلى القول ببطان القول بالعدوى والانتقال وأن أفضل موقف ينبغي اتخاذه زمن الوباء هو الرضى والتسليم والصبر⁴.

3- رسالة محمد بن أبي القاسم الفلالي السحلماسي الموسومة برسالة فيمن حل بأرضهم الطاعون⁵، والتي يرى فيها خلاف ما ذهب إليه ابن عجيبة (1160-1224هـ / 1747-1809م)⁶: أن الفرار من الطاعون لا يعتبر معصية فهو بمثابة استعمال للدواء. ومما جاء في رسالته بهذا الخصوص: «فكما أنه لا سبيل لأحد إلى تحريم التداوي من الأمراض، وكما لا يعد ذلك معارضا للقدر، فكذلك لا يكون الخروج من أرض الطاعون معارضا له، ولا محاولا رد القضاء، إذا غاية ما في كل منهما التحرز مما يخشى المرء عاقبته»⁷.

1- هو سيدي أحمد محمد بن عجيبة الحسني، يعد صدرا من صدور أئمة الدين، وكبير من كبراء الأولياء، المهتمين، له باع كبير في التصوف، تلمذ على يده جمع غفير من علماء تطوان والمغرب، الذين من بينهم عبد السلام بن أحمد السكيرج (ت 1250هـ)، له مؤلفات عدة: شرح لكلام الله العزيز، شرح أرجوزة ابن سينا السرقسطي الناصبي في التصوف شرحا مفيدا، تقايد حسنة على طريق التصوف.. الخ. يراجع: عبد السلام بن أحمد، السكيرج: نزهة الإخوان في أخبار تطوان، ص-ص. 18-19 + ص-ص. 105-107.

2- توجد هذه الرسالة في شكل مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم د 2589.

3- محمد الأمين، البزاز: (الإصلاحات والمشكل الصحي في مغرب القرن التاسع عشر)، ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص-ص. 243-244.

4- المرجع نفسه، ص. 244.

5- توجد نسخة منها مخطوطة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم د 2251.

6- هو أحمد بن محمد بن المهدي، ابن عجيبة الحسني الأبحري، مفسر، صوفي، مشارك، له مؤلفات عديدة من بينها: البحر المنيد في تفسير القرآن المجيد، أزهار البستان، شرح القصيدة المنفرجة، إيقاظ الهمم في شرح الحكم.. الخ، يراجع: خير الدين، الزركلي: الأعلام، مج. 1، ص. 245.

7- محمد الأمين، البزاز: (الإصلاحات والمشكل الصحي في مغرب القرن التاسع عشر)، ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص. 245.

3- رسالة العلامة والمصلح الجزائري أبو حامد العربي المشرفي الموسومة بأقوال المطاعين في الطعن والطواعين¹، وتعد هذه الرسالة من الأهمية بمكان، نظراً لأن صاحبها عاش زمن الطاعون، وشاهد عملية الحجر الصحي التي كانت تُفرض على الحمل المصري، وذلك أثناء ذهابه لأداء فريضة الحج سنة 1849.

ومما جاء في وصفه لنا: «وإذا سمعوا بقدوم الحمل المصري، وفيه الوباء، تعرضوا له، وانزلوه ببركة الخساح وحاطوا به من كل الجهات بأن يدقوا كبار الأوتاد في الأرض دائرة بالركب دوران الطول والعرض، وما بينهما مربوط بالحبال حامله بين المسافرين وأهل البلد ويتبايعون خلف الحبال، فم ابتاع شيئاً يأخذه من الأرض، لا مسن أيدي المقيمين ويتولى المشتري الفلوس في قدح فيه ماء فلا يأخذهم البائع إلا من الماء، مرادهم والله اعم أن المياه وصف قائم بها، أي بالفلوس، وربما تعلق بأخذها فيزول بالماء»².

وعليه فالمشرفي لم يبق مكتوف الأيدي أمام ما كان يعترض العالم الإسلامي من قضايا ومسائل في مختلف الميادين؛ وهو هنا سيدلي لنا برأيه الإصلاحية في مسألة تطبيق الحجر الصحي من عدمه، على غسار الموقف الإصلاحية الذي وقفه حمدان خوجة³، لقد استعرض المشرفي في مستهل رسالته الحديث عن آراء كبار الأطباء في الإسلام، كابن سينا (980-1037هـ)⁴ والأنطاكي، حول أسباب ظهور مرض الطاعون. ثم يتطرق إلى نصائحهم والطرق المتعلقة بأسباب الوقاية والعلاج؛ غير أنه في الأخير لا يطمأن إلى آرائهم، كونه يعتقد أن كل داء بسبب من الأسباب الطبيعية له دواء باستثناء الطاعون الذي أعى الأطباء دواؤه⁵.

وخلاصة رأيه في الطاعون أنه لا ينشأ عن علة طبيعية، وإنما هو طعن من الجن، أما الأطباء الذين يخالفون هذا الرأي فهم معذورون، لأن مسألة الطعن بالجن في رأيه لا تدرك بالعقل، وعلى هذا الأساس فهو يعترض على النصائح التي يقدمه الأطباء في حالة ظهور مرض الطاعون؛ كعدم الاجتماع بالناس في المواسم، فلا ينبغي أن يعسر عليها المرء لأمر شيء لا فائدة منه⁶.

1- توجد نسخة منه في شكل مخطوط بالخزانة العامة بالرباط مخ. خ. ع. الرباط. تحت رقم 2054. ولتعلم أنه تم دراسته وتحقيقه من طرف الأستاذ الحسين الفرقان من جامعة محمد الخامس بالرباط، بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، تحت إشراف الدكتور محمد الأمين البرازي، ونوقشت خلال الموسم الجامعي 2003-2004، ولقد كان لنا حسن الحظ في الالتقاء بهذا المحقق بالرباط خلال سنة 2005، وأفادني بجزء مصور من أطروحته، سبق لي وأن استعنت فيه بالتعريف بأبي حامد العربي المشرفي.

2- محمد الأمين، البرازي: (ظروف النقل البحري والحجر الصحي في أدب الحج المغربي خلال القرن التاسع عشر)، ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص. 99.

3- حميدة، عميراي: دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية، المرجع السابق، ص. 80-84.

4- ولد في أفشنة قرب بخاري في حدود سنة 980هـ، وبها نشأ وتعلم، تعمق في دراسة فلسفة أرسطو وتأثر بالأفلاطونية المستحدثة، وهو يعد فيلسوف وطبيب وعالم من كبار فلاسفة الإسلام وأطبائهم، من أهم مؤلفاته: القانون في الطب، والشفاء، والنحاة، والإشارات والتنبيهات.. الخ، توفي بمهدان. يراجع: كرم البستاني، وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ص. 9.

5- محمد الأمين، البرازي: (الإصلاحات والمشاكل الصحي في غرب القرن التاسع عشر)، ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص. 244.

6- المرجع نفسه، ص. 245.

ويُثَمَّن المشرفي رأيه هذا بالاستشهاد بالكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، التي تترى أن الطاعون بمثابة شهادة رحمة للمسلمين، وكما لا يجوز الفرار من نيل الشهادة، فكذلك لا يجوز للمسلم الفرار من الطاعون، ويحتسب أمره لله، وواجب عليه المكوث في الأرض الموبوءة متضرعا، صابرا، لنيل أجر الشهيد¹.
أما موقفه من مسألة الحجر الصحي فيكون قد استهجنه واعتبره مخالفا للسنة، وهذا ما نلمسه من قوله: «نعوذ بالله من الشيطان الرجيم، كل يجري لأجل مسمى، فإذا جاء أجلهم لا يتأخرون ساعة. ولقد مرت الأعوام ذات المحن والزلازل والفتن والبلاء والإنسان يباشر بيده الموت، ويحضر في الملاحم، ولا قصر له أجل دون السني قدره له المولى عز وجل»². ونحن هنا لا يمكننا معارضة هذا الطرح، بقدر ما يمكننا القول إلى ضرورة دفع المرض والوباء بالوقاية منه بمختلف الطرق والأساليب الشرعية والعلمية، مع التشوف إلى الاستفادة من غيرنا من الشعوب والأمم المتقدمة. إذا كان هذا يعود بالنفع العام على الشعوب العربية والإسلامية.

وما يمكن قوله حول الإصلاح الطبي في المغرب أنه كان غيره من الإصلاحات الأخرى التي لم تحسد آذاننا صاغية، ولا يد فاعلة؛ هذا إلى جانب الوضع العام الذي بات يشرف عليه المغرب في تلك الحقبة، والنظلمات الأوربية لاحتلاله واقتسامه، وهو ما حال دون نجاح هذه الحركة.

6- تأثير المهاجرين الجزائريين في المجتمع المغربي:

بتوافد المهاجرين الجزائريين على المغرب، يكونوا قد نقلوا معهم مختلف عاداتهم وتقاليدهم، وبذلك يكونوا قد ساهموا في إثراء المجتمع المغربي بالعديد من العادات والتقاليد الحميدة، والحرف والمهن التي لم تكن موجودة في المغرب، والأمثلة التالية توضح لنا ذلك:

- الحرف:

من بين الصناعات الحرفية التي نقلوها معهم صناعة حل الحرير (وتاحرات)، وكذلك القزدرية³، أما بخصوص العائلات المهاجرة التي كانت تمتهن هذه الحرفة بالجزائر نجد أسرة الجزيري، وابن صيام، والحرار، وقد ارتبطت بهذه الحرفة في تطوان -حسب ما ذهب إليه عبد العزيز السعود- صناعة جيدة للسبنيات والكرازي الحريرية التي حملها الجزائريون، كما نقلوا معهم كذلك طريقتهم في الطرز على الجلد بالذهب أو الفضة⁴.

وإلى جانب هذه الحرف كان بعض المهاجرين الجزائريين يتقنون صناعة إفراغ النحاس، ولقد نشطت على أيديهم صناعة القزدرية وصنع أوابي الصفر، كما تطورت مع البعض الآخر حرفة الطبخية⁵، ويذكر السليماني أن المهاجرين من عوام تلمسان الذين حلوا بالمغرب، هم أهل حرف ومهن: من حياكة، وخرابة الإسكاف، ويرجع

1- المرجع نفسه، ص. 245.

2- المرجع نفسه، ص. 245.

3- تطوان خلال القرن التاسع عشر، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي، المرجع السابق، ص. 43.

4- المرجع نفسه، ص. 91.

5- عبد العزيز، السعود: تطوان خلال القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص. 91.

غالبيتهم لبني عبد الواد من زناتة وبعض أعيان أبناء الأتراك من الكورغلان¹. ويذكر "Paul, Decroux" بخصوص المهاجرين بوجدة: «أهم كانوا حرفيين: بياطرة، خياطين، حلافين، بائعي أسلحة، تجارين، نساجين، سراجين²... كان هناك تلمسانيا يملك أول مطحنة ذات محرك تشتغل بوجدة»³. وعليه فهم لم يبقوا مكنسوي الأيدي ولا عالة على غيرهم بل امتهنوا هذه الحرف بالمغرب، وانتشرت بسببهم بشكل كبير في الأوساط المغربية. وبهذا الخصوص نجد أن كمال كاتب يذكر بدوره أن جل المهاجرين الجزائريين بخاضرة وجدة، كانوا يتقنون حرف ومهن مختلفة: تجارين، واسكافيين، ونساجين، هذا إلى جانب ممارستهم لمختلف الأنشطة التجارية التي جمعت بين: البقالين، والجزارين، وتجارة الخضر والفواكه... الخ هذا إلى جانب ممارسة البعض منهم لمختلف الأعمال اليومية كغيرهم من المغاربة⁴.

وبخصوص الصناعات التقليدية والحرفية التي تعد إرث اجتماعي يجب المحافظة عليه وتثمينه بالإشادة به، يظهر لنا دور أبو جمعة العمالي⁵ الذي يكون قد حل بالمغرب في حدود سنة 1918، واستقر به المقام في مدينة آسفي، ومنذ ذلك الحين بدأ في تدريس فن الديكور وصنع الفخار، ولقد ازدهرت هذه الحرفة بشكل كبير جدا؛ وكان من بين منتوجاتها الزليج الذي لقي إقبال ورواج كبير، كما نجح العمالي في العمل على صنع أدوات فخارية ذات ذوق فني رفيع جدا. ونظرا لهذه النجاحات يكون قد تم تعيينه كمتقني في مصلحة الفنون الأهلية، حيث تم تكليفه بمهمة الإشراف على صناع الخزف، وبهذا نقول معلمة المغرب يكون قد لاحظ ضرورة إحداث مدرسة أو سلك تكوين لهؤلاء المعلمين⁶.

1- اللسان المغرب عن ثقافت الأجنبي حول المغرب، المصدر السابق، ص. 32.

2- من بين الذين مارسوا حرفة السراجة بوجدة نجد كل من الحاج محمد بن زاوية الغريسي وولده المصطفى، يراجع: بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، ص. 172.

3- Les Algériens Musulmans Au Maroc condition juridique et sociale, op, cit, P. 6.

4- UROPEENS, «INDIGENES» ET JUIFS EN ALGERIE (1830-1962), Préface de benjamine STORA, Représentations et réalités des populations, EDITIONS L'INSTITUT NATIONAL D'ETUDES DEMOGRAPHIQUES, 2001. P. 258.

5- ولد بالجزائر سنة 1890، وتخرج من مدرسة الفنون الجميلة بالجزائر، ثم واصل تعليمه في المدرسة الوطنية في سفير ما بين 1913-1914، وفي سنة 1918 توجه نحو المغرب بطلب قدمه مفتش الفنون الجميلة بالمغرب إلى رئيس المتحف الوطني بباريس، فدلّه على طالب جزائري من مدرسة الفنون الجميلة، وهذا دخل العمالي في خدمة مصلحة الفنون الجميلة بالمغرب، وتم تعيينه بمدينة آسفي، حصل من فرنسا على وسام من رتبة ضابط جراء تقديمه خدمات وقت الحرب العالمية الأولى، كما يكون قد شارك في معرض مرسيهيا حيث حصل على الجائزة الكبرى وميدالية ذهبية. يراجع: معلمة المغرب، مج. 18، ص. 6182.

6- معلمة المغرب، مج. 18، المرجع السابق، ص. 6182.

- العادات والتقاليد:

لقد حملت بعض الأسر الجزائرية الكورغولية الوافدة على تطوان¹، ثقافة طريفة وعادات جديدة، يعود قسط منها إلى الأصل التركي، أخذها عنهم أهل تطوان وأدجوها في تقاليدهم، ومن بين العادات التي حملتها هذه الأسر وتمت استساغتها بسهولة ما كان يخص أنواع وكيفية اللباس، حيث عم في الأوساط الثرية بتطوان استعمال البدعية والجايدور، وسراويل الملف التي كانت تطرز بالحرير، وإلى جانب هذا يكون قد شمل تأثيرهم ميسدان الأطعمة المتنوعة (الدلمة والشكشوكة مثلا)، وصنع الحلويات (بقلاوة) وكذلك التعود على شرب القهوة، حيث انتشرت بمقدمهم حرفة القهوجية في تطوان، وبالإضافة إلى ذلك دخلت القاموس المحلي عدة كلمات أصبحت دارجة على لسان السكان مثل التليق (قطعة ثوب بالية)، والدقوني (العراك)، والتغاشي (استرخاء الحواس)، وغيرها من الكلمات².

وبالإضافة إلى هذه الأدوار الاجتماعية فإننا قد وقفنا على بعض الأدوار في القطاع التجاري، حيث ساهم كثير من المهاجرين الجزائريين في تنشيطه وتثمينه؛ وذلك عبر مختلف المدن المغربية التي حلوا بها، كمدينة تطوان، ووحدرة، وفاس.. الخ. ففي تطوان مثلا يذكر عبد العزيز السعود بخصوص المهاجرين الجزائريين بما: «وقد شارك عدد منهم عند استقرارهم بتطوان في نشاطها التجاري»³. ويذكر أنه من بين التجار الجزائريين المستقرين بالمدينة أحمد بوضربة الذي قام بنشاط تجاري كبير بالمدينة، كما كان وسيطا تجاريا بين الأمير عبد القادر والدور التجارية في كل من جبل طارق، ومرسيليا، هذا إلى جانب أبناءه الذين كان أحدهما وهو مصطفى يتاجر بجبسل طارق⁴، وأحمد الذي يكون قد حصل من السلطان عبد الرحمان ابن هشام على امتياز استغلال منحهم للمعادن بنواحي تطوان، ونلمس ذلك من خلال رسالة التزكية السلطانية المؤرخة في 26 شوال 1262هـ⁵.

هذا إلى جانب ما كان يتم بين الأمير عبد القادر ووكلائه بالمغرب وبين السلطان المغربي عبد الرحمان ابن هشام، في المتاجرة بالأسلحة لصالح الأمير؛ فإلى جانب بوضربة نجد الطاهر بن جلون⁶؛ وما نوتسشي وابنصهور وصموئيل وكوردو وبنيطو بالضفة الأوربية⁷.

1- من بين هذه الأسر: ابن الشطاب، وابن المفتي، وابن القات، وابن سفاج، وابن عودة، وابن عبد اللطيف، وإسماعيل، وبوغزير، وبلاهوان، والترجمان، والحرايفي، والخزنادجي، والرشاي، وربيع، والمقلجي، والمعمر، والمسامري، والمسوس، والموفق (التعالبي)، والنشار، والفقاي، والشاوش، والكرمة.. الخ. يراجع: عبد العزيز، السعود: تطوان خلال القرن التاسع عشر، ص. 91.

2- عبد العزيز، السعود: تطوان خلال القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص. 92.

3- تطوان خلال القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص. 43.

4- المرجع نفسه، ص. 43.

5- محمد، داود: تاريخ تطوان، مج. 9، المصدر السابق، ص. 318.

6-Yver, George: (Abdelkader et le Maroc en 1830) R. A. N° 62 Année, 1919, O.P.U, Alger, 1986, P-P, 94-96.

7- محمد السعيد، قاصري: العلاقات الجزائرية المغربية 1830-1847 (العرب الجزائري والمغرب الشرقي نموذجاً)، المرجع السابق، ص. 96-98.

ويذكر عبد العزيز السعود أن حط المبادلات التجارية الرابط بين تطوان والجزائر الذي ظل قائم بينهم، يكون قد عرف عدة اضطرابات بسبب احتلال تطوان سنة 1860، والأحداث التي عرفها المغرب الشرقي، إلى أن توقف نهائيا بظهور ثورة أبي حمارة في مطلع القرن العشرين¹. أما بمدينة فاس فتجد مجموعة من التجار الجزائريين أبرزهم: الميلود بن عراش الذي كان يحصل شهريا على 40 مثقال، ومحمد بن عيسى البركاني، ومصطفى بن غير -سوجة الأمير عبد القادر-، والحاج الجليلي -حازندار الأمير- الخ².

وبخصوص هذا القطاع تقودنا كثير من الوثائق الملكية إلى الوقوف على عدد هائل من التجار الجزائريين بالمغرب، ومن بين هذه الوثائق الوثيقة المؤرخة في 15 ربيع الأول 1307هـ، الصادرة عن بوشة بن البغدادي، والتي تخص بعض التجار التلمسانيين الذين يتاجرون في الحرير والخواتج النفيسة، ويتجنبون المرور عبر المراسي خوفا من دفع الأعشار، ومما جاء فيها بهذا الخصوص: «بأن تجار أهل تلمسان لا زالوا يجلبسون الحرير من مرسيلية والخواتج النفيسة، ويتكبون طريق المراسي، ويأتون على طريق وحدة... فإن صح ذلك أمر مولانا دامت سعاده بأن نحضرهم ونلزمهم المرور بذلك على طريق المراسي»³.

وبخصوص هؤلاء التجار فإن الوثيقة الثانية المؤرخة في 26 ربيع الأول 1307هـ، تكون قد أشسارت إلى أسماء 15 تاجر منهم خمسة تجار جزائريين، هم علي النحو الموالي: الجليلي بن عبد الواحد السقاط، والحاج محمد ابن عودة التلمساني، وسيدي محمد بن السيد محمد بنونة التلمساني، وسيدي محمد بن أحمد بن ثابت التلمساني، وسيدي الحبيب بن منصور التلمساني⁴.

وإلى جانب هؤلاء التجار نجد أبو حامد العربي المشرقي، التاجر الذي أخذ من مدينتي فاس بالمغرب وغلزيان بالجزائر نقطتين أساسيتين لكل معاملاته التجارية، وهذا الخصوص يقول في أحد أبياته الشعرية⁵:

وفي غلزيان لنا متجر  وأصله غيل أزان بلد

كما كان يزور عدة مدن أخرى كوهان، وتلمسان، ومدينة الجزائر العاصمة.

ومن بين التجار الجزائريين بمدينة وحدة نجد آل الصابونجي -الصابوني- التلمسانيون الذين من بينهم التاجر سيدي الحاج محمد بن محمد ابن المقدم عبد الرحمان الصابونجي التلمساني⁶، الذي عزم مع شريكه محمد ابن البشير بن همان ابن قلفاط التلمساني الوجدي، على بناء حمام بحومة مسجد حدادة في شوال 1332هـ/ 1914م، بإشراف ناظر الأحباس الفقيه سيدي محمد برادة الفاسي، ويعرف هذا الحمام إلى يومنا هذا بحمام الصابوني، بل أن

1- عبد العزيز، السعود: تطوان خلال القرن التاسع عشر، المرجع السابق، ص. 44.

2- محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب، المرجع السابق، ص. 49.

3- م. و. م. ر: رسالة من بوشة البغدادي بشأن تجار تلمسان الذين يتكبون طريق المراسي.

4- المصدر نفسه.

5- محمد بن محمد بن مصطفى المشرقي: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية، دراسة وتحقيق إدريس، بوهليلة، ج. 1، المصدر السابق، ص. 92.

6- عكاشة، برحاب: من قضيا الحدود بين المغرب والجزائر، المرجع السابق، ص. 99.

اسمه غلب على المركز التجاري القديم في الحضارة الوجدية فأصبح لا يعرف إلا به¹. وإلى جانب الصابون نجد سيدي محمد بن محمد السليماني؛ الذي كان زاهدا في الوظائف بعد تخرجه، ولذلك أخذ إلى التجارة سيلا، ونزح عن فاس إلى مدينة تلمسان التي اختارها مقرا له²، وكذلك الحاج المكي المقرئ الذي يعد من أشهر التجار بوجدة.. الخ³.

ويذكر "P, Decroux" أن التجار الجزائريين بوجدة كانوا يمارسون تجارة الحملة، ويتميزون بالكثير من الثراء، لدرجة أنهم كانوا منافسين لتجار فاس، وكانوا متمركزين داخل محلاتهم يبيعون السكر، والشعير، والصابون، ونسيج الكتان، والقماش القطني.. الخ، ويقول "Mougin" إنه من النادر أن نجد عندهم سلع ذات مصدر أجنبي باستثناء الشاي⁴. وهو ما يفند الأطروحة التي تقول إن التجار الجزائريين بالمغرب ساهموا في التسرب السلمي والتغلغل التجاري للفرنسيين بالمغرب.

1- بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، المرجع السابق، ص. 70.

2- المرجع نفسه، ص. 103.

3- المرجع نفسه، ص. 338.

4 - Paul, Decroux: Les Algériens Musulmans Au Maroc condition juridique et sociale, Extrait Du Recueil de Législation et de Jurisprudence Marocaines, Boulogne-sur-Seine, 1938, op, cit, P. 5.

الخلاصة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة.

لقد توصلنا في نهاية هذا البحث إلى جملة من النتائج والمعطيات التاريخية، يمكن حصرها في النقاط الآتية:
 -الهجرة الجزائرية نحو المغرب الأقصى تحكمت فيها جملة من العوامل التاريخية، والسياسية، والاجتماعية، والدينية، ناهيك عن عوامل الاستعمار الفرنسي، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فالهجرة كانت نقمة ونعمة في آن واحد على الشعب الجزائري: نقمة كونها ساهمت في تفرغ البلد من سكانه وفتحت الباب على مصراعيه للاستيطان الأوربي في الجزائر، وتفشي الجهل والامية وتفعيل نشاط التبشير المسيحي في الجزائر؛ بسبب هجرة نخبة المجتمع الجزائري كالعلماء والفقهاء والأئمة والمدرسين، هذا إلى جانب الانتصار للطرح الفرنسي الذي شجّع الهجرة واتخذها كغطاء لإخفاء حرب الإبادة والقتل الجماعي للجزائريين؛ بالقول: إن الجزائريين هاجروا من وطنهم ولم يتعرضوا للإبادة الجماعية كما هو معلوم لدينا.

ونعمة كونها فتحت الطريق أمام هؤلاء المهاجرين في الدفاع عن القضية الجزائرية ومناهضة الاستعمار الفرنسي عبر الجمعيات والنوادي والجرائد والمجلات التي أسسوها في ديار الغربة؛ وفي عودة عدد لا بأس به من المهاجرين إلى الجزائر والمساهمة في تفعيل النشاط التحرري الفكري والسياسي للجزائر مع مطلع القرن 20م.

-العدد الهائل للمهاجرين الجزائريين باتجاه المغرب وجدناه يساوي أو يفوق عدد المهاجرين الجزائريين نحو بلدان المشرق العربي كسوريا مثلا، وهو عدد لم نكن نتوقعه في بداية البحث، حتى وإن كنا لا نتوفر على إحصائيات رسمية حسب ما ذكرناه في مقدمة البحث فهم يعدّون بالآلاف في كل من طنجة وتطوان وفاس؛ وسنسى في المستقبل -رغم إدراكنا بصعوبة العملية- إلى القيام بدراسة إحصائية لمختلف المهاجرين الجزائريين بالمدن المغربية بالاعتماد على عدد الخيام المهاجرة مثلا لأولاد سيدي الشيخ ومقدار كل خيمة الذي وجدناه يختلف حسب حجم كل خيمة، كما أن هذه الأخيرة وجدناها في بعض الأحيان يعبر عنها بالبيت.

-اقتصار الهجرة الجزائرية نحو المغرب الأقصى على منطقة الغرب الجزائري عموما، وعلى كل من وهران، ومعسكر، وتلمسان خصوصا. وهذا يعود في نظرنا إلى عدة عوامل: العامل الجغرافي الذي ساهم بشكل كبير جدا في تحديد اتجاه الهجرة؛ على غرار سكان الشرق الجزائري والجنوب الشرقي الذين هاجروا نحو كل من تونس وليبيا. هذا إلى جانب الروابط الاجتماعية والعائلية التي تجمع مثلا بين ساكنة منطقة التحوم المغربية الجزائرية. ناهيك عن الروابط التاريخية والدينية -الصوفية خصوصا- المشتركة.

- تعدد المدن والحوضر المغربية التي استقروا بها، مع تسجيل نوع من التركيز على الاستقرار في أغلب المدن الرئيسية التي كان لها نصيب كبير في استقطاب المهاجرين الجزائريين مثل وجدة، وفاس، وتطوان، وطنجة. فإذا كانت وجدة تمثل بوابة المغرب الشرقي وتمثل أول نقطة تماس مباشرة مع الجزائر؛ وسوقا تجارية بين هذا وذاك عبر مختلف العصور التاريخية، فإن مدينة فاس تمثل مركز إشعاع حضاري وثقافي يحكم توفرها على جامع القرويين الذي كان بمثابة قبلة للمهاجرين الجزائريين خصوصا منهم المثقفين لمواصلة تحصيلهم العلمي، أو للتدريس فيه بناء

على مؤهلاتهم العلمية وقدراتهم الفكرية. وذلك على غرار جامع الزيتونة بتونس مثلا الذي كان هو الآخر قبلة للمهاجرين الجزائريين من الشرق الجزائري خصوصا.

أما بالنسبة لتطوان وطنجة فنقد كائنا المنفذ البحري الرئيس للمهاجرين الجزائريين المغادرين لأرض المغرب باتجاه المشرق العربي، هذا إلى جانب عامل الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي كانت تشهد هاتين المدينتين عكس المدن المغربية الأخرى خصوصا مع مطلع القرن 20م، هذا فضلا عن العلاقات التاريخية والتجارية التي كانت تربط بين هاتين المدينتين والمدن البحرية الجزائرية قبل سنة 1830 خصوصا مدينة الجزائر ووهران وتلمسان؛ حيث كانت حركة التجارة الجزائرية المغربية جد رائجة بين موانئ هذه المدن. ولعل توجّه المراكب الأولى للمهاجرين الجزائريين نحو مدينة تطوان خير دليل على ذلك.

-سيطرة الطابع الديني على المهاجرين الجزائريين نحو المغرب، وهذا ما لمسناه من يحمل الوثائق المغربية التي راحت تُنعت الجزائريين بالمهاجرين في سبيل الله؛ وذلك تيمنا بحجرة الرسول (ﷺ)، مما أدى إلى ارتفاع شأنهم ومكانتهم في نظر المغاربة سلطة وشعبا. وهذه المكانة المعنوية حاولت سلطات الحماية الفرنسية اختراقها بدس بعض العناصر: كيهود الجزائر، وأصحاب المصالح، والمتجنّسين منهم بالفرنسية وغيرهم. للقيام بالتشويش وزرع الفتنة والفرقة بينهم وبين إخوانهم المغاربة.

وهذا ما دفع بشريحة واسعة من المجتمع المغربي إلى التّصل من هؤلاء المهاجرين غير مُدركين لخطر السياسة الفرنسية المبنية على الفرقة "فرق تسد" وراحوا يُعتوهم تحت طائلة هذا الغلط والخلط بين المهاجرين الحقيقيين والمحسوين عليهم من هذه الأصناف؛ قلت راحوا يُعتوهم بما "الواسطيين" و"الطابور الخامس" و"الدوزيام فرنسيس"، وحتى إذا كانت هذه الخيلة قد انطلت على البعض منهم في ذلك الوقت فالخري بالباحثين اليوم تدارك الأمر جيدا والعمل على الفصل والتّمييز بين فئة المهاجرين التي هاجرت في سبيل الله من دار الحرب أو دار الكفر كما سماها المهدي السّكلاوي شيخ الطريقة الرحمانية ببحاية إلى دار الإسلام؛ والأمل يحدوها في وجود مستقرا هنا بأرض المغرب أو بغيره من البلدان العربية والإسلامية.

وهذا الطرح المغربي الذي وقفنا عليه لدى كثير من الباحثين في نظرنا لا يخدم مستقبل العلاقات الثنائية بين البلدين كما أنه سيثير كثير من الاضطراب والتشويش على الذاكرة الجماعية المشتركة للشعبين الشقيقين. وسيزيد من صبّ الزيت على النار خصوصا وأن هذا الطرح وجدناه يتشوّف في كثير من الأحيان إلى مسّ بعض المقدّسات والثوابت الجزائرية التي لا يمكن الإفراط ولا التفريط فيها.

وبين فئة الانتهازين التي ضمّت المختّدين الجزائريين [القوميّة les Goumes] في صفوف الجيش الفرنسي والإقطاعيين وأصحاب المصالح النفعية الذين امتلك البعض منهم أملاك وعقارات خصوصا بوجدة، والسّمسرة اليهود الذين كانوا يجوبون منطقة التخوم الجزائرية المغربية ذهابا وإيابا تحت رقابة السلطات الاستعمارية لتفكيك أوامر الأخوة وعلاقات حسن الجوار؛ مقابل الحصول على أكياس هائلة من المال وعقارات واسعة من الأراضي الخصبة.

- التأكيد على الموقف الإيجابي الرسمي والشعبي الذي حظي به هؤلاء المهاجرين، خصوصا في المرحلة الأولى والثانية من الهجرة، وهذا ما تؤكد الوثائق التاريخية خصوصا الموجودة منها بمديرية الوثائق الملكية بالرباط؛ حيث نسجل من خلالها احتضان رسمي شعبي واسع وكبير جدا لمختلف شرائح المهاجرين الجزائريين؛ وسنجد أن هذا التضامن المغربي سرعان ما يتكرر مرة أخرى أثناء الثورة التحريرية 1954-1962.

وهذا ليس معناه حُلُو أو كمالية الموقف المغربي سلطنة وشعبا من أن نُسجَل عليه بعض المواقف السلبية ضد المهاجرين الجزائريين بالمغرب، فما تعرضت له مثلا قبائل الحشم وبني عامر المهاجرة بالمغرب من تصفية جماعية - بناء على معلومات مغلوطة ومدسوسة-، ومن تمييز صريح بين عموم المهاجرين الجزائريين والأشراف منهم الذين نالوا مناصب وامتيازات وصلات سلطانية أكثر من غيرهم، فهو خير دليل على ذلك. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فإننا نسجل تراجع دور المخزن عن موقفه الإيجابي لصالح المهاجرين الجزائريين خصوصا مع مطلع القرن 20، وذلك بسبب تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، حيث بات منشغلا بما وغير قادر على الالتفات أو الاهتمام بقضايا المهاجرين وانشغالاتهم، هذا إلى جانب انشغاله بمسألة الأطماع الأوربية عموما والفرنسية خصوصا التي باتت تُقلقه من جهة التخوم الشرقية للمغرب. فتراجعت الصلات المخزنية للمهاجرين وبتوا عرضة للكثير من الأخطار التي تهددهم كسياسة الاستقطاب الفرنسية والرشوة والإميازات التي لوحت بها بعض الأطراف المحسوبة على فرنسا، غير أنهم ظلوا متمسكين بهويتهم وأصالتهم الجزائرية ومن تحس منهم بالجنسية المغربية لم يُلطخ سُمعته في المناس بوطنه الأصلي.

- قدرة الجزائريين على التأقلم مع ظروف الحياة بالمغرب رغم صعوبتها، وقدرة تأثيرهم في المجتمع المغربي من حيث العادات والتقاليد، وقوة تنظيمهم في كل من مدينتي فاس ووجدة؛ ففي فاس وقفنا على دور النقيب، بينما وقفنا على هيئة الشيوخ أو الجماعة في وجدة الشيء الذي حافظ على عدم ضياع أنساجهم وذوبانهم في المجتمع المغربي. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن وجودهم بالمغرب لم يخلق منهم فئة منعزلة في المجتمع بل تجاوبوا مع المغاربة في كل كبيرة وصغيرة؛ وذلك نظرا لتعدد الروابط السالفة الذكر التي تجمع فيما بينهما.

- المهاجرين الجزائريين بالمغرب لم يبقوا مكتوفي الأيدي بل شَمروا على سواعدهم في سبيل الحصول على لقمة العيش، ولم يتركوا أنفسهم عالة على الدولة المغربية، خاصة إذا كنا نعلم أن جل المهاجرين هم من ذوي المهن والحرف والوظائف المختلفة، الشيء الذي يعكس بطبيعة الحال قدرة العطاء الجزائري للآخر ومدى فعاليته.

- التأكيد على الدور الإيجابي والفعال للمهاجرين الجزائريين في المغرب على مختلف الأصعدة: السياسية، والثقافية، والاجتماعية، وحتى العسكرية، ودورهم هذا يُعد بمثابة مظهر من مظاهر اليقظة التي عرفها المغرب خلال النصف الثاني من القرن 19 ومطلع القرن 20م؛ حيث كان منهم المختد في صفوف البحرية والجيش المخزني، والفقهاء، والعالم، والمدرس، والصّحافي، والمترجم، والمصلح الاجتماعي، والطبيب، والتاجر، والفلاح، والحرفي، والمناضل السياسي، والإداري المختك، والدبلوماسي.. الخ، وهذا ما يفند طرح البعض -الذي نراه سياسي أكثر منه تاريخي- في محاولة تقزيم وهميش هذه الأدوار أو تجاهلها والقفز عليها؛ وهذا بطبيعة الحال ليس من الموضوعية في

شيء، وغايتنا هنا ليس تركية كل هؤلاء المهاجرين بطبيعة الحال فهناك نقائص وتجاوزات وغيرها، لكنها لا تصل إلى درجة أن تقوم بشطب أو حذف الجانب الإيجابي لهم.

-التأكيد على انتقال نسبة كبيرة من المهاجرين الجزائريين نحو بلدان المشرق العربي كمصر وبلاد الشام وفلسطين والأردن؛ وحتى نحو استانبول التي كانت هي الأخرى محطة استقطاب لهم، وذلك عبر مينائي طنجة وتطوان، خصوصا في المرحلة الأولى من الهجرة (1830-1859)، التي تمت في عهد السلطان عبد الرحمان بن هشام، وذلك لعدة أسباب:

1. إطلاق سراح الأمير عبد القادر من السجن بفرنسا والتحاقه ببيروسة ثم بسوريا فيما بعد، حيث يكون قد شجع وجوده بسوريا أنصاره ومحبيه على الالتحاق به في كل من الجزائر والمغرب.
2. عدم قدرة الجزائريين على الهجرة مباشرة من الموانئ الجزائرية التي باتت محتلة من طرف الفرنسيين.
3. التسهيلات والمساعدات المادية التي قدمها السلطان عبد الرحمان بن هشام هؤلاء المهاجرين الذين فضلوا الانتقال نحو المشرق، ومعظم هؤلاء وجدناهم في غالب الأحيان يرافقون الحجاج المغاربة في رحلتهم نحو الإسكندرية.
4. تأثرهم بحركة الهجرة الجزائرية نحو بلاد الشام التي كانت تصلهم أخبارها عن طريق الحجاج المغاربة، والمهاجرين الذين يفتنون على المغرب بين الحين والآخر، ثم تأثرهم فيما بعد بحركة الجامعة الإسلامية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني.

-فشل السياسة الفرنسية في استقطاب المهاجرين الجزائريين لصالحها، رغم الامتيازات والإغراءات التي قدمتها لهم كالتجنس بالجنسية الفرنسية واعتبارهم رعايا فرنسيين في المغرب لهم نفس الحقوق والواجبات التي يتمتع بها المواطن الفرنسي بالمغرب.

وبالتالي توظيفهم لخدمة المشروع الاستعماري الفرنسي بالمغرب، مستغلة في ذلك مسألة توقف سلاطين المغرب في منح المساعدات المالية للمهاجرين على إثر الخلفية الاقتصادية وتدهور الأوضاع السياسية التي باتت تهدد المغرب في شكل ثورات شعبية كثورة الجيلاي الزرهوني الملقب بالروكي بوجمارة، والصراع السياسي على العرش بين السلطانين عبد العزيز وعبد الحفيظ. وهنا دائما يجب التذكير والتنبية إلى ضرورة التمييز بين المهاجرين الحقيقيين الذين هم جوهر بحثنا ودراستنا هذه وبين الوجود الجزائري الآخر في المغرب الذي سبق الحديث عنه.

-مع نهاية القرن 19 ومطلع القرن 20 بدأت السلطات الاستعمارية في الجزائر عموما وبالغرب الجزائري خصوصا بالعمل على تشجيع عودة المهاجرين الجزائريين سواء من المشرق أو من المغرب. حيث راحت تصدر وبالتواطؤ مع بعض الأئمة والمفتيين الفتاوى تلو الأخرى ببطلان هجرة الجزائريين، وأن الجزائر ليست دار حرب ولا دار كفر بل دار إسلام لا يجوز للمسلم الهجرة منها. وذلك بسبب النشاط الكثيف الذي أبداه هؤلاء المهاجرون بديار المهجر في فضح أساليب السياسة الاستعمارية عبر المنابر الإعلامية، وفي دعم القضية الجزائرية عبر مختلف الجمعيات والنوادي التي أسسوها هنا وهناك، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى بسبب حاجتها الماسة إلى العمالة الجزائرية الرخيصة خصوصا بقطاع الجنوب العربي التوهراني، وهذا ما لمسناه من خلال عودة بعض الخيام الجزائرية المهاجرة من المغرب إلى الجزائر، وعودة كذلك بعض المهاجرين من المشرق العربي مع مطلع القرن 20.

-التأكيد على توزع المهاجرين الجزائريين بعد فرض الحماية الفرنسية عبر عدة تشكيلات اجتماعية من أهمها:

1. المهاجرين الأشراف الذين احتلوا المرتبة الأولى في الهرم الاجتماعي للمهاجرين.
 2. المهاجرين الذين تحنسوا بالجنسية المغربية وأصبحوا مواطنين مغاربة بالتحس وجزائريين بالأصل والنسب.
 3. المهاجرين الذين حافظوا على أصولهم الجزائرية ولم يطالبوا لا بالجنسية المغربية ولا بالجنسية الفرنسية، وهؤلاء هم عموم المهاجرين.
 4. المهاجرين الذين تحنس البعض منهم وهم قليلون بالجنسية الفرنسية وأصبحوا رعايا فرنسيين.
- وفي ظل هذه التشكيلة سعى المخزن وسلطات الحماية كل من جانبه في محاولة استقطاب هذا الثقل الاجتماعي لصالحه. وهذا التنافس بين الطرفين ولد نمو وعي وطني وقومي سياسي تحرري رافض للسياسة الاستعمارية في المغرب.

وقبل الختام أود الإشارة إلى جملة من الملاحظات التي يمكن عدّها ضمن أفاق هذه الدراسة في المستقبل وأثرها على العلاقات الجزائرية المغربية، فإلى أي مدى يمكن توظيف هذا الإرث التاريخي والحضاري والتواصل الثقافي في التأسيس لعلاقات حسن الحوار بين الجزائر والمغرب؟ وفي بناء اتحاد مغاربي متين والعمل على تحسيده في أرض الواقع؟ كما لا يفوتنا أن نذكر ببعض الإشكاليات التي واجهتنا ولم نتمكن من الإجابة عنها كونها تخرج عن الموضوع، ومن بين هذه الانشغالات العلمية التي قد تكون في نظرنا مشاريع بحث قائمة بذاتها مع إقرارنا بتوفر مادتها العلمية بشكل كبير جدا في دور الأرشيف الجزائرية والمغربية والفرنسية:

1. ما هو دور المهاجرين الجزائريين في المغرب في الحركة الوطنية الجزائرية وثورة التحرير 1900-1954؟ وللإشارة فإن هذا الموضوع أصبح جار العمل به كما ذكرنا في المقدمة من طرف الباحث الجزائري محمد يعيش من جامعة الجزائر. كما حاولت بعض الدراسات الجزائرية الأخرى ملامسة جوانبه دون التعمق فيه بشكل كبير كونها لم تُخصّص دراستها لهذا الموضوع فقط.
2. ما هو موقف سلطات الحماية الفرنسية من الوجود الجزائري بالمغرب في الفترة الممتدة من سنة 1912-1956؟ هل نجحت في استقطابه وترويضه فعلا كما يرى البعض؟ أم ظل متمسكا بثوابته وأصالته الجزائرية-المغربية؟ وهل تمكن الجزائريون والمغاربة فيما بعد -خصوصا المجتدين منهم في الجيش الفرنسي- من إحداث انقلاب في الموازين عندما أدركوا أنه لا جدوى من التعامل مع فرنسا القائمة على الوعود الكاذبة خصوصا بعد نهاية الح. ع. 2 سنة 1945؟.

والجناز التي ارتكبها الجيش الفرنسي في كل من قلمة وخراطة وسطيف وشاهدتها المختدون المغاربة بأنفسهم العاملين في الجيش الفرنسي بالجزائر؟

3. مسألة المنجرة العكسية من المغرب نحو الجزائر والتي ضمت في طياتها جزائريين ومغاربة باتجاه كل من تلمسان والجنوب الغربي الجزائري، وما هو هدف فرنسا من وراء تفويضها وتشجيعها؟

4. مظاهر التواصل والتعاون الثقافي والسياسي بين الحركة الوطنية في كل من الجزائر والمغرب من سنة 1900-1956، وأثرها على نمو الوعي السياسي التحرري.

5. موقف المهاجرين الجزائريين في المغرب من مختلف التطورات السياسية التي عرفتها بلدان المغرب العربي في الفترة الممتدة من 1900-1962، وخصوصا الحرب الكونية الأولى (1914-1918) والثانية (1939-1945). المعالج لهذا الموضوع سيقف على جوانب مهمة جدا من البعد المغربي في اهتمامات الحركات الوطنية السياسية والتحررية في كل من تونس والجزائر والمغرب.

6. مسألة انتقال العمل المغربي في فكر الحركات الوطنية المغربية من العمل الوحدوي والجماعي المشترك والفعال ضد الاستعمار الفرنسي؛ إلى العمل الفردي وترسيخ فكرة القطرية الضيقة التي كان يسعى العدو الفرنسي في الوصول إليها منذ البداية، فهل هذه الحركات كانت مُحترقة من المخابرات الفرنسية التي دسّت بعض العناصر العميلة للمطالبة بهذا التوجه القطري؟ أم عملها هذا كان ينم عن وعي مفاده: لا بد من السير في هذا الاتجاه؟ مع إقرارنا المسبق بأن هذا التوجه هو نتاج سياسة "فرق تسد" الاستعمارية الجارية العمل بها بين هذه الدول حتى يومنا هذا.

7. معالجة ملف المختدين الجزائريين والمغاربة في الجيش الفرنسي بالمغرب، ومقابل ذلك منف المختدين المغاربة والجزائريين العاملين في الجيش الفرنسي بالجزائر، معالجة جانبية وموضوعية شرط أن لا نُقحم الوجود الجزائري أو المغربي - ككثقل اجتماعي - هنا أو هناك في هذا الموضوع.

ففي الوقت الذي يتحدث فيه البعض عن دور وفعالية المختدين الجزائريين في احتلال وجدة والدار البيضاء والشاوية إلى جانب الجيش الفرنسي قبل سنة 1912، ويُعيب هذا العمل ويُندد به، فنحن بدورنا نُعيب ونُندد بدور الفيلق المغربي المُحتد في الجيش الفرنسي بالجزائر أثناء مجازر 8 ماي 1945 بالمغاربة والسينيغاليين - كما تذكر كثير من الروايات الشفوية - كانوا هم أشدّ وقعا وبطشا وسلبا ونهبًا للجزائريين في هذه الجناز البشعة!.

الملاحق

جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن
العلوم الإسلامية

GOVERNEMENT GENERAL
DE L'ALGERIE

DIVISION D'ORAN

AFFAIRES INDIGENES

789

Objet
les tribus indigènes des
hauts terroirs situés au Maroc
qui demeurent restées sur
le territoire français.

Oran le 24 Mai 1897

Le Général Boitard, Commandant
la Division d'Oran à Monsieur le
Gouverneur Général de l'Algérie à Alger.

Monsieur le Gouverneur Général

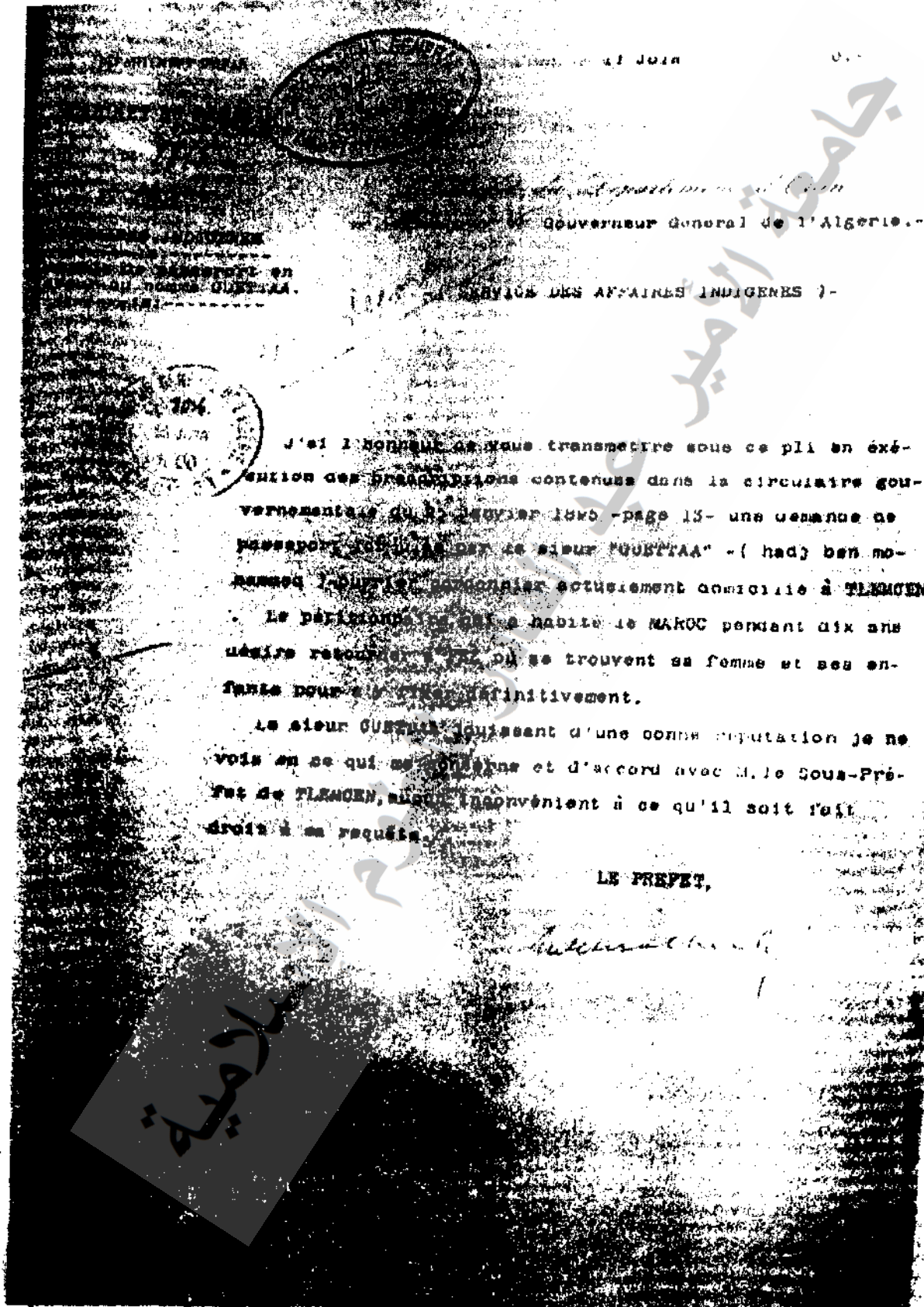
Cabinet



J'ai l'honneur de vous adresser ci-joint
un nomme Haoussoum ben Masani qui
se la tribu des goulas pour l'arche de...
résidant actuellement dans la région de...
présente au nom de la famille... le commandant
supérieur de... pour demander à...
tribe d'origine...

Le commandant Boitard (Signature)

1 -Le général Boitard Commandant la Division d'Oran à Monsieur le Gouverneur général de l'Algérie à Alger. G.G.A. Division d'Oran, Cabinet Affaires Indigènes, Oran fait le 24 Mai 1897. A.O.M. carton H 99. H101. Aix en Provence, France.



Gouverneur General de l'Algerie.-

SERVICE DES AFFAIRES INDIGENES)-

704
 11 1900
 10

J'ai l'honneur de vous transmettre sous ce pli en exécution des prescriptions contenues dans la circulaire gouvernementale du 21 Janvier 1900 -page 13- une demande de passeport adressée par le sieur "GUBTAA" - (hadj ben mohammed) originaire d'origine indigène domicilié à TLEMCEN. Le pétitionnaire qui a habité le MAROC pendant dix ans n'a plus de famille au MAROC. On se trouve sa femme et ses enfants pour s'y occuper définitivement. Le sieur GUBTAA jouissant d'une bonne réputation je ne vois en ce qui se concerne et d'accord avec M. le Sous-Préfet de TLEMCEN, aucun inconvénient à ce qu'il soit fait droit à sa requête.

LE PREFET,

1 -le Préfet de département d' Oran à Monsieur le gouverneur général de l'Algérie. (Service des Affaires Indigènes) Oran le 11 juin 1900. G. G. A. A. O. M. carton 9H99-H101. Aix en Provence, France.

Ministère
des
Affaires étrangères

REPUBLIQUE FRANÇAISE

Direction
des
Affaires Politiques

Division
du Nord

N° 20



جامعة الامير

Requête de
Mouman Ben Mohamed

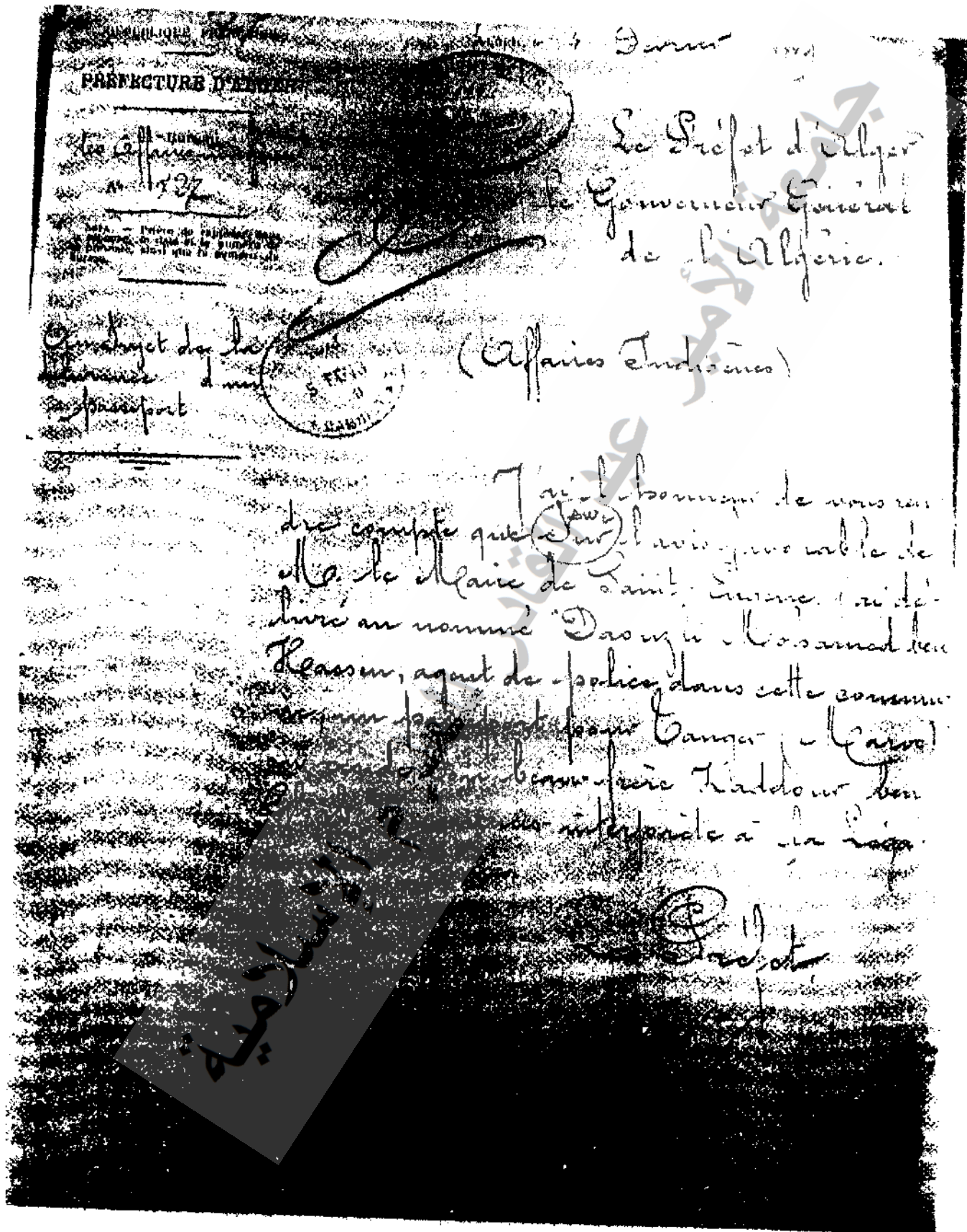
Monsieur le Gouverneur Général.

Nous avez bien voulu, le 7 de
ce mois, ^{N° 1587} porter à ma connaissance
une requête que le nommé Mouman
Ben Mohamed m'a présentée en me
demandant d'être à l'encre avec sa
signature pour le montant de 17 francs, sur le
quel il a été inscrit.

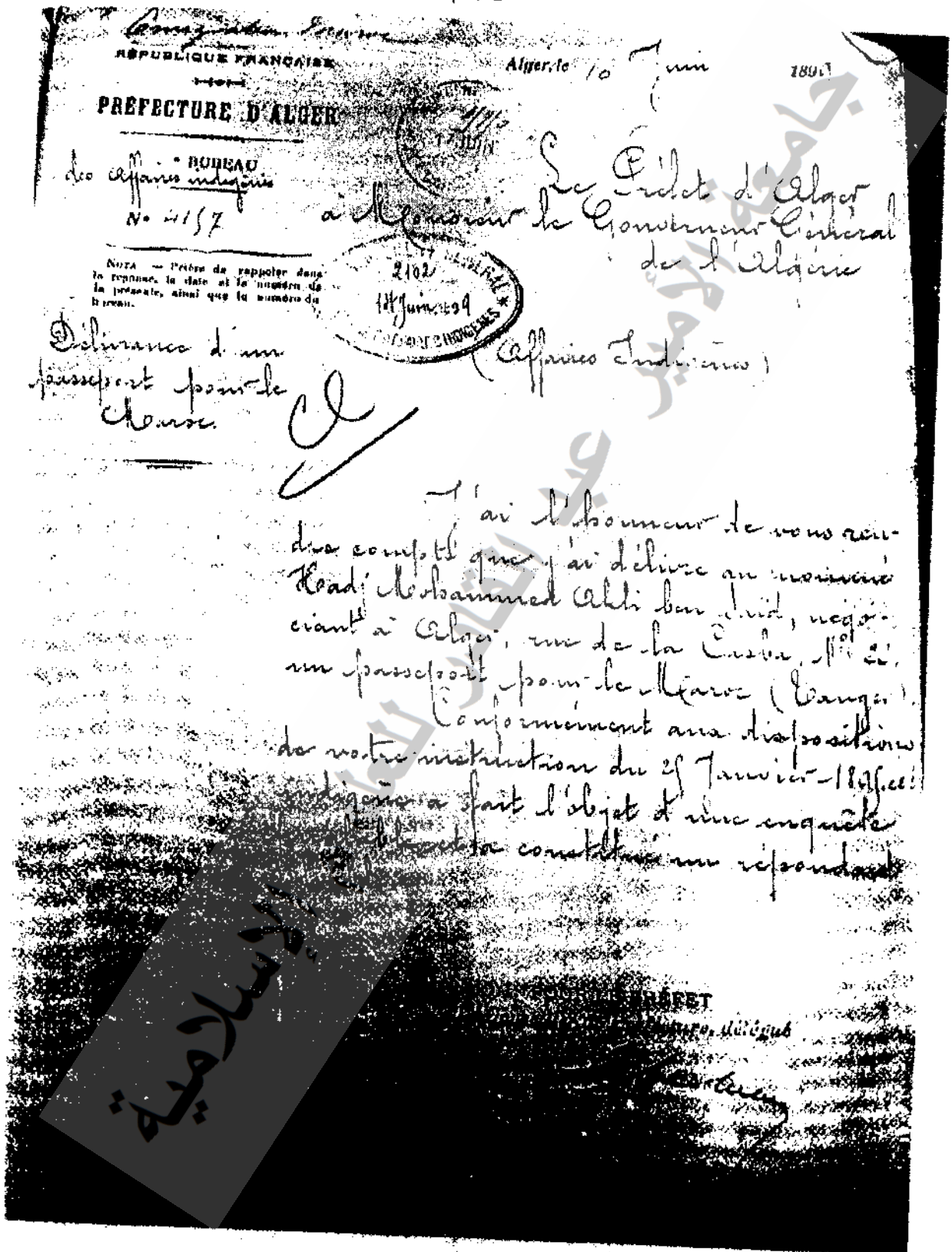
Comme vous que vous
avez été chargé de

الامير

الملحق رقم 14



1 -Le Préfet d'Alger à Monsieur le gouverneur général de l'Algérie. (Affaires indigènes), Alger le 4 février 1899. G.G.A. A. O. M. carton H99-H101. Aix en Provence, France.



1 - Le Préfet d'Algérie à Monsieur le gouverneur général de l'Algérie. (Affaires indigènes), Alger le 10 juin 1899. G.G.A. A. O. M. carton H99-H101. Aix en Provence, France.

ال

الخالد

رضي الله على سيرته بمجروه الريحه وسلم



خرد من ان رضی القایر بحزب السعد شرعنا في الله وسنلح عليك ورحمة الله
 نعلي يوم كياته ووعده بفر وعلنا كتابنا بحسبنا بوزود الم كيشي الحاملين اسل
 العجز آي رد من الله اراشلال وبعلا اخبى به اسلمك عليه وعلى رشان وما جعل العترو
 الكرام فضيلة الله وخبية سعيه بكل مقرر من فائلك بابشاشة والتقبول
 واخبر هواكم مع بلاطراخ ولبير الجلاب جان حشر القلوب واجب واحموا اخواننا السليلر
 الذين هم العرو وشتوا على ملاكهم وعلادع وممرا برينهم حبر الله عليهم بحنيه
 وفضيلة عبر اللى يرمي الطلاب حزم منه العرد التي كفت انه قبضه على التمام ويعطيك
 نسخة ما قبض من كل واحد مما كان قبضه من اسل تطوان ركة عليه وانسهر عليه بالنظر
 به وما كان قبض من اسل كخفة وجهه ليد العاقل والايير ويعونه لم قبض من شير وما
 عليه كزلا وما قبض من اسل باس وجهه ليد الحسب العلاب على الشاع مع
 زماح الذين قبض من يدوع ذللا لارنا يير ويهتر عليه بالتوصل وما بقو بعن
 ذللا اعلمنا به بان بلنا الحزب آي كرا غنيا عن قبض من الغرر التاجم مرجح
 ضعفاء وانما سب كلده لهما وشوسنة الموكوز، ولو كان له عقال في عمه مثل هذا
 ان الله العالين تاي مثل هذا، وفضيلة ما كبر بعن الكتب للدمير الفطاه
 بفضي العلم مع اخ الغريم بالفتنة عظمي مدينة ريبال وجور شيا ويحكي له عن الورد
 والله يوفقنا والسلام 22 ربيع الاول 286 هـ

P

1- م، و، ع، ر : رسالة السلطان عبد الرحمان بن هاشم إلى محمد أشعاش بشأن المركبين الحاملين لأهل الجزائر

وصلوا الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الجزائريين



خير مننا الارض الفأير بمواضعنا لعمارة الله وتطوع علينا وجهتنا الله
 نعلم ربكاته ونعلم نفعنا وفضلنا كتابه وعلمه نعلم ما في العاردين على
 ذلك الفهم من اهل الجزائر وملا الله واراسلام بجاه النبي صلى الله عليه وسلم
 وعلمنا عرهم وكل واحد من جنسهم فلهم لمرارة امر اداء من العقيمة او البرية او رجل
 مع لعل خلقته عن كيب نفسهم بباقتهم وانزلهم احزابا وتراداه يبق عن نبيهم
 بمسرة وسعة وانتملوا من كل واحد من مستغله بمعاينه في خدمته خلقته وعرفته
 وانسلك في 27 جرون (الاولى عام 1116 هـ)

العلوم الإسلامية

1- و. خ. ح. و: رسالة السلطان عبد الرحمان بشأن توظيف المهاجرين الجزائريين وحسن معاملتهم، محفوظة رقم 1، وثيقة رقم

وهدى الله واصل علمه ميرزا محمد وبانه وعبد

العلميون



ولين الباري اذ قد صير محمدا للعلماء الله وسلك عليها ورحمت الله تعلم من كراته
ويعرف وقد وجد هذا من العلم عام الراجح محضه تلال العشرية كتابا بالحكمة
فانهم مع العتيد الميرزا محمد سلال واخيم وايا جعل معراجهم والصبر وبابيلهم
كلاياتنا المتبين ومجرتهم من كوي الكفر والعتية باشتروا في حيا وعلمه
بزيدي جفاضة واكرام ففسد الفزاعل احسانا وامروا يعضله وامتناناه وكماسوا
تأخيم تكليهم بالمشركية والافترافه بسلك الخزيقنا والبيع الا لا يفتح حديث
عشر برصا صحتهم يشتركون بالبلاء ويبيعوا روح العاطف والافترافوا به
الخزومة والقبيل بالخزينة بسلاعتهم علمنا ان العلم الله واسلك في عمل
في العصر الخزان علم 1262

الثبات
الملكية

سجل 4.9.1.2.3

العلوم الإسلامية

الخز

رحم الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

الجملة وقدر



المكتبة
المسكية

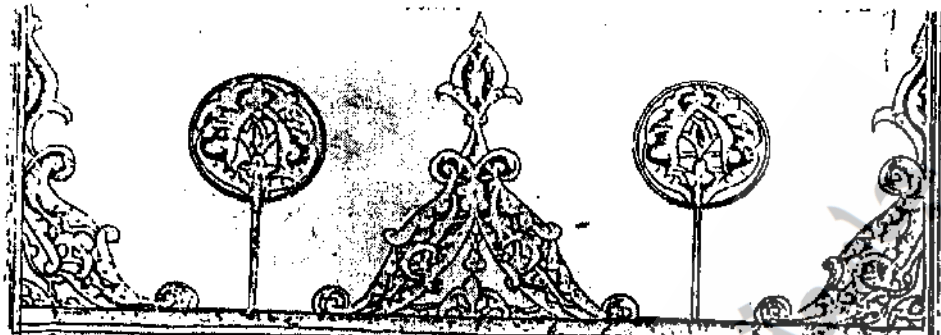
سجل 49798

ولولا الكابران في سيرة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على ما روي في
 الله تعالى وبركاته وبغير بلغنا أن نساء حالك أنفسهم الحشم وشاهم
 وصيانهم في فوايد البلاد والقبائل وتوزعهم الناس كالامباري وهارم
 لا يتعنى الله في دينه في شئ من شأنهم مثل العبيد وهزارم الخ وداري
 التي لا يرزاه الله ورشوله والموضوعة وقد ولتنا والحرم لكاهن نفية من
 الشبه والرضى بما هو شئ في البري ولا ينبغي لنا ان نتعلم من غير
 النوايح التي لا يرضى ولا نكثت عنه والتركيب للجمية من الرجال وقسط
 اخذهم الله بما كسب ابراهيم وعادته عليهم وبالسعي منهم وتعريفهم فقال الصبية
 والنساء والاصبيان ونوعهم من نكثت كيف يكون في امرهم ان شاء الله وقر
 بلغنا انك تصفت بذاك على من حذر واجتمعت اذيتك ما عليك وكنت لك
 من اذيتك ان يري في اجتمعت اذيتك الله والملك واحرص على استغاثي
 من يبيع يفتن المؤمنين وخرج مشتهر به على الابع له على الفاعلة الشريعة
 بذكره والسلم في ما شوال المبارك عام 263 ل

الحزان

1 - م. و. م. ر: رسالة السلطان عبد الرحمان بن هشام إلى ولي عهده بشأن الحشم وبنو عامر الذين استرقهم الناس

واستعدوهم. سجل رقم 19798



اقبل الله منكم

وكل الله من سبغ ومراك محمودة اليه



يعلم رخصنا بناتنا غدا شرف الله لادن واعز امرا واكهدم به سماه الغا لما شمسه الميم ويزرك
 اننا بجول الله وفوته وشا بل بجه ولسنا جعلنا التسليل بغير منضو التلمسا في لقب
 على الشرفاء اهل تلمسان الفنا خير بل بجه ادر بسية بقاسر فاستلنا اليه التظرفا امرهم
 وكلينا لا بغيرهم ومظالمهم لنا بل بجانهم بل لم يوج وجميل ان وظاف ولا اهلنا للفتي
 بجه ادر سرفا فاه يسير بهم بسير حسنة واز فكلاب الامور المشتمنة ونعمل اليه ان
 بل لهم على احسن ادر حوزا وبل بجه عظيم كما بقلنا وبل بجه كل نرها فانا كما يعنى بل سليم
 الى الغربى ادر من حتى يكونوا جازر على فاه في باغوا السهم وابل بجه بعلينا ببنود الله
 فيما استوالينه ورقابة تافرن بملكه والله يتول تسديك والسلك تسديك ام نا المعنى
 تعلق في قلم تصبر العيز على وا 1319

مودة ظهور شريف مؤرخ في 1 صفر عام 1319 هـ بغيرين به
 السلطان مولاي عبد العزيز الشريفة السيدة محمد بن منصور
 نقيبنا على الشرفاء اهل تلمسان القاطنين بفاس

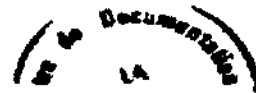
1- م. و. م. ر: ظهور عزيزي بشأن تولية محمد بن منصور نقه على الشرفاء من أهل تلمسان بفاس.



1- وثائق عائلية تتوفر عليها حفيدة الأمير عبد القادر الأميرة بديعة الحسن الجزائري، دمشق، سوريا، جويلية 2008.



S. E. Si Elhadj-Mohammed El Mokri, *Grand-vizir*



الصفحة الأولى من الوثيقة الرسمية التي أرسلتها إليكم في تاريخ 14/12/1941
 التي تتعلق بالمشروع الذي تقدمت به إليكم في تاريخ 12/12/1941
 بخصوص إنشاء لجنة لدراسة وإعداد مشروع قانون
 تنظيم العمل في المؤسسات العمومية والقطاعات
 الخدمية التابعة للدولة. وقد استجبت لطلبكم
 في تاريخ 15/12/1941 ووافقت على ما تقدمت
 به إليكم في تاريخ 12/12/1941 من حيث
 المبدأ. وقد وافقت على ما تقدمت به إليكم
 في تاريخ 12/12/1941 من حيث المبدأ.

MISSIONE MILITARE
 ITALIANA
 AT
 MAROCCO

10
 FEZ
 شارع
 المغرب

بنتي (تحت المسمى المسمى) وزير الشؤون
 المغربية المغربية، وضممتها إلى العمل المغربي الذي
 ألفته السيد (عاج) على المغربي لآثار السواحل
 وسواحل البحر الأبيض المتوسط وعالمية
 ويعتبر ملكة (مفتحة السيرة) زهرة (السيرة)
 امريتي بالسيرة مع حصة من السيرة مع الضمور
 بسيرة بنوا بعض ان تقدم في واية الميراث
 وها ومنه لطيفة، وعلى كشافة ان كدالة
 مع اهل دارنا بلاد المظالم، فضل لها
 يوم 16 من هذا الشهر بحول الله وقوته.
 وعليه فالمرغوب من سيرة تسمى
 كما فعل ومنتى تقدم لغرضك واهل محل
 تقدم لغرضك من المملوك، كما ومنتى
 اي كناية اية على طريق التلخيص
 وجدول بينا بلسان التمهيد حتى
 ان يكون في المملوك من المملوك
 المملوك من المملوك

وهذا عنواننا بالبطانية
 Cavaliere Campini
 Via fuori porta S. Eustachio, 37
 Bologna - (Italia)

Copie ... الكويشة

البحراني

سوق الصوف

تونس

Mohamed El-Beji El-Mebazaâ

31, Souk de la Laine

TUNIS

بازار الوطن في المخترع والانتيسك

MAGASIN DE LA PATRIE

Nouveautés & Articles Orientaux

GRAND DÉTAIL

ADRESSE TÉLÉGRAPHIQUE

BEJI MEBAZAA, TUNIS

تونس في جمارك الكائنات رقم 1

المحرر

على اسم علي صبرنا وصومنا محمد وعلى أكنه ومحبه وسلم

من الملكة لينة بيلك خبير ... ومنه تكوننا اننا صبرنا بيلك خبير

الصور والاعمال مختار من بلاد ... والاعمال ... والاعمال ... والاعمال ...

سلطان تونس ... والاعمال ... والاعمال ... والاعمال ...

...



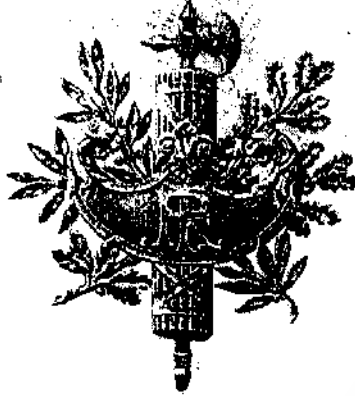
الحاج عبد السلام بن محمد بن شقرون بصر - بالفحامين
السوان التفراف - عبد السلام شقرون

ABDEL EL SALAM BEN MOHAMED BEN CHACROUN
RUE FAHAMIN CAIRE EGYPT
Add. Teleg. Abdel Salam Ben Chacroun

الحمد لله وحده
الحضرة الاعظم والملاذ الخ سيادة الصرة الاعظم سرتا البقية بين الحاج محمد بن
اصح الله وورعكم وسكاه على جياتكم ورحمة الله على جميع مساكنا نصرة الله وبعث
بغير كاضى المبارك ايمانكم الله وانفلكم الى احوال احواله متمتعين بعبادة الله تعالى
انما لك الكرم منقطع الله وغير غير على جياتكم ما كساع حياكم بشان فضل الله
العالى بالله جياتكم تفعل عن ذلك من يوم ان كلفنا برك وكما عشنا بين
بمع ومع الجرح حسب ما دارت الحماير بيني وبين بعض الامم بل حجاز وبعثنا
راخذنا انفسهم بالسعي وانما حدثت حادتم يمكن بين الحسبان وموضوع
المهم به وحكومة الحجاز حتى اقتصر الخلايا الى ان ترتب على ذلك ان رجع الحمل
ومستخبره وبعض الحاج ابر كل نواهم ففقدت لم يدخل الى حرم قسب الخلفاء
الحلوتين واحرا امنا الخلوه المصر به اسم الحج بروج الحمل ومن معه وبعضهم الى
الماضي نهران حصلت بخارنا طريلة كمن المن بين الخلوين ولم يحصل اقبان
من رجع الحمل رهن مصينة كبر اصابت كاسكاع غموهلا وعرضه خصوصه
صدم ركن نبي اركان كاسكاع وتبنيه جعل التيق في نير الاولة كاسكاع
مكهم اذ نقيوم وانعلم انبواج هي الازبه السلسية الا الله على
ما اعلمها مصينة نسال الله ان يمشرا نقابضير على زلمع كاهور الى
والمسلم وهدمهم الى طرين المنطقه وحيث صدر ما ذكر لم تكن نسا
الحجازه الا لا تعلم ما ذا يصروه الموانع بين المنفصل ونحن مستعدين

Passport diplomatique

RÉPUBLIQUE FRANÇAISE



Nous, le Ministre Secrétaire d'Etat
au Département des Affaires Etrangères
requérons les Officiers civils et militaires chargés de maintenir
l'ordre en France et prions les Autorités investies de la même
mission dans les pays alliés ou amis de la République Française
de laisser librement passer Si El Hadj Mohammed
El Mokri, grand vizir de Sa Majesté Chérifienne
se rendant en Suisse, en Italie et en Belgique

et de lui donner aide et protection en cas de besoin.

à Paris le 17 Septembre 1920.

Pr
Le Ministre des Affaires Etrangères

Signature du porteur



Larteron

N^o 1170

Desambas 67



S. E. Mammeri Si Mohammed

قائمة المصادر والمراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1.1. المصادر.

1.1. المصادر والمراجع باللغة العربية:

1.1.1. الوثائق:

أ-مديرية الوثائق الملكية بالرباط:

-ملف المهاجرين الجزائريين.

ب-وثائق ومخطوطات الخزانة الحسينية بالقصر الملكي بالرباط:

-مجموعات وثائقية تتعلق بالمهاجرين الجزائريين.

-مجموعة كنانيش.

- عبد الرحمان، ابن زيدان: النهضة العلمية، رقم: 1265.

2.2.1. المصادر المخطوطة:

آ-مخطوطات الخزانة العامة بالرباط:

-أبو حامد العربي، المشرفي: الحلل البهية في تاريخ ملوك الدولة العلوية، رقم 1463 د.

- (،،،،،): طرس الأخبار بما جرى للمسلمين مع الكفار في عنتر-عتو- الحاج عبد القادر

وأهل دائرته الفجار، مخ، الخزانة العامة بالرباط. رقم: ك 496.

- (،،،،،): ياقوتة النسب الوهاجة، 1534، د.

- (،،،،،): الحسام المشرفي لقطع لسان الشاب الجعفري الناطق بخرافات الجعسوس سيء

الظن الكنسوس، رقم 2276 ك.

-أبو العلا، إدريس: مجموع الابتسام عن دولة ابن هشام، رقم 114 ح.

-محمد بن الحسن، الحجوي: انتحار المغرب بيد ثواره، ميكروفيلم، رقم 123 ح.

-محمد المدني، كنون: التحذير من الإقامة بدار العدو، رقم 2223

-محمد السباعي: كشف النور عن حقيقة أهل الباصور، د 1326.

-محمد بن أحمد، أكنسوس: الجيش العرموم، رقم 965 د.

-الطيب بن المختار، الراشدي الغريسي: القول الأعم في بيان أنساب قبائل الحشم، رقم ك 1080.

ب-مخطوطات مكتبة الحامة بالجزائر:

-أبو حامد العربي، المشرفي: ياقوتة النسب الوهاجة، مخ، رقم 3326.

-محمد السعيد، ابن عمي الدين الجزائري: نبذة عن حياة الأمير عبد القادر وأسرته، رقم 9.

-القرآن الكريم.

- أبو القاسم محمد، الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، تقدم محمد رعوف القاسمي الحسني، ج. 1، 2، موفم، الجزائر، 1991.
- أبو الحسن علي بن عبد السلام بن علي، التسولي: أجوبة التسولي عن مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، ط. 1، دراسة وتحقيق عبد الطيف أحمد الشيخ محمد صالح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996.
- أحمد بن خالد، الناصري: الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق أحمد الناصري، منشورات وزارة الثقافة والاتصال، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2001.
- أبي عبد الله محمد، ابن مريم التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، د، م، ج. الجزائر، 1986.
- أبي عبد الله محمد بن جعفر بن إدريس، الكتاني: سلوة الأنفاس ومحاذة الأكياس بمن أقر من العلماء والصلحاء بفاس، مج. 3، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني، وحمزة بن محمد الطيب الكتاني، ومحمد حمزة بن علي الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2004م.
- ابن عبد الله، السليماني: اللسان العرب عن ثقافت الأجنبي حول المغرب، ط. 1، مطبعة الأمنية، الرباط. 1391هـ / 1971م.
- ابن عودة، المزارى: طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19، ج. 2، ط. 1، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1990.
- آندري، نوشي وآخرون: الجزائر بين الماضي والحاضر، ترجمة اسطيفولي رابح ومنصف عاشور، موفم، الجزائر، 1984.
- جان، كوستي، وأبو القاسم عشاش: بيوتات مدينة سلا، تحقيق وتعليق نجاة المريني، منشورات الخزنة العلمية الصبيحية، مطابع سلا، المغرب، 1989.
- حمدان بن عثمان، خوجة: المرأة، تقدم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، ط. 2، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1986.
- الطيب، بنونة: نضالنا القومي في الرسائل المتبادلة بين الأمير شكيب أرسلان والحاج عبد السلام بنونة، ط. 1، مطبعة دار أمل، طنجة، 1400هـ / 1980م.
- يوهان كارل، بيرنت: الأمير عبد القادر، ط. 2، ترجمة وتقدم أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 1996.
- الكولونيل، أسكوت: مذكرات الكولونيل أسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر سنة 1841، ترجمة وتعليق إسماعيل العربي، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1981.
- لويس، فوانو: وجدة والعمالة، ج. 3، ترجمة علوي أحمد العلوي، المغرب، 1993.

- لويس، أرنو: زمن "مخلات" السلطانية الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب ما بين 1860-1912، ترجمة محمود ناجي بن عمر، مطابع أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2002.
- محمد بيرم الخامس، التونسي: صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج. 2، ط. 1، دار صادر، بيروت، بالإشتراك مع المطبعة الإعلامية بمصر، 1303هـ.
- محمد بن عبد القادر، الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج. 1، ط. 2، شرح وتعليق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية، بيروت، 1384هـ / 1964م.
- محمد بن عسكر الحسني، الشفشاوني: دوحة الناشر لحاسن من كان بالمغرب منذ مشايخ القرن العاشر، ط. 3، مراجعة عبد الحميد خبالي، منشورات مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، مطبعة الكرامة، الرباط، 1424هـ / 2003م.
- محمد، داود: تاريخ تطوان، ط. 1، منشورات الخزانة الدوادية، تطوان، 1419هـ / 1998م.
- محمد معمري، الزواوي: حسن الوفاء لآل البيت النبوي في مآثر ملوك العرش العلوي، المطبعة الملكية، الرباط، 1384هـ / 1964م.
- محمد بن محمد بن مصطفى، المشرقي: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها الغير المتناهية، ج. 1، دراسة وتحقيق: إدريس بوهليلة، د، د، ع. تحت إشراف إبراهيم حركات التاريخ، جامعة محمد الخامس، الرباط، السنة الجامعية، 1992-1993.
- محمد بن محمود، ابن العنابي: السعي المحمود في نظام الجنود، تقديم وتحقيق الدكتور محمد بن عبد الكريم الجزائري، م. و. ك، الجزائر، 1983.
- مديرية الوثائق الملكية: مجموعات وثائقية دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية، المطبعة الملكية بالرباط، 1396هـ / 1976م.
- مسلم، بن عبد القادر: أنيس الغريب والمسافر، تحقيق وتقديم رابح بونار، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1394هـ / 1974م.
- مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، ترجمة محمد العربي السزبيري، ط. 2، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1981.
- مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشرف الجزائر، تحقيق أحمد توفيق المدني، ط. 2، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1980.
- سعيد بن عبد الله التلمساني، المنداسي: ديوان المنداسي، تحقيق وتقديم رابح بونار، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1976.
- عبد الرحمان، ابن زيدان: العز والصولة في معالم نظم الدولة، ج. 3، المطبعة الملكية، الرباط، 1381هـ / 1961م.

- عبد الرحمان، ابن زيدان: إتخاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس أو عبر الآس من روضة تاريخ مكناس أو حسن الاقتباس من مفاخر الدولة العلوية وتاريخ مكناس، ج. 5، ط. 1، المطبعة الوطنية، الرباط. 1352هـ / 1933.
- عبد القادر بن محمد الدين، الجزائري: مذكرات الأمير عبد القادر، تحقيق محمد الصغير بناني ومحفوظ سماقي والصالح ألجون، ط. 3، شركة دار الأمة، الجزائر، 1998.
- عبد القادر بن محي الدين، الجزائري: ديوان الأمير عبد القادر، تحقيق وشرح وتعليق زكريا صيام، د. م. ج. الجزائر، 1988.
- عبد القادر، المشرفي الجزائري: بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسمانيين بوهران من الأعراب كني عامر، تحقيق وتقديم محمد بن عبد الكريم، منشورات دار مكتب الحياة، بيروت، لبنان، د. ت.
- عبد الكبير بن هاشم، الكتاني: زهرة الآس في بيوتات أهل فاس، ج. 1، ط. 1، منشورات مطبعة النجاح الجديدة، 1422هـ / 2002م.
- عبد الحميد، بيك: أعيان من المشاركة والمغاربة، تقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2000.
- عبد الحميد بن أبي زيان، بنشنهو: البيان المطرب لنظام حكومة المغرب، المطبعة الوطنية، درب الفاسي، الرباط. 1935.
- عبد السلام بن أحمد، السكيري: نزهة الإخوان في أخبار تطوان، ط. 1، تقديم وتحقيق يوسف اخنانه، مطبعة الخليج العربي، تطوان، المغرب، 2005.
- علاء، الفاسي: الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط. 5، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1993.
- علي النبيري المرالي، التونسي: العود الجزائري، تقديم وعرض أحمد عميراي، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1427هـ / 2006م.
- صالح، العنتري: مجامع قسنطينة، تحقيق وتقديم ربيع بونار، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1394هـ / 1974م.
- قدور، بن رويلة: وشاح الكتاب وزينة الجيش المحمدي الغالب ويلي ديوان العسكر المحمدي الملياني، تقديم وتحقيق الأستاذ محمد بن عبد الكريم، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1968.
- روجي، لوطورنو: فاس قبل الحماية، ج. 1، ترجمة محمد حجي ومحمد الأحضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1412هـ / 1992م.
- الشريف بن عبد الكريم بن هاشم، الكتاني: زهرة الآس في بيوتات أهل فاس، ج. 1، ط. 1، تحقيق علي بن منور الكتاني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2002.
- شارل روبير، آجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة عيسى عصفور، ط. 2، د. م. ج. الجزائر، 1982.

- شارل هنري، تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ط. 2، ترجمة وتقديم وتعليق أبو القاسم سعد الله، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1982.
2. 2. المراجع:
- إدريس، خليفة: الحركة العلمية الثقافية بتطوان منذ الحماية إلى الاستقلال 1331-1376هـ / 1912-1956م، ج. 2، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1414هـ / 1994م.
- أبو القاسم، سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الأجزاء 1-8، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998م.
- (،،،،،): الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 1، القسم الأول، م. و. ك، الجزائر، 1992.
- (،،،،،): الحركة الوطنية الجزائرية، ج. 1، القسم الثاني، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2000.
- (،،،،،): محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ط. 3، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1982.
- (،،،،،): أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج. 1-2، م. و. ك، الجزائر، 1986.
- (،،،،،): تجارب في الأدب والرحلة، م. و. ك، الجزائر، 1983.
- أبو العيد، دودو: الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830-1855)، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1975.
- أبو بكر بن علي، الصنهاجي: أخبار المهدي بن تومرت، تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات، ط. 2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- أبو عمران، الشيخ: قضايا في الثقافة والتاريخ -علي الحمامي وقصة إدريس التاريخية-، منشورات تالفة بالأبيار، الجزائر، 2003.
- أديب، حرب: التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري 1808-1874، ج. 1، 2، ط. 1، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1983.
- أحمد توفيق، المدني: كتاب الجزائر، ط. 2، دار الكتاب، البليدة، الجزائر، 1382هـ / 1963م.
- (،،،،،): حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا 1492-1792، ط. 2، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1976.
- (،،،،،): محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791، م. و. ك، الجزائر، 1986.
- أحمد، أمزيان: فحجج "فكيك" مساهمة في دراسة المجتمع الواحي خلال القرن 19 (1845-1903)، مطبعة فجر السعادة، المغرب، 1988.
- أحمد سراج. عكاشة برحاب: المجالات الحدودية في تاريخ المغرب، منشورات: ك. آ. ع. إ، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، سلسلة ندوات رقم 6، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1999.

- احميده، عمير اوي: دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية 1827-1840، ط. 1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1407هـ / 1987م.
- (—، —): الأمير خالد وخطاب الحركة الوطنية الجزائرية (1830-1930)، دار الهدى، عين منيلة، الجزائر، 2007.
- آسية، بنعدادة: الفكر الإصلاحي في المغرب في عهد الحماية (محمد بن الحسن الحجوي نموذجاً)، ط. 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2003م.
- إسماعيل، العربي: المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر الجزائري، ط. 2، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1982.
- إسماعيل مولاي عبد الحميد، العلوي: تاريخ وجدة وأنكاد في دوحه الأمجاد، ج. 1، ط. 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1406هـ / 1985م.
- إبراهيم، مياسي: توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، مطبعة ANEP الروبية، الجزائر، 1996 الجزائر، 1996.
- إبراهيم، حركات: المغرب عبر التاريخ، ج. 3، ط. 1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1405هـ / 1985م.
- (—، —): التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف، قبل الحماية، ط. 2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1994.
- أرسلان، الأمير شكيب: لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ مراجعة حسن ميم، بيروت، منشورات دار مكتبة الحياة، 1975.
- بديعة، الحسيني الجزائري: أصحاب الميمنة إن شاء الله، دار سلام للترجمة والنشر، دمشق، مطبعة عكرمة، دمشق، 1997.
- (—، —): وما بدلوا تبديلاً، ط. 2، دار الفكر، دمشق، 1429هـ / 2008م.
- (—، —): طائر في سماء المجد الشهيد الأمير عز الدين الحسيني الجزائري، ط. 1، دار الفكر، دمشق، 1428هـ / 2007م.
- بهيجة، سيمو: الإصلاحات العسكرية في المغرب 1844-1912، تأليف وتعريب المؤلف نفسه، المطبعة الملكية، الرباط، 1421هـ / 2000م.
- (—، —): العلاقات المغربية الإيطالية 1869-1912، ط. 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2003.
- بدر، المقرئ: خطط المغرب الشرقي، ط. 1، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، مطبعة إيت، الحى الصناعي بالولجة، سلا، الرباط، 1427هـ / 2006م.

- بسام، العسلي: المارشال بيجو 1784-1849، ط. 2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1982.
- بوشني، بوغريسة: مكناس المدينة الجديدة (التأسيس-البنيات الإدارية-التناقضات) 1911-1939. مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1999.
- جمال، قنان: نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر 1830-1914، د، م، ج. الجزائر، 1993.
- الهادي، الهروي: القبيلة، الإقطاع والمخزن، مقارنة سوسولوجية للمجتمع المغربي الحديث 1844-1934. أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2005.
- حسين، مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي، مج. 2، ج. 2، ط. 1، العصر الحديث للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1412هـ / 1992م.
- الطاهر، أوصديق: ثورة 1871، ترجمة جباح مسعود، م. و. ك، الجزائر، 1989.
- يحيى، جلال: المغرب الكبير، ج. 3، العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1981.
- يحيى جلال، وآخرون: مسألة الحدود المغربية الجزائرية والمشكلة الصحراوية، دار المعارف، القاهرة، 1982.
- يحيى، بوغريزة: سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية 1830-1954، د، م، ج. الجزائر، 1985.
- (—، —): ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط. 1، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1400هـ / 1980م.
- يوسف، مناصرية: مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832-1874، م. و. ك، الجزائر، 1990.
- محمد، المنوني: مظاهر يقظة المغرب الحديث، ج. 1، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1985.
- محمد، الطمار: الروابط الثقافية بين الجزائر والخراج. ش. و. ن. ت، الجزائر، 1983.
- محمد، حجي: جولات تاريخية، ج. 2، ط. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1995م.
- (—، —): الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، ج. 1، مطبعة فضالة، المغرب، 1977.
- محمد بن الفاطمي بن الحاج. السلمي: إتحاف ذوي العلم والرسوخ بتراجم من أخذت عنه من الشيوخ، دار الطباعة الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1398هـ / 1978م.
- محمد، مونيبي: الظهور البربري "أكبر أكذوبة سياسية في المغرب المعاصر"، دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط. 2002.
- محمد، الحوني/ الحرنى: ((مساهمة المدارس الحرة في مقاومة المشروع الثقافي الاستعماري مدارس المنطقة الشرقية نموذجاً))، ندوة المقاومة المغربية في الجنوب الشرقي، بوعرفة- فكيك، أيام: 15-16-17 أكتوبر 1998، ك. أ. ع. إ، وحدة، ومساهمة المندوبية السامية لقدماء المجاهدين وأعضاء جيش التحرير، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط. 2000.

- محمد بوزيان، بنعلي: واحة فكيك تاريخ ومعالم، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1407هـ/1987م.
- محمد عبد الغني، حسن: المقرئ صاحب نفع الطيب، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، 1966.
- مصطفى، الأشرف: الجزائر الأمة والمجتمع. ترجمة حنفي بن عيسى، م. و. ك، الجزائر، 1983.
- مصطفى، بوشعراء: الاستيطان والحماية بالمغرب (1280-1311هـ / 1863-1894م)، ج. 4، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط. 1410هـ / 1989م، ص. 1478.
- مصطفى، الغديري: وجدة بعيون أجنبية أوائل القرن العشرين، ط. 1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، مطبعة جسور، وجدة، المغرب، 2000.
- محمد الأمين، البزاز: تاريخ الأوبئة والمجاعات بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1992.
- محمد بن عبد الكريم، الجزائري: حكم المهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1981.
- محمد الصغير، الخلوئي: بوحارة من الجهاد إلى التآمر، المغرب الشرقي والريف من 1900-1909،
- مصلحة الدراسات في المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954: ((من جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر))، المصادر، فصلية، تعني بشؤون المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، ع. 5، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية الثورة التحريرية، صيف 1422هـ / 2001م.
- مجموعة من المؤلفين: آثار محمد البشير الإبراهيمي، ط. 1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع. الجزائر، 1402هـ / 1981م.
- ناصر الدين، سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي، تراجم مؤرخين ورحالة جغرافيين، ط. 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1999.
- نور الدين، المودان: ملامح من الحياة اليومية بوجدة وبواديها خلال القرن التاسع عشر، ط. 1، منشورات: ل. آ. ع. إ، جامعة محمد الأول، وجدة، مطبعة شمس، وجدة، المغرب، 2001.
- سعد، بزيان: جرائم فرنسا في الجزائر، دار هومة، الجزائر، 2002.
- سهيل، الخالدي: الإشعاع المغربي في المشرق دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام، ط. 1، شركة دار الأمة، الجزائر، 1417هـ / 1997م.
- عبد الرحمان بن محمد، الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج. 2، ط. 7، د، م، ج. الجزائر، 1415هـ / 1994م.

- عبد الإله، بلعزیز: الخطاب الإصلاحی فی المغرب التكوين والمصادر، ط. 2، دار المنتخب العربي، بیروت، لبنان، 1417هـ / 1997م.
- عبد الله بن عباس، الجراري: التألیف ونهضته بالمغرب فی القرن العشرين من 1900-1972، جزآن، ط. 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ربيع الثاني 1406هـ / ديسمبر 1985.
- عبد الوهاب، بنمنصور: أعلام المغرب العربي، ج. 5، المطبعة الملكية، الرباط، المغرب، 1410هـ / 1990م.
- (—، —): أعلام المغرب العربي، ج. 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1399هـ / 1979م.
- (—، —): مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب منذ نشأتها إلى مؤتمر مدريد سنة 1880، ط. 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1985.
- عبد الله، العروي: مجمل تاریخ المغرب، ج. 3، ط. 1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1999.
- عبد العزيز، بن عبد الله: فاس منبع الإشعاع فی القارة الإفريقية، ج. 2، المطبعة الملكية، الرباط، 1422هـ / 2001م.
- عباس بن عبد الله، الجراري: القصيدة (الزجل فی المغرب)، ط. 1، مطبعة الأمانة، الرباط، المغرب، 1390هـ / 1970م.
- عبد العزيز، السعود: تطوان خلال القرن 19، مساهمة فی دراسة المجتمع المغربي، منشورات جمعية تطاون-أسمير، تطوان، 1996.
- عبد الحمید، زوزو: ثورة بوعمامة 1881-1908 (جانباها العسكري 1881-1883)، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1981.
- (—، —): نصوص ووثائق فی تاریخ الجزائر المعاصر 1830-1900، م. و. ك، الجزائر، 1984.
- عمر، آفا: تاریخ المغرب المعاصر، دراسات فی المصادر والمجتمع والاقتصاد، ط. 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2001-2002م.
- عبد الحمید الإسماعيلي، العلوي: التاريخ الأریح لمدينة فجاج. مطبعة دار النشر الشرقية، وجدة، 1997.
- عبد الباقي، مفتاح: أضواء علی الطريقة الرحمانية الخلواتية، الوليد للنشر، الوادي، الجزائر، 1425هـ / 2004م.
- عمر، بوزيان: جذور اتحاد المغرب والجزائر 1832-1845، منشورات عكاظ، الرباط، المغرب، 1988.
- عمار، هلال: أبحاث ودراسات فی تاریخ الجزائر المعاصرة 1830-1962،
- عياش، جرمان: أصول حرب الريف، ترجمة محمد الأمين البزاز، وعبد العزيز التمساني خلوف، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1992.
- عكاشة، برحاب: شمال المغرب الشرقي قبل الاحتلال الفرنسي 1873-1907، منشورات جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، المغرب، 1989.

- عكاشة، برحاب: من أسواق الحدود المغربية -الجزائرية عين بني مطهر 1845-1912، ط. 1، الرباط-نيت، المغرب، 2004.
- (،،،،،): المجال الحدودي بين المغرب والجزائر في مطلع القرن العشرين (1900-1912)، ط. 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2002.
- (،،،،،): من قضايا الحدود بين المغرب والجزائر، ط. 1، دار أبي رفاق للطباعة والنشر، المغرب، 2003.
- صالح، عباد: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2005.
- صالح، فركوس: المختصر في تاريخ الجزائر من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814ق.م-1962)، دار العلوم، عنابة، الجزائر، ص، 208.
- (،،،،،): إدارة المكاتب العربية والاحتلال الفرنسي للجزائر في ضوء شرق البلاد 1844-1871، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الجزائر، 2006.
- قدور، الورطاسي: معالم من تاريخ وجدة، مطبعة الرسالة، الرباط، المغرب، 1392هـ/ 1972م.
- (،،،،،): المطرب في تاريخ شرق المغرب من عهد الكاهنة "داهيا" الجراوية الزناتية إلى سنة 1956، ج. 2، ط. 1، مطبعة الرسالة، الرباط، 1985.
- قدور، بوزياني: البعد الحدودي في علاقة المغرب بأتراك الجزائر (ق 10-11هـ/ 16-17م)، ط. 1، سلسلة ندوات ومناظرات، المغرب في العهد العثماني، تنسيق عبد الرحمان المودن، منشورات: ك. آ. ع. إ، جامعة محمد الخامس بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1995.
- شارل آندري، جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية تونس-الجزائر-المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830م، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، ج. 2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1983.
- ثريا، برادة: الجيش المغربي وتطوره في القرن التاسع عشر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1997.

3. الدوريات:

- أبو القاسم، سعد الله: ((مؤلفات المشرفي المعاصر للأمير عبد القادر))، الثقافة، ع. 75، عدد خاص بالذكرى المثوية لوفاة الأمير عبد القادر، السنة، 13، تصدر عن وزارة الثقافة، ش. و. ن. ت، الجزائر، رجب-شعبان 1403هـ / ماي-جوان 1983.
- أبو عمران، الشيخ: ((علي الحمامي وقصة إدريس))، الثقافة، ع. 42، السنة السابعة، ش. و. ن. ت، ذو الحجة- محرم 1398هـ / ديسمبر-جانفي 1978، الجزائر.
- إدريس، بوهليلة: ((العائلات الجزائرية بتطوان من خلال مخطوط عمدة الراوين لأحمد الرهوني))، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع. 10، جامعة الملك السعيد، مطبعة الطوبريس، تطوان، 2000.
- إسماعيل، العربي: ((سفارة ميلود بن عراش لدى الملك لويس فليب خلفياتها ونتائجها))، مجلة التاريخ، تاريخية، ع. 6، يصدرها المركز الوطني للدراسات التاريخية، جويلية، 1978، الجزائر.
- أحمد، العماري: ((المؤثرات الحقيقية وراء موقف المؤرخين الأجانب من التدخل المغربي في تلمسان اثر الاحتلال الفرنسي للجزائر))، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، العددان، 2، 3، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس، 1979، 1980.
- أحمد حسين، السليمان: ((نزاع الملكية العقارية للجزائريين 1830-1871))، المصادر، سداسية، تاريخية، تصدر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 54، ع. 6، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر، محرم 1423هـ / مارس 2002م.
- إبراهيم، مياسي: ((الاستيطان الفرنسي في الجزائر))، المصادر، فصلية، تعنى بشؤون المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 54، تصدر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 54، ع. 5، الجزائر، 1422هـ / 2001م.
- بدر، المقرئ: ((التشكيلة الاجتماعية في المجتمع المغربي في الربع الأخير من القرن 19 والربع الأول من القرن 20، مساهمة في دراسة الجذور والامتدادات. وحدة نموذج))، أصل، تصدر 3 مرات في السنة، ع. 18، السنة السادسة، ندوة الجمعية المغربية للبحث التاريخي المتعددة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط من 26-28 أكتوبر 1995، بعنوان التشكيلة الاجتماعية في تاريخ المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 1999.
- جمال، شوالب: ((قراءة في ثلاثية مولود معمري))، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، دورية متخصصة تعنى بالدراسات الإسلامية والإنسانية، ع. 12، رجب 1423هـ / سبتمبر 2002م، دار البحث، قسنطينة، الجزائر، ص. 189.
- حاك، كيلي: ((السفارات والبعثات المغربية إلى فرنسا))، ترجمة عبد الطيف الخطيب، مجلة الأبحاث المغربية الأندلسية، ع. 6، دار كرماديس للطباعة والنشر، تطوان، 1961.

- حنيفي، هلايلي: ((الثورات الشعبية في الجزائر أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش))، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، دورية أكاديمية متخصصة محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية والإنسانية، ع. 20، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع. عين مليلة، ربيع الأول 1427هـ/أفريل 2006.
- يوسف، مناصري: ((تقرير السيد مصطفى الشرشالي عن بعثة الفرنسية إلى الحجاز في سبتمبر 1916))، الثقافة، مجلة تصدرها وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر، ع. 89، السنة 15، ذو الحجة-محرم 1405هـ/سبتمبر-أكتوبر 1985، موفم، الجزائر، 1985.
- ليفي، بروفنصال: ((مؤرخوا الشرفاء))، تعريب عبد القادر الخلاصي، البحث العلمي، ع. 26، السنة 13، رجب-ذو الحجة 1396هـ/جويلية-ديسمبر 1976م، المعهد الجامعي للبحث العلمي، الرباط.
- محمد، غالم: ((الوثائق الفرنسية والمجرة إلى الديار الإسلامية دراسة ونقد))، مجلة الدراسات التاريخية، دورية، ع. 5، السنة الثالثة، 1408هـ/1988م، يصدرها معهد التاريخ بجامعة الجزائر،
- Achevé d'imprimé sur les presses d'I.A.I.G. 1^{er} trimestre 1991.
- محمد البشير الهاشمي، مغلي: ((التكوين الاقتصادي لنظام الوقف الجزائري ودوره المقاوم للاحتلال الفرنسي))، المصادر، سداسية، تاريخية، تصدر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 54. ع. 6، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والتوزيع. الجزائر، محرم 1423هـ/مارس 2002م.
- محمد الأمين بليغيث: ((سياسة التوسع الفرنسي في الجنوب الجزائري من خلال فتوى أهل قورارة))، المصادر، ع. 3، فصلية، المركز الوطني للبحث في الحركة الوطنية وثورة التحرير الجزائرية، الجزائر، 1421هـ/2000م.
- محمد الأمين، اليزاز: ((ظروف النقل البحري والحجر الصحي في أدب الحج المغربي خلال القرن التاسع عشر))، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ع. 25، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط. 1، 1426هـ/2005م.
- محمد الأمين، اليزاز: ((الإصلاحات والمشكل الصحي في مغرب القرن التاسع عشر))، ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن التاسع عشر، أيام: 6-7-8-9 رجب 1404هـ/20-21-22-23 أفريل 1983م، ند. آ. ع. إ، جامعة محمد الخامس، الرباط. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، صفر 1407هـ/أكتوبر 1986م.
- محمد السعيد، قاصري: ((وقع الأمير عبد القادر الجزائري في الكتابات المغربية الحديثة والمعاصرة))، أعمال الندوة العلمية: الأمير عبد القادر وتيارات فكرية غير عربية إسلامية في الجزائر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، منشورات مخر البحث في الدراسات الأدبية والإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر، 1427هـ/2006م.
- ((-----))، ((موقف السلطان المغربي من الداوي حسين عقب الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1830))، منتدى الأستاذ، دورية علمية ثقافية، تصدر عن المدرسة العليا للأساتذة بقسنطينة، ع. 3، أفريل 2007.

- (—————، —————): ((موقع المسجد في المشروع الثقافي الاستعماري 1830-1900))، المعيار، دورية علمية تعنى بالدراسات الإسلامية والاجتماعية، ع. 10، خاص بأعمال الملتقى الوطني الأول حول المشروع الثقافي الاستعماري في الجزائر 1830-1962، وتأثيراته المعاصرة، أيام: 8-9-10 ماي 2005م، تصدرها كلية أصول الدين والشريعة والحضارة الإسلامية، بجامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، دار افجر للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، شعبان 1426هـ / سبتمبر 2005م.
- (—————، —————): ((أبو حامد العربي المشرفي وتراثه المخطوط بالمغرب الأقصى))، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، دورية أكاديمية متخصصة محكمة تعنى بالدراسات الإسلامية والإنسانية، ع. 24، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع. عين مليلة، ذي الحجة 1428هـ / ديسمبر 2007م.
- (—————، —————): ((موقف السلطان المغربي من الادي حسين عقب الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830))، مجلة منتدى الأستاذ، دورية أكاديمية محكمة تصدر عن المدرسة العليا للأساتذة، بقسنطينة، العدد الثالث، ديوان المطبوعات الجامعية، المطبعة الجهوية، قسنطينة، أفريل، 2007، ص-ص، 144-158
- محمد، المهناوي: ((مقاومة المولى عبد الرحمان لفرنسي الجزائر من خلال مخطوط الابتسام عن دولة ابن هشام لأبي العلا إدريس))، مركز البحوث والدراسات العلوية، جامعة مولاي علي الشريف الخريفية، أعمال السدورة الخامسة، ديسمبر 1993.
- محمد، المنوني: ((وثيقة عن المهاجرين التلمسانين بفاس))، دعوة الحق، ع. 2، السنة العاشرة، شهرية، تُعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر، تصدر عن وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، شعبان 1380هـ / ديسمبر 1960م، الرباط. المملكة المغربية.
- محمد أرزقي، فراد: ((المشرق العربي في الشعر القبائلي))، الشروق اليومي، يومية، إخبارية وطنية، ع. 2475، تصدر عن ش. ذ. م. م، مؤسسة الشروق للإعلام والنشر، الجزائر، 9 ذو الحجة 1429هـ / 7 ديسمبر 2008.
- محمد، حسن: ((الريف المغربي في أواخر العصر الوسيط مدخل لدراسته من خلال نوازل المعيار للونشريسي)). أشغال المؤتمر الثالث لتاريخ وحضارة المغرب العربي حول العالم الريفي المغربي، ج. 2، مخبر التاريخ، جامعة وهران، أيام: 26، 27، 28، نوفمبر، 1983.
- محمد، بن تاويت: ((وثيقة تاريخية عن تطوان))، تطوان، مجلة للأبحاث المغربية الأندلسية، ع. 1، مطبعة كرماديس، تطوان، 1956.
- مبارك، زكي: ((المجاهد بوعمامة من خلال بعض المصادر التاريخية المغربية المعاصرة))، المجلة التاريخية المغاربية، العددان، 29-30، السنة 10، مطبعة الإتحاد العام التونسي للشغل، تونس، جولية 1983.
- مصطفى، اليزيد: ((أثر الهجرة في النمو السكاني بمدينة وجدة خلال القرن العشرين))، كنانيش، مجلة متخصصة في الديمغرافيا التاريخية، سنوية، ع. 2، السنة الثانية، ط. 1، منشورات: ك. أ. ع. إ، رقم 38، جامعة محمد الأول بوجدة، Edition Universel، الرباط، 2000.

- عمار، هلال: ((العلماء الجزائريون في فاس))، الدراسات التاريخية، ع. 9، د، م، ج. الجزائر، 1415هـ / 1995م.
- عبد السلام، ابن سودة: ((بيوتات مدينة فاس قديما وحديثا))، البحث العلمي، تاريخية ثقافية، تصدر عن المركز الجامعي للبحث العلمي، ع. 22، السنة 11، مطابع المغرب الكبير، المغرب، محرم - ربيع الثاني. 1394هـ / يناير - أبريل 1974م.
- عبد السلام، بن سودة: ((بيوتات مدينة فاس قديما وحديثا))، البحث العلمي، تاريخية ثقافية، تصدر عن المعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط. ع. 25، السنة 13، مطبعة فضالة، المغرب، محرم - جمادى الثانية 1396هـ / يناير - يونيو 1976م.
- علال، الخديمي: ((محمد بن الأعرج ومولفاته))، أعمال الملتقى المغاربي الأول، المصادر والمراجع العربية لتاريخ الجزائر 1830-1962، المنعقد بالجزائر يومي 28-29 ديسمبر 1992، المعهد التاريخي، جامعة الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- عبد الحميد، إسماعيلي: ((علماء المهجر بمدينة وجدة في القرن 19))، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن 19، أيام: 9-10-11 ديسمبر 1993، جامعة محمد الأول، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة، رقم 8، سلسلة ندوات ومناظرات، 1994.
- عبد العزيز التمسamani، خلوق: ((العمل الوطني بشمال المغرب من خلال الوثائق الدبلوماسية الفرنسية))، سلسلة ندوات، (محمد داود: الحركة الوطنية في الشمال والمسألة الثقافية)، أيام، 24-25-26 نوفمبر 1989، منشورات اتحاد كتاب المغرب، ط. 1، بمساهمة المجلس البلدي لبلدية تطوان، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط. 1990.
- العربي، واحي: ((مجلة السلام والمشروع الإصلاحية للحركة الوطنية في المنطقة الخليفية))، ندوة علمية حول موضوع المنطقة الشمالية والكفاح الوطني 1909-1956، تطوان أيام: 5-6-7 شعبان 1417هـ / 16-17-18 ديسمبر 1996م، بجامعة عبد الملك السعدي، لك، آ، ع. إ، تطوان، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط. 1998.
- عبد القادر، خليفي: ((استمرارية مقاومة الشيخ بوعمامة من المغرب الأقصى))، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، دورية تعنى بالدراسات الإسلامية والإنسانية، ع. 15، ذو الحجة 1424هـ / فيفري 2004، دار الهدى للطباعة والنشر، عين مليلة، الجزائر.
- عبد القادر، خليفي: ((موقف السلطات المغربية من حركة الشيخ بوعمامة))، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، دورية تعنى بالدراسات الإسلامية والإنسانية، ع. 12، رجب 1423هـ / سبتمبر 2002م، دار البحث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر.

- عبد الرحمان، حجيرة: ((شرق المغرب ودعمه الدائم للمقاومة الجزائرية))، المقاومة وجيش التحرير، إعلامية ثقافية، ع. 19، تصدر عن المندوبية السامية لقدماء المقاومة وأعضاء جيش التحرير، مطبعة الرباط، سلا، جمادى الأولى 1409هـ / ديسمبر 1988.
- عثمان، بناني: ((عبد المالك الجزائري من خلال محفوظات فانسين))، سلسلة ندوات ومناظرات: وثائق عهد الحماية رصيد أولي، تنسيق إبراهيم بوطالب، منشورات: ك. آ. ع. إ، جامعة محمد الخامس بالرباط، ط. 1، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1996.
- رابع، كنتور: ((أوقاف البليدة والسياسة الفرنسية في المصادرة والاستيلاء على الملكية))، حولىة المؤرخ. تاريخية، تصدر عن اتحاد المؤرخين الجزائريين، ع. 6، دار الكرامة للطباعة والنشر، الجزائر، جويلية 2005.
- شارل روبير، آجرون: ((تنمية الاستيطان في الجزائر 1870-1900))، ترجمة محمد الطاهر العمودي، المصادر، فصلية، تعنى بشؤون المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 54، تصدر عن المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 54، ع. 2، الجزائر، 1420هـ / 1999م.
- غالي، الغربي: ((ثورة ابن الشريف الدرقاوي في الغرب الجزائري إبان القرن التاسع عشر))، الدراسات التاريخية، دورية، تاريخية، ع. 10، يصدرها معهد التاريخ، بجامعة الجزائر، 1417هـ / 1997م.

4. الرسائل الجامعية:

- أحمد، العماري: مشكلة الحدود الشرقية بين المغرب والجزائر واستغلالها في المخطط الفرنسي للسيطرة على المغرب (1830-1912) من خلال رحلة علي السوسي منتهى النقول، مساهمة في محاولة إبراز أهم المؤثرات التي تحكمت في توجيه تاريخ المغرب خلال مواجهة التغلغل الإمبريالي في القرنين 19 و 20، د. د. ع. ك. آ. ع. إ، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1981-1982، تحت إشراف، د/ محمد زنيير، رسالة مرقونة.
- أبو حامد العربي، المشرفي: أقوال المطاعين في الطعن والطواعين للعربي المشرفي، تحقيق ودراسة الحسين الفرقان. د. د. ع. دكتوراه، مرقونة، ك. آ. ع. إ، شعبة لتاريخ، جامعة محمد الخامس، أكادال، تحت إشراف الدكتور محمد الأمين البزاز، الرباط. 2003-2004.
- المكي، حلول: مسألة الحدود المغربية الجزائرية من 631-1263هـ / 1234-1847م وأثرها على العلاقات بين البلدين، د. د. ع. معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1413هـ / 1993م، إشراف، د. مولاي بلحميسي. رسالة مرقونة.
- محمد بن محمد بن مصطفى، المشرفي: الخلل البهية في ملوك الدولة العلوية وعد بعض مفاخرها الغير المتناهية. دراسة وتحقيق بوهليلة إدريس، د. د. ع. دكتوراه، ج. 1، إشراف إبراهيم حركات، جامعة محمد الخامس، ك. آ. ع. إ، شعبة التاريخ، الرباط. السنة الجامعية 1992-1993.
- الزهراء ، نظام: العلاقات المغربية الجزائرية مقارنة سياسية ثقافية خلال القرن 10هـ / 16م، ج. 2. أطروحة لنيل دكتوراه الدولة، إشراف حركات إبراهيم، ك. آ. ع. إ، شعبة التاريخ، جامعة محمد الخامس. 1424هـ / 2003م، رسالة مرقونة.
- بن يوسف، التلمساني: الطريقة التجانية وموقفها من الحكم المركزي بالجزائر (الحكم العثماني، الأمير عبد القادر، الإدارة الاستعمارية)، د، د، ع، ماجستير؟ رسالة مرقونة، إشراف سعيدوني ناصر الدين، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1997-1998.
- محمد، الخداري: دور الزوايا والطرق الصوفية في العلاقات بين المغرب وولاية الجزائر، حالة الزاوية الدرقاوية من 1786-1823، د، د، ع. أطروحة دكتوراه، إشراف عبد الرحمان المودن، شعبة التاريخ، ك. آ. ع. إ، جامعة محمد الخامس، السنة الجامعية 2004-2005، مرقونة.
- محمد العربي، معريش: المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول 1873-1894، د. د. ع. ماجستير. معهد التاريخ، جامعة الجزائر، تحت إشراف الدكتور أبو القاسم سعد الله، 5 ربيع الثاني 1406هـ / 17 ديسمبر 1985.
- محمد غسان، عبيد: تاريخ دمشق 1137-1170هـ / 1724-1756م، دراسة اجتماعية فكرية عمرانية من خلال وثائق المحاكم الشرعية، د. د. ع. دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف الأستاذ الدكتور

- محمود علي عامر، قسم التاريخ، ك. آ. ع. إ، جامعة دمشق، السنة الجامعية 2003-2004، رسالة مرقونة
توجد بدار الوثائق السورية بدمشق.
- إكلا، آسية: عمدة الراوين في تاريخ تطاوين للفقير أحمد الرهوني (1871-1953)، دراسة وتحقيق، د، د.
ع. شبة التاريخ، جامعة محمد الخامس، إشراف التسماني عبد العزيز خلوف، الرباط. ك. آ. ع. إ، 1998-
1999.
- إبراهيم، لونيبي: القضايا الوطنية في جريدة المبشر 1847-1870، د. د. ع. إشراف الدكتور أبو القاسم
سعد الله، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1993-1994. رسالة مرقونة.
- إبراهيم، ياسين: موقف الدولة المغربية من الاحتلال الفرنسي للجزائر 1830-1847، د. د. ع. إشراف
أحمد بوطالب، ك. آ. ع. إ، جامعة محمد الخامس، الرباط. المغرب، 1407هـ / 1987.
- محمد السعيد، قاصري: العلاقات الجزائرية المغربية 1830-1847 (الغرب الجزائري والمغرب الشرقي
نموذجاً)، د. د. ع. ماجستير، مرقونة، نوقشت يوم 21 مارس 2001، في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم
الإسلامية، تحت إشراف: الدكتور حميد عميراي.
- عبد العزيز، لعميد: الشيخ طاهر الجزائري ودوره الإصلاحي في المشرق العربي، د، د، ع. ماجستير، ك. آ.
ع. إ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسم التاريخ، تحت إشراف عبد اللطيف صوفي، مرقونة، نوقشت
في 9 ديسمبر 2001.
- محمد، أمطاط: الجزائريون في المغرب ما بين سنتي 1830-1962، د. د. ع. دكتوراه، تحت إشراف
الدكتور محمد كنيبي، ك. آ. ع. إ، جامعة محمد الخامس أكادال-الرباط. السنة الجامعية 2004-2005.
- غربي، الغالي: الثورات الشعبية في الجزائر أثناء العهد التركي 1792-1830، د. د. ع. رسالة ماجستير،
مرقونة، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 1985.

5. الموسوعات والمعاجم والقواميس:

- أبو عمران الشيخ، وآخرون: معجم مشاهير المغاربة، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1995.
- كرم البستاني، وآخرون: المنجد في اللغة والأعلام، ط. 31، منشورات دار المشرق، بيروت، لبنان، 1991م.
- عادل، نويهض: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ط. 2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، لبنان، 1400هـ / 1980م.
- عبد العزيز، بن عبد الله: الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية، معلمة المدن والقبائل، ملحق رقم 2، مطبوعات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، 1397هـ / 1997م.
- معلمة المغرب: الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا، الرباط، 1413-1992. وللعلم أن هذه المعلمة كانت تصدر بين الحين والآخر ولا زالت. ولذلك فتاريخ طبعها مختلف من عدد لآخر.
- خير الدين، الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط. 5، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1980.

6. المقابلات الشخصية:

- بديعة الحسني، الجزائري: رواية شفوية حول مقاومة الأمير عبد المالك في المغرب، الحلقة الأولى، يوم الخميس 10 / 07 / 2008، صباحا، بمنزلها، في دمشق.
- عبد الوهاب بن منصور: الفقيه محمد معمري الزواوي، رواية شفوية، مقر مديرية الوثائق الملكية، الرباط. يوم 10 جويلية 2006، من الساعة 11 صباحا على منتصف النهار.
- عمر، أفا: عيد القادر الخلافي الجزائري، مقابلة، 11 / 02 / 2005، قاعة الاستقبال، بجامعة محمد الخامس بالرباط.
- المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954: تاريخ الجزائر 1830-1962، قرص مضغوط،

1. 2. المصادر والمراجع باللغة الأجنبية.

1- الوثائق:

-مخطوطات فرنسا بأرشيف ما وراء البحر بمدينة أيكس أون بروفانس:

-Archives de la France d'Outre-Mer, Aix en Provence (A. O. M.):

-G,G,A: lettre de Abdel Malek au Ministre des Affaires étrangères, le 10 novembre 1908, carton 7 H série 22-23.

-Mission de France au Maroc, au G. G. A. Tanger, le 19 mai 1850, 1H 60.

-Léon, Roches au G. G. A., Tanger, le 25 octobre, 1848, 1H 6.

-C, J, de la Moricière: G.G.A, à M. le Consul général de France à Tanger, Alger, le 02 février 1847, 1 H 6.

-G,G,A: lettre du Grand vizir au ministre des affaires intérieures Charles Féraud à Tanger 1880, carton 9 H série 101.

-G,G,A, carton 7H 22, A,O, M.

-Rapport du gouvernement général de l'Algérie au ministre de la Guerre: Fait le 15/01/1848. A.O.M. Carton E12.

-Rapport du Consulat général de France à Tanger au ministère des affaires étrangères. Fait le 19/05/1850. A.O.M. Carton E12.

-Rapport de l'Armée d'Afrique, division d'Oran au Gouvernement général de l'Algérie. Fait le 14/08/1864. G.G.A. A.O.M. Carton 9H 98.

-G.G.A: A.O.M: Carton 9H 99.

-Rapport de la légation de République Fédérale au Maroc. Fait le 20/09/1884, G.G.A. A.O.M. Carton E12.

-Rapport de l'Armée d'Afrique, division d'Oran au Gouvernement général de l'Algérie. Fait le 14/08/1864. G.G.A. A.O.M. Carton 9H 98

-Rapport de Gouverneur général Joule Cambon, G.G.A, A.O.M, Carton 9H 98.

-Rapport mensuel, service des communes mixtes de Télage, G.G.A, A.O.M, Carton 9H 99.

- G.G.A, A.O.M, Carton 9H 98.

-Gouvernement général de L'Algérie au général de la division d'Oran, G.G.A, A.O.M, Carton 9H 99.

-Le général Boitard, Commandant la Division d'Oran à Monsieur le Gouverneur général de l'Algérie à Alger. G.G.A. Division d'Oran, Cabinet Affaires Indigènes, A.O.M. carton H 99. H101

-Bel Abbès, le 23 Décembre 1896. Hamani si Himan Ben Hemane à Monsieur le Sous-préfet de Sidi Bel Abbès. G.G.A. A.O.M., Carton H99-H101.

-Le Sous-Préfet de l'arrondissement de Sidi-Bel-Abbès à Monsieur le Préfet du département d'Oran. Sidi-Bel-Abbès, le 8 janvier 1897, G.G.A. A.O.M., carton H99-H101.

-Le Préfet d'Alger à Monsieur le gouverneur général de l'Algérie. (Affaires indigènes), Alger le 4 février 1899, G.G.A. A.O.M., Carton H99-H101.

-Le Préfet du département d'Oran à Monsieur le gouverneur général de l'Algérie. (Service des Affaires Indigènes), Oran le 11 juin 1900, G.G.A. A.O.M., carton H99-H101.

-مركز الأرشيف الوطني بالرباط:

-Dossier du grand vizir, El-Hajd Mohamed El-Mokkri.

2-المصادر:

-Govion, Marthe et Edmond: **Kitab Aàyane El-Maghariba**, Alger; IMPRIMERIE ORIENTALE FONTAINE. FONTANA FRERES, 3RUE PELISSIER 1920.

-(—————, —————): **Kitab Aàyane AL Maghrib l'Akça**, tome 2, Paris, 1937.

-Rachid, Bourouiba: **Ibn Tumart**, deuxième Edition. Société Nationale d'Édition et de Diffusion, Alger, 1982.

-Govion, Marthe et Edmond: **kitab Aàyane Al Maghrib l'Akaça**, tome 2, Paris, 1937.

-Mouloud, Gaïd; **L'Algérie sous les Turcs**, 2^{ème} Edition, Edition Mimouni Hichem, Boumerdès, Alger, 1991.

-MAURICE, Constantin-Wyer, **la vie du général Yussuf**, 4^{ème} édition, Gallimard, Paris, 1930.

-Michaux-Bellaire, Edouard: **les musulmans d'Algérie au Maroc**; Archives Marocaines, Volume XI, année 1907, PUBLICATION de la MISSION SCIENTIFIQUE DU MAROC, Paris, KRAUS REPRINT Nendeln/ Liechtenstein, 1974.

-Kamel, Kateb: **EUROPEENS, «INDIGENES» ET JUIFS EN ALGERIE (1830-1962)**. Préface de Benjamin STORA, Représentations et réalités des populations, EDITIONS L'INSTITUT NATIONAL D'ETUDES DEMOGRAPHIQUES, 2001. (CAHIER N° 145.)

- Ph. De Cossé Brissac: **la France et le Maroc pendant la conquête de l'Algérie**, Hespéris, tome XIII, 1931.
- Hamet, Ismaïl: **Le gouvernement Marocain et la conquête d'Alger**, présente, Ali Tablit, Thala éditions, les éditions Chihab, Alger, 1998.
- Aly, El Hammamy: **Idris**, entreprise nationale du livre, 2^{ème} édition, Alger, 1988.
- Paul, Decroux: **Les Algériens Musulmans Au Maroc, condition juridique et sociale**, Extrait Du Recueil de Législation et de Jurisprudence Marocaines, Boulogne-Sur-Seine, 1938.
- Abdallah, Laroui: **Les origines sociales et culturelles du nationalisme marocain (1830-1912)**, centre culturel arabe, Casablanca, Maroc, 1993.
- KATAN, Yvette: **Oujda, une ville frontière du Maroc (1907-1956), Musulmans, Juifs, et Chrétiens en milieu colonial**, Editions L'Harmattan, Paris, 1990.
- Julien, Charles André: **Histoire de l'Algérie contemporaine, conquête et colonisation**, tome 1, Presse universitaire de France, 108, Boulevard Saint Germain Paris, 1964.
- Louis, Voinot: **Oujda et L'Amalat**, Imprim, L, Fouque, Oran, 1912.
- Centre d'études Arabes: **le Maroc sous domination coloniale 1912-1945**, Ambassade de France, Rabat, sans date.

3-الدوريات:

- Louis, Massinone: **les Musulmans Algériens au Maroc et en Syrie**, **Revue Du Monde Musulman**, février 1910, N°,
- Ougest, Cour: (L'occupation Marocaine de Tlemcen, septembre 1830-janvier 1836) **R.A** , N° 52, année 1908. O.P.U. Alger.
- Louis, Voinot: **La situation sur la frontière Algéro-marocaine du Tell lors de l'insurrection des Ouled Sidi Cheikh dans le Sud Oranais (1864-1870)**, **R. A**, N° 60, année 1919, O. P. U. Alger, 1986.
- Louis, Voinot: **Les actes d'hostilité des émigrés et des marocains surtout les Béni Snassen et les opérations effectuées par les Français, notamment en 1856**, **R.A**, N°58..Année 1914, O.P.U, Alger, 1986.
- AKHBAR, journal de l'Algérie**, N° 655, 7^{ème} année, mardi 25 novembre 1845, 31Delhadj 1261h.
- Djilali, Sari: **DEPOSSESSION ET RESISTANCE A BOUIRA, MAJALLAT ET- TARIKH**, N° 21, Centre National des études historiques, Alger, 1986.
- CH. Féraud, ((les chérifs kabyles de 1804-1809 dans la province de Constantine)), **R.A**, N° 13, 1869.

- Louis, Mougins: les Algériens à Oujda, B,C,A,F, renseignements coloniaux, N° 9, septembre, 1908, rapport du Capitaine Mougins, supplément au bulletin du Comité de l' Afrique Française.
- Ismail, Hamet: Cinq mois au Maroc, **R. A**, N° 44, année 1900, O, P, U, Alger, 1985.
- Jalila, SBAI: Trajectoire d'un homme et d'une idée: Si Kaddour Ben Ghabrit et l'islam de France 1892-1926, **Hespéris-Tamuda**, vol. XXXIX, Fasc. 1 (2001).
- MAMMERI: L'inspection régionale des Arts Indigènes à Marrakech, la terre marocaine, **revue illustrée bimensuelle: Agriculture- commerce- Industrie- tourisme**, N° 32, 1^{er} juin 1929, Imprimerie Réunies Casablanca, Maroc.
- M, MICHEL: Sid Azouaou Mammeri, **Notre Rive**.
- George, Yver: Mémoires de Boudarba, **R. A**, 1^{er} trim. 1913, O.P.U, Alger, 1986.
- Yver, George: (Abdelkader et le Maroc en 1830), **R. A**. N° 60, année 1919, O.P.U, Alger, 1986.
- L. Gognalons: (Proclamation de l'Emir Abd El-Kader, aux habitants du Figuiges en 1836). **R. A**. N° 57, année 1913.
- A, BERBRUGGER: Ouichah El-Kataïb, **R. A**, N° 8, année 1864, O. P. U, Alger, 1985.
- Arnaud: siège D'Aïn- Madi par EL-Hadj Abd EL-kader Ben Mohieddine, **R. A**, N° 8, année 1864, O. P. U, Alger, 1985.
- N. Lacroix: Les groupements indigènes de la commune mixte du Djendel au moment de l'établissement du Sénatus-consulte de 1863, **R. A**, N° 53, Année 1909, O. P. U, Alger, 1986.
- A, BERBRUGGER: EL-Hadj-Moussa ou L'Homme a L'Ane et l'Emir Abd-el-Kader en 1835, **R.A**, N° 1, Années 1856-1857, O. P. U. Alger, 1985.
- L, ARNAUD: Histoire de l'Ouali Sidi Ahmed ETTEDJANI, **R.A**, N° 5, année 1861, O. P. U. Alger, 1985.
- Ch, Brosselard: les inscriptions arabes de Tlemcen, tombeaux des familles EL-Makkari et EL Okbani, **R. A**. N° 5, Année 1861.
- Marcel, Bodin: Notice historique sur les Arabes soumis aux Espagnols pendant leur occupation d'Oran par Si Abdelkader El MECHERFI, **R. A**, N° 65, année 1924. O.P.U, Alger, 1986.

الفهارس

جامعة الأمير عبد القادر
العلوم الإسلامية

- ابن زكون: 3
 -ابن تومرت: 3
 -ابن غانية (حاكم): 3
 -ابن اللحام التلمساني: 6
 -ابن عطية الونشريسي: 9
 -ابن عبودة التلمساني: 166
 -ابن عربي: 85
 -ابن هارون: 12
 -ابن عباد: 13
 -ابن عسكر: 17
 -ابن حاجب: 17-149
 -ابن سوذة: 19-28
 -ابن الأحرش: 19-29-78-80
 -ابن زاغو: 23
 -ابن جلون: 25
 -ابن عودة المزارى: 45-46-136-214
 -ابن عربي (خليفة): 63
 -ابنصور: 96-377
 -ابن ثابت: 148-378
 -ابن منصور: 152
 -ابن زرقة الحمودي: 163
 -أبو الطيب المسيلي: 2
 -أبو يعقوب يوسف (سلطان): 6
 -أبو عنان المريني: 9-10
 -أبو عباد بن مريح اللمطي: 12
 -أبو زكريا السوسي: 12
 -أبو عبد الله الشيخ (سلطان): 12
 -أبو العباس الوطاسي: 12
 -أبو حمو الثالث: 14
 -أبو زيان: 14
 -أبو محمد عبد القادر بن شقرون: 17
 -أبو زيد عبد الرحمان: 18
 -أبو عبد الله محمد العياشي: 19
 -أبو يزيد الوليد بن زيدان: 19
 -أبو القاسم سعد الله: 21-22-30-41-43-75-76-90-91-106-125-188-219-275-291-294-299-304-307-308-309-342-332
 -أبو القاسم عماد الحفناوي: 21
 -أبو القاسم الفيلاي السحلماسي: 373
 -أبو حامد العربي المشرقي: 64-119-121-122-123-126-219-221-223-231-233-268-269-293-325-326-331-332-374-361-339-338-333
 -أبو عثمان سعيد المنداسي: 23-24-26
 -أبو الغالي (ولي): 27
 -أبو بكر بن محي الدين: 226
 -أبو طالب المختار الحشمي: 124
 -أبو عبد الله محمد المجاوي: 113
 -أبو طالب المازوني: 111
 -أبو بكر عبد الوهاب الطنجي الجزائري: 188-274-345
 -أبو بكر الصبيحي: 189
 -أبي الحسن علي المريني: 7
 -أبي مهدي السجستاني: 18
 -أبي عبد الله بن قريش: 26
 -أبي مدين الغوث: 34
 -إبراهيم بن عبد الرحمان: 9
 -إبراهيم بن مصطفى باشا: 50-105
 -أحمد توفيق المدني: 5-40
 -أحمد الونشريسي: 11-83
 -أحمد بن ملوكة التلمساني: 14
 -أحمد العبادي: 16
 -أحمد زبير السلاوي: 311
 -أحمد بن العربي (قائد): 19
 -أحمد المقرى: 20-21

- أحمد الحبيب المهاجي: 138-316-351-
 -أحمد بن التهامي: 139-349-360
 -أحمد بن عبد القادر بن الطيب (فقيه): 139
 -أحمد بن عبّ: 141
 -أحمد الملياني: 145
 -أحمد بن محمد الغريسي: 146
 -أحمد متفكر: 111-359
 -أحمد بن الميلود الشرعي: 171
 -أحمد بن ناصر الشرعي: 171
 -أحمد بناصف: 178
 -أحمد دندان الندرومي: 350
 -أحمد الشطاب الجزائري: 202
 -أحمد ولد الرايس: 204
 -أحمد بركاش: 321
 -أحمد بن موسى (حاجب): 238-247-251-
 252-253-254-257-260-273-347
 -أحمد بن البشير البلعوشي: 179
 -أحمد بن جراح الجزائري: 106-204
 -أسية بنعدادة: 7
 -آرزقي محمد أعراب: 193
 -إدريس بوهليلة: 35-101-102
 -إدريس الخنيزاوي: 198-347
 -إدريس الثاني: 109
 -إدريس بن ثابت: 148
 -إدريس المقرئ: 316
 -أوغسطين بيرنار: 181
 -إيفيات كاتان: 180-181
 -إسماعيل حامد: 175
 -أورديقا: 168
 -البيبر قريفي: 156
 -آندري نوشي: 66
 -أوجين أوبام: 120

- أحمد بن غريبط: 348-370
 -أحمد بن عجيبة: 373
 -أحمد المنصور الذهبي: 20-21
 -أحمد الناصري السلاوي: 22-27-34-46-214
 -أحمد التريكي: 25-26
 -أحمد القسطيني: 26
 -أحمد التجاني: 29-30-31-75-76-221
 -أحمد الرهوني: 35-101-102-103
 -أحمد الحمام: 36
 -أحمد بن محمد إسماعيل: 36
 -أحمد التلمساني: 227-252
 -أحمد باي: 41-48-64
 -أحمد بن عاشور: 50
 -أحمد بوضربة: 50-103-105-106-206-
 207-208-209-288-377
 -أحمد بن يوسف الملياني: 74-195-196
 -أحمد بن عبد الرحمان: 75
 -أحمد البدوي: 78
 -أحمد بن يلس: 78
 -أحمد الخضر العسكري: 79-80
 -أحمد زروق الفاسي: 81
 -أحمد بن موسى الحسن: 82
 -أحمد بن محمد الأوماكي: 90
 -أحمد بلحي: 98-281
 -أحمد بن عمر: 99
 -أحمد الرزيني: 107-158-204-206-281
 -أحمد بن عبد العزيز الفقاي: 107-313
 -أحمد بن جعدون (قاضي): 111
 -أحمد بن القاضي العسكري: 112-121-353
 -أحمد بن منصور: 113-152-153-234-235-
 259-269-270-312
 -أحمد الأزدي (فقيه): 122-324
 -أحمد بوطالب: 124-147-228
 -أحمد بن علي الراشدي: 125
 -أحمد الركينة: 292-314

ب

-بريكوني: 283
 -بدعة الحسيني: 264-289-291-293-294-309
 -بهيحة سيمو: 283
 -بيشون: 303
 -بيرتو: 306
 -بارير: 317
 -بيجو: 54-57-61-92-93-111-129-146-135
 -بيليسييه: 59
 -بول ديكاسي: 318
 -بول دو كرو: 376-379
 -البويصري: 351
 -بينطو: 377
 -بوشته بن البغدادي: 398
 -البشير الإبراهيمي: 368

-البخاري: 18-121-219-324
 -بوغزة التلمساني المهاجي: 34
 -البوجلاي العسكري: 34
 -بونافون (طبيب): 51
 -بوسلهام بن علسي: 106-203-204-205-228-218-217-216-207
 -بوحنان البارودي: 115
 -بوشته ولد بوفلحة: 132
 -البخاري ولد بوفلحة: 132
 -بدر المقرئ: 140-328-339
 -بونرفاس: 157
 -بوعمامة: 78-157-158-159-175-176-177-178-232-261-262-263-265
 -276-286-287-288-291-292-298
 -بوجمعة العمالي: 192-376
 -بومدين بروكش: 229-352
 -بلقاسم بن العربي عشاش: 194-345

ج

-الجلاي الزرهوني (بوحمارة): 169-177-178-263-265-284-285-286-287-288
 -378-298-292-291-290-289
 -الجلاي بن بوغزة: 218
 -جمال الدين الأفغاني: 279-366
 -جان كوستي: 194-345
 -جرمان عياش: 294

جان دارك: 48
 -جمال قنان: 89-90
 -جول كامبون: 93-94-186
 -جعفر الكتاني: 1510
 -جلول بن رورو المستغامي: 142-166
 -جابر بن عبد الله المنصور: 152

د

-دومونبال: 157-160
 -دهيري: 158
 -دواوزلي محمد بن الحسن: 189
 -دي ما رسلي: 247
 -ده كيرديك تشي: 277

-دي بورمون: 40-48-49-104
 -دورفيقو: 50-51-105
 -دي ومفن: 51
 -دلاسي: 57
 -دي ميشال: 105-128

-دو كاستري: 342	-الدلياوي لخصر: 284
-دي كوستي: 345	-دي نيسه: 304
	-دانيال ريفي: 306
-ه-	
-الهاشمي بن الحبيب: 138	-الهاشمي بن بومدين بروخ: 34
-هاشم بن عبد القادر: 144	-الهاشمي بن بومدين بروكش: 240-242-311-
-هنريس: 301-194	360-357
-هاريس: 302-295	-هاشم القسنطيني(فقيه): 35
-هيرمان(جاسوس): 302-298	-الهاشمي بن عقبة: 78
	-الهادي الصقلي: 122-330-331
-و-	
-واربي: 60	-ويسبي: 52
	-ويير: 275
-ز-	
-زواوي معمري: 354	-الزعمشري: 86
-ح-	
-الحارث بن علي: 4	-الحبيب ولد ماحي: 212
-الحسن الأول(سلطان): 153-157-158-159-	-الحبيب بن بروكش: 136
217-218-219-231-232-234-237-	-الحبيب بن مصطفى: 114-137-138-141-
239-240-241-242-248-251-261-	240-342-352
269-277-311-313-316-321-333-	-الحبيب بن الصادق: 114
338-344-350	-الحبيب بن أميان: 79
-الحسن الثاني(سلطان): 233-321-334-370-	-الحبيب المهاجي: 328
-حمدان بن عبد الرحمان: 104	-الحبيب بن منصور: 378
-حسن بن أيوب: 98	-الحاج الجديدي: 210
-حسن تلو: 98	-حومان بن المداني: 186
-الحسن بن علي الشاذلي: 74	-حمزة ولد بوبكر: 154
-حمودة الفقون: 51	-حسن بن عطية: 9
-حسن بن حمدان خوجة: 50-372-	-الحجوي محمد بن الحسن: 7-286-287-291-
-حمدان خوجة: 43-50-54-	292-293
-حفيظ خوجة: 105	-الحسن البسكري: 6
-حسين باشا(داي): 39-40-48-49-104-	-الحسن أبو علي: 6
199-200	-حجاج بن يوسف الهواري: 6

- 315 -حجى المقرى:
 -حمدون بن محمد الأبار: 28
 -حمودة الجزائرى: 283-282-228
 -الحسين بنونة: 238
- ط-
- 195 -الطيب الملباني:
 -الطيب بوعمامة: 292-291-226-178
 -الطيب بن الحاج العربى: 167
 -الطيب بن مصطفى الدحاوى: 163
 -الطيب بن المختار الراشدى: 331-125-124
 -الطيب بن المختار بن البشير: 112
 -الطيب بن زاوية المعسكرى: 350-37
- ك-
- 42 - الشرفى محمد الشرقى:
 - الشرفى المعانى: 42
 - شارل العاشر: 27-10
 - شارل دى مورناى: 44-43
 - شارل دى ديه: 76
- شاطو بريان: 11.
 شانغار يه: 119-118.
 شنيدر (جنرال): 105.
 شوقى عطا الله الجملى: 164.
- ل-
- 216-93-92-77 -ليون روش:
 -لا مورسيير: 93
 -لويس فوانسو: 164-144-143-142-140
 180-177-173
 -لويس آرنو: 292
 -ليون: 307-306-304-303-302-300
 318
- لا بلاص: 326
 -ليفى برونسال: 344
 -لومبارد: 181
 -لويس موجان: 239-164-163-135-35
 379
 -ليو: 52
 -لويس فيليب: 57
 -لا فيجيري: 67
- م-
- 90 -محمد بن وعزاز:
 -محمد بن المصطفى: 98
 -محمد بن إسماعيل: 98
- محمد (ع): 311-160-151-93-91-90
 -محمد بن الشاهد: 90-89
 -محمد بن عبد الكرم: 92-90-89

- محمد بن عصمان: 98
 -محمد بن الفقاي: 99
 -محمد بن الشطاب: 102
 -محمد بنونة: 102
 -محمد بن عبد الله المجاوي: 111
 -محمد بن سعد (قاضى): 111-112-125-324-350
 -محمد بن عبد الكريم المجاوي: 112-150-356
 -محمد بن الخضير: 114-115
 -محمد بن مصطفى المشرقي: 114-271-272
 -محمد بن التهامي الحسيني: 114-138
 -محمد فتحا بن حجي: 114
 -محمد بن عبو المشرقي: 121
 -محمد بن عيسى (ولي): 121
 -محمد السعيد بن محي الدين: 123-146
 -محمد بن عبد الرحمان (سلطان): 126-204-211
 -214-215-222-224-226-227-229
 -231-232-233-239-254-268-282
 -283-321-326-352
 -محمد بن عبد الرحمان القبلاي: 132
 -محمد بن عبد القادر الكردودي: 132
 -محمد بن المختار الغريسي: 140
 -محمد بن عثمان (باي): 141
 -محمد بن غلال: 146
 -محمد بن سودة: 150
 -محمد بن علي بن منصور: 152
 -محمد بن منصور التلمساني: 53
 -محمد بن مصطفى الدحاوي: 163
 -محمد بن إدريس الشرعي: 171
 -محمد بن محمد الشرعي: 171
 -محمد بن عبد اللطيف: 172
 -محمد بن الزيتوني الجزائري: 173
 -محمد بن أحمد بوضرية: 184
 -محمد بن محمد البحاوي: 184
 -محمد بن يلس بن شاوش: 187
 -محمد بن العربي التلمساني: 188
 -محمد بن شنب: 193-332
 -محمد بن غلال: 211
 -محمد بن عيسى المستغاثي: 326
 -محمد بن عبد الوهاب (مصلح): 366
 -محمد بن البشير بن حمان: 378
 -محمد بن عبد الرحمان أشعاش: 106-199-200
 -201-202-203-204-207-325
 -محمد بن إدريس: 206-207-208-210-216
 -محمد بن رحال: 369
 -محمد الصبيحي: 345
 -محمد داود: 312
 -محمد أمطاط: 296-300-306
 -محمد الرزيني: 207-208
 -محمد بن عبد السلام الشرعي: 343-351-359
 -محمد معمري الزواوي: 320-343
 -محمد بن عبد الكريم الخطابي: 307
 -محمد أكنسوس: 213-331
 -محمد الصالح ميسه: 348
 -محمود الثاني: 372
 -محمد الأمين البزاز: 371
 -محمد بن الحسن العسكري: 349
 -محمد بن تاريت: 335-336-338
 -محمد بن الأعرج السلبياني: 273-274-294
 -316-339-341-347-358-363-364
 -365-366-368-369-375
 -محمد الصغير الخلووي: 291
 -محمد الخامس: 265-320-330-370-371
 -محمد المنوي: 339-362
 -محمد بن الهاشمي المقرئ: 350
 -محمد الجياص: 318-359
 -محمد بن غريبط: 317
 -محمد بن هطال: 257-313
 -محمد بن كثر: 5

-محمد السعيد بن محي الدين: 228
 -مصالي الحاج: 278
 -المختار بن محمد المقرئ: 319
 -المختار بن روكش: 361
 -المهدي بن عبد الرحمان التلمساني: 238
 -مصطفى بن عبد القادر الغريسي: 244-242
 -موحا سعيد: 303
 -موربال: 305-304
 -موج أرفاذ: 309

-ن-

-النوي بن عطا الله: 75
 -نيقري: 156

-س-

-سليمان بن عبد الله: 101
 -السعيد المشرفي: 121
 -سليمان الوهراي: 146
 -سليمان بن قدور: 165-157-156-155-154
 233-167
 -سليمان بن الطيب: 155
 -سان جوزيف: 319

-ع-

-عبد الواحد المقرئ: 319
 -عبد الرحمان بوعنلو: 321
 -عبد الرحمان بنسدرة: 258-284
 -عبد العزيز السعود: 280
 -عبد الرحمان الدرقاوي: 307
 -عبد القادر أشعاش: 282
 -عبد الحميد بن باديس: 366-279
 -عبد الحفيظ الجنان: 365
 -عبد الجليل القباج: 370

-المنصور بن يعقوب: 6-18
 -محمد المقرئ التلمساني: 8-255-259-283-314-316-317
 -محمد بن الفتوح التلمساني: 10
 -محمد حجي: 18-20-255
 -المولى الرشيد: 19-22-24
 -محمد بن الشيخ المشرفي: 220
 -الميلود بن يحيى: 221
 -محمد العشاب: 227
 -محمد البركاني: 227

نجاة المريبي: 28
 -نابليون الثالث: 58-59

سليمان بن عبد الرحمان: 6
 -إسماعيل (سلطان): 7-24-25-26-27-30-31-36
 -سليمان القانوني: 16
 -المولى سليمان: 17-19-32-76-260-373
 -سعيد بن إبراهيم الجزائري: 45
 -سلمان بن سعد: 75
 -السنوسي: 86

- عبد السلام الشرعي: 351-358
 -عبد السلام برادة: 275
 -عبد السلام بن سودة: 9-115
 -عبد السلام السعدي: 201-227
 -عبد السلام المقرئ: 34-235-240-248-271-315-393
 -عبد السلام الوزاني: 155-156-167-168-232
 -عبد الحميد بن أبي زهان بنشهور: 343-344

-207-205-201-199-170-154-121
 -222-220-219-218-212-210-209
 -248-241-236-231-228-227-224
 -293-283-282-272-260-255-251
 377-351352-324-321
 -عبد الرحمان بن جعدون: 107-206-207
 -عبد الرحمان بن زيدان: 109-218-225
 -عبد الرحمان المجاحي: 132-149-330
 -عبد الرحمان الأخضرسي: 81
 -عبد الرحمان الطوطي: 79
 -عبد القادر بوطالب: 114-124-146
 -عبد القادر بن روكش: 115-136
 -عبد القادر بن محمد: 227-228
 -عبد القادر بن القندوز: 239
 -عبد القادر بن محمد الراشدي: 325
 -عبد القادر مياصو: 371
 -عبد القادر بن عدة: 82
 -عبد القادر المشرفي: 110-114-120-219-
 220-358
 -عبد القادر بن عبد اللطيف: 191
 -عبد القادر أشعاش: 99-107-205-206-
 208-209
 -علي المشرفي: 264
 -علي (الأمير): 297-298
 -عبد القادر الخلافي: 179-321-329-344
 -عبد القادر خليفي: 175
 -عبد القادر الحشمي: 170-219
 -عبد الله المشرفي: 122
 -عبد الله المجاهري: 221
 -عبد الله بن عبّ: 141
 -عبد الله الشريف الحوتي: 151
 -عبد الله الجاوي: 125-146

-عبد المؤمن بن علي الكومي: 3-4-5
 -عبد الله بن حمد: 10
 -عبد الله العنابي: 10
 -عبد الله الغالب: 15-16-17
 -عبد القادر الفاسي: 19-124
 -عبد الكريم بوعلو: 28
 -عبد القادر بن الشريف الدرقاوي: 32-33-79-80
 -عبد القادر الجزائري: 46-63-64-85-86-89-
 92-93-96-97-105-109-113-114-
 119-120-121-122-123-124-125-
 126-127-128-130-135-143-146-
 147-154-190-210-212-214-216-
 217-219-221-222-223-224-225-
 226-228-275-287-293-295-306-
 324-334-356-377
 -عبد الكريم الخطابي: 197-297-301-302-
 308-309
 -عبد الكريم بن الطالب: 96-278
 -عبد الكريم الشرقي: 113
 -عبد الكريم الفقون: 81
 -عبد الوهاب بن منصور: 261-286-287-288-
 321-329
 -عبد الكبير بن هاشم الكتاني: 183
 -عبد الرحمان بنغريظ: 189
 -عبد الرحمان الكرومي: 224
 -عبد الرحمان المنجري: 27
 -عبد الرحمان الثعالبي: 8-35
 -عبد الرحمان المجدوب: 342
 -عبد الرحمان بن عبد الصادق: 256-291
 -عبد الرحمان بن منصور: 259
 -عبد الرحمان الطريس: 260
 -عبد الرحمان بريكش: 245
 -عبد الرحمان بن هشام: 46-97-102-105-
 106-107-109-110-111-115-120-

-عمار هلال: 33-333-367
 -العربي الدرقاوي: 34-79
 -علال الخديمي: 368
 -العربي بن الحبيب: 352-353-357-358-367
 -علال العبيدي: 191-247
 -علي معمري: 192
 -عباس بن كيران: 223
 -علال بن غراسن: 229
 -علي بن عبو: 239
 -عمر بومدين التلمساني: 260
 -العربي الوزاني: 215
 -علي الحمامي: 196-197-277-278-279
 -علي بن الحفاف: 87-88-89
 -علي التسولي: 85-86
 -علال الشامي: 219-221-227
 -علي بن حرزهم: 111-112-132-358
 -علي الحجام: 205
 -عمر بوزيان: 133-228
 -العربي الحبيب: 137-139-326
 -علال بن الطيب: 178-285

-فاطمة بنت حمادي التلمساني: 115
 -فريجة بن خاطر: 125
 -فدول الفرنيط: 195
 -فورني: 285

-صالح بن محمد السرجي: 284

-عبد الله السقاط: 85-119-120-121-122
 -123-124-147-219-220-221-225
 -324-330-357-358-378
 -عبد العزيز (قاضي): 110-111-356
 -عبد العزيز (سلطان): 168-176-220-237
 -238-247-248-249-251-252-255
 -256-257-258-259-260-262-264
 -272-288-290-291-292-293-298
 -311-316-317
 -عبد الحفيظ (سلطان): 177-264-285-292
 -293-294-298-314-317-318-319
 -326-359
 -عبد المالك الجزائري: 190-197-264-266
 -265-277-278-286-287-288-289
 -290-291-292-293-294-295-296
 -297-299-300-301-302-303-304
 -305-306-307-308-309-310-311
 -عثمان بناني: 307
 -عكاشة برحاب: 288-292
 -عادل نوبهض: 307
 -عمر بن عثمان بن عطية: 10
 -عروج: 13-14
 -علي بن الحاج عيسى: 31

-فيلهم شيمير: 44
 -فوري: 52
 -فورجرو: 56
 -فونلاند: 56
 -فاطمة بنت عبد الرحمان: 113

-صالح العنتري: 66
 -صالح التلمساني: 177

-قويدر بن أحمد الجزائري: 106
 -قدور الشريف الزهار: 112
 -قدور ولد بوفلحة: 132
 -قدور بن حمزة: 154-155-176
 -قطاع حاج بن محمد: 184
 -قدور بن غريظ: 189-193-247-314-316-346
 -قدور الجبجلي: 203

-قيديريت محمد بن يوسف: 189
 -قداورة محمود: 189
 -قدور الورطاسي: 7-324
 -قوفيون: 181-152-318
 -القاسم بن يحيى: 75
 -قدور بوزياني: 83
 -قدور بن رويلة:
 87-88-89-90-105

-ر-

-الريسوني أحمد: 285-302
 -رينيه باصيه: 333

-راشد بن محمد المغربي: 7
 -روحي لوتورنو: 110-133-218
 -رينيه تيلاندي: 195

-ش-

-الشريف حسين: 315
 -شعيب الدكالي: 359
 -الهاشمي بن بومدين بروكش: 17.
 -هست (قنصل): 22.

-الشريف بن عبد الكريم الكتاني: 8
 -شارل أندري جوليان: 13
 -شارف بن عبد الله تكوك: 33-61
 -شانزي: 155

-ت-

-التهامي الوزاني: 335 الهاشمي بن بومدين

-تريزيل: 63

-ث-

-ثيودور فيبير: 275

-ثابت بن منديل: 7

-خ-

-خالد الأمير: 197-278-309
 -خليل بن صالح: 330 قيديريت محمد بن يوسف: 189

-خليل بن اسحاق المالكي: 10
 -خير الدين بربوس: 13

-غ-

-الغوثي بن غريظ: 189
 -الغوثي بن محمد بن باص: 361

-غابريال أسكر: 43
 -غاسول بن مطرف: 114

-الأماكن والمدن-

- أ -

- الألراس: 60
 -إيسلي: 362
 -آزمير: 274
 -ألمانيا: 302-301-296-295-275
 -إيطاليا: 317
 -الأبيض سيدي الشيخ: 153
 -الأغواط: 172
 -أرفود: 177
 -أبركان: 195
 -أحفير: 195
 -ايتاون: 231
 -الأطلسي (المحيط): 298
- اسطانبول: 318-298-295-287
 -أميلية: 313-303-300-286-249
 -الأندلس: 34-28-17-15-8-7-6-5-4-2
 340-83
 -إفريقيا: 340-315
 -إشبيلية: 10-6
 -أسفي: 376-359-192-7
 -اسبانيا: 307-299-296-295-294-13
 338-308
 -أبي القرون (حومة): 10
 -آفا: 17
 -آسيا الصغرى: 48
 -أناضوليا: 48

- ب -

- بجاية: 4-5-6-13-67-68-81-91-184
 234
 -بونة: 4
 -البرتغال: 13
 -البليدة (حومة): 133-75-31
 -البليدة (مدينة): 170-150-147-88-82-33
 234-191-189
 -بوقيرات: 33
 -بانة: 70-96
 -بوسعادة: 96
 -بوسمعون: 169-75
 -بوبريج: 79-78
 -البرواقية: 82
 -البيض: 192-172-169-155
 -بوجمانة: 157
 -بوشاون: 167
- بني عدس (درب): 328
 -بني رنيف: 176-175
 -بودنيب: 177
 -بني بوزكو: 178
 -بوتلاعة (دار): 226
 -بسكرة: 234
 -بني مطير: 285
 -بني ورياغل: 300
 -بني توزين: 301
 -بني زروال: 307
 -باريس: 338-317-315-314-309
 -بلحيككا: 318
 -بيروت: 319
 -باب الفتوح: 328
 -البحر المتوسط: 124

ج

-233-229-227-222-220-219-217
 -276-275-272-261-249-247-234
 -314-310-289-292-283-281-279
 -337-336-333-331-329-321-320
 -372-368-362-359-350-340-338
 378-373
 -الجزيرة العربية: 32
 -جزر المار كيز: 52
 -جبل طارق: 97-105-247-322-334
 377-338
 -جسر الماهون: 219
 -الجديدة: 276-370
 -الجزيرة الخضراء: 292-317-335

الجزائر: 2-4-713-14-21-23-28-29-30
 -43-42-41-40-39-37-36-35-33-32
 -57-56-54-53-52-50-49-48-46-45
 -76-75-74-71-70-66-65-63-62-58
 -89-88-87-84-82-81-80-79-78-77
 -104-103-101-98-97-96-94-93-90
 -116-113-112-111-110-109-105
 -136-135-131-127-125-122-121
 -150-148-147-146-145-144-142
 -161-159-158-157-156-155-154
 -182-181-178-176-175-172-170
 -199-194-193-191-187-186-185
 -214-213-204-203-202-201-200

د

-دمشق: 146-147-187-275-286-290
 295-292
 -دبدو: 164-298
 -دلدول: 176-261
 -دار عدليل(فاس): 236
 -الدار البيضاء: 173-247-260-299-312
 370-367-361-332-319

-درعة: 7-10-19
 -الدولة العثمانية: 13-277-283-295-296
 301
 -الدولة العلوية: 18-19-21-272-330-239
 -دكالة: 28-247
 -دادس: 81
 -الدنان(حي): 145

هـ

-الهيرة: 169
 -الخصاب العليا: 69

و

-164-163-155-146-145-144-143
 -179-176-175-170-167-166-165
 -229-219-194-191-182-181-180
 -243-242-241-240-239-238-231
 -260-259-258-257-256-255-244
 -325-311-292-286-273-263-262
 -350-349-345-339-328-327-326

-وهران: 3-13-14-15-18-20-31-33
 -78-76-74-62-54-45-42-41-40-34
 -119-109-103-97-96-94-93-91-83
 -158-147-145-141-136-130-127
 329-234-185-182-181-172-169
 -وحدة: 22-25-32-34-36-37-42-135
 -142-141-140-139-138-137-136

-وادي مكاس: 213	-369-368-367-361-353-352-351
-ورزانة: 306	379-378-377-376
	-وادي سوف: 76
-ز-	
-زكورة: 196-178-177	-الزيتونة: 93
-زموري: 219	-الأزهر الشريف: 85
-زوزفانة: 261	-الزوا: 157
-الزباب: 234	-زرهون/الزراهنة: 289-259-255-231-168
-ح-	
-الحوز: 358-338-254-247	-الحجاز: 42
	-الحرار: 157
-ط-	
-233-232-228-227-226-218-217	-الطائف: 93
-292-285-280-277-276-275-238	-طنجة: 146-145-135-124-112-106
-319-314-306-305-299-296-294	-187-171-170-168-161-157-150
356-347-344-334-333-329-324	-216-214-207-192-190-189-188
-ك-	
-كربانة: 200 الشريف محمد الشرقي: 42.	-كولونيا: 5
	-الكسل: 157
-ل-	
	-لمتونة: 7
	-اللورين: 60
-م-	
-214-213-209-197-195-194-193	-المغرب: 14-13-10-9-8-7-6-5-3-2
-229-228-226-225-219-218-217	-27-26-25-24-23-22-21-17-16-15
-261-258-249-248-247-237-233	-62-61-54-46-42-39-37-35-31-28
-273-269-268-266-265-264-263	-81-80-79-78-77-76-7374-71-64
-284-283-281-278-277-276-275	-113-110-100-94-93-91-90-82
-295-294-293-289-288-287-286	-130-129-128-124-123-120-119
-310-309-304-302-301-298-296	-150-149-146-145-133-132-131
-330-324-322-320-317-314-311	-161-159-158-156-155-154-152
-347-344-342-340-339-333-331	-179-178-175-171-167-164-163
	-192-190-189-188-185-183-180

-مينورقة(جزيرة): 48
 -مارسيليا: 377-319-105-104-50-49
 -المشرق العربي: 298-264-146-93-71-54-344-316
 -المقطع: 63
 -المغرب الشرقي: 204-181-135-131-124-226-205
 -مونبيليه: 319
 -مدريد: 318-301-295
 -مارتيل(ميناء): 322-281
 -المسيلة: 334
 -مصر: 338-318-201
 -مسون: 290-289
 -مكة المكرمة: 105-104-94-93-86-56
 -المدينة المنورة: 105-104-86-56
 -المدية: 182-154-131
 -مسيد: 140
 -مغنية: 158-154-145
 -مزغنة: 151
 -المنقب: 155
 -متليلي: 157
 -المكرار الفوقاني: 261-167-165
 -موغادور: 292-226-185
 -مرغان: 192
 -مكاس: 210
 -المازريه: 213
 -مجاهة: 332

-الناطور: 195
 -النواصر: 196 نجاة المربني: 28

-363-362-357-356-351-350-348
 379-377-376-368-367-364
 -المشرق العربي: 91-87-85-81-78-2
 -المغرب الأوسط: 119-46-24-22-16-2-340
 -مراكش: 20-17-16-15-7-6-5-4-3
 -171-170-169-156-163-131-80
 -211-195-192
 -مكناس: 80-27-20-17-15-10-9-7-4
 -194-168-167-163-158-157-156
 367-326-324-232-219-195
 -المرسی الكبير: 13
 -المغرب العربي: 279-91-83-13
 -مليانة: 234-145-54-17
 -معسكر: 90-80-54-45-37-34-31-18-101-102-109-110-114-118-119
 -137-136-129-125-124-121-120
 -147-144-143-141-140-139-138
 -217-169-166-164-163-13-156
 353-243-242-271-234-227-218
 -مدغرة: 81-78-22
 -مستغانم: 133-109-103-80-76-36-33-271-236-234-219
 -المشرية: 186-172-112-35
 -متيجة: 104-35
 -مالطا: 334-39
 -موزاية: 41
 -المدية: 234-103-74-71-54-41
 -ماهون(ميناء): 105-48

-ندرومة: 181-22-3
 -نابولي: 48-40
 -النعامة: 144

- ن -

س

-سوريا: 124-125-147-187-226-227-233
 -سعيدة: 94 144 172 192
 -سبدي جابر: 144
 -الساقية الحمراء: 144
 -سبدو: 145-163-164
 -سعادة: 157
 -السايس: 157-159-219
 -سيدي حاجب: 157-219
 -سويد: 169
 -سوق الخد: 212-301
 -سوق الأربعاء: 218
 -سان بترامبورغ: 314
 -سويسرا: 318

-السوس: 3-15-238-247-334
 -سيتة: 3
 -سطيف: 4 69 70 146
 -سلا: 5-6-7-10-27-29-189-194
 -347-346-345-274
 -سفاقص: 5
 -سيدي قاسم: 8
 -سحلماسة: 17-22
 -الإسكندرية: 41-49-50-51-197-203
 -334-228-205-204
 -سان مارعريت: 49
 -سيدي بلعباس: 79 94 185
 -سيو(واد): 84-131-157-159-160-168
 -170-195-196-210-211-212-213
 226

ع

-عين زوردة: 124
 -عين القلب: 124
 -عين الصفراء: 144-163-169-172-1192
 -عين بني مظهر: 155-165-167-178
 -عين بن خليل: 156
 -العيون: 156
 -العريشة: 172
 -عيون سيدي ملوك: 178
 -العقالات: 261
 -عين الشعير: 262

-عين غبولة: 5
 -عين البركة: 5
 -عناية: 15 20 35 70 82 91 105
 -العرائش: 21
 -عين الخوت: 29-142-143-151-152
 171-233-256
 -عين ماضي: 29-32-75-76
 -عين تموشنت: 61-82-155
 -العنمة: 70
 -عين تاغروت: 70
 -عين الدفلة: 81

ف

-110-111-112-113-115-117-119
 -120-121-122-123-124-126-127
 -128-132-133-143-145-146-147
 -149-150-152-153-154-155-156

-فاس: 2-3-4-6-7-8-9-10-11-12-14
 -15-16-17-18-19-20-21-22-23-25
 -26-27-28-29-30-31-32-33-34-35
 -37-42-75-76-79-85-97-101-109

-278-277-276-275-271-247-225
 -297-296-295-294-293-292-280
 -317-308-307-306-301-300-299
 324
 -فتارة: 5
 -فيلبيل: 67
 -فرحيوة: 96
 -فشتالة: 19-23
 -فقيق: 79-82-131-154-172-175-176
 192-195-238-261-262-276-286
 -فليتة: 144-152-156-
 -الفورات: 145-171
 -فيشي: 295-317

-182-171-170-166-159-158-157
 -195-190-189-186-185-184-183
 -219-214-213-212-211-210-196
 -232-231-229-226-224-223-220
 -239-238-237-236-235-234-233
 -260-255-254-253-250-249-247
 -274-273-271-270-296-265-264
 -299-298-293-292-284-277-275
 -316-315-312-310-306-304-302
 -334-330-328-325-324-319-318
 -356-353-352-347-342-338-335
 379-378-377-369-359-357
 -فرنسا: 58-81-104-110-120-123-
 -197-191-185-181-156-152-147

-ص-

-الصويرة: 191-1954
 -صفصنة: 258 صالح العنتري: 66

-الصحراء: 229-233
 -الأصنام: 51-52
 -الصخيرات: 160
 -صفرو: 171-196

-ق-

-القناسة: 143-164
 -القصر الكبير: 170-171-188-191-217-
 227-231-292-326
 -قولين: 176
 -القعدة الحمراء: 212-221
 -القلية: 212
 -القيروان: 234
 -القاهرة: 278-354
 -القسططينية: 283

-قسنطينة: 4-15-20-35-41-48-51-54-
 64-65-66-68-69-70-75-76-77-234
 -قلعة بني حماد: 4-5-81-82-103-147-150-
 -قفصة: 6
 -القرويين: 10-11-12-15-20-34-112-
 125-132-150-223-325-328-330-
 359
 -الفلقلين(حومة): 19-183-184
 -قمار: 76
 -قالمة: 80
 -قورارة: 93-176

-ر-

-348-347-345-333-329-324-321
 -367-359-354

-الرباط: 5-7-10-189-192-193-260-
 -320-312-306-305-304-275-274

-رومانا: 317

-رأس الختان: 328

-الرميلة(حومة): 28-34-133-235

-الريصاني: 176

-الراشيدية: 177

ش-

-الشام: 84-123-146-201

-الشط الشرقي: 171

-شاون: 292

-الشلف: 16

-الشرسور(حومة): 28

-شرشال: 52-54-234

-الشرق الجزائري: 64-65-70-77-78-80

س-

-251-247-293-240-236-235-234

-272-271-269-259-255-254-253

368-366-356-353-313

-تازة: 7-111-195-283-298-300-301

350-329-303-302

-تافوغالت: 7-137

تريزبل: 63

-التهامي الوزاني: 335 الهاشمي بن بومدين

-تملال(قرية): 3

-تلمسان: 3-5-6-7-9-11-14-15-16

-32-29-27-25-24-13-22-20-18-17

-75-75-61-54-45-42-37-36-34-33

-109-103-97-94-91-82-81-80-78

-127-125-116-115-114-112-111

-148-143-142-139-197-135-133

-181-179-171-166-164-152-151

-233-226-219-194-188-187-185

دو. فيبر: 275

خ-

--خالدة الأمير: 197-278-309

خليل بن صالح: 330 فيديريت محمد بن يوسف: 189

-خليل بن اسحاق المالكي: 10

-خير الدين بربوس: 13

غ-

- غابريان أسكير: 43

- غاسول بن مطرف: 114

- الغوثي بن غريبط: 189

- الغوثي بن محمد بن باص: 361

- أولاد حنليس: 306
 -أولاد بحيش: 183
 -أولاد بن يامنة: 183
 -أولاد بلمان: 183
 -أولاد بوخروبة: 183
 -أولاد بوخريصة: 184
 -أولاد بومدين التلمساني: 184
 -أولاد آحرفي: 143
 -أولاد الطبول: 143
 -أولاد عزيزة: 143
 -أولاد سيدي بن يخلف: 143
 -أولاد سيدي عبد الراجي: 143
 -أولاد سيدي عبد الله: 143
 -أولاد موسى: 8-144
 -أولاد منصور: 151-152-161
 -أولاد زياد: 157-171
 -أولاد سرور: 35-157-171
 -أولاد رادز: 171
 -أولاد رياح: 61
 -أولاد عنان: 171
 -أولاد سيدي الطيب: 178
 -أولاد بوعنلو: 27-28-321
 -أولاد بن قبيل: 183
 -أولاد بن عياد: 183
 -أولاد بن القيسي: 183
 -أولاد جامع: 28-223-334
 -أولاد سيدي بوشنافة: 79
 -أولاد عبد الكريم: 8
 -أولاد بن عصمان: 8
 -أولاد زكري: 22
 -أولاد علي: 22
 -الأغواط(قبائل): 71-75-157-159-172
- أولاد خليفة: 62
 -أولاد زعير: 62
 -أولاد إبراهيم: 62
 -أولاد سلمان: 62
 -أولاد عبد النور: 69-70
 -أولاد شليح: 69
 -أولاد فضالة: 69
 -أولاد بوعون: 69
 -أولاد سلطان: 69
 -أولاد سلام: 69
 -أولاد سلامة: 8
 -أولاد علي صابور: 69
 -أولاد عبدي: 69
 -أولاد يحيى بن طالب: 70
 -أولاد سيدي الشيخ: 75-82-93-153-154
 -أولاد سيدي الشيخ الشراقة: 153-154-157
 -أولاد سيدي الشيخ الغرابية: 121-123-153
 -أولاد سيدي الشيخ الغرابية: 154-155-159-165-167-169-232-253-254
 -أولاد سيدي الشيخ الغرابية: 121-123-153
 -أولاد سيدي الشيخ الغرابية: 154-155-156-157-165-171-173
 -أولاد بن ثابت: 114
 -أولاد بن عزوز: 115
 -أولاد بن عيسى: 115
 -أولاد عيسى: 8-143-195
 -أولاد عمر: 115
 -أولاد القندوز: 115
 -أولاد عكرمة: 132
 -أولاد شندهيد: 133
 -أولاد بوخروبة: 133
 -أولاد المير: 143
 -أولاد حوري: 176-192-251-262

ابر كان: 195	الأبار (عائلة): 28
--آحفير: 195	--الأودايا: 19-27
--اينارون: 231	--آل غرديس: 11
	--آل البلعوشي: 179
	--ابن جلال (بيت): 28
	--الأبيض سيدي الشيخ: 153
	--آرفود: 177
	--ب--
213-214-215-216-217-218-219-	--بنغريط: 189-346
221-223-237-271-282	--بني عتيق: 7
--بنو سنوس/سناسين: 19-22-82-83-137-	--بنو وجكل: 8
138-142-143-144-152-154-164-	--بنو راشد: 8-16-18
167	--بنو حفص: 13
--بنو هاشم: 128-156-236	--بنو زيان: 13-14
--بني صبيح (قبيلة): 53	--بنو مرين: 13
--بني يعلي: 144-177	--بنو عامر: 7-16-18-19-22-61-127-
	128-129-131-136-210-211-212-
	--ج--
	--الجعافرة: 159
	--د--
	--دوي منيع: 176-192-262
	--ه--
	--هواره: 19
	--ز--
	--ولهاصة: 22
	--ز--
--زغبة: 115	--زنانة: 5-6-114-115
	--ح--
--الحبيب بن بروكش: 136	--الحبيب ولد ماحي: 212

الحميان: 155-157-158-الحساسنة: 1549

الحياينة: 212-214-238-305

-حجارة: 7-8-168

الأحلاف: 19

-الحشم: 127-129-131-170-210-212-

213-214-215-216-217-218-221-

222-223

-ط-

-الطرافي: 157-158-159-165-

-ك-

-الكسل: 157-

-الكلاية: 8

-الكرادة: 8

-م-

-المهاية: 144-175-

-مدغرة: 22-78-81-

-مغراوة: 7

-المعابدة: 8

-مرنيسة: 307

-مزيلات: 306

-س-

-سلاس: 223

-ع-

-العلاونة: 70-نحاة المريني: 28-

-العمور: 192

-عكرمة: 165-186-

-ص-

-الصوابي المستغامي: 184-

-صدينة: 19

-صنهاجة: 5-169-143-273-306-

-ق-

-قلعية: 214

-ر-

-الرزايمة: 157-251-

-ريفة: 70

-الرحامنة: 217-247-

--ش--

--الشماعنة: 157-192
--الشماعوش (عائلة): 171-187-191-247

--الشماعة: 8-9-21-29-131-157-210-
334-223-212
--الشماع: 22-1529
--الشماعة: 157-160-214

--ث--

--الشماعة: 8

--خ--

--الشماعي: 179

--الشماعي: 188

--غ--

--غياة/ غياطة: 19

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس المحتوى

.....	الشكر والتقدير.....
.....	الإهداء.....
.....	المختصرات المستخدمة في البحث.....
.....	المقدمة.....
37-1.....	الفصل التمهيدي: المهاجرون الجزائريون نحو المغرب الأقصى قبل الاحتلال الفرنسي.....
13-2.....	طلائع المهاجرين الجزائريين نحو المغرب قبل فترة الحكم العثماني للجزائر.....
37-13.....	المهاجرون الجزائريون نحو المغرب الأقصى أثناء العهد العثماني بالجزائر 1518-1830.....
32-29.....	ثورة التجانيين.....
34-32.....	ثورة الدرقاوين.....
94-38.....	الباب الأول: عوامل الهجرة الجزائرية نحو المغرب الأقصى.....
54-38.....	الفصل الأول: العوامل السياسية.....
47-39.....	-سقوط نظام الحكم العثماني.....
51-47.....	-النفي والتهجير.....
54-51.....	-الإبادة الجماعية.....
71-55.....	الفصل الثاني: العوامل الاقتصادية والاجتماعية.....
62-56.....	-مصادرة الأراضي والممتلكات.....
62.....	-فرض الضرائب والغرامات.....
71-62.....	-العوامل الاجتماعية.....
94-72.....	الفصل الثالث: العوامل الدينية.....
83-73.....	1- الروابط الروحية والصوفية الجزائرية-المغربية.....
75-74.....	-الطريقة الشاذلية.....
76-75.....	-الطريقة التجانية.....
77-76.....	-الطريقة الطيبية(التهامية).....
80-78.....	-الطريقة الدرقاوية.....
79-78.....	-الدور السياسي.....
80-79.....	-الدور الديني والتواصل الروحي.....
81-80.....	-الطريقة العمارية القادرية.....
82-81.....	-الطريقة الزروقية اليوسفية.....
82.....	-الطريقة العيساوية.....

- 83-82.....الطريقة الكرزازية(الأحمدية) والزيانية.....
- 94-83.....2-الفتوى بالهجرة من دار الحرب إلى دار السلام.....
- 197-95.....الباب الثاني: مراحل الهجرة واتجاهاتها في المغرب.....
- 147-95.....الفصل الأول: مرحلة الهجرة الأولى 1859-1830.....
- 107-96.....-المهاجرون الجزائريون نحو تطوان.....
- 133-109.....-المهاجرون الجزائريون نحو فاس.....
- 147-135.....-المهاجرون الجزائريون نحو وجدة وطنجة.....
- 173-148.....الفصل الثاني: مرحلة الهجرة الثانية (1859-1894).....
- 161-149.....-المهاجرون الجزائريون نحو فاس.....
- 173-163.....-المهاجرون الجزائريون نحو وجدة ومكناس ومراكش وتطوان.....
- 197-174.....الفصل الثالث: موجة الهجرة الثالثة (1894-1930).....
- 182-175.....-نحو وجدة.....
- 186-182.....-نحو فاس.....
- 190-187.....-نحو طنجة.....
- 190.....-نحو تطوان.....
- 191.....-نحو القصر الكبير.....
- 192.....-نحو تافيلالت.....
- 192.....-نحو مراكش.....
- 192.....-نحو أسنفي.....
- 194-192.....-نحو الرباط.....
- 194.....-نحو سلا.....
- 197-194.....-نحو مكناس.....
- 266-198.....الباب الثالث: موقف سلاطين المغرب من المهاجرين الجزائريين.....
- الفصل الأول: موقف السلطان عبد الرحمان بن هشام من المهاجرين الجزائريين في المغرب (1830-1859).....
- 266-198.....(1859).....
- 209-199.....-موقفه من المهاجرين الجزائريين بتطوان.....
- 299-210.....-موقفه من المهاجرين الجزائريين نحو فاس.....
- 218-210.....-موقفه من قبائل الحشم وبني عامر.....
- 224-218.....-موقفه من المهاجرين الأشراف/الشرفاء.....
- 229-224.....-موقفه من أقارب الأمير عبد القادر وأهل دائرته.....

- الفصل الثاني: موقف السلطانيين سيدي محمد وابنه الحسن الأول من المهاجرين الجزائريين في المغرب (1859-1894)..... 230-245
- موقفهما من المهاجرين الجزائريين بفاس..... 231-239
- موقفهما من المهاجرين الجزائريين نحو وجدة..... 239-245
- الفصل الثالث: موقف السلاطين أبناء الحسن الأول والسلطان محمد الخامس من المهاجرين الجزائريين (1894-1930)..... 246-266
- موقفهم من المهاجرين الجزائريين بفاس..... 247-255
- موقفهم من المهاجرين الجزائريين بوجدة..... 255-260
- موقفهم من المهاجرين الجزائريين بمدن متفرقة ومناطق أخرى..... 260-261
- موقفهم من حركة الشيخ بوعمامة وأنصاره بعد لجوئهم إلى المغرب..... 261-263
- موقفهم من الأمير عبد المالك الجزائري..... 264-266
- الباب الرابع: دور المهاجرين الجزائريين في المغرب..... 267-379
- الفصل الأول: الدور السياسي..... 268-322
- 1-النشاط السياسي..... 268-280
- التصدي لنظام الحماية الفرنسية وسياسة التحنيس..... 268-274
- دور الحاج علي بوطالب في الدعاية الألمانية ضد فرنسا..... 275-277
- دور علي الحمامي في النضال السياسي التحرري بالمغرب..... 277-279
- دور الرجالون الجزائريون بتطوان في مناهضة الاستعمار الفرنسي..... 279-280
- 2-النشاط العسكري..... 281-311
- ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب 1914-1924..... 286-311
- انضمام الأمير عبد المالك إلى مقاومة الشيخ بوعمامة وحركة الجيلالي الزرهوني..... 286-290
- التحاق الأمير عبد المالك بالمخزن بقيادة السلطان عبد العزيز..... 290-296
- إعلانه الثورة ضد الفرنسيين بالمغرب 1914-1924..... 296-298
- المرحلة الأولى 1914-1918..... 298-303
- المرحلة الثانية 1919-1924..... 304-311
- 3-النشاط الإداري..... 311-322
- الفصل الثاني: دورهم الثقافي..... 323-354
- التعليم والتدريس..... 324-330
- حركة التأليف..... 320-343
- حركة الترجمة..... 344-347

349-347.....	-الصحافة.....
353-349.....	-الإمامة والخطابة.....
354-353.....	-الفنون التشكيلية والمسرح والموسيقى.....
379-355.....	الفصل الثالث: دورهم الاجتماعي.....
361-356.....	-سلك القضاء.....
371-361.....	-الإصلاح التربوي والاجتماعي.....
375-371.....	-الإصلاح الطبي.....
379-375.....	-تأثير المهاجرين الجزائريين في المجتمع المغربي.....
386-381.....	الخاتمة.....
415-388.....	الملاحق.....
438-417.....	قائمة المصادر والمراجع.....
464-436.....	الفهارس.....
449-440.....	-فهرس الأعلام.....
456-450.....	-فهرس الأماكن والمدن.....
460-457.....	-فهرس القبائل والجماعات.....
464-461.....	-فهرس المحتوى.....